

**THE BOOK WAS
DRENCHED**

170537

شعراء الأندلس

ديوان ابن زيدون

رَسَائِلُهُ أَخْبَاءُهُ شِعْرُ الْمَلِكَيْنِ

« ابن زيدون عجمي زمانه نصر المحسنون عن إحدائه
أخذ الروم في الجزيرة عنه ومنوا في غياله وانتانه . »
« شوقي »

شَرِّحَ وَضَبَطَ وَتَصْنِيفُ

كامل كيلاني و عبد الرحمن خليفه

الطبعة الأولى

١٣٥١ هـ - ١٩٣٢ م - رقم ٤٧٤

كل الحقوق محفوظة

طبع مطبعة

مصطفى البابی الحلبي وأولاده بمصر

وبشرطه محمد امين عمران

فهرس

مقدمة ديوان ابن زيدون

صفحة		صفحة	
١٧	ابن جهور - بنو عباد	٨	تصدير
٢٧	المنامح الأدبية	١٠	مقدمة الديوان
٣٠	نشأة ابن زيدون	١٠	تحريف للديوان
٣٣	بحرئ المغرب	١٠	أمثلة من التحريف
٣٧	شاعرية ابن زيدون	١٢	أثر التحريف
٤٢	لماذا سجن ابن زيدون	١٣	لماذا بدأت بهذا الديوان
٤٤	حساد ابن زيدون	١٥	تنفيذ الفكرة
٥٠	حب ولادة	١٦	رسائل ابن زيدون وأخباره
٥٥	أدب ابن زيدون	١٧	إلمامة
		١٧	ملوك الطوائف

فهرس ديوان ابن زيدون

صفحة		صفحة	
٣٨	جواب كتاب	١	في السجن
٣٩	في الغزل	٤	ذكرى أيام الوصال
٤٠	في مدح ابن جهور	٩	في مدح ابن جهور
٤٩	بعد خسارة يوم في السجن	١٢	ذكرى ولادة
٥٤	من قصيدة صنعها ببليوس	١٣	بعد الفرار من السجن
٥٧	في الغزل	١٩	في مدينة ببليوس
٥٨	بين صديقين	٢٢	يوم بوصول ساعة
٥٩	دعوة	٢٣	في عيد الأنهي
٦٠	قال في الوزير الشيخ أبي الحزم	٣٤	في طرطوشة
٦٠	وصال	٣٥	إلى الوزير أبي عبد الله

صفحة		صفحة	
١١٩	حبيب	٦١	وقال معانبا من قصيدة
١٢٠	في مدح ابن جهور	٦١	موقف وداع
١٢٢	الى المظفر	٦٢	وقال أيضا بمدح أبا الوليد بن جهور
١٣٠	في نكبة بني ذكوان	٦٦	مداعبة
١٣٦	تهنئة بقران	٦٨	جرب اللبس واستحسن
١٣٩	تهنئة	٦٩	في مدح ابن جهور
١٤٠	مدح ورثاء	٧٤	عناف
١٤٨	الى ابن ذكوان	٧٥	رثاء فتاة
١٤٩	الى المعتضد	٧٦	في الغزل
١٥٠	مدح ورثاء وتهنئة	٧٧	تهنئة
١٥٢	هدية غيب	٧٨	تهنئة بفصد
١٥٣	رثاء ابن ذكوان	٧٩	في مدح ابن جهور
١٥٨	في مدح المعتضد	٨٢	شكر
١٦٥	هدية تفاح	٨٩	شفاعة
١٦٧	شكر على زيارة	٩١	هدية تفاح
١٦٨	تهنئة	٩٢	لا يهنا الثامت
١٦٩	ابتداء قصيد	٩٨	أروع الكأس
١٧٠	الى أبي القاسم	٩٨	لاحيلة في الحب
١٧٤	مدح ابن جهور ورثاء أمه	٩٩	في مدح ابن جهور
١٧٧	في مدح ابن جهور	١٠٥	الى ابن جهور
١٨٤	رثاء أم المعتضد	١٠٦	مجلس أبي على
١٨٨	قل للبغاة	١٠٧	جواب
١٩٢	ذكرى قرطبة	١٠٨	كن كيف شئت
١٩٥	سأوى المضطر	١٠٩	حنين
١٩٧	في مدح المعتضد	١١١	في الغزل
٢١٦	في » »	١١١	في بعض مجالس الأندلس
٢٢٣	دولة عباد	١١٢	شكوى وألم
		١١٨	جواب

صفحة		صفحة	
٢٦٥	قسم	٢٢٣	الى حبيب
٢٦٥	خداع الأمانى	٢٢٤	فى مدح أبى المظفر
٢٦٦	فى الغزل	٢٢٩	ذكرى قرطبة وأيام الصبا
٢٦٦	الى هاجر	٢٣٦	الى ابن عبدوس
٢٦٦	دعاء حبيب	٢٤١	مدح ابن جهور وشكر ياديس
٢٦٧	أنت حبيبى	٢٤٣	اسم من أحب
٢٦٧	ما الذى أنكره ؟	٢٤٤	الى أبى العطف
٢٦٧	شوق بعد سلوان	٢٤٧	بين ابن زيدون والمتمد
٢٦٨	أسر الهوى	٢٤٨	الى المتمد
٢٦٨	مغفرة	٢٤٨	جواب للمتمد
٢٦٨	وصف الكأس	٢٤٩	جواب آخر للمتمد
٢٦٩	غاية المحبين	٢٤٩	وقال للمتمد يشهده خرا
٢٦٩	صفح الذنب	٢٥٠	وقال مجاوبا المتمد
٢٦٩	لا يأس	٢٥٣	وقال
٢٦٩	عتب	٢٥٣	وقال
٢٧٠	تجنى الحبيب	٢٥٤	تهنئة
٢٧٠	لا يأس فى الحب	٢٥٧	ذكرى ولادة
٢٧٠	بقية المساوك	٢٥٨	الى ولادة
٢٧١	غرور المني	٢٥٩	الى أبى حفص بن برد
٢٧١	صلنى	٢٥٩	ليل أنس
٢٧١	شكوى ضائعة	٢٦٠	دواء
٢٧١	وفاء الحب	٢٦١	حبيبى رضاك
٢٧٢	غدر الحبيب	٢٦٢	عودى الى الوصال
٢٧٢	حنن العاشق	٢٦٣	أبو القاسم
٢٧٢	قناعة الحب	٢٦٣	وقال
٢٧٣	كيف السلو	٢٦٤	آلام الحب
٢٧٣	أنت المني	٢٦٤	كيف السلو

صفحة		صفحة	
٣١١	الى المتمد	٢٧٣	بقاء على العهد
٣١٣	صرحى الحب	٢٧٤	أبن وفاؤك
٣١٢	ذكرى قرطبة	٢٧٤	صرح الحب
٣١٣	رسائل ابن زيدون وأخباره وشعر الملكين	٢٧٥	وفاء الحب
٣١٤	الرسالة الهزلية	٢٧٥	أنت حبيبى
٣٣٣	الرسالة الجذبة لابن زيدون	٢٧٥	الى هاجر
٣٤٦	رسالة الى المظفر	٢٧٦	لا سبيل الى السوء
٣٥٥	رسالة الى ابن مسعدة	٢٧٦	أنت الحياة
٣٥٧	رسالة الى المعتضد	٢٧٦	ذكرى معاهد قرطبة
٣٥٨	رسالة من قرطبة	٢٧٧	غدر الحبيب
٣٦٠	من رسالة	٢٧٨	اصنع ما شئت
٣٧٠	شعر المعتضد	٢٧٨	أمنية
٣٧٧	شعر المتمد	٢٧٨	فنى فداؤك
٣٧٩	ابن عمار	٢٧٨	دين الحب
٤٠١	معارضات الشعراء لابن زيدون	٢٧٩	وفاء
٤٠١	معارضة أبى بكر	٢٧٩	فى سبيل الهوى
٤٠١	معارضات أمير الشعراء	٢٧٩	صلة الحب
٤٠٩	صفحات من كتاب الذخيرة	٢٨٠	مقيم على العهد
٤٢١	صفحات من كتاب نفع الطيب	٢٨٠	آلام الحب
٤٢٣	ابن جهور	٢٨١	المعنيات والألفاظ
٤٢٥	جهور	٢٨١	الى المتمد
٤٢٥	بنو عباد	٢٩٩	الى المتمد على الله
٤٢٦	صفحات من كتاب العيني	٣٠١	جواب
٤٢٧	ملوك الطوائف	٣٠٣	الى المتمد
٤٣٠	دراسة الدكتور أحمد صيف لابن زيدون	٣٠٦	جواب على بيت مطير
٤٣٨	دراسة الأستاذ الكندرى » »	٣٠٧	البيت المطير
٤٤٢	دراسة الأستاذ علام سلامة » »	٣٠٧	حل البيت المطير
٤٤٣	دراسة الأستاذ أحمد زكى باشا » »	٣٠٨	جواب على بيت مطير
٤٥٥	فهرس القوافى		

مقدمة ابن زيدون

تصدير

لخضرة صاحب السعادة أمير الشعراء

يَا أَبْنَ زَيْدُونَ مَرْحَبًا قَدْ أَطَلَّتِ التَّغْيِيَا
إِنْ دِيْوَانَكَ الَّذِي ظَلَّ مِرًّا مُحَجَّبَا
يَشْتَكِي الْيَتِيمَ ذُرَّةً ، وَيُقَايِسِي التَّمْرَابَا
صَارَ - فِي كُلِّ بَلَدَةٍ - لِلْأَلْبَاءِ مَطْلَبَا
بِجَاهِهَا « كَامِلٌ » بِهِ عَرِيًّا مُهْدَبَا
تَجِدُ النَّعْسَ مُنْجِيَا وَتَرَى الشَّرْحَ أَعْجَبَا

أَنْتَ فِي الْقَوْلِ كُلِّهِ أَجْمَلُ النَّاسِ مَذْهَبَا
بِأَبِي أَنْتَ هَيْكَلًا - مِنْ فُنُونِ - مُرَكَّبَا
شَاعِرًا أَمْ مُصَوِّرًا كُنْتَ، أَمْ كُنْتَ مُطْرِبَا؟
تُرْسِلُ اللَّحْنَ كُلَّهُ مُبْدِعًا فِيهِ مُفْرِبَا
أَحْسَنَ النَّاسِ هَاتِفًا ، بِالْفَوَائِي مَشْبَبَا
وَتَزِيلُ الْمُتَوَجِّعِ سَنَ النَّدِيمِ الْمُقَرَّبَا
كَمْ سَقَاهُمْ بِشِعْرِهِ مِدْحَةً أَوْ تَعْتِبَا
وَمِنْ الْمَذْحِ مَا جَزَى وَأَذَاعَ الْمَنَاقِبَا

وَإِذَا الْهَجْوُ هَاجَهُ - لِمَا نَاتِيهِ - أَبَى

وَرَأَاهُ رَذِيْلَةً لَا تُحْمَى النَّادِيَا
مَا رَأَى النَّاسُ شَاعِرًا فَاصِلَ الْخُلُقِ طَيِّبًا
دَسَّ لِلنَّاشِقِينَ - فِي زَنْبِقِ الشَّعْرِ - عَقْرَبَا

* *

جُلْتُ فِي الْخَلْبِ جَوْلَةً هَلْ عَنِ الْخُلْدِ مَنْ بَيَّا ؟
صِفْ لَنَا مَا وَرَاءَهُ مِنْ عِيُونٍ وَمِنْ رُؤْيَا
وَنَعِيمٍ وَنَضْرَةٍ وَظِلَالٍ مِنَ الصَّبَا
وصِفِ الْخُورَ مُوجِزًا - وَإِذَا شِئْتَ - مُطْنِيَا -

* *

فَمَ تَرَى الْأَرْضَ مِثْلَ مَا كُتِبُوا مَسِي - مَلَمَبَا
وَتَرَى النَّبِيَّ لَمْ يَزَلْ - لَيْلِي الْمَوْتِ - مَا رُبَا
وَتَرَى ذَلِكَ - بِاللَّيْلِ عِنْدَ هَذَا - مُعَذَّبَا

* *

« إِنَّ مَرْوَانَ عُصْبَةٌ يَصْنَمُونَ الْمَجَابِيَا
طَوَّقُوا الْأَرْضَ مَشْرِقًا - بِالْأَيْدِي - وَمَغْرِبَا
آلَةُ أَطْلَعَتْكَ فِي ذِرْوَةِ الْمَجْدِ كَوْكَبَا
أَنْتَ الْفَتْحُ تَفْتِي وَكُنِيَ الْفَتْحُ مَنْصِبَا
لَسْتُ أَرْضَى بِتَغْيِرِهِ لَكَ جَدًّا وَلَا أَبَا »

« شوقي »

مقدمة

١ . تحريف الديوان

كان أيسر ما في هذا الديوان نسخه وضبطه وشرحه : فقد أنشأنا ما كابدناه فيه من عناء التحريف كل عناء آخر كابدناه فيه ، وقد وفق النساخ أيا ما توفيق في تشويه محاسن هذا الديوان القدة ، وتحريف آياته ، وطمس غوره وعيونه .

وقد كنا قرأ القصيدة عدة مرات ، وكأنا - لشدة ما فيها من تحريف واضطراب - أمام طلمس غامض لاسبيل إلى حله ، ثم لا يلبث الصبر أن يذل من العقبات ما كنا نوقن باستحالة تذليله ، وكانت تقرينا لفة الفوز والاتصار - كلما اجتزنا عقبة - أن نقتحم أخرى حتى اتيناهم هذا الديوان ونحن لانكاد نصدق بأننا قد اجتزنا هذه المفازة الخيفة ، ورفقنا عن ذلك المنجم الرائع كثيرا من المضارب والكثبان المترامية فوقه .

وما نزع أننا قد برأنا هذا الديوان من كل عيب ، ونزهناه عن كل تحريف ، ولكننا نجبرؤ فزعم أننا لم نأل جهدا في تبرئته من كل عيب ونزبهه عن كل تحريف ، فإذا ند عن خاطرنا معنى أوطق بذهنا كالول في تصحيح بيت أو تجلية غامض فهو الذهن الانساني يخلق ثم يسقط ، ويبدع ثم يسخف ، ويعتوره القصد والكالال ، أقوى ما يكون رغبة في توشى الابداع والكال .

٢ - أمثلة من التحريف

قلنا إن نسخ هذا الديوان وضبطه وشرحه كانت أيسر ما لقيناه من العناء ، وهذا الكلام ربما لمح فيه اقارئ الخلقى الذهن نوعا من الزهو والخيلاء ، ولكنه الحقيقة التي لا أثر للغلاة فيها ، ولو أننا أردنا أن نسر دكل ما أصلحناه من تحريف أو تشويه : لاضطررنا إلى ذكر أكثر آيات الديوان ، وقد أشرنا إليها في واضعها من الكتاب ، فلنجزئ بذكر القليل منها عن الكثير ، ليرى اقارئ المذنب مقدار ما جنى النساخ على شعر هذا الشاعر العظيم ، ونحن لارنى في مثل هذا العمل إلا أنه زكاة يؤديها الأديب للأدب العربى الزاخر بأروع الخواج النفسية وأسمى المعانى الرائعة .

وليعمل القارئ نفسه أمام هذا البيت مثلا .

» لم يدع منى شفا من جلد مع أنى لم أزل ثبت الغور : ه

أوليت التالى :

« كَأَنَا لَمْ يُولَدْنَا زَمَانٌ لِّىنِ الْأَخْدَعِ . »

أوقوله فى نفس القصيدة :

« وَأَتَى الْفَحْلَ لَا يَجْدَعِ . »

أوقوله فى قصيدة أخرى :

« حَيَاءٌ هُوَ اللَّيْلُ ادْهَمَ ظَلَامُهُ . »

أوقوله :

« زَمِنَ كَمَا لَوْنُ الرِّضَا عِشْقُ ذِكْرِهِ الْفَطِيمِ »

أوقوله :

« لَمْ أَدْعِ حَظِّى مِنْهَا بِالْحَيْلِ . »

أوقوله :

« فَا بَنِكَ إِلا عَدَلَ نَفْسِكَ إِنْ يَسِرْ فَلْيَجِسْمِ لَا لِلنَّفْسِ مِنْكَ مَقَامِ »

فى قصيدة لم يرد فيها ذكر ابنه بتاتا :

فَإِذَا قُرِئَتْ الْبَيْتُ الْأَوَّلُ قِرَاءَةً صَحِيحَةً : قُلْتُ :

« لَمْ يَدْعِ مَنِّى سَقَامِى جُلْدًا مَعَ أَقْبَى لَمْ أَزَلْ ثَبْتُ الْمَرَّ »

والبيت الثانى :

« كَأَنَا لَمْ يُولَدْنَا زَمَانٌ لِّىنِ الْأَخْدَعِ »

والشطر الثالث :

« وَأَتَى الْفَحْلَ لَا يَجْدَعِ »

والبيت الرابع :

« جَفَاءٌ هُوَ اللَّيْلُ ادْهَمَ ظَلَامُهُ »

والبيت الخامس :

« زَمِنَ كَمَا لَوْنُ الرِّضَا عِشْقُ ذِكْرِهِ الْفَطِيمِ »

والبيت السادس :

« لَمْ أَرِغْ حَظِّى مِنْهَا بِالْحَيْلِ »

والبيت السابع :

« فَا بَنِكَ إِلا عَدَلَ نَفْسِكَ إِنْ يَسِرْ فَلْيَجِسْمِ لَا لِلنَّفْسِ مِنْكَ مَقَامِ »

فَإِذَا أُضِفَتْ إِلَى هَذَا الْعَنَاءِ آخَرُهُ هُوَ بَعْضُ تَكْمِلَةِ الْآيَاتِ النَّاخِصَةِ بِمَا يَلْتَمِهَا، ظَهَرَ لَكَ

أَنَّا لَمْ نَكُنْ مَغَالِينَ فِى وَصْفِ مَا كَابَدْنَاهُ مِنَ الْمُشَقَّةِ وَالْحَبِّ.

وَمِنْ أَثْبَتِ ذَلِكَ قَوْلُهُ : « فِى جَوَارِكِمْ ذَلِيلِ . »

وَقَدْ أَتَمَمْنَاهُ بِمَا يَلْتَزِمُ الْمَعْنَى هَهُنَا : « [جَنَاحِى] فِى جَوَارِكِمْ ذَلِيلِ »

وقوله :

« شَافِعَا لِأَيَادِيكَ الَّتِى بَعْضُهَا يَفْرُقُ التَّنَاءِ »

وقد آمناء وأصلحناه كما يلي :

« [فقبله] شافها لأيدع لك التي بصنها يفوق التناء »
وانما اجترينا بهذه الأمثلة القليلة لأن الثمرة - كما يقول شيخ المعرة - تدل على الشجرة .
ولأن الديوان كله مائل بين يدي القارئ فلا حاجة بنا إلى الاطناف في ذكر الأمثلة .

٣ - أثر التحريف

وكثير مما يرويه أساتذة الأدب في المدارس من شعر ابن زيدون محرف أو مشوه ، فمن ذلك ما أثبت الأستاذ علام سلامة في مذكراته المطبوعة لطلبة دار العلوم :

« وبيت ملك كأن الله أنشأ مسكا وقد أنشأ الله الوري طينا . »

والبيت في وصف ولادة ، وصوابه . « ريب ملك » ، وقد أكثر شعراء الأندلس - ومنهم ابن زيدون - من هذا التصير ، والرواية التي أخذ بها الأستاذ علام هي رواية فتح الطيب الذي لا يقل تحريفه وتصحيحه عن تحريف الديوان وتصحيحه . وقد أثبتنا هذا البيت كما يلي :

« ريب ملك كأن الله أنشأ مسكا وقدر إنشاء الوري طينا »

وهذا يظهر جمال أسلوب ابن زيدون وروعة أدائه .

وقد روى بعض الأدباء البيت التالي لابن زيدون هكذا :

« سنون من الأيام خس قطعها أسيرا ، وإن لم يد شد ولا قط . »

وصوابها « سنون من الأيام خس قطعها » فإن سنين من الأيام أو سنين من الليالي أو سنين من الساعات لا معنى لها - ويؤيد هذا الرأي قول ابن زيدون نفسه من قصيدة أخرى في رسالة لابن جهور :

« أفصرا مئين خسا من الأيام ؟ »

وقد وقع في هذا التحريف الأستاذ أحمد زكي باشا ثم ناباه في ذلك الأستاذ أحمد الكندري .

وظن الأستاذ زكي باشا أن ابن زيدون قد سجن مرتين ، الأولى خمس سنوات ، واستدل

على ذلك بالبيت الأول ، والثانية خمسة يوم ، واستدل على ذلك بالبيت الثاني .

أما الأستاذ الكندري فقد قرر أن ابن زيدون سجن خمس سنوات (١) ، وهو لم

يسجن إلا خمسة يوم كما يدل على ذلك شعره .

(١) قال الأستاذ الكندري :

« لبت ابن زيدون في السجن مئتي سنين ، ولكن كم كانت منها ؟ ومتى كان مبدؤها ؟ »

أما الأول فيجبنا هو عليه بقوله من قصيدته الطائفة البليغة :

« سنون من الأيام - خس قطعها أسيرا ، وإن لم يد شد ولا قط »

وأما الثاني فيجبنا هو أيضا عليه بقوله من قصيدته الرائجة التي كتب بها من السجن إلى أبي الحزم

جهور : « لمطر برد شبابي كبره وأرى برق الشيب اهتلى في غارض الشعر »

وقد جنى تحريف الفساح على أدباء العربية وشعرائها جناية لا تقتصر فاضطربت بسببه آيات
البلاغة ودقائق البيان وعزف الكثيرون عن أدبهم بعد أن رأوا ما فيه من الخلط والتشويه
والتحريف ولا وهم على ذنوب لم يجتروها وأخذوهم يسيب لا يد لهم فيها :

« وذنوب جرّاه سفهاء قوم وحل بغير جوارحه العقاب »

ولا يزال رجال الأدب وأساتيده الأفاضل مسؤولين عن إصلاح هذه الروائع وتنظيم هذه
الكنوز النفيسة وردّها إلى الصواب، حتى يظهر جلال الأدب العربي وروعته وتبرأ ذم القدماء
مما لحق آثارهم الأدبية من الخلط والتشويه .

٤ - لماذا بدأت بهذا الديوان

كانت فكرة موقفة سديدة تلك الفكرة التي خطرت ببال الأستاذ الكبير الدكتور وأحد
ضيف مدرّس الأدب العربي بالجامعة المصرية القديمة حين طلب إلى عام ١٩٢٢ أن أترجم
لطلبة الجامعة الفصل الرابع الذي كتبه الأستاذ المستشرق « نيكسون » عن الأدب الأندلسي
وتلخيصه ، فقد كان من آثار تلك الفكرة أنني نشطت إلى إلقاء تلك المحاضرات التي أظهرتها
للقراء في ذلك العام بعنوان « نظرات في تاريخ الأدب الأندلسي ^(١) » ووعدت في مقدمة
ذلك الكتاب بالعودة إلى البحث .

قبل الثلاثين إذ عهد الصبا كتب وللشبية فحسن غير مهتم

ونحن نعلم أن انقطاع دعوة بني أمية من قرطبة كان سنة اثنين وعشرين وأربعمائة ، ونعلم أن دولة
ابن زيدون في سنة أربع وتسعين وثلاثمائة فلذا كان بدأ خدمته في دولة آل جهور وهو في الثانية
والعشرين من عمره وإذا قدرنا أنه يمث بهذه القصيدة في مبدأ اعتقاله كما هو الظاهر إذ قد صرح فيها
بأنه يبلغ الثلاثين ، كانت مدة خدمته لأل جهور لا تزيد على سنتين وكان بدء انقطاعه في نهاية سنة أربع
وعشرين وأربعمائة أو أول خمس وعشرين وأربعمائة .

لبت ابن زيدون في السجن خمس سنين استطف فيها أبا الحزم جهورا واستشف عنده بأنه أي
الوليد محمد بن جهور ، وكان ألبه وصديقه من قبل وبشيرة من الرؤساء ووجوه قرطبة يؤبى إليه واليه
شكواه بعدة قصائد أبدعها ووسائل استند فيها جهده لما ألت له قلبا اه

(١) وقد جاء في مقدمة ذلك الكتاب ما يلي

طلب إلى حضرة الدكتور أحمد ضيف ، أن أترجم الفصل التاسع من كتاب « تاريخ آداب العرب
للاستاذ نيكسون » لألبه في الجامعة المصرية ، وهو الفصل الذي أفرده من كتابه المنع ، بالكلام
على تاريخ الأدب العربي في أسبانيا .

لم أكد أقرأ هذا الفصل حتى بدا لي خطره وتقلّسه وعرّضت لي عدة ملاحظات على منس ما جاء فيه
ولم أكد أصرح في مناقشة لفظ الجورمية حتى اتسع أمني مجال البحث وشجيت على مواصلة مراقبته من
القص الشديد الذي يكاد يمس كل مطلع على الكتب العربية التي تناولت الكلام في هذا الموضوع وما
علته من الحاجة الملحة إلى كتاب يصر على طلبة الأدب الأندلسي وغيرهم من المشتغلين به ، قليلا مما
يحكيهونه من هذه البعث في الأسفار العربية الضخمة للهوشة ويحفظ وتهم التي من الضياع .

فآلآن أعود إلى الكتابة بعد عشر سنوات مضت على تلك البحوث التمهيدية الأولى .



ولكن لماذا اخترت ابن زيدون وبدأت به قبل غيره من الشعراء ؟
لقد كنت أسمى الظن بشعر ابن زيدون وأدبه ، وبخيال إلى - كما يخيل إلى كثير من
أدبائنا الذين يتسرعون في الحكم على الشعراء من غير أن يعوا أنفسهم بدرس آثارهم
وعصوهم دراسة مستفيضة - أنه شاعر صنعة مولع بالبدع والمقابلات اللفظية لا يسمو إلى
درجة الفحول للمتأخرين .

فلما وصلت إلى قول « نيكسون » في فصله الرابع : « وكانوا يلقبون ابن هاني بأنه
متنى الغرب ، كما يلقبون ابن زيدون بأنه بعتري الغرب ^(١) » صارت القارئ حينئذ بأنني
لا أستطيع الحكم على الجزء الثاني من هذه التسمية ، وقد عقدت فصلا موجزا للمقارنة بين ابن
هاني والمتنبى ، لأنني درست ديوانيهما وقد عدلت الآن عن بعض آرائى في ذلك الفصل . ولم
أستطع للمقارنة بين ابن زيدون والبحتري ، لأنني قرأت ديوان الثاني ولم أقرأ للأول إلا بضع
قصائد لا تكفي للحكم على شاعر .

وذكرت أن جلال نهضنا القربة لا يناسب مع جعلها عظماة لنتنا اثنين تركوا أوضح الأثر في بلاغة
تستمد منها الحياة والقوة ، ففي كل من الواجب ألا يجعل الإنسان عظماة الأمم ذوى الأثر الكبير في
المحضرة التالية فهو أجدر ألا يجعل عظماة . قل كل في .
دلتني هذه الاعتبارات إلى عدم الانصراف على ترجمة هذا الفصل المتع وتم اغتفاده مرجعا من المراجع
الكثيرة التي رجحت أنها بدلا من أن اغتفده موضوع المحاضرة .
وقد اقتضت في هذا الكتاب على ترجمة النصف الأول من هذا الفصل ، وقد ألفت القسم الأكبر من
هذه المحاضرات منذ أكثر من عشرين في الجامعة المصرية ، ثم نشرت بعضها في إحدى الصحف الأدبية
فليت من الاستحسان والرضا طاشي على طبعها .

ولم يخفى أن أورد في حواشي الكتاب كثيرا من التمليلات الضرورية التي اضطررت ضيق الزمن إلى
الاحتفاظ بالإشارة إليها دون ذكرها وقت إلقاء المحاضرات .
وقد سمعت ذكر أدلة وتعدج شملت مكانا من الكتاب ما كانت لتشفه لو أن كتابا حديث سبني إلى
الاستخدام . أو لو أني وثقت أن جمهور الأدباء قد يقرأها .
(وسعد) فبذنه ظرات سرية ألفت بها إلى تاريخ الأدب الاندلسي وسأبنيها بعد قليل بالقسم الثاني
منها : فليقرأها القارئ على أنها مقدمة للدراسة لأدب في ذلك العصر ، ولتغنيها نواة لكتاب تناول فيه
ذلك التاريخ بعين من النوسخ والاسهاب إذ أمكنتنا المرس ، وكان في الأجل بقية .
(١) قل الأستاذ نيكسون :

« إن قائمة العظماء الذين رحلوا إلى طلب العلم إلى إفريقيا ومصر وإلى المدن المقدسة في بلاد العرب وإلى
حواضر - وريا العظيمة والخراسان ، وإلى بلاد الصين أميانا - كانت تحوى
كل نابي الأدباء ورجال البلاغة العربية الذين أنعم عليهم إسبانيا لا لامة كما يرى ذلك من يصفح الفصل
الخامس من كتاب للمرى . لهذا كانت حركة جباله ، لآراء في دؤب ونشاط فلم يتأثر أحد من رجال الفرق
والغرب بعين خاص ، وعرف الناس إلى كل شيء أمة شعر شعراء الاندلس كابن هاني وابن زيدون كان
ينضمهم الفداد . قون المجدبون بجماعتي لرب وبخبره . »

ورأيت أن واجب الأمانة يقضى على أن أدرس ابن زيدون كما درست البحتري لينسى لي أن أنصفه .

وما كنت أبداً في درس ابن زيدون ، شعره وثره ، وأقصى أخباره وأخبر عصره ، حتى رأيت ماراغنى وأدهشني مارأيت ، لقد كنت أستاذ على اسم شاعر عادي فصرت أستاذ له الآن اسم شاعر كبير وكنت أكرهه لكفه بالصنعة التي بنفت إلينا أكثر شعراء ذلك العصر وأفندت علينا أكثر الأدب العربي ، فإذا في أحب هذا اللون الرائع من الصنعة المحببة التي تتزج بالنفس وتهمين على القلب وتحبب فيها أشد الناس بغضا لها ، وقد عرف ابن زيدون كيف يتخذ من الصناعة والبديع أدوات للافتتان في الأداء والتصير والابداع في تصوير أروع المعاني الساحرة وأدق الخواجا النفسية ، وإذا بها نفس تطرب إلى الجبال وتفتن في التعبير عنه ، وطبيعة سمحة صناع لا انواء فيها ولا تكلف ، وقد صدق القائل : « كل طعام يتناوله الصحيح ينقلب إلى حمية ، وكل طعام يتناوله المريض ينقلب إلى مرض » وهكذا كرهنا القلدون في الصنعة والبديع ، كما حجب إلينا المبدعون كثيراً من ألوان الصنعة والبديع .

الحق أن ابن زيدون ساحرياني خلاب يتخذ من الصنعة وسيلة للروعة والدقة وحسن الأداء ، كما يتخذ المصور الماهر من مختلف الألوان والأصباغ - وسيلة للتعبير عن أدق وأخفى الأسرار والمخات .

ولا أكنتم القارئ أتى من ألت أعداء الصنعة اللفظية ، ولكنني من أشد أنصارها إذا جاءت عن هذه الطريق .

وقد أراد بعض الكتاب أن يعيب على ابن زيدون وأناقول فرانس أنهما من رجال الأساليب ، ونسوا أن الأسلوب العالي هو غاية تنخلع دونها الرقاب ، وأن طول المراتة والدرس تخلق من صاحبها الكاتب الحاذق والشاعر اللبق ولكنها أمجز من أن تخلق الكاتب الموهوب والشاعر العبقري أو تلهمهما الأسلوب العالي الذي يحاول بعض الأدباء أن يزرى به ويعقره .

٥ - تنفيذ الفكرة

ولم أكد أبداً في قراءة ديوانه ونسخه حتى أكرت الرجل وفتنت بشعره وسحرته ببيانه الرائع وإن قطع على إعجابي وقتني ما اعتوره من التعريف والتشويه - وهما من جنات السناخ على الأدب العربي - ولكنني اعتزمت المضي في هذه الطريق الوعرة وصممت على اجتياز هذه المفازة التي لأعلام فيها ولا صوى ^(١) نترشد بها في السير ، ثم شغلني أعمال كثيرة عن المضي فيها لما تتطلبه من عناء لا تحتمله صحتي المنهكة ، وفراغ من الزمن يضيق عنه وقتي المزدحم بالفروض والواجبات .

(١) الصوى : ثلاث الطريق التي يطلق عليها اسم « Milestones »

ولم يكن من اليسير على أن أظفر بأديب تدفقه النبرة على الأدب العربي إلى التضحية بصحته ووقته في عمل مضن شاق لا يفهم منه القارئ العادي إلا أنه حين سهل لا يتجاوز شرح ديوان شاعر وضبطه .

ولكن صديقي الأديب العالم الفاضل الشيخ عبد الرحمن خليفة قدم إلى مظهرنا إلى استعداده لمعاونتي في هذا العمل والسير معي في هذه المغامرة .

ولصديقي الفاضل ولم شديد بدروس الأدب العربي، وغيرة نادرة على اللغة العربية، وحوس بالغ على كنوز البيان العربي، وصبر لا يشركه فيه إلا القليل من الأدباء المخلصين، وعزيمة لا تعرف للتردد والتكوص معنى، وهذه هي الصفات التي كنت ولا تزال أُنشدُها فيمن يتصدى لمثل هذه الأعمال المضنية .

وكان صديقي عند حسن ظني به، فقد كان يقضي معي الساعات الطوال دائما لا يكل ولا يئى ولا يفرغ عزمه إلا ربحا يتجدد، ويعود إلى أقوى مما كان عليه نشاطا وهمة، وهكذا مضينا معترزين في شرح الديوان وضبطه وإصلاح تعريضه حتى أظهرناه للقارئ في هذا المظهر الأنيق .

٦ - رسائل ابن زيدون وأخباره

ولما كان التحريف قد خلق ثمر ابن زيدون كما خلق أشعاره وإن خفت عناية الأدباء وتعاونهم وشروهم عنه التحريف في الرسالتين الجديده والمزلة فقد رأينا أن نثبت كل ما وقع لنا من ثمر ابن زيدون وشعره وأخباره كما أثبتنا ما وصل إلينا من شعر « المتمد » و « المعتضد » و « ابن جهور » وبعض المعاصرين لابن زيدون كابن عمار وغيره، وأتبعناهم بدراسات الأدباء المعاصرين قمة للبحث .

وقد اتسع النطاق حتى ضاقت صفحات هذا الديوان - على كثرتها - فاضطرت إلى فصل سفرين عنه وإخراجهما مستقلين ليعاونا القارئ على درس هذه الفكرة من كل وجوها. وسأفرد - إن شاء الله - كتابا يظهر بعد انتهاء طبع هذا الديوان الخائل : بعنوان « ابن زيدون - أدبه وعصره » وكتابا آخر بعنوان « ملوك الطوائف »، يتناول بأسهاب الكلام في عصر ابن زيدون الذي عاش فيه، حتى لا ينطبق علينا قول المتنبي :

« ولم أر في عيوب الناس عيبا كتنقص القادرين على التمام »

فاذا انتهيت من ذلك بدأت في إظهار ديوان « ابن حديس » في الحلقة الثانية من سلسلة شعراء الأندلس، إن ساعدت الظروف وكان في الأجل بقية .

كامل كيلاني

المستأمن

١ - ملوك الطوائف (١)

ابن جهور - بنو عباد

منذ سنين عديدة قلص ظل السلطة العامة عن الولايات الاسلامية ، وأصبح أمرها يسدها ، ولم يكن تفكك السلطة أمراً مرغوباً فيه عند أهل تلك الولايات عامة ، فقد ذهب بهم التفكير إلى أبعد مداه جزعاً من المستقبل وأسفاً على الماضي . ولم يستفد من هذا الانحلال في البلاد إلا ملوك الافرنج وحدهم . وكان من نتائج هذا الانحلال أن انقسم قواد البربر جنوب الجزيرة فيما بينهم ، وحكم الصقالبة الشرق ، وصار مائتي بعد ذلك نهبا مقاما بين الطائفتين المتوئمتين على الحكم ، وآخرون من بقايا الأسر العربية ممن سحت لهم الفرصة وساعدتهم على الثبات أمام ضربات « عبد الرحمن الثالث والنصور » التي كانت مصوبة إلى الأرستوقراطية ، وانهى الأمر بأن تكون من المدينتين الكبيرتين : قرطبة ، وإشبيلية . حكومتان شورتان ، أما قرطبة فقد حدث بعد إلغاء الخلافة أن اجتمع كبار أهلها وعمدوا إلى إسناد السلطة التنفيذية إلى « ابن جهور » الذي عرف عند الجميع بالجدارة والاستحقاق لتقلد هذا المنصب والاضطلاع بالحكم فرفض يادى دى بدء ، هذا المركز السامي الذى عرض عليه ، وبعد إلحاح من جماعة المنتخبين له ، رضى بقبول هذا المنصب ، ولكن على شريطة أن يكون عضواً من أسرته زميلين له فى مجلس الشورى ، وهما : محمود بن عباس ، وعبد العزيز بن حسن ، فأجابته الجماعة إلى ماطلب ، ولكن على شرط أن يكون لهذين الاثنين صوت استشارى .

وقد حكم السفير الأول الحكومة الشورية الجديدة بطريقة عاتلة ورشيده ، وإليه يرجع الفضل فى أن أهل قرطبة لم يعودوا يشكون شيئاً من المظالم التي كانت تقع عليهم من قسوة البربر . فكان أول ماوجه إليه نظره أن صرفهم عن الخلعمة ، واحتفظ بيني

(١) ارجع إلى ما نقلناه فى آخر الديوان للأستاذ « نيكسون » « ص ٢٧٧ » أما هذا الفصل فهو علامة دوزى وقد غناه من كتاب « ملوك الطوائف » الذى ظهره قريباً إن شاء الله .

ايغورين « Beni - Iloren » وحدهم ، وهم الذين يستطيع أن يستمد على ولائهم وطمعهم ، واستبدل بالآخرين الذين سرّحهم من البربر حرسا وطنيا . وكان يظهر بظهور من يريد استقرار نظام الحكم الجمهوري ، فكان إذا طلب إليه تنفيذ أمر يقول : « ليس من شأني أن أقرر أمرا هو من اختصاص مجلس الشورى ، وما أنا إلا منفذ لأوامره وقراراته . »

وكما وردت عليه قصة أو كتاب رسمي يكون موجها إلى شخصه أتى تسلمه وأمر بتوجيهه إلى مجلس الوزراء . ولم يكن لبصدر قرارا قبل عرضه على مجلس الشورى ، أضف إلى هذا أنه لم يكن يتظاهر البتة بظهور الحاكم ، فهو بدلا من أن يقيم بقصر الخلافة - بقي مقبلا بمكانه المتواضع الذي اعتاد سكناه دائما . وكانت العقيدة في نزاهته ثابتة قوية لا تخوم حولها الشكوك والريبه ، وقد رفض سمع هذا - أن يكون بيت المال في داره وتحت إمرته ، فمهد بحراسته إلى أكبر الناس مقاما وأكثرتهم احتراما في المدينة . ومع حبه - في الحقيقة - لبلد ، قضت عليه المصلحة ألا يرتكب عملا غير شريف ، ولما كان مقتصدًا بل وحريصا حريصا يكاد يصل به إلى درجة البخل فقد أثرى حتى صار أغنى رجل في قرطبة ، ولكنه في الوقت نفسه بذل من الجهد المجهود ما وفر به اليسر والرخاء على الناس كافة .

وكان يبذل مافي وسعه لتحسين العلاقات الودية بينه وبين الممالك المجاورة ، وقد كتب له النجاح في ذلك ، فلم يمض وقت طويل حتى توطد الأمن ، وأمنت السبل ، وانتشرت التجارة والصناعة وهبطت أسعار المواد الغذائية . وأمّ قرطبة طوائف كثيرة من السكان أعادوا بناء الأحياء التي دمرها البربر أو أحرقوها حينما أوقعوا النهب والسلب في المدينة .

وعلى الرغم من هذه الأعمال التي قام بها ، فإن قرطبة - عاصمة الخلافة القديمة - لم تسترد مكائنها السياسية ، ومنذ ذلك الحين بدأت اشبيلية - التي سنحى بتاريخها عناية خاصة - تبرز الشأن الأول في المركز السياسي .

كانت اشبيلية - منذ أمد بعيد لا تزال مرتبطة الحظ بقرطبة متأثرة بما يجري من الحوادث فيها ، متأسية بالعاصمة خاضعة للملك الدولة الأموية على التعاقب ثم للدولة بني حمو ، ومن جراء ذلك كان للثورة التي وقعت في قرطبة أثرها السيئ في اشبيلية ، فقد ثار القرطبيون على قاسم بن حمو وطردوه ، فصول هذا الأمير على الالتجاء إلى اشبيلية حيث يقيم بها ولداه ، ومعهما حامية من البربر تحت قيادة محمد بن زيري من قبيلة بني اغيورين .

وأرسل إلى الاشبيليين يأمرهم بإخلاء مائة مكن لجنوده القادمين معه . وقد ترك هذا الأمر أثرا سيئا في نفوس أهل اشبيلية هذا إلى ما عرف عن جنود قاسم الذين هم أقفر أبناء جنسهم من أنهم من كبار القصوص . وقد أظهرت قرطبة للاشبيليين أن من الممكن أن يتحرروا من هذا النير الذي يضجون بالشكوى منه . فصولوا على أن يحذوا حذر قرطبة ، إلا أن خوفهم من حامية البربر القيمة بين ظهرانيهم حال بينهم وبين تحقيق أمانيهم ، وبعد

جهنم يحج قاضي المدينة وأبو القاسم بن عباد في كسب قائد الحامية وضمه إلى جانبه بعد أن صرح له بأنه من الهين السهل أن يصبح ملكاً على اشبيلية ، فأعلن حينئذ محمد بن زيري استعداده لمساعدته ، وسارع القاضي ففقد يده وبين قائد بربر « قرمونة » محالفة تقلدوا السلاح - على أثرها - ضد ولدي قاسم وحاصروا قصره .

ووصل قاسم إلى أبواب اشبيلية التي كانت مغلقة ، وحاول أن يجتذب سكان المدينة إليه بالوعود الخلابية ، ولكنه أخفق في هذه المحاولة ، ولما أوجس خيفة من نفسه على ولديه اللذين كانا معرضين للهلاك داخل المدينة ، قطع على نفسه عهداً أن يحل - هو ومن معه من الجنود - عن أراضي اشبيلية ، لذا ماأسلحوا إليه ولديه وأموالهما وعملكاهما فضمن له الاشبيليون تنفيذ هذا الشرط ، وعلى أثر ذلك انسحب قاسم وعاد أدراجه ، وتم منحت للقاضي أول فرسة ليرضى حامية البربر . ولما حصلت المدينة على حريتها اجتمع كبارها ليختاروا حاكماً يولونه عليهم ، إلا أن الخواطر في هذه الحال لم تكن هادئة والنفوس لم تكن مطمئنة . خشية أن تمخض الحوادث عن ثورة ، أو أن يعيد بنو حمود الكرة عليهم ، وحينئذ لا يتوانون لحظة عن معاقبة المجرمين التآثرين ، ولهذا لم تبد من أحد منهم أية رغبة قط في أن يأخذ على عاتقه تحمل عبء المسؤولية عما وقع .

وافتح عاينهم على أن يلقوا عبء المسؤولية على عاتق القاضي وحده القى حسدوا ثروتهم واستشعروا سروراً خفياً في أعماق قلوبهم بدلو الساعة التي تصدر فيها هذه الثروة الطائلة .

فعرضوا على القاضي أن يتولى حكم المملكة وكان - مع ما يجيش بصدوره من مطامع وآمال - حكماً حازماً ، فرفض في إياه أن يتولى الحكم في وقت غير مناسب . ولم يكن القاضي متصل بالنسب بالسلالات العريقة ، إلا أنه امتاز بجوازته أكبر ثروة ، فقد كان يملك ثلث أرض اشبيلية ، وفوق ذلك فقد كانت له منزلة سامية من الاعتبار نظراً لمواهبه العلمية ، وكان يعوزه أن يضم إلى هذه المؤهلات أن تدبج أسرته ضمن السلالات العريقة القديمة . وقد تم له ذلك - فيما بعد - تدريجاً ، وكان يدرك أنه في حاجة ماسة إلى وجود عدد من الجنود تحت إمرته ، وليس لهذا العدد وجوده ولم يشك في أن الأرستقراطية العظيمة المجيدة في اشبيلية لا بد أن تنور على صعلوك مثله غير معروف النسب ، يسمو مكانه إلى تسنم ذروة الخلافة ، ولم يكن ثمة شيء غير هذا في الواقع ، وقد وقع هذا حقيقة عندما أوشك بنو عباد أن يؤسسوا الخلافة لأنفسهم . وثمة زعم آل عباد أنهم من سلالة ملوك « ولخم » الذين كانوا يحكمون الحيرة قديماً قبل ظهور محمد (صلى الله عليه وسلم) وكان الشعراء الذين يرددون إشباع بطونهم يتحينون الفرص للإشادة بهذا النسب العريق المزعوم ، على أنه لم يوجد ما يبرره هذا الزعم ، لأن بني عباد والمزلفين إليهم ومن تملقوهم لم يستطيعوا أن يقيموا الدليل على ذلك ، وكل ما يربط هذه الأسرة بملوك الحيرة أنها تنسب إلى قبيلة نغم البنية التي ينسب إليها ملوك الحيرة . ولكن فرع أسرة آل عباد الذي

تسلسل منه أبائهم يظن - على ما يظهر - الحيرة بتاتا ، ولكنهم كانوا يقيمون أخيرا بالبريش الواقعة على حدود مصر وسوريا في قسم لم يميز « Emese » .

وعلى الرغم من أن آل عباد بذلوا ما في استطاعتهم كي يصلوا نسبهم بآلوك الحيرة فانهم لم يستطيعوا أن يصعدوا به إلى أبعد من نعيم والده عطف ، وكان عطف هذا على رأس كتيبة من جنود ايمز وقد رحل الى أسبانيا مع بلج حيث أعطيت جنود ايمز أراض على مقربة من اشيلية وأقام على ضفاف الوادي الكبير ، وقد انحدر عن أصل هذه الأسرة فروع فيما يقرب من سبعة أجيال أخرجت بطة من ظلمة الماضي أناسا صالحين عاملين مقصدين ، واسماعيل والده القاضي هو عنوان مجدها وهو الذي خطب بينه في الصحيفة الفهية لنبلاء اشيلية اسم عباد (١) . ولا غرو فقد كان اسماعيل من حلة الأقلام والسيوف ، وكان رجل فقه ودين كما كان رجل حرب وطعان ، فقد تولى قيادة فرقة في حرس هشام الثاني ، ثم صار - فيما بعد - إماما لمجلس قرطبة الكبير ، ثم قاضيا لاشيلية ، واشتهر بالفقه والذكاء والورع وإرشاد العامة ، وإسداء النصيح للكافة ، وكانت شهرته في الزاهة تربو على شهرته في غير ذلك من الأمور ، فهو على الرغم من انتشار الفساد والرشوة كان يتورع عن أن يقبل هبة من سلطان أو وزير ، وكان كريما الى أبعد غليات الكرم ، وقد لقي القرطبيون منه كرم الضيافة ، وحسن العشرة ، فجعلته كل هذه الزايا والصفات حروبا أن يحرز أكبر ألقاب النبل والسؤدد في الغرب .

وقيل العهد الذي نحن بصدده توفي الى رحمة الله في غضون سنة ١٠١٩ .
وربما كان ابنه أبو القاسم محمد بمائته علما وأديبا وإن كان لا بدانيه خلقا وفضلا ، فقد كان أنانيا ذا أثره وطمع وصدق وتكبر وإنكار للجميل ، وقد حدث على أثر وفاة أبيه أن طمع في أن يخلفه في منصب القضاء ولكن القوم آثروا عليه غيره ، فقدم بالرجاء الى قاسم بن جود فقال - بفضل قاسم - منصب القضاء الذي كان يؤمله . وقد يرى المتتبع للحوادث فيها بعد كيف كان نكراته لهذا الجيل .

وفي مقتح هذا العهد الذي نحن بصدده أشار نبلاء اشيلية وأصحاب الرأي فيها على أبي القاسم قاضي اشيلية أن يتنوأ عرش المملكة ، ولما أدرك الغاية التي يرمون اليها أظهر لهم أنه لا يستطيع أن يقبل هذا الشرف الذي يولونه إليه إلا بشرط أن يشرك معه في الحكم أفرادا بينهم هو نفسه على أن يكونوا وزراءه وأعوانه في الاضطلاع بأعباء الحكم بحجة أن هؤلاء الاشخاص الذين يشركهم معه في الرأي ستألف منهم هيئة شورية تقوم على تدبير المملكة بحيث لا يصدر إلا عن رأيهم ، ولا يتخذ أى قرار بدون مشاورتهم ، فقبل الاشيليون ما اشترطه القاضي من أن يكون حكمه على قواعد الشورى فلا يحكم بغيره ، وطلبوا إليه إنفاذا ما ائتمره من تعيين أولئك الزملاء والأهلين ، فعين بعض كرام الأسر العريقة مثل ابن حجاج وآخرون كانت تسمو إليهم الأنظار وترمقهم العيون من نصراته الذين اتفقهم العصر ،

(١) وكان عباد الجد الثالث لإسحاق .

وأطلعهم كواكب في مياه مصر ، كآبى بكر الزيدى العالم النحوى الشهير مؤدب هشام الثانى ، وبعد أن تم له ما أراد من ذلك انصرف هم الى تكوين جيش للملكة ، رفع أعطيات وأرزاق الجند ، فانضوى تحت لوائه كثير من العرب والبربر ، ثم اشترى عددا كبيرا من الممالك ودرّجهم على القتال وجرّد منهم حصة على الشمال ، وهى فى الكثير الغالب كانت موجهة الى امراء آخرين ، وقد حاصر قصرين فى شمال فيزى أنشأ مقابلين على صخور يفصلهما سور وأطلق عليهما اسم الأخوين وهما معروفان الآن باسم «الأفوين» وكان يقطنهما اسبانيون مسيحيون كان أسلافهم قد عقدوا معاهدة مع موسى بن نصير ، والظاهر أن هذين القصرين لم يكونا فى مصر الذى تتحدث عنه فى حيازة ملك ليون ولا فى حيازة أمير مسلم ، ولذلك استولى القاضي عليهما وأرغم الذين كانوا يدافعون عنهما - وهم زهاء ثلاثمائة فارس على - الانضواء تحت لوائه ، وبذلك زادت نواة جيشه فبلغت خمسمائة فارس ، وتمع اجتمع لديه من الجند ما يكفى للإغارة على الممالك المتاخمة له ، إلا أن حالته هذه لم تكن لتحمكه من صد هجمات قوية جديدة ضد اشبيلية ، وهذا ما وقع له سنة ١٠٢٧ ، ففى هذه السنة جاء الخليفة الجودى يحيى بن على وأمير بربر قرمونة محمد بن عبد الله وحاصرا اشبيلية ، ولما كان فى منتهى الضعف بحيث لا يستطيع المقاومة طويلا أخذ الاشبيليون يفاوضون ويأوضون يحيى وأعلنوا أنهم مستعدون للاعتراف بسيادته عليهم على شرط ألا يدخل البربر مدينتهم فقبل يحيى هذا الشرط ولكنه شرط عليهم - ضمانا لوفائهم وإخلاصهم - أن يرسل بعض أعيان ونبلاء اشبيلية أولادهم ليكونوا عنده رهائن يضمن بها ولاء الاشبيليين ، فلم يستطع أحد منهم أن يقدم ابنه خشية من البربر الذين يقضون على حياته لأقل شبهة ، والقاضى وحده هو الذى لم يتردد فى إجابة الطلب إذ أرسل الى يحيى نجله عباد. ولعلم الخليفة بما للقاضى من الجاه والنفوذ اكتفى بقبول ابنه رهينة لديه ، وبفضل هذا العمل المجيد الدال على الاخلاص للبلاد ازدادت مكانة القاضي عند الاشبيليين عامة ، وأصبح - منذ ذلك الحين - لا يخشى شيئا لامن جانب الشعب ، ولا من جانب الخليفة الذى اعترف بسيادته شكلا وخبر إلى أن الفرصة السانحة قد أمكنته من الانفراد بالحكم .

ولما كان قد أبعد من مجلس الحكم مثل ابن حجاج وغيره ولم يبق معه سوى زميلين ثم رأى أن يصرفهما عن خدمته ، ونفى زيدى ، وعين رجلا من خواص أشبيلية اسمه « حبيب » رئيسا للوزارة ، ولم يكن حبيب هذا من رجال المبادئ إلا أنه مع هذا كان ذكيا غلظا بكل معاني كلمة الاخلاص لمولاه ، منصرفا الى مصلحته .

وعلى أثر ذلك أراد القاضي أن يزيد في رقة المملكة بالاستيلاء على باجة ، وقد حلت أخيرا بهذه المدينة المصائب في غضون القرن التاسع عشر من جراء الحرب التي نشبت بين العرب والأتانيين . إذ نهبت وخرب البربر جزءا منها ، وعانوا فيها سلبا ، وأحرقوا ماصادفوه في طريقهم ، وكان في نية القاضي إعادة تشييد ماخرب منها ، ولكن لما اتصل بعبد الله بن الأفطس أمير « باداجوز » عزم القاضي ، جود جيوشه تحت إمرة ابنه محمد « الذي خلفه فيها بعد باسم المظفر » وتم استيلاء هذه الجيوش على باجة في الوقت الذي جاء فيه اسماعيل بن القاضي بجيش اشبيلية وجيش حليف أبيه أمير قرونة ، فبدأ حصارها في الحال وأمر فرسانه بالسلب والنهب في القرى الواقعة بين أغورا والبحر ، وعلى الرغم من المدد الذي جاء من ابن طيفور ، فإن محمدا كان سيء الحظ كثيرا إذ بعد أن فقد نخبة فرسانه المحاربين وقع أسيرا بين يدي أعدائه وأرسل إلى قرونة .

زادت هذه الاتصارات في حاسة القاضي وحليفه الأديب ، فلم يكتفيا بالاغارة على باداجوز وحدها بل أغارا على قرطبة أيضا فاضطرت حكومتها أن تستخدم للدفاع كثيرا من بربر ولاية سيلونا .

و بعد فترة من الزمن أبرم القاضي وحليفه صلحا أو سمه - إن شئت - هدنة مع الاقتازيد وحينئذ أطلق محمد من الأسر برضا القاضي (مارس سنة ١٠٣٠) ولما أبلفه أمير قرونة بأطلاق سراحه عرض عليه أن يرج في طريقه على اشبيلية ، ويبلغ القاضي شكره ، ولكن محمدا لفرط اشمئزازه من القاضي ، قال لأمير البربر : « إني أؤثر أن أظل سجينك على أن أقوم بما أشرت به علي » ، فإذا كنت مدينا لغيرك بطلاق سراسي ، وكان علي أن أشكر قاضي اشبيلية وفاء لهذا الحق ، فإني أفضل أن أبقى حيث أما سجين » فاحترم الأمير شعوره وأرسله إلى باداجوز مشيا بما يليق برجل عظيم مثله من واجب الاجلال والتكريم .

وبعد بضع سنين أي في سنة ١٠٣٤ اتقم عبد الله بطريقة قد تعتبر غير شريفة وتأثر نفسه من تلك الشدائد التي نالته ، وذلك بأن ألح للقاضي أن تمر بأرضه جنوده بقيادة ابنه اسماعيل وهي ذاهبة في طريقها للإغارة على مملكة ليون ، ولما كان اسماعيل وجنوده في مضيق لا يبعد كثيرا عن الحدود الليونية باغته جيش الاقتازيد فقتل من جنود اشبيلية مقتلة عظيمة ، وقتل فرسان ليون فلول الجيش عند لياذهم بالقرار ، وأفلت اسماعيل من هذه المذبحة ووجه نحو يبر من رجاله ، وفيما كان موليا وجهه شطر مدينة لشبونة الواقعة على حدود مملكة أبيه من الجهة الشمالية الغربية تحمل هو ومن معه أشد آلام الحرمان من حاجات المعيشة الضرورية .

ومنذ هذه الآونة صار القاضي الخصم الألد لأمير « باداجوز » وليس لدينا معلومات تفصيلية عن

المعرك التي دارت بعد ذلك بين أمير «بلد الجوز» وخصمه، وما لا ريب فيه أن هذه الحروب لم يكن لها نتائج ذات شأن عظيم لأسبانيا المسلمة ولم تترك فيها أثرا يضرع ماثرا كغيرها من أحداث آخر سنتارها فينا إلى. قلنا ان القاضي اعترف بسيادة الخليفة الموحدى يحيى بن على ولكن هذا الاعتراف عبارة عن تعهد غير مجد وقد بقي كذلك مدة طويلة فقد قام القاضي بحكم أشبيلية بلا سلطان عليه ولا رقابة وكان يحيى من النصف بحيث لا يستطيع أن يلزمه بالمحافظة على حقوقه وقد تبدلت هذه الحال تدريجا اذ وفق يحيى لأن يضم حوله جميع أمراء البربر قريبا ، فأصبح من الآن يحق زعيم عامة الحزب الافريقى بعد أن كانت هذه الزعامة فيما مضى اسمية ، ولما كان معسكره العلم فى قرمونة التى طرد منها محمد بن عبد الله فقد أصبحت جيوشه تهدد قرطبة وأشبيلية فى آن واحد ، وقد أوسى هذا الخطر الخيف المحدث الى القاضي بفكرة وطنية لها خطرها بقيمتها لو لم يشها الحرس والعلم والأنانية والجشع.

فقد رأى من الضرورى أن يجتمع العرب والصقالبة تحت راية حاكم واحد حتى لا ينزوى البربر الذين اتحدوا الاملاك التى سبق لهم غزوها .

وهذه هى الوسيلة التى تجعل البلاد بمنجاة من حلول مثل ما حل بها من المصائب من قبل ، وكان القاضي يشعر من أهماق نفسه بهذه الضرورة ، فقويت عنده الرغبة فى أن يتألف حذب قوى كبير يندمج فيه جميع العناصر المعادية للحزب الافريقى ، وهوى الوقت ذاته يبنى أن يكون رئيسه ، ولم تكن العقبات التى عليه أن يذلها لتلئلك الغاية بخافية عليه . فقد كان يدرك أن ملوك الصقالبة وأمراء العرب ، وشيوخ قرطبة يبحسون فى كراستهم اذا ما حاول أن يسطط سلطانه عليهم ، على أن شيئا من ذلك لم يبط همته ولم يجعل اليأس يفسر ب الى نفسه .

ولما كانت المصادقات مستحسنة ، فهو سيتمكن الى حد ما من الوصول الى الغاية التى يرى اليها ، والمشروع الذى يعمل على تحقيقه ، وسرى فيها بعد على أى نحو يتم له ذلك .

أسلفنا أن الخليفة العيس «هشام الثانى» فر من القصر فى عهد سليمان الثانى . وقلنا ان أكثر الظواهر تدل على أنه مات فى آسيا مجهولا غير معروف . ومع هذا فقد بقى الشعب غير مصدق بوفاة لتعلقه المفرط بالسولة الأموية التى درت عليه أخلاف اليسر والرخاء، وكسبه حلل الشرف والمجد ، وكان عاتة أفراد الشعب يتلقون الاشاعل التى كانت ترد اليهم من الخارج منبهة ببقائه على قيد الحياة باهتمام وشغف ، وهناك أفراد كانوا يزعمون أنهم واقفون على تفاصيل حياته بأسيا فقد أشاع بعض أولئك الزاعمين أنه رحل أولا إلى مكة وبعده خريطة ملوذة بالنقود والنفائس ، فسلبه الزنوج الذين كانوا برفقه ماسه ، وأنه استمر يومين لا يتنوق طعاما ولا شرابا ، إلى أن رآه رجل يصنع الفخار فرق له ورثى لله ، فعرض عليه أن يجهن له الصلصال على أن يعطيه فى اليوم درهما ورغيفا ، فربا صانع الفخار أن يعطيه الأجر سلفا إذ قد مضى عليه يومان لم

يقول فيها طعاما و بعد لأى استطاع هشام على كسل وقرة في العمل أن يكسب قوت يومه ، إلا أنه آسف من هذه الخلة فهرب ، وسار مع قافلة ذاهبة الى فلسطين ، ووصل الى اورشليم ، وهو في أشد حالات الاملاق ، وهناك بينا هو ينتقل في بعض طرق المدينة إذ وقف على حانوت حصري ، وأخذ ينظر الى عمله بانباه شديد ، فسأله الحصري : هل تعرف هذه الصناعة ؟ فأجابه بجزون كلا ، وأما آسف لأنه لا سبيل الى العيش وكسب ما أسد به الرمق ، فقال الحصري : اذن فابق معى لحاجتى اليك فى احضار الخيزران ، ولك أجرك ، فقبل مسرورا وبقى عند الحصري الى أن حنق الصناعة وما زال على هذه الحال بضع سنين ، وقد أذاعوا بعد ذلك أنه عاد الى أسبانيا فى سنة ١٠٣٣ وتزل ماله ثم تحول عنها الى المريه ، فوصل اليها سنة ١٠٣٥ فاضطر الأمير زهير الى إبعاده خارج حدود مملكته ، فرحل الى كالاترافا ونمة التي بها عصا التيسار .

هذه الرواية التي صادفت رواجيا وقبولا من الشعب لا تستحق على ما يظهر أن تنال شيئا من الثقة ، والذي وقع حقيقة هو أنه فى العهد الذى كان فيه يحيى يهتد لإشيلية وقرطبة ، كان فى كالاترافا رجل حصري اسمه خلف يشبه تمام الشبه الخليفة هشاما الثانى ، ولكن لم يتم دليل على أنه هو بعينه ، وقد نفي الأمويون شيعة هشام ومعهم ابن حيان وابن حزم المؤرخان ما دار حول هشام المزعوم من الروايات والاراجيف وعدوه ضربا من الحيلة السياسية والخلع والفتنة ، وان كان من مصلحتهم لو أمكن الوقوف لهشام على أثره ، ولم يتوقف خاف حين طرق سمعه كثيرا أنه شبيه هشام عن ادعاء أنه هو نفسه الخليفة هشام الثانى ، وقد جازت هذه الحيلة على أهالي كالاترافا ، لان خلفا لم يكن معروف النسب عندهم ، والأغرب من هذا أنهم دخلوا فى طاعته ، وتلوا على أميرهم اسماعيل بن دهمان - نون أمير طليخلة لجاء هذا وحاصره ولم تطل مدة مقاومتهم ، وأخرج هشاما المزعوم من المدينة فهذا نأثر الأهالي ، وعادوا الى الكينة والخضوع .

ولم ينته دور خلف عند هذا الحد ، بل رجع عودا على بدء حين علم قاضى اشيلية بحججه وعلم القائمه التي يجنيها من وراء ذلك الرجل اذا هو أحضره الى إشيلية ، وكان الذى يهمه إنما هو استغلال الموقف بقطع النظر عن شخصية الرجل ، كما كان يسره كثيرا أن يرتضى الناس أنه هشام ، ليستطيع أن يكون باسمه حزبا ضد البربر ويكون هو بعنوان كونه رئيس الوزراء زعيم روح هذا الحزب ، ولهذا يادر الى دعوة الخليفة للمزعم الى إشيلية ، ووعده بتعزيده اذا نجح فى اثبات شخصيته ، ولما حضر الحصري الى اشيلية قدمه القاضى الى نساء هشام بالقصر ، فصرحن جمعته قريبا بأنه هو بعينه الخليفة السابق ، وعول القاضى على قولهن ، وبعث الى شيوخ اشيلية وأصحاء العرب والمقالبة يلهمهم بأن هشاما الثانى عنده ، ويدعوهوم الى حل السلاح معه دفاعا عن حقوقه ، ومؤثرة قضية الخلافة وقد كل الله هذا المسى

بالنجاح ، واعترف بسيادة هشام محمد بن عبد الله أمير قرمونة الخلع الذي لجأ إلى إشبيلية ،
وعبد العزيز أمير بلنسية ، ومجاهد أمير دانية ، وجزر بيلار ، وأمير ترونا (طروشة) .

وعلم عامة الشعب في قرطبة علما مقرونا بالسرور أنه لا يزال على قيد الحياة ، إلا أن كيرهم
أبا الحرم بن جمهور كان أقلمهم تصديقا للتجسس حوصا على الحكم ، فلم ينخدع ، ولم تجده هذه الحياة
الى نفسه مسافرا ، ولكنه لم يجد سبيلا إلى مقاومة إرادة الشعب ، ومخالفة سيوله ، ورأى ضرورة
اتحاد العرب والصقالبة تحت راية حاكم واحد ، لأنه كان يخشى في ذلك الحين أن يهاجم البربر
قرطبة ، فلهذه الأسباب لم يناقض أغراض مواطنيه ، وسمحت نفسه بأن تتجدد البيعة لهشام
الثاني من جديد .

وكان من نتيجة هذه الحوادث أنه بينما كان الحزب العربي الصقلي يتسلح ضد يحيى ، كان هذا
محاصرا لإشبيلية ، مجتأ في تخريب ما يتصل بها من العمران ، موطنا النفس على الانتقام المائل
من القاضي الخائن ، ولكن الملتفين حوله من بربر قرمونة الذين أكرهم على الانضمام تحت
رايته - كان هواهم مع هشام الثاني خليفتهم السابق ، وكانت المخاربة بينهم وبينه سائرة ، وفي
أكتوبر سنة ١٠٣٥ ذهب فريق منهم خفية إلى إشبيلية ، وأبلغوا القاضي ومحمد بن عبد الله
أنه من السهل مباغته يحيى لأنه لا يكاد يبقى من السكر ، ولم يدع القاضي وحليفه هذه الفرصة
تمر دون أن يستفيدا منها ، وهنا وجه القاضي ابنه إسماعيل ومعه محمد بن عبد الله على رأس
الجيش الإشبيلي ، وعند ما أرى الليل سدوله كن إسماعيل مع أكثر الجند في كمين ، وأرسل
كوكبة لماوشة قرمونة ليغري يحيى بالخروج إلى ظاهرها وقد نجح في خطته هذه ، إذ كان يحيى
حين بلغه يحيى ابن عباد على رأس جيش ثلثا ، فنهض وكان متكئا على سريره وصاح قائلا :
« يا لها من فرصة سعيدة ، هذا ابن عباد مقبل لزيارتي ، والآن أيها الجند ، خذوا أسلحتكم
واستولوا جيادكم قبل ضياع الوقت ، وخروج في ثلاثة آلاف فارس ، وكان التنبؤ قد لعب برأسه
فلم يجهل ريثما يميء جنده وينظم خطته ، يضاف إلى ذلك أن ظلام الليل الخالك كان يعجب
عنه كل شيء ، وفوجئ الإشبيليون منه بهذا الهجوم المباغت فقابلوه من جانبيه بجند وعنف ،
وأخذوا يتعمقون بنظام نحو المكان الذي كن فيه إسماعيل ، ومن هذه اللحظة سعى يحيى إلى
حقنه بنفسه ، فان إسماعيل اقتضى عليه بكل قوات الجند ، واضطروا إلى التفرق ، وقتل
يحيى نفسه في المعركة ، وكاد يأتي القتل على أكثر رجاله لو لم يعمل محمد بن عبد الله دون ذلك ،
وقال له : « إن أغلب هؤلاء الساكنين من بربر قرمونة الذين أكرهم هذا الطاغية على السخول
في خدمته مع كراهتهم واحتقارهم له . » فأبقى عليهم وأمر جنده بترك تعقيم وخف محمد
ابن عبد الله إلى قرمونة على ظهر جواده ليسترد ملكه ، وأراد زنوج يحيى الذين استولوا على
أبواب المدينة أن يحولوا بينه وبين السخول لولا أن ساعده الأهالي على دخولها من قفرة ،
وسار إلى قصر الامارة وسلم نساء الأمير يحيى إلى ابنه ، واستولى على ما في القصر من كنوز
وقائس « نوفمبر سنة ١٠٣٥ »

وقد أحدث نبأ وفاة يحيى مروراً عظيماً في إشبيلية وقرطبة ، وعند ما وصل الخبر إلى مسامع القاضي خنّ ساجداً شكر الله ، وحذاً حذوه جميع من كانوا حوله . والآن أصبح القاضي لا يخشى شيئاً من جانب اليهوديين ، وقد نودى بإدريس أحد أشقاء يحيى خليفة في ماله ، وقد كان يعوزة الوقت الكافي الذي يستطيع فيه أن يكسب بقوة قوّته ، وما يقدّمه من وعود ، قلوب زعماء البربر ، ليحصلهم في صفه ، ولهذا لم يعد في استطاعته أن ينحصر الجزيرة بعد أن نادى الزنوج فيها بأن عمه محمد ، خليفة .

ولما رأى القاضي أن الظروف خلصته ، همّ بأن يقيم هو وهشام الثاني الزعوم بقصر الخلافة في قرطبة ، إلا أن يقظة ابن جهور ، وتسميمه على عدم النخيل عن الحكم ، وقفنا حجر عثرة في طريقه ، فقد نجح في إقناع أهل قرطبة أن الخليفة الزعوم لم يكن سوى رجل ماهر مخادع وأن اسم هشام قد أتى من الإمامة ، وعرف أن القاضي عند مجيئه بهشام إلى قرطبة سيأتي أبوابها مغلقة في وجهه ، وثمة لا يستطيع التغلب على مدينة منيعة حصينة مثلاً ، فيضطر أن يعود من حيث أتى .



وعول في بداية الأمر على أن تصكر جيوشه عند الأمير الصقلي ، وهو الأمير الوحيد الذي أبى الاعتراف بهشام الثاني ، ذلك الأمير هو زهير أمير المرية ، ومنذ أراد الخليفة قسّم أن يهون على الأمير ، واقطعه عدّة أملاك بدأ زهير ينصر اليهوديين ، ولما نودى بإدريس خليفة بإدريس بالاعتراف به ، ولما صار الآن مهتداً من القاضي عقد محالفة مع حيوس الفرناطي ، ثم زحف جيش إشبيلية ، وذهب لمقابلاته بمجنوده وجنود حليفه إذ اضطره إلى التقهقر . ومن المحقق أن القاضي قد بالغ في الاعتداد بقوّته ، ولم يحسب حساب أعدائه ، وكان عليه أن يخشى يحيى الوقت الذي تفوز فيه جيوش المرية وغرناطة بدورها إشبيلية . وكثيراً ما خدمته محاسن الصدف التي شاعت أن يخلصه أحد أعدائه من عدوه الآخر .

٢ - المناهج الأدبية^(١)

كل ما يكتب في هذا العصر إنما هو محاولات أولية ترى الى المثل الأعلى الذى ننشده جميعا ، ولا يزال الأدب العربى وتاريخ الأدب العربى فى أشد الحاجة الى الجهود الأدباء للتواصل تنظيمه وتمحيصه وإصلاح تحريفه والكشف عن الاغلاط الكثيرة التى ألحقها به الفساح . ولازال كل جهد يبذل فى ازاحة الستور عن هذه المناهج النفيسة مفتقرا الى جهد آخر يشد أزره ويساعده .

قد كنا الى عهد قريب لانكاد نؤمن بأن فى العربية كلها شاعرا واحدا يحارى المشهورين من شعراء الغرب . فلما انصرف الأدباء والعلماء الى الترسى والتحجيس والبحث والتحليل ، اكتشف الشباب نخبة من قادة الفكر العربى المتأثرين ، ولازلنا نطمح فى ازاحة الستور عن بقية اعلام الفكر العربى القدماء .

وقد كان من الطيبى أن يصحب نهضتنا وهى فى أولها ما يصحب كل نهضة أخرى من الفلج والاسراف فى بعض النواحي ، وفى نهضتنا الأدبية عيب جوهري نخشى أن يعوق سيرها حينما من الزمن نحن فى أشد الحاجة الى الانتفاع به واستغلاله بأقصى ما فىنا من قوة ، ذلك العيب الجوهري هو أن أكثر من يكتب فى تاريخ الأدب العربى ينقسم قسمين : فريق من المحافظين الجامدين وفريق من المجددين المسرفين .

يأتى الفريق الأول الا أن يتقيد بالنصوص القديمة ويأخذ بآراء القدماء فى النقد والأدب باللغة ما بلغت من الاضطراب والفساد من غير أن يعنى نفسه ببحثها وتمحيصها ولا يكاد يردد الا عبارات محفوفة ر (كيشيات) قدأبلاها الدهر ولا يكاد يجرؤ على استخلاص نتيجة واحدة من بحوثه الطويلة والملاحة الواسع ، فأمرؤ القيس أكبر من اياه أنه وقف واستوقف ، وبكى واسندبكي ، وذكر الحبيب والمنزل فى شطري بيت واحد وذلك فى قوله :

« قفا نبك من ذكرى حبيب ودنزل بسقط اللوى بين الدخول غومل »

والناخبة الديباني قد بز الشعراء بقوله :

« فانك كالليل الذى هو مدركى وان خلت أن المتأنى عنك واسع »

الى آخر هذه العبارات التى حان الوقت لاراحتها بعد أن أنهكها طول الاستعمال وكثرة الاستشهاد والتكرار .

الفريق الثانى من غلاة المجددين أو -على الأصح- دعاة التجديد ، لا يبالون بالنصوص ولا يمنون أنفسهم بدرس الموضوع الذى يتصدون لبحثه ، وربما اكتفى بعضهم بالخلاصات المدرسية التافهة فى الحكم على الشعراء والأدباء والأدب العربى كله .

فالغرب - فى رأى أحدهم - لم يطرقتوا نواحيه من الشعر ، لأنه لم يقرأ هذا النوع فى تلك

(١) ثبت فيما على هو لا غفارة من رسالتنا عن ابن زيدون ، تنويرا لقراء .

الخلاصات المدرسية ، وهذا الشاعر لا يسمو الى مرتبة الفحول لأن الآيات القليلة التي قرأها في تلك الخلاصات لا تبرر وضعه في مصاف الممتازين والنوابغ .

وهم لا يرون اذا تصدوا للكتابة إلا وسيلة واحدة للطرافة والابداع وهي الخيال ، فهم لا يبالون اذا أعوزتهم النصوص أن يخلقوا تاريخ الشاعر خلقا ، وأن يدمجوا حياتهم في حياته وينحلوه قاصصهم وما يتخيلونه في قفوسهم من مزاييا ، قترام يخلقون من الشاعر صورة هي اصدق مرآة ننشئ فيها قفوسهم .

فإذا كان أحدهم خليعا نفس شاعرا مشهورا بالخلاعة ولم يمن نفسه بشرح أسباب خلاعته مقدار عنايته بتبرير الخلاعة والتدح بها ، وإذا كان أحدهم حاقدا تلص شاعرا مشهورا بالحق ، ولم يمن بالأسباب التي أحفظته على معاصريه عنايته بتبرير هذه الخلة فيه .

ولست أنكر على الباحث أن يتصدى لتحليل أية نفس إنسانية مابجة أو جادة ، راضية أو ساخطة ، ولكنني أنكر عليه أن يخلق التاريخ خلقا ليؤيد رأيا - صالحا كان أو فاسدا - فان أمانة المؤرخ ودقته هما أول واجبه نحو الحقيقة والانصاف .

اما أن ينصر هوى أو يجري وراء خيال أو يطبق لنا - بلاروية ولأناة - نظريات مفلوطة وآراء فاسدة خاطئة تنقها بلاروية ولا تدبر ، فذلك أضر على الحقيقة من أولئك الجامدين الذين لا ياتعمون بالأدب خطوة واحدة .

وقد بلغ من تهوس وشطط بعض دعاة التجديد أنهم أنكروا كل خيال عربي - لماذا ؟ لأنهم سمعوا أن أمدالمستشرقين قل : « إن العرب ضيقوا الخيال وإن سعة الخيال وعمق الفكر وقف على الآريين » .

فإن الروي مثلا واسع الخيال . لأنهم اقتنعوا بسعة خياله ، بل لأن جدّه روى . والمعري لا خيال له وإن كان خياله أوسع من خيال ابن الروي - لماذا ؟ لأنه عربي قح ، ولكن المعري هو صاحب رسالة الفبران التي تعد آية من آيات الخيال العربي ، فماذا يقولون فيها ؟ الأمر غاية في اليسر ، ليس في رسالة الفبران كلها خيال وإنما هي كتاب أنشاء المعري في جغرافية الجنة والمار .

ومن اليوم الى أن يظهر المعري جد روى تبقى رسالة الفبران كتاب جغرافية ، ومتى ظهر له جد آرى أصبحت « رساله الفبران » كتابا من أروع كتب الخيال .

هكذا يحكمون من غير أن يحاسبوا قفوسهم على ما يقولون . وقد حاولنا جهدا أن تلص ابن زيدون جدا آريا تقتم به الى هذه الفئة لنكبر من مواهبه وخياله ، فلم نظفر بذلك .

على أن في ابن زيدون مزية قد تشفع له عند هؤلاء المفتونين بالفرب ومايت الى الفرب . فقد نشأ ابن زيدون في بلاد الأندلس : وهي في صميم أوروبا ، فهو شاعر أوروبي البيئة وقد مدحه كثير من المستشرقين ، ولعل هذا يشفع له عند هؤلاء المقلدين .

أما الشاب المنصف الذي لا يعني إلا بالحقائق ، فاناتقّم إليه بديوان ابن زيدون ورسائله ،
وسيرى فيها أمثلة من الابداع والافتان ، ونماذج من الروعة والاحسان ، وصفحات رائعة
من صفاء الديباجة وسحر البيان - وكلنا ثقة بأن درس ابن زيدون سيكون أكبر حافز
على درس غيره من خول الأدب العربي والبيان العربي .
وما أجدر الباحثين أن يتوخوا الانصاف فإن آفة الرأى الملوّى ، وأكثر الناقدين لا يفسد
عليهم بحوثهم إلا التحيز وتنكب الجادة وإرضاء النزوات الفكرية الطائشة . وفي يقيني أن
الناقد كالمقاضى يجب أن يتوخى النزاهة التامة ، ويسمو بنفسه عن مزالح الأهواء ، ولا يألو
جهدا في البحث عن الحقيقة ، أما أن ينقلب الناقد محاميا للدفاع أو نائب اتهم - كما يفعل أكثر
الكتاب - فذلك ما لا نرضاه له ، ولعل أكبر عقاب يناله هو فقدانه الثقة بما يكتب .

٣ - نشأة ابن زيدون

ولد ابن زيدون في قرطبة سنة ٣٩٤ هـ في زمن الولاة العاصمية ، في أول عهد المظفر ابن المنصور بعد سنة واحدة من موت المنصور بن أبي عامر . وهو من أسرة مجيدة من بني مخزوم (١) ، وهو أحد ثلاثة نسوا بابن زيدون وهم :

١ - أبوه : عبد الله بن أحمد بن غالب بن زيدون وكنيته أبو بكر ، وكان فقيها قرطبة وكان قاضيا وعالما مشهورا وأديبا واسع الثقافة .

وقد مات (٢) سنة ٤٠٥ هـ ، وترك ابنه وسنه حينئذ إحدى عشرة سنة وهكذا أصاب ابن زيدون النجم وهو صغير .

٢ - أحمد بن عبد الله بن أحمد بن غالب بن زيدون صاحب هذا الديوان الذي بين يدي القارئ وكنيته أبو الوليد .

٣ - ابنه أبو بكر بن زيدون الذي تولى بعد وفاة أبيه وزارة المعتمد بن عباد وقتله يوسف بن تاشفين ، بعد أن استولى على ملك بني عباد سنة ٤٨٤ هـ .



وكان ابن زيدون صاحب هذا الديوان أشهر هؤلاء الثلاثة وقد كرس حياته للدرس والتحصيل وساعده نبوغه ومواهبه على ذبوع صيته وشهرته وهو لم يتجاوز العشرين من سنه ، وكان عصره أزهى عصر أدبي في الأندلس وقد تلمذ على أساتيد الأدب في زمنه وألم من كل علم بطرف ، وقرض الشعر ونبغ فيه وهو في العشرين من عمره ، واشترك في الفتنة القرطبية ، وقام بنصيب كبير في تلك الثورة التي اندلعت نيرانها في قرطبة .

وكان ابن زيدون من زعماء تلك الفتنة التي زلزلت دولة بني أمية ودولة بني حمود والعلويين ، وانتهى الأمر بالقضاء عليهم جميعا وقيام ملوك الطوائف على اتحاضهم . وكانت سنة وقت الثورة ثمانيا وعشرين سنة (٣) .

(١) بطن من قريش ، وهم عشرة خلف بن الوليد .

(٢) مات أبوه بمدينة البيرة ، وقتل جثته إلى قرطبة فدفن بها ، وبما وصل إلينا من وثائق الشعراء فيه قول بعضهم :

«أوردكن من الرأفة هينا وجوم من المكلام غيضا

جلوه من بلدة نحو أخرى ليوافوا به ثراء الأرمنا

من جن السحاب ماء صيبا ليدأوى به مكثا مريضا

(٣) بدأت الثورة سنة ٤٢٢ هـ وكانت ولادته في سنة ٣٩٤ هـ فتكون سنة حينئذ ٢٨ طما .

وقد ظل ملك بني أمية في الأندلس ٦١٢ سنة وثلاثة وأربعين يوما . وقد اغتصم الملك الأندلس بعد

فقر به اليه ابن جهور^(١) وأعلى قدره ثم لم يلبث أن منحه لقب « ذى الوزارتين » .
وكانت بين ابن زيدون وابن عبدوس منافسات كثيرة لاشتراكهما في حب ولادة ،
فأخذ يكيد له ابن عبدوس هو وأصحابه الناقون على ابن زيدون عند أبي الحزم حتى غيروا
عليه قلبه وسجنوه بتهمة التآمر على قلب الملك واعادته الى بنى أمية كما سنفضل ذلك في
رسالة خاصة .

وقد أنشأ ابن زيدون في سجنه كثيرا من القصائد الرائعة والرسائل البليغة التي يراها
القارئ في ديوانه . وحاول أن يستعطف بها ابن جهور متوسلا اليه تارة بأنه ابن الوليد وتارة
بغيره من أصدقائه ، فلم تلقى شكواه أذنا صاغية على أن السجن لم ينس ابن زيدون حبه
ولادة فظلم فيها نجبة من أروع قصائده ، ولما ينس من عفواً إلى الحزم ، لجأ الى الفرار من السجن ،
ولم ينس ولادة التي كان يهيم بحبها ، ولكنها أغفلته واشتغلت عنه بحب ابن عبدوس^(٢)
على أن ابن زيدون لم ينسها طول حياته ، وما زال ينظم الأشعار متغزلا بها ، شديد الحنين
الى أيام وصلها وظل حبا المعين الثرار الذي لا ينضب ، وما زال يلهمه أروع خواطره المثارة
وعواطفه المتأججة ، وكان من أكثر الأسباب في وصول ابن زيدون الى مرتبة الرعامة بين
شعراء القول الممتازين .

سقوط الدولة الأموية الى سبع عشرة عامكة منها ، قرطبة ، واشيلية ، وجيان ، وقرمونة ، والغرب ،
والجزيرة الخضراء ورسية وبفسية ، ودانية ، وطرطوشة ، ولاردة ، وسرقطة ، وطيطة ، وباجة ،
ولشبونة الخ

قال ابن حزم : كانت طرطوشة وسرقطة وطرطوشة ولاردة وقلمة أيوبى يد بيدى هود . وبلنسية
في يد عبد الملك بن عبد المزمز . والنتراى مانوق طليطة - من جهة الشمال - في يد بيدى رزين . وطيطة
في يد بيدى ذى التوت . وقرطبة في أيدي أبناء جهور . واشيلية في يد بيدى عباد . ومالقة والجزيرة الخضراء
في يد بيدى برزال من البربر . والمرية في يد زهير الماسرى ثم ابن صراح . ودانية وأعمالها والجزائر
المرقية في يد مجاهد الماسرى . وطلبيوس وبارة وشتيرين ولشبونة في يد بيدى الأفلح . وأصبح كل امرئ
وما اخبر من الألقاب والامناء ، حتى أن المسلمين ، لما جلس على كرسى الخلافة ، قال للنفس أجمعين :
« ارفعوا كيف شئتم وارسموا بما أحببت من الخطط » فسمى بالوزارة في أيامه - منفردة ومشتاة - أرافل
الناثرة ، وأخابث النظارة ، فضلا عن وظائف الكتاب والحكمة .

(١) هو أبو الحزم بن جهور الذي استولى على المملكة بعد خلع الجند آخر خلفاء بنى أمية ، ولم يتحول
عن دأبه الى قصر الخلافة ، وجعل الأمر شورى ، وسلب الأمور بحزمه وحسن تدبيره ، وكانت مدته في
الحكم أربع عشرة سنة وثمانية أشهر ، ثم خلفه ابنه أبو الوليد محمد بن جهور الذي مات في شوال
سنة ٣٤٣ هـ .

(٢) وفي ذلك يقول ابن زيدون .

« أكرم بولادة ذخر المذخر
لو فرقت بين بطار وعطار
قالوا : أبو طاسر أشقى بلمها
قلت : الفراشة قد تدوم من التلح
صبرتمونا بأن قد صار ينفقنا
فبين نحب ، وما في ذاك من طار
أكل شهى أصبنا من أطايبه
بضاء وبضاض صفعنا عنه لغار »

ولما مات أبو الحزم عاد ابن زيدون إلى قرطبة وانضم إلى أبي الوليد وقام بالسفارة بينه وبين ملوك الطوائف فأعجبوا به وتمنوا استئثارهم به لبراعته وحسن سيرته وتمكن من دولة ابن جمهور وابنتهم الحظ ثانياً حتى أقصد الحساد ماصح ، وخشي ابن زيدون أن يلقي من الابن ما في من الأب من النكال والسجن ، ففرّ هارباً من قرطبة . وظلّ ينتقل في أرجاء الأندلس من رنده إلى باداجوز إلى اشبيلية أخيراً حيث اتصل بعباد بن محمد صاحبها الملقب بالمتعضد (١) ولم يكن يخفي أدبه وشهرته ومكانته عليه ففش له وبش وألقي إليه مقاليد وزارته ، وبعد أن مات المتعضد حاول الوشاة وعلى رأسهم ابن عمار إخلاء أصدقاء المتعضد أن يغيروا قلبه عليه وأن يدسوا له عنده فلم يظفحوا ، وأقاصم المتعضد بن عباد عنه وقرب إليه ابن زيدون وأعلى مكانته عنده وظلّ ابن زيدون يزّين له غزو قرطبة حتى ملكها عنوة بفضل تدير ابن زيدون وسعة حيلته ، وانتقل المتعضد وابن زيدون إليها وجعلها عاصمة ملكه .



ولما وقعت الثورة ضد يهود اشبيلية ، اتهم ابن عمار وابن مرتين وأنصارهما هذه الفرصة لاهواء ابن زيدون عنهم فخلصوا من منافسته ، فزينوا للمتعضد أن يوفده إلى اشبيلية لشدة تعلق أهلها به واستغلال جهم في تسكين الاضطراب وتهدة الخواطر ، وكان المتعضد يعلم مايكده أهل اشبيلية لابن زيدون من الحب وماله عندهم من المسكنة والخطر . وكان ابن زيدون مرصفاً فاضطره المتعضد إلى الفرّ ، فلم يستطع إلى مخالفته سيلاً ، ولم يلبث أن اشتدت به الحلي وألح عليه السقم فلحقته به أسرته . ولكن الشيخوخة والمرض تكاثفا عليه فأهلكاه في ١٥ رجب سنة ٤٦٣ هـ فزن عليه أهل اشبيلية أشدّ الحزن ودفن فيها باحتفال مهيب . وقد مكث في خدمة آل عباد تسعة عشر عاماً ، ولوطال عمره قليلاً لأفصح حساده ومنافسوه في تغيير قلب المتعضد عليه والتسكيل به كما أفلحوا في مثل ذلك من قبل ، ولكن الموت أجهده من دسائسهم وكيدهم ورحمه من شرّهم .

(١) استطاع المتعضد أن يجلب على كل ملوحيه من القبايل وبذل أقصى ما يبذل دامية من الجهاد حتى صفاه الجو وسلم له الملك وكان أكبر من يناوئه من الخططين وأعداهم عليه صنهاجة و نو برزال الذين كانوا بمرمرة وأعمالها من نواحي اشبيلية ، فلم يزل يصرف الحيلة تارة - كما يقول المراكشي - ويجهز الجيوش أخرى إلى أن استنفذ ففرق كلمتهم ، وشقت منتظم أسرهم ، وعامهم عن جميع تلك البلاد ، وصلى له آموره .

بمحترى المغرب

« ويقول بعض أدبائنا : إن ابن زيدون بمحترى زماننا، ومصدقوا

لأنه حفا حذو الوليد في بعض صفاته » « ابن بام »

قلت في فصل سابق : إننى ترددت في مشايعة « نيكسون » حين وصلت إلى قوله :

« وقد أطلقوا على ابن هاني لقب مبتنى الغرب ، كما أطلقوا على ابن زيدون لقب بمحترى

الغرب . »

وقد قلت حينئذ :

« ولما كنا لم ندرس ابن زيدون دراسة تمكنا من الحكم عليه حكما صحيحا ، فاننا ترك

مناقشة القسم الثانى من هذه التسمية ونكتنى الآن بالكلام على النقطة الأولى وهى تشبيه

ابن هاني بالمبتنى لاستطاعتنا الكلام فى هذا الموضوع . »

والآن بعد عشر سنوات أستطيع أن أقرر مستوقفا : أن هذه التسمية صادقة فى تفصيلها

وإجمالها ، وأن من يدرس ابن زيدون والبحترى يطلق على ابن زيدون لقب بمحترى المغرب ، ولو

لم يعرف أن اقتداء قدا أطلقوا عليه ذلك اللقب ، فكلاهما رائع النظم ساحر الأداء ، وأكثرا الصور

الشعرية التى أبدعها جذيرة بأن تنال أعز مكان فى أرقى للتحاف الشعرية .

ولقد يسر علينا ما لقيناه من الجهد والعناء فى إظهار هذا الديوان أن به من الصور الشعرية

الرائعة والبيان الساحر الخلاب ما يخضبه الأدب العربى والشعر العربى فى أزهى عصورها

وأنضرها ، فقد كان ابن زيدون فى سموه وإفئاته - وما أكثر سموه وإفئاته - مثالا رائعا

للشاعر المبدع القادر المتصرف بفنون القول وأساليب البيان .

وأحب أن أصرح القارىء أننى كدت أنسرّع فى الحكم حين عرضت لهذه التسمية فى

كتابى « نظرات فى تاريخ الأدب الأندلسى » ، فأقرر أن فى هذه التسمية كثيرا من الاسراف

والمبالغة ، وقد كنت حينئذ متشجعا بروح البحرى مأخوذا بسحر بيانه ، وكنت لا أكاد أصدق

أن شاعرا - كابن زيدون - جدير أن يوضع معه فى ميزان أو يشركه فى إحسان .

ولكننى رأيت أن من الظلم والغبى أن أفاضل بين شاعرين درست أحدهما دراسة مستفيضة

ولم أقرأ لثانيهما إلا عشرات من الأبيات و بضع صفحات من النثر ، فأرجأت الحكم حتى أتم الدرس .

وهذه حالة نفسية تعرض لأكثر المشتغلين بالأدب فى هذا العصر ، وهى آفة من الآفات

التي تقصد على الباحثين بحوثهم ، فإن أكثرهم لا يتورع فى الحكم على شاعر لم يدرسه ولم يحن

بقراءة آثاره وقصص أخباره ، بأنه شاعر ممتاز أو سخيخ ، وبعضهم يكتفى بالختصرات المدرسية

والمختارات الشائعة المتقضية فيصدر الأحكام السريعة على الشعراء والأدباء وربما عكف

أحدهم على درس شاعر ولم يدرس غيره ، فراح يلاءم الأرض بمجيداله و يسرف فى إظهار من إياه

وقضيله على جميع شعراء العربية حتى يقول أحدهم فى وصف بعض الشعراء :

« فهو الشاعر من فرعه إلى قدمه وهو الشاعر في جده وورثته ، وهو الشاعر فيما يحتفل به وما يليقه على عواهنه » إلى أن يقول « فما تحرك حركة الاكلان العبقريه فيها أدنى نصيب » (١)
وقد كان المرحوم الشيخ محمد شريف سليم شارح ديوان ابن الرومي ، يرى بعد أن درسه دراسة مستفيضة أن ابن الرومي أشعر شعراء العربية . وأكثرهم تصرفاً بفنون القول وكان الباعث له على ذلك أنه عكف على درسه زمناً طويلاً فظهرت له مزاياه الباهرة . حسب أن أحداً من الشعراء مهما ساءلني يصل إلى مكانة ابن الرومي .

وهؤلاء الباحثين عندهم في إصدار هذه الأحكام وإن لم ينصفوا الحقيقة ، فإن كل شاعر من هؤلاء الفحول يترجم لنا عن حضارة هائلة ويخلق بنا في أجواء ساحرة ننسبنا - حين نحلق فيها - كل شاعر سواه ، فالبحتري والمتنبي والمعري وابن الرومي وابن زيدون وابن حمديس وأضرابهم يكاد يفتيك واحد منهم ويلاً نفسك جلالاً وروعاً إذا اقتصرنا على درسه وحده .
ولكنك بعد ذلك جدير ألا تحكم بتفضيل أحد هؤلاء على الآخرين والأزراء بهم لأنك لم تدرسهم جميعاً دراسة مستفيضة .

وأذكر بهذه المناسبة أنني كنت في مجلس يضم صفوة من رجال الأدب المتأثرين كانوا يناقشون في الأدب فقال أحدهم :

« إن سيد كتاب العربية وإمام البيان العربي هو ابن المقفع » ثم راح يطويه ويخلع عليه كل عبارات الثناء ، فقال له الآخر : « أما أنا فلت من رأيك ، فإن أبا الفرج الاصبهاني بثره للمجيز قد بزل كل كتاب العربية » فقال الثالث : « أين أنتم من عبد الجيد الكاتب فهو سيد هؤلاء جميعاً » فابهرني له الرابع قائلاً :

« الحق أن امام البيان العربي هو الجاحظ » ثم سألوني رأيي فقلت :

« بل سيد كتاب العربية هم هؤلاء جميعاً وأضرابهم ولكن كل واحد منكم عكف على دس كاتب من هؤلاء فغفل إليه أن أحداً لا يدانيه بلاغة وسحراً »

وهذا مثال لا يزال يتكرر ولازلنا نرى في كل يوم باحثاً يأبى إلا أن ينتصر لنا بصفة معينة ويفضله على جميع الناس ، وفي هذا ما فيه من الاسراف والمغالاة وظلم الحقيقة .

وما رأيك في قروي لم يغادر قرينته الحظيرة طول عمره ، فلما سافر إلى مدينة كبيرة ورأى ما فيها من قصور ونعمة وحدائق غناء ، وظن أن هذه المدينة الكبيرة - التي جمعت ألوان الحضارة والترف وجالبات السرور - هي أجل مدن العالم ، وليس من الضروري أن يزور الانسان كل المدن الشهيرة ، فله أن يكتفي بواحدة أو أكثر ، ولكن من الضروري لمن يريد المقارنة بينها وبين سائر المدن أن يزورها ويعرفها جميعاً .

كذلك ليس من الضروري أن تقرأ كل شعراء العالم ، ولكن من الضروري الافضل أحداً من الشعراء عليهم جميعاً من غير أن تقرأهم جميعاً .

(١) ارجع إلى كتابي « صور جديدة من الأدب العربي » ص ٢٢٣

ماذا ، بل أنت اذا توخيت الانصاف والحققة والنزاهة عاجز - بعد طول الأناة والدرس - عن البت في تفضيل شاعر من الفحول على آخر ، وإن المنصف الغزبي ليردّد في أن يحرم بتفضيل قصيدة رائعة على أخرى كما يردّد في تفضيل حسناء بلرعة في الجبال على شبيبتها ، ورحم الله الأعراوى الذى طلب اليه أن يفاضل بين نوعين من الحلوى ، فظنّ - يتذوّق أحدهما تارة ، ويتذوّق الثانى تارة أخرى ثم يعود إلى الأول ويرجع الى الثانى ثم قال :

« إننى كلما أردت أن أحكم لاحدهما أدلى الآخر بحجته »

وليس في قدرة ناقد غربيّ - نزيه أن يستخف شاعرا خلا كشكسيرة وإن كان في قدرته أن ينتقده ويظهر عيوبه .

أما عندنا فعلى العكس من ذلك ، لا يتحوّج كاتب عن تسخيف شاعر خل كلنبى أو إنكار شاعرية المهري أو تحقيره . واهب ابن الروى أو ابن زيدون أو ابن جديس أو البحتري الى آخر هؤلاء الفحول .

ثم ماذا ، عندنا من يجرؤ على إنكار شاعرية عصر بأكله كعصر ملوك الطوائف (١) الذى يعدّ أزهى عصر أدبى في الأندلس ، بل عندنا متهوسون يجرؤون - فيزعمون بلاحجة أو مبالاة - أن ينكروا الأدب العصرى كله في جميع عصوره المختلفة ، وعندنا آخرون ينكرون روعة الأدب العربى في شتى لغاته وعصوره من غير أن يحسموا أنفسهم قراءة شئ من آثار هؤلاء أو أولئك .

وما كنا لنعرض لمناقشة أمثال هؤلاء المتسرعين في الحكم لولا أن عدوهم كادت تسرى إلى أكثر شباننا وبعض شيوخ الأدب واعلام الفكر عندنا .

وقد ساعدت الاختلاصات المدرسية التى كتبها مدرسو الآداب عندنا على إصدار هذه الأحكام السريعة ، فإن أحدهم ليكتب كتابا يعرض فيه لتاريخ أدب اللغة في جميع عصوره ويقتبس من أحكام القدماء ما شاء من غير أن يقرأ ديوان شاعر واحد بأكله ، ومن غير

(١) ومن هذه الأحكام قول أدبى من هذا الطراز المريب في حياء هذا العصر القمى - عصر ملوك الطوائف - الذى لا يكاد يعرف منه غير اسمه :

« ذلكم عصر الاسترخاء والفرف . عصر توزيع فيه الأجر والبائس فتكل مما واد العثور والظواهر تهيج للناس في ذلك العصر فتمرد الهواس ، وعمت الحب اغترى فصرح في وفاته ديدان القهورات . وتاميك عصر تكون فيه البهائم أصدق جأ من الناس ، لأن البهائم لا تنب بلبل ولا تبشله في مثل هاته الصور بأخذ اناس من كل شئ . بأيسره ، ويغنمون من كل مطلب بأقره إلى الحسن وأصفه . لا يكون الجلال فيها إلا صفة في البهرة تلمعها الألسنة حتى تزول ثم تبعها بقاء ، ولا تكون البهائم والأمواه إلا مجالس دراب وسراوح هواء ، ولا الطيبة بكثا ورياحيتها وأنماها إلا طنفسة مطرزة بمختلف الألوان والأشكال ، ولا الشعر إلا بهرجا برافا لو صور بيرا سوا تالك منه البيون ما لا تنال النفوس وما الأخلاق والروءة والشرف إلا آدابا يسطلع عليها الممارون ليدوم لهم صفو المجلس ، ثم ماشاء الممار بعد ذلك من غي وشمار ، وما طالب له من عبت واستهتار لا يبتنيه ذك ولا يقدح في آدابه . »

ان يدرس عصره وينتهي أخباره ، وهو لو فعل لما استطاع إصدار فصل واحد من كتابه .
وعندنا أن الخلاصات الدراسية لا يمكن كتابتها الا بعد أن يتوفى الباحثون درس
العصور والشعراء والأدباء وينقطع كل منهم لشاعر بينه أو كاتب بينه ، فيدرسه من جميع
واحيه ، فإذا تمّ ذلك كله أمكن اختصار بحوثهم المستفيضة في صفحات قليلة للناشئين .
وقد نكأقت فئة من أعلام الباحثين في العصر الحديث كالقائل على درس المتنبي وابن الرومي
والمرعي ، وظفروا بنتائج باهرة أقعّت كثيرا من الشباب النصف بأن عندنا من الشعراء من
نباهي بهم ونفخر مفتبين ولا تردّد في مقارنتهم بأ كبر شعراء الغرب .

وما كان في قدرة انسان أن يفهم جلال شعراء الغرب وكتابيه ويقدر مواهبهم الممتازة
وعبقرياتهم الفذة لو لم يعرض القاد والشرائح والباحثون لتحلية كل غامض وتوضيح مناسخ
انجهااتهم الفكرية ، ولن يقتنع الشباب العربي بأن أدبنا زاخر بالشعراء النحول الذين
لا يتخلّفون عن أ كبر شعراء الغرب ، الا بعد أن يتصدى أدباؤنا وباحثونا لتحليل آثار القدماء
وتنظيمها وشرح غامضها وإزاحة الستور عن مناسخ العبقريّة فيها وتقديم ثمار جهودهم الناضجة
للسّباب العربي ، وثمّ يرى شبابتنا أن هذه العقول العريّة الكبيرة التي استوعبت أرق
الحضارات في أزهي العصور وعبرت عن أخفى الخواجا النفسية وأدقّ الاحساسات وأروع
الأفكار وأعمق الآراء ، جديرة بالانصاف والاقبال عليها والتمتع بسحرها الفاتن .

وسيرى الشباب الذي نعلق عليه أ كبر الآمال في ديوان ابن زيدون بحترى المغرب ، إذا
درسه بعناية وأناة ، ولم يكتف بصفحه والمرور به على عادته - سرورا سريعا ، أن ابن زيدون
كان جديرا بما بذلنا من عناء وجهد ، وأنه جدير بمحاودة الكرة لدرسه دراسة مستفيضة
في رسالتنا التي أفردناها لتحليل أدبه وعصره والذنيه على دقائقه ومزايده والالام بصره الزاهية
وبعض الناس يفضلون البحتري على ابن زيدون ، لأن ابن زيدون كان يحب به ،
وهو رأى مردود عليهم . فان إعجاب ابن زيدون بالبحتري كما إعجاب المرعي بالتنبي ، إعجاب عظيم عظيم ،
ولو تقدّم ابن زيدون زمنه على زمن البحتري لفن البحتري بشعره ، واتخذ منه مثلا ينسج
على منواله وإلهاما يهتدى به في فنه الرائع .

شاعرية ابن زيدون

« ابن زيدون جبرئيل زماه قصر الحسنون من إحسانه
أخذ الروم - في الجزيرة - منه وشعوا في خيله واقتنائه »
« شوقي »

لكل شاعر من الفحول طابع خاص يمتاز به شعره فلذا امتاز المعري بالفلسفة في شعره وامتاز المتنبي بالحكمة ، وامتاز ابن الرومي بالقصص على المعاني النادرة ، وامتاز أبو العتاهية بلزهديات ، وأبو نواس بالهجريات ، والبحترى بحسن النظم ، وأبو تمام بالصناعة وابن جديس بالوصف فاي ميزة امتاز بها شعر ابن زيدون ؟

ميزة ابن زيدون التي تكاد تفرد به من شعراء العربية هي الفن . فهو شاعر فني قبل أن يكون فيلسوفاً أو شاعراً أو غزواً على المعاني أو وصافاً .

الفن وحده هو الذي أكسب ابن زيدون زعامة الشعر في عصره ، وأغرى خول الشعراء في زمنه وبعد زمنه بمحاكاته والانسواء تحت رايته . فهو شاعر الفن الذي أبدع أمير الشعراء في وصفه حين قال :

« بأبي أنت هيكلا من فنون مركبا »

وإنك لتري صورته الفنية قد وصلت الى الذروة ، وقلما اشترك ابن زيدون مع شاعر آخر من الفحول في معنى من المعاني إلا برزه ابن زيدون به ، وأعجزه ببيانه الساحر المعبب . حتى البحترى الذي كان النقاد يلقبون ابن زيدون به ، كثيراً ما اشترك معه ابن زيدون في صور شعرية وتوقفت صور ابن زيدون على صور البحترى .

وإنما خصصنا البحترى بالذكر ، لأن البحترى هو المثال الذي اختاره ابن زيدون ونحا نحوه حتى غلب عليه اسم بحترى المغرب .

ومن العجيب أن ابن زيدون قد اشترك مع البحترى في عدة صور شعرية - كما اشترك مع غيره من الشعراء - فكان ماذا ؟

كانت الصور الكلامية التي يبدعها الشاعران جديدة أن توضع في أرق المتاحف حين يشتركان في غرض واحد ، ولكن الصور التي أبدعها ابن زيدون جديدة بالجائزة الأولى في أغلب الأحيان .

قال البحترى :

« ولما حضر ناسدة الأذن آخرت فأفضيت من قرب إلى ذي مهابة كما اتصب الرمح الرديني . تفت وكالبدر ، وأفياءه ، تم سعوده وسلت ، فاعتاقت جناني هبة فلما تأملنا الطلاقة ، وانغي	رجال عن الباب الذي أنا داخله أقابل بدر أتم حين أقاله أنا يبيه ، واهتز لظعن عدله وتم سناه واستهلت منازلها تلهعن القول الذي أنا قائله إلى يشر آتسقي عذابه
--	--

دنوت قبلت الندى من يد امرئ
صفت - مثل ما تصف للمدام - خلاه
وقال ابن زيدون :

« فلما قضينا ما عشنا أداؤه
قرنا بحمد الله جددك ، إنه
وعدنا إلى القصر الذى هو كعبة
إذا نحن طالعنا والأفق لا يس
وأنتك في أعلى المصلى كأنما
ولما حضرنا الأذن والمهر خادم
وصلنا وقبلنا الندى منك في يد
لقد جئت حتى ما بنفس خصاصة

فأى الصورتين يفضل القارىء ؟

الحق ان الانسان ليحار في تفضيل إحدى الصورتين على الأخرى ، فقد كادنا تصلان الى أقصى درجات الكمال . وتجلى إبداع الشاعرين فهما إلى أقصى حد ، ولكن النصف لا يلبث بعد طول الروية والأناة أن يؤثر تلك الصورة الشعرية التي أبدعها ابن زيدون ببحرى المغرب على صورة صاحبه ببحرى المشرق .

وقد وقم كثير من القاد المعاصرين في خطأ شنيع حين تسرعوا إلى الحكم على ابن زيدون بأنه مقلد في أكثر معانيه غير مبتدع ، وحسبه لذلك نهضاح الفكر لا ينفذ شعره إلى الأعماق ، وقد عاب بعض المتسرعين في الحكم مثل ذلك على أناتول فرانس ، وعبروه بأنه كاتب أسلوب لا أكثر ، كما عبروا ابن زيدون بذلك ، ونسوا أن الفن - كما يقول أناتول فرانس - ليس في الابداع والاختراع بقدر ما هو في حسن التأليف ودقة الانسجام . وكثيرا ما نتخذ أناتول من الحوادث الثقافية وسيلة إلى خلق قصة رائعة . وإنما يمتاز الشاعر على الشاعر - إذا اشتركا في معنى من المعاني - بما يبدعه أحدهما من الألوان وما يوفق اليه من التعبير عن ظلال المعاني ودقائقها .

فان أنما المعانى - كما قلت في كتابي « صور جديدة من الأدب العربى » - مشتركة بين الناس - على اختلاف لغاهم وأزمانهم وبيئاتهم وأجناسهم - وانك لو حاولت أن تعبد لأكثر المعانى أشباها لما أعياك ذلك . وربما قلت المعنى تحسب أنك انقردت به ثم عثرت على شبهه - بعد عام أو عامين - في شعر قديم أو حديث عربى أو غربى وقديما قال عنترة :

« هل غادر الشعراء من مبدع ؟ » وذلك أن النفس الانسانية - على اختلاف نزعاتها وشغى أحاسيسها وشعورها - تكاد لا تختلف في الشعور بأهميات المعانى ، وثمة تتوارد الخواطر . وإنما يمتاز الشاعر على الشاعر بالاختلاف في أداء هذه المعانى ، وروعة الأداء وحسن

التعبير عن دقائقها وظلالها والابداع في صوغ الخواج النفسية والصور الشعرية المشرقة بالحياة
والقدرة على تهية الجو الرائع الذي يتخلو فيه شاعريته وعرض معانيه في أبهى صورها وأجل حليها .
ولنضرب للقارئ مثلاً واحداً من أمثلة عدّة لا يتسع لها المقام :

لعلّ كثيراً من الناس يدركون من أمثلة الحياة ونظمها أن ما يضرّ واحداً قد ينفع الآخر .
هذا معنى شائع ميسور لكل متأمل وليس للسرقة مجال فيه . وقد افنن كثير من الشعراء
في صوغه فظهرت في ذلك ميزاتهم ومواهبهم وتجلت قدرتهم على الخلق والابداع .

وقد صاغه المتنبي في أبسط صوره فقال : « مصائب قوم عند قوم فوائد . »
وتناوله ابن الرومي من قبله فجلاه في صورة أخرى وهي قوله :

« فاشتقني إنما هجاؤك عندي فخصكات تزيد في السراء
ومحال أن يسعد السعداء الدهر الا بشقوة الأشقياء . »

فلما طرقه المرمي جلاه في أبدع صوره وأجملها فقال :

« وسخط الظباء بما نالها تولد منه رضى الحابل . »

فقل لنا - من ذلك المعنى الشائع المطروق - صورة رائعة دقيقة مشرقة بالحياة وأظهر
لنا - بريشة الصور الفطن - ظلية يوقها القدر سوء الخط ونكد الطالع في حباله الناص
فتدرك أن حينها قد اقترب وأن هلاكها وشيك ، وصيادها يراها - في هذه الحال من الألم
والسخط - فيرى فرصة ثمينة نادرة بات يحلم بها طويلاً .

وقد أحسن الجرجاني حين قل في ضمن فصل طويل نحب أن يرجع القارئ إليه في كتابه :
« وقد يتفاضل مدعو هذه المعاني - بحسب مراتبهم - فنشترك الجماعة في الشيء
المتداول وينفرد أحدهم بلفظة تستعذب أو ترتب يستحسن أو نأ كيد بوضع موضعه أو زيادة
اهتدى إليها - دون غيره - فيريك المبتذل في صورة المبتدع والمخترع . »

وقد ضرب الجرجاني لتلك أمثلة كثيرة ثم قال :

« ولم يبق عليك الا أن تقتبس من التفریط - كما احترست من الافراط - فلا تكن
كن يرى السرقة لاتهم الا باجتماع اللفظ والمعنى وقل البيت جلة والمصرع تاماً ، بل لا يعرف
إلا من يفعل فصل عبد الله بن الزبير بأبيات معن بن أوس . »

إلى أن قال بعد كلام طويل :

« والسرق - أي ذلك الله - داء قديم وهيب عتيق ، وما زال الشاعر يستعين بخاطر الآخر
ويستمد من قريحته ويعتمد على معناه ونظمه . »

ومن أجل ما أوردته في ذلك الفصل قوله :

« ومنى انصفت علمت أن أهل عصرنا - ثم العصر الذي بعدنا - أقرب فيه الى المعذرة
وأبعد من المذمة ، لأن من قدمنا قد استغرق المعاني وسبق إليها وآتى على معظمها ، وانما يحصل

على بقايا لما أن تكون تركت رغبة عنها واستهانة بها أول بعد مطلبها واعتياص مرامها وتعدت
الوصول إليها .

ومنى أجهد أحدا نفسه وأعمل فكره وأصب خاطره وذنه في تحصيل معنى - يظنه
غريبا مبتدعا ونظم يت يحبه فردا محترما ، ثم تصفع عنه السواوين - ثم لم يحظ أن يجده
بعينه أو يجده مثالا يرضى من حسنه .

ولهذا السبب أخطر على نفسي ولا أرى لنفسي بت الحكم على شاعر بالسرقة . وقد أحسن
أحمد بن أبي طاهر في محاجة البحتري لما ادعى السرقة في قوله : -

« والشعر طهر طري أنت راكبه فنه منشعب أو غير منشعب

وربما ضم بين الركب منهجه وألصق الطب العالي على الطب »

فالذا شئت أن تمثل لك من شعر ابن زيدون بما يؤيد هذا الرأي ، عرضنا لك نجمة موجزة
من أقوال رجال البيان في بعض المعاني التي طرقها ابن زيدون . قال معاوية : « السرور التفاؤل »
وقال المتنبي : « ليس النبي يسيد في قومه لكن سيد قومه المتفاني »

وقال زهير :

« ومن لم يصانع في أمور كثيرة يضرس بأنياب ويوطأ بنهم »

وقال بشار :

« إذا أنت لم تشرب مرارا على القذى ظمئت وأوى الناس تصفوا مشاربها

فمش واحدا ، وأوصل أخاك ، فإنه مقارف ذنب مرة ومجانبه »

وقال أحد الشعراء :

« ومن يتبع جاهدا كل عشرة يجدها ، ولا يسلم له الدهر صاحب »

وقال آخر :

« اقبل معاذير من يأتيك معتبرا ان برّ عندك فيما قال أو جفا

فقد أجلك من أرضاك ظاهره وقد أطاعك من يعصيك مسترا »

الى آخر ما قلوه في هذا المعنى وهو كثير نجتزئ منه بما ذكرنا ، فهل ترى في كل ما قلوه
أروع من قول ابن زيدون :

« إن السيادة بالأغضاض لا بسدة بهاءها وجمال الحسن في الخفر »

ألا ترى أن قرن ابن زيدون قد غلب فنون هؤلاء الفحول الأفاذا وتوق عليهم في هذه
الصورة الرائعة ؟

وانظر الى ذلك الميت الزارع الذي طلما تضينا به وحسبنا قائله قد تحلى به درجات الكمال
والإبداع حين قال :

« يزبدك وجهه حسنا إذا مازدته نظرا »

وقد أخذه ابن الرومي فقال في « وحيد » الغنية :

« ليت شعري ، اذا أعاد الينا كرة الطرف مبدئاً ومعيداً
أهـى شيء لانسأـم العين منه ؟ أم لها كل ساعة تعجيد ؟
بل هي العيش لا يزال حتى استهـ . ورضـ على غرائبها ويغيد »
انظر كيف تطفئ ابن زيدون في نظمه وتحويره اوفى أى صورة مشرقة بالحياة راحة الحسن
صاغه ذلك الشاعر العبقري فقال :

« حسن أمانين لم تقصوف أعيننا غلباته بأمانين من النظر . »

ومن اليسر على كل انسان أن يقرر أن حبيبه قد هجره وأنه لا يزال باقياً على عهده .
ولكنه ليس من اليسر عليه أن يؤدي هذا المعنى كما أداه المجنون يقول :

« وأدبنتني حتى اذا ما تننتي يقول يحل العصم سهل الأبلطح
تأديت عني حين لالى حيلة وغادرت ما غادرت بين الجوائح »
ولا أن يقول مثل قوله أيضاً :

« أليس وعدتني يا قلب أنى إذا ما تبـت عن ليلى تنوب
فها أنا تأب عن حب ليلى فمالك كلما ذكرت تنوب . »

أو يقول كما قال ابن زيدون :

« كان التجارى بمحض الوعد مذموم ميدان أنس جرينا فيه أطلاقاً
فالآن أجد ما كنا لمهدكرو سلوتم وبقينا نحن عشاقاً (١) ؟ »

فلك صورة فية تتخلع دونها الرقاب ولا يحسن أن يقولها إلا شاعر فني موهوب ، ولا تزال
أهـات المعاني كأصول لأنواع لانكاد تختلف في جلتها وإن اختلفت في دقائقها وتفاصيلها ، وانك
تقرى ألف حسنة تقرأ في وجه كل منهم ملاحظة من الحسن لا توجد في الأخرى ، ولا يزال
الرسم يتفنن في التعبير عن أسرار الوجوه ويبدع ما شاء ابداعه ، ولا يزال المعنى الواحد يؤديه
ألف معنى بل يعرض نفسك لكل صوت شعراً خاصاً يختلف عن الآخر .

وما تريد أن نخصـ ابن زيدون بالابداع في كل معانيه دون سائر الشعراء ، فقد تختلف عنهم
وقصر في بعض قصائده كما قصر الفحول أحياناً . الشعر كما يقول ابن الرومي كالشجر :

« ركب فيه اللحاء والخشب اليا بس والشرك بينه الثمر . »

ولكن الانصاف يقضى عليك - إذا قصديت التفضيل بين الشعراء أن تقرر بين روايتهم
وبدايتهم ، أما ما يقولونه عنو الخاطر ، أو في ساعات الكلال والنصف ، فليست جديراً أن تحكم به
على شاعر بينهم ، فقد تخرج الشجرة المتأزقة إلى ثمارها الشبه النضج ثمرة جفة فلا ينقص ذلك
من قيمتها . وما تريد أن نقصر لابن زيدون وأن نعدسه ولكننا نريد أن ننصفه ولا نطامه .

(١) حادثة ذاتى سرورين واثنتين لمضى واحد ، فهل تستطيع أن تفضل أحدهما عن الأخرى ؟ ألا ترى
أن كل واحدة من هاتين الصورتين مستقلة عن الأخرى وكل الاستقلال وإن كانا فغيراً عن معنى واحد ؟
ألا ترى إلى الصديق الذى يحتل في كل صورة منهما ؟ أليست كل واحدة من هاتين الصورتين ملكاً
لشاعر لا ينازع فيها الآخر ؟

لماذا سجن ابن زيدون ؟

لأنكاد نقرأ تاريخ ابن زيدون في أى كتاب من كتب الأدب وتصل إلى هذا الفصل من تاريخ حياته حتى نقرأ هذه الجملـة بنصها أو معناها .

« ثم سجنه ابن جهور لسبب وشاية أعداء ابن زيدون به » .

ولكن كيف وشى به أعداؤه فأحفظوا عليه قلب ابن جهور وأى وشاية هى ؟ ذلك مايقف أمامه مؤرخو الأدب من غير أن يتعرفوا له حلا .

وقد حاول بعضهم أن يعلل ذلك بإتقياس ابن زيدون في حب ولادة وقولوا ان ابن عبدوس وأخـزابه وشوا به عند ابن جهور فسجنه لأن أبا الحزم بن جهور - في زعمهم - رجل وريع يؤثر القوى والزهد ولا يقبل أن يرى إلى جانبه خليعا ماجنا كـابن زيدون ، ونسى هذا الفريق من مؤرخى الآداب أن ابن عبدوس نفسه كان منغمسا في حب ولادة وكان أكثر من ابن زيدون خلاعة ومجوناً إن كان لابد من هذا التعبير الذى ارتضاه مؤرخو الآداب ، فليس من الانصاف أن يطلق اسم الماجن المستهتر على مثل ابن زيدون ، فقد كان اذا قورن بغيره من شعراء عصره وشعراء العصور الأخرى أبعد عن هذه الصفة انى الصقها به . مؤرخو الآداب ، ولم يكن أبو الحزم بن جهور عتاة متبذرا ورعا منقشقا كما حاولوا أن يقنعونا به ، فقد كسر دنان الحر حين ولـى أمور الناس ، وهذا يدل على حزم وبعد نظر ولا يدل على تقشف وزهد وورع .

وما كان أبو الحزم ليسى الى وزيره الذى خاض إلى جانبه بار الثورة القرطبية وكان يلهمها ببلاغته ويغذيها ببيانه والذى كان لا يستغنى عنه أبو الحزم بن جهور ، قول ليس أبو الحزم القذكى الأريب الذى شاد ملكا موطلا للأساس بين الزعزاع والفن من الغفلة بحيث يأبه لأمثال هذه الصغائر ، انما كان يعنى أبا الحزم بن جهور أن يثبت ملكه ولا يعنيه بعد ذلك أن يكون ابن زيدون ملاكا طاهرا أو شيطانا فاجرا .

وقد سجن ابن زيدون وزير ابن جهور وكان معرضا للقتل وسجن ابن عمـار وزير المعتد و قتل وسجن غيرهما من الأدباء والشعراء الذين استوزرهم ملوك الطوائف ، فإذا شئت أن تبحث عن أسباب سجنهم وقتل أكثرهم ، فلن تجد لتلك الاسباب واحدا وتهمة لايتعداها من شاء أن يدس أو يكيد وهى التهمة التى تعنى ملوك الطوائف وقطع مضاجعهم وتفسيم كل يد أسلفت إليهم ، هذه التهمة هى التآمر على قلب الملك والطمع فيه .

ولقد كان ابن عمـار أخلص صديق للمعتد وكان المقرب الأمين عنده وكان أعز عليه من نفسه على حد تعبير المعتد ، ولكنه طمع في الملك فنى للمعتد كل شيء الا سجنه وقتله والانتقام منه .

ولم تأخذ المعتد رجة بأحد أولاده حين عرف أنه يطمع في ملكه ، فقتله حقا عليه .

ولقد كان ابن زيدون شاباً في مقتبل عمره وكان قريب عهد بالثورة التي دعا إليها آل جهور .
وكان أقرب شيء إلى هذه النفس الشابة الفتية المتوقدة عزماً وحمية ، والتي ظفرت بالوزارة
في مستقبل حياتها السياسية أن تلمح إلى ما هو أبعد من الوزارة .

وقد كان ابن زيدون كثير السفارات وكان موقفاً محبوباً من ملوك الطوائف ذائع الشهرة
في عصره ، وكان قوياً شديد النكاية والسخرية بخصوصه ، ولم يكن لهم طريق يسلكونها
للاعتقاد منه إلا الكيد له - على أسلوب ذلك العصر - عند ابن جهور بأنه غير مخلص
لعهده ولا أمين لأمره .

وما جرى ابن زيدون من تهمة التآمر فإنه هو نفسه لم يتصل منها اتصالاً صريحاً ،
بل نحن لا نرى في تصديقها حرجاً فقد كانت الظواهر كلها تؤيدها ولا تنفيها .

وقد فرّ ابن زيدون من سجن أبي الحزم ثم عاد بسد وفاته إلى ابنه أبي الوليد وبذل له
النصيحة كما بذل لأبيه ، وظفر عنده بأعلى مكانة ، ولكن تهمة ذلك العصر فرت به من جديد
وكاد - لولا فراره - يسجن من جديد ويقضى بقية عمره في السجن .

وقد انفصل بالمتنشد وحاول خصومه أن يدسوا له فلم يفلحوا ولما مات المتنشد أعدوا
الكربة وأرادوا أن يغربوا عليه قلب المتنشد فأخفقوا ، وقرعهم المتنشد أشد قرعاً وما زال
ابن زيدون الوفي الأمين المخلص للمتنشد حتى قربت منيته وقرب نجاح أعدائه في تغيير قلب
المتنشد عليه ، ولوطال عمره قليلاً لأصابه من نكال المتنشد وانتقامه ما أصابه من أبي الحزم
وما كاد يصيبه من أبي الوليد بن جهور ، ولكن المنية أخذته من شروهم وأحقادهم كما أسلفنا .
على أن سجن ابن زيدون قد ترك في نفسه الفتية الوثابة أثراً لا يوصف . وألمحه الحكمة
والأنابة والصبر وعلمه مدبرة الناس ومجاملة الخصوم ، وأقنعه بأن معاداة الرجال غير مأمونة
العواقب وأن السهام « قلما اهتورت غرضاً إلا كفته حتى يهي ما اشتد من قوته » فلم يدنو
جهداً فيما بعد في اكتساب رضى العامة والخاصة ، حتى أحبوه - الاقليل ممن دفعهم الحسد
والغيرة وهؤلاء لاحية لأحد في اكتساب رضاهم وسل سخائهم وأحقادهم - وقد مات فبكاه
أهل أشبيلية وجزعت لفقده جبهة معاصريه . ولا تزال أشعاره ورسائله التي نظمها في سجنه
آيات فذة من البيان العالي والشعر المميز . ولا زال قوله :

ولا يخفى الشامت المزاح خاطره أنى معنى الأمانى ضائع الخطر
هل الرياح بنجم الأرض عاصفة أم الكسوف نفي الشمس والقمر «

وقوله :

« ولا ينبط الأعداء كوفي في السجن فاق رأيت الشمس تمحى من السجن
وما كنت إلا الصارم المضرب في جفن أو الليث في غاب أو الصقر في وكن
أو العلق يخفى في الصلور ويخبأ »

إلى آخر هذه القصائد الفذة التي كتب لها الخلود . مثلاً عالياً للشعر الرائع والبيان الساحر

حساد ابن زيدون

كان من الطبيعي أن يلقي أديب مثقف وشاعر مجيد وسياسي مدرب كإبن زيدون -وصل في مستقبل شبابه إلى أرقى الدرجات- كثيرا من المنافسين والحساد ينعمون على أدبه وتقوّه وغارون من قرّبه إلى الملوك الذين أكرموا فضله وأدبه فقرّوه منهم وحاطوه برعايتهم، وقد لقي ابن زيدون في قرطبة جماعة من المنافسين وعلى رأسهم الوزير الأديب أبو عامر بن عبدوس ، فكادوا له حتى أحفظوا عليه أبا الحزم جهور فسجنه كما أشرنا إلى ذلك في فصل سابق . ثم فرّ من السجن وعاد فأنصل بأبي الوليد بن أبي الحزم ، فلم ينقطع كيد المنافسين حتى غيروا عليه قلب الابن كما غيروا عليه قلب أبيه من قبل ، ففرّ ابن زيدون خوفا من السجن ومزال يتنقل بين ملوك الطوائف حتى استقرّ به النوى في اشبيلية فلقى من كيد الحساد وعنتهم مثل ماثي في قرطبة ، ولكن مدائحهم الخالدة التي مدح بها المعتضد والتي تعدّ من مفاخر الشعر العربي وروائعه ، وحسن سياسة ابن زيدون وبعد نظر المعتضد تغلبت على كيد المنافسين وأرغمت أنوفهم وأحلت في المكان الأول كما يقول من قصيدة رائعة :

« وأرغم في برى أنوف عصابة لقاءهم جهم وأعينهم شزر »

« إذا ما انتفى في الست عاقد حبوة وقام ساطعا حظه في الصدر »

فلسامات المعتضد أعادوا الكرة وجعوا جوعهم للكيد له عند المعتضد ولكن المعتضد صدّهم أشنع صدّ وقرّبه إليه ، فلم ينس له ابن زيدون هذه اليد وفي ذلك يقول :

« يليل الصدا في التناجي خفية يقولون لا تستفت قد قضى الأمر »

ثم ما زالوا يكيدون له حتى أقصوه عن قرطبة إلى اشبيلية متهمين فرصة مرضه فصار إليها مرضا حيث لقي حتفه . وأفلح كيد ابن عمار وأصحابه في التخلص من منافسة ابن زيدون . ولا نكاد نخلو قصيدة من قصائده في أبي الحزم وأبي الوليد والمعتضد والمعتضد من الشكوى الصارخة من كيد الحساد الذين تلوّعوا لا يذائه وأرهبوه بدسائسهم المتواليّة ، والحسد داء قديم وكما لقي الأديباء والشعراء الممتازون منه ما تنص عليهم حياتهم وأقص مضاجعهم .

وقد لقي المتنبي قبله في مجلس سيف الدولة من حسد أبي فراس وابن خالويه ، ثم لقي عند كافور الاخشيدى من حسد ابن حنّابه ، ثم لقي في بغداد من حسد الوزير المهلبى الذي أغرى به الشعراء والأدباء كالحاجي وابن سكرة وغيرهما ، ما ألقى به وقاده إلى حتفه .

وقد كان يبلغ المتنبي بعد أن ترك سيف الدولة تشجيع حساده به عنده ، فيقول :

« رأيتمكم لا بصون العرض جالركم ولا يدر على مرعاكم اللين

جزاء كل قريب منكم ملل وحظ كل غريب عنكم ضغن . »

الى آخر ما قال .

وكان يبلغ ابن زيدون عن ابن جهور بعد اتصاله بالمعتضد ما يسوءه في نفسه وقراءته
بقربة فيقول :

« بنى جهور أحرقم بطنكم قوّادى فإبال المدائح تعبق
تعدوني كالغبر الورد إغما تطيب لكم أنفاسه حين يحرق »
وقوله :

« قل للوزير وقد قطعت مدحه زما فكان السجين منه ثوابي :
لا تختس في حق بما أمضيته من ذاك في ولا توق عتابي
لم تخط في أمري الصواب موقفا هذا جزاء الشاعر الكذاب . »
وقوله :

« من مبلغ عنى البلاد اذا نبت أن لست للنفس الألوف يباخ
أما الهوان فصنت عنه صفحة أغشى بها حدّ الزمان الشاوع
فليغم الحظ المولى أنه ولي فلم أتبعه خطوة تابع
ان النقى هو القناعة لا التنى يشتف نطفة ماء وجه القانع »
الى آخر ما قال .

وقد كان لهذه المناسبات أثرها العظيم في اعادة الشاعرين واطهار أروعه ماقاله من الشعر ،
وصدق القائل :

« لولا اشتغال الثار فيها جاورت ما كان يعرف طيب عرف الودود »
وما كاد المعتضد يتولى الأمر بعد أيّسه المعتضد حتى نشط الدساسون والمفسدون لمحاربة
ابن زيدون فرموا اليه برقعة فيها قصيدة طويلة أوّلها :
« يا أيها الملك العلى الأعظم اقطع ويريدى كل باغ ينثم
واقسم بيفك داه كل منافق يبدى الجليل وضد ذلك يكتم »
فكان ردّ المعتضد على ذلك قوله :

« كذبت مناكم صرّحوا أوججتموا الدين أمتن والسجية أكم
ختم ودمتم أن أخون ، وربما حاولتم أن يستخف يلم (١) . »

(١) وفيها يقول

« وأردتم تنفيق صدر لم ينق والسر في ثمر النور تحطم
وزحفتم - بمصالحكم - لمجرب مزال يبيت الدجال فيهم
أني رجوتهم غدو من جرب من الوفا . وظلم من لا يظلم
أنا لكم لا البني بشر غرسه خدي ولا البني الصنيعة يهدم
كلوا . والافارقوا لي بطشه بقى السقي يحتلها فيلم »

وقد عرف ابن زيدون كيف يشكر له هذه اليد في قصيدته الرائعة التي يقول فيها :

« وأرى المساعي كالسيوف تبادرت
ولكم تسامى بالرفيع نصابه
وفيها يقول ويبدع :

« قل للغة المنبغين قسيم
أسرتم ، فوأي نجي عيوبكم
وعبائهم - للفسق - ظفر سحابة
ونبذتم التقوى وراء ظهوركم
ما كان حلم « عمدا » ليحيله -
وفيها يقول بعد أن أغراه بأعدائه :

« فرق عوت ، فزارت زائرة زاجو
يأليت شعري هل يعود سفيهم
لى منك - فليذب الحسود تلظيا -
وشغوف حظ ليس يضأ يجتلى

الى آخر هذه القصيدة الرائعة :

وقلنا نخلو قصيدة من قصائده من مناسبة يظفها خلقا ، ويتطرق منها الى الشكوى والألم
من حساده ومنافيه وما لقيه من كيدهم وعنتهم .
ومن أروع ماذله في ذلك ، قوله من قصيدة :

« كان الوشاة وقد نيت بأفكهم
أسباط يعقوب وكنت الدنيا »
الى أن قال :

« أنا سيفك الصدى الذى مهما تشأ
تعد الصقال اليه والتنزييا »
وقوله :

« ابه « أبا الحزم » اهتبل غرة
لاطار فى حظ إلى غاية
عناك - بعد العتب - أمنية
لم يثنى عن أمل ماجرى
ألسنة الشكر عليها فصاح
ان لم أكن منك مرش الجناح
مالى على الدهر سواها اقتراح
قد برقع الخرق وتوسى الجراح »

وقوله :

« ما جال بعدك لخطى فى سنا القمر
إلا ذكرتك ذكر العين بالأثر »
إلى أن قال :

« حسن أغاني لم تسوف أعينا
غلياته بأقاني من النظر . »
إلى أن قال :

« من يسأل الناس عن حالي ، فشاهدتها
لم تطلو برد شبابي ككبرة وأرى
قبل الثلاثين إذ عهد الصبا كتب
ها أنها لوعة في الصدر قاذحة
لا يهني الشامت المزناح خاطره
هل الرياح بنجم الأرض عاصفة ؟
إن طال في السجن إيداعي فلا عجب
وان يبط - « أبا الحزم » الرضى - قدر
ماللذنب - التي جاني كباثرها
من لم أزل من تأنيه على قفة
إلى أن قال :

« لانه متى فلم أسألك معذفا
واستوفى الخط من نصح وصافية
هني أسأت فكان الطلق سيئة
ان السيادة بالأغضاء لايسة

وقال :

« ولو أني أسطيع كي أرضى العدا
شريت يعض الحلم حظا من الجهل . »
إلى أن قال :

« جواد إذا استنّ الجياد الى مدى
نوى صافنا في مرابط الهون يشتكى
إلى أن قال :

« أعدك للجلي وآمل أن أرى
بعمالك . وسوما وما أنا بالفلفل . »

ثم قال :

« أئن زعم الواشون ما ليس مزعما
وأصدي إلى إسفافك الساتع الجني
• ولو أني واقمت عمدا خطيئة
فلم أسترحب « الفجار » ولم أطمع
وانظر إلى قوله :

« فديتك كم ألقى النواغر من عدا
عفا عنهم قدرى الرفيع فأهجرها
قراهم - لئيران القناد - قتاب
وبانيهم خلق الجيمل فهاجروا »

وقد تسمع الليث الجعاش نقيقها
إذا راق حسن الروض أو طلع طيبه
إلى أن قال :

« فأنت الحسام العصب أصدى مثته
وما السيف مما يستبان مضاهه
وقوله :

« لا تستجز وضع قدرى بعد رضعه
إلى أن قال :

« ظن العدا إذ أغيت - أنها اخطعت
لابأس بالأمر - ان سمعت مبادئه
إلى أن قال :

« كم غرة لي تلقها قلوبهم
إذا تأملت حبي عتب غشهم
تلك البراين لم يصلح لنا شم
أودعت فهاك منهم شر مقترس
لا زال جدك بالاعداء يصرعهم
وما أروع قوله معتزاعن هجره ابن جهور : « وهو يرى ويسمع أن بالحضرة قوما لا يحصرهم
العد ، تحتمل سقطاتهم وتحتقر هفواتهم وتقال عثراتهم وما أعلم أنهم يدلون بوسيلة الا شاركهم
فيها ولا يمتون بذريعة ينفردون دوني بها » الخ .

وقوله :

« أرى نبوة لم أدر سرّ اعتراضها
جفاء هو الليل ادلم ظلامه
هب العزل أخصى للولاية غاية
فقيم أرى ردّ السلام إشارة
أناس هم أخصى للذعة مقول

وقوله :

« ألا هل أتى التتيان أن فتاهم
وأن الجواد الفات الشاوصافن
وأن الحسام العصب ثاو بجفنه
فريسة من يحدو ونهزة من يسطو
تخونه شكل وأزرى به ربط
وما ذم من غريه قد ولا قط »

وقوله :

« متون من الأيام خس قطعها أسيرا ، وان لم يبد شد ولا قط . »

وقال :

« وما زال يدنيني ، ويثني قبوله هوى سرف منه وصاغية غرط . »

وقال :

« عدا سمعه عني فأصني الى عدا طم في أدعي كلما استمكنوا عط
بلغت المني إذ قصروا قلوبهم مكان أحقاد أسودها رقط . »

وقوله :

« ومثل قد تهفوه نشوة الصبا ومثل قد ينفو ، ومالك من مثل
واني لتنهاني نهائ عن التي أشاد بها الوائى ويسقلى عقى . »

الى أن قال :

« وما كنت بالمهدى الى السودد انلنا ولا بللى . القول في الحسن الفعل . »

الى أن قال :

« هي العل زلت في ، فهل أنت مكذب لقليل الأعلى انها زلة الحسل . »

الى أن قال :

« ألا إن ظني - بين ضليك - واقف وقوف الهوى بين القطيعة والوصل . »

الى أن قال :

« وأين جواب عنك ترضى به العلا اذا سألتى بعد السنة الحفل . »

إلى آخر ما أبدعته هذه العبقرية الجبارة ، من الاقتان البارع ، في صورها الشعرية التي لا تسمى .

٤ - حب ولادة

تمرّ شتى الحوادث بالإنسان فيساقها ولا تكاد تترك في نفسه أثرا يذكر ، على أن لبعض الحوادث أثرا لا يمحي ، حيث تمر الأيام والشهور والسنون وهو باق في ذهنه يؤثر فيه أعمق الأثر ، ويطبع نفسه بطابع خاص ، ومن الحوادث التي أثرت في نفس ابن زيدون وشعره ونثره أكبر الأثر ، حادثان : حب ولادة . وحبه زهاء عشرين .

فأما حب ولادة فقد ألّب نفسه إلهابا وأكسبها شاعرية خصبة ففاضت بأعذب الشعر وأبدعت في ضروب الغزل ما شاء لها أن تبذل ، وأخرجت لنا أروع قصائده الغزلية ، وأهملته أسى ألوان الخيال العالي والغزل الرقيق . كقوله :

« ودع الصبر محب ودعك ذائع من سره ما استودعك »
وقوله :

« أما منى نفسي ، فأنت جميعها ياليتي أصبحت بعض منك
يدنو بوصولك حين شط مزماره وهم أكاد به أقبل فلك »
وقوله :

« كان التجارى بمحض الودّ مذ زمن ميدان أنس جرينا فيه أطلاقا
فالآن أجسد ما كنا لعهديكم سلوتم وجينا نحن عشاقا »
وقوله في ضئ القصيدة :

« لا سكن لله قلبا عن ذكركم فلم يطربحنح الشوق خفاقا »
وقوله من قصيدة أخرى :

« ياليل طل ، لأنتهى إلا بوصول قصرك
لو كان عندي قمرى ما بت أرمي قمرك »
وقوله :

« بيني وبينك ما لو شئت لم يضع سرا إذا ذاعت الأسرار لم يذع »
وقوله :

« بتم وبنا فما ابتلت جوانحنا شوقا إليكم ولا جفت ما قينا »
إلى أن يقول :

« ما حقت أن تروا عين ذى حد بنا ولا أن تسروا كل شعاعينا »
« غيظ العدا من تافينا الهوى فدعوا بأن نفس قتال البحر آمينا »
« فأنحل ما كان معقودا بأنفسنا وأنبت ما كان موصولا بأيدينا »

وقوله :

« لاستجدن - في عشقها - زما ينسى سوائف أيامي وأزمانى

حتى تكون لمن أحيت غائبة نسخت - في جها - كفرا بإيمان «
وقوله :

« إن ساء ظلك في ، فما ذنبى أنا ؟ حب المتيم انه قد أحبنا
لم أسل حتى كان عنذك - في الذى أهديته - أخنى وعذرى أيننا
وقد شكوتك - بالضمير - الى الهوى ودعوت - من حق - عليك فأمننا
ميت نفسى - من وفائك - ضلة وقد تفرّ المرء بركة للمنى «
وقوله :

« أغائبة - عنى وحاضرة مى أناديك - لما عيل صبرى - فاسمى
أفى الحق أن أشقى بحبك أو أرى حرقا بأقاسى ، غريبا بأدمى
ألا عطفة تحيا بها نفس عاشق ؟ جعلت الردى منه بمرأى ومسمع
صلىنى - بعض الوصل - حتى تينى حقيقة حالى ، ثم ما شئت فاسمى «
وقوله :

« قد كان - فى شكوى الصبا - راحة لو أتى أشكو إلى من يرحم «
وقوله :

« لما اتصلت اتصال الحب بالكبد ثم امتزجت امتزاج الروح بالجد
ساء الوشاة مكانى منك واتهمت - فى صدر كل عدو - جرة الحد
فليسخط الناس لأهد الرضى لهم ولا يضع لك عهد آخر الأبد
لو استطعت - اذا ما كنت غائبة - غصصت طرفى فلم أنظر الى أحد «
وقوله :

« يا ليل خبر : اتى التذ عنه خبرك
بالغة قل لى : هل وفى ؟ فقال : « لا - بل عنذك »

وقوله :

« لئن فاتنى منك حظ النظر لأكتفين بسماع الخبر
وان عرضت غفلة للرقى ب غسبى تليمة تخنصر
أحاذر أن تنظنى الوشا ة ، وقد يستدام الهوى بالخنصر
واسبر منيقا انه سيحظى - بنيل المنى - من صبر «

وقوله :

« أشمت فى فيك العدا وبلغت - من ظلى - المدى
لو كان يملك فدية - من حبك القلب افتدى
سكنت الحياة لعاشق - مذ حلت - أيقن بالردى

لم يسلم منك ولو سلا لعذرتك ، فبك اقتدى »

وقوله :

« أبديتك - من أفاين القلى - عبراً
لم تبق جراحة بالمجرم من جسدى
فليغن كفك انى بعض من ملكك
ولتض ماشئت - من هجر ومن صلة -
سقى لهدك والأيام تقبلى
إذ الزمان بليغ فى ماعدتى
ان كان لى أمل الا رضاك فلا

وقوله :

« انى لأعجب من شوق بطاولتى
كم نظرة لك فى عيني علمت بها
قلب يبلل مقاماتى لطاعتكم -
ماتوقى بنصوح - من عجبكم

وقوله :

« معاهد لهُ لم تزل فى ظلالها
زمان رياض العيش خضر نواضر
فان بان منى عهدهما ، فبلوعة
تذكرت أباى بها فتبادرت
ومحبة قوم كالصايح كلمهم
الى أن قال :

« محل غنينا بالتصاى خلاله فأسمدنا ، والحدائق نيام
فالحقت تلك الليالى ملامه ولا دم - من ذاك الحبيب - ذمام »

وقوله : وهو بطيوس من قصيدة راحة :

« إن قررت العين بأن أدوبا لم آل أن أسترضى النضوبا
حسبى ان أحرم الخيا قد ينفع المذنب أن يتوبا »

وقوله :

« لم ينجنى منك ما استنعت من حذر مهات كيد الهوى يستهلك الحنذرا
ما كان حبك الاقنة قدرت هل يستطيع فى أن يدفع القندرا »

وقوله :

« ما لئلى ضرك لو سر بمرآك الحزين

وتلقت لصب حينه فيك يعين »

وقوله :

ماضروا نك لي راحم
يهنيك يا سؤلى ويا غيضى
وعلى أنت بها عالم
انك عما أشتكى سالم
تضعك في الحب وأبكى أنا
أقول لما طارعتى الكرى
قول معنى قلبه هام
يا ناعما أيقظنى حبسه
هبلى رقدا أيا النام »

وقوله :

« هلاجلت - فذلك نفسى غاية
لا تضدن ما قد تأكد بيتنا
للعب أبغها يجهد الجاهد
- من صالح - خطرات ظن فسد
حاشاك من تضيع ألف وسيلة
شجى العدو لما بذنب واحد
ان أجنه خطأ فقد عاقبتى
ظلما بأبلغ من عقاب العائد »

وقوله :

« علام الحبك دواعى القلى ؟
ألم الزم الصبر كيا أخف ؟
وفيم نكت نواهى العذل ؟
ألم أكثر المجرى لأمل ؟
ألم أرض منك بغير الرضى
وأبدى السرور بما لم أنل ؟
ألم اغتفر موبقات الذنوب
بعمدا أتيت بها أم زلل ؟
وما ساء ظنى فى أن يسىء
فى الفعل حسنك حتى فصل
على حين أصبحت حسب الضمير
ولم تبغ منك الأمانى بدل
وصانك منى وفى أبى
لعلق العلاقة أن يبتذل »

وقوله :

« عليك السلام سلام الوداع
وما باختيار تليت عنك
وداع هوى مات قبل الأجل
ولم يدر قلبى كيف التزوع
إلى آخر هذه القصيدة التى تخلق بك فى جو العباس بن الأحنف ، حتى ليخيل إليك أنها
من شعره قد ألحقها بديوانه الحافل بهذه الروح الحائرة الثقلة .
« ياسن غدوت به فى الناس مشهورا
قلى عليك يقامى الممّ والفكرا
إن غبت لم ألق إنسانا يؤنسنى
ولن حضرت فكل الناس قد حضرا
وانظر إلى قوله وقد حاجته الذكرى الى قرطبة :

« سقى الله أطلال الأعبة بلحى وحاك عليها ثوب وثى منمنيا
وأطلع فيها للأزاهير أنجما فكمرظت فيها الخرائد كالمى
إذ البش غرض والزمان غلام »

وما أروع قوله فى تلك الموشحة الساحة :

« أهبم بجبار جز وأخضع شذا لك من أردانه ينشوع
أذاجت أشكوه الجوى ليس يسمع فما أنا فى شىء من الوصل أطمع
ولا أن يزور الخلقين منام »

الى أن يقول :

« قتل زمان قد تولى نعيمه ورثت - على مر الليالى - رسومه
وكم رقى فيه - بالعتى - نعيمه ، ولاحت - لساى الليل فيه نجومه
عليك من الصب المشوق سلام »

وقوله فى ذكرى قرطبة وولادة ومجالس أنه :

« أقربطه الفراء ، هل فىك مطمع وهل كبد حوى لينك تقع
وهل للياليك الجميدة مرجع اذ الحسن مرأى فىك والاهو مسمع
واذ كنف الدنيا لديك موطأ »

« أليس عجيباً أن تشط النوى بك فأحيا كأن لم أنس قمع جنابك
ولم يلتئم شعي خلال شعابك ولم يك خلقي بدوه من زرابك
ولم يكتفى - من نواحيك - منشأ »

الى أن يقول :

« معاهد أبكها لمهد تصرما أغض من الورد الجنى وأنما
لبنا الصبا فيها حيرا منمنيا وقدنا إلى الذات جيتا عرمرما
له الأمن رده والعداوة مربأ »

وقوله :

« الإخوانا للواردين مصادر ولا أول إلا سبتله آتو
وإنى لاعتاب الزمان لناظر فقد يستقيل الجدد ، والجدد عاثر
وتحمد عقي الأمر مزال ينشأ »

وما أبعد قوله :

« وان بلادا هنت فيها لأهون ومن رام مثلى بالدينه أدنا . »

الى آخر هذه القصائد الفذة التى يفخر بها الأدب العربى والبيان العربى . والذى كان
الباعث الأول على نظمها العجيب وصوغها المميز هو حب ولادة .

٥ - أدب ابن زيدون

قلما يظفر الإنسان بأديب عربي يحمل لواء الزعامة في النظم والنثر ، فلن أغلب ما نلاحظه أن يدع الأديب في أحد النوعين إبداعاً يعطى على إبداعه في الآخر ، أما ابن زيدون فأنك تقرأ ثمره فلا تنكاد تصدق أن شعره يقاسى إلى مثل هذه المرتبة العالية ، فإذا عدت إلى شعره أنساك إبداعه روعة ما قرأت من ثمره ، وهكذا لا تنكاد تقرأ قطعة مختارة من شعره أو ثمره حتى تملأ نفسك بهجة وسرورا ويفيك سحرها كل شيء آخر . وليس من الانصاف أن تقول إنه شاعر ممتاز غلب أوناثر ممتاز فقط ، وما أجدرنا أن نتمصفه فنقول إنه زعيم من زعماء البيان العربي .

لقد قضى ابن زيدون حياته بين السرس والتحصيل والتجارب والاختبار والاتصال بكبار ساسة عصره ودعاتهم ، وصهر قلبه حبّ ولادة كما أسلفنا ، وحينئذ إلى وطنه ، وأثر في نفسه الشاعرة الحساسة ما لم تنأز به الأندلس من جبال التربة وصفاء الجو ، ولقي من السعادة والتفتح بالحسن أشهى وأعذب ما لقي محبّ ، ثم لقي من لوعة الصدف والمجران أشقى وأمرّ ما لقي إنسان :

« حسن أفاين لم تسرف أعينا غلاياته بأفاين من الظر »

وقد قدم بصولجان السلطة والقوة حيناً من الدهر ثم شقي بالسجن بين الأشرار والمجرمين زمناً غير قليل ، ولقي من كيد المنافقين والحساد كما أسلفنا ما لم يلقه أحد ، فلا غرو أن تتضافر كل هذه العوامل القوية على خلق الشاعر العظيم . وأنت إذا درست أدب ابن زيدون دراسة مستفيضة رأيته خليقاً بأن يقول كما قال فيلسوف المغرب :

« ماسر في هذه الدنيا بنو زمن إلا وعندي من أخبارهم طرف »

ولقد ترى في أدبه أمثلة من ثقافة المعري وسعة اطلاعه وتمكنه من اللغة ، ومحافظته على أساليبها ، كما ترى فيه أمثلة من صناعة أبي تمام ونظم البحتري واسترسال ابن الرومي وقوة أداء المتنبي .

وإنك تقرأ أكثر غزله فيخيل اليك لسهولة أنك تحلق في أجواء العباس بن الأحنف والشريف الرضي والجنون ، ثم تقرأ اخوانياته فيخيل اليك لاسترساله وافتقانه في ضروب القول ، أنك تقرأ ابن الرومي وهو يخاطب أبا القاسم التوزي بمزميته المشهورة ، ثم تقرأ رسالته فيخيل إليك أنك تقرأ رسائل الجاحظ في براعة الاستخفاف والتهكم أو رسائل المعري في سعة الاحاطة وكثرة الاستشهاد ، والولوع بالأمثال .

وقد كان ابن زيدون زعيم شعراء عصره في الأندلس فلا غرو أن يكون أدبه أصدق مرآة يتجلى فيها أدب هذا العصر الزاهي وثقافته .

وقد كان يجمع - إلى حسن رويته - قوة الذاكرة وسرعة البهجة ، ولما يتفق لأديب عنى التفكير مع ذلاقة اللسان ، فقد روى صاحب فتح الطيب محدثاً عن ذلاقة ابن زيدون : أن ابنته توفيت ، وبعد الفراغ من دفنها ، وقف للناس عند منحرفهم من الجنيزة ليشكر لهم ، فقيل ، إنه ما أعاد في ذلك الوقت عبارة قالها لأحد ، قال الصفي : « وهذا من التوسع في العبارة والقدرة على التفنن في أساليب الكلام ، وهو أمر صعب إلى الغاية » إلى أن قال - بعد أن قرئ بينه وبين واصل بن عطاء في تجنبه الراء ، وأما ابن زيدون فأقول في حقه : « أقل ما كان في تلك الجنيزة - وهو وزير - ألف رئيس عن يتعين له أن يشكر له ويضطر إلى ذلك فيحتاج في ذلك إلى ألف عبارة مضمونها الشكر وهذا كثير الغاية لاسيما من محزون فقد قطعة من كبده :
« ولكنه صوب القول إذا انبرت سحائب منه أعقت بسحائب . »
ومهما كان في هذا الخبر من الاسراف ، فإن بعضه كاف في الدلالة على فضله .
وكان ابن زيدون إلى ذلك إماماً من أئمة عصره حتى قال بعض الأدباء فيه :
« من لبس البياض ونظم بالحقى وقرأ لأبي عمرو وفقه للشافى وروى شعر ابن زيدون ،
قد استكمل الظرف » .

كامل كيلانى



في السجى^(١)

« نظم ابن زيدون هذه القصيدة الفياضة بالألم واللوعة والحزن ،
وهو في السجى ، وبث بها إلى صديقه الوزير الكاتب
أبى حصن بن برد »

مَا عَلَى ظَنِّى بَاسٌ^(٢) يَجْرَحُ النَّهْرُ وَيَأْسُو^(٣)
رُبَّمَا أَشْرَفَ بِأَلَمِ عَلَى الْآمَالِ يَاسُ
وَلَقَدْ يَنْجِيكَ إِغْفَاً لَوْ يُرِيدُكَ^(٤) أَحْتَرَأُ
وَالْمَحَازِيرُ سِيَاهُ وَالْمَقَادِيرُ قِيَاسُ^(٥)
وَلَكُمْ أَجْدَى^(٦) قُودُ وَلَكُمْ أَكْذَى^(٧) التَّيَاسُ
وَكَذَا النَّهْرُ^(٨) - إِذَا مَا عَزَّ نَاسٌ - ذَلَّ نَاسُ
وَبُنُو الْأَيَّامِ أَخِيَا فَسَرَّاهُ وَخِيسَا^(٩)

(١) جاء في ثلاثة النسخ :

١ - وله ضد فقد الوفاء من ألامه ، يخاطب أبى حصن بن برد ، وقد حار ولم يجد حادياً ، وصار رهيناً
يخرجو نادياً ، وعلم أن الناس مقلوبون ، وعلى من اقلب النهر مقلوبون ، لا يدينهم في الشدة إخاء ، ولا
يلتهم من ذوى الخطوة زهر ولا اعتناء .

ما على ظنى بأس يجرح النهر ويأسو

قد ذكرت بترتيب يخالف هذا الترتيب الذى نقله عن نسخ الديوان .

(٢) ويروى : « ما على ظنى بأس » . (٣) يداوى . (٤) وفي رواية : « ويؤذيك احتراؤى »
(٥) جمع قوس : عن يعقوب وأبى جريد فهو على ضال ، وأصله قواسى تلبت الواو ياء لمناسبة الكسرة ،
شاهده قول الناقب :

« ووتر الأساور الفياضة صندية تنزع الأغاسا »

(٦) ألقى : أو أباد . (٧) ائشق ولم يتر - يقول : كثيراً ما يكون القعود عن الطلب سبباً في
الظفر والقوز والسعى سبباً في الاغراق والحرمان ، وقد تهافت الشراء على هذا للمنى كثيراً ، ومن أحسن
أجاء فيه قول ابن زريق :

والسعى في الرزق والأرزاق قد قسمت بنى ألا إن بنى بلراء بصرعته

(٨) في رواية : « وكذا الحكم » .

(٩) الناس أخفاف : أى مختفون ، هريف وخيس . قال أحد الأمراء : « الناس أخفاف وشهيق الشيم »

نَلْبَسُ الدُّنْيَا ، وَلَكِنْ مُتَعَمِّدًا ذَاكَ الْبَاسُ (١)
يَا أَبَا حَفْصٍ وَمَا سَا وَكَ فِي هَمِّهِ وَإِلَيْ (٢)
مِنْ سَتَا (٣) رَأَيْكَ لِي فِي هَسَقِ (٤) الْخَطْبِ أَتَبَاسُ
وَوَدَّادِي لَكَ نَص (٥) لَمْ يُخَالِفْهُ قِيَا (٦)
أَنَا حَزِينَانُ وَلِلْأَنْزِ وَضُوحِ وَالْبَاسُ
مَا تَرَى فِي مَعْشَرِ حَا لُوا عَنِ الْعَهْدِ وَخَاسُوا (٧)
وَرَأَوْنِي سَامِرِيَا (٨) يَتَّقِي مِنْهُ الْمَسَا
أَذُوبُ هَامَتِ يَلْخِي قَاتِلَهَا (٩) وَأَتَبَاسُ
كُلُّهُمْ يَسْأَلُ عَنْ حَا لِي وَلِلْأَذُوبِ أَعْفَسَا (١٠)

(١) يشير إلى قوله تعالى : « وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور » .

(٢) هو القاضي إياس بن معاوية بن إياس الذي ولي القضاء في زمن عمر بن عبد العزيز ، وكان يضرب به المثل في الألمية :

والألمى الذي يظن بك الظن كان قد رأى وقد سما

إياس هذا هو من عنه المبررى بقوله في اللقمة السابعة « فإذا ألمقي ألمية ابن عباس ، وفراشي فراسة إياس » وعنه أبو تمام في قصيدته الجنية بقوله :

أقدم عمر في ساحة حاتم في حلم أحف في ذكاء إياس

(٣) من ضوء رأيك (٤) ظلة (٥) النسي : السند للقطوع بصحة والتصين على شيء ، وهو في عرف الفقهاء مقطوع بصحته فلا يخالفه قياس ، فكأنه يقول : إن وداي مسند إليك ، أو هو موقوف عليك ، أو متعين لك ، وقد استعمل الشاعر لفظي النسي والقياس في الشعر ، وهما من مصطلحات الفقهاء على عادة في ذلك ، وهو يشير بذلك إلى اصطلاح الفقهاء إذ يعتبرون النسي والقياس من مآخذ الأحكام الشرعية ، والأول صريح نطق القرآن أو الحديث ، والثاني إلقاء قضية - لا نسي فيها - بعبارة أخرى منصوبة لاشتراكها في حق حكم الأول (٦) وفي رواية : القياس

(٧) خانوا (٨) السامري : عظيم من بني إسرائيل عبد العيل . قال الكشاف : هو ب في الدنيا بقوة لاهي . ألم منها وأوحش ، وذلك أنه منع من مخالطة الناس منأ كيا ، وحرم عليهم ملاقاته ومكالمته ومباينته ومواجهته وكل ما يباين الناس به بعضهم ، وإذا من أحدأ رجلا أو امرأة حم الملس والموسر ، تحلى الناس وتماوه ، وكان يصيح في الناس « لا مساس » .

(٩) الاتيهاش بالعين : الأخذ بالأشراس ، والين : الأخذ بمقدم الأستان ، وفي رواية : فالتباب واتيهاش (١٠) طلب الصيد باليل ، ومنى الأبيات أن أعداءه كالتباب لايتون عن نهش لحي ، متظاهرين بالودود له والاشفاق عليه ، فهم يسألون عن حله متجسسين ، كما يجسس القرب ليصرف مواطن فريسته .

* *

إِنْ قَسَا الدَّهْرُ فَلَمَّا ۝ مِنْ الصَّخْرِ أَنْجَلَسُ^(١)
وَلَنْ أَمْسَبْتُ غَيُوبًا ۝ فَلَقِيتُ أَخْبَاسُ
يَلْبُدُ^(٢) الْوَرْدُ السَّبْتِي ۝ وَلَهُ بَعْدُ أَفْرَاسُ

* *

فَتَأْمَلُ كَيْفَ يَنْشُ ۝ مُقَلَّةَ الْمَجْدِ النَّاسُ
وَيَقُتُ الْمَسْكُ فِي التَّرْ ۝ بِ قِيَوْمًا وَيُدَاسُ

* *

لَا يَكُنْ عَهْدُكَ وَرَدًا ۝ إِنَّ عَهْدِي لَكَ آسُ^(٣)
وَأَدِرْ ذِكْرِي كَأَسَا ۝ مَا أَمْتَعْتَ كَفَكَ كَلَسُ
وَأَغْنِمِ مَفْوَ اللَّيَالِي ۝ إِنَّمَا الْبَيْتُ أَخْلَاسُ
وَهَيَّ أَنْ يَسْمَعَ الدَّهْرُ ۝ رُقُ فَقَدْ طَالَ الشَّمْسُ^(٤)

(١) أى تنشق بطلع منه الماء ، وفى القرآن الكريم : « وإن من المجارة لما ينجبر منه الأنهار وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء » (٢) يعلق بالأرض ملازمًا عربيه لا يرحه والورد من أسماء الأسد ، والبتى الجري ، ومنه فى سفة ابن لؤلؤة قاتل عمر بن الخطاب رضى الله عنه . قول الفصيح :

جرى الله خيراً من حلم وباركت يد الله فى ذاك الأدم للرزق

وما كنت أخشى أن تكون وفاءه بكى سبتى أزرق العين مطرق

والبتى المر أيضاً ، وفى النخبة لابن بشار قوله : يبد الورد البتى البيت ، كقول الثانية :

وقلت يا قوم ان البيت مقبض على برائته الوثبة الغداوى

وأخذه ابن الروى قال :

سكنت سكوتاً كان وما لوثبة محاس كذاك البيت لوثب يبد

(٣) يقول : لا يمكن عهدك كالورد فى سرمة القول ، فإن عهدى دائم كالأس ، ويشعر حسنا الذى قول الصباى ابن الأحنف :

ولكننى شيهت بالورد مهدها وليس يدوم الورد والآس دائم

(٤) وفى رواية ثانية : « وقد طال التماسى » ومعنى الرواية الأولى : أن حيان الدهر وتمترده قد طالا .

ذكرى أيام الوصال^(١)

« كتب ابن زيدون هذه القصيدة الفذة ، تحسر فيها على
اقضاء أيام الوصال ويشكو فيها ما يحسه من الوجد المبرح
والألم القاسى ، وقد بحث بها إلى حبيته «ولادة بنت المستكفي»
أديبة الأندلس الفذة ، يستطفا ويتلف على أيام
الوصال السابقة »

أَضْحَى الثَّنَائِي بِدِيْلًا مِنْ تَدَانِيْنَا	وَنَابَ ^(٢) عَنْ طَيْبِ لَقِيْنَا بِجَافِيْنَا
أَلَا ^(٣) وَقَدْ حَانَ صَبِيحُ الْيَتِي صَبَحْنَا	حِينَ قَقَامَ بِنَا لِلْحَسَنِ نَاعِيْنَا
مَنْ مَبْلُغُ الْمَلْبِسِيْنَا يَا تَزَاهِيْجِمْ	حُزْنَا مَعَ الْدَهْرِ لَا يَتَلَى وَيُتْلِيْنَا
أَنَّ الزَّمَانَ الَّذِي مَارَّالْ يُضْحِكُنَا	أَنَسَا بِقُرْبِهِمْ قَدْ مَادَ يُنْكِيْنَا
غَيْظَ الْمَدَامِيْنَ تَسَاقِيْنَا الْهَوَى قَدْ عَوَا	بِأَنَّ نَقَصَ ^(٤) فَقَالَ الدَّهْرُ آمِيْنَا
فَانْجَلْ مَا كَانَ مَمْقُودًا بِأَنْفُسِنَا	وَأَنْبَتَ مَا كَانَ مَوْصُولًا بِأَيْدِيْنَا
وَقَدْ نَكُونُ وَمَا يُخْفَى تَفَرُّقُنَا	فَالْيَوْمَ نَحْنُ وَمَا يُرْجَى تَلَاقِيْنَا

(١) جاء في ولادة الغيلان :

« ولم يزل يروم دنو ولادة فيسخر ، ويباح منه دونها ويهدر ، لسوء أثره في ملك قرطبة ووالها ، وقبائح
كان ينسبها إليه ووالها ، أخذت بين جهور عليه ، وسدعت أستم إليه ، فلما يش من لقياها ، وحجب
منه عيها ، كتب إليها يستدعي عهدها ، ويؤكد ودعا ، ويختر من فراقها بالخطب الذي يشبه ، والامتناع
الذي خشي ، وبلغها أنه ملسا لها بجر ، ولا خيا ما بين منلوها لها من ملتب جر ، وهي قصيدة ضربت
في الإبداع بهم ، وطلعت في كل خاطر وروم ، وتزعت متزعاً قصر عنه حبيب وابن الجهم »

وقد طرأ هذه القصيدة كثير من الشراء - من قداما ، ومحدثين - وقد أثبتنا شيئاً من ذلك في غير هذا
الكتاب من الكتاب للبرج إليه من شاء . (٢) رواية الديوان « بأن » .

(٣) لغة في حلا ، والمعين الملاك ، وللفي حلا سبعا الملاك صيغة يوم الفراق - كالله المهر وللوت
في نظر الشاعر سيال مادام كلاما يبعده من عبه وهووا بل للوت أروح لأنه فراق اضطرار ، أما
المهر فانه عن اختيار (٤) غس بلما . هرق به أو وقف في حله .

* *

يَا لَيْتَ شِعْرِي وَلَمْ تُنْسِبْ^(١) أَهَادِيكُمْ
لَمْ نَمْتَقِدْ بَعْدَكُمْ إِلَّا الْوَفَاءَ لَكُمْ
هَلْ نَالَ حَطًّا مِنَ الثَّمَنِ أَهَادِيَنَا
رَأْيَا وَلَمْ تَتَقَلَّدْ غَيْرَهُ دِينَا
مَا حَقُّنَا أَنْ تُقِرُّوا عَيْنَ ذِي حَسَدٍ
بِنَا وَلَا أَنْ تُسْرُوا كَاشِحًا فِينَا

* *

كُنَّا نَرَى الْيَأْسَ تُسْلِينَا عَوَارِضُهُ
وَقَدْ يَلِينَا قَا لِلْيَأْسِ يُغْرِينَا^(٢)
بِنْفَمِ^(٣) وَبِنَا قَا أَتَلَكْتَ جَوَامِعُنَا
شَوْقًا إِلَيْكُمْ وَلَا جَفَتْ مَا بَيْنَا
نَكَلُّ حِينَ تَنَاجِيكُمْ ضَامِرُنَا
يَقْضِي عَلَيْنَا الْأَسَى^(٤) وَلَا تَأْسِينَا^(٥)
حَالَتْ لِفَقْدِكُمْ أَيَّامُنَا فَقَدَتْ
سُودًا وَكَانَتْ بِكُمْ يِيضًا لِيَالِنَا
إِذْ جَانِبُ الْعَيْشِ طَلَقَ مِنْ تَأَلُّفِنَا
وَمَزَجَ اللَّهُوَ صَافٍ مِنْ تَصَافِينَا
وَإِذْ هَضَمْنَا^(٦) قُتُونُ^(٧) الْوَصْلِ دَانِيَةً
لَيْسَتْ^(٨) عَهْدُكُمْ عَهْدُ السُّرُورِ قَا
لَا تَحْسَبُوا تَأْيِيدَكُمْ عَنَّا يُقِيرُنَا
فَلَا تَحْسَبُوا تَأْيِيدَكُمْ عَنَّا يُقِيرُنَا
إِنْ طَالَمَا غَيْرَ الثَّأْنِ الْمُحِينَا

(١) أحبه أعطاه الشيء أى أرضاه ، يقول : إنما لم أرض أعداءكم ، فهل أتم كذلك لم أرضوا أعداءنا

(٢) كنا نظن أن اليأس يلى ، فإ بال بأسنا منكم يزيدنا ولو ما بكم ، وفي هذا المعنى يقول المجهنون :

أليس وعدتى يا قلب ائى إذا ما نيت عن ليلى تنوب
فها أنا تأتب عن حب ليلى فلك كما ذكرت مذوب

(٣) بدم وبسنا (٤) المود (٥) الصدى

(٦) حصر الثمن : إمائه (٧) ضروبه وآلواؤه أو القنود جمع قن ، وهو الثمن وما تشعب

منه ، ففى السلا (قال أبو المهب : القنود تكون فى الأضنان ، والأضنان تكون فى الشعب ، والشعب

تكون فى السوق) فكان الشاعر استعار الوصل أفتانا بصرها أى يملها إليه كلام أراد انطلاق زهرها ،

واجتهاد عمرها (٨) أى ستيأ لمهكم عهد السرور أى بإبدال الثانى من الأول ليتبين وترجعه

وَأَقْبَهُ مَا طَلَبْتَ^(١) أَهْوَاؤُنَا بَدَلَا مِنْكُمْ وَلَا أَنْصَرَفَتْ عَنْكُمْ أَمَانِينَا

* *

يَلْمِزَارِي الْبَرْقِ قَادِ^(٢) الْقَضَرِ وَأَسْقِي بِهِ
وَأَسْأَلُهُ هُنَالِكَ هَلْ عَنَى^(٣) تَذَكُّرُنَا
وَيَا نَسِيمَ الصَّبَا بَلِّغْ تَحِيَّتَنَا
فَهَلْ أَرَى الدَّهْرَ يَقْضِينَا مُسَاعِفَةً^(٤)
مَنْ كَانَ حَيْرَفَ الْهَوَى وَالْوُدُ بَسْقِينَا
إِلْقَا تَذَكُّرُهُ أَمْنِي يُعْثِينَا
مَنْ لَوْ عَلَى الْقُرْبِ حَيًّا كَانَ يُحْيِينَا
مِنْهُ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ حَيًّا تَقَاضِينَا^(٥)

* *

رَيْبُ مَلِكٍ كَانَ اللَّهُ أَنْشَأَهُ
أَوْ صَاغَهُ وَرَقًا^(١) تَحْضًا وَتَوَجَّهَ
إِذَا تَأَوَّدَ آدَتُهُ رَفَاعِيَّةً^(٢)
كَانَتْ لَهُ الشَّمْسُ ظِلًّا^(٣) فِي أَكِلَتِهِ^(٤)
كَأَنَّمَا أَثْبَتَتْ فِي صَحْنٍ وَجْتَتِهِ
زُهْرُ الْكَوَاكِبِ تَعْوِيذًا وَتَرْيِينًا^(٥)
مِنْكَأ^(٦) وَقَدَّرَ إِنْشَاءَ الْوَرَى طِينًا
مِنْ نَاصِعِ الثَّبْرِ إِبْدَاقًا وَنَحْسِينَا
تَوْمَ الْمُقَوِّدِ وَأَدَمَتَهُ الْبَرَى لِينَا^(٧)
بَلْ مَا تَجَلَّى لَهَا إِلَّا أَحَايِينَا
زُهْرُ الْكَوَاكِبِ تَعْوِيذًا وَتَرْيِينًا^(٨)

(١) وفي رواية : « ما اطربت » استجدت ، بدلا طريقا ، بهم آه ما استحدثت هوى جديدا بعد

هوى أحبابه ، (٢) باكره بالتمام أول النهار

(٣) حل شغل من تأله تذكرنا كما شغلنا تذكره .

(٤) الثب في الزيادة أن تكون كل أسبوع ، ولتصود هنا الفة . يقول الشاعر :

إننا لم نطفئ الوصال من الحر حبا ، ولكننا هانيناه بالخالج ، فهل ترى البحر - بعد هنا -

يسفنا باللقاء ؟

(٥) ليس هذا المحبوب غلظا من طين أو تراب كثر البصر كلا ، وإنما هو طينة من المسك ولا زال

الغبراء المحبون يظفرون فيمن يحبون إلى الآن ، حتى قال بعضهم أخيرا لمحبوبه :

أنت روحانية لا دمي أن هذا الحسن من طين ومله

(٦) فضة ، يريد أن الله أبهجه ناصع الياض وتوجه بشعر فمي (٧) يقول إذا تلى آدته أي

أحلقه وشغل حلقها عليه (توم) أي لال العقود وجرحه (البرى) أي الخلائيل ، وذلك لرافاته

(٨) مرمزة (٩) لجمع كله : ومع سفر البريق بقي من البعوض

(١٠) يعني أن جماله استمدار زهر الكواكب لتكون زينته له ، وتوسيله من هيولنا سديه

مَلَصَرَّ أَنْ لَمْ تَكُنْ أَكْفَاهُ شَرْفًا وَفِي الْمَوَدَّةِ كَافٍ مِنْ تَكَاثُفِنَا

* *

يَا رَوْضَةَ طَالَمَا أَجِئْتُ لَوَاحِظِنَا وَرُودًا جَلَاءَ الصَّبَا غَضًّا وَنَسْرِنَا
وَيَا حَيَاةَ تَمَلِّينَا ^(١) بِزَهْرِيهَا مُنَى ضُرُوبًا وَلَدَاتِ أَفَانِنَا
وَيَا نَعِيمًا خَطَرْنَا مِنْ غَضَارَتِهِ ^(٢) فِي وَشِي ^(٣) نَعْمَى سَحْبِنَا ذَيْلُهُ جِينَا
لَسْنَا نَسْمِيكَ إِجْلَالًا وَتَكْرِمَةً وَقَدْرُكَ الْمُتَعَلِّي عَنْ ذَاكَ يُغْنِينَا
إِذَا انْقَرَضَتْ وَمَا شُورِكَتْ فِي حَقِّهِ فَحَسْبُنَا الْوَصْفُ إِضَاحًا وَتَبْيِينَا

* *

يَا جَنَّةَ الْخُلْدِ أَبَدَلْنَا بِسِدْرَتِهَا وَالْكُوْثَرِ الْعَذْبِ زُقُومًا وَغَسَلِينَا
كَأَنَّا لَمْ نَبْتَ وَالْوَصْلُ ثَالِثُنَا وَالسُّمْدُ قَدْ غَضَّ ^(٤) مِنْ أَجْفَانِ وَأَشِينَا
مِرَّانٍ فِي خَاطِرِ الظُّلَمَاءِ يَكْنُثُنَا حَتَّى يَكَادَ لِسَانُ الصَّنِيعِ يُغْشِينَا ^(٥)
لَا غَرَوْ فِي أَنْ ذَكَرْنَا الْحُزْنَ حِينَ نَهَتْ عَنْهُ التَّهْنِئَةُ وَتَرَكْنَا الصَّبْرَ تَأْسِينَا
إِنَّا قَرَأْنَا الْأَمْسَى يَوْمَ النَّوَى سُورًا مَكْتُوبَةً وَأَخَذْنَا الصَّبْرَ تَلْقِينَا

(١) تَحَنُّنًا وَنَعْمًا

(٢) لَفْظُهُ وَخَلَفَهُ (٣) فِي لَمَعَى كَالْوَبِّ الْعَنَاقِ ذِي الْوَشْيِ أَيْ الْفَتَشِ .

(٤) أَنَامَهُ هَذَا غَلَمٌ يَتَى بِنَا

(٥) قَالَ ابْنُ بِلَالٍ : وَهُوَ مَعْنَى مَعْمُورٍ وَهُوَ فِي الشَّرْكَاءِ ، قَالَ أَبُو الطَّيِّبِ :

أَزْوَاجُهُمْ وَسَوَادُ اللَّيْلِ يَتَفَعَّلُ فِي وَأَتَى وَيَبْشُرُ الصَّبْحَ يَبْشُرُ فِي

هَلْ أَنْ أَمَا الطَّيِّبُ أَجَدَ وَكَرِهَهُ فِي مَوَاضِعَ مِنْ شِعْرِهِ كَقَوْلِهِ :

لَا تَلْقُ إِلَّا بِلَالًا مِنْ تَوَاصِيهِ فَالْعَنَسُ تَعْلَمُهُ وَاللَّيْلُ قَوَادِ

وَكُلٌّ مِنْ إِلَى هَذَا لَمَعَى أَشَارَ ، لِحْوَالِ اللَّيْلِ دَارَ ، وَهُوَ قَوْلُهُمْ : « اللَّيْلُ أَخْبَرُ الْوَيْلِ »

قَوْلُهُ : وَلَمْ تَرَفِ فِي حَذِّهِ الْعَنَاقِ ذَكَرَهَا ابْنُ بِلَالٍ أَيْ وَأَغْرَفَ مِنْ قَوْلِهِ ابْنُ زَيْدٍ :

« مِرَّانٍ فِي خَاطِرِ الظُّلَمَاءِ » الخ

أَمَا هَوَالِكِ قَلَمٌ تَعْدِلُ عَنْهُلَهُ شُرْبًا وَإِنْ كَانَ يُزِينُنَا فَيُظْمِنُنَا^(١)
لَمْ تَجْعَلْ أَفْقَ جَمَالِ أَنْتِ كَوَكْبُهُ سَالِينَ عَنْهُ وَلَمْ تَهْجُرْهُ قَالِينَا
وَلَا اخْتِيَارًا تَجَبُّنَاهُ عَنْ كَتَبِ لَكِنْ عَدَّتْنَا عَلَى كَرَمِ عَوَادِينَا^(٢)
نَأْمَى عَلَيْكَ إِذَا حُثَّتْ مُشْعَشَعَةً^(٣) فِينَا الشَّمُولُ وَغَنَانَا مُغْنِينَا
لَا كَوْسُ الرِّاحِ تُبْدِي مِنْ شَمَائِلِنَا سِيمَا أَرْتِيحِ وَلَا الْأَوْتَارُ تُلْهِمُنَا
دَوِي عَلَى النَهْدِ مَا دُمْنَا مُحَافِظَةً فَالْحُرِّ مِنْ ذَانِ إِنْصَافًا كَمَا دِينَا^(٤)
فَمَا اسْتَعَضْنَا خَلِيلًا مِنْكَ يَحْبِسُنَا وَلَا اسْتَعْدَدْنَا حَبِيبًا عَنْكَ يَنْقِصُنَا
وَلَوْ صَبَا^(٥) نَحْوَنَا مِنْ غُلُوِّ مَطْلَمِهِ بِذُرِّ الدُّجَى لَمْ يَكُنْ حَاشَاكَ يُصْنِفُنَا
أَبْنَى وَقَلَّةً - وَإِنْ لَمْ تَبْدُلِي صِلَةً - فَالطِّيفُ يُقْنِعُنَا وَالَّذِ كُرُّ يَكْفِينَا
وَفِي الْجَوَابِ مَتَاعٌ إِنْ شَفَعْتَ بِهِ يِضْنَ الْأَبَادَى الَّتِي مَارَتْ تُولِينَا
عَلَيْكَ مِنَّا سَلَامٌ اللَّهُ مَا بَقِيَتْ صَبَابَةٌ بِكَ تُخْفِيهَا^(٦) فَتُخْفِينَا

(١) قال ابن بشار : « وهذا معنى متداول من أشهره قول القائل :

وهي إذا ما لزدعت من سره وبها تناك الروى طلائنا

كالحر - أروى ما يكون الحق من شربها - أطفئ ما كانا

ولابن الروي لما يناسب من بعض الوجوه :

« يا رب وهي بات بدو الهوى يجيبك بين تنائك

يروى ولا ينالك من سره ولما يرويك وينبك »

(٢) لم تجنبه عن كتب أي قرب اختياراً ، ولكن صرفنا على كرمنا شواغلنا .

(٣) ممزوجة : أي تحزن ليناك من مجلسنا إذا حثت الشمول للبروجة (٤) دوى عافضة على

العهد مادنا عافطين فالحر للصف يجرى كما جوى

(٥) مال (٦) أخفيت القى أخفيه سقره ، وخفيته أخفيه تأنى بمن سقره ، وبمعنى أظهرته ،

وعلى ذلك قوله « تخفيا » أي نترها « فتخفينا » بفتح أوله أي نظهرنا ، وشاهد خفاء يخفيه أي ي

أظهره . قوله :

فان تكتنوا السر لا تخفه وإن تجشوا الحرب لا تمد

وقوله تعالى في قراءة « أكاد أخفيا » بالفتح أي أظهرها .

في مدح ابن جهور^(١)

مَا لِمُدَامِ تُدِيرُهَا عَيْنَاكِ قَيْمِلُ فِي سُكْرِ الْعَبَا عِطْفَاكِ
هَلَّا مَرَجْتَ لِمَا شَفِيكَ سَلَاهَا يَرُودُ ظَلَمِكَ أَوْ يَعْذِبُ لَمَّاكِ^(٢)
بَلْ تَمَاعَلِيكَ وَقَدْ عَمَضْتُ^(٣) لَكَ الْهَوَى فِي أَنْ أَفُوزَ بِمُحْضَرَةِ الْمَسْوَاكِ^(٤)
نَاهِيكَ ظَلَمًا أَنْ أَضْرِبَ فِي الصَّدَى^(٥) بَرَحًا^(٦) وَقَالَ الْبُرَى عُدُّ أَرَاكِ

* *

وَاهَا لِعِطْفِكَ وَالزَّمَانُ كَأَنَّمَا صَبِفَتْ غَضَارَتُهُ^(٧) يَرُودُ صَبَاكِ
وَاللَّيْلُ مَهْمَا طَالَ قَصَرَ طَوْلُهُ هَاتِي وَقَدْ غَفَلَ الرَّقِيبُ وَهَاتِي
وَلَطَمًا أَعْلَى النَّسِيمِ فَخَلَّتْ شَكْوَايَ رَمَتْ فَاقْتَضَتْ شَكْوَاكِ
إِنْ تَأَلَّفِي سِنَّةَ التَّوَدُّمِ خَلِيَّةٌ فَلَطَمًا نَافَرَتْ فِي كِرَاكِ^(٨)
أَوْ تَحْتِي بِالْهَجْرِ فِي نَادِي الْقَلَى فَلَكُمْ حَلَّتْ إِلَى الْوِصَالِ حُبَّاكِ^(٩)

* *

أَمَّا مَنَى تَفْسِي فَأَنْتِ جَمِيعُهُمَا يَا لَيْتَنِي أَصْبَحْتُ بَعْضَ مَنَّاكِ
يَذْنُو بِوَصْلِكَ حِينَ شَطَّ مَرَاؤُهُ وَهُمْ أَكَاذُ بِهِ أَقْبَلُ فَلاكِ

(١) صدى كثير من الشعراء المعاصرين لمسة هذه القصيدة وقد ذكرنا طرفاً من ذلك في غير هذا المكان من الكتاب نرجع إليه من شاء .

(٢) العظم : ماء الأسنان أو برقيها ، والى : سعة في الفة (٣) أخلعت

(٤) يقول : ما ضربك - بعد أن أخلعت لك الهوى ، وعمنك الحب أن أفوز منك بمحض المسواك .

(٥) العطش الشديد (٦) مفة وشدة (٧) بهجة . يقول الشاعر : ما أحسن صلفك

فيها مفي والزمان كأنما صبت بهجة بما كبت أنت به من برد الشباب (٨) يقول أن تمتدني النوم

الآن خالية غير مبالية بي ، فكثيراً ما أسعدك الهوى ، وما ديت في نومك (٩) احبي بالتوب اشتغل

والهوى كمدى جمع حبة مثلك الماء ، فكان الشاعر يقول : إن نعلني في نادى البنس (القل) بحبيرة

أو مثقلة بحبة الهجر ، فكثيراً ما فرغت إلى الوصال ، وحلت لأجل حبك .

وَلَنْ تَجْتَنِبَ الرِّشَادَ بِذَرَّةٍ لَمْ يَهْوِي فِي النَّفْيِ غَيْرُ هَوَاكَ (١)

* *

لِلْجَهَنزِيِّ أَبِي الْوَلِيدِ خَلَّاقُ
مَلِكِ يَسُوسُ الدَّهْرَ مِنْهُ مُهَذَّبُ
جَارِي أَبَاهُ بَعْدَ مَا فَاتَ الْمَدَى
تَحْمَسُ النَّهَارَ وَبَذَرَهُ وَتُجْوَمُهُ (٢)
يَسْتَوْضِحُ السَّارُونَ زُهْرَ كَوَاكِبِ
بُشْرَاكِ يَا دُنْيَا وَبُشْرَانَا مِمَّا
كَارَوْضِ أَنْحَاكُهُ النَّعَامُ الْبَنَّاكِي
تَذِيرُهُ لِلْمَلِكِ خَيْرٌ مِلَاكِ (٣)
فَتَلَاهُ بَيْنَ الْقَوَاتِ وَالْإِذْرَاكِ
أَبْنَاؤُهُ مِنْ فَرْقَدٍ وَصِمَاكِ (٤)
مِنْهُمْ تُبِيرُ غَيَابَ الْأَخْلَاكِ (٥)
هَذَا الْوَزِيرُ أَبُو الْوَلِيدِ فَتَاكِ (٦)

* *

ثَلَاثُ السِّيَادَةِ نَمَّ إِنْ أَضْلَفْنَا (٧)
وَمَتَّى فَتَقَدَّتِ السَّرَوُ فَهَوَ هُنَاكِ
وَإِذَا سَمِعْتَ بِوَاحِدٍ جُمِعَتْ لَهُ
فِرْقُ الْمَحَاسِنِ فِي الْأَنَامِ فَذَلِكَ
صَمَصَامُ بَادِرَةِ وَطَوْدُ سَكِينَةِ
وَجَوَادُ غَايَاتِ وَجِذْلُ حِكَاكِ (٨)

(١) الذي لئن وقت في النفي بسبب شرك في غاي أن لم يوقن في النفي غير هواك .

(٢) ملاك الأمر : بكسر الميم ، أي قوامه الذي يحكم به .

(٣) الفرند والملك من التجميم النيرة (٤) ثم للترشددين برأيهم إذا دجت الحوادث أمثال

التجميم الزمر السارين في ظلمات الليل البهيم (٥) وجاء بعد هذا البيت بحر بيت ثالث هكذا : -
(وصفت جامك واستغفرت جنك)

(٦) ذهبت عطف ونعت ، والحظية للدنيا في قوله « بشارك يا دنيا » .

(٧) اللزوء والغرف والوصف على فصيل يقال سرو سرو فهو سري (٨) البادرة الحقة ، والجفل أصل صبره قطع رأسها أو هود ينصب في المعن لتعطف به الابل الجري يقال هو جفل حكاك ، وم جفل حكاك ، ومنه قوله الجلب بن النضر الأصمري يوم سقفة بني ساعدة « أنا جديها الحكة ، وعذيقها للرجب » أي إنه يشتغل برأيه وعطه وتجاريه في الأمور كما تشتغل الابل الجري جفا الجفل ، ومنه البيت أنه مصمم كاليف في النصب ثابت كالطوء في الظلم سباق إلى الملائك يحرب يفتن برأيه صلب لا يجلن مكسره .

طَلَّقَ يُفْتَدُ فِي السَّمَاحِ ، وَجَاهِلٌ مَنْ يَسْتَعْفِفُ النَّارَ بِالْمَحْرَالِ (١)

✱ ✱

سَمِعَ الْعَصْبِيرَ إِذَا أَلْجَأَ يُحْمَرُ (٢) يُعْنَاهُ فِي إِهْمَلٍ وَفِي إِشْكَ (٣)
تَظَمَ الْبَلَاغَةَ فِي خِلَالِ سَطُورِهِ تَظَمَ اللَّائِي الثَّوَمَ فِي الْأَسْلَافِ
فَادَى مَسَاعِيَهُ الزَّمَانُ مُنَافِسًا أَحْزَنْتِ كُلَّ قَضِيَّةٍ فَكَّفَاكَ
مَا الْوَرْدُ فِي مَجْنَاهُ مَاعَرَهُ النَّدَى مُشْعَلًا إِلَّا يَبْنُضُ حُلَاكَ
كَلَامًا وَلَا الْمِسْكُ النَّوْمُ (٤) أَرْجِيهِ مُتَعَطِّرًا إِلَّا بِوَسْمِ (٥) فَنَاكَ
الْهَوَىٰ ذِكْرُكَ لَا غِنَاهُ مُرْجِعُ يَفْتَنُ فِي الْإِمْلَاقِ وَالْإِمْتَالِ (٦)
طَارَتْ إِلَيْكَ بِأَوْلِيَاكَ إِهْرَةً تَهْفُو لَهَا أَسْفَا قُلُوبُ عِدَاكَ (٧)

✱ ✱

يَأْتِيهَا الْقَمَرُ الَّذِي لِسْتَأْمِرِ (٨) وَسَنَاهُ تَعْتَوِ السَّبْعُ فِي الْأَفْلَاقِ
فَرَحَ الرِّيَاسَةِ إِذْ مَلَكَتْ هِنَاتَهَا فَرَحَ الْمَرْوَسِ بِصِغَةِ الْإِمْلَاقِ (٩)

(١) الخبطة التي تحرك بها النثر ، وللمنى أنه بلش الوجه سمح وأن الكرم طيبة به وليس يزيده

هتيد الجاهلين إلا اعتماداً في كرمه كالنار يزيدها الحراك اشتغالا

(٢) يقال لسان صنع ، وشاعر صنع ، وبلغ صنع ، إذا كان حلقاً ماعراً ، وللمنى أنه كاتب واقع البيان

سبل روحه وإسراعه (٣) صحيفة (٤) لإسراع

(٥) صيغة مبالغة من تم للملك سطم ، والأربع توضح ربح للملك

(٦) الوسم : العلامة والفتاء وللدهج - يخاطب على لسان الزمان في هذا البيت والذي فيه مسامي المدوح
شعنا أن الورود في مجناه ليس متحلياً إلا ببعض حللها ، وأن للملك في سطوح أريجها لم يكن متعطرأ إلا من

الساكن بالفتاء (٧) ما الهوى إلا ذكر لك السامي لاختفاء مرجع يطلق في الفتاء صوته وبمكة .

(٨) طارت : أسرع ، والمخطاب السامي ، والظرة تحرك في نقاط وإرتجاج ، وللمنى أسرع إليك أيتها

السامي مواكب بالأولياء ، وقد خفت لها حواً قلوب الأعداء

(٩) النساء بلذذ الرقة والفرح النوى (١٠) هدد التلحاح

مَنْ قَالَ إِنَّكَ لَسْتَ أَوْ حَذَفِ الثَّمَرِ وَالصَّالِحَاتِ فَذَانِ (١) بِالْإِشْرَاكِ
قَلْدِي الرُّأْيَ الْجَمِيلَ فَإِنَّهُ حَسْبِي لِيَتَوَنَّى زِينَةً وَعِزًّا
وَإِذَا تَحَدَّثْتَ الْحَوَادِثُ بِالزَّانَا شَرًّا إِلَى قَتْلِهَا إِيَّاكَ (٢)
هُوَ فِي ضَمَانِ الْعَزْمِ يَنْبَسُ وَجْهَهُ لِلْعُطْبِ وَالْخُلُقِ النَّدَى الضَّحَاكِ (٣)

* *

وَأَحْمَ ذَارِي تَضَاعَفَ عِزُّهُ لَمَّا أَهِنَ بِمَسْحَقٍ وَمَذَاكِ
وَالدَّجْنُ لِلشَّمْسِ الْمُنِيرَةِ حَاجِبٌ وَالْجَفْنُ مَثْوَى الصَّارِمِ الْفَتَاكِ
هَنَاتُكَ مَحْتَكُ أَلْبَى لَوْ أَنَّهَا شَخْصٌ أَتَاوَرُهُ لَقُلْتُ هَنَاكِ
دَامَتْ حَيَاتُكَ مَا اسْتَدْمَتَ فَلَمْ تَزَلْ تَحْيَا بِكَ الْأَخْطَارُ بَدَّ هَلَاكِ

ذكرى ولادة (١)

وَدَّعَ الصَّبْرَ حُبًّا وَدَّعَكَ ذَائِعٌ مِنْ مِيرِهِ مَا اسْتَوْدَعَكَ
يَقْرَعُ السَّنَّ عَلَى أَنْ لَمْ يَكُنْ زَادَ فِي تِلْكَ الْخَطَا إِذْ شَبَّكَ
يَا أَخَا الْبَدْرِ سَنَا وَسَنَا حَفِظَ اللَّهُ زَمَانًا أَطْلَمَكَ
إِنْ يَطْلُ بَعْدَكَ لَيْلِي فَلَكُمْ بَثُّ أَشْكُو قَصْرَ اللَّيْلِ مَتَكَ

(١) أى فذلك الذى قال إنك لست أَوْحَدَ فيها قد دان بالعرك
(٢) إذا الحوادث تحدثت بالنظر إلى مؤخر عينا ، قل لها حذر (٣) هو أى ذلك الذى تهم
الحوادث أن تنظر إليه شرراً في ضلال عزم المدح المايس في وجه الحوادث وفي ضمان خلقه الندى أى
السخرى الضاحك من ثور الأمان .
(٤) جاء في قلادة السيفان :

ولما رحل عنه من كان يهواه ، وفاجأه بيت وتواه ، فابره قليلا وملشاه . وهو يخوم ألم الفراق حق
عشاه ، فاستجبل الوداع ، وفي كبه ما فيها من الاصراع ، فأظم يومه بمجلة للفرجوع ، وبات ليده نلر
الجعوج ، يردد الفكر ، ويحمد الذكر . فقال :
وتدعرا صاحب نفع الطيب هذه الآيات الأربعة إلى ولادة .

بعد الفرار من السجن^(١)

« بعد أن فرّ ابن زيدون من السجن أرسل يخاطب ولادة ويستنهض الأديب أبا بكر للشفاعة ويستنزل أبا الحرم ابن جهور وكان ابن زيدون مخفياً بقرطبة . فقال : « وبقي أنك أحد الأثمين لي ، ومن أمثالهم : « ويل للشجي من الخلى » ، وهان على الأملس^(٢) ما لاقى العبر^(٣) وعلمت أن العاجز من لا يسبق^(٤) ، فالمرء يعجز لا محالة ، ولم أستعجز أن أكون ثالث الأذلين - العبر والوند^(٥) .

وتذكرت أن الفرار من الظلم ، والحرب مما لا يطلق من سنان المرسلين ، وقد قال تعالى على لسان موسى : « ففرت منكم لما خفتكم »

فظفرت في مفارقة الوطن ، قديماً ضاع الفاضل في وطنه ، وكسد الطاق في معدنه ، كما قال :

أضيق في معشوى وكم بلد يكون عود الكباء^(٦) من حطبه
فاستخرت الله في إنفاذ العزم ، وأنا الآن حيث أمنت بعض الأمن
إلا أن التي لم يرتفع ، ومادة البقي لم تنقطع :

شَحَطْنَا وَمَا بِالْأَدَارِ نَأْيٌ وَلَا شَحَطٌ وَشَطَطٌ يَمْنُ نَهْوَى الْمَزَارُ وَمَا شَطَطُوا^(٧)

(١) جاء في تلاد الحيان :

وله عند فراره ، وخروجه من مراره ، وقد أقام بقرطبة متولوا يخاطب ولادة ويستنهض الأديب أبا بكر للشفاعة ويستنزل أبا الحرم بن جهور

(٢) الصحيح الظهر . (٣) الذي يظهره قرعته ، أي أن السليم الظاهر لا يحسن ألم أخيه للفروح الظهر . (٤) يشير إلى الجين للمهورين :

« ليت هنداً أتجوزت ما تعد وشفت أعينا مما تعد

واستبقت مرة واحدة إنما العاجز من لا يسبق »

(٥) يشير إلى قول القائل :

ولا يحوم على ضيق يراد به إلا الأذلان عبر الحلي والوند

هذا على الحلف مربوط برمته وما يشع فلا يرى له أحد

وابن زيدون يعني أنه جدير ألا يقيم على الذل ، وأن يحظى من الضيق بكل ما في وسعه ، وفيه رد الشفري إذ يقول :

« ولكن تساهرة لاجم في على الضيق إلا ربنا أجمعول »

(٦) حود البحور أو ضرب منه (٧) شحطت الدار : شحط بفتح الشين شحطاً وشحوطاً وشحط شحط بالضم يمشي . يقول : قربت دار من أموى ، ودنا مزولها . إلا أنه قرب في غاية البعد لاستحالة اللقاء .

أُحْبَابَنَا أَلَوْتَ بِحَادِثِ عَهْدِنَا حَوَادِثُ لَاعَقْدُهُ عَلَيْهَا وَلَا شَرَطُ^(١)
 لَعَمْرُكُمْ إِنَّ الزَّمَانَ الَّذِي قَفَى بِشَتْ جَمِيعَ الشَّمْلِ مِثْلًا لَمُشْتِ^(٢)
 وَأَمَّا الْكَرَى مُذْ لَمْ أُرْزَمْ فَهَاجِرُ زِيَارَتُهُ غِيبٌ وَإِلْمُهُ قَرَطُ^(٣)
 وَمَا شَوْقِي مَقْتُولِ الْجَوَانِحِ بِالصَّدَى إِلَى نُطْفَةٍ رَزَقَاهُ أَسْمَرَهَا وَقَطُ^(٤)
 بِأَبْرَحَ مِنْ شَوْقِي إِلَيْكُمْ وَدُونَمَا أَدِيرُ لِمَنَى عَنْهُ الْقَتَادَةُ وَالْخَرَطُ^(٥)
 وَفِي الرِّزْبِ الْإِنْسِيَّ أَحْوَى كِنَاسُهُ تَوَاحِي صَبْرِي لَا الْكَيْبُ وَلَا السَّقَطُ^(٦)

قال هذه القصيدة عند فراره من السجن واختفائه بخرطبة ، يخاطب بها ولادة من كتب وهو لا يمكن أن يدنو من دارها ، أو ينف لوازمها ، مشفقا أن يقع فريسة في يد من يمدو عليه أو يسطو ، ملازما عجايبه لا يترك ولا يخطو ، جاعلا الأدب « أبا بكر » حوضا من أبيه والقرى ، مستغنيا من أبي النوم ابن جهور الضبي ، شاكيا إليه فرط إصنائه ، إلى عصابة السوء من أصفاه ، راجيا أن يجره من شيعته ، على سابي طائفة ، وأن يخضع للشفاعة ، بعد طول البت والضراعة ، وأن يسقطه بطلبه ، وتغيب كرجه فان أبي أن ينس من قبه ذلك الضبط ، فأمره إلى من يديه التضي والبط .

(١) ألوت : ذهبت ، والقعد أوكد اليهود ، وللمنى ذهبت بمجديد عهدنا حوادث تجري صروفها على غير ملهوى وزيد ليس بيننا وبينها عهد نؤكده ، ولا شرط نعهدده (٢) الشت : التفريق ، والجميع : المجتمع ، والشتل : الاجتماع . يقال جمع الله شئك أى ماثلت من أدرك ، وقرق الله شئك أى ما جمع من أمره ، ومشتط : أى جاز فيها حكم به وقضى (٣) الكرى : النوم ، وزيارته غيب : أى يزور يوما بعد اقطاعه أباه ، ومنه « زوخبا ، زودجبا » والالمام مصدر ألم به زاره غبا ، والقرط :

بفتح فسكون الحين . يقال آتبه في القرط ، أى في الحين بعد الحين
 (٤) الجوانح : جنايا الضلع للطفلة على القلب ، والنطفة : الماء الصافي وتجميع على نطف : والوط : حر في الصخر يجمع فيها ماء السماء .

(٥) بأبرح بأشد برا مشقة وعذابا من شوقي ، أدبر للمنى عنه : أى ما أطالب للمنى بتركه والاصراف عنه من قولهم ، أدار فلانا من الأمر إذا طلب منه تركه . قال الشاعر :

يديرني من سلم وأديرم وجلة بين العين والأنت سلم

والقتادة الشجرة لصخرة ذات فئبان مججمة كل قضيب منها ملائ ماين أعلاه وأسفله شوكا كالابر ، وخرط القتادة اجتذاب شوكها من أعلى إلى أسفل بإسرا اليد مقبوضة على أعصابها ، وفي اللقل « من دون ذلك خرط القتادة » (٦) الرزب : السرب من الغطاء أو التغطية من بقر الوحش ، والانسى : مقابل الوحى أحوى في شعبة حرة ضاربة إلى البوادي ، والكئاس : مستقر من الشجر لقلباء كالبهت للالسان والبرق تمكن : فيه من الحر ، والكقيب الرمل المحذوب ، والبط : مثلث اللحاء الرقيق من الرمل حيث القبع مطبوع

غَرِيبُ قُنُونِ الْحُسْنِ يَرْتَاحُ دِرْعُهُ مَتَى صَاقَ ذَرْعًا بِاللَّيِّ عَازَهُ الرُّطُ^(١)
كَأَنِّ قَوَادِي يَوْمِ أَهْوَى مُودَعًا هَوَى خَافِقًا مِنْهُ يَحْيَتْ هَوَى الْقُرُطُ^(٢)
إِذَا مَا كِتَابُ الْوَجْدِ أَشْكَلَ سَطْرُهُ فِنْ زَفَرِي بِشَكْلٍ وَمِنْ عَبْرَتِي تَقْطُ^(٣)
أَلَا هَلْ أَتَى الْفَتِيَانُ أَنِّي فَتَاهُمْ فَرِيَسَةٌ مَنْ يَتَدَوُّ وَتَهْزُهُ مَنْ يَسْطُو^(٤)
وَأَنَّ الْجَوَادَ الْفَائِتَ الشَّوْرَ صَافِينَ تَحْوَنُهُ شَكْلٌ وَأَزْرَى بِهِ رَبْطُ^(٥)
وَأَنَّ الْحَسَامَ الْمَغْضَبَ نَارٍ يَجْفِيهِ وَمَا ذَمَّ مِنْ غَرِيْبَةٍ قَدْ وَلَا قَطُ^(٦)

* *

عَلَيْكَ (أَبَا بَكْرٍ) بَكَرْتُ بِيَمَّةٍ لَهَا الْخَطَرُ الْعَالِي وَإِنْ نَالَهَا حَطُ^(١)
أَبِي بَتَدَّ مَا هِيلَ التَّرَابُ عَلَى أَبِي وَرَهْطِي فَذَا جِبْنٌ لَمْ يَبْقَ لِي رَهْطُ^(٢)
لَكَ التَّعْمَةُ الْخَضْرَاءُ تَنْدَى ظِلَالُهَا عَلَى وَلَا جَعْدٌ لَدَيَّ وَلَا قَهْطُ^(٣)

(١) الدرع : اللقيص ، والرُّط : كساء من خرّ ونحوه يؤتز به ، والقبيص يحوز التهدين والمخسر ،
والرط : يحوز الردف ، والردف جميل ، والمخسر نحيل (٢) أهوى مال إليه حائلاً ظهره في حال
توديه ، وهوى القرط ، وهو ما يعلق في شعبة الأذن ، سقط متديلاً فهو يؤاذه منه خائفاً
(٣) أشكل سطره من أشكل عليه الأمر اختلط ولم يكن ، والشكل والقطع تليد الكتاب بحركات
الأعراب ، وإجماعه ليظهر مناه . يقول إذا أشكل على من أهوى كتاب الوجد أوحشته له بما أصمده من
زفرات ، واسلمه من عبرات (٤) الفتيان يريد بهم فتيل قرطبة ، والتهرة : الصيد للفرس لمن
يسطو عليه ويغنمه (٥) الشاور : الصانف : الذي يقوم على ثلاث ويبنى سبكه يده الزايع
تخونه وتخونه : تقصه ، ومنه قوله تعالى : « أو يأخذهم على تخوف » ، وشاهد تخونه بمعنى تقصه قول لبيد :
عذارة تلمس بالرداف تخونها نزولاً ولزحالي أي تنص لها وتغيبها
وشكل العاية : شدقوا منها مجمل ، وأزرى به : أهانه وحفره (٦) الحسام الضرب : السيف القاطع ، وأبو مقبل :
يريد أنه كالسيف المنفذ في جنة ، وما جيب من غريبه : أي حديد ، وهو انقطع طولا ولاقط ، وهو انقطع عرضاً .
(٧) بدأ يخاطب الأديب (أبا بكر) ويستنص منه ، ويذكر يده عنده . يقول : إن لي همّة عالية
لها خطرها بكرت بها عليك وتقوم بك قديما ، وإن قلنا لأن انحطاط يمد علو .
(٨) أنت أي بديقه أي وأنت وجدك رهطى جبن لم يبق لي رهط . (٩) غط النعمة غطاً لم
يشكرها أي لك عندي النعمة الخضراء التي تظللني ، والتي ملزمت أشكرها ولا أنكرها وأكبرها ولا أخفها .

وَلَوْلَاكَ لَمْ تَنْقُبْ زِنَادُ قَرِيحَتِي فَيَنْتَهَبِ الظَّلْمَاءُ مِنْ نَارِهَا سِقْطُ^(١)
وَلَا أَلْقَتْ أَيْدِي الرِّيحِ بَدَائِي فَرَنْ خَاطِرِي تَظْمُ وَمِنْ زَهْرِهِ لَقَطُ^(٢)
هَرِمْتُ وَمَا لِلشَّيْبِ وَخَطُ بِمَقَرِّي وَكَأَنَّ لِشَيْبِ الْهَمِّ فِي كَبْدِي وَخَطُ^(٣)
وَسَاوَلَ سَوْءَ الْحَالِ نَفْسِي فَأَذْكَرْتُ مِنَ الرُّوضَةِ الْفَنَاءَ طَاوَلَهَا الْقَطُ^(٤)
مِثُونَ مِنْ الْأَيَّامِ خَمْسُ قَطْعَتِهَا أُسِيرًا وَإِنْ لَمْ يَبْدُ شَدُّ وَلَا قَطُ^(٥)
أَتَتْ بِي كَمَا مِصْنَ الْإِمْنَاءِ مِنَ الْأَذَى وَأَذْهَبَ مَا بِالْثُوبِ مِنْ دَرَنِ مَسْطُ^(٦)
أَتَدْنُو قُطُوفُ الْجَنَّتَيْنِ لِمَشْرِ وَغَايَتِي السَّدْرُ الْقَلِيلُ أَوْ الْخَمَطُ^(٧)

(١) لم تنقب: أي لولاك لم تظهرنار، قرعني الشيبة بالزناد في الأبرار، وينتهب الظلماء يأخذ عليها ويلاشها، والسقط: مثل الماء ساكن العين ما سقط من النار بين الزندين. يقول: لولاك لم تذك قرعيني فيظهر عند اقتداحها نار تنهب الظلماء. (٢) التظم: نظم الحب في السك، والقط: القنطاط - أي ولولاك (أبا بكر) ما ألقت بدائي يسه الرِّيح، فهو يقط من عاسن الزهر ما أنقله في سك الخاطر. (٣) الوخط: فشو الشيب، واختلط بانه بسواد الرأس، وللنرق: وسط الرأس، وهو موضع فرق الشعر من الجبين إلى الدائرة، واللعن لم أشب هيب الكبرة، ولكن شبت شيب الهرم. (٤) يقول أن مطاولة سوء الحال تشبه ذكرته بحال الروضة الفناء طال عليها أمد الخبط. (٥) القاطط: هنا قط الأسير، وهو أن يجمع بين يديه وذبيه بجمل أو نحوه، واللعن أنه قطع خيامة يوم بقرطة أسيراً، ولكن بلا قيد ولا غل لأنه كان يخفي متواروا عن الأنظار.

(٦) اللوس: الفل، وميى الثوب: غسل بالأصابع، ومسط الثوب: به ثم تحريكه لاستخراج مائه والفرن: الوسخ، واللعن جاءت في أيام الحزن والاعتقال عند نهايتها مفسول الذنب كما غسل الاتام من الأذى، والثوب من الفرن. (٧) السدر: القيق، والخط: كل نبت أخذ من المرارة طمسا فلم يمكن أكله - يعبر بهذا إلى قصة الجنين في قوله تعالى - فأرسلنا عليهم سيل العرم وبذلناهم بجنهم جنتين ذوات أكل خط وأكل وعى. من سدر قليل - ووصف السدر بالقة لكونه أحسن قى، فيما بدلوا، والعرم يفتح فكسر، والسكر: بكسر فسكون، والسناة: بضم فتحة ففتحيد النون كلها - كما يؤخذ من اللسان والسكراف - أساء للسدر يني لحبس ماء العيون والأمطار ويترك فيه فتمتدح عليها أبواب لاطلاق الماء على حسب ما يحتاجون إليه في سقيهم، وقد ورد ذكر السناة في بعض قصائد البروان. يمثل في هذا البيت حاله بحال سبأ إذ أعرضوا عن الفكر، عُرِظَ الله جنتهم بسيل العرم وأبلسها عنها الخط، والأكل والقيل من السدر، ومعنى البيت: أيموز غيري بالنعم ولا أكاد أنظر بالثاء الكبير.

وَمَا كَانَ ظَلَمِي أَنْ تَعْرِفَنِي الْمَتَى وَلِلْعَرِ فِي الْمَشْوَاهِ مِنْ ظَلَمِهِ خَبْرٌ^(١)
أَمَّا وَأَرْتَنِي النِّجْمَ مَوْطِي الْأَخْصَى لَقَدْ أَوْطَأَتْ خَدَيَّ لِأَخْصَى مَنْ يَخْطُو^(٢)
وَمُسْتَبْطِلُ الْعَتَى إِذَا قُلْتَ قَدْ أَتَى رِضَاهُ تَعَادَى الْعَتَبُ وَأَتَصَلَ السُّخْطُ^(٣)
وَمَا زَالَ يُذْنِبُنِي وَيُذِي قَبُولَهُ هَوَى سَرَفُ مِنْهُ وَمَاغِيَةُ قَرْطُ^(٤)
وَنَظْمُ نِثَاءٍ فِي نِظَامٍ وَلَايَةٍ تَحَلَّتْ بِهِ الدُّنْيَا لَأَلِيَّةٍ وَسَطُ^(٥)
عَلَى خَصَرِهَا مِنْهُ وَشَاخُ مَفْصَلٍ وَفِي رَأْسِهَا تَاجٌ وَفِي جِيدِهَا سِمَطُ^(٦)
عَدَا مَتَمُّهُ عَنِّي وَأَصْنَى إِلَى عَدَى لَهُمْ فِي أُدْيِي كُلَّمَا اسْتَمَكَّنُوا عَطُ^(٧)
بَلَفْتُ الْمَدَى إِذْ قَصَرُوا - فَقَلُّوهُمْ مَكَانٍ أَصْفَانِ أَسَاوِدُهَا رُقُطُ^(٨)

(١) العَرِ: الذي لم يجرب الأمور، وفي النسخ: «هو يخط خط عشواء» يضرب الذي يركب رأسه، ولا يهتم لمباينة أمره، كالثلاثة المشواه التي تخطب يديها كل ماسرت به لسوء بصريها، والمشواه: هنا ظلمة الليل لا للثلاثة، يريد أن ظلمه حله على الاقترار بالمنى، تخطب لفرارته في عشواء من ظلمه أى في ظلمة وليس. (٢) أما حرف للاستفتاح بمعنى ألا، ولتحقيق الكلام الذي يخلوه بمعنى حقا، والأخصى باطن التقدم الذى لا يصدق بالأرض عند الوطء. يقول: حقا لقد أوطأت خدى لكل واحد واحد فى حال أنها أرتنى فيما مضى النجم موطى" أخصى (٣) العتى: الرضاء والعتب: السخط، وفي رواية: «لقد أتى» (٤) صاغية الرجل من يلم به وينفى مجلته من أمه وحاشيته، وفرط يريد بهذا أنهم يفرطون عليه فى القول أى يسهون، وللمنى وما زال يقربنى منه هوى متجاوز حد الاعتدال ويبدو قبوله حاشية مسرفة فى القول. وقد جرى فى هذا البيت على أسلوب القف والقنفر للرتب، فهو يرى أن مملوحه مسرف فى هواه فهو يدينه لذلك، وإن حاسديه يسهون فى الوشاية به فهو يتكبه عنه لما يسمعه من وشايتهم المتكررة (٥) أى وما زال يقربنى منه ظلم نثاء أميره فى نظام ولاية كآله القند النقيس تحلت به الدنيا كل لؤلؤة منه جديرة أن تكون واسطة القند لتفاستها.

(٦) أى على خسر الولاية من نظمه وشاخ مفصل، وفي رأسها تاج مرصع، وفى جيدها سبط من لؤلؤ (٧) الأديم: الجلد، والسبط: شق الثوب طولا أو عرضا من غصم إِبَاءة، وللمنى صرف ابن جهور سمحه عنى وأسنى إلى أعداءه كلما تمكنوا من عرض قندوه كما يتد الأديم وشقوه كما يشق الثوب.

(٨) للمنى: النباية، والأندلسان: الأخاد، والأساود: الحيات، والرقط: جمع رقطاء، وهى التى فى لونها سواد وبياض، وللمنى بلغت النباية التى قصروا عنها فكمن فى قلوبهم من الأخاد ما يشبه الحيات الرقط التى تلت السوم القاتلة.

يُؤْتُونِي عُرْضَ الْكَرَاهَةِ وَالْقَلْبُ
وَقَدْ وَصَّوْنِي بِأَلَيْ لَسْتُ أَهْلَهَا
فَرَزْتُ فَإِنْ قَالُوا الْفِرَارُ إِرَابَةٌ
وَإِنِّي لَرَّاجٍ أَنْ تَعُوذَ كِبْدُهَا
وَحِلْمُ أَمْرِي تَعَفُّو الدُّنُوبُ لِعَفْوِهِ
فَا لَكَ لَا تَخْشَعُنِي بِشَفَاعَةِ
بَنِي يَسِيمٍ الْعَنْبَرُ الْوَرْدُ تَقَحُّمُهَا
فَإِنْ يُسْعِفِ الْمَوْتُ فَتُعْنَى هَبِئَةَ
وَإِنْ يَأْبَ الْأَقْبَضُ مَسْطُوطٍ فَضْلِهِ
وَمَا دَهَرُهُمْ إِلَّا النَّفَاسَةُ وَالنَّمَطُ (١)
وَلَمْ يُعْنِ أَمْتَالِي بِأَمْتَالِهَا قَطُ (٢)
فَقَدْ فَرَّ مُوسَى حِينَ هَمَّ بِهِ الْقَبْطُ (٣)
لِ الشَّيْئَةِ الرَّهْرَاءِ وَالْخَلْقُ السَّبْطُ (٤)
وَتُعْنَى الْخَطَايَا مِثْلُ مَا يُعْنَى الْخَطُ
يُلُوحُ عَلَى دَهْرِي لِيَسْتَهِيَ عَطُ (٥)
إِذَا شَمَعَ الْمِسْكُ الْأَحْمَ بِهِ خَلَطُ (٦)
تُنْقَسُ عَنْ نَفْسِ الْظَّ بِهَا صَنْطُ (٧)
فَنِي يَدِ مَوْتِي قَوْفَهُ الْقَبْضُ وَالْبَسْطُ

(١) وفي رواية: النبط: والنبط يحملونني أستقبل منهم ناحية الكراهة والبطن، وليس منهم أبد الدهر (إلا النفاسة) من نفس عليه بالعبء، شئ به وكره أن يصل إليه، و (النبط) : من هبط الرجل انبطه هبطاً من باب ضرب حده، ومن معانيه أيضاً نهي الوصول إلى لمة غيرك من غير أن تزول عنه .
(٢) أي جلوني مرفوعاً بالصفة اللبية التي لست أهلاً لها ، والقي ما مني أي اجلي بها أمثالاً فيها مضي .
(٣) لمزاة : سبب في الريبة والشك . والاثام ، وللعن فررت من السجن ، فان علوا إل في الفرار ما يجلي منها ، فقد فرّ موسى من القبط حين اتسروا به وهوا بقتله يشر إلى قوله لدالي حكاية من موسى عليه السلام : « فررت منكم لما خفتكم »

(٤) السبط : الحمل . (٥) الليم : للكمواة يوم بها الجبر ، والباط : الوسع عرضاً في النقي يقول : لماذا لا أرضى مني وتعنني شفاعتك لأقلب بها على دهرى وأدمنه في قتله صفة بينة الأثر بطن أو خطين أو خطوط . (٦) العنبر : الطيب المعروف ولونه أسود ، وبطلق العنبر أيضاً على الزعفران ، وهو للراد هنا ، والورد حمرة تضرب إلى صفرة حسنة ، وشمع : مزج ، والأحم : الأسود من كل شيء ، أي يني قمع هذه الشفاعة براءحة الزعفران الورد إذا مزج بالملك الأسود .

(٧) تنفس : تترج ، وأظ بها - وفي رواية : أظ بها - لازماً . قال أبو البلاد :

أظنوا بالبيع وتاجروا ولو أمروا به لتجنّبوه

أي لازم للناس البيع عتاداً منهم حين نهم الله عنه ولو أرم به لفسهم عتادهم إلى تنكبه منقطع : أي منقطع

في مدينة بطليوس^(١)

يَا دَمْعُ صُبْ مَا شِئْتَ أَنْ تَصُوبَا^(٢)
وَيَا قُودَادِي آتَا أَنْ تَذُوبَا

إِذِ الرِّزَايَا أَصْبَحَتْ ضُرُوبَا^(٣)

لَمْ أَرِ لِي - فِي أَهْلِهَا - ضَرِيًّا^(٤)

قَدْ مَلَأَ الشَّوْقُ الْحَشَا نُدُوبَا^(٥)

فِي الْقَرْبِ إِذْ رُمْتُ بِهِ غَرِيًّا

عَلِيلَ دَهْرٍ سَاكِنِي تَمْذِيًّا^(٦)

أَذَى^(٧) الضُّعْفَى إِذْ أَبْعَدَ الطَّيِّبَا^(٨)

* *

لَيْتَ الْقَبُولَ^(٩) أَحْدَثَتْ هُبُوبَا

رِيحُ بَرُوحٍ عَمَدُهَا قَرِيًّا^(١٠)

بِالْأَفْقَى الْمُهْدَى إِلَيْنَا طَيِّبَا^(١١)

(١) مدينة كبيرة من مدن الأندلس تقع غربي قرطبة. وهذه الأرجوزة تذكرنا بالأرجوزة المسموعة : « دع الطايا نسف الجنوبا » الخ (٢) انسكب يا دمي ما شئت أن تنسكب ، والأصل في الصوب نزول اللطر ، والفعل صاب يصوب والأمر صب . قالوا : وكلّ نازل من علو إلى أسفل فقد صاب ، ومنه قوله « كأنهم صابت عليهم سحابة » . (٣) أمثالاً . وفي رواية : إذ الرزايا (٤) نظيراً أو مثيلاً . يقول : انسكب يا دمي قد صبت عليك ألوان من الصائب والألآم لم تصب على أحد من المرزوقين . (٥) آثار الجروح إذا لم ترتفع عن الجلد ، ومنه قول الفرزدق :
ومكبل ترك الحديد بساقه نعباً من الرسفان في الأحجال

(٦) أمرضني دهر قد جشني ذلّ الاغتراب وسامني سوء الدواب . (٧) وفي رواية : أذى الضعفى (٨) قرب الدهر عن البقاء في وقت أبعد فيه عن الطبيب . (٩) ما يستعك بين يدك من الريح إذا وهت في التلة . (١٠) أى يكون رواح ما تحمله الريح من اللطر قريبا ، وللهذا هنا منته اللطر الأول الذى يليه الوسمى . (١١) أى مصحلاً بالأفق الذى طالما أهدى إلينا من ناحية الحبيب طيباً .

تَمَطَّرَتْ مِنْهُ الْعَصَا جُيُوبًا
مُيَزِدُّ حَرِّ الْكَبِدِ الْمَشْبُوبَا^(١)

* *

يَا مُتِمِّعًا إِنْسَادَهُ^(٢) التَّأْوِيَا
مُشْرَقًا قَدْ سَمَّ التَّغْرِيبَا
أَمَّا تَمِمْتَ الْمَثَلِ الْمَضْرُوبَا
أَرْسَلَ حَكِيمًا^(٣) وَأَسْتَشِيرَ لَيْبَا

* *

إِذَا أَتَيْتَ الْوَطْنَ الْحَيَا
وَالْجَانِبَ الْمُسْتَوْضَعَ^(٤) الْمَجِيَا
وَالْحَاضِرَ^(٥) الْمُنْفِصِحَ الرَّحِيَا
فَتَحَى^(٦) مِنْهُ مَا أَرَى الْجُنُوبَا

(١) يملؤ ذلك الطيب الذي تطرت منه جيوب العصا كبداً مشبوبة فيها نيران الشوق. وفي الأصل «للمشوبا»

(٢) الأوساد سير الليل كله لا تريس فيه ، والتأويب : سير النهار كله لا تريح فيه .

(٣) وفي رواية : أرسل حليماً .

(٤) الجحوت عنه أو التي يستوضحه الراكب أي يستقره ويسكنه بأن يضع كفه على جنبه في الشمس لينظر هل يراه . (٥) الحاضر : ضد البادى . (٦) مرتبط بالأبيات قبله . يقول : أيا للمواصل سير الليل كله بسير النهار كله معرفة قد ملّ السير إلى الجانب الغربي أي مرسك في حاجة ، ومتبع للتل للمهور :

إذا كنت في حاجة مرسلًا فارسل حكيمًا ولا توس

وإن باب أمر عليك التوى فتاور ليلى ولا تصه

ذلك أنك إذا أتيت ذلك الوطن المعبود ، والجانب للأهول والحاضرة المنسجعة على مما قد ترى الجنوب حيث يقيم الحبيب ، وقوله : ما رأيت جملة مقترنة وحدث هكذا وحرر .

مَصَانِعُ ^(١) تَجْتَدِبُ ^(٢) أَلْقُلُوبًا
 حَيْثُ أَلْفَتْ الرِّشَاءُ الرِّيبَا ^(٣)
 مُخَالَفًا ^(٤) فِي وَصْلِهِ الرِّقِيَا
 كَمْ بَلَتْ يَدْرِي ^(٥) لَيْلَةُ الْغَرِيْبَا
 لَمَّا أَتَتْهُ فِي سُكْرِهِ قَضِيْبَا
 تَشْدُو ^(٦) حَمَامٌ حَلِيَّةٍ تَطْرِيَا
 أَرْشَفَ مِنْهُ الْمُبْسِمُ الشَّيْبَا ^(٧)
 حَتَّى إِذَا مَا أُعْتِنَ لِي مُرِيْبَا ^(٨)
 شَبَابُ أَقْبَى هَمٍّ أَنْ يَشِيْبَا
 بَادَرْتُ سَفِيَا ، هَلْ رَأَيْتَ الَّذِيَا ؟ ^(٩)

(١) ديار وأبنية وقصور . قال لبيد :

بَلِيْنَا وَمَا تَبَلَى النُّجُومُ الطُّوَالِحُ وَتَبَقَى الْخِزَارُ بِمَدَنَا وَالْمَصَانِعُ
 (٢) تجذب . (٣) الرِّشَاءُ : الفضي إذا قوى وتحرك . وهي مع أمه ، والريب : اللزق من قولهم
 سبيّ مريب وربيب . وفي رواية : الجيبا
 (٤) من المخالفة بمعنى عدم اللواقة أو من قولهم جاء فلان خلاف صاحبه ومخالفته إذا أتى بعده مخالفاً له .
 (٥) يدري يحتمل من قولهم دريت الذي أي احتلت له وخلت حتى أسيده ، والغريب : الشديد السواد
 ومعنى الأبيات تلك دور ومصانع تجذب القلوب إليها ألقت فيها الرشَاء المترقى في حجر النعمة مخالفاً أي آتيا
 في خفة الرقيب ، فكثيراً ما يلت محتمل إليه الشديد السواد ليصيب منه غرّة ويختلس منه غفلة .
 (٦) تنفي ، استعار شدو الحمام لوسوسة الحلي (٧) أوشف : كالنصر وأضرِب مضارع رشف
 للماء والريق ونحوهما رشفاً ، وهو اللين واللينول وهرب للماء قليلاً قليلاً ، وللهمس ، القبل ، والفتيق :
 صفته مأخوذ من الشغب وهو برد وضوئة في الأستان . قال ذو الرمة :

لِمَاءٍ فِي شَفْعِيَا حَوْءٍ لَسَى وَفِي الْكَلْبَاتِ وَفِي أَنْبِيَا شَفْبِ

(٨) اعتن : اعترض ، ومريبا : ذارِب . (٩) يقول في هذا البيت والأبيات قبله : بتّ نالما
 ليلق بالنفاق والفتيل حتى إذا اعترضني ملأيني من سواد ألقى وشك أن يفضحه ضوء الصبح بأدبرت الطريق
 أسمى ، هل رأيت القتب ، يريد : هل رأيت القتب في خفته وسرعة عدوه وفراره ومعنى : أنه قد فرّأ القتب .

هَمَزُهُ ١٠ حَلَوُ الْجَنَى رَطِيًّا

* *

أَهَاجِرِي أَمْ مُوسِي تَأْنِيًّا
مَنْ لَمْ أَسْخُ مِنْ بَعْدِهِ مَشْرُوبًا ١١
مَا مَرَّهُ لَوْ قَالَ لَا تَهْرِيكًا ١٢
وَلَا تَلَامَ يَلْحَقُ الْقُلُوبَا
قَدْ طَالَ مَا تَجَرَّمُ الذُّنُوبَا ١٣
وَلَمْ يَدْعُ فِي الْمَذَرِ لِي نَصِيًّا

* *

إِنْ قَرَّتِ النَّيْنُ بِأَنْ أَوْبَا ١٤
لَمْ آلْ أَنْ أَسْتَرْضِيَ الْقَضُوبَا
حَنِيٍّ أَنْ أُحَرِّمَ الْمَنِيَّا
قَدْ يَنْفَعُ الْمَذِيبَ أَنْ يَتُوبَا

يوم بوصول ساعة

بِاللهِ خُذْ مِنْ حَيَاتِي يَوْمًا وَصِلْنِي سَاعَةً
كَيِّنَا أَنَالَ بَقَرَضٍ مَا لَمْ أَتْلُ بِشَفَاعَةٍ

(١) أمله إلى وطنه على وهو جواب لما .

(٢) هل هذا الحب الذي قصمت بهرائه ولم أجد بعده سائفاً فغراب إلى حلقى هاجرى أو موسى

لوما وثريا . (٣) أى ضرر عليه إذا هو قبل السفر ونى اللام والعتاب .

(٤) كثيراً ما ادمى على ذنوباً لم أنفها . (٥) يقول في هذا البيت والذى بعده : إِنْ قَرَّتِ الْعَيْنُ

بالرجوع إلى الوطن بذلت جهدي في استرضائه ، وكفاني أن أحرّم على شئ ترك هذا الوطن وأتوب

فقد تنفع توبة الذنب .

في عيد الأضحى^(١)

« لما حلّ ابن زيدون من المعتد بالمكان الذي حلّ ، وانتكث
عقد شدائده وأحلّ ، تلت نفسه من شجونها ، وحثت إلى صفا
« ولادة » وشجونها ، وتذكرها وما تناساها ، وعلودته لوعتها
وأساها ، وحنّ إليها حنين من حيل بينه وبين ما يشتهي ، وقع
بأهداء تحية تبلغ إليها وتتهى . فقال ينزل فيها ويمدح المعتد^(٢) : »

أَمَا فِي نَسِيمِ الرِّيحِ عَرَفْتُ مَعْرَفُ لَنَا هَلْ لَدَاتِ الْوَقْفِ بِالْجَزْعِ مَوْفُ^(٣)
فَتَقْصِي أَوْطَارَ الْمُنَى مِنْ زِيَارَةِ لَنَا كَلَفُ مِنْهَا بِمَا تَتَكَلَّفُ^(٤)
صَمَانٌ عَلَيْنَا أَنْ تُزَارَ وَدُونَهَا رِقَاقُ الطُّبَا وَالسَّهَرَى الْمُتَقَفُ^(٥)
وَقَوْمٌ عِدَى يُبْذَوْنَ عَنْ صَفَحَاتِهِمْ وَأَزْهَرُهَا مِنْ ظِلْمَةِ الْحَقْدِ أَكَلَفُ^(٦)
فِيَارِي يَسُدُّونَ الْقَرَامَ جَرِيرَةَ بِهَا وَالْهَوَى ظُلْمًا يَغِيظُ وَيُؤَسِفُ^(٧)

(١) هو الأضحى سنة ٤٤٥ هـ . وهذه القصيدة من ضمن قصائده التي يمدح بها المعتد ، وقد ذكر
طرقاً فيها ابن بسام في الفخيرة ، وقد يئس أيتها ، وذكر طائفة منها كذلك صاحب فلاح البيان في
ضمن ما ذكره من طرف ابن زيدون وأخباره ، وظهر وأشاره . (٢) فلاح البيان .
(٣) أما استفهام فيه معنى التثنية ، والرف : الريح الطيبة ، والجوع : منطف الوادي ، ولوقف : السوار
- من الحاج وغيره - قال جبران المود الحميري :

كوقف الحاج من ذكي منك تحمي به من الهيم التطور

أو هو المخلخل من اللبسة وغيرها . وللمنى : ليت لنا في حبوب النسيم طيب رائحة يمرقنا هل المحبوبة
واقفة بمكان ولونها من منطف الوادي فتغنى الخ ، وفي رواية : برف .

(٤) للمنى : حل لها واقفة بالحنن فتغنى حلفت النفس من زيارة لنا ولعل بما تجشمه من مشقة العرض لها .

(٥) القفا : جمع طلبة ، وهي حد السيف ، والسهرى : الريح ، وللتقف : للسوى بالتخفيف ، وهي
خشب فيها غرق توضع فيه الرماح لتسوية ما اوج منها ، أى نحن ضامنون على أهنأ أن تزار ، ودون
زيارتها طلبا السيوف الرقيقة ، وأسنة الرماح الصلبة ، وفي بعض النسخ حريز طينا أن تزار .

(٦) أى ودون الوصول إليها أيضاً قوم سعادون يظهر ما يحفونه من السداوة والفرط وجوههم - م ،
وللمرق للضىء من تلك الوجوه أكلف أى به كلف وسواد من ظلة الحلال .

(٧) فياري وفياري - بفتح الين وضعا - كسكاري وسكاري جمع فيران من فار الرجل على امرأته
بخار شعبة ، والجريرة : القنب والجناية بجنيها الرجل على نفسه أو يجرها على غيره ، ويؤسف : كينضب
وذناً ومعنى ، ومنه قوله تعالى « فلما آسفونا انتقمنا منهم » .

يُودُونَ لَوْ يَدْفِي الْوَعِيدَ زَمَانًا وَهَيْهَاتَ رِيحِ الشَّقِيقِ مِنْ ذَلِكَ أَعْصَفُ^(١)
يَسِيرُ لَقَى الْمُشْتَاقِ فِي جَانِبِ الْهَوَى نَوَى غُرْبَةً أَوْ تَجَهَّلُ مَتَسَفٌ^(٢)
هَلِ الرُّوحُ إِلَّا غَمَزَةٌ نُمُ تَنْجَلِي أَمِ الْهَوَى إِلَّا غَمَّةٌ نُمُ تُكْشَفُ^(٣)
وَفِي السَّيْرَةِ الرَّقْمِ وَسَطَ قِيَابِهِمْ بَعِيدُ مَنَاطِ الْفَرْطِ أَحْوَرُ أَوْطَفُ^(٤)
تَبَايَنَ خَلْقَاهُ ، فَعَبِلُ مُنْعَمُ تَأَوَّدَ فِي أَغْلَاهُ لَدُنْ مُهْفَفُ^(٥)
فَلِلْمَاكِ الْمُرْتَجِ مَا حَازَ مِثْرُ وَلِلْمُصْنِ الْمُهْتَرِ مَا ضَمَّ مِطْرُ^(٦)
حَيْبُ إِلَيْهِ أَنْ نُسَرَّ بِوَصْلِهِ إِذَا نَحْنُ زُرَّاهُ وَهَنَاهُ وَنُسَفُ^(٧)
وَلَيْلَةً وَاقِنَا الْكَتِيبَ لِوَعْدِ سُرَى الْأَيْنِ لَمْ يَمْلَمْ لَمَسْرَاهُ مَرْحَفُ^(٨)

(١) الوعيد : التهديد والتخوف ، والزمان : بالفتح المضي في أمر الزيارة والبرم عليه ، وأعصف : امسح
تفصيل من صفات الريح تصف بالكسر فهي حاصفة أي شديدة تمضي بما سرت طليبه من تراب ونحوه ،
أي يودون لو يصفرفنا تهديدهم بما أزمناه من أمر زيارة تلك الحسان التي غارول عليها وهيهات أن يصفرفنا
من ذلك صارف ، فان ربح الشوق أشد مضيا بنا إلى تاحيتهم من تهديدهم ، ووعيدهم .

(٢) بقوله يسير علينا في جانب الهوى الاغتراب واعتصاف الجاهل .

(٣) الروح : الخوف ، والقمرة : الشدة .

(٤) السيرة : بكسر ففتح نوع من البرود يخلطه حرير كالبيور ، ويقال ثوب رقم إذا رقم أي كتب
عليه نمرة ، أو اسم التاجر ، ومناط الفَرْط مملقة ، وأحور : وصف من حور العين . وهو شدة سواد لثقة
في شدة ياضها ، وأوطف : طويل شعر أهداب العين ، وفي الأصل أوطف ، ولعل أي حبيته التي تلبس
تلك الحلة السراة الثينة تعلّم وسط ثيابها الأعداء وهي بيضة صوى الفَرْط أي طوبلة العنق ، في هذا حور
وفي أهدابها وطف . (٥) عبل : أي ردف شينهم تلم ، ومنهم : من النعمة والراحة ، وعدم
الاستهان في عمل البيت لتوفر الخدم ، ويزم ذلك العبالة والاحتلا ، وتأود : تلى ، ولين أي قصن لين ،
ومنهف أي خسر ديق نائل ، يقول : تبايت خلفه أسفله وأغلاه ، غرد تليل وخسر تليل .

(٦) الماك : من الرمال ما تعقد وارفع ، وفي الأصل : الماك . ولتتر : معروف وهو ما يشد على
الوسط ، وللطرف : وهي مثلكة اليم - من ثياب الحر ما جيل في طرفه طمان ، ويجمع على مطارف ، أي
ظلكيب للريح ما حوله التتر ، ولانسن للهتر ما منه للطرف . (٧) واقننا الكتيب : أي تواقنا

على موعد في الكتيب ، والبرى : السير بالليل ، والأين : الأعياء والقص ، والمزحف النابية وهو من الزحف
وهوالى نيلًا قليلا ، أو لراه به هنا أثر للمضى ومنه مزحف الحية ، وهو أثر انبليها في الرمل قال الشاعر:
كان مزاحف الحيات فيه قيل الصبح آثار السيلط

تَهَادَى أَنَاةً لَطُفُو مُرَاعَاةِ الْحَشَا كَمَا رِيحٌ يَغْفُورُ الْفَلَاحَ الْمُتَشَوِّفُ (١)
فَمَا الشَّمْسُ رَقٌّ الْغَيْمُ دُونَ إِيَّاهَا سَوَى مَا أَرَى ذَلِكَ الْجَبِينَ الْمُتَنَصِّفُ (٢)
فَقَدَيْتُكَ أَنَّى زُرْتِ نُورُكَ وَأَضِيحُ وَعِطْرُكَ نَحَامٌ وَحَلِيكَ مُرَجِفُ (٣)
هَيْبِكَ أَغْتَرَزْتَ الْحَيَّ وَأَشِيكَ هَاجِعُ وَفَرَعُكَ غَرِيبٌ وَلَيْسَ لَكَ أَغْضَبُ (٤)
فَأَنَّى أَعْتَسَفْتَ الْهُوْلَ خَطُوكِ مُذْمَجُ وَرِدْفُكَ رَجْرَاجٌ وَخَضْرُكَ مُخْطَفُ (٥)
جَلَّاجُ، تَهَادَى الْحُبُّ فِي الْمَعْشَرِ الْعِدَا وَأُمُّ الْهُوَى الْأَفْقُ الَّذِي فِيهِ تُشْنَفُ (٦)
وَأَنْ تَتَلَقَّى السُّخْطَ - عَابِنَ - بِالرَّضَى لَغَيْرِ أَنْ أَجْنَى مَا يُرَى حِينَ يَلْطَفُ (٧)
كَفَاءًا مِنَ الْوَصْلِ التَّجِيَّةِ خُلْسَةً فَيُورِي طَرَفَهُ أَوْ بَنَانُ مُطَرَفُ (٨)

(١) تهادى أصله تهادى أى تقى فى تمايل وسكون ، وأناة لطفو : متشدة الخطو ومنها بالمصدر ، وهو الأناة بمعنى التؤدة اللبابة ، ومرثاة الحشا : متفرعة القلب ، وريح : فزع وأخيف ، واليغفور : الذي والغشوف : المظلم ، وفى بعض النسخ للفرغ ، وهو الذى يرفع رأسه ويد بصره لينظر إلى المي .
(٢) إياة الشمس - بالسكسر والفتح - حسنها وشوؤها ، وإاة هى الشمس أيضا ، قال أبو العلاء :

وبعض : العالم من بعضه لولا إياة لم يكن شعث

أى لولا الشمس لما كان الفجر ، وللنصف : الذى عليه النصف وهو الحجاز ، أى لبست الشمس بستر الغيم الرقيق حسنها وشوؤها إلا ما أراه ذلك الجبين من حسن يبدو من خلال النصف .

(٣) وفى بعض الروايات : قبيدك وهو مصدر منصوب لنباتة من النمل والتقدير سألت الله حفظك من قوله تمايل « من الجبين ومن الشيا قبيد » أى حفظ ، وللتعميل قبيدك الله مثل محرك الله ، وهو مصدر منصوب أيضا تاب عن النمل تحريكه محرك الله بالتشديد ، ومعناه هنا : ملازمك ، ومرجف : من أرجف إذا تحرك واضطرب ، ويصح أن يكون من أرجف بالبناء للجهول فهو مرجف ، وفى بعض النسخ بدل قبيدك قديك . (٤) هيك : يقال هيك فلتك ، وهيك فلتك كذا ، ولا يقال هب أنك فلتك ، ولا هب أنك فلتك ، والنقى احسبى واعدى ، واعتزرت الحى : جئت وجزت به على غير علم ، وفرطك غريب : شريك شديد السواد ، وأغضف حلك السواد ، يقال ليل أغضف إذا ألبس ظلامه .

(٥) مدمج : داخل بعضه فى بعض ، ومخطف : ضامر يقال فرس مخطف الحشا : أى ضامره .
(٦) تشنف : نبض ، والنقى أسرى جلاج فقد تهادى فى حب من أهواهين للمعسر العدا ، وقصد الهوى : المكان الذى فيه أمقت وأبش . (٧) والنقى والجلاج أيضا أن تتحمل السخط ، وقد هتانا ردا صاحب هيرة يشتد جفاؤه وغلظه ، حين يظن لطفه ورفقه . (٨) البنان : الطرف الذى طرف بالهنا .

خَلَيْتُ سَهْلًا لَا تَلُومًا فَإِنِّي فَوَادِي أَيْفَ الْبَثِّ وَالْجِسْمُ مُدْنَفٌ
فَأَعْتَفْتُ مَا يَلْقَى الْحُبُّ لَجَاجَةً عَلَى نَفْسِهِ فِي الْحُبِّ حِينَ يُمْتَنَفُ
وَإِنِّي لَيْسَتْهُوَ بَيْنِي الْبَرَقُ صَبُوءَةً إِلَى بَرَقٍ ثَمَرٍ إِنْ بَدَا كَأَدَّ يَحْطَفُ
وَمَا وَلِي بِالرَّاحِ إِلَّا تَوَهُمٌ لَظَلَمَ بِهِ كَالرَّاحِ لَوْ مَيَّرَشَفْتُ^(١)
وَتَذَكَّرُنِي الْعِقْدُ الْمُرِنُ مُجَانَةً مَرُنَاتُ وَرُقِي فِي دُرِّ الْأَيْكِ تَهْتَفُ^(٢)
فَقَابِلُ مَنْ أَهْوَى طَوْى الْبَذَرُ هَوْدَجٌ وَلَا صَانَ رِيحَ الْفَقْرِ خِذْرٌ مُسَجَّفُ^(٣)
وَلَا قَبْلَ «عَبَادٍ» حَوَى الْبَنْجَرُ مَجْلِسٌ وَلَا حَمَلَ الطَّوْدُ الْمُهْظَمُ رَفْرَفُ^(٤)

(١) لظلم به : أى يأنس في البيت قبله . قال في اللسان ، والظلم : الماء الذى يجرى ويظهر على الامعان من صفاء الاول لامن الرقيق كالنيرند حتى يتخلل لك فيه سواد من شدة البرق والصفاء ، قال كعب بن زهير : تجلو غوارب ذى ظلم إذا ابتست كانه منهل بالراح معلول
لو يترشف : لو هنا لشيء ، وفي بعض النسخ إذا يترشف ، والترشف : من الماء قليلا قليلا . قال ابن بسام : «أراد بيت أبي الطيب : وما حرق بالماء إلا تذكر الماء به أمل الحبيب تزول
(٢) المرن : اسم فاعل من الأرناء ، وهو الصوت المرين ، والجلال : حب يتخذ من صنار الأوّل ، أو من النضة أمثال الأوّل ، ولوروق : جمع ورقاء وهي الجملة التي لوها بين السواد والفضة وهي ما تسمى في عرف أهل مصر بالجملة ، وفي مثل هذا يقول الشاعر الحسن جبران المود النهرى :
..... ثم حاجى حاتم ورق بالمدينة هنف

والأيك : جمع أبة ، وهي الشجر الكثير للنف ، وتهنف : تنوح . (٣) الهودج : ما تركب فيه المرأة يكون مقبلا وغير مقبب ، وفي بعض النسخ بدل ما من ضم ، والرم : القطي الخاص باليانس ، والخدر للسحب : ما على كل مدخل أو نافذة من نوافذه سجدان أى ستران بينهما فتوق كالضرامين .
(٤) (ولا قبل جاد) هو المعتد بالله أبو عمر عباد بن الظاهر المؤيد بالله أبى القاسم محمد بن إسماعيل فاضى اشبيلية ينتهى نسب إلى النعمان بن للنفر آخر ملوك المامية ، وهو صاحب قرطبة وأشبيلية وما والاها من جزيرة الأندلس ، ول لهلاك بعد وفاة أبيه الظاهر محمد بن إسماعيل الفاضى سنة ٤٢٣ هـ وكان هو وابنه للمعتد أوسع ملوك الطوائف ملكا ، ولشدهم بأسا ، وأكثرهم عبيدا وعددا ، وكان للمعتد فيما ذكره ابن بسام صاحب الذخيرة طب رضى الفتنة ، ومتعنى غاية الهنة في بلاد الأندلس ، وإلى سياسته يرمى السبب في تلك الحروب الطاحنة التي نشبت بين ملوك الطوائف واستعان بعضهم على بعض فيها بالمدو الذى انتهز فرصة منطهم ، وتفرق كلهم فصل على إزالة ملكهم ، وإخراج المسلمين من بلادهم - والرفرف - الفرش والبط ، وكل ما أعد للجلوس ، وفي التفسير البرز «متكئين على رفرف خضر» وهو جمع رفرفة ورفارف جمع الجف - قال ابن بسام : وهذا البيت للفطلى بجملة حيث يقول في ابن أبي طاهر :
وكيف أسوى بالبر والبحر مجلس وفام بسبب الراسيات سرى

هُوَ الْمَلِكُ الْجَمْدُ الَّذِي فِي ظِلَالِهِ تَكْفُ صُرُوفِ الْحَادِثَاتِ وَتُصَرِّفُ^(١)
 مُهَامُ يَزِينُ الْأَهْرَ مِنْهُ وَأَهْلُهُ مَلِكُ قَبِيهِ كَاتِبٌ مُتَقَلِّبُ^(٢)
 يَنْبِيهُ بِعِزَّتِهِ سَرِيرٌ وَمِنْ بَرٍّ وَيَحْمَدُ مَسْعَاهُ حُسَامٌ وَمُصَنَّفُ^(٣)
 رَوَيْتُهُ فِي الْحَادِثِ الْإِذْ لِحَظَةُ وَتَوْقِيَةُ الْجَالِي دُجَى الْخَطْبِ أَحْزَفُ^(٤)
 يَدِلُّ لَهُ الْجَبَّارُ خِيفَةً بِأَسِيهِ وَيَمْنُو إِلَيْهِ الْأَبْلُجُ الْمُتَنَطِرُ^(٥)
 حِذَارُكَ - إِذْ تَنْبِي عَلَيْهِ - مِنَ الرَّدَى وَدُونَكَ فَاسْتَوْفِ الْمُنَى حِينَ تُتَعَرِّفُ^(٦)
 سَتَعْتَمُثُهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِالنَّوَى كِتَابٌ تُرْجِي أَوْسَفَانُ تُجَدِّفُ^(٧)
 أَغْرُ مَتَى نَذْرُنْ دَوَاوِينَ نَجْدِهِ يَرْقُنَا غَرِيبٌ مُجْمَلٌ أَوْ مُصَنَّفُ^(٨)
 إِذَا نَحْنُ قَرَضْنَاهُ قَصَرَ مُطْنِبُ وَلَمْ يَتَجَاوَزْ غَايَةَ الْقَصْدِ مُسْرِفُ^(٩)

(١) الجمد : قال في اللسان « والجمد إذا ذهب به مذهب المدح فله معنيان مستحيان ، أحدهما : أن يكون مصوب الجوارح ، شديد الأمر والخلق غير مسترخ ولا مضطرب ، والثاني : أن يكون شعره جمداً غير سبط ، لأنَّ سبوط الشعر هي الغالبة على شعور النجم من الروم والفرس ، وجودة الشعر هي الغالبة على شعور العرب ، فإذا مدح الرجل بالجمد لم يخرج عن هذين للمبين » الخ مالمال في الجمد على كلا الاعتبارين المدح أو الذم فأنذره ، وللمنى هو الملك المجتمع الخلق الذي ليس رهلاً مسترخي الأعضاء ، أو الجمد الشعر ، أو الكريم الذي في ظله وكنهه تكف في الموائد وصروف البحر وتردها عن أن تصعد المستظلين بظله بالسوء .

(٢) الاد العظيم ، والتوقيع : ما يكتبه لك في الكتاب من جل قصيدة ، وأحرف قصيرة ، لاغاذ أوامره ، وإضاء شؤون دوله ، وللمنى تفكيره في الحادث العظيم المنطبع الداعي سريع لاحتياج إلى تربث ، وعدم تسجل ، وتوقيه الكاشف ظلمة الخطوب كانت قليلة جاسة لضمود ما يريد إغاذه .

(٣) الأبلج : الأبيض ، والمتنطرف : السيد السرى المختل في مشيته .

(٤) ستمتاعهم : ستمتاعهم ، والتوى : الهلك ، وترجى : اتفق وتسير ، وتجدف تدفع بالمجاديف .

(٥) أفر كرم الأضال واضمها ، وتدرس : أي متى نرض أعيننا على قراءة ماسطر في دوائر جمده ، يرقنا : أي يمجنا الخ ، وفي الأصل : « متى تدرس » والغريب : الغامض البعيد عن الفهم ، والمجمل : المحتاج إلى التوضيح والبيان ، والمصنف : المميز بضنه من بعض ، واللين خفاؤه وإجالة .

(٦) قرظناه : من التهریط وهو للمرح والثناء ، وأصله من تهریط الجلد أي دبهه بالقرظ ، والمطنب : السهب للتوسع في القول ، والتصد : للتوسط والاعتدال .

وَأَرْوَعُ لَا الْبَاطِي أَغَاهُ مُبْلَغُ مَنَاهُ وَلَا الرَّاجِي نَدَاهُ مُسَوِّفُ ^(١)
 مُرَّ الْقَوَى لَا يَمْلَأُ الْخَطْبُ صَدْرَهُ وَلَيْسَ لِأَمْرِ قَالَتِ يَتَلَهَّفُ ^(٢)
 لَهُ ظِلُّ نَعْمَى يَذْكُرُ الْهَمُّ عِنْدَهُ ظِلَالُ الصَّبَابِ ذَاكَ أُنْدَى وَأَوْزَفُ ^(٣)
 جَعِيمٌ لِعَاصِيهِ يُشْبِثُ وَقُودُهُ وَجَنَّةُ عَذْنٍ لِلْمُطِيعِينَ تَرْفُفُ ^(٤)
 حَاسِنٌ ، غَرْبُ النِّمِّ عَنْهَا مُقْلَلُ كَهَامٌ ، وَتَعْمَلُ الْمَجْدِ فِيهَا مُؤَلَّفُ ^(٥)
 تَنَاهَتْ قَعْقَعُ الْمَجْدِ مِنْهَا مُفْصَلُ سَنَاءٌ وَبُرْدُ الْقَهْرِ مِنْهَا مُقَوِّفُ ^(٦)
 طَلَاةٌ وَجْهِهِ فِي مَضَاهِ كَثَلُ مَا يَرُوقُ فِرْنَدُ السَّيْفِ وَالْحَذُّ مُرْهَفُ ^(٧)
 عَلَى السَّيْفِ مِنْ تِلْكَ الشَّهَامَةِ مَيْسَمُ وَفِي الرُّوضِ مِنْ تِلْكَ الطَّلَاةِ زُخْرُفُ ^(٨)
 سَجَانَا لِمَنْ وَالَاهُ كَالْأَرَى تُجَنُّ تَعْمُدُ لِمَنْ عَادَاهُ كَالشَّرَى يُتَقَفُ ^(٩)
 يُرَاقِبُ مِنْهُ اللَّهُ « مُعْتَصِدٌ » بِهِ يَدُ الدَّهْرِ يَقْسُو فِي رِصَاهُ وَيَرَأَفُ ^(١٠)

(١) الأروع : الذي يروعك حسنه ، ويعجبك مرآه ، ومن سار البت ليس الذي يبغى له مثيلا يبالغ منه ، وليس الذي يرجو نداء مؤخرا مطاوعه . (٢) المر : الحبل الذي أجيده فله ، والقوى : طاقاته يريد أنه مستحكم تقوى وليس رخا ضعيفا يملأ الهول صدره فزعا ، وبأسى على ما فاته تلهفا وتحسرا . (٣) الهم : الشئخ الكبير الفاني ، يعني أن الشئخ الهم يذكر عند استظلاله بظل نضاره الوارف أنه في ظل الشباب الذي المند بل إذ ظل نضاره أكثر ندوة ووروا وامتدادا .

(٤) تزلف : تهرب ، وفي التزيل العزب « وأزلت الجنة نقتين » أي قربت .
 (٥) الترف : الحد ، مقل : فيه كسور ، وكهام . كليل ناب عن الضربة لا يتجمع .
 (٦) السناء : الرضاة ، وبرد مقوف : رقيق من نسج اليمن .
 (٧) فرنذ السيف : جواهره ومأوه الذي يمرى فيه وطرأته ، والمنى : يملو وجهه ماء كفرند السيف المتفرق ، مع مضاء ، هم كده المرهف في التميم والقتلح ، وفي رواية : « طلالة بحر »
 (٨) ميسم أثر وعلاء . وفي الأصل : « من تلك الطلالة مظرف »
 (٩) الأرى : الليل ، والشرى : المختل ، ويتقف : أي يتق لأخذ ما في داخله قال امرؤ القيس :
 « كاني غداة البين يوم تحملوا لدى سمات الحى نائف حنظل »
 (١٠) يد الدهر : مدى الدهر ، قال أبو العلاء :

فيا ليتنا عشنا حياة بلا ردى - يداهدر - أو تنامت ما بلا ندر
 ومعنى البيت أنه يراف ويصنف دائما في ذيل مرضاة الله وحده ، ويقال أيضا يد الحياة ، قال أبو العلاء :
 لو كان لي أمر يطاوع لم يشن طهر الطريق - يد الحياة - منجم

فَقُلْ لِلْمُلُوكِ الْحَاسِدِ مَتَى أَدْعَى سَيَاقِ الْعَتِيقِ الْفَائِتِ الشَّأْوِ مُقْرِفٌ^(١)
أَلَيْسَ « بَنُو عَبَادٍ » الْقِبْلَةَ الَّتِي عَلَيْهَا لِأَمَالِ الْبَرِيَّةِ مَتَكْفٌ^(٢)
مُلُوكٌ يُرَى أَحْيَاؤُهُمْ فَغَرَّ ذَهْرِهِمْ وَيُخْلَفُ مَوْتُهُمْ ثَنَاءٌ مُخْلَفٌ^(٣)
بِهِمْ بَاهَتِ الْأَرْضُ السَّمَاءَ فَأَوَّجُهُ شُمُوسٌ وَأَيْدِيهِمْ حَيَا الْمُزْنِ أَوْ كَفٌ^(٤)

* *

أَشَارِحَ مَعْنَى الْمَجْدِ وَهُوَ مُعَمَّسٌ وَتُجْزَلُ حَقُّ الْحَمْدِ وَهُوَ مُسْتَسْفٍ^(١)
لَقَمَرُ الْبَيْدَا الْمُسْتَدْرِجِيكَ بِرِغْمِهِمْ إِلَى غَيْرَةٍ كَادَتْ لَهَا الشَّمْسُ تُكْسَفُ^(٢)
لَكَالُوكِ صَاعَ الْغَدْرِ لَوْمْ سَجِيَّةٌ وَكَيْلَ لَهْمٍ صَاعُ الْجَزَاءِ الْمُطْفَقُ^(٣)
لَقَدْ حَاوَلُوا الْمُظْلَى الَّتِي لَا شَوَى لَهَا فَأَتَجَلَّهْمُ عَقْدٌ مِنَ الْهَمِّ مُخَصَّفٌ^(٤)

(١) العتيق : النجيب الكريم من الخيل ، والشأو : اللقمة ، والعجيب وهو الذي أمه برذوة وأبوه عربى أو بالعكس . (٢) متكف مصدر مبني بمعنى المكوف أى إقامة وملازمة .

(٣) أى بنو عبادة يروى الناس أحياءهم مغفرة الزمان ، ويخلف من بعد موتهم ذكر حسن وثناء موروثة يتحدث به الناس ، ويتناقله الخلف من السلف .

(٤) الحيا : للطر ، والزلز : السحاب ، وأوكف : أعلل وأغزر والحق : فاخرت بهم الأرض السماء فوجوههم أبهى طلعة من النيرات ، وآثار نعمهم ، ومنزل أيديهم أغزر وأعلل من السحب الماطلات .

(٥) معمس : ملبس ملتوم من جهة مظلم لا يدرى من أين يؤتى له ، وصسف : نازل من أسف الطائر إذا دنا من الأرض ، والحقى : يأمن بشمالك الجيدة أبنت معنى المجد في حال كونه غامضا ملتبسا ، وأجزلت بأثارك الجيدة حظ المجد على حين حظ غيرك منه خفي ، وجواب انتهاء في الآيات بعده .

(٦) لمرادى : يقسم بيمينهم متكباً للإشارة إلى إخفافهم فيها حاولوا ، المستدرجيك : أى الذين حاولوا في زعمهم أن يصدروا بك قليلا قليلا على مرة ، وأخذوك على غفلة إلى ما تكاد له الشمس تكسف لبرائهم ، وهول ما أفسدوا عليه . (٧) لكالوك : أى لكالكوك من لوم سجيته صاع الغدر ، وكتمهم صاع الجلاء والمقصود على قدرهم ، واللطف : فى الأصل اللقوس الجحوش من طفف الكيل قومه وبضه ، وقد يستعمل بمعنى الرافى وهو المراد هنا .

(٨) لقد حاولوا الظننى : أى التفتك الظننى ، التى لا شوى لها : أى التى لا تصيب الأطراف ولكن تصيب القاتل ، فأجلهم فقد : أى رأى وتدير من ملك وعزلك ، محصف : محكم شديد لا خلل فيه .



وَلَمَّا رَأَيْتَ النَّفَرَهُ هَبْ نَسِيمُهُ تَلَقَّاهُ إِعْصَارُ لِبَطْنِكَ حَرْجَفُ^(١)
 أَطْنُ الْأَعَادِي أَنْ حَزَمَكَ نَائِمُ لَقَدْ تَمَدَّ الْفَسَلُ الظُّنُونُ فَتُخَلِّفُ^(٢)
 دَوَاعِي فِتَاكِ أَنْذَرْتِكَ بِأَنَّهُ سَيُشْرِي وَيَذْوِي الْعُضْوُ مِنْ حَيْثُ يُشَافُ^(٣)
 تَحَمَّلْتَ عَيْبَ الدَّهْرِ عَنْهُمْ وَكُلَّهُمْ بِنِعْمَاكَ مَوْصُولُ التَّغْنَمِ مُتَرَفُ^(٤)
 فَإِنْ يَكْفُرُوا النِّعْمَى قَبْلَكَ دِيَارُهُمْ بِسَيْفِكَ قَاطِعُ صَفْصَفِ الرِّسَمِ تُنْسَفُ^(٥)
 وَمَلَى الْأَرَى مَثْوَى يَكُونُ قُصَارُهُمْ وَإِنْ طَالَ مِنْهُمْ فِي الْأَدَامِ تَرْسَفُ^(٦)
 وَبُشْرَاكَ عِيدٌ بِالسُّرُورِ مُظَلَّلُ وَبِالْحِظِّ فِي نَيْلِ الْمُنَى مُتَكَنَّفُ^(٧)

(١) التسم: الريح تهب هبوباً شديداً ، والأعصار: الريح الشديدة التي تهب من الأرض ، وتغير الفبار فيرفع كالهود إلى نحو السحاب ، وهي التي تسمى بالزوبعة ، وفي اللؤل « إن كنت ربما قد لابت إعصاراً » يضرب ثرجل يأتي نده في البسالة والقوة ، والحرجف: البارد وصف بها الأعصار. وفي الأمل « خرجف » (٢) النسل: الرذل الفناء الأخير ، والمضى لم يتحقق ظن الأعادي أن تديرك نائم من كيهم وغدرهم وكثيراً ما تده الشئون الحق الأرفاق فتخطفهم .

(٣) يضري العضو: أي يضرب عليه ورم وفروح تحتاج إلى الكي . ويذوي: يذبل ويضر ، ويشاف: أي تكوى شافته أي فرحته لتذهب بالكي ، والبيت تمثيل لحل طائفة تبهم فيها التفات والفر فكانت كالعضو الرضخ به الفاء فلم يكن بد من معالجته بالكي لاستئصال شافته ، وفي رواية « يذوي العضو » (٤) أي كثيبتهم مؤونه السعي ، وحلت عنهم البه ، فكلمهم في ظل نعمتك دائم التمتع والترف .

(٥) قصارهم: يخال نصرتك وقصارك وقصارك أن تفعل كذا أي غابك ، والأداهم: القبيح لسوادها جمع أدهم وأسمى بالأسود أيضاً ، والمرسف: مصدر مبيى من الرسفان وهو معنى الفيد ، أي أن هؤلاء الأعداء سيكون ما لهم أن يعوتوا في الحلب ، بعد أن تطول عليهم مدته .

(٦) انقل إلى ذكر مظهر من مظاهر الدولة عند خروج الملك لمصلاة العيد ، وترتيب الملك في ذلك على ما يؤخذ من صبح الأعشى أن ينادى في طاعة البلد ، وأهل الأسواق ليلة العيد فيخرج أهل كل صناعة بظاهر البلد ، وينسب أهل كل سوق ناحية ، متجهين بأحسن الثياب ، وكل منهم متكب قوساً أو مظلة سينا ، ومع أهل كل سوق علم يخص بهم ، عليه راية أهل تلك الصناعة بما يتناسم ، ويكر للركوب فيركب ومن يمينه ويشار فارسان ، وبعك بركايه رجلا من مقلان سبيلين ، ويركب السكر معه مينة ومبرسة ، ويصطف الناس صفواً يمشون قدماه ، والولوج خلفه ممشون به ، والأعلام منشورة وراءه ، والطبول خلفه حتى يمشي العيد ، ثم يسود فيصرف طاعة الشعب وبعد السهلا فيبصر طامه خرواصه وأميان ملكه ، ومعنى البيت أنه يصمره بالعيد : إناله السرور ، ويكنفه الحظ يولج للى .

بَشِيرٌ بِأَعْيَادِ ثَوَافِكِ بَعْدَهُ كَمَا يَلْسُقُ النِّظَمَ الْمُوَالِي وَرِصْفٌ^(١)
تَجَرَّدَ فِيهِ سَيْفُ دَوْلَتِكَ الَّذِي دِمَاهُ الْعِدَى دَأْبًا بِفَرِيْدِهِ تُخْلَفُ^(٢)
هُوَ الصَّارِمُ الْمَضْبُ الَّذِي الْعَزْمُ حُدُّهُ وَحِلْيَتُهُ بِذَلِكَ النَّدَى وَالْتِمُفُّ^(٣)
مُهَامٌ تَمَّا لِلْمَلِكِ إِذْ هُوَ يَافِعُ وَتَمَّتْ لَهُ آيَاتُهُ وَهُوَ مُخْلَفُ^(٤)
كَرِيمٌ يَعُدُّ الْحَمْدَ أَقْسَى قِنِيَّةٍ فَيُؤَلِّعُ بِالْفِعْلِ الْجَمِيلِ وَبُشْفُ^(٥)
فَذَا بِخَفِيسٍ يُقْسِمُ الْقَسِيمُ إِنَّهُ لِأَخْفَلُ مِنْهَا مُكْفَهَرًا وَأَكْثَفُ^(٦)
هُوَ النَّسِيمُ مِنْ زُرْقِ الْأَسِنَّةِ بَرَقُهُ وَلِلْعَطَلِ رَعْدٌ فِي ثَوَاجِيهِ يَقْصِفُ

* *

فَلَمَّا قَضَيْنَا مَا خَنَّاكَ أَذَاؤُهُ وَكُلُّ مَا يُرْضِيكَ دَاجٍ قُلْحِفُ^(١)
قَرْنَا بِمُحَمَّدٍ أَلْفَهُ تَحْمَدُكَ إِنَّهُ لِأَوْكَدُ مَا يُحْفِلُ لَدَيْهِ وَزُرَافُ^(٢)

(١) ينسق النظم : أى يتابع بينه ويجعله على طريقة نظام واحد ، ويرصف : أى ينظم وينضد ، والمضى هذا العبد بشير بأعياد تأتى بعده على أسعفه وترتيبه .

(٢) برية : بمجديه ، وظلطف : تهنير من قولهم ذهب دمه ظلفاً أى هدرأ .

(٣) الزلام اليباع الذى شارف الاحتلام ، والمخلف : الذى اختلج لغير الناس فيه فبعضه يقول قد احتلم وأدرك ، وبعض يقول غير مدرك ، والمضى ساء بهته إلى الملك وهو دون الاحتلام ، وتمت له علاماته ورسومه ومميزاته ، وهو منكوك فى احتلامه .

(٤) الخيس : الجيش الجراؤ التام الفرق من المقدمة والليونة والميسرة والقلب والساق وأراد به السكر السائر فى موكب الملك عند خروجه لصلاة العبد ، والائم : السحاب ، وأخفل : أى أكثر منها احتشاداً واجتماعاً فى حال كونه (مكتهراً) أى مظلاً أسود لما على الجند من البروع والسلاح ، وأكثف : أى أكثر كثافته وتراكباً من السحاب لهذه الإجم وكثرة العدد وأعاد الضمير فى قوله (منها) على الأئم مؤثراً مراداً للمضى . (٥) أى فلما أدينا ما أمنا أذانا من صلاة العبد : وكل الناس داج فلحق فى النهار بما يرضيك ، وجواب لما يأتى بعد .

(٦) يحظى : أى يوجب المحطوة والتفضيل ، وزرلف : يقرب ، وللمضى : ولما اتيننا من صلاة العبد جئنا بين حمد الله والثناء عليك لأنه أبلغ فى بلوغ المحطوة لديه ، والزلزلى إليه .

وَعُدْنَا إِلَى الْقَصْرِ الَّتِي هُوَ كَعْبَةٌ يُنَادِيهِ مِنَّا نَاعِزٌ أَوْ مُطَرِّفٌ (١)
فَلَمَّا نَحْنُ طَالَمَنَاهُ وَالْأَفْقُ لَأَبْسُ تَحَاجَّتْهُ وَالْأَرْضُ بِالْحِيلِ تَرْجُفُ (٢)
رَأَيْنَاكَ فِي أَهْلِ الْمَصَلَى كَأَنَّمَا تَطْلُعُ مِنْ مِخْرَابِ دَاوُدَ يُوسُفُ (٣)
وَلَمَّا حَضَرْنَا الْإِذْنَ وَالْدَّهْرُ خَادِمٌ تُشِيرُ فَيَمْنِي وَالْقَضَاءُ مُصَرِّفٌ (٤)
وَصَلْنَا فَقَبَّلْنَا النَّدَى مِنْكَ فِي يَدِهَا يَتَأَفُّ الْمَالُ الْجَبِيمُ وَيُخْلَفُ

*
■ ■

لَقَدْ جُدْتَ حَتَّى مَا يَنْفَسُ خَصَامَةً وَأَمَنْتَ حَتَّى مَا يَنْقَلِبُ تَخَوُّفٌ

(١) يناديه : أى يأكده ويدعو له فى أول النهار ، والمطرف : الذى يديم النظر فى القصر من حب وإعجاب ، وهو فى الأصل الذى أصاب طرفه أى عينه حود فهو دائماً يثبت نظره فى الشيء ، ولا يمشى طرفه أو هو اسم فعل من طرف الشيء اختاره ، قال الشاعر :

أطرف أبكاراً كأن وجوهها وجوه عذارى حسرت أن تقنا

(٢) طالمناه : أى القصر ، والمجاجة : مائتة سنابل الخيل من النبار ، وترجف : تضطرب .

(٣) المصلى : للكان المدد لصلاة العيد ، وتطلع : طلع وأشرف عليهم من عراب ، وروى عن الزجاج فى قوله تعالى « وهل أتاك نيا الحمم إذ تسوروا المحراب إذ دخلوا على داود » قال : المحراب أرفع بيت فى الدار ، وأرفع مكان فى المسجد ، والحق : رأيناك حين هودتنا إلى القصر ومطالمنا إياه معرفاً بأهل الملل من فرقة قصر كائناً أدرى من عراب داود فى يوم لكه وعبادته وجه يوسف راعياً فى حسنه وجماله .

(٤) قال ابن بسام :

وقوله ولما حضرنا الإذن البيت مع الذى بعده أرى أبا الوليد احتفى فيه حنو الوليد فى آيات أنشدنا لحسنها ومن أحسن ما قيل فى الهية :

ولما حضرنا سدة الأذن أغرت رجلاه من الباب الذى أدا داخله
فأفضيت من قرب إلى ذى مائة أبا بل بدر ألم حين أفاقه
كما اتصب الرشح الرديق تنفت أنابيبه واعتز لعطن عامه
وكاليد وافته لم سموده وتمّ بهاء واستهلت منارله
وسلت فاصفات جناتى هية تازعى القول الذى أنا قائله
فلما تملنا الطلالة واتفق إلى بعشر آلستى غنايه
دوت هبت الندى من يداسرى كرم عياه سبط أمانه
صفت مثل ما يصفو المدام خلاله ودفقت كما ورق النسيم شياكه

وقول ابن زيدون وصلنا قبيلنا الندى من يد اسرى معنى طريح ولفظ صحيح ، إلا أنه كما نراه انط بيتا يعترى ويحول بسن أدبائنا إلى ابن زيدون يجرى زماننا وصعدوا لأنه حذا حنو الوليد فى بسن قصائده .

وَلَوْلَاكَ لَمْ يَسْمَعْ مِنَ الدَّهْرِ جَانِبٌ وَلَا ذَكَ مُقْتَادُ وَلَا لَانَ مَقْطِفٌ
لَكَ الْخَيْرُ ، أَنَّى لِي بِشُكْرِكَ نَهْضَةٌ ؟ وَكَيْفَ أُودَى فَرَضُ مَا أَنْتَ مُسْلِفٌ ؟^(١)
أَقَدَّتْ بِهِمْ الْحَالِ مِثْقَلُ غُرَّةٍ يُقَالُهَا طَرَفُ الْجَمُوحِ فَيُطْرَفُ^(٢)
وَبَوَّأَتْهُ دُنْيَاكَ دَارَ مُقَامَةٍ بِحَيْثُ دَنَا ظِلٌّ وَذَلَّلَ مَقْطِفٌ^(٣)

* *

وَكَمْ نِعْمَةٍ أَلْبَسَتْهَا سُنْدُوسِيَّةٍ أَمَرَبَلَهَا فِي كُلِّ حَيْفٍ وَالْخَفِ
مَوَاهِبُ فَيَاضِ الْيَدَيْنِ كَأَنْعَمَا مِنَ الْمَرْزُوقِ تُعْرَى أَوْ مِنَ الْبَحْرِ تُعْرَفُ
فَإِنْ أَكْ عَبْدًا قَدْ تَمَلَّكَ رِقَّةً فَارْفَعُ أَحْوَالِي وَأَسْتَقِ وَأَشْرَفُ^(٤)

(١) نهضة : أى طاعة وخدمة أى كيف يكون لى قدرة على القيام بشكرك ، وسلف : اسم فاعل من أسلفه أى أقرضه ، وفى رواية : « فرض ما أنت سلف »

(٢) اللقى اكسبت سواد الحال من غرة بضاء يواجهها طرف الطدوح الذى يد بصره إلى العلى ، فيطرف أى يثبت فيها نظره من قولهم فلان طرّف العين بفلان إذا كان لا ينظر إلا إليه .

(٣) أى أنزلنى وأخلى من دنياك الشبهة بدار اللطامة جنة دنا ظلها وذلك تطونها .

(٤) فإن أك بما أوليتى من نعم عبداً سرقوا لك فاقى أهد انتهى إليك بالعبودية والرق اسقى أحوالى وأرغمها وأغرفها ، قال أبو الطيب المتنبي « ومن وجد الأحسان قيدا تقيما » .

ولندكر - بمناسبة هذه القصيدة الفسدة التى قالها ابن زيدون بحضرة القرب فى المتضد بالله بمناسبة عيد الأضحى - قصيدة بحضرة القرب التى قالها فى التوكل بمناسبة عيد الفطر - أبهى القارىء سورين طوب

بينهما اتحاد الفرض والشاعرية وإن اختلفت الغاية والبحر :

الله مكن للخليفة جعفر ملكا يحسنه الخليفة جعفر
نعمى من الله اصطفاه بفضلها والله يرزق من يشاء ويهدر
فاسلم أمير المؤمنين ، ولا تزل تسلى الزيادة - فى البقاء - وتكسر
عمت فواضلك البرية ، فالتقى فيها القتل على النقى والمكسر

✽

بالبرصمت - وأنت أفضل صائم - وبمنة الله الرزنية ظفر
فانعم يوم الفطر هبة ، إنه يوم أمر - من الزمان - مشهر
أظهرت حر الملك فيه يجتزل لجب ، يحاط الدين فيه ويصر

في طرطوشة (١)

غريب بأقصى الشرق يشكر الصبا (٢)
تحملها منه السلام إلى الغرب
وما ضر أفتاس الصبا في أحبالها
سلام هو يهديه جسم إلى قلب (٣)

خنا الجبال لبر فيه ، وقد غدث
فالليل نصل ، وانفارس تدمي ،
والأرض خشعة تيد بقلها ،
والشس ماعة توند بالضحى
حق طعت ضوء وجهك ، فاحملت
واض فيك النظرون ، فاصبح
يمجدون رؤيتك التي فاروا بها
فذكروا لطلعتك التي ضلوا
حق اشيت إلى الصل لا بسأ
ومشيت مشية خاشع متواضع
فترو ان مشتاة تكلف فوق ما
عددا يسبح بها العديد الأكر
والبيض تله ، والأسنه ترهم
والجو متكر الجسواب أكر
طورا ، ويطفها الجاج الأكر
تلك الذي ، وانجاب ذاك المشير
يوى إليك بها ، وعين تنظر
من أتم الله الق لا تكفر
لما طلعت من الصغوف وكبروا
تور اغدى يبدو عليك ويظهر
فه لا يزى ، ولا يشكر
في وسه لسي إليك اللجم

✽

أيدت من فصل الخطاب بحكمة
ووقفت في برد التي مذكرا
ومواعظ شفت الصدور من القى
حق لقد علم الجاهل وأخلصت
صلوا وراة آخذين بصحة
فلم بخفة الاله فلم يزل
الله أعطاك المحبة في الورى
ولأنت أملا قيون لهم
تني من الحق اللين وتخبر
بالله تنذر تارة وتبهر
يتادها وشفاؤها متضر
نفس للورى واحتدى للتحير
من ربههم وبذمة لا تخفر
يحب القنوب لمن يشاء وينفر
وحياك بالفضل القى لا ينكر
وأجل قدراً في الصدور وأكر

(١) هي مدينة بأقصى الشرق من الأندلس على البحر الأبيض المتوسط ، وهي من أعمال بلنسية . قالوا :
وكانت متنة العمارة ، وهي من الفرض البحرية التي ينتابها التجار ويسافرون منها إلى سائر الأمصار ، وقد
استولى عليها الافرنج وعلى جميع حصونها في سنة ٥٤٣ هـ . (٢) ريح الصبا ، وهي التي تهب من
الشرق ، وتقالها الديور . (٣) ليت الصبا تحمل أفتاسها سلاما من جسم في الشرق إلى فؤاده الثاني
فيه في الغرب ، وغريب من هذا المعنى قول عبد الرحمن الداخل « سقر فريش » :

إن جسي كاعلت بأرض وقواى وساكنيه بأرض
تدور الله بالفراق علينا فسى باجتماعنا سوف يغضى

إلى الوزير أبي عبد الله^(١)

« لم تزل الأيام تدنى » ابن زيدون « وتبعده ، وتسوءه وتسعده ،
وتخفف به إلى كل نازح ، وتطوف أمه بين اللاعب المازح ، حتى
أحلت « بالنسبة » وهلال ذكائه كما أقر ، وغصن نباهته يانع قد أثمره ،
وبنو عبد العزيز غرر ملكها ، ودرر سلكتها ، يفيضون بحور الندى ،
ويومضون في كل مستدى ، خل منهم محلّ الحيا في الكؤوس ،
ودفع منهم موقع البشار في النفوس ، وأقام بين دبرة تواصله ، ومسرة
تغزله ، ومكاملة تغاديه ، ومجاملة كراخ القطر وغاديه ، فدا انفصل ،
وحصل ما حصل ، تذكر بعد برهة ذلك العيش ونور عمره قد
صوح ، وغصن سنه قد دوح ، فلم يجد إلا له طيبا ، ولم يهصر غير
فته غصنا طيبا ، فكتب إلى ابن عبد العزيز^(٢) :

رَاحَتُ فَصَحَ^(٣) بِهَا السَّيِّمُ رِيحُ مُعْطَرَّةِ النَّسِيمِ
مَقْبُولَةٌ هَبَّتْ قَبُو^(٤) لَا^(٥) فَهِيَ تَبْقَى فِي السَّيِّمِ^(٦)
أَقْضِيضُ مِنْكَ أَمْ بَلَدٌ سَبِيحَةٌ لِرِيَّاهَا^(٧) نَعِيمِ^(٨)
بَلَدٌ حَبِيبٌ أَقْبَهُ لِفَتَى يَحُلُّ بِهِ كَرِيمِ

(١) هو الوزير أبو عبد الله بن عبد العزيز . (٢) فلاندا العيان .

(٣) وفي رواية « فراح لها السقيم » راحت أي بردت وطابت ، وراح لها السقيم من قولهم : « راح
للأمر يراح » إذا أخذته أروحية وخفة وانشاط ، أي فارتاح لطيها السقيم .

(٤) القبول : ريح الصبا لأنها تهب على الدبور أو لأن النفس تتقبلها .

(٥) أي أن ريح الصبا تحمل معها علرا تنسم منه طيب الشذى .

(٦) لريحها الطيبة . (٧) يقول لمن نسيم بلنسية الشذى الذي تستروح النفس إليه قد هب علينا .



أَيُّهَا أَبَا عَبْدِ الْإِلَهِ دُعَاءُ مَقْلُوبِ الْقَرِيمِ (١)
 إِنَّ عَيْلَ صَبْرِي مِنْ فِرَا قِكَ فَالْعَذَابُ بِهِ أَلِيمٌ (٢)
 أَوْ أَتَبَعْتُكَ حَتَّى تَهَيَّأَ نَفْسِي فَأَنْتَ لَهَا قَدِيمٌ (٣)
 ذِكْرِي لِعَهْدِكَ كَالسَّهَاءِ دِ (٤) مَرَرَى قَبْرِ رَحِّ السَّلِيمِ
 مَهْمَا ذَمَّمْتُ قَدَا زَمَانِي فِي ذِمَامِكَ بِاللَّيْمِ (٥)
 زَمَنْ كَمَا لَوْ الرِّضَا عِ شَوْقِ ذِكْرَاهُ الْفَطِيمِ (٦)
 أَيَّامٌ أَعْقَدُ نَظَرِي يَذَلُّكَ الْمَرَايَ الْوَسِيمِ (٧)
 فَأَرَى الْقُوَّةَ غَضَّةً فِي ثَوْبٍ أَوْ أَوْ حَلِيمِ (٨)
 اللَّهُ يَعْلَمُ أَنَّ حُبَّكَ مِنْ ثَوَائِي بِالصَّخِيمِ (٩)
 وَلَكِنْ تَحْمَلُ عَنْكَ لِي جِسْمٌ فَقَنْ قَلْبِي مُقِيمِ (١٠)

(١) أَيُّهَا : بكسر الهمزة بمعنى زدي من الحديث ، ويفتحها بمعنى اكفف واسكت ، أو لتبييد بمعنى هيات ، أي بعد دعاء منسوب السريم ، والقريم : الأمر الداهي العظيم ، والمعنى هيات يجدي دعائي وأنا من فليته الحادثات على أمره . وفي الأصل : « مقلوب القريم »

(٢) لى العذر إذا مضرت برفاقك وعيل صبري فقد اشتدَّ في الألم لبدادك .

(٣) القسيم : شطر الشيء القسوم ، أي أنت شطر نفسى الثانى فلاقى لى عنك .

(٤) وفي الأصل : « كالسهاد »

(٥) الذمام : الحق والحرمة ، والمعنى مهما ذممت : من عهد الزمان الفاندر فلن أذم ذلك العهد الحيد الذى تحته . مك وصمت فيه بقربك ورفائتك .

(٦) فقد كان فى ذلك العهد المحبوب سميت ذكريات سائرة أحن إليها كما يحسن الطفل اللفظ لمعهد

الرضاء القريب . وفي الأصل « زمن كالول الرضاء » (٧) أيام ينعم ناظرى برؤية عيناك البهى .

(٨) الأواء : الكثير التأوه إشتافاً وفرحاً ، قالوا : « وهو الكثير التضرع والدعاء والحرن والبكاء

أوهو الرجم الرقيق » والمعنى : فأرى الفتوة - فى صفتها - مقترنة بالشمسية والتضرع والملم ، وفى الكتاب

الكريم : « إن إبراهيم عليه السلام أواه منيب » (٩) المصم : المحسن أو الخالص .

(١٠) وإذا رحل عنك جسمى فإن نالني لم يرحل عنك ولم يجل من حبك فهو ثابت مقم عندك .

قُلْ لِي يَأْتِيَ خِلَافِلِي سَرَّ وَكَ^(١) قَبْلُ أَفْتَنُ أَوْ أَهَمُّ^(٢)
أَتَعْبُدُكَ الْعَمَى^(٣) الَّذِي نَسَقَ الْحَدِيثَ مَعَ الْقَدِيمِ^(٤)
أَمْ ظَرْفَكَ الْخُلُوعُ الْجَنَى أَمْ عِرْضِكَ الصَّافِي الْأَدِيمُ
أَمْ بَرِّكَ الْقَذْبُ الْجَمَا مَ، وَبِشْرِكَ الْفَضُّ الْجَمِيمُ^(٥)
أَمْ بِالْبَدَائِعِ كَاللَّآ لِي مِنْ تَثِيرٍ أَوْ تَقْلِيمٍ
وَبَلَاغَةٍ إِنْ عُدَّ أَهْلُهَا قَانَتْ لَهُمْ رَعِيمٌ
فَقَرَّ تَسْوِغُ بِهَا الْمَدَا مٌ إِذَا تَكَرَّرَهَا النَّدِيمُ^(٦)
إِنْ أَتَمَّمْتَ تِلْكَ الطَّلَا قَةً كَالنَّادَى مِنْهَا مُقِيمٌ

* *

إِنَّ الَّذِي قَسَمَ الْخَطُوءَ ظَ حَبَاكَ بِالْخُلُقِ الْعَظِيمِ
لَا أَسْتَرِيدُ اللَّهَ تُعْمَى فِيكَ ، لَا بَلَّ أَسْتَدِيمِ
فَلَقَدْ أَقَرَّ الْعَيْنَ أَنَّكَ غُرَّةُ الزَّمَنِ الْبَتِيمِ
حَسْبِيَ الشَّاهُ الْحُسَيْنِ بَرِّ كَ مَا بَدَا بَرَقَ قَشِيمِ^(٧)
ثُمَّ أَلْعَاوُ بِأَنْ تَهْنَأَ طَوْلَ عَيْشِكَ فِي نَعِيمِ
ثُمَّ السَّلَامُ تُبْلَغُنِيهِ فَقَتِيبُ، مُهْدِيهِ سَلِيمِ^(٨)

-
- (١) السرو : الفضل والسخاء في الرواة . (٢) إني لا أدري أي خلال فضلك جدير بالإشارة والتتويه ، وأي مزاياك جدير بأن يوم به عارفك ويفتح (٣) الشامل .
(٤) اعظم العهد الحديث ، والمجد القديم . (٥) الجنم - جمع جنة بتشديد اللام - الماء الكثير المنجس ، يقال : جت البئر جوما ، إذا اجتمع ماؤها وارتفع بعد نزح ما فيها ، قال زهير :
« ولما وودد الماء زروا جلله ومنعني الحاضر التخييم »
والجليم : التبت الكثير . (٦) كللت قنذب بها الخمر إذا ردها القديم .
(٧) شام البرق : نظر إليه أين يقصد وأين ينظر ، وفي الأصل : « لحسن برك » .
(٨) وفي رواية : « ثم السلام ببلنته يهلب يهديه السليم »

جَوَابُ كِتَابِ

« كتب إليه الوزير أبو بكر بن الطيحي :

أبا الوليد وما شطت بنا الدار

وقلّ منا ومنك اليوم زوّار

ويعتدنا كل ما تدريه من دهم

واللصبا ورق خضر ونوار

وكل عتب وإعتاب جرى ذله

مواقع حلوة عندى وآثار

فأذكر أخاك بخير - كلما لعبت

به الليالي - فلن الدهر دوائر »

فجاء به بديها في ظهر رقعته :

لَوْ أَنَّنِي لَكَ فِي الْأَهْوَاءِ مُخْتَارُ لَمَّا جَرَتْ بِالَّذِي تَشْكُوهُ أَقْدَارُ

لَكِنِّهَا فِتْنٌ فِي مِثْلِ غَيْبِهَا تَعْنَى الْبَصَائِرُ إِنْ لَمْ تَعَمْ أَبْصَارُ^(١)

فَأَحْسِنِ الظَّنَّ لَا تَرْتَبْ بِمَهْدٍ فَتَى تَعْمَقُوا الْعُمُودُ وَتَبْقُ مِنْهُ آثَارُ

لَوْ كَانَ يُعْطَى الْمَتَى فِي الْأَمْرِ يُمَكِّنُهُ لَمَّا أَغْبَكَ - يَوْمًا - مِنْهُ زَوَارُ^(٢)

فَلَا يَرِيْنُكَ فِي ذِكْرِ الصَّدِيقِ بِدٍ مَنْ لَيْسَ يَجْهَلُ أَنَّ الدَّهْرَ دَوَارُ

(١) لو كان لي الخيار بما تهواه وتعبه لما جرى القدر بما يسوءك وبينك على التكرير ، ولكنه لم يرد

لا سبيل إلى رده ، وفتنة فضل في غيابها القول وتعنى الأبصار .

(٢) لو كان الأمر يبدى لما تخلفت عن زيارتك يوما واحداً .

في النزل

وَضَحَّ الْحَقُّ لِلْبَيْنِ وَتَنَى الشَّكَّ الْيَقِينُ
وَرَأَى الْأَعْدَلُ مَا غَرَّ تَهْتَمُ مِنْهُ الظُّنُونُ
أَمَلُوا مَا لَيْسَ يُعْنَى وَرَجَّحُوا مَا لَا يَكُونُ
وَتَمَنَّوْا أَنْ يَخُونُ السَّهْمُ مَوَالِي لَا يَخُونُ^(١)
فَلِذَا الْغَيْبُ سَلِيمٌ وَإِذَا الْوُدُّ مَصُونُ^(٢)

* * *

قُلْ لِمَنْ دَانَ بِهِ خَيْرِي وَهَوَاهُ لِي دِينُ
يَا جَوَادًا بِي إِنِّي بِكَ وَأَلْفِ صَنِينُ
أَرْحَصَ الْحُبِّ قَوَادِي لَكَ وَالْمَلِكُ^(٣) تَمِينُ

* * *

يَا هِلَالًا تَنَرَا لَهُ نُفُوسٌ لَا عِيُونُ
عَجِبًا لِلْقَلْبِ يَقْسُو مِنْكَ وَالْقَدُّ يَلِينُ^(٤)
مَا الَّذِي صَرَّكَ لَوْ سُرَّ بِمَرَاكِ الْحَزِينُ
وَتَلَطَّفَتْ لِمَصَبٍ حَيْثُ^(٥) فِيكَ يَحِينُ
فَوُجُوهُ اللَّفْظِ شَتَّى وَالْعَاذِرُ قُنُونُ^(٦)

(١) وفي رواية : وتمنوا أن يخون ال سهم مولى لا يخون

(٢) خطاب لمن الأعداء وظهر أنني لم أكن لمولاي عهداً ، وأن إخلاصى وودائى لها سليلان وودى له لا يضيق

(٣) التنبس ، وفي رواية : « والملى التمين » .

(٤) وفي رواية « والملى يلين » . (٥) هلاكه . (٦) شتى .

في مدح ابن جهور

قال يمدح الوزير الأجل محمد بن جهور بن محمد بن جهور :

أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الشَّقِيعَ شَبَابٌ فَيَقْدِرُ عَنْ لَوْمِ الْمُحِبِّ عِتَابُ^(١)
عَلَامَ الصَّبَا غَضُّ يَرِفُ رُؤَاؤُهُ إِذَاعَنْ مِنْ وَصْلِ الْحَسَنِ ذَهَابُ^(٢)
وَفِيمَ الْهَوَى غَضُّ يَشِفُ صَفَاؤُهُ إِذَا لَمْ يَكُنْ مِنْهُمْ عَنْهُ تَوَابُ^(٣)
وَمُسْعِفَةً بِالْوَصْلِ إِذْ مَرَّ بِحُ الْخِمَى لَهَا كُلَّمَا قَطْنَا الْجَنَابَ جَنَابُ^(٤)
تَنْظُنُّ النَّوَى تَعْدُو وَالْهَوَى عَنْ مَرَارِهَا وَدَاعِي الْهَوَى نَحْوَ الْبَعِيدِ حُجَابُ^(٥)

(١) ألم تعلم أن خبيث شائع الحب إذا جنى ذنباً هو ضناره شباب ، وأن القليل لحسنه في الأعين ولما فيه من القرفة والخلة يعتبر شجاعاً في تخفيف العوبة وتزليلها من لوم عتيف إلى عتاب خفيف يطفئ مدحه على القلب ، وإذا كان الشاب خبير شائع للحسان فما أجدهم "بالانصار عن القوم ، وما أبدع قول علقمة :

فان سألوني بالنساء ، فاني خبير بأدواء النساء طيب
إذا شاب رأس المرء أو قل ماله فليس له في ودهن نصيب
يردن ثراء الليل حيث وجدته وصرخ الشباب عندهم عجب

(٢) غرض : مري ناعم ، يرف رواؤه : يترقق فيه ماء الحسن ، والرواء الحسن ، ومعنى البيت : وما قيمة الشباب وضناره العبا إذا اختلفا في ترهيب الحسان وهجرا عن اكتساب ودهن .

(٣) معنى : خالص لا شائبة فيه ، ويغث من شقوق الماء أي يمشي ما وراه أي ولهم جبا خالص لا يثوب صفاء كدر إذا لم يكن من الحسان مشوبة عنه وجواء عليه .

(٤) للربح : اللومض الذي يتلون فيه زمن الربيع ، والحمى : موضع فيه كلام يحبه أهله من أن يرطبه تحسهم ، وتظنا : من القبط وهو مسمم الصيف يقال تظنا يمكان كذا أي أتنا فيه زمن الصيف والقيظ والصيف بمعنى واحد ، والجانب الأول ما قرب من مكة القوم أي قفنا في المكان القريب من الحمى واتخذناه مصيفاً لنا ، والجانب الثاني الناحية ، أي رب حناء تسقى بوصولها كلما اتخذنا جانب الحمى مصيفاً لنا وكانت لها ناحية الحمى سكناً في زمن الربيع ، وفي هذا البيت جناس متكلف كما ترى .

(٥) تظن مسافة أبعد بين وبينها تصرف تسمى عن زيارتها والحال إن داعي الهوى الذي ينادي من ناحيتها بجاب الدعوة .

وَقُلْ لَهَا نِصْوَةٌ بَرَى مَحْضَةُ الشَّرَى وَبَهْمُ غُفْلُ الصَّخَصَحَانِ تَجَابُ^(١)
 إِذَا مَا أَحَبَّ الرَّاكِبُ وَجْهًا مَضَوَا لَهُ فَهَانَ عَلَيْهِمْ أَنْ تَحَبَّ رِكَابُ^(٢)
 عَرُوبُ الْأَحْتِ مِنْ أَقَارِبِ حِلَّةٍ تَجَاوَبُ فِيهَا بِالصَّهِيلِ عَرَابُ^(٣)
 غِيَارِي مِنَ الطَّيْفِ الْمَأْوِي فِي الْكَرَى مُشِيحُونَ مِنْ رَجْمِ الظَّنُونِ غَضَابُ^(٤)
 وَمَاذَا عَلَيْنَا أَنْ يُسْنَى وَصَلْمَا طِمَاحٌ - فَإِنْ لَمْ يُفْتَنَّا - فَضْرَابُ^(٥)
 أَلَمْ تَذَرِ أَنَا لَا تَرَاخُ لِرَيْسَةٍ إِذَا لَمْ يُلْمَعْ بِالنَّجِيعِ خِضَابُ^(٦)
 وَلَا تَنْشَقُّ الْمِطْرُ الثَّمُومُ أَوْيَحُهُ إِذَا لَمْ يُشْمَعْ بِالصَّبَاحِ مَلَابُ^(٧)

(١) النِصْوَةُ : المهزول والراد به البعير الذي أنشأه السفر أي أهزله ، ويرى تحفه السرى : أي أنهب له البعير بائيل ، والبهائم : الثلاثة لا يهتدي فيها ، وغفل : أي لا علامة بها ولا أثر يعرف ، والصخصحان : للتسوية الجرداء ، أي وتل هذه المحبوبة ثنائية بعير أنشأه السفر وقلة مجهولة لا أثر فيها لعمارة والطرق تهاب وتنقطع سيرا لأجلها . (٢) في معنى هذا البيت قول الشاعر :

وكننت إذا ما جئت ليلي أزورها أرى اليد تطوى لي ويدنو بيدها

(٣) العروب : الطليعة لزوجةا للتعبه إليه ، والأاحت : ظهرت أولوحت بطرف شيء من مكان بعيد والأطارب : الأعراب ، والحلة : بجمع البيوت ، والعراب : الخيل العربية ، واللقى : زوجة من طاعة زوجها والتعجب إليه بحيث لا تلتفت إلى غيره ، تدلوح بطرف منديل أو نحوه من ناحية الحلة التي يتزل بها أولئك الأعراب النويرون حيث ارتبطوا خيولهم وركبوا رملهم .

(٤) غياري : جمع غيران من التبرء وهي الحية والأفعى . يقال رجل غير على أهله وكذلك غيران والأشي غيري ، والمشيح : المفزع المسرع إليك للدافعة للوث أو النفاذ من الحرم ، ومنه قوله .

أبت لي همي وأبى بلاني وأغنى الجد بئمن الربيع

وأفدني على المكروه غنى وضربي حامة البطل للمشيح

(٥) يسنى : أي يسهل ويسر ، ومنه نسى له كذا أي سهل وتيسر ، وقال الشاعر :

وأعلم طما ليس بالظن أنه إذا الله سنى فقد سنى تيسرا

واللقى : رأى ثمة ولوم عليها في أن يسهل الطريق إلى وصلها مطاعة بأمرها فإن لم تكن فضايرة بالسيوف

(٦) ترأخ : كتنخف من قولهم فلان يراخ للعروف إذا أخذته له أريحية وخفة ، ويلمع أي يلمع بلمع النجم أي اللم ، يقول نحن لا نترج لوصل الغنائات إذا لم ندفع ثمنه من دم الأعداء .

(٧) الثوم : مبالغة في قولهم كنى به عن سطوح الرامحة ، والأريج : ما يروح من الطير ، ويشمع :

يخطف ، والمباج : الثبار ، ولللاب : كسحاب الطير ، أي لا نترج إلى اشتاق عطرهن الساطع الأريج

إلا بعد اشتاق الحسام ، واختلاط ما يتهر سنا بك الخيل من القرب ، بما يروح من رائحة لللاب ، واللقى أنه

لا يجب أن يطار بك اللقائد إلا إذا اقتضها انضابا بحد السيف . فهو لا ينسل الرية إلا بالدم ولا ينشق

الطر إلا متروجا بشار الحبيبا .

وَكَمْ رَاسِلَ الْفَيْرَانِ يَهْدِي وَعِيدَهُ فَا رَاعَهُ إِلَّا الطَّرُوقُ جَوَابُ^(١)
وَلَمْ يَفْتِنَا أَنَّ الرِّبَابَ عَقِيلَةٌ تَسَانَدُ سَعْمُهُ دُونَهَا وَرِبَابُ
وَأَنْ رُكُوزَتْ حَوْلَ الْخُدُورِ أَسِنَّةٌ وَحَقَّتْ بِقُبِّ السَّابِحَاتِ قِيَابُ^(٢)
وَلَوْ نَذَرَ الْحَيَّانِ غَيْبَ الشَّرَى بِنَا لَكُرَّتْ قُضَالَى أَوْ لَمَادَ كَلَابُ^(٣)
وَلَيْلَةٌ وَاقْتَنَّا تَهَادَى فَنَمْتَرَى أَيْسُمُو حَبَابُ أَوْ يَسِيبُ حُبَابُ^(٤)
يُعَذِّبُهَا عَضُّ السَّوَارِ بِمِصْرَمٍ أَبَانَ لَهَا أَنَّ النَّعِيمَ عَذَابُ
لَا بَرَحْتُ مِنْ شَيْحَانٍ حُطَّ لِحَامُهُ إِلَى خَفِيرٍ مَا حُطَّ عَنْهُ نِقَابُ^(٥)
تَوَى مِنْهُمَا نَفَى النِّجَادِ مَشِيعٌ نَجِيدٌ وَمِيلَاةُ الْوُشَاحِ كَمَا^(٦)

(١) الفيران : وصف من النيرة ، والطروق : طروق المي بالليل ، وفي التفتح بواصل رغم الفيور يقول ابن الرومي .

الأربعاء سؤد الفيور وساءني . وبلت كلانا من أغصه على وحر
وبلت أنوامها عذاباً كأنها . يتابع مخرجت لؤلؤ البحر
(٢) القب : جمع قباء وأقب والأقب الفاسر من الخيل ، ومعنى هذا البيت والقبى قبله لم يصرنا من زيارة
هذه المحبوبة التي كفى عنها بلرب أن تساند هاتان القليلتان وماتتا دون الوصول إليها .

(٣) نذره كفرح طعه فأنزله عقال وكلاب يضم أولها يومان من أيام العرب ، أي لو علم بهرانا
إليها هذان الحيان لكان لنا معهما يومان كيوى عقال وكلاب في المهرة والمحول .

(٤) يسو : أي يرتفع الناظر إليه من بعيد فيستيقنه وجاب . بالفتح - توج الماء وطرافته التي كأنها
الوقى أو النسيج وبالفم الحية ، ويسو لنا حجاب بالفتح وهو الماء في تدافعه وتوجه وإحداثه طرائق
كطرائق النسيج وهو تتيل لا اختلاس الخطا في اللقى ، واللقى : واذكر لية واقتنا تخفية فنشك أنجل نخوتا
حجب أو نفاش البناحية . يقول : لقد كنا لا ندرى أن تكون لبتنا لية أنس وانقباط بقرب الحبيبة ، أم
لية حرب وضراب بنزو أممانا إيانا ، وسمو الحجاب : فيه إشارة إلى قول امرئ القيس :

سموت إياها - بعد ما نام أهلها - سمو حجاب الماء ، حالا على حل

(٥) لأبرحت : لقد أفرطت في الحذر وتوقع مواربة العدو ومشايعته ، والتشبحال : الفيور الحذر على
الحريم ، والخفر : الحياء ، والقام : الرجل ، والنقاب : للرأه ، يقول : لقد وضعت القام عن وجهي وتمت
بجيب لم يرفع عنه وجهه نقاب لفرط حيايه . ولقد كنت - إلى ذلك - دائم الحذر والتوقع لمواربة العدو .

(٦) توى : أدم ، ونفى النجاد : بكسر أولها أي طلى القرش والوسائد ، وللشيع : كظم الشجاع ،
وللتجيد : الأسد - وهو معنى بذلك تنه - وبلاء الوشاح : يريد أن وشاحها به ميل وانحدار لتهود تديها
وضور كتحجها ، والكمام : كمام التي كب تديها - وهو معنى بها حبيته - وفي معنى هذا البيت

يقول الطراني : وبنا على رخم الفيور ينمنا جيأ حوافي بردها وردائيا
وكانت لمساءات الليالي كثيرة فابرحت حتى شكرنا الليالي

يُمَكِّلُ مِنْ إَغْرِضٍ تَقَرَّ يَمَلُّهُ غَرِيضٌ كَمَا الْمُنْزِ وَهُوَ رُصَابٌ (١)
إِلَى أَنْ بَدَتْ فِي دُمُحَةِ الْأَفْقِ غُرَّةٌ وَتَقَرَّ مِنْ جُنْحِ الظَّلَامِ غُرَابٌ (٢)
وَقَدْ كَادَتْ الْجُوزَاهُ تَهْوِي فَخِلَتْهَا ثَنَاهَا مِنَ الشَّمْرِى الْمُبُورِ جَنَابٌ (٣)
كَأَنَّ الثَّرْيَا رَايَةً مُشْرِعٌ لَهَا جَبَانٌ يُرِيدُ الطُّغْنُ ثُمَّ يَهَابُ
كَأَنَّ سُهَيْلًا فِي رِبَاوَةِ أَفْقِهِ مُسِيمٌ نُجُومٍ حَانَ مِنْهُ إِيَابٌ (٤)
كَأَنَّ السَّمَاءَ قَانِي الْحُشَاشَةِ شَفَهُ صَنَى فَخُفَاتُ مَرَّةٍ وَمَتَابُ
كَأَنَّ الصَّبَاحَ اسْتَقْبَسَ الشَّمْسَ نَارَهَا فَجَاءَ لَهُ مِنْ مُشْتَرِيهِ شِهَابُ
كَأَنَّ إِيَاةَ الشَّمْسِ بِشْرَانِي «جَهْوَرِ» إِذَا بَدَلَ الْأُمُوالَ وَهِيَ رِغَابٌ (٥)
هُوَ الْبَشْرُ شَمْنَا مِنْهُ بَرَقَ قَمَامَةٌ لَهَا بِاللَّهْمَا فِي الْمُعْتَفِينَ مَصَابٌ (٦)

(١) يعال : أى يكر من التليل وهو جنى النثرة مرة بعد مرة ، ومنه قول امرئ القيس :

فقلت لها سيري وأرضي زمامه ولا تبعدي من جنائك المثل

والأغريض : الطلع جبل ما ناله مكررا من تليلها بمنزلة إغريض أبيض لو تكرر جنابه ، ومنه أى يسليه مكررا ، والغريض : ماء الأسنان ، والرضاب : الرق للرشوف ، قلوا : وهو الرق مادام فى النعم .

(٢) الدمة : سواد الليل ، والنرة : يياض الصبح ، شبه الصبح فى استعجاله الذهبى بمن يطير غرابا ، وطلعير هذا قول ابن المعتز :

كأنما وضوء الصبح يستعجل الذهبى طلعير غرابا ذا قوائم جوف

(٣) الجوزاء : نجم يمتد فى جوز السماء أى وسطه ، والشمرى : شريان « إحداهما » القصرى العيور وهى كوكب يطلع بعد الجوزاء وسيت العيور لأنها - كما يقال - عبرت السماء عرضا ولم يعبر السماء عرضا غيرها وهى التى عيدها طائفة من العرب فى الجاهلية ، وقد ورد ذكرها فى القرآن الكريم فى قوله تعالى « وأنه هو رب العرشى » أى التى تليدونها « ولثانية » اللينعاء تنول العرب فى أحاديثها لأنها محصت من بكائها على العيور ، وتناما : حلفها ، والجنياب : التاجية والفتاء .

(٤) سهيل نجم ، ورباوة أفقه ما ارتفع منه ، ومسيم : اسم فاعل من أسام الايل أى أرمها ، شبه سهيلا فى انحداره آخر الليل وراء النجوم براع حان منه رجوع ورواح .

(٥) إياة الشمس : بكسر الهمزة وفتحها ضوءها وحياتها .

(٦) اللهأ : بالضم المطايا ، والمتقى : كالماق طالب المنزل والجلود ، والمصاب : بالفتح ثرول للطر مصدر ميسى من صاب للطر يصب إذا نزل .

جَوَادٌ مَتَى اسْتَعَجَلَتْ أُولَى هِيَابِهِ
فَعَنَى عَنِ الْإِنْسَانِ دَرُّ نَوَالِهِ
إِذَا حَسَبَ النَّيْلَ الرَّهِيدَ مُثِيلُهُ
عَطَايَا يُصِيبُ الْحَاسِدُونَ بِحَمْدِهِ
مَوْطَأُ أَكْنَافِ السَّمَاحِ دَنَتْ بِهِ
فَوْزُهُ تَرَزُّ أَكْنَافُ غَنَاءِ طَلَّةِ
زَعِيمِ الْمَسَاعِي أَنْ تَلِينَ شَدَائِدُ
مَهِيبٍ يُفَضُّ الطَّرْفُ مِنْهُ لِأَذِينِ
لِأَبْلَجِ مَوْفُورِ الْجَلَالِ إِذَا أُخْتَبِيَ
وَذِي تَذَرَا يَدْعُو الْمِدَا عَنْ قِرَاعِهِ
إِذَا هُوَ أَمْضَى الْعَزْمِ لَمْ يَكْ هَفْوَةٌ

كَفَاكَ مِنَ الْبَعْرِ الْخُفْمُ عُبَابُ
إِذَا اسْتَنْزَلَ الدَّرَّ الْبَيْكِيُّ عِصَابُ^(١)
فَا لِعَطَايَاهُ الْحِسَابِ حِسَابُ^(٢)
عَلَيْهَا ، وَلَمْ يُجْبِتُوا بِهَا فَيَحَابُوا
خَلَاقُ زُهرُ إِذَا أَنَافَ نِصَابُ^(٣)
أَرَبَّتْ بِهَا لِلْكُرُمَاتِ رَبَابُ^(٤)
يُمَارِسُهَا أَوْ أَنْ تَلِينَ صِعَابُ
مَهَابَتُهُ دُونَ الْحِجَابِ حِجَابُ^(٥)
عَلَا نَظَرُ مِنْهُ وَعَزَّ خِطَابُ
غِلَابُ قَهْمًا عَزَّةً فَخِلَابُ^(٦)
يُورَثُ عَنْهَا فِي الْأَنَامِلِ نَابُ^(٧)

(١) النانة البسوس : هي التي لا تدر إلا على الابهاس بأن يقال لها « بس بس » تكبنا لها ،
والبرالين ، والبيكي النانة التي قل لبها ، والمصاب : بالكسر شد ظني النافة لندر . يقول : إن نواله
قريب ميسور لا يحفك مشقة ولا يوجبك إلى الخلف . (٢) حسب : عد ، والحساب : بالكسر
يعني الكثيرة الكافية معة لطاياه ، ومنه قوله تعالى « عطاء حسابا » أي كافيًا ، والمعنى : إذا عد
المطاء التليل منه ومسطبه ليحسبه فما لطاياه الكثيرة الكافية عد ولا إحصاء .
(٣) يقال رجل موطأ الأكفاف : كعظم أي سهل دنت الأخلاق سجع كريم ، والنصاب : كالنصب
الأصل ، والمعنى : أنه سهل جوانب السباح يقربه منك ويدنو به إليك دماء أخلاقه وإن ملانصبه وسما أسله
(٤) اللناء : الكثيرة الشجر ، والطفة : المروضة بها الطل ، وأريت : من أرب بالكان إذا زمه
والرباب النصاب . (٥) يقول إن ابن جهور مهيب ينضى من مهابة ومع هذا فهو ينضى طرقة
حياء ، وهذا قريب من قول الفَرَزْدَقِ :

« ينضى حياء ، وينضى من مهابة فلا يكلم إلا حسين يتم »

(٦) ذو نمر : يضم أوله أي صاحب عدة وقوة على دفع أعدائه عن نفسه ، وغلاب : أي مغالبة ،
ومعه : غلبه ، وخلاب : من خلبه إذا خضعه ، وفي اللؤلؤ « إذا لم تلب غلاب » .
(٧) يقول إذا أَمْضَى الْعَزْمِ لَمْ يَكْ إِسْخَاوُهُ هَفْوَةٌ ينضى عليها أُنَامُهُ نَدْمًا ومهبطا .

عَزَامُ يَنْصَاعُ الْعِذَا عَنْ مُرَّهَا كَمَا رَهَيْتَ يَوْمَ النَّضَالِ رَهَابُ^(١)
 صَوَائِبُ ، رِيَشُ النَّصْرِ فِي جَنَابِهَا لَوْ أَمْ ، وَرِيَشُ الطَّائِبَاتِ لُنَابُ^(٢)
 حَلِيمُ تَلَاقِ الْجَاهِلِينَ أَنَاثُهُ إِذَا حِلْمُ عَنْ بَعْضِ الذُّنُوبِ عِقَابُ^(٣)
 إِذَا عَثَرَ الْجَانِي عَمَّا عَفَوْ حَافِظُ بِنَعْنَى لَهَا فِي الْمُذْنِبِينَ ذِنَابُ^(٤)
 شَهَامَةُ نَفْسٍ فِي سَلَامَةِ مَذْهَبِ كَمَا الْمَاءُ لِلرَّاحِ الشَّمُولِ قَطَابُ^(٥)
 « بَنِي جَهْوَر » مَهْمَا فَخَرْتُمْ بِأَوَّلِ فَسِرْ مِنْ الْمَجْدِ التَّلِيدِ لُبَابُ^(٦)
 حَطَّطْتُمْ بِمَحِثٍ أَسْلَطَحَتْ سَاحَةَ الْعَمَلِ وَأَوْفَتْ لِأَخْطَارِ السَّنَاءِ هِضَابُ^(٧)
 يَكُمُ بَاهَتِ الْأَرْضُ السَّمَاءُ فَأَوْجُهُ شُمُوسُ وَأَيْدٍ فِي الْمُحُولِ سَحَابُ^(٨)

* *

أَشَارِحَ مَعْنَى الْمَجْدِ وَهُوَ مُعَمَّرُ وَقَابِرَ مَعْنَى الْحَمْدِ وَهُوَ خَرَابُ^(٩)
 نُحْيَاكَ بَذْرُ وَالْبُدُورُ أَهْلُهُ وَيُمْنَاكَ بَحْرُ وَالْبُخُورُ نِعَابُ^(١٠)
 رَأَيْتُكَ جَارَكَ الْوَرَى فَقَلَبْتَهُمْ لِذَلِكَ « جَرَى الْمَذْكِيَاتِ غِلَابُ »^(١١)

- (١) الانصياع الرجوع أى يرجع الأسماء مما أسره من العزائم خوفا ورمية كما رعبت يوم النضال وهاب أى لصال رقيقة جمع رهب كبل . (٢) صواب : صفة العزائم فى البيت قبله يريد أنها عزائم صابئة كالسهم ، والقناب : ريش السهم إذا لم يتحدل فإذا اعتدل فهو لؤام . (٣) وهذا تريب من قول النسي : « ترفق أيها اللول حليم فان الرق بالجاني عقاب »
 (٤) القناب : بالسكسر خيط يشد به ذنب البعير لئلا يخطر به أى يحركه مينا وعيالا فيبلا راكمه ، أى أنه بما يسديه إلى الجنة من نفس يتهم من الوقوع فى الذنب كما يمنع الذباب ذب البعير عن تلويث راكمه بخطراته
 (٥) قطاب : بالسكسر مزاج . (٦) ممس : خفى مشقه ، ونمى : التزل .
 (٧) قناب : بالسكسر جمع قناب وهو النعير . أو هو سبيل الوادى ، وجمه قناب ، قال ابن دريد : « والناس ضنح قناب وأنى » ويجمع أيضا على قنابان ، قال الحريري فى أنجيته التى ذكرها فى مقاماته : « أيموز الوضوء من ماء القنابان » قليل : « وهل أحسن منه قنابان »
 (٨) والمذكيات — والمذكيات بالتحفيف — الخيل التى بلغت تمام السن ونهاية الشباب وفى التل : « جرى للمذكيات غلاب » أى أن قناب الجرى غلابا .

فَقَرَرْتُ بِهَا مِنْ أَوْلِيَاكَ أَهْنُ^(١) وَذَلَّتْ لَهَا مِنْ حَاسِدِيكَ رِقَابُ^(٢)

۞ ۞

فَتَحَّتْ الْمَنَى مِنْ بَعْدِ الْهَامِنَا بِهَا وَقَدْ صَنَعَ إِفْلِيدُ وَأَبْنُومُ بَابُ^(٣)
مَدَدَتْ ظِلَالُ الْأَمْنِ تَحْفَرُ تَحْتَهَا مِنَ الْعَيْشِ فِي أَعْدَى الْبِقَاعِ شِعَابُ^(٤)
جَمَى سَأَلْتُ فِيهِ الْبَغَاتِ جَوَارِحُ وَكَفَّتْ عَنِ الْبَنَمِ الرِّتَاجِ ذَنَابُ^(٥)
فَلَارِثَتِ نَسْنَى سَعَى مَنْ حَفَّ سَعِيهِ نَجَاحُ وَحَفَّ السَّائِيهِ قَبَابُ^(٦)
فَإِنَّكَ لِلدِّينِ الشَّعِيبِ لِمَلَامُ وَإِنَّكَ لِلْمُلْكِ النَّثَى لِرِيَابُ^(٧)
إِذَا مَشَرُوا الْهَاهُنُ جُلُوسًا وَهُمْ فَلَهُوْكَ ذِكْرُ وَالْجَلِيسِ كِتَابُ^(٨)
نُزْرِكَ عَنْ شَهْرِ الصِّيَامِ الَّذِي أَتَقَى فَإِنَّكَ مَفْجُوعٌ بِهِ فَعَبَابُ^(٩)
هُوَ الزُّورُ لَوْ تَمَطَّى الْمَنَى وَصَنَعَ الْعَصَا لِيَزْدَادَ مِنْ حُسْنِ الثَّوَابِ مُنَابُ^(١٠)
شَهِدْتُ لَأَدَى مِنْكَ وَاجِبُ فَرْضِهِ عَلِيمٌ بِمَا يُرْضَى الْإِلَهِ قَبَابُ^(١١)
وَجَاوَزَتْ يَنْتَ أَفْهِ أَنْسَا يَمُشِرُ خَشَوْهُ فَغَرُّوا رُكْمًا وَأَتَابُوا^(١٢)
لَقَدْ جَدُّ إِيخَابُ وَحَقُّ تَبْتُلُ وَبَالَعُ إِخْلَاصُ وَصَحَّ مَتَابُ^(١٣)

- (١) إِيهَام : الباب إِفْلَانَهُ ، وَلَب : مَبْهَمٌ أَيْ مَنَاقٍ ، وَالْإِفْلِيدُ : الْفَتَاحُ .
(٢) أَهْنَى : أَفْعَلَ تَفَضُّلًا مِنْ عَذِيَّتِ الْأَرْضِ يُقَالُ أَرْضٌ عَذَاءٌ وَهِيَ الطَّيْبَةُ الْغَرِيَّةُ الْخَالِصَةُ مِنَ الزَّرْعِ الْبَعِيدَةِ مِنْ مَاءِ الْأَنْهَارِ وَالْجُدَاوِلِ وَالشَّعَابِ : جَمْعُ شَعْبٍ بِالْكَسْرِ وَهُوَ الطَّرِيقُ فِي الْجَبَلِ وَصَيْلُ الْمَاءِ ، يَقُولُ أَنَّهُ مَدَّ ظِلَّ الْأَمْنِ عَلَى الْبِلَادِ النَّاتِيَةِ ، وَجَعَلَ الْخَشَبَ يَتَدَلَّى إِلَى الْجِهَاتِ الْبَعِيدَةِ مِنْ مِيَاهِ الْأَنْهَارِ .
(٣) الْبَغَاتُ : ضَمَامُ الطَّيْرِ ، الْبَهْمُ : وَاحِدَتُهَا بَهَةٌ بِالتَّخْفِ وَهِيَ أَوْلَادُ الضَّأْنِ وَالْمَرْ وَالْبَرِّ . وَهَذَا الْبَيْتُ مِنْ أَبْدَعِ مَا فَرَّاهُ فِي وَصْفِ اسْتِثْبَابِ الْأَمْنِ .
(٤) الشَّعِيبُ : لِلتَّخْفِ ، وَانْتَى : الْفَاسِدُ مِنْ تَأْيٍ يَأْتِي فَوُو تَأْ كَثُرَ إِذَا غَدَا ، وَرَتَابُ : جَمْعُ رَوْحٍ وَهِيَ الْقِطْعَةُ مِنَ الْخَشَبِ يَشْتَبُ بِهَا الْإِنَاءُ وَيُسَدُّ بِهَا الْجَفَنَةُ
(٥) يَشِيرُ إِلَى قَوْلِ اللَّحْنِيِّ :
(٦) الْقَتَابُ : بِالْكَسْرِ السَّالِمُ بِالْأُمُورِ .
(٧) الْإِيخَابُ : مَصْدَرُ اخْبَأْتُ إِلَى رَبِّهِ أَطْأَنَ إِلَيْهِ وَتَخَفْتُ وَتَوَاضَعْتُ ، وَالتَّبْتُلُ : الْإِعْطَاعُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى .

سَيَخْلُدُ فِي الدُّنْيَا بِكَ مَقَرُّهُ
 وَبُشْرَاكَ أَعْيَادُ سَبْتِي أُطْرَاذُهَا
 تَرَى مِنْكَ سُرُورَ الْمَلِكِ فِي تَشَفُّعِ النَّحْيِ
 قَابِلٍ وَأَخْلَفَ إِنَّمَا أَنْتَ لَا بَسْ
 فَذَيْتُكَ كَمْ أَلْقَى الْفَوَاحِرَ مِنْ عِدَا
 عَمَّا عَنْهُمْ قَدَرَى الرَّبِيعُ فَأَهْجَرُوا
 وَقَدْ تَسْمَعُ أَمِيتُ الْجَحَاشُ نَهَيْقَا
 إِذَا رَأَى حُسْنَ الرُّوضِ أَوْ فَاحَ طَائِفَةٍ
 فَلَا بَرَحَتْ تِلْكَ الضَّعَائِرُ نَيْشَا
 يَقُولُونَ شَرِقْ أَوْ فَتَقَرَّبْ صَرِيعةً
 فَأَنْتَ الْحَسَامُ الْعَضْبُ أَمْدَى مَتْنَةً
 وَمَا السَّيْفُ مِمَّا يُسْتَبَانَ مَضَاوُهُ
 وَإِنَّ الَّذِي أَمَلْتُ كَدَّرَ صَفْوُهُ
 وَقَدْ أَخْلَفْتَ مِمَّا ظَنَنْتُ تَحَايِلُ
 فَرَنْ لِي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ عَلَيْهِمْ
 لِيُخْرِجَهُمْ إِنْ لَمْ تَرُدِّ نَبْوَةً

- (١) الفوخر : جمع فخره من ضرفاء إذا فخره أراد بها الخوف ، والتعجب : ما أتعجب به النار واشتمها
 به من صغار الديدان . يقول : نفس نداؤك ، كم ألقى الكواثر من أعداء خبيث ذوى مكر خفي في تدبير
 القتل ، ودعاه في نصب الفعراك . (٢) لصاب : بالكسر من لصب الجلب بالهمزة ثوب به من شدة
 الحر والبرد ان ما يحملونه من شغل له وقع في صدورهم كذبح الأضحية سبب لهم الحر والبرد .
 (٣) الصرعة : الرعدة وقطع الأسم ، والتهاب : بالكسر التثام جمع نهب .
 (٤) مضرب السيف : بالفتح والكسر ، وذباؤه : بالفتح حده .

فَقَدْ تَشْتَبَى صَفْحَةَ الْمَاءِ كُذْرَةً وَيَنْقُطُو عَلَى صَوِّهِ النَّهَارِ صَبَابٌ ^(١)
 مُرُورُ الْغَيْثِ مَالَمَ يَكُنْ مِنْكَ حَسْرَةٌ وَأَرَى الْمُنَى مَا لَمْ تُكُنْ بِكَ صَابٌ ^(٢)
 وَإِنْ يَكُ فِي أَهْلِ الزَّمَانِ مُؤْمِلٌ فَانْتَ الشَّرَابُ الْمَذْبُوبُ وَهُوَ سَرَابٌ
 أَيْمُورٌ مِنْ جَارِ السَّمَاءِ كَيْفَ جَانِبٌ وَيُعِيرُ فِي ظِلِّ الرَّيِّعِ جَنَابٌ ^(٣)
 فَأَيْنَ ثَنَاءٌ يَهْرُمُ الدَّهْرُ كِبَرَةً وَحِلْيَتُهُ فِي الْفَارِيزِ شَبَابٌ
 سَأُبْكِي عَلَى حَظِّي لَدَيْكَ كَمَا بَكَى رِيْعَةٌ لَمَّا صَلَّ عَنْهُ دُؤَابٌ
 وَأَشْكُرُ بُوَّ الْجَنْبِ عَنْ كُلِّ مَضْجِعٍ كَمَا يَتَجَافَى بِالْأَسِيرِ ظِرَابٌ ^(٤)
 فَتَقِ بِهَزْزِ الشَّرِّ وَأَصْفَحْ عَنِ الْوَرَى فَلَيْتَهُمْ - إِلَّا الْأَقْلَ - دُؤَابٌ
 وَلَا تَمْدِلِ لِلْمُتَيْنِ فِي فَنَاءِ الَّذِي إِذَا حَصَرَ الْعَقْمُ الشَّوَارِدُ قَابُوا
 يَتُوبُ عَنِ الْمَذَاحِ مَنَى وَاحِدٌ جَمِيعُ الْخِصَالِ لَيْسَ عَنْهُ مَنَابٌ
 وَرَدْتُ مَعِينَ الطَّبْعِ إِذْ زِيدَ دُونُهُ أَنَسَ لَهُمْ فِي حَجَرَتَيْهِ لُؤَابٌ ^(٥)
 وَتَحَدَّنِي عِلْمُ تَوَالَتِ فُنُونُهُ كَمَا يَتَوَالَى فِي النِّظَامِ سَخَابٌ ^(٦)
 فَعُدْ يَدَايِي يَنْضَاءُ يَصْنَعُ صِدْقُهَا فَإِنْ أَرَا جَيْفَ الْعُدَاةِ كِذَابٌ
 وَحَاشَاكَ مِنْ أَنْ تُسْتَمَرَّ مَرِيرَةٌ لِمَهْدِكَ أَوْ يَخْنِي عَلَيْكَ صَوَابٌ ^(٧)

(١) غيثا يقطر : ستر والاضباب سحبان وقيق يشبه الضباب .

(٢) الأرى : العسل ، والصاب : شجر مر واحدته صابج .

(٣) يمور : من أمور المكان إذا بنت منه صورة ، ويمر : أى يجلب ومنه للبراء للأرض المبلية .

(٤) الفارب : ككثف ما نأى من المطيرة وحده طرفه والجمع ظراب بالكسر .

(٥) زيد : بالياء لهجهولمنع ، والمهيرة : بفتح فسكون الناجية ، ولواب : بالضم عطش ، ولدى : أنه طبع على الشعر وورد معين الطبع في حين أن غيره من الشعراء حبس من وروده ظه في جانبيه لواب أى عطش

(٦) اللجج : كظلم نفى جرب الأمور وفاسها بجهه وطلته التجارب ودهله المنجذ بالقال للمجبة ، والسخاب : بالكسر المقدر . (٧) المرير : والمريرة الحبل ، والاستمرار إحكام ذله ، يقول لعلك

أن أدعوك إلى إصلاح حدث من ههنا ، أو يخفى عليك وجه الصواب .

بعد خمسمائة يوم في السجن

« نظم ابن زيدون هذه القصيدة في مدح ابن جهور واستطافه ،
وقد وردت في آخر رسالته الجدية التي بعث بها إلى ابن جهور ^(١)
بعد أن مهد تلك القصيدة بقوله مخاطبا ابن جهور :

وإنك إن سئيت عقد أسرى تيسر ^(٢) ، ومتى أغضرت ^(٣)
في فك أسرى لم يتعذر ، وعلمك عيط بأن المعروف ثمرة النعمة ،
والشفاعة زكاة المروءة ، وفضل الجاه تعود به صدقة ^(٤)

وإذا امرؤ أهدي إليك صنعة من جاهه ، فكأنها من ماله
لعل ألقى الصا بذراك ^(٥) ، وتستقر في النوى في ظلك ، وأستأف
التأدب بأدبك ، والاحتمال على مذهبك ، فلا أوجد للحاسد مجال
لخطه ^(٦) ، ولا أدع قادح مساغ لفظه ، ولفظه ميسرك من إطلاقي ^(٧)
بهذه الطلبة ، واشكائي من هذه الشكوى بصنعة نصيب منها
مكان المصنع ، وتستودعها أحفظ مستودع ، حبا أنت خليقي له ،
وأنا منك حري به ، وذلك بيده ، وهين عليه .

ولما توالى غرر هذا الترواقت ^(٨) درره ، فوز عطف
غلوأته ، وجو ذيل خيلائه ^(٩) ، عارضه النظم مباهايا ، بل كأيده
مداهايا ، حين أشفق من أن يطفك استطافه ، وتجميل بنفسك
الطافه ، فاستحسن العائدة منه ، واعتد بالفائدة له ، وما زال

(١) وقد أقيمت هذه الرسالة في مكان آخر من الكتاب فليرجع إليها القارئ إذا شاء .

(٢) ان يسهل ما تقدم من أسرى تيسر وسهل . (٣) قبل العذر .

(٤) قال الشاعر :

قد تمت القول أن الشفقة على المديق والمدون صمدته
وأفضل العالم عند الله من ساعد الناس بغض الجاه
ومن أغاث اليتيم للوهلأ أهله الله إذا أغيثنا

(٥) في كفك . (٦) فلا يجد الحاسد سبيلا إلى الصفاة في وتحمه بالقر إلى وأنا منكوب .

(٧) أسطاف واتالي ما أجنه . (٨) انتظمت . (٩) كبره وزعموه .

يستكد النعمن العليل ، والخطر الكليل حتى زف إليك عروسا
مجاورة في أبوابها ، منصوصه ^(١) بجملها وملابها ^(٢) وهامى القصيدة

الهُوَى فِي طُلُوعِ تِلْكَ النُّجُومِ وَالْمَتَى فِي هُبُوبِ ذَاكَ النَّسيمِ
سَرَّنا عَيْشُنَا الرِّيقِ الحَوائِي لَوْ يَدُومُ السُّرُورُ لِلْمُسْتَدِيمِ
وَطَرُ مَا أَتَقَعَى إِلَى أَنْ تَقَعَى زَمَنٌ مَا ذِمَّتُهُ ^(٣) بِالنَّصِيمِ ^(٤)
إِذْ خِتَامُ الرِّضَا المُسَوِّغِ مِنْكَ وَمِرْاجُ الوِصَالِ مِنْ تَسْنِيمِ
وَعَرِيضُ الدَّلَالِ ^(٥) غَضَّ ^(٦) جَنَى الصَّبْوَةِ ^(٧) نَشْوَانٌ مِنْ سُلَافِ ^(٨) النَّصِيمِ
طَالَمَا نَافَرَ الهَوَى ^(٩) مِنْهُ غِرٌّ ^(١٠) لَمْ يَطْلُ عَهْدُ جِدِّهِ بِالنَّصِيمِ ^(١١)



أَيُّهَا المُوَدِّعِي يَظْلُمُ اللَّيَالِي لَيْسَ يَوْنِي بِوَاحِدٍ مِنْ ظُلُومِ ^(١٢)
قَمَرِ الْأَفْقِ - إِنْ تَأَمَّلْتَ - وَالشَّمْسُ هُمَا يُكْسِفَانِ دُونَ النُّجُومِ

(١) مرفوعة .

(٢) للاب : الزعران . قال الشاعر : « كالخفة الصفراء ما ك جبرها بملابها »

(٣) ذمته : عهد . (٤) لم يقض لنا وفر من السرور بركة الحياة الناعمة والعيش الرغد

حتى تولى ذلك الزمن غير مذموم العهد . (٥) وذلك الدلال الطيف الحسن .

(٦) النفس : الطرى ، الناعم : الناضر . (٧) الهوى : (٨) حمر .

(٩) نافر الهوى : غاله . (١٠) لم يجرب الأمور .

(١١) النصيم : جمع نسيمة ، وهو المود : جمع عود . أى الخرزات ونحوها مما يعلق على الصبي لين
هذه الدن ، وقد أذكر الاسلام ذلك ، وفي هنا يقول القائل :

وإذا للنية انتبت أظفارها الفتيت كل نسيمة لا تنفع

ومنى ذلك البيت : أن حبيبه قد طامى الهوى وجافه لأنه فرحت لا يزال قريب العهد بالنجم ، فهو
لا يترك كالنزال النافر لفرارته وحده عهد .

(١٢) أيها الخبي بما تدخره لي الليال من كيد ، ورويك لا تخفى بذلك ظلت يحاق يوماً طي دهرى
لأنني كنت منه الظلم دائماً .

وَهُوَ الْأَعْمَرُ لَيْسَ يَنْفَكُ يَنْحُو بِالْمَصَابِ الْعَظِيمِ نَحْوُ الْعَظِيمِ (١)

* *

بَوَّأَهُ «جَمُورًا» شَرَفَ السُّو وَدِدِ فِي الصَّرْوِ (٢) وَالْبَابِ الصِّمِ (٣)
وَاحِدٌ سَلَّمَ الْجَمِيعُ لَهُ الْأَمَدُ رَفَعَكَ الْخُصُوصُ (٤) وَفَقَّ الْعُمُومُ (٥)
قَلَدَ الْعُمُرُ (٦) ذَا التَّجَارِبِ فِيهِ وَأَكْتَفَى جَاهِلٌ بِعِلْمِ الْعَالِمِ (٧)
خَطَرٌ يَقْتَضِي الْكَمَالَ يَنْوَعِي خُلُقِي تَارِعٍ وَخَلْقِي وَسِيمِ (٨)

* *

أَيُّهَا ذَا الْوَزِيرِ هَا أَنَا أَشْكُو وَالْمَصَا بَدَأَ قَرَعَهَا لِلْعَالِمِ (٩)

(١) أكثر الشعراء من ذكر هذا المعنى في صور مختلفة ، وكادوا يذكرونه بنسب هذه الألفاظ ، وقد ذكره أبو تمام بأسلوب آخر فقال :

لا تكثر عطل الكرم من الفنى فالسبل حرب للكث العال

ومنه قول أبي العلاء :

والخطب يحتاج الجليل وكما شكاً بآ على ، ما شكاه تنجب

(٢) الرودة . (٣) الحسن : الخالص . (٤) الخصوص : الخاصة ، قال الشاعر :

البلغ خيلى ضد هند فلا زلت قريباً من سواد الخصوص

(٥) انظر الخاصة والعامة على تأليفه مقاليد الأمور (٦) القمر : بالضم والفتح ، الذى لم يجرب الأمور

(٧) سلم الجميع مقاليد أمورهم إليه ، وافق طاعتهم وخاضعهم على الاعتراف له بالفضل فأولوا العلم عرفوا بالعلم فضله ، ثم تقدم في ذلك الجاهلون ، واكتفى القمر الجاهل بعلم الخبير المجرب ، قالوا : وابن زيدون ينظر من طرف خفى إلى قول البحتري :

وذو القنصل يحمون على فضلك من بين سيد ومسود

عرف الملوك فضلك بالعلم ثم وقال الجاهل بالتقليد

(٨) خطر : شرف وارتقاء قدر ، وعلو منزلة ، يقتضى الكمال : يستلزم الكمال وبلوغ الغاية

لما أحرزته من جلال السجيا ، ووسامة الخلفة .

(٩) والمصا بده قرعها للحليم : تدين للثقل العربي للجمهور : « إنَّ المصا قرعت لدى الحليم » وهم يضربون هنا للثقل الذي أتى إذا بينه انتهى .

مَا عَنَّا أَنْ يَأْتِيَ السَّائِقُ الْمَرْءَ بَطَّ فِي الْمَتْنِ مِنْهُ وَالْطَّهِيمُ^(١)
وَبَقَاةِ الْحُسَامِ فِي الْجَفْنِ يَذْنِي مِنْهُ بَعْدَ الْمَضَاءِ وَالْتَضَمِ
أَفْصَبَتْ مِثِينَ تَحْمًا مِنَ الْأَيَّامِ مَ، نَاهِيكَ مِنْ عَذَابِ أَلِيمِ
وَمَعْنَى مِنَ الضَّغْنِ بَهَنَاتٍ نَكَاتٌ بِالْكُلُومِ قَرَحَ الْكُلُومِ^(٢)
سَقَمٌ لَا أَعَاذَ فِيهِ وَفَى الْعَا نِيدِ أَنْسُ يَنْفِي يَبْزُهُ السَّقِيمِ^(٣)
نَارُ بَقِي سَرَى إِلَى جَنَّةِ الْأَمْنِ لَظَاهَا فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ^(٤)

* *

بِأَيِّ أَنْتَ - إِنْ تَشَأْ - تَكُ بَرْدًا وَسَلَامًا كَنَارِ إِبْرَاهِيمِ^(٥)

(١) السابق : الفرس ، الرهط : اسم مكان - بكسر اللين وفتحها - والمتن في الجبل : السكرم ،
والطهيم : تخم الحسن فيها يشبه قفه - وهو على هذه الحال من الاعتقال - بالمانن الذي سمى مكانا على
ربط فيه - لعتقه وكرمه ، وقد وجد هذا البيت في ديوانه على هذه الصورة :

..... يَأْتِ الرُّبَّطُ فِي الْمَتْنِ مِنَ وَالطَّهِيمِ

فَأَكْتَنَاهُ مِمَّا وَرَدَ فِي الرِّوَايَاتِ الْآخَرَى .

(٢) للمنى : المحبوس من الضنية وهي الحبس النوبل ، والنعنى : المرض المزمن ، والهنات : جمع هنة وهي
الشدائد أو كنى بها عن الأشياء ، ونكات : أى قفرت الجرح قبل أن يبرأ فأدته ، والكولم : الجراحات
وللمنى : ومحبوس من المرض للآلام بسبب أشياء أنمت قرح جراحاته بجراحات أخرى ، يريد أن تناء
السجن أنيف إليه تناء المرض فهو فى محبين ، يعانى ألم شديتين .

(٣) أى مرض لا يبرأ منه - وأنا فى السجن - عائد وفى عيادة من يزورنى ما يكتفى وعلى بشئى لو أمكن فلك
(٤) أى ناز بهى وضئ استمر لظاهها فى جنة البعة والراحة والأمن فأصبحت كالصريم : أى كالليل فى
السواد بعد الاحتراق ، وفيه تلجى إلى قصة أصحاب الجنة المذكورة فى قوله تعالى فى سورة القلم « إنا بلوناكم
كما بلونا أصحاب الجنة إذ أقسموا ليصرنهم مصيبين » الآيات ١٧ : ٣٣ وهم قوم كانت لأبيهم هذه الجنة
فكان يأخذ منها قوت سنته ويصدق بالباقي ، فلما مات رأى بنوه أن ينزلوا بها فيها لأنفسهم وعيالمهم
لحقوا ليهرضها مصيبين ، أى ليعلمن ثمارها مكرين فى الصبح خفية عن أمين السالكين « نطاف عليها
طائف من ربك وهم نائمون فأصبحت كالصريم » أى احترقت فصارت فى السواد كقشرة الليل .

(٥) أُنْدِيكَ أَنْتَ أَيُّهَا الْمُدْوَحُ بِأَيِّ ، لَمْ تَشَأْ تَكُنْ تِلْكَ النَّارُ الَّتِي صُرْتَ إِلَى جَنَّةِ الْأَمْنِ بَرْدًا وَسَلَامًا فَلَا
تَحْتَرِقُ كَنَارِ إِبْرَاهِيمِ إِذْ تَنْفَخُ فِيهَا بِأَسْرِ نَعْرُودٍ فَكَانَتْ بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَيْهِ قَلَمٌ يَحْتَرِقُ ، وفيه تلجى إلى قوله
تعالى « لَنَّا يَنَارُ كَوْنِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمِ » .

لِشَفِيعِ النَّهْءِ ، وَالْحَمْدُ فِي صَوْبِ الْحَيَا لِلرَّيَاحِ ، لَا لِلنُّيُومِ .^(١)
 وَزَعِيمٌ يَأْنِ يُدْلَلُ لِي الْعَنْتَبُ مَتَابِي إِلَى الْمُهَامِ الرَّعِيمِ .^(٢)
 وَوِدَادٌ يُفَيِّرُ الذَّهْرَ مَا شَاءَ ، وَيَتَّقِي بَقَاءَ عَهْدِ الْكَرِيمِ .
 وَثَنَاءُ أَرْسَلَتْهُ سَلَوَةُ الظَّا عَنِ عَن شَوْقِهِ وَلَهْوِ الْقِيمِ .^(٣)
 فَهَوَ رِيحَانَةُ الْجَلِيسِ - وَلَا قَعْرَ - وَفِيهِ مِزَاجُ كَأْسِ النَّدِيمِ .
 لَمْ يَزَلْ مُغْضِيًا عَلَى هَفْوَةِ الْجَا فِي مُبِيعَا إِلَى اُعْتِدَارِ الْكَرِيمِ .
 وَمَتَى يَبْدَأِ الصَّبِيحَةَ يُؤَلِّمُكَ تَمَامُ الْخِصَالِ بِالسَّيْمِ .^(٤)

(١) أى شفييع النهاء والحمد لا للشفورح إليه ، كما ان الحمد في نزول للطر الرياح التي تؤلف بين النجوم
 فيؤلف للطر بسببها لانفس النجوم ، وهو كقول البحري :

حز حدى والرياح الوافى تجلب اليث مثل حد النجوم

(٢) كليل جذليل ما استصعب تذليله رجوى الى المهام الرئيس . وقد ورد في بعض النسخ البيت التالي
 بعد هذا البيت :

أمل يرغم الحفاء اليه وهو ثبت للقام ماضى الزيم

(٣) أى مدح أرسلته فار على ألسنة الناس مسير للتل إذا تلاه الذامن نلى به من شوقه إلى وطنه
 وحنينه إلى أهله ، وإذا تلاه المقيم كان فيه لهوه وأله .

(٤) أى من يجددك بليل تترك خصاله التامة ، وتحملك أخلاقه الكامة على المطالبه بحميم ما جدك به
 من معروف ، وتكبل ماشر فيه من صنيع يررد - ببارة أوضح - أن ماله عليه من لمة ابتداء ، ويد
 ساقة يمت في تله أملا قويا في إتمام تلك التمة بانجاز ما وعده به ، وفي هذا المعنى يقول أبو تمام :

هذا صحاب أنت سقت حمامه فليك - بمد الله - فيش حمامه

إن اجدها العرف مجد بأسق والمجد - كل المجد - في استقامه

وفرب منه قول النقي :

ولم أروى عيوب الناس حياً كنص القادرين على التمام

وقول الناقل :

إذا أسديت مكرمة فأتهم هت البدر يطع بالتمام

من قصيدة صنعها يطلبيوس^(١)

« قال هذه القصيدة عند فراره من السجن والتجأه إلى بني عباد باشيلية سنة ٤٤١ هجرية ، وكان قد وافاه الفطر بالأخصى وهو على خطه من الذكرى والشوق إلى مساعد قرطبة ، كان يفرج إليها في اليد ، ويفرج يمتازها ، ويلهو بمحاسنها مع من يهوى ، وقد أذكرها في فؤاده لأصح الشوق ، وفيه كامن الوجد ، فأخذ يذكرها ممهداً ممهداً ، ويصف ما خلفته في نفسه من الأثر ، وبين ما أثارته دواعي الذكرى في قلبه من العيابة والأسى والشوق ، ويقول صاحب ثلاثة المقاي في هذه الأماكن التي يذكرها به : - « هذه معاهد لبي أمية نمت بها ليالي وأياماً ، وظلت فيها الحوادث عنهم نياماً ، فهاهنا (بفرق المقاب) وشاموا به برقا يبدو من قلب ، ولعمرو (بجوف الرصافة) ، وطموا عيشاً طول الحر جلاءه وزفافه ، وأبدوا نصح الناصح ، وحدوا أسى (مجلس ناصح) ، وعمو (بطراء) ، وصموا من نبأ صاحب (الزوراء) حق رحلهم الموت منها ونوضهم ، وعوضهم منها ما عوضهم إلى آخر ما قال » .

خَلَيْلِي لَا فِطْرُ بَسْرٍ وَلَا أَضْحَى فَاَحَالُ مَنْ أُنْشَى مَشُوقًا كَمَا أَضْحَى
لَنْ شَاقِي (شَرَقُ الْمُقَابِ) فَلَمْ أَزَلْ أَخْصُ بِمَحْوُضِ الْهَوَى ذَلِكَ السَّقْمَا
وَمَا أَتُفَكُّ جُوفِي (الرِّصَافَةِ) مُشِيرِي دَوَاعِي ذِكْرِي تُعْقِبُ الْأَسَفَ الْبَرَحَا

(١) بطليوس : يفتحين وسكون اللام ، وياء مضمومة ، وسين مهمة مدينة كبيرة بالأندلس من أعمال ملارده على نهر « آنه » غربي قرطبة كما في معجم البلدان . (٢) المقاب : بالضم العلم الضخم والصخرة العظيمة في عرض الجبل اسم موضع قرطبة ، ومحوض الهوى : خالصة .

(٣) (جوف الرصافة) : الجوف يضم الجيم الواسع الجوف . قال في اللسان وفيه جوف أي واسع الجوف ، ودلاء جوف : أي واسعه ، و (الرصافة) : يضم فتحة اسم لصدة مواضع منها بالأندلس موضعان أحدهما بليدة صغيرة عند بلنسية ينسب إليها الرضاء الأندلسي الرصافي الشاعر المشهور والأخرى وهي التي ذكرها هنا عند قرطبة أنشأها عبد الرحمن الناحل أولك الملوك الأندلس من بني أمية وسماها برصافة جده هشام بن عبد الملك بن مروان التي كانت بالشام كما يؤخذ من ابن خلكان فلا عن كتاب ليانوت الهوى اسمه « للشترك وضاً اتخذت صنعا » ، والبرح : يفتح فسكون المذاب والشدّة وصف به الأسف مبالغة والمراد أنها تعقب أسفاً مبرحاً شديداً .

وَيَهْتاجُ (قَصْرُ الْفَارِسِيِّ) صَبَابَةً لِقَلْبِي لَا تَأْلُو زِنَادَ الْأَمْنَى قَدَسًا^(١)
وَلَيْسَ ذَمِيمًا هَهُؤُا (تَجْلِسُ نَاصِحًا) فَأَقْبَلَ فِي فَرْطِ الْوُلُوعِ بِدِ نُصْحَا
كَأَنِّي لَمْ أَشْهَدْ لَنِي (عَيْنِ شَهَادَةٍ) نَزَالَ عِتَابُ كَانَ آخِرُهُ الْفَتْحَا^(٢)
وَقَالِحُ جَانِبَيْهَا التَّجَنَّى فَإِنْ مَشَى سَفِيرُ خُضُوعٍ يَنْتَأَى كَذَ الصِّلَحَا^(٣)
وَأَيَّامُ وَصِيلٍ (بِالْفَقِيْقِ) أَقْتَضَبْتُهُ فَلَا يَكُنْ مِعَادُهُ الْيَدُ فَالْفِصْحَا^(٤)
وَأَسَالَ لَهْوِي فِي مُسْنَدِ مَالِكٍ مُعَاطَاةٌ نَدَمَانٍ إِذَا شِئْتُ أَوْسَبَحَا^(٥)
لَنِي زَاكِدٍ يُصْبِكُ مِنْ صَفْحَاتِهِ قَوَارِيرُ خُضْرٍ خِلَتَهَا مَرَدَّتْ صَرْحَا^(٦)

(١) يقول : تنبه ذكرى نصر الفارسي على سبابة لا تفر عن فتح زناد الحزن ، والزناد ما يتبع به الفارس
(٢) يعني أنه بما لهجورته في هذا للكل جيش عتاب أحرز به نصراً طيباً وطعاً .
(٣) التجنى ادعاؤها عليه ذباً لم يفسد ، والغير للملح بين القوم ، وللمنى أن هناك وقائع جتاما ادعواها
الذنوب عليه كان خضوعه فيها رسول سلام لتوكيد الصلح بينهما . (٤) يقال اتضبت الدين أى
قبضته وأخذته ، والفتح بالكسر حيد النصارى ، وللمنى أن ألبما معلومة من السنة كنت أحصل فيها
(بالتعقيد) على الوصل واتضبت في معادته كما يتحقق أى يقبض للفرم دينه ، فإن لم يكن ذلك الاقتصاء
موعهه اليد فالنصح . (٥) الأسال : جمع أسبل وهو ما يهدى النصر إلى الغرب ، وللشاة : سذ
يقطع في وسط الوادى لاجتياز الماء ورد ما لا ينطب منه ومنه عن الجرى في طريقه المتداد ، له أبواب
تفتح لاطلاق الماء بحسب الحاجة ، ومعى الهم . قل في الصلح ، « وللشاة الهم لا واحة له
من لفته » ، وللمنى أنه يذكر تلك الأيام التي كان يلهو بها مع الأصيل في تلك السنة للشاة مرة بمطاطة
الراح إذا شاء ، وأخرى بالبحر واليوم في الماء ، وهذا مما يثبت أنهم كانوا يبنون (الخزائن) لاختصاف
الأرض وإبعاد البرك بالماء بعد ثلجته . (٦) قال بعض القسرين في قوله تعالى (قبل لها ادخل
الصرح) . الصرح : بطل اتخذ لها من قوارير ، ومن معاني الصرح السامة أيضاً ، فكأنه أراد تشبيه
ماء السنة الراكدة في خضرته واستوائه بزجاج أخضر مرد (بالشديد) أى ملى صرحاً أى سامة استوية
من زجاج .

مَعَاهِدُ لَدَاتٍ وَأَوْطَانُ صَبَوَةٍ أَجَلْتُ اللَّعْلَى فِي الْأَمَانِي بِهَا قِدْحًا^(١)
 الْأَهْلَ إِلَى (الزَّهْرَاءِ) أَوْبَةً نَارِحٍ تَقْصَى ثَنَانِيهَا مَدَامِعَهُ نَزْحًا^(٢)
 مَقَاصِيرُ مُلْكٍ أَشْرَقَتْ جَنَابَتُهَا فَخِلْنَا الْعِشَاءَ الْجَوْنَ أَثْنَاءَهَا صَبْحًا^(٣)
 يُثَلُّ قُرْمَتِهَا لِي الْوَهْمُ جَهْرَةً قَبَّيْتُهَا فَالْكَوْكَبُ الرَّحْبُ فَالسَّطْحًا^(٤)
 حَمَلُ أَرْيَاحٍ يُدْكَرُ الْخُلْدَ طَيْبُهُ إِذَا عَزَّ أَنْ يَصْدَى الْفَتَى فِيهِ أَوْ يَضْحَى^(٥)

(١) التسدح : بكسر فسكون واحد السهام التي كانوا يستصون بها الجزور في الليس ، وكانت قدام الليس عمدة ثلاثة منها غل ، وسجة من ذوات الانباء ، وكان للعلل أوفرها خطا له سجة أجزاء من الجزور ، فاذا أجال عرج التسدح يده في الخريطة ، وأخرج للعلل باسم أحد المتطهرين كان هو الفائز بأكبر الأسماء وأوفر المخطوط . يقول : هذه معاهد لذات قضيت نيا من اللذات ، وبلغت فيها من الأمانى ما جعل قدسى فيها للعلل . (٢) الزهراء من عجائب أبنية الدنيا أنماها أبو القاسم عبد الرحمن ابن عديم بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم الأموي للعلل بالناصر أحد ملوك بني أبيه بالأنكلس بالقرب من قرطبة في سنة ٣٢٥ هـ والمسافة بينها وبين قرطبة ستة أعيال هريبا ، وطول الزهراء من العرق إلى القرب ٢٧٠٠ ذراع ، وعرضها ١٥٠٠ ذراع ، وعدد السوارى التي فيها ٤٣٠٠ سارية ، وأبوابها نحو ١٥ بابا ، وكان الناصر يتفق على عمارتها ثلث جاية بلاد الأندلس التي كانت تبلغ في ذلك الوقت نحو ستة ملايين من الدنانير ، وهي من أحسن منازل الدنيا وأبدعها ، وقد أكثر أهل قرطبة في وصفها وما تله الشراء فيها ، ولم يبق في ذلك تصانيف ، والأوبة : الرجوع ، والنزح : البعيد ، وتقصى أخذ وتناول حقه من غرضه ، وهي المدامع هنا ، والنزح : من نزح البئر ، وهو استنزاف ملئها ، ورأيت في بعض النسخ (تفتت مبانها مدامع صفحا) (٣) للصورة : ناحية من البناء على جبالها تنصر على الملك ، أو على صاحب القار ، أو هي القار الواسعة الحصنة ، وتجمع على مقاصير ومقاصير ، والجنيات : جمع جنبه كسيدة وسجعات ، وفي السال ما يبعد اختلاف القنوين في إسكان النون وتحتها في المفرد ، وقل عن ابن جني قوله : وقد غرى الناس بقولهم ، أنا في فراك وجنتك بفتح النون قال والصواب إسكان النون ، واستشهد على ذلك بقوله أبي سقره البيهقي :

فما طرفة من حبّ من تهاذفت بها جنتنا الجودي والليل فاس
 بأطيب من فيها وما ذك طمعها ولكني فيها ترى العين فارس

والجون : هنا الأسود ، والمعنى أن تلك المقاصير أسيئت نواحيها بالصالح والسر ، فحسبنا العشاء قد داخلها صبا

(٤) يثل له الوم هذه للواضع من الزهراء كانه براها جهرة (٥) في بعض النسخ من بدل من وفي بعضها يفتى بدل يصدى ، ولعلها مصدرة من يبرى ، والأشبه بالصواب ما هنا ، ومعنى البيت أن

هَناكَ الْجِئامُ الرُّزْقُ تَنَدَّى حِفافُها ظِلالُ عَمَدَتِ الدَّهْرِ فيها قَتى سَمعاً^(١)
تَمَوَّصْتُ مِنْ شَذْوِ الْقِيانِ خِلالِها صَدَى قَلَوَاتِ قَدَأِ الْكَرَى ضَبَّعاً^(٢)
وَمِنْ حَلِيِّ الْكَأَمَسِ الْمُفَدَّى مُدِيرُها تَقَحَّمْ أَهْوالِ تَحَلَّتْ لَها الرُّفْعا
أَجَلْ إِنْ لَيْلِي فَوْقَ شامِئٍ نَبَطَةٍ لَأَقْصُرَ مِنْ لَيْلِي بِأَنَّهُ قَالِبُها^(٣)

في الغزل

عَلَّامَ صَرَمَتِ حَبْلِكَ مِنْ وَصُولِ قَدَبَتِكَ وَأَعْتَزَّتْ عَلَى ذَلِيلِ^(١)
وَقِيمَ أَفْنَتِ مِنْ تَحْلِيلِ صَبٍّ صَحِيحِ الْوَدِّ ذِي جِسْمٍ عَلِيلِ
فَهَلَّا عُدَّتَنِي إِذْ لَمْ تَمُودْ بِشَخْصِكَ بِالْكِتابِ أَوْ الرَّسُولِ^(٢)
لَقَدْ أَغْيَا تَلَوُّنُكَ أُخْتِيالِي وَهَلْ يُشْنِي أُخْتِيالُ فِي مَلُولِ^(٣)

الزهراء على ترناج النفس إليه يذكر طيبة جنة الخلد حيث يتمتع أن يصمدى اللقى أى يمشى أو يمشى أى يبرز للشمس ، وفيه الإشارة إلى قوله تعالى « إِنَّكَ أَلا تَجُوعُ فِيها ولا تَمُوتُ » وأكثرت لفظاً فيها ولا تسمى « ولا شك أن الجوع ، والعمرى ، والظما ، وعدم السكن أركان العناء في هذه الحياة وبدونها يكون النعم والراحة والسعادة ، وأنَّ النفس في الحياة الدنيا متى يطلب هذه الأشياء بخلافه في دار النعيم والخلد ، وقد توفرت له في الزهراء أسباب الراحة والنعم فاذكره ذلك جنة الخلد .

(١) الجلام : جمع جلة ، وهي مكان اجتماع الماء ، والزرقي : صفة للجلام بمعنى المياه المجمعة ، وخافها : جوابها وما يطفئ بها من حوها ، وللقى هناك في الزهراء البرك ذات الأمواه الزرق تظلتها خفافها وحولها ظلال بيلة تدية (٢) أي أبدلت من سماع صوت للفتيات خلال تلك التواضع الآتية بأنواع الطرب سماع صدى هذه القلوات الخفية يتردد فيها ضيق المتأدبات من الحيل فيطير النوم من العين (٣) يبطه وآه : نيران (٤) يقول : لماذا تطلعت حبل عجب دائم الوصال لك ولماذا تكبريت على عبيدك الخاضع القليل .

(٥) حلاصهني بالكتاب أو الرسول إذ لم يكن من مادتك أن تمودى بشخصك .
(٦) من أجل ما قرأته في هذا اللقى قوله للبلى بن الأحف :

لو كنت طائفة لكن لوعى أمل رضاك وزورت غير محاب
لكن قلت فليس لي من جنة صدّ للؤلؤ خلاف صدّ العباب

ولرب منه قول ابن الرومي :

ولكنكم كنتم تريدون علة فهاجكم أدنى حجاب إلى العبد
أردت صلاح القليل بالجد فانيرو لنا ظلكم فاستفسد القليل بالجد

بين صديقين

« كتب اليه ذو الوزارتين أبو عامر معاتباً :
 تباعدنا على قرب الجوار
 كأننا صدنا شحط الزوار
 قطع لي هلال الهجر بدوا
 وصار هلال وصلك في سرار
 وشاع شنيع وصلك لي وهجرى
 فهلا كان ذلك في استار
 أيجمل أن ترى عني صبورا
 وأصبح مولها دون اصطبار
 ولما أن هجرت وطال غفري
 عقرت هموم نفسي بالعقار
 وكنت أريد سمعك من عتابي
 ولكن علفني قرب الخمار
 فراح مودتي واحفظ جوارى
 فان الله أوصي بالجوار
 وزرني منعما من غير أمر
 وآنس موحشا من عقدرار
 فجاوبه ابن زيدون : »

هَوَايَ - وَإِنْ تَنَاءَمْتَ عَنْكَ دَارِي - كَيْتَلِ هَوَايَ فِي حَالِ الْجَوَارِ
 مُقِيمٌ لَا تُثْمِرُهُ عَوَادِ تَبَاعِدُ بَيْنَ أَحْيَانِ الْمَزَارِ
 رَأَيْتَكَ قُلْتَ : إِنَّ الْوَصَلَ بَدْرٌ مَتَى خَلَّتِ الْبُدُورُ مِنَ السَّرَارِ (١)
 وَرَأَيْتَكَ أَنَّي جَلَدٌ مَجُورٌ وَكَمْ صَبْرٌ يَكُونُ عَنِ أَصْطِبَارِ (٢)

(١) متى أفردت أن الوصل بدور فانت خالق أن تلم أن البدر - لات شقي فهو إذا اكتمل نموه في وسط القمر لحقه الحاف في آخره .

(٢) إن صبري ليس طيبا ولكنني انكته اضطرارا إليه لأنني لا أجد ممدوحة عنه .

وَلَمْ أَهْجُزْ لِمَتِّبٍ غَيْرِ أَنِّي أَصْرَتُ فِي مُعَاوَرَةِ الْعُقَارِ
وَأَنْ الْخَمَرَ لَيْسَ لَهَا خِمَارٌ ^(١) مُتَّبِعٌ بِي، فَكَيْفَ مَعَ الْخِمَارِ ^(٢)

* *

وَهَلْ أُنْسَى لَدَيْكَ نَيْمَ عَيْشٍ كَوْنِي الْخَدَّ طُرَزَ بِالْعِذَارِ
وَسَاعَاتٍ يَحُولُ اللَّهُوْ فِيهَا تَجَالِ الْعُلَّ فِي حَدَقِ النَّهَارِ ^(٣)
وَإِنْ يَكُ قَرَّ عَنْكَ الْيَوْمَ جِسْمِي - فُؤِدَتِ - فَمَا لِقَلْبِي مِنْ قَرَارِ ^(٤)
وَكُنْتُ عَلَى الْبِعَادِ أَجَلَ عِلْقِي ^(٥) لَدَيَّ، فَكَيْفَ إِذَا أَصْبَحْتَ جَارِي ^(٦)

دعوة

« كتبها إلى ذي الوزارين أبي عاصم يدعوه إلى زيارته »

طَابَتْ لَنَا لَيْلَتُنَا الْخَالِيَّةُ فَلْتُنْسِنَاهَا هَذِهِ النَّالِيَّةُ ^(١)
أَبَا الْمَعَالِي نَحْنُ فِي رَاحَةٍ فَأَقْلُ إِلَيْنَا الْقَدَمَ الْعَالِيَّةُ
لَيْلَتُنَا حَاطِلَةٌ إِنْ تَنْبِ عَنَّا، فَرُزْنَا كَيْ تُرَى حَالِيَّةُ
أَنْتَ الَّذِي لَوْ تَشَرَرَى سَاعَةً مِنْهُ يَذْهَبُ لَمْ تَكُنْ قَالِيَّةُ

(١) سورة . (٢) إذا كانت الخمر التي لا سكر فيها مخرج في فاكهات بها إذا أسكرت .

(٣) النهار : نيت طيب الرخ . (٤) إذا كان جسمي قد قرَّ قراره بعيداً منك فإن قلبي لا يزال يهوى إليك . (٥) العلق : التمس ، قال الشاعر :

« أبيت إلا أن سكاك حلق عيس لا يبار ولا يباع »

(٦) إليك - مع البعاد الذي يعني الألف - كنت أبل مخلوق لذي ، فكيف أناك وقد زادني الجوارح إليك

(٧) لقد طابت ليل أمس بربك منا فلتكررها ، ولينسنا ما يضرنا من الضرور في ليلتنا التالية ما نسنا به في ليلتنا اللاحقة .

قال في الوزير الشيخ أبي الحزم

« بَنِي جَهْوَرٍ » أَحْرَقْتُمْ يُحْفَانِكُمْ جَنَانِي وَلَكِنْ الْمَدَامَحُ تَنْبِقُ^(١)
تَعْدُوَنِي كَالْعَبْرَةِ الْوَرْدِ^(٢) إِنَّمَا تَطْيِبُ لَكُمْ أَنْفَاسُهُ^(٣) حِينَ يُخْرِقُ

* *

قُلْ لِلْوَزِيرِ وَقَدْ قَطَعْتُ عِذْجِهِ زَمَنًا فَكَانَ السَّجْنُ مِنْهُ تَوَالِي
لَا تَخْشَى فِي حَقِّي عِمَا أَمْضِيَّتُهُ مِنْ ذَلِكَ فِي وَلَا تَوْقُ عِتَابِ^(٤)
لَمْ تُخْطِ^(٥) فِي أَمْرِ الصَّوَابِ مُوَفَّقًا هَذَا جَزَاءُ الشَّاعِرِ الْكَذَّابِ

وصال

وَشَادِنِ أَسْأَلُهُ قَهْوَةً^(٦) فَجَادَ بِالْقَهْوَةِ وَالْوَرْدِ^(٧)
فَبِتُ أَسْقَى الرَّاحَ مِنْ رِيْقِهِ وَأَجْتَنِي الْوَرْدَ مِنَ الْخَدِّ

(١) سبق : الطيب يبقى من باب فرح - بقيت والحقه زمانا ، يقول بالرغم من أنكم أحرقتم قوايدي بنار الجلاء ، وقابلتم شكواي بعدم الاصغاء ، قال مديحي باق فيكم ملازم لكم ملازمة الطيب صاحبه .
(٢) الزعفران لمرته . (٣) ما يثبت عنه عند الاحراق من الروائح الطيبة ، وللمنى : تجملوني في حديد ما يحرق من الطيب القى ليس لكم من إحراقه إلا طيب أنفاسه . قال ابن بسلم عند إيراد هذين البيتين ، وأراه توارد مع أبي طي بن رشيق الفيرواني حيث يقول :
أراك اتهمت أخاك الله وعضدك مقت وعضدى معه
وأنتى طيك وقد سؤنى كما طيب المود من أقره
وأغناه مما من تول أبى علم :

لولا اشتغال النار فيما جاورت ما كان يعرف طيب عرف المود .

(٤) لا تخشى في حقى لوما بما أنتهت في من حكم السجن ولا تنوق عتابى فاني أنا الحقيق بالقوم والعتاب
(٥) أبطل الهزلة من الباء وحذفها الجازم كما يحذفها من الممثل وأصله لم تخطى ، يقول : لم تعد في أمرى الصواب وقد وقعت في حكمك على بالسجن بعد أن أعطيت زمانا لمسلط ، وهذا جزاء من يكتب في شره ودمع من لا يستحق للمح ، وقريب من هذا الجلاء قول ابن الرومي :
إن كنت من جهل حق غير مضنر وكنت من ردمدى غير متب
فأسطى عن الطرس القى كتبت فيه القصيدة أو كفاة الكنف
(٦) غراً : بسى خروجه . (٧) أى ورد وجته .

وقال معاتباً من قصيدة أولها

بَيَّنْتَ فَلَا تَهْدِيمَ وَرِشْتَ^(١) فَلَا تَبْرِي وَأَمْرَضْتَ حُسَادِي وَعَاشَاكَ أَنْ تَبْرِي^(٢)
أَرَى نَبْوَةً لَمْ أَذِرْ سِرًّا أَهْرَاضِهَا وَقَدْ كَانَ يَجْلُو عَارِضَ الْهَمِّ أَنْ أَذِرِي^(٣)
جَفَاءَ هُوَ اللَّيْلُ أَدْلَهُمْ ظِلَامُهُ فَلَا كَوَكَبٍ لِلْمُذَرِّ فِي أَفْهٍ يَسْرِي^(٤)
هَبِ الْعَزَلَ أَضْحَى لِلْوِلَايَةِ قَايَةً فَمَا غَايَةُ الْمَوْفِي مِنَ الظَّلِّ أَنْ يُكْرِي^(٥)
فَقِيمَ أَرَى رَدَّ السَّلَامِ إِشَارَةً تَسْوَعُ بِي إِزْرَاءَ مَنْ شَاءَ أَنْ يُزْرِي^(٦)
أُنَاسُ هُمْ أَخْشَى لِلذَّعْفِ مِقْوَلِي إِذَا لَمْ يَكُنْ مِمَّا قَمَلَتْ لَهُمْ مَضَرُّ^(٧)
فَإِنْ عَاقَبَ الْأَفْدَارُ فَالْنَفْسُ حُرَّةٌ وَإِنْ تَكُنِ الْعَتَا فَاخْرِ بِهَا أُخْرَى

موقف وداع

وَلَمَّا التَقَيْنَا لِلْوَدَاعِ غُدِيَّةً وَقَدْ خَفَقَتْ فِي سَاحَةِ الْقَصْرِ رَايَاتُ
وَقُرَّتِ الْجُرُودُ الدِّثَاقُ^(٨) وَصَفَقَتْ^(٩) طُبُولٌ وَلَا حَتَّ لِلْفِرَاقِ عَلَامَاتُ
بَكَيْنَا دَمًا حَتَّى كَانَ عِيُونَنَا يَجْرِي الدَّمُوعُ الْحُمْرُ فِيهَا جِرَاعَاتُ
وَكُنَّا تُرَجَّى الْأَوْبَ بَعْدَ ثَلَاثَةِ فَكَيْفَ وَقَدْ كَانَتْ عَلَيْهِمَا زِيَادَاتُ

- (١) من ريش صديقه كساه وأصلح له . (٢) من البره : وهو الشفاء من المرض .
(٣) أرى جنوة لم أدمر أمرضها أى منها الود من أن يسرق طريقه الأول ، وقد يكشف معرض
ل من الهم والحزن بسبب ذلك أن أعرف سرّ تلك النبوة والنفوة .
(٤) جفاء كليل اشته ظلمه لم يسر في أفه كوكب عذر واضح . وفي الأصل :
« جفاء هو الليل ادلهم ظلامه »
(٥) أكرى : الظل يكرى قس ، والى : هب العزل أضحى حافة ماويلته من عمل فلا ينهى أن تكون
قاية ما أولى على من ظلك ورمائك أن يكرى أى يتقص . (٦) مقلبت : فى أى ذنب أراك تشبه
بالسلام إشارة تسع ويجوز لمن شاء أن يزرى بى الازراء بى والتعجب لثانى .
(٧) اضراء : بالصيد ونحوه أغراه به فهو مضر أى مضر ، يقول : أولئك الزارون على المحزون لثانى
أناس هم أخوف الناس من لسان لو لم تكن مما ضلته مى قد اضربتهم بى وأغرتهم بالزاية على .
(٨) الجياد الكريمة . (٩) دقت الطبول إيماناً بالسير .

وقال أيضا يمدح أبا الوليد بن جهور

هَلْ عَهْدَنَا الشَّمْسُ تَعْتَادُ الْكِلَالَ^(١) أَمْ عَهْدَنَا الْبَدْرُ يَخْتَابُ^(٢) الْحُلَّالَ
أَمْ قَصِيْبُ الْبَابِ يَمْنِيهِ الْهَوَى أَمْ غَزَالُ الْفَقْرِ يُصْبِيهِ الْفَزْلَ^(٣)
خَرَقَ الْمَادَاتِ مُبْدَى مُوَدَّةٍ حَشَدَ^(٤) الْحُسْنِ عَلَيْهَا فَأَخْتَقَلَ^(٥)
مُشْرَبُ الصَّفَحَةِ مِنْ مَاءِ الصَّبَا مُشْبِعُ الْوَجَنَةِ مِنْ صَبْغِ الْحَبَلِ
مَنْ عَذِيرِي^(٦) مِنْهُ إِنْ أَعْيَبْتُهُ^(٧) نَمَى الْعَهْدَ وَإِنْ عَادَتْ مَلْ

(١) جمع كله بالكسر ، وهو ستر رقيق يخط كالبيت يتولى فيه من البعوض ونحوه ، وتقدم هذا المعنى عند قوله في القصيدة النونية :

كانت له الشمس ظمرا في أكلته بل ما تعلى لها إلا أحيانا

(٢) يجتاب يلبس من قومه : اجتاب القيس إذا لبسه ، وشاعره قول لبيد :

فتبكت إذ رعى الواح بالضحى واجتاب أردية الرباب اكلمها

أى لبست الأكدم أردية الرباب ، والحل بالضم جمع حلة أثبت أن من يهواه شمس وآه يدر على الحقيقة ، وتجنب من احتجاب الشمس في الكمال ، واجتباب أى ليس البدر الحلال ، وأنكر أن يكون ذلك موهوبا في العادة . (٣) يمينه : يمينه ، ويصبيه : يشوته ويدعوه إلى الصبا والمخير إلى من يحب ، والفزل : مفازة النساء ومعادنهن ، أى ولم نعهد أيضا أن الهوى يهم قنيب البان ، وأن المفازة تدعو فزال القفر إلى الصبا فيمن إلى من يهوى . (٤) اجتمع .

(٥) احتشد واجتمع : أى أتى بالمعجزات ذلك الذى خلق علينا بصورته الفاتسة الجامعة لفنون الحسن ، الحافظة بأنواع الجمال .

(٦) يقال من عذيري من فلان أى من نصبري ، ويقال : عذير فلان بالنصب أى هات هذا له ، ومنه قول ذي الأصبح المدوائى :

عذير الحمى من عدوا لى كانوا حية الأرض

بنى يضى على يضى فلم يرعوا على يضى

أى هات هذا فبا فعل بعضهم يضى من البنى ، والقتل ، والتباعد ، والتباغض ، ولم يرع بعضهم على يضى بعد ما كانوا حية الأرض التى يمنحها كل أحد ، ويقال عذيري من فلان أى من يمدنى ، ومنه قول الآخر :

عذيري من الانسان لاين جفوتة صفاى ولاين كنت طوى يديه

والى لمشتاق الى ظل صاحب يروق ويصفو إن كدورت عليه

(٧) من الذهب في الزيادة ، أى جنته زائرا يوما وتركته يوما أو أكثر يقال : « زغبنا نردوبا » وفى اللسان : « الذهب في الزيادة قال الحسن في كل أسبوع »

قَاتِلْ لِي بِالنَّجْنَى، مَا لَهُ لَيْتَ شِعْرِي أَخْلَاكَ مَا أُسْتَعْلَى ؟

* *

أَيُّهَا الْمُغْتَالُ (١) فِي زِينَتِهِ أَنْتَ أَوْلَى النَّاسِ بِالْخَالِ (٢) فَقَلْ (٣)
لَكَ إِنْ أَذَلَّتْ (٤) عُدُوَّ وَاصْبَحْ كُلُّ مَنْ سَاعَقَهُ (٥) الْحُسْنُ أَذَلُّ
سَبَبُ السُّقْمِ الَّذِي بَرَّحَ بِي صِحَّةٌ كَالسُّقْمِ فِي تِلْكَ الْمَقَلِّ (٦)
إِنْ مَنْ أَضْحَى أَبَاهُ « جَهْوَرُ » قَالَتْ الْآمَالُ عَنْهُ فَقَعَلْ (٧)
مَلِكٌ لَدَّ جَنَى الْفَيْشِ بِهِ حَيْثُ وَرَدُ الْأَمْنِ لِلصَّادِي عِلَلْ (٨)

(١) ذو الخيلاء المحب بنفسه للتباهي بزيته وجماله .

(٢) الخال له شأن كثيرة منها الخيلاء ، وهو المراد هنا ، وقد أورد صاحب اللسان عن ابن برى
أبياتاً في معاني الخال ، وللتناسب منها لما نحن فيه قوله :

وَإِذَا أَنَا خُذْتُ قَدْوَى أَخَى الْعَبَا وَفَنَزَلَ لِلرِّيحِ ذَى الْهَوِ وَالْخَالِ

أَيُّ الْخِيَلِ . (٣) أَى كُنْ ذَا خِيَلٍ وَزَمُو وَتَكَبَّرْ ، مَنْ خَلَّ بِخَالٍ بِمَعْنَى اخْتَلَّ ، وَمَنْ يَتَّ الْخَالِ :

فَالْ سَكَنَتْ سَيِّدَنَا سَهْدَتَا وَإِنْ كُنْتَ لَخَالٍ فَادْهَبْ عَظْل

معناه : إِنْ فَضِلْتُ مَا يُوْجِبُ لَكَ السَّيَادَةَ عَلَيْنَا سَدْتَا ، وَإِنْ حَاوَلْتُ أَنْ تَسُوْدَنَا لَجُرْدُ الْكِبَرِ وَالْإِخْتِيَالِ
فَادْهَبْ فَاخْتَلَّ مَا شِئْتُ أَنْ تَخْتَالَ ، فَانْكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ أَنْ تَسُوْدَنَا حَيْثُكَ ، وَمَعْنَى الْبَيْتِ الَّذِى نَحْنُ بِمَعْنَاهُ :
أَيُّهَا الْخَالُ الزَّهْرُ سَلَفًا وَكَبِيرًا بِزِينَتِهِ وَجَمَالِهِ كُنْ ذَا خِيَلٍ وَعَظْرٍ وَاجْبُجْ فَأَنْتَ أَوْلَى النَّاسِ بِذَلِكَ لِمَرُطِ جَمَالِكَ .

(٤) يُقَالُ أَذَلَّ عَلَيْهِ وَتَذَلَّ : انْهَضَ وَاجْتَرَأَ وَتَعَبَى فِي شَيْءٍ مَوْضِعٍ نَحْنُ .

(٥) سَاعَدَهُ وَوَلَّاهُ وَأَسْفَهَ بِاجْتِمَاعِ أَسْبَابِهِ لَهُ ، وَمَعْنَى الْبَيْتِ : إِنْ أَمْرُطُ فِي الْفَالَةِ عَلَى هَذِهِ بِمَعْنَى
لَكَ ، وَاحْتِدَادًا بِمُضَاعَفَةِ الْحُسْنِ وَمَوَاتَاةِ فَكَ فِي الْإِدْلَالِ عَذْرٍ وَاضِحٍ .

(٦) يَقُولُ : أَنْ سَبَبُ الْفَيْشِ وَالسُّقْمِ الَّذِى اشْتَدَّ بِي تَبَرُّعِهِ وَأَذَاهُ فَخُورٌ فِي لَحْظِ تِلْكَ الْبَيُوتِ الصَّحِيحَةِ
لِلرَّيْضَةِ ، وَهَذَا مَعْنَى مَطْرُوقِ الْفُتْرَاءِ ، وَمَنْ أَحْسَنَ مَلِيًّا فِي مَرَضِ الْبَيُوتِ قَوْلُ ابْنِ الْمُعْتَزِّ :

عَلِيمٌ بِمَاتِ الصُّدُورِ مِنَ الْهَوَى سَرِيعٌ بِكَرِّ الْخَطِّ وَالْقَلْبِ جَازِعٌ

وَبِجَرَحِ أَهْثَالِي بَيْنَ رِيضَةٍ كَاللَّانِ مِنَ السِّيفِ وَالسِّيفِ فَاطِمٌ

(٧) يَمْنَى أَنْ « ابْنُ جَوْرٍ » : إِذَا قَالَتْ الْآمَالُ عَنْهُ قَوْلًا صَدَقَ قَوْلُهَا عَنْهُ .

(٨) هَرَبَ بِمَعْنَى هَرَبَ .

أَحْسَنَ الْمُحْسِنِ مَنَّا قَبَزَى . مِثْلُ مَا لَجَّ مِثْلِي ، فَأَحْتَمَلَ ^(١)
 سَخِيئُهُ فِي كُلِّ بَرٍّ مِثْلُ ^(٢) . إِذْ مَسَاعِي مِنْ يُتَارِيهِ ^(٣) مِثْلُ ^(٤)
 لَا يَزَلْ مِنْ حَامِدِيهِ مُكْبَرٌ . أَوْ مُقِلٌ ، سَبَقَ السِّيفُ الْعَدْلَ ^(٥)

* *

« يَا بَنِي جَهْوَرٍ » أَلَدْنِيَا بِكُمْ . حَلَيْتَ أَبَانِيَا بَعْدَ الْعَطَلِ ^(١)
 إِنَّمَا دَوَّلْتُكُمْ وَلِسِيْطَةً ^(٢) . أَهْدَتِ الْحُسْنَ إِلَى عَقْدِ الدُّوَلِ
 نَحْنُ مِنْ نَمَائِكُمْ فِي زَهْرَةٍ . جَدَّدَتِ عَهْدَ الرِّيعِ الْمُقْتَبِلِ ^(٣)
 طَابَ كَانُونُ ^(٤) . لَنَا أَثْنَاءُهَا . فَكَأَنَّ الشَّمْسَ حَلَّتْ بِالْحَمَلِ ^(٥)
 زَهَرَتْ أَخْلَاقُكُمْ فَأَبْتَسَمَتْ . كَأَبْتِسَامِ الْوَرْدِ عَنْ لَوْلَاهُ طَلٌّ

(١) أحسن المحسن منا جافاه وكافاه على إحسانه ، كما تكررت إساءة للسبي فاحتلها فنوا منه وكروا .

(٢) أي كائنات السائر ينسج في الناس ذكره ، ويعمد أثره .

(٣) يتأخره ويماديه . (٤) جمع مثال ، أي أئمة وصور يقول أن سامي المدح في صفة الناس

بأنواع البر والاحسان أصبحت مضرب الأمثال ، في حين أنه سامي أعدائه للتأولين له صور جاعة أملكه - كترى -

لم ينسج لها ذكر ولم يعرف عنها أثر . (٥) يدعو باستمرار حاسديه على الاكتثار أو الافلال

من لومه على ما يعبه على رده وسهم من ويلات ، وينزله بهيم من هزوات ويقول « سبق السيف العذل »

أي فلامنى قوم أكثر الأعداء منه أم أنفوا ، وهو مثل مشهور بضرب للأسم الذى فلت فلم يمكن تداركه .

(٦) مصدر عطلت المرأة كفرح لم يكن عليها حلى ، وهو ضد « حليت » .

(٧) هي الدرّة التي في وسط الفخذ وتمد أغس جوهرية فيه .

(٨) يقول : نحن قد حللنا من نصائكم في بهجة من الزمان ، ونضرة من الحياة ، جددت لنا عهد الربيع

عند استقبال أيامه ، وتجدد أوامره ، والربيع عند العرب ويميل . الربيع الذى فيه النور والكلأ ، والربيع

الذى تدرك فيه النجوى . (٩) شهر ، وهو اثنا : كانون الأول ، وكانون الثانى .

(١٠) الحلى : برج من بروج السماء .

أَيُّهَا الْبَخْرُ الَّذِي مَهَّمَا تَقِضُ بِالنَّدَى ^(١) يُمَتِّأُهُ فَالْبَخْرُ وَشَلَّ ^(٢)
 مَنْ لَنَا فِيكَ يَتَبَّ وَاحِدٌ نَحْذَرُ أَلَمَيْنِ إِذَا الْفَضْلُ كَمَلُ ^(٣)
 شَرَفُ تَقْنَى عَنْ الْمَذْحِ بِهِ مِثْلُ مَا بَغْنَى عَنْ الْكُحْلِ الْكَعَلُ ^(٤)

أَنَا غَرَسْتُ فِي ثَرَى الْعَلِيَاءِ لَوْ أَبْطَأْتُ سُقْيَاكَ عَنْهُ لَدَبَانُ
 لِي ذِكْرُ بِالَّذِي أَسْدَيْتَهُ نَابِهِ وَدَّ حَسُودُ لَوْ حَلَّ ^(٥)
 فَلَيْسَتْ بِالْأَدَاءِ مِنْ حَالٍ فَتَى أَذْبَتُهُ سِيرُ النَّاسِ الْأَوَّلُ
 قَوْصَى الْحِكْمَةِ عَنْ قَائِلِيمَ : « الزَّمِ الصَّحَّةَ يَلْزَمُكَ الْعَمَلُ »

أَقْبَلْتُ نَعْمَاكَ تُهْدِي نَفْسَهَا لَمْ أَرْغُ ^(٦) حَطَى وَنَهَا بِالْجَلِيلِ
 فَقَبِلْتُ الْيَدَ ^(٧) مِنْ بَطْنِ يَدٍ ظَهَرُهَا - الدَّهْرُ - عَمَلُ الْقَبْلِ
 كَلْنَا بُلُغَ مَا أَمَلَهُ قَابَلُغُ النَّبَاةِ مِنْ كُلِّ أَمَلٍ
 وَإِذَا مَارَامَكَ الدَّهْرُ فَفُتْ وَإِذَا رُمْتَ الْأَمَانِي فَتَلْ

(١) الكرم . (٢) ماء قليل يحطب من جبل أو صخرة .
 (٣) يقول من لنا بمن يعد فيك عيبا واحدا فانا نحن نحذر عليك وقد كنت ضائقت عيون الحاسدين ،
 وهو نظير قول الآخر :

ما كان أحوج ذا الكمال إلى عيب يوجب من العيب

(٤) الكحل : حركة أن تسود بواطن الكحل من العين خفة ، أي حرف استغنى بعبه من المدح كما
 تستغنى العين للكحول خفة من التكحل بالكحل صناعة . (٥) أسدجه : أعطيه ، والذكر
 للناهب : العريف للشيء ، وهو خلاف الخامل . (٦) لم أطلب وفي الأصل : « لم أدع » .
 (٧) الجليل .

مداعبة

« كتبها إلى أبي عبد الله بن القلاس البطليوس »

يداعبه بها »

أَصْبَحَ لِمَقَالَتِي وَأَتَمَّنَعُ وَخَذُ - فَبَارَى - أَوْ دَعُ
وَأَقْصِرْ - بَعْدَهَا - أَوْ زِدْ وَطِرْ - فِي إِثْرِهَا - أَوْ فَعُ

أَلَمْ تَعْلَمْ بِأَنَّ الدَّهْرَ يُعْطِي بَعْدَ مَا يَمْنَعُ
وَأَنَّ السَّعْيَ قَدْ يُكْذِبُ^(١) وَأَنَّ الظَّنَّ قَدْ يَخْذَعُ
وَكَمْ ضَرَّ أَمْرًا أَمْرٌ تَوَهَّاهُمْ أَنَّهُ يَنْفَعُ

قَلْبٌ يُجْدِبُ مِنَ الدُّنْيَا جَنَابُ طَالِمَا أَمْرُغُ
فَمَا إِنْ فَاضَ لِي صَبْرٌ وَمَا إِنْ فَاضَ لِي مَذْمَعُ
وَكَأَنَّ رَامَتْ الْآيَا مُ تَرْوِيحِي قَلَمُ أَرْتَعُ^(٢)
إِذَا صَافَقْتَنِي الْجَلِي تَجَلَّتْ عَنِّي أَرْوَعُ^(٣)
حَلَى مَا قَاتَ لَا يَأْسِي وَبِمَا نَابَ لَا يَجْزَعُ
تَدِبُ إِلَى مَا تَأَلَوُ عَقَارِبُ مَا تَنِي تَلْسَعُ

(١) يخلق ، وقد كرر هذا المعنى في سيبته فقال :

« ولكم أجدى فودد ولكم اكدى التمس »

(٢) حلوت الألام أن تعبدني فلم أخف .

(٣) أي أن المصائب لا تنال منه مثلاً ، صانفت من ضافته لهم لما نزل به ، والجلى : الأمر العظيم والحادث الروح ، والأروع : الذكر الحديد القواد المعلى النفس ، واللسي : إذا نزلت في جلى الحوادث تكشف من نقي حاشى العقل حديد القواد ، وفي الأصل « صابني » من صاب السهم القوس بمعنى أصاب وهي لغة تلبية لا لظن أن ابن زيعدون يلبأ إلى استعمالها مع فزادة مادته .

كَأَنَّا لَمْ يُولَدْ لَنَا ذَاكَ لَمَّا كُنَّا فِي الْأَخْدَعِ^(١)
 إِذِ الدُّنْيَا - مَتَى نَقْتَدُ أَيْ سُرُورِهَا - يَتَّبِعُ^(٢)
 وَإِذْ لِلْحَظِّ إِبْكَالٌ وَإِذْ فِي النَّبَشِ مُشْتَمِعٌ^(٣)
 وَإِذْ أَوْتَارُنَا تَهْفُو وَإِذْ قَفَّازُنَا تُشْرَعُ^(٤)
 وَأَوْطَارُ الْمُنَى تَفْضَى وَأَسْبَابُ الْمَوْتِ تَشْفَعُ^(٥)
 فَرَنْ أَدْمَانَةٍ^(٦) تَمْطُورُ^(٧) وَمِنْ قُفْرِيَةٍ تَنْجِعُ^(٨)
 أَعِذْ نَظْرًا فَإِنَّ الْبَغْدَ سَى مِمَّا لَمْ يَزَلْ يَصْرَعُ^(٩)
 وَلَا تُطْعِ أَلْبَى تَنْوِيكَ فَهَى لَيْبِهِمْ أُلُوعُ^(١٠)
 تَقْبَلُ - إِنْ أَتَى - خَطْبًا وَأَنْفُ الْفَعْلِ لَا يَقْرَعُ^(١١)

- (١) يقول : إنك مولع الآن بالكيد والاساءة إلى متناهي تلك الأيام التي ألف فيها بيننا الزمن المواتي ، حين كنا أخوين متآلفين ، وفي الأصل : « كأننا لم يولينا » .
 (٢) وفي الأصل : « إذ الدنيا منى » . (٣) تملأ .
 (٤) الأدمان - بالفتح - شجر الجنة ، وفي أكبر من القول وأصغر من الشجر ، الأدمانة : بضم فسكون قالوا إنه جمع إدماء كدماء ، وفي الظبية الخالصة البياض ، قال ذو الرمة :
 من اللؤلؤات الرمل أدماء حرة شماع الضحى في منها جوتج
 وصح بنى الفريوس أن أدمانة مفرد كتمصاة وإذن فهي مرآة لأدماء ، وتمطوا : تتناول إلى الشجر لتتناول منه . (٥) تجيل .
 (٦) دع هراوة هذه المأكرة فلها أُلُوع لنواية أعدائك وضائيك ولن تستطيع أن تنظب على كيدهم وغوايتهم ، وفي الأصل : « نهى لبهم أُلُوع » .
 (٧) فرع الأنف رمز لهوان ، قالوا : وخس الأنف بالضرب لأنه محل الأفة والكبر والشتم .
 والضرب يقول في امثالها : « أنف الفحل لا يقرع » وفي قوله : مخاطب الكف .
 والأمل لعل الأبل إذا ضرب وجهه من الناقة التي يريدون تاجها منه .
 قالوا : وتقتل به أبو سفيان بن حرب حين بانه زواج النبي (صلى الله عليه وسلم) ابنته أم حبيبة قتال :
 « ذاك الفحل لا يقرع أغه » .
 وفي الأصل : « وأنف النبل لا يقرع » يقول : إن العظيم لا يهن عزمه أمام الخطوب والكوارث ، فليكن لك في هذا مواء ولتقبل أي خطب إن أنك بمصدر رجب ، غير واجد على تلك المرأة الفادرة التي لا قيمة لها ولا خطر .

وَلَا تَكُ مِنْكَ تِلْكَ الْآثَرُ بِالرَّأْيِ وَلَا السَّمْعِ
فَإِنْ قُصَّارَكَ اللَّهُ لِيَرْزُقْ، حِينَ سَوَّاهُ الْمَضْجِعَ^(١)

جَرَبِ النَّاسِ وَامْتَحِنِ

خُنْتُ عَهْدِي وَلَمْ أَخُنْ بَيْتَ وَدَى وَلَا عَمْرٍ
قَائِلًا : « هَلْ مُرَايِدُ رَايِمًا أَنْتُمْ مِنْ بَرْنِ^(٢) »
عُدِّي كُنْتُ لِلزَّيْمَانِ ، فَقَدْ خُلْتُ وَالزَّيْمَانِ^(٣)
أَرْخِصِ الْبَيْعَ كَيْفَ شِئْتَ وَذَرْنِي ، لَتَنْدَمَنَّ^(٤)
سَوْفَ تُبْنَى بَعِيرِنَا ، جَرَبِ النَّاسِ وَامْتَحِنِ

(١) وتاس تلك النار التي كانت ذكريتها بميث آلامك وأحرايك ، طيسك أبل فاكتساب ودعا ،
وقصارى ما تمل إليه أن تكون في العليز حين ينم غيرك بالضعج .

(٢) بت عهدي رخيماً مع صدق ودادي لك ، وأخذت تدل عليه في السوق زاهداً فيه باحاً ممن
يشتره بأجنس الأيمان . (٣) كنت عدتي التي ألحوب بها الزمان فأصبحت حرباً على أنت والزمان .

وقريب من هذا المعنى وأدق منه وأروع قول ابن الرومي :

« نَحْذَرُكُمْ دُرّاً لِيَتَمَيَّزَ الْتَمَيَّزُوا سَهَامَ الصَّادِ عَنْ فَكْتَمِ لَهَا
وَقَدْ كُنْتُ أَرْجُو مِنْكُمْ خَيْرَ نَاصِرٍ عَلَى حِينِ خِلَالِ الْبَيْنِ عَمَلُهَا »

إلى أن يقول :

« تَهَوُّوا وَقَةَ الْمُنُورِ عَنْ بَنِيهِ وَخَلُّوا نِيَالِ الْعِدَا وَنِيَالِهَا »

وقول القائل^١ :

« وَاشْتَوَاتِ حَبِيبُهُ دُرّاً فَكَانُوا ، وَلَكِنْ لِلْأَعْدَى
وَخَشَمُوهُ سَهَاماً صَائِلَاتٍ فَكَانُوا ، وَلَكِنْ فِي نَوَادِي
وَقَالُوا : « قَدْ صَفَتْ مَنَا قُلُوبَ الْفَاعِصَةِ ، وَلَكِنْ مِنْ وَدَادِي »

(٤) ازهد في ودي كما شئت فوالله لتندم على زهادتك في ، وما أجل قول ابن الرومي .

« وَارِباً يُوَدِّي أَنْ يَذَالَ قَانِي فِي غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأُمُورِ أَرْخِصِ
لِيَاكُ لَا لَسْتَلْ مَا أَرْخِصُهُ جَلّاً ، فَأَقْلُ مِنْهُ مَا لَا أَرْخِصُ
سَتَرِي - مِنْ لَسْتَلْتَنِي وَطَلَبْتَنِي - أَفِي مَا زَمَمْتُ ذَلِكَ وَتَحَرَّمْتُ »

في مدح ابن جهور

« قال في مدح أبي الحزم بن جهور
أحد ملوك الطوائف »

هَذَا الصَّبَاحُ عَلَى مُرَاكِ رَقِيْبَا فَصَلِّي بِفِرْعَانَكَ لَيْسَكَ الْغَرِيْبَا^(١)
وَلَدَيْكَ - أَمْثَالُ النُّجُومِ - قَلَانِدُ أَلِفَتْ سَمَاءُكَ لَبَّةً وَرِيْبَا^(٢)
لَيْتُبَ عَنِ الْجُوزَاءِ قُرْطُكَ كُلَّمَا جَنَحَتْ تَحْتُ جَنَاحَهَا تَغْرِيْبَا^(٣)
وَإِذَا الْوِشَاحُ تَمَرَّضَتْ أَتْنَاوُهُ طَلَعَتْ ثُرَيَّا لَمْ تَكُنْ لَتَغِيْبَا^(٤)

(١) سراك : سرك ليل ، الغريب : الشديد السواد يقول كاد الصباح يفضحك فصي سواد الليل بسواد
شرك ، ليس شعرك كليل ، قال ابن همام :

قوله : « فصي برمك ليكة الغريبيا » من قول أبي الطيب :

« كسفت ثلاث ذوائب من شعرها لي ليلة فأرت ليالي أربأ »

وينظر إلى قول للمري :

« يود أن ظلام الليل دام له وزيد فيه سواد القلب والصدر »

ونتهاي :

« وتود لو جعلت سواد قلوبها وسواد أعينها سواد عذار »

وقال محمد بن حاتم :

قد أظلموا بهم منها جرهم فتكورت شمس النهار تنضبا
واستأفوا بشبابها بحرا ، فلو هقدوا نواصيها أهدوا النضبا

(٢) الاله بوزن الحب للنسر - والغريب : واحد ترائب الصدر ، وفي موضع القلادة منه - والمغنيديك
قلادة شبيهة بالنجوم تسكن سماء النسر والصدر منك كما تسكن النجوم السماء - وأمثال النجوم بالنصب حال
من قلادة التكره متضم عليه ، وهو الذي سوغ مجيء صاحب الحبل تكره ، قال ابن مالك :

« ولم ينكر غالبا ذو الحبل إن * لم يتأخر » ومن شواهد قوله : « وما لام نفسي مثله في لام »
فعلها بالنصب حال من لام التكره ، ويجوز أن يكون أثال مبتدأ خبره فهيك وقلادة بدلا منه .

(٣) الجوزاء : نجم يمتد في جوز السماء أي وسطه ، شبه قرطها بالجوزاء وجنت أي مالت مغربة
كانها طائر يمت جناحه . يقول أبيه عن الجوزاء قرطك إذا مالت مغربة لتنب في الأفق .

(٤) الوشاح : آدم ينسج مرضا ويرصع بالجوهر ونسجه المرأة بين طاقها وكسحها ونسجه الثريا إذا
تمرضت أي سارت موجة بالوشاح الموجة أتناؤه - وأثناء الوشاح ما أغنى منه ، قال اسرؤال القيس :

إذا ما الثريا في السماء تمرضت تمرض أثناء الوشاح الفصل

أي أوجت ولم تستقم في سيرها اعوجاج ما أغنى من الوشاح على جرة التفتت به .

وَلَطَّالًا أَبَدْتِ إِذْ حَيَّتِنَا كَفَّاهِ الْكَفَّ الْخَضِيبُ خَضِيبًا



أُظْلِمَتِ ، دَعَوَى الْبَرَاءَةِ شَأْنَهَا أَنْتِ الْمَدْوُ قَلِمَ دُعَيْتَ حَيِّبًا ^(١)
مَا بَالُ خَدِّكَ لَا يَزَالُ مُضْرَجًا يَدَمٍ وَلَحْظُكَ لَا يَزَالُ مُرِيًّا ^(٢)
لَوْ شِئْتَ مَا عَذَّبْتَ مُهْجَةَ حَاشِقٍ مُسْتَعَذِّبٍ فِي حُبِّكَ التَّعْذِيبَا
وَلَزُرْتِهِ - بَلْ عَذَّتِهِ - إِنَّ الْهَوَى مَرَضٌ يَكُونُ لَهُ الْوِصَالُ طَيِّبَا
مَا الْمَجْسُرُ إِلَّا الْبَيْنُ لَوْلَا أَنَّهُ لَمْ يَشْعُرْ فَأَهْ بِهِ الْغُرَابُ نَعِيمًا ^(٣)

(١) يا منهجة بغل الماشقين يا مفضولة الكف بدمهم أنت المدو فكيف دعوت نفسك حياء .

(٢) مثله قول الحمصى :

« عيناك قد اعترفا بدى وعلى خديك تورده »

(٣) شفا فاه يشجوه : تنحه ، والنصيب والنتاب : صوت الغراب ، وانقى : ما المجر إلا البين إلا أن الغراب في هذه المرة - لم يفتح فاه لينفثنا بذلك المجر الميت ، والنصيب نذير الفراق عند الحرب ، ويسمون الغراب الأبقع غراب لبين ، فال عترة :

« ضعن المئين فراقهم أتوقع وجرى بينهم الغراب الأبقع »

وقال تنابذة الديباني :

« زعم الأجنة أن رحلتهم هذا »

لا مرحبا بقد ، ولا احلا به إن كان تفرق الأجنة في غد »

وقال عيس ابن خديج :

« ألا غراب البين ، قد طرت بالذى أخذت من لبي فهل أنت واقع »

ولذلك لو أبليتني : قتلى أسلمى بكت حزنا وأرقتني منها الدامع »

وقد المرى : « بي من الغرابان ليس على شرء يغبرنا أن الشعوب إلى صدق »

أسدله في سرية ، وقد امتعت صحابة موسى بعد آياته التسع »

وقال في رثاء العريف الرضى :

« من شاعر لبين قال تصبده برى العريف على روى القناف »

لأن آخر هذه الأبيات التي لا حاجة بنا إلى توضيحها .

وقد شذ أحد الشعراء فأنهى بالآخرة على من يذهب هذا الذهب الخالص في ذم الغراب ، وبرأه من تهمة

التفريق ، فقال :

والناس يلحون غراب البين لما جهلوا

وعل غراب البين إلا ناقة أو جمل

وما على ظهر غراب البين تطوى الرحل

وَلَقَدْ قَضَىٰ فِيكَ التَّجَلُّدُ نَجْمَهُ فَتَوَى وَأَعْقَبَ زَفْرَةً وَنَحِيحًا
وَأَرَىٰ دُمُوعَ الْعَيْنِ لَيْسَ لِيَفِيضَهَا غِيضٌ إِذَا مَا الْقَلْبُ كَانَ قَلِيلًا

* *

مَالِي وَلِلْأَيَّامِ لَيْجٌ مَعَ الضَّبِّ عُدُوتُهَا فَكَسَا الْعِدَارَ مَشِيحًا
حَقَّقَتْ هِلَالَ السَّنِّ قَبْلَ تَمَامِهِ وَذَوَى بِهَا غُصْنُ الشَّبَابِ رَطِيحًا
لَا أَلَمْ فِي مَا لَوْ أَلَمْ بِشَاهِقٍ لِأَنَّهُ لَا جَانِبُهُ فَصَارَ كَثِيحًا (١)
فَلَمَّا تَسَنَّنِي الْحَادِثَاتُ فَقَدْ أَرَىٰ لِلْجَفْنِ فِي الْمَضْبِ «الطَّرِيرِ نُذُوبًا» (٢)
وَلَمَّا نَحِثْتُ لِأَن أَمَامَ «وَيَجُورُ» نِعَمَ النَّصِيرِ لَقَدْ رَأَيْتُ عِيحًا
مَنْ لَا تُعْدَى الثَّابِتَاتُ لِجَارِهِ زَحَا وَلَا تَعْمَى الضَّرَاءُ دَيْبًا (٣)
مَلِكٌ أَطَاعَ اللَّهَ مِنْهُ مُوقِنٌ مَا زَالَ أَوَابًا إِلَيْهِ مُثْبِتًا
يَأْتِي رِصَاءُ مُعَادِيَا وَمُؤَالِيَا وَيَكُونُ فِيهِ مُعَاقِبًا وَمُثْبِتًا
مُتَمَرِّسٌ بِالذَّهْرِ يَقَعُدُ صَرْفُهُ إِنْ قَامَ فِي نَادِي الْخُطُوبِ خَطِيًا

- (١) المعنى : لقد نزل بي ملو نزل بجبل شامق لسقط جانبه صار ككتيبا ميلا أى وملا قد هيل وانحدر - وهو مأخوذ من قوله تعالى « يوم ترجف الأرض والجبال وكانت الجبال كثيبا مهيلا »
- (٢) نسبي : أى تجشع مكرها من قولهم سامه خسا إذا أولاه إياه وأرادته عليه - والجفن : القند - والمضرب : السيف - والطرير : القاطع - والنذوب : جمع نذب ينصبون وهو فى الأصل أثر الجرح فى الجسم إذا لم يرتفع من الجلد - وأراد به هنا أثر الصدا الذى يلو فرند السيف بطول مكته فى القند - والمعنى فلما يترن طول للكث فى السجن كان السيف يبدأ بطول للكث فى الجفن .
- (٣) كعدى : بالتضخيف تحضر وتسرع فى العدو - وزحما من زحف الجيش - والضراء : من قولهم فلان يعنى الضراء إذا معنى مستخفيا لهما يولرى من الشرير - والديب : مصدر دب القمل والشيخ معنى على هيقه والمعنى : نعم النصير جهور من لا تسرع الثابتات إلى جاره زحما ولا تدب إليه مستخفيا .

لَا يُوسَمُ الرَّأْيُ الْفَطِيرُ بِهِ وَلَا يَمْتَادُ إِسْكَالَ الْكَلَامِ قَضِيْبًا (١)
تَأْنِي ضَرَابُهُ الضُّرُوبَ نَقَاسَةً مِنْ أَنْ تَقِيْسَ بِهِ النُّفُوسَ مُضَرِيًّا (٢)
بَسَامُ نَفَرِ الْبَشَرِ إِنْ عَقَدَ الْحُبَّ فَرَأَيْتَ وَصَاحًا هُنَاكَ تَهِيًّا (٣)
مَلَأَ التَّوَاطُرَ صَامِتًا وَلَرُبَّمَا مَلَأَ السَّمِيعَ سَامِعًا وَهَيًّا (٤)
عَقْدُهُ تَأَلَّفَ فِي نِظَامِ رِيَاسَةٍ نَسَقَ اللَّالِي مَنْجِيًّا وَنَجِيًّا
يَفْشِي التَّجَارِبَ كَهَلْمُمْ مُسْتَعْنِيًا بِقَرِيْبَةٍ هِيَ حَنْبُهُ تَجْرِيًّا
وَإِذَا دَعَوْتَ وَلِيْدَهُمْ لِعَظِيْمَةٍ لَبَّاكَ وَفَرَاقَ السَّاحِ أَدِيًّا (٥)

(١) الرأى الفطير : ما فيه عجة وأمله من اخباذ السجين قبل أن يختم - والنضيب : اللغضب من قولهم انضيب الخطبة والسلام أى أرسلها من غير إعداد وتهيئة - واللى : آه لا يسم بسمة العجة فى الرأى ولا يرسل السلام مقصدا مرحلا من غير إعداد له ورياسة عليه .

(٢) ضرابه : سجاياه - والضروب : جمع ضرب وهو للتل والشبه كالضرب ، أى تمنع سجاياه أن يكون له أمثال وأشباه نقاسة بطلال الكريمة أى ضنا بها وأباه من أن تقيس به النفوس ضربا وشبها (٣) الميوة : كثرته وسدرة تجمع على حيا كثرن وسدر ، والاحياء أن يضم الجالس رجله إلى بطنه ويضمهما مع ظهره بجنب وقد يفتح يديه ، وهو يقوم مقام إستاذ الظهر إلى حائط أو نحوه ، يعنى أنه كثير الانسجام فى طلائفه ويصر أن جلس محتيا فظفرت منه ومناح الجبين مفرق الطلعة مهييا .

(٤) اللى : أنه ملأ التواطر - ووعة وهية فى حال صمته والمسامح حكمة وياتا سامعا من الناس وهيا قال ابن بسام :

قوله : « ملأ التواطر صامتا » من قول ابن زيدون أيضا :

أسألتها واجبل بكاك جوابا تخدع للشوق سائلا وهيا

وينظر أيضا إلى لفظ هذا البيت دون معناه قول أبى الطيب :

فدهاك لحسدك الرئيس وامسكوا ودهاك خالفك الرئيس الأكبر

خلفت صفاتك فى الميود كلامه كانطق يملا مسمى من أبصرا

ويلحق أيضا هذا البيت قول أبى نواس - على ما نره بين الناس -

« ألا فاسقنى غرا وقل لى : من الحمر » وهذا التفسير فيه أنصف الوجه ، وبيت بن حرف أشبه من هذه كلها بيت ابن زيدون ، وهو قوله يمدح صاحب القديوان :

سل منى وتلق به وانظر إليه محمد سلمه للسمع والافواه والفل

(٥) لباك : أباك - وفراق الساج : يريد أن ساجه يفرق أى يجرى كالماء جريا سهلا - وأديا : لها أريا بإزاء المهمة أى حافلا .

هُمْ تُنَافِسُهَا النُّجُومُ وَقَدْ تَلَا فِي سُوْدَدٍ مِنْهَا الْمَقِيبُ عَقِيْبًا
وَعَمَاسٍ تَنْدَى رَقَائِقُ ذِكْرِهَا فَتَكَادُ تُوهَمُكَ اللَّدِيحُ نَسِيْبًا ^(١)
كَأَلَسٍ أَخْضَرَ نَضْرَةً، وَالْوَرْدُ أَخْمَرَ بَهْجَةً، وَالسِّنُّ أَذْفَرُ ^(٢) طِيْبًا
وَإِذَا تَقَنَّ فِي اللِّسَانِ ثَنَاؤُهُ فَاقْتَنَ لَمْ يَكُنِ الْمُرَادُ غَرِيْبًا ^(٣)
عَالِي بِمَا فِيهِ قَمِيْرُ مَوَاقِعٍ سَرَفًا وَلَا مَتَوَقِّعٌ تَكْذِيْبًا ^(٤)

* *

كَانَ الْوُشَاةُ وَقَدْ مُنِيَتْ بِإِفْكِهِمْ - أَسْبَاطُ يَمْقُوبَ وَكُنْتُ الْذِيَا ^(١)
وَإِذَا الْمَنَى بِقَبُولِكَ الْفَضْلَ الْجَنَى هَزَّتْ ذَوَائِبُهَا فَلَا تَشْرِيَا
أَتَأْسِفُكَ الْعَصِيءُ الَّذِي سَهَانَشَا - تُعِدُّ الصَّقَالِ إِلَيْهِ وَالتَّذْرِيَا ^(٢)
كَمْ صَاقِي فِي مَن مَذْهَبٍ فِي مَطْلَبٍ فَتَنِيَتْهُ فُوحُ الْمَجَالِ رَحِيَا
«وَزَهَا» جَنَابُ الشُّكْرِ حِينَ مَطَرَتْهُ - بِسَحَابِ النَّعْمِ - فَرَدَّ خَصِيْبًا ^(٣)

(١) قال ابن بزم :

قوله : « فتَكَادُ تُوهَمُكَ اللَّدِيحُ نَسِيْبًا » من قول أبي تمام :

(٢) أذفر : ذكي طيب الرائحة .

طاب ذكك اللديح والذححق فاق وصف العيار والفتيا

(٣) إذا تقنن : أي أطرد مدرجه في اللسان - فاقنن : أي أخذ في فنون وضروب من اللدح لم يكن

مهارة للملاح غريباً لأنه يستعمل من صفاته فيقول .

(٤) مَوَاقِعُ : مَنايا ، وَالتَّنَوُّعُ : التَّنَظُّرُ - وَالْمَنَى : بِالْعَمَلِ مَاحِدُهُ بِمَا فِيهِ مِنَ الصِّفَاتِ فَلَمْ يَكُنْ مَدَائِيَا
إِرْطَاطًا وَلَا مَضْفُوفًا تَكْذِيْبًا .

(٥) منيت بليت - والافك الكذب والتحديث بالباطل ، يريد أنه يرى مما أبلى به من إفكهم براءة

القلب من دم ابن يَمْقُوبَ .

(٦) التَّنَزُّبُ : التَّعْجِيزُ .

(٧) وجد هذا البيت في الأصل وفي غيره من اللطائف ناصباً ، والزيادة بطلها السياق .



فَتَهَنَّمِ الْأَعْيَادَ عَادَةً لَا بَسِي يُبْنِي الدَّرِيْسَ فَيَسْتَجِدُّ قَشِيْبًا^(١)
وَمَتَى سَعَيْتَ لِتَنْزِيْحٍ مُتَعَدِّ فَوَجَدْتَهُ سَهْلَ الْمَرَامِ قَرِيْبًا^(٢)
وَأَرَادَ فِيكَ مُرَادَكَ الْقَدْرُ الَّذِي لَا نَسْطِيعُ لِحُكْمِهِ تَقْيِيْبًا

عتاب

أَحْيَنَ عَلِمْتَ حَظُّكَ مِنْ وِدَادِي وَلَمْ تَجْمَلْ عَمَلَكَ مِنْ قُوَادِي
وَقَادَرَنِي الْهُوَى فَاتَّقَدْتُ طَوَافَا وَمَا مَكُنْتُ غَيْرَكَ مِنْ قِيَادِي
رَضِيتَ لِي السَّقَامَ لِإِبْسَاسِ جِسْمِي كَحَلَّتِ الطَّرْفَ مِنْهُ بِالسَّهَادِ^(٣)



أَجَلْ عَيْنِكَ فِي أَسْطَارِ كُتُبِي تَجِدُ دَمْعِي مِرْآةً لِلْعَبَادِ^(٤)
فَدَيْتُكَ إِنِّي قَدْ ذَابَ قَلْبِي مِنَ الشُّكْوَى إِلَى قَلْبِ جَمَادِ

(١) يقال تهنا الطعام وتهنا به كما يقال تعلق الشيء وتعلق به — أي تهنا بالأعياد غير مخالف عادتك فيها من إيلاء الثوب الدريس أي الخلق ، وليس القشيب أي الجديد ، وهذا نظير قوله في البائية .

فأقبل وأخلف إنما أنت لايس ههنا أيال الفتر وهي ثياب

(٢) ومتى سعت لعل الأصل ولكم سعت البت — والذي يظهر أن هذه الأبيات التي غنمت بها هذه القصيدة وقع فيها شيء من التحريف فليحذر .

(٣) يقول : لا أحين أيقنت أنني لا أمل أحداً علك من تلي وعلمت أنني أسير هواك جزيني على ذلك الاخلاص في الحب ستاماً وتسليداً . وما أجل قول المجهول :

وأدني حق إذا ما فتنني بقول يحل النعم سهل الأباطع

تأهيت عني حين لال حيلة وعادرت ما قادرت بين الجوانح

(٤) تأمل في سطور الكتب التي أهدت بها إليك محمد دمي مخطوطاً يمدادها .

رثاء فتاة

« قال يرى ابنة المعتضد المتوفاة قبل وفاته بثلاث »

مَرَكَ الدَّهْرُ وَسَاءَ قَافِرٌ شُكْرًا وَعَزَاءً ^(١)
 كَمْ أَفَادَ الْمَصِيرُ أَجْرًا وَأَقْتَضَى الشُّكْرُ نَعَاءً ^(٢)
 أَنْتَ إِنْ تَأَسَّ عَلَى الْمَفْقُودِ إِنْكَارًا وَأُجْتَبَاءً ^(٣)
 قَامِلُ عَنْهُ غَيْرَةٌ وَأَخْطِلِ الرُّزْمَ إِيَّاهُ
 أَيُّهَا « الْمُعْتَضِدُ » الْمَشْهُورُ مَلَيْتَ الْبَقَاءَ ^(٤)
 وَتَرَيَدْتَ مَعَ الْأَيَّامِ عِزًّا وَعَلَاءً ^(٥)
 إِنَّمَا يُكْسِبُنَا الْحُزْنَ نَعَاءُكَ لَا عَنَاءً ^(٦)
 أَنْتَ طَبَّ أَنْ ذَاءَ الْمَوْتِ قَدْ أَعْيَا الدَّوَاءَ ^(٧)
 فَتَأَسَّ ^(٨) إِنْ ذَاكَ الْخَطْبُ قَالَ الْأَنْبِيَاءُ
 وَمَسِيئَتِي الْمَلَأُ الْأَعْلَى إِذَا مَا اللَّهُ شَاءَ

* *

حَبْدًا هَدَى عَرُوسٍ دَفْنُهَا كَانَ الْمَدَاءُ
 صُمِرَتْ حِينًا وَمَاءَ الْمُرْنِ شَكْلَيْنِ سَوَاءُ

-
- (١) اقن : الزم من فوهم تبت حياتي أي لزمته ، قال عنترة :
 فأجبتها إن للتيبة منهل لا يد أن أسقى بذلك المنهل
 فاقني حياته لا أبالك واطلى أي امرؤ ساموت إن لم أقل
 ولعلني : مراكم البحر وساءك فاشكره على أن مراكم وتمو بذلك مما ساءك .
 (٢) زيادة . (٣) الاجباء : الاصطفاء .
 (٤) ملئت البقاء : تمتك الله بالبقاء . (٥) البلاء : الرضة .
 (٦) إنما يكتسبنا الحزن إلما لا فائدة فيه ولا جموى منه .
 (٧) أنت عالم خير بأن ذاء الموت لا دواء له . (٨) اصبر .

ثُمَّ وَلَّتْ فَوَجَدْنَا أَرْجَ (١) الْمِسْكِ ثَمَاءً
جَمَعَتْ تَقْوَى وَإِحْبَابًا تَأْ (٢) وَقَضَى وَذَكَرَهُ
سَتَوْفَى مِنْ جَاهِ الْكَوْثَرِ الْمَذْبِ رَوَاهُ (٣)
حَيْثُ تَلَقَى الْأَنْفِيَاءُ الشَّعْدَاءُ الشُّهَدَاءُ

* *

هَانَ مَا لَاقَتْ عَلَيْهَا أَنْ عَدَّتْ مِنْكَ فِدَاءً (٤)
غُفِرَ أَحِبَابِكَ أَنْ تَبْقَى وَإِنْ تُمُوتُوا فَتَاءً (٥)
قَالِبِ السُّنْبِ مِلَاءً وَأَسْحَبِ السُّعْدِ رِدَاءً (٦)
وَرِثِ الْأَعْدَاءُ أُنْمَاءً رَهُمُ وَالْأَوْلِيَاءُ (٧)

في الغزل

مَا صَرَ لَوْ أَنَّكَ لِي رَاحِمٌ وَعَلَيْ أَنْتَ بِهَا عَالِمٌ
يَعْنِيكَ يَا سُوْلِي وَيَا مُبْنِي أَنْكَ يَمَا أَشْتَكِي سَالِمٌ (٨)
تَضْحَكُ فِي الْحُبِّ وَأُبْكِي أَنَا اللَّهُ - فِيمَا يَنْتَنَّا - حَاكِمٌ
أَقُولُ لِمَا طَارَ عَنِّي الْكَرَى قَوْلٌ مُعْنَى قَلْبُهُ هَامٌ
« يَا نَاعِمًا أَيْقَظَنِي حُبُّهُ هَبْ لِي رُقَادًا أَيُّهَا النَّاسُ » (٩)

(١) طيب . (٢) الاغيات : المجموع . (٣) ستوفى من ماء الكوثر .

(٤) هون عليه خطب الموت أنها اختدعت بنفسها من الردى .

(٥) إن أحبابك ليون في قتلك أكبر فوز لهم ولو اختدوك بأعهم .

(٦) لللاء ولللاء : الريلة ذات لفتين ، وللعنى : ازل في حال اللعروف والمادة .

(٧) وجهك الله أعمار أعدائك وأصفيائك .

(٨) من أبعد ما قرأناه في هذا المعنى قول الشريف الرضى :

« أحور عليك - إذا امتلأت من الكرى - أنى أبيت ببليلة للسموع »

(٩) يقول : « ليس من المداه أن تنام وأسر ، فانم على الكرى بعد أن يغفل جبرك » .

تهنئة

« وقال يحيى المعتضد وقد شرب الدواء »

أُخْمِدَتْ حَافِيَةُ الدَّوَاءِ وَنِلْتُ حَافِيَةَ الشِّفَاءِ
وَخَرَجَتْ مِنْهُ مِثْلَمَا خَرَجَ الْحَسَامُ مِنَ الْجِلَاءِ
وَبَقِيَتْ لِلدُّنْيَا فَأَنْتَ دَوَاوُهَا مِنْ كُلِّ ذَا
وَوَرِثْتَ أَعْمَارَ الْعَدَى وَقَسَمْتَهَا فِي الْأَوَّلِيَاءِ (١)
يَا خَيْرَ مَنْ رَكِبَ الْجَيَّا دَسَارَ فِي ظِلِّ الدَّوَاءِ
وَأَجْتَلَ يَوْمَ الْحَرْبِ قَدْ مَا وَاحْتَنَى يَوْمَ الْحَيَاءِ (٢)
بُشْرَاكَ عُقْبَى صَحَّةٍ تَجْرِي إِلَى قَيْرِ انْتِهَاءِ
فِي دَوْلَةٍ تَبْقَى بَقَا ، الدَّهْرِ آمِنَةً الْفَنَاءِ
وَمَسْرُوقٍ يُفْغِي بِهَا زَمَنٌ كَحَاشِيَةِ الرَّذَاءِ
وَأَشْرَبَ فَقَدْ لَدَّ النَّسِيمُ وَرَقَّ مِرْبَالُ الْهَوَاءِ
لِنَزَى بِكَ الْبَهْوِ الْمُطْلِ عَيْسُ فِي حُلَلِ الْبَهَاءِ
وَبَقِيَتْ مَقْدِيًّا بِنَا إِنْ نَحْنُ جُزْنَا فِي الْفِدَاءِ (٣)

(١) قوله : « وفستها في الأولياء » يذكرنا قول العباس الأصف :

لو كانت هذا الحب يد غذيه حكي أو ضائي
لطلبت به لجمته من كل أرض أو ساء
قسمته يلقى ويه من حبيب قلى بالسواء
حسنى إذا متنا جيب حاء ، والأمور إلى انتهاء
مات الهوى - من بدنا - أو ملن في أهل الوفاء

(٢) أجال : من إجاله الفداح في اليسر ويناسبه قدام أي فاز بالظفر والنصر على الأعداء ، واجال في الحرب وجال بمعنى واحد ويناسبها قداما بمعنىين - والتخفيف بالاسكان في منه جاز - ومناه جال في الحرب

بعضي قداما أي إلى الامام ، والهاء : بالكسر المطاء .

(٣) فذلك أعمارنا إن كان يميل منا هذا الفداء .

تهنئة بقصد

« وقال بهنيه بقصد »

لِيَهْنِكَ أَنْ أَمَحَدْتَ عَاقِبَةَ الْقَصْدِ فَفِيهِ مِنَّا أَنْجَلُ الشُّكْرِ وَالْحَمْدِ
وَيَا عَجَبًا مِنْ أَنْ مَبْذُوعَ قَاصِدٍ تَلَقَّيْتَهُ لَمْ يَنْصَرِفْ نَائِي الْهَدِّ
وَمِنْ مَتَوَلَّى قَصْدٍ يُمْنَاكَ كَيْفَ لَمْ يَهْلُهُ عَجَابُ الْبَحْرِ فِي مُعْظَمِ الْمَدِّ
وَلَمْ تَنْفُسْهُ الشَّمْسُ الْمُنِيرُ شَمَاعَهَا فَيُخْطِئِي فِيمَا رَأَيْتُهُ سَنَ الْقَصْدِ

* *

مَرَى دُمُوكَ الْمَهْرَاقُ فِي الْأَرْضِ فَاسْتَسْت أَقَانِينَ رَوْضٍ مِثْلَ حَاشِيَةِ الْبُرْدِ
فَصَادًا طَلَبَ اللَّهُزَّ فَالْقَطْرُ فِي الثَّرَى كَمَا طَلَبَ مَاءَ الْوَرْدِ فِي الْعَنْبَرِ الْوَرْدِ
لَقَدْ أَوْفَتْ أَلْدِيَا بِعَهْدِكَ نُصْرَةً كَمَا أَنَّكَ قَدْ عَلَّمْتَهَا كَرَمَ الْعَهْدِ^(١)
لَتَى زَمَنٍ غَضَّ أُنَيْقٍ فَرَنْدُهُ^(٢) كَيْلَ فِرْنِدِ الْوَرْدِ فِي خَجَلَةِ الْهَدِّ
تُسَوِّغُ مِنْهُ الْعَيْشَ فِي ظِلِّ دَوْلَةٍ مُقَابَلَةً الْأَرْجَاءِ بِالْكَوْكَبِ السَّعْدِ

* *

فَهَبْ إِلَى اللَّذَاتِ مُوَارِزَ رَاحَةٍ تُجِمُّ بِهَا^(٣) النَّفْسُ النَّفِيسَةَ لِلْكَدِ^(٤)
وَوَالِ بِهَا فِي لَوْلُوٍ مِنْ جَنَابِهَا^(٥) كَجِدِّ الْفَتَاةِ الرُّودِ فِي لَوْلُوٍ الْعَقْدِ
وَإِنْ تَدْعُنَا إِلَيْنِ - عَنْ أَرْيَحِيَّةٍ - فَقَدْ يَأْنِسُ الْمَوْلَى إِذَا أُرَاتِحَ بِالْعَبْدِ

(١) يقال وفي بالهدد أوفى بالهدد وكلامها بمعنى واحد قال تعالى « وأوفو بعهدي الله » ومعنى البيت لقد ماحدثك الدنيا على العبرة ووفت بالهدد ولم تنفخ فكأنك قد علمتها الوفاء وكرم الهدد .

(٢) أنيق الرضى . (٣) تراج بها .

(٤) تجم : يقال جم وأجما هو أى تركها تستجمع ماقدته ، وللمنى : الشغل إلى الغلات فضلا الراحة قليلا ، وترك ذلك تستجمع ماقدته من قوتها لتستأنف السكد والعمل لمهام العولة .

(٥) الجباب : القناجة وما قرب من علة الغوم .

في مدح ابن جهور

ما طولُ عَذْلِكَ لِلْمُحِبِّ بِناْفِعِ ذَهَبُ الْفَوَادِ قَلْبَيْسٍ فِيهِ رَاجِعٌ ^(١)
فُنُذِتِ حِينَ طَلِمَتْ فِي سُلُوَانِهِ هَيْبَاتٍ لَا ظَفَرٌ هُنَاكَ لِطَامِعِ ^(٢)
فَدَحِيهِ حَيْثُ يَطُولُ مَيْدَانُ الصَّبَا كَيْمَا يَحْمُرُ بِهِ عِيَانُ الْخَالِجِ ^(٣)
مَاذَا يَرِيكَ مِنْ فَتَى عَزِّ الْهَوَى فَمَتَا لِنُخُوتِهِ بِذِلَّةٍ خَاضِعِ ^(٤)
هَلْ قَبِرَ أَنْ يَحْضُرَ الْوَفَاءَ لِنَاذِرِ أَوْ غَيْرَ أَنْ صَدَقَ الْوَسَالَ لِقَاتِلِجِ ^(٥)
لَمْ يَنْوُ مَنْ لَمْ يُنْسِ قُرَّةَ عَيْنِهِ سَهْرُ الصَّبَابَةِ فِي خَلِي هَاجِعِ ^(٦)
وَاهَا لِأَيَّامٍ خَلَّتْ مَا عَثَرُهَا - فِي حِينِ ضَيِّعَتِ الْهُودَ - بِضَائِعِ ^(٧)
زَمَنْ كَمَا رَاقَ السَّقِيطُ مِنَ النَّدَى يَسْتَنْ فِي صَفَحَاتٍ وَزِدَ يَانِعِ ^(٨)
أَيَّامٍ إِنْ عَثَبَ الْحَبِيبُ - لَهْفُودَ - شَقَعَ الشَّبَابُ فَكَانَ أَكْرَمَ شَافِعِ ^(٩)

(١) السدل : اللوم ، واللى : لامتليه فليس السدل بنافع مجا ذهب فواده مع من يهواه فليس يرجعه كثرة اللوم والتصنيف . (٢) فُنُذِتِ : أى نسبت إلى الكذب ونسب الرأى حين تلطمين في سلو محب يمد كل الجهد أن يظفر طامع في سلواته بطائل .

(٣) الخالغ : من خلع الفرس هذاوه أثناءه من غشه فعدا بهر ، وهو مثل يضرب لمن أطلق من فيده ، يقول : اتركه وشأنه في الهوى حيث يتسع له مجال الصبا ، وسراج الشباب ، كى يطلق لنفسه العنان في اللهو والراح . (٤) ماذا يريك : ماذا تكرهينه ويسوءك من فنى ، أو أى شيء يهلك منه في روية وشك ، وهنا : خضع وأطاع ، والنخوة : النظرة والكبر ، وهذا البيت يذكرنا بقول الصريفى الرضى :

« لو حيث يستمع السرار وهما لجيتنا من هره وخضوي »

(٥) معناه : هل يعرف غير محض الوفاء لمن غدر ، وحسن السعة لمن هجر .

(٦) لم يبق طعم الهوى من لم يكن سهر الصبابة في خلى نائم حبيبا إلى غشه ، وقره لعينه .

(٧) واهَا : كلمة يتعجب بها من طيب الشيء وحسنه ، واللى : ما عهدت لك الأيام التي تروق بهجتها بضائع عندى في حين ضييعت أنت كل الهود .

(٨) راق : أجب ، والسقيط : ماسقط من الندى على الزهر ، ويست : ينصب كالدمع في صلحة الورد (٩) قريب من هذا الذى قوله في مطلع بآيته :

أما طعت أنت الشفع شباب فيقصر عن لوم المحب كتاب

علام الصبا نض يرف دواؤه إذا عن من وصل الحسان ذعاب

مَالِي وَلِدَيْتَا غُرُوتٍ مِنَ النَّفْيِ فِيهَا يَبَارِقَةُ السَّرَابِ الْخَالِدِ
مَا إِنِ أَزَالُ أُرُومُ شُهَدَاءَ عَالِيَلٍ أَنْتُمْ مُجَابِحَتَا بِإِثْرَةٍ لَاسِعٍ^(١)

* *

مَنْ مَبْلُغٌ عَلَى الْبِلَادِ إِذَا بَنَتْ أَنْ لَسْتُ لِلنَّفْسِ الْأَلُوفِ بِبَاخِعٍ^(٢)
أَمَّا الْهَوَانُ فَصُنْتُ عَنْهُ صَفْحَةً أَغْشَى بِهَا حَدَّ الزَّمَانِ الشَّارِعِ^(٣)
فَلَيْتُ نَعِيمِ الْحَطِّ الْمَوْلَى أَنَّهُ وَلَّى فَلَمْ أَتْبِعْهُ خُطْوَةً^(٤) تَابِعِ
إِنَّ الْغَنَى لَهْوُ الْقَنَاعَةِ لَا الَّذِي يَشْتَفِي نُطْفَةَ مَاءٍ وَجْهَ الْقَانِعِ^(٥)

* *

اللَّهُ جَارُ « الْجَبَوَرِيِّ » فَطَالَ مَا مَنِيَتْ^(٦) صَفَاءُ^(٧) الدَّهْرِ مِنْهُ بِقَارِعِ

(١) مهدة : بالضم والفتح واحدة العهد وهو السمل مادام لم يصبر من شحمه ، والماسل : الذي يشتار السمل أى يأخذه من الخلية ، والمهاجة : ما يجبه النيل من السمل ، وبين « ماسل » و « لاسع » جناس القلب ، والمعنى : ما زلت أطلب من الدنيا أملا يحكى مجاجة طمل حتمها لإبرة لاسع .
(٢) بنت : لم يوافقه المقام بها قال : « وإذا نياك منزل فتحول » ، ويأخ : زوى عسى وأفلهاهما والمعنى : من يبلغ عى ساكنى تلك البلاد التي ترحت عنها مع شدة ثقلها بها أنى لست بمائل عسى أسفا ولما على منارتها إذا بنت عى ولم تواضى الاقامة فيها ، وق معنى التحول عن منزل الضم يقول بشار :
إذا أنكرتنى بلدة أو نكرتها خرجت مع البازى على سواد

أى على جبهة من سواد الليل .
(٣) الشارح : من شرع نحوه حد السيف أو الزرع وأهرمه سنده له وهو نظير قول الآخر :
نرض لطمعان إذا الثقينا وجوها لا تعرض للباب

(٤) بالضم ما بين التمددين وتجمع على خطأ وخطوات .
(٥) النطفة الماء : القليل ، ويشتفها : يصبرها عن آخرها ، يقال اشتفى فى صبره إذا أتى على آخر ما فى الألف فلم يستر ، ولراد هنا عا يربطها كلها عند السؤال ، والفتاح : السائل ، وقى الكتاب العزيز « وأطموأ الفتاح والمعر » وهو من فتح - بالفتح - تنوفا إذا سأل ، لاسع من فتح - بالكسر - فتاعة إذا رضى ولم يرق ماء وجهه بذلك السؤال ، يقول أبو النخى عى النفس بالقناعة لا عى المال الذى يستغرف فيه السائل ماء وجهه ، ويشتف آخر قطرة من حياه .

(٦) اجتليت .

(٧) الحبر العريض الأسلس ويصح على صفا .

مِلْكٌ دَرَى أَنَّ السَّاعِي مُنْمَةٌ فَسَنَى فَطَابَ حَدِيثُهُ لِلْسَّامِعِ
 شِيمٌ هِيَ الزَّمَرُ الْجَنِيُّ تَبَسَّمَتْ عَنْهُ الْكَأَمُ فِي الصُّحَا (١) الْمَانِعِ (٢)
 أَغْرَى مُنَافِسُهُ لِيُذْرِكَ شَأُوهُ فَشَاءَ بِالْبَاجِ الطَّوِيلِ الْوَاسِعِ (٣)
 تَبَتْ السَّكِينَةُ فِي النَّدَى كَأَنَّمَا تِلْكَ الْجَبَا لِيَقْتَ بِهَضْبٍ مَتَالِعِ (٤)
 عَذْبُ الْجَنَى لِلْأُولِيَاءِ قَلَنْ يَبِيجَ قَالِمٌ يَا بِي أَنْ يَسُوغَ لِحَارِجِ

* * *

يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ الَّذِي طَاطَأَ الْهُدَى لَوْلَاكَ كَانَ جَمِي قَلِيلَ الْمَانِعِ
 أَيْسَ الْأَنَامِ إِلَيْكَ فِيهِ ، فَهَمُّ بِهِ مِنْ قَائِمٍ أَوْ سَاجِدٍ أَوْ رَاجِعِ
 مُتَّبِعُونَ جَنَابَ عَيْنِي مُؤَيِّقِ مُتَفَيِّضُونَ ظِلَالِ أَمْنٍ شَانِعِ
 فَلْتَضْرِبَنَّ مَعَهُمْ بِأَوْفَرِ شِرْكَةٍ فِي أَجْرِهِمْ مِنْ مُؤَيِّرٍ أَوْ شَافِعِ
 خَيْرُ الشُّهُورِ اخْتَرْتُ عِنْدَ طُلُوعِهِ خَيْرَ الْبِقَاعِ لَهُ بِأَسْعَدِ طَالِعِ (٥)

(١) النهار قبل انصافه بقليل وزمنه بعد زمن الضحى .

(٢) الرهق .

(٣) النأر : الطلق والقوط والناية ، وشاء : سبه .

(٤) الندى : المجلس ، والمجا : بالضم والكسر جمع جوه ومن أن يجمع الجالسا ساقه إلى بطنه يديه أو يجمع ظهره وساقه بثوب ، والاحتباء من طاعة العرب وهو يتحنن الجالسا من السقوط ويثبتني عن الجدار الذي يسند إليه ظهره ، وليت : انت وطوت حوله كما تطوى الصلابة ، واللقى : أنه وقور في مجله راجد الجاش كأنما حدثت تلك الحبا منته على طود من الصخر تتحدرت سائل الماء .

(٥) يقول إن شهر الصيام وهو خير الشهور قد اختارت له خير البقاع عند طلوعه بأسعد طالع .

شكر

« وقال أيضا وقد ألبح له المعتضد التنزه مع
حرمه في إحدى جناته . »

فَمَرَمْتَنِي لَكَ الْإِيَادِي ^(١) الْبِيضُ نَسَبُ ^(٢) وَافِرٌ وَجَاءَ عَرِيضُ
كُلُّ يَوْمٍ يَجِدُ مِنْكَ أَهْتَابًا ^(٣) ، عَهْدُ شُكْرِي عَلَيْهِ غَضُّ عَرِيضُ ^(٤)
بَوَّائِنِي ^(٥) نُمَاكَ جَنَّةَ عَذْنٍ جَالٌ فِي وَصْفِهَا فَضْلُ الْقَرِيضُ
مُجْتَنِي مُدْنٍ ، وَظِلُّ بَرُودٍ ، وَلَسِيمٌ - يَشْقِي النَّفُوسَ - مَرِيضُ ^(٦)
وَمِيَاءٌ قَدْ أُخْجِلَ الْوَرْدُ أَنْ مَا رَضَ تَذْهِيئُهُ لَهَا تَفْضِيضُ
كُلَّمَا غَنَّتِ الْحَمَامُ قُلْنَا : « مَعْبُدٌ إِذْ خَدَّ أَلْجَابُ الْفَرِيضُ ^(٧) »

- (١) النعم . (٢) النسب : اللد والنفار . (٣) هم .
(٤) الفريش : ماء المطر ، وكل أبيض طرى ، واللى : إني أغفر منك كل يوم بنم جديد ألبح منك
بشكر جديد . (٥) أحتق أو أنزلني أو أسكنني .
(٦) يصب الجنة التي أحل فيها ممدوحه بأن فطونها دابة وظلها ظليل ولبيها عليل يشق النفوس .



(٧) معبد والفريش

ملان من أعلام الموسيقى العربية وقد كانوا متعاصرين ، وقد ذاع صيتها حتى أصبحت مضرب الأمثال في
إجادته التناء والافتتال فيه ، وقد كان مبدع بقدر نبوغ الفريش ويشيد به ، كما يدل على ذلك قصة تمارفهما
التي ترك لمجد روايتها بأسلوبه الممتع ، قال :

« خرجت إلى مكة في طلب لقاء الفريش ، وقد بلغتني حسن غناؤه في لحنه :

وما أنس ملاً شيئاً لا أنس شاذاً بك مكمولاً أسبلاً مدامعه

وقد كان يلغني أنه أول لحن منعه ، وأن الجان نه أن يقنيه لأنه قد طامع منهم فانتقلوا من مكة من أجل حسنه
وفي هذا التمهيد ما يدل على تصويرهم واحتضادهم في ذلك العصر ، فقد سحرتهم ألحان الفريش فانسوا إليها
المعزات وأنشأوا حولها الأساطير .

قال مريد :

فلما قدمت مكة سألت عنه فدايت على منزله فأتيته ، ففرحت الباب ، فلما كملني أحد ، سألت بعض الجيران فقلت : هل في الحمار أحد ؟ فقال لي : نعم فيها الفريش ، قلت : إني قد أكثرت دق الباب فلما أجابني أحد قالوا : إن الفريش هناك ، فرجعت فدفقت الباب ، فلم يجبي أحد ، قلت : إن نضني غنائى يوما تهنى اليوم فاندفعت فنتيت لحنى في شعر جبل ، فوافقه ما سمعت حركة الباب ، قلت : بطل سحرى ، ونضاع سحرى وجئت أطلب ما هو صبر على واحترت نفسى ، قلت : لم يوجهنى لنصف غنائى عنده ، فلما شرت لا صائح يصبح يا مريد لحنى ، انهم وتلق عنى ، شعر جبل الذى تبنى فيه ياشق البخت ، ونهى :

« وما أنس مل أشياء لا أنس قولها . . . »

(قال) لقد سمعت شيئا لم اسمع أحسن منه وقصر إلى نفسى وعلقت فنيته على بما أحسن من نفسه ، قلت : انه لحرى بالاحتثار من الناس تنزيها لنفسه وتعظيما لغيره وإن مثله لا يستحق الايذاء ، ولا ان تتداوله الرجال ، فأردت الانصراف إلى المدينة راجعا ، فلما كنت شديدا بعيد إذا صائح يصبح بى :

يا مريد انظر أ تلك فرجعت ، فقال : إن للفريش يدعوك ، فأصرعت فرحاً فدنوت من الباب . فقال لي : أحب المنول ، قالت : وهل إلى ذلك من سبيل ، فخرج الباب ففتح ، فقال لي : ادخل ولا تطل الخلوس فدخلت فإذا خمس طالعة في بيت ، فسلمت فرد السلام ثم قال : اجلس فجلست ، فإذا أبيل الناس وأحسب وجهاً وخلفاً وخلفاً ، فقال : يا مريد كيف طرأت إلى مكة ، فقلت : جئت فداءك وكيف عرفنى ؟ فقال : بصوتك فقلت : وكيف وأنت لم تسمعه قط ؟ قال : لما غنيت عرفتك به قلت : إن كلام مريد في الدنيا لهذا ، فقلت : جئت فداءك فكيف أجبني بقوله : « وما أنس مل أشياء لا أنس قولها » ، فقال :

قد طلت لك تريد أن أسمحك صوتى :

« وما أنس مل أشياء لا أنس شادنا بك مكحولا أسبلا مدامه »

ولم يكن إلى ذلك سبيل لأنه صوت قد نهيت أن أغنيه فنطيك هذا الصوت جواباً لما سألت وغنيت ، قلت : والله ما عدوت ما أردت نهى لك حاجة ، فقال لي : يا أبا عباد لولا ملامة الحديث وتعلل إطالة الجلوس لا استكثر منك فاصبر ، فخرجت من عنده وإنه لأجل الناس عندى ورجعت إلى المدينة ، فحدثت بحديثه وحببت من لفظته وقيامته ، فلما رأيت انساناً لا وهو أجمل منه في معنى .



ومما تخاره من أخبار مريد الطريفة ما حدث له في السفينة ، فقد رووا عنه أنه كان قد علم القضاء جارية من جوارى الحجاز تدعى غليظة وهى جفريها ، فاشتراها رجل من أهل الرماح فأخرجها إلى البصرة وباعها هناك فاشتراها رجل من أهل الأهواز فأعجب بها وذهبت به كل مذهب وغلبت عليه ، ثم ماتت - بعد أن ألهت عنده برهة من الزمان - وأخذ جوارحه أكثر فأنها منها ، فكان لمحبته

ليأها وأسفه عليها لا يزال يسأل من أخبار مريد وأين مستقره ويظهر التصب له والبلل إليه والتقديم لثناها على سائر أفعاله أمل عصره إلى أن عرف ذلك منه وبلغ مبدءاً خبره فخرج من مكة حتى أتى البصرة ، فلما ورد بها صادف الرجل وقد خرج منها في ذلك اليوم إلى الأهواز فاكثرت سفينة ، وجاء مريد ينس سينة ينسدها إليها إلى الأهواز فلم يجد غير سفينة الرجل ، وليس يعرف أحد منها صاحبه ، فأمر الرجل للراح أن يجلس معه في مؤخر السفينة ففعل وانعموا ، فلما صاروا في فم نهر الأبية تددوا وشرّبوا وأمر جواربه ففتن مريد ساكت وهو في ثياب السفر وعليه فروة وخفان خفيفان وزى جلف من زى أهل الحجاز إلى أن غنت إحدى الجوارى :

بانت سعاد وأسى حبها اضمرأ واحلت النور للأجراع من إنشا
(والثناء لمريد) فلم نجد أدهاء فصح بها مريد : يا جارية إن غناءك هذا ليس بمستقيم (قال) فقال له مولاها - ولقد غنبت وسأنت ما يفرك الثناء ؟ ما هو إلا أن تسك وتزعم شأك فأسك ، ثم غنت أصواتاً من غناء غيره وهو ساكت لا يتكلم حتى غنت : « يا بنة الأزدى فلي كتيب . . . » (والثناء لمريد) فأغلت بعضه ، فقال لها مريد : يا جارية لقد أغلقت بهذا الصوت إخلالاً شديداً ، فغضب الرجل وقال له : وبك ما أنت والثناء ، ألا تكف من هذا الفضول . فأسك ، وغنى الجوارى ملياً ثم غنت إحداهن :

خليل عوجاً منكأ ساعة مى على الربح غنى حاجة ونودع
(والثناء لمريد) فلم تصنع فيه شيئاً ، فقال لها مريد : يا هذه أما تتوين على أداء صوت واحد ؟ فغضب الرجل وقال له : ما أراك تدع هذا الفضول بوجه ولا حجة ، وأنتم بالله لئن حاولت لأخرجك من السفينة فأسك مريد حتى إذا سكنت الجوارى سكنت اندفع بنى الصوت الأول حتى فرغ منه ، فصاح الجوارى : أحسنت يا رجل فأعده ، فقال : لا والله ولا كرامة ، ثم اندفع بنى الثاني ، فقلن لبيدن : وبك هذا والله أحسن الناس غناء فله أن يبيده علينا ولو مرة واحدة لعلنا نأخذنه منه فانه إن فاتنا لم نجد مثله أبداً فقال : قد سمعتن سوء ودّه طيكن وأنا خائف منه وقد أسلفناه الاماءة فاصبرن حتى نداريه ، ثم غنى الثالثة فزول عليهم الأرض ، فوثب الرجل فخرج إليه وقبل رأسه ، وقال : يبيدى إخطائنا عليك ولم نعرف موشك ، فقال له : فهبك لم تعرف موشى قد كان يبنى لك أن تكذب ولا تسمع لى بسوء السمرة وجهاء القول . فقال له : قد أخطأت وأنا أحسن إليك مما جرى وأسألك أن تنزل إلى وتخطى بي ، فقال : أما الآن فلا . فلم يزل يرقى به حتى نزل إليه ، فقال له الرجل : ممن أغنت هذا الغناء . قال : من بعض أهل الحجاز ، فمن أين أغنك جواريك ، قال : أغننه من جارية كانت لي ابتليها وجل من أهل البصرة من مكة ، وكانت قد أغنت من ابن عباد مريد وهو بنجرهما فكانت تحمل منى على الروح من الجسد ، ثم استأثر الله من وجل بها وبقى هؤلاء الجوارى ومن من تليها فأتانا إلى الآن انصب لمريد وأفضله على اللذين جيا وأفضل صنعه على كل سنة . فقال له مريد : أو لك لأنك هو اتعرفي ؟ قال : لا (قال) فبك مريد بيده صلته ، ثم قال : فأنا والله مريد وإليك قدمت من الحجاز وواليت البصرة ساعة تركت السفينة لأصعدك بالأهواز ووافاة لأصعدت في جواريك هؤلاء ولأجلن لك في كل واحدة منهن خلفاً من اللابنية ، فأكب

الرجل والجواري على يده ورجليه يميلونها ويقولون : كتمتنا شك طول هذا حتى جلونا في الحطابة وأساءنا عمرتك وأنت سيدنا ومن عسى على الله أن نقاه . ثم غير الرجل زيه وحاله وخلع عليه عدة خلع وأعطاه روقته ثمانية دينار وطيها وهديا بئلهاء وانحدر سه إلى الأهواز فأقام عنده حتى رضى خلق جواربه وما أخذته ، ثم ودعه وانصرف إلى الحجاز .



وقد روى أبو الفرج قصة قدوم معبد إلى مكة وسماعه من المنين وغناؤه لهم فقال :

قال معبد : غنيت فأجيب غنائى وأجيب الناس وذمب لى به صيت وذكر ، قلت : لا يكن مكة فلا سمن من المنين بها ولا غنيتهم ولأعزبنهم ولأعزبنهم إليهم ، فاجتعت حاراً طرجت عليه إلى مكة ، فلما قمتها بت حارى وسأت من المنين أين يجتمعون ، فقيل : بقميصال في بيت فلان فجلت إلى منزله بالنفس فقرعت الباب ، فقل من هذا ، قلت : انظر طافك الله ، فدنا وهو يسبح ويستبذ كأنه يخاف فتفتح ، فقال : من أنت طافك الله ؟ قلت : رجل من أهل المدينة . قال : فاحبك ؟ قلت : أنا رجل أشتعي الفناء وأزعم أن أعرف من شيئا وقد بلغني أن الفوم يجتمعون عندك وقد أحببت أن تنزلي في جانب منزلك وتخطي بهم فانه لا مؤونة عليك ولا عليهم منى ، نلوى شيئا ثم قال : انزل على بركة الله (قال) فقلت : نلوى فتنزل في جانب حجرته ثم جاء الفوم حين أصبحوا واحداً بعد واحد حتى اجتمعوا فأنكرونى ونزلوا : من هذا الرجل . قال : رجل من أهل المدينة خفيب يشتعي الفناء وطرب عليه ليس عليكم منه عناه ولا مكروه . فرجوا بى وكتمهم ثم انهبوا وشربوا وغنوا فجلت أعجب بنائهم وأظهر ذلك لهم ويسجهم منى حتى أقتنا ألباماً وأخذت من غنائهم وهم لا يدرون أسواناً وأسواناً وأسواناً ، ثم قلت لآين صريح : فديك امسك على صوتك :

قل فند وترها قبل شعل الثوى غدا

قال : أو تحسن شيئا ، قلت : تظن وهى أن أصنع شيئا . وانفذت فيه فنتجه صباح وصاحوا وقالوا : أحسن فانك الله . قلت : فأمسك على صوت كذا فامسكوه على فنتجه فازدادوا جياً وصباحا . فأتركت أهدأ منهم إلا غنيت من غنائهم أسواناً قد تحيرتها (قال) فصاحوا حتى علت أسواتهم وهروا بى ، وقالوا : لأن أحسن بأداة غنائنا هنا منا ، قلت : فامسكوا على ولا تمسكوا بى حتى تسموا من غنائى ، فامسكوا على فنتبت صوتاً من غنائى فصاحوا بى ثم غنيتهم آخر وآخر فوثبوا إلى وقالوا : تخلف بالله إن لك لبيتا وامباوذكراً وإن لك نيبا هاننا لهما عظيماً فن أنت ؟ قلت أنا معبد فقبلوا رأسى وقالوا : انفت علينا وكنا نهابون بك ولا نعدك شيئا وأنت أنت . فأقتت عندهم شهراً أخذ منهم وبأخذون منى ثم انصرفت إلى المدينة .



ومن الطرف النادرة ماحدث لمعبد والأسود .

قال معبد : بت إلى بعض أسراء الحجاز وقد كان جمع له الحرمان إن اشطى إلى مكة فشخصت ، قال : فقدت غلامى في بعض تلك الأيام واشتدت على الحر والمطش فالتيت إلى غياه فيه أسود ، وإذا جاب

جَاوَزَتْ سَحَّةً ^(١) مُشِيدَةً الْمُبْنَى لِيَرْقِيَ الرَّعَامَ فِيهِ وَبَيْضُ
مَرَمَرُ أَوْقَدَ الْفِرْنْدَ ^(٢) عَلَيْهِ سَنَسَلُ بَحْرُهُ الْوُثْلَالُ يَفِيضُ
وَسَطَهَا دُمِيَّةٌ يَرُوقُ أَجْنَلَاهُ الْكُلُّ مِنْهَا وَفَتَنَ التَّبْيِضُ ^(٣)

ماء قد بردت قلت إليه فقلت : يا هذا اسقي من هذا الماء ، فقال لا ، قلت : فأذن لي في لكن ساعة
قال : لا ، فأخذت نافع ولبأت إلى ظلها فاستترت به ، وقلت : لو احدث لهذا الأمير شيئاً من اللناء أقدم
به عليه ولعل إلى حررت لاني ان يبل حلق رقي فيضف من يفسر ما أجده من العطش. فترعت بصوتي :
« القصير فالتنل فالجماء بينهما » فلما سمع الأسود ما شعرت به إلا وقد احتلني حتى ادخلني خيابه ثم قال
اي بأبي أنت وأمي ، حل لك في سوقي السلت بهذا الماء البارد ، قلت : قد منعتي أنل من ذلك ومرة ماء
تجزئني (قال) فسقاني حتى رويت وجه الغلام فألت منه إلى وقت الرواح ، فلما أردت الرحلة قال : اي
بأبي أنت وأمي الحر شديد ولا آمن عليك مثل القى أصابك فأذن لي أن أحمل منك قربة من ماء حل حتى
وأسمى بها منك فكلمنا عطشت سفيك وغتبتني موتاً (قال) قلت : ذلك لك ، فوالله ما فارقتني
يستقي وأغنيه حتى بلغت المنزل .

وأخبار مصيد والفرير طويعة متفرقة في كتاب الألفاظ فليرجع إليها من شاء .

(١) الحجة - بالفتح - العين الحارة الماء يستشفى بها الأعداء ومنه الحديث : « مثل العالم كتل الحجة
بأنها للجماء ويتركها الغرباء » فيها هي كذلك إذ غار ماؤها وقد انتفع بها قوم وبقي أنوام يتفككون أي
يتفككون والمدنية ذاتينايح بمدينة حارة وبزدة بالقرب من مدينة «لوشة» وقد زارها «ابن بطوطة»
ودخل مسجدًا ووصف ما فيها من صيد البر والبحر ، والحجة - أيها - اسم لمكان آخرى ذات ينابيع
مدينة حارة في إقليم «غرناطة» وإقليم مرسية وغير ذلك ، وحة غرناطة ، وتسمى مدينة الحجة هذه
أهل غرناطة .

(٢) الفرند : السيف ووشبه وجوده ، وهو ما يرى فيه شبه حبار أو مدب نمل ، والفرند : الورد
الأحمر أيها .

(٣) أخذ هذا المعنى من قول ابن الرومي في وجد اللغنية :

وغير يحسبنا قل : « صفها » قلت : « أمراء ، عين وشديد .

يسهل القول : إنها أحسن الألف - ياء طراً وهصب التحديد »

وفي هذه القصيدة يقول :

غادة زلتها - من الفنى - قد ومن الظلي مقلتان وجيد

وزعها من فرعها ومن الخدين ذاك السواد والتوريد

نهي برد - بخندا - وسلام وهي العاشقين جهد جهيد

حالمنا نعلية - من وجنتها - غير ترشاف وقها تبريد

مثل ذاك الرذاب أخفاً ذاك الـ جرد ، لولا الآباء والصريد

وفيها يقول :

تسبلي للناظرين إليها فسقى بحسبنا وسعيد

ظلية - تسكن القلوب وترها - ما - وقرية لها تنريد

بَشَّرَ ناصِعٌ وَخَدَّ أَسِيلٌ وَمُحْيَا طَلَقٌ وَمَرْفَتْ غَضِيضٌ
وَقَوَامٌ كَمَا اسْتَقَامَ قَضِيبُ الْبَابِ إِذْ عَلَّهُ^(١) رَأَاهُ الْأَرِيضُ^(٢)
وَأَبْسَامٌ لَوْ أَنَّهَا اسْتَفْرَبَتْ فِيهِ أَرَاكَ أُنْسَاقَهُ الْإِفْرِيسُ^(٣)
وَالْتِفَاتٌ كَأَنَّمَا هُوَ بِالْإِبْحَاءِ - مِنْ قَرَضٍ لُطْفِهِ - تَعْرِيسُ

* *

لَمَعَ طَلَّةٌ مِنَ الْعَبْسِ مَا إِنْ إِلَهَوَى عَنْ عَمَلَهَا تَعْوِيسُ
سَوَفَتْنِي نَعِيمَهَا نَفَحَاتُ اللَّحَى - مِنْ سَحَابِهَا - تَرْوِيسُ
تَابَتَهَا يَدُ الْهَامِ أَيْ عَمِرُوا قَا غَزَمَهَا لَدَى مَنِيضُ^(٤)

تغشى حشاها لا تغشى
لا تراها هناك تحفظ عين
من هدوٍ وليس فيه انقطاع ،
مد في شأو صوتها عس كما
وأرق الدلال والفتج منه
لستراه يموت طورا ويحيا
فيه وهي وفيه على من الفند
طالب فوها وما ترجع فيه
نصب يتع الصدى ، وضاء
فلها - المحر - لأم ستريد
في هوى منها يخف حليم
ما تادى الصلوب إلا أصابت
من سكن الأوصال - وهي حميد
- لك منها - ولا يدور يد
وس - جو - وما به تلبس
ف - كأفلس طشها - مد يد
وراء الشبا ، فكاد يبد
مستل - بسطة - والنشيد
م مصوغ يخال فيه التصيد
كل شيء لها بذلك حميد
منه يوجد البرور الفيد
ولها - المحر - سلع مستيد
- راجع حله - ويغوى رشيد
بهاواها من حيث تريد
إلى آخر هذه القصيدة اللغزة التي نختار منها هذا القدر اليسير فليرجع إليها من شاء في ديوانه ليقارن بين
هذه القصيدة وقصيدة ابن زيدون .

- (١) طه : سقاء ، والأرض : الزكي القربة الخلق للثب . (٢) للمجب .
(٣) استفرجت : بالث في الضمكة ، والأفريس : الظلم وكل أبيض طرى .
(٤) اليد : النعمة ، والمحر : لواء الكثير ، ومفيض : اسم مفعول من فاض الماء فهو مفيض إذا طر
ونضب ، أي تابت تلك اللعق من رعد العيش يد مضافة إلى « أبا عمرو » لا تزال نغمرنا بميبتها التي
التي لا يفيض ملؤه فليس مبيها التزير الماء ناضيا صدى .

مَلِكٌ ذَادَ عَنْ حِيِّ الدِّينِ مِنْهُ مَنْ إِلَيْهِ فِي نَصْرِهِ التَّفْوِيزُ
وَمَعَا نَاطِرٌ مِنَ الْمَجْدِ فِي دُنْيَاهُ قَدْ كَانَ كَعَمَّةِ التَّفْيِيزِ^(١)
إِنْ أَسَاءَ الزَّمَانُ أَحْسَنَ دَأْبَا مِثْلَمَا بَابَيْنِ النَّفِيزِ النَّفِيزُ^(٢)

* * *

بَا مِزْنِ الْهُدَى الَّذِي مَا لَمْ سَمَا هُ إِلَى غَيْرِ مَمْنِهِ تَنْفِيزُ
يَا مَحَلِّي يَفَاعَ حَالِي ، مَكَانُ التَّجَمُّ - مَتَمَا يَنْقَسُ إِلَيْهِ - حَضِيضُ^(٣)
إِنْ أُنْكَرَ أُنْكَرَ الرُّقَابِ فِيهِ يَرْضَ فَوْزَ الْقِدَاحِ مَنَى مُفِيزُ^(٤)
لَوْ يَفَاعُ الْمَجْرَةَ أَعْنَضَتْ مِنْهُ رَاحَ يَدْعُو ثُبُورَهُ الْمُسْتَفِيزُ
حَقَّ سِرِّ أَمْرِي نَأَى مِنْكَ قَرْنُ وَفُصَارَى بَنَانِهِ تَعْفِيزُ

* * *

حَسْبِيَ التَّنْصُحُ وَالْوِدَادُ وَشُكْرُ عَطَرَ الدَّهْرِ مِنْهُ مِنْكَ فَفِيزُ
دُمْ مَوْثِي وَلَيْكَ - الدَّهْرُ - حَبِيبُ رُ مَسَاعِيكَ ، وَالْمَدْوُ مَفِيزُ
فَاعْرِزْ أَلُوكِ أُنْكَ مَوْلَا هُمْ حَدِيثُ مَا يَنْتَهَمُ مُسْتَفِيزُ

(١) وتطلع إليك ناظر المحمد بعد أن كتب ناظره كثرة التنينين . يريد أنه بعد أن ذاد عن حوزة الدين
سما بظفره في شؤون دنياه كان قد صرفه عنها كثرة التنينين والاعراض .
(٢) وقريب من هذا قول الشاعر :

نَسْدَانِ لَمَّا اسْتَجَمَا حَسَا وَلَقَدْ يَظْهَرُ حَسَنَةُ الضَّدِّ .

(٣) اليفاع : ما ارتفع من الأرض . يقول : يامن أخلقني حالا رفيا ، إذا قيس إليه النجم - على رفسته -

عد حضيضاً . (٤) اللقيض : من أفاض الرجل بفداح اليسر إذا ضرب بها فولعت منهقة متفرقة .

شفاعة

قال هذه التسمية مدح أبا الحزم بن جهور وحزم بجناحه ويطلب شفاعة ، قال ابن بسام :

« كان أبو الوليد من أئمة دولة الجهاورة واسطفته اسطفاء الفرس للأساورة ، وقد اخص بأبي الوليد اختصاص الفرع بالتورواربطهم ارتباط الافاضة بالتورء وأبو الحزم بن جهور - إذ ذاك - وأس الجماعة وأصل تلك الأسرة الطاعة من رجل أدى من عمان وأجرأ من ليث خفان وأدى من عمرو بن الحفان . وكان ابن زيدون متصلا بابن أبي الوليد أطول حبه اتصال أبي زيد بلوليد بن عقبة وبينهما تألف أحرما بكميته وطاا وسقيا من تصافيهما نطافا وابن زيدون يستد ذلك حساما سلولا ويرى أنه يرد به صعب الخطوب ذلولا إلى أن طلب عند أبيه أبي الحزم وتوسل فاستدفع به تلك الأئمة والأسل فأتى إليه هناك عطفه ولا كف عنه ستان صرفه مع استطفائه له بكل مقال يحمل سخطا الاحقاد واستطفائه إياه بما يرد الصعب سلس التباد ، فمن يدع ذلك وأحسنه قوله :

أيه أبا الحزم احتيل مرة أنسة الشكر طيبا نصاح

أَمَا وَالْحَافِظِ مِرَاضٍ صِحَاحٍ تُصْنِي وَأَعْطَايَ نَشَاوَى صَوَاحٍ
لِيَأْنِ بِالْمُسْنِ فِي خَدِّهِ وَرَدُّ وَأَتْنَاءُ ثَنَائِهِ رَاحٍ
لَمْ أَنْسَ إِذْ بَاتَتْ يَدِي لَيْلَةً وَشَاخَهُ اللَّاصِقَ دُونَ الْوِشَاحِ^(١)
أَلَمْتُ بِالْأَلْطَفِ مِنْهُ وَلَمْ أَجْتَنِّ إِلَى مَا فِيهِ بَعْضُ الْجُنَاحِ
لَأَصْفِيَنَّ الْمُصْطَفَى^(٢) « جَهْوَرًا » عَهْدًا لِرَوْضِ الْحَزَنِ عَنْهُ أَتَضَاحِ

(١) قال ابن بسام : قوله : « وشاخه اللاصق دون الوشاح » معنى متداول ، ومن أنزه صرا قوله الفصل من أهل وقتنا :

« إن المزج على حقوق انه . بالردف حل منك مالا يعمل

تلفى له جسمي مكان وشاخه إل الليل بشكله يتسلل »

وقريب من هذا المعنى قول العباس بن الأحنف :

« يا ليت جالس سربال على جسمي أو ليني كنت سربالا لبياس »

(٢) وفي رواية ابن بسام : « لأصفيين المرتضى جهورا »

جَزَاءَ مَا رَفَعَهُ شُرْبَ الْوَسْخِ وَأَذَنَ السَّنَى بِوَشَكِ النَّجَاحِ
يَسْرَتْ آمَالِي بِتَأْمِيلِهِ فَمَا عَدَانِي مِنْهُ فَوَزُّ الْقِدَاحِ
لَمْ أَتِمَّ الْبَرْقَ جَهَامًا وَلَمْ أَقْتَدِحِ الصَّمَّ بِيضِ الصَّفَاحِ
مَنْ مِثْلُهُ - لَا مِثْلَ يُلْفِي لَهُ - إِذْ فَسَدَتْ حَالُ فَمَزَّ الصَّلَاحِ
يَا مُرْشِدِي جَهْلًا إِلَى غَيْرِهِ أَغْنَى عَنِ الْمِصْبَاحِ ضَوْءُ الصَّبَاحِ
رَكِبْتُ مَا تُنْفِي عَنِّي الْحُبَا يَهْفُو بِدَنَحِ النَّهْأِ أَرْتِيَاخِ
ذُو بَلْبَلِينَ أَقْبَسَ نُورَ الثَّقَى وَظَاهِرِ أَشْرَبِ مَاءِ السَّحَابِ
أَنْظُرُ تَرَى الْبَدْرَ سَنَا وَأَخْتَبِرُ مَجْدَهُ كَأَمَلِنَا إِذَا مِثْتُ فَاحِ

* *

إِيهِ « أَبَا الْحَزْمِ » أَهْتَبِلْ غِرَّةَ أَلْسِنَةِ الشُّكْرِ عَلَيْهَا فِصْبَاحِ
لَا طَارَ بِي حَظٌّ إِلَى غَايَةِ إِنْ لَمْ أَكُنْ مِنْكَ مَرِيضَ الْجَنَاحِ

- (١) رنه : من ورود الابل رها ، وهي أن ترد الماء في كل يوم متى شادت .
(٢) يسرت يجوز أن يكون بالشديد بمعنى سهلت وبالتخفيف من يسر يسر إذا ضرب بفتح اللير -
واللص على الثاني ضربت بفتح آمالي يأسراً فلم يبدى أن فوت بأوفر القداح حظوظا ، وفي رواية ابن بسام :
« ندرت آمالي بتأمله »
(٣) أي لم انظر البرق ليس فيه مطر ، ولم اقتدح صلحا لم يور تاراً .
(٤) ركين من الركابة أي الرزاة - وللص : أنه وتور الحربة وزينها يهوى به ويمرر نحو الدح أرميا
فيهتر بعد سكود في جملة وطار .
(٥) ملت الصي ، يمتته إذا مره يده في الماء فذاب من مك ونحوه - يقول انظر تره كالبدر سنا وبها .
وأختبره بمجده كالمك فاح شناه وقد ميت أي مرس باليد ، وللك - لنا سحق - فاح شناه ، وقد قال
للص في هذا للص وأجاد ما شاء أن يجيد .
« حل إلى سيفيد الره فائدة « الملك يزاد من طيب إذا سقا »
(٦) اهتبل : اغتم يقال اهتبل فضلة - والفره : بالكسر النفقة ، وفي اللؤل « الفترة تمهل البره »
أي النفقة تمهل الرزق - وللص : استكثر أبا الحزم في فضة أصداك من الغنام والأموال تنطلق ألسنة
مفصصة بشكره ، وفي رواية ابن بسام : « ألسنة الدهر عليها فصاح »

عُتْبَاكَ - بَعْدَ النِّسْبِ - أُمْنِيَّةٌ
لَمْ يَنْقُضْ عَنْ أَمَلٍ مَا جَرَى
فَأَشْحَذَ بِمُحْسِنِ الرَّأْيِ - غَزَى يُرِغْ
وَأَشْفَعْ فَلِلشَّافِعِ نَعْمَى عِمَا
إِنْ سَحَابَ الْأَفْقِ مِنْهَا الْحَيَا
وَقَالَ مَا تَحْتَشَى مِنَ الدَّهْرِ مَنْ
مَالِي عَلَى الدَّهْرِ سِوَاهَا أَفْزِرَاحٌ^(١)
قَدْ يَرْقَعُ الْخَرْقُ وَتُؤْمِسُ الْجِرَاحُ
مِنَى الْعِدَاءِ أَلَيْسَ شَاكِي السَّلَاحِ؟^(٢)
سَنَاءَ مِنْ عَقْدٍ وَثِيقِ النِّوَاحِ^(٣)
وَالْحَمْدُ فِي تَأْلِيفِهَا لِلرِّيَاحِ^(٤)
تَبَيَّنَتْ فِي تَأْمِينِهِ وَأَسْرَاحِ

هدية تفاح

« وقال في تفاح أهدها إلى المعتضد بالله »

أبى عمرو عباد بن محمد بن عباد »

يَا مَنْ تَرَبَّيْتُ الرِّيَا سَةِ حِينَ أَلَيْسَ ثَوْبَهَا
وَلَهُ يَدٌ يَلِيسَ الْعَمَا مٌ مِنْ أَنْ يَخَارِضَ صَوْبَهَا^(١)
جَاءَ تَكَ جَامِدَةُ الْمَدَا مَ فَحُذِّ عَلَيْهَا ذَوْبَهَا^(٢)

(١) التي : الرجوع إلى ما يرضى المائب أي رجوعك بعد التائب إلى ما يرضى أمني لا اقترح على الدهر سواها . (٢) فَوَيْحَنُ الرَّأْيِ هَزِي يَخْفُفُ مِنَ الْعِدَا ، أَلَيْسَ هَزِي شَاكِي السَّلَاحِ ؟ (٣) سَنَاءَ : سَمَهُ وَبَسَرَهُ - مِنْ عَقْدٍ : أَيِ مِنْ حُلٍّ عَقْدٍ - وَثِيقِ النِّوَاحِ : أَيِ عَسْرِ الْحُلِّ مِنْ أَيِ تَوَلَّيْتُهُ ، وَفَرَّتْ شَامِدًا عَلَى هَذَا فِي أَمَلِي أَبِي الْقَتَامِ الرُّجْبِي ، إِنَّ سَاوِيَةَ بَنِي أَبِي سَيْيَالٍ صَرَفَ رُوحَ ابْنِ زُبَاعٍ مِنْ مَهْلِكَةِ حَيَاتِهِ بَلَنَتْ عَنْهُ ، وَأَمَرَهُ بِالْقُدُومِ عَلَيْهِ فَعَلَّ ، فَأَسْرَجَ بِهِ طَا أَخَذَتْهُ السَّيَاطُ قَالَ : « لَسْتُ بِكَ اللَّهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ تَهْدِمَ مَنَى رُكْنًا أَنْتَ بَيْتُهُ ، أَوْ تَضَعُ مَنَى خَصِيصَةٍ أَنْتَ رَفَعْتَهَا » الْخِ مَا قَالَ ، فَقَالَ مَعَاوِيَةَ . « إِذَا اللَّهُ سَمَى حُلَّ هَذِهِ تَبَسَّرَ ، خَلِيَاةً » - وَمَعْنَى لَيْتَ أَنَّهُ يَطْلُبُ شَفَاعَتَهُ ، وَيُبَيِّنُ أَنَّ الشَّافِعَ عَلَى الشُّفْعَاءِ لَهُ يَدٌ وَلَمْ يَسْأَلْ بِسَبَبِ مَا سَمَهُ وَبَسَرَهُ مِنْ حُلٍّ عَقْدٍ تَبَسَّرَ بَعْدَ أَنْ تَقَعَتْ أَوَانِيهِ وَتَوَقَّعَتْ تَوَلَّيْتُهُ . (٤) الْحَيَا : لِلطَّرِّ - يَرِيدُ أَنَّ الْحَمْدَ لِلشَّافِعِ لَا لَكَ بَلْ مِنْهُ الشَّفَاعَةُ ، كَمَا أَنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ السَّحْبَ الَّذِي مِنْهَا لِلطَّرِّ بَلْ الرِّيحَ الَّتِي تَزِيحُهَا ثُمَّ تَوَلَّى يَتْبَعُهَا فَتُطْرَقُ ، وَقَدْ كَرَّرْنَا لِلنَّاسِ فِي بَنِي صَالِحٍ قَالَ :

لَشَفِيعِ النَّوَاءِ - وَالْحَمْدُ فِي صَوْبِ الْحَيَا الرِّيَاحِ لَا نَبِيَوْمَ

انظر (ص) من هذا الديوان . وقد سبقه البحرى إلى هذا المعنى فقال وأبدع :

« حَزْمِي ، وَالرِّيَاحُ - الْوَاوِي تَجَلْبُ الْبَيْتِ - مَثَلُ حَمْدِ النَّبِيِّمِ »

(٥) تَزُولُ لِلطَّرِّ . (٦) جَلَّ لِلدَّمَامِ وَهِيَ الْخُرُوعُ مِنْ جَمْدَةٍ وَهِيَ التَّفَاحُ وَذَاتُهَا وَهِيَ الرِّاحُ وَطَلَبَ إِلَى الْمَدْحِ أَنْ يَعْزِبَ عَلَيْهَا ذَوْبَهَا وَهِيَ الرِّاحُ الْحَقِيقَةُ .

لا يهنا الشامت

« قال يمدح أبا الحزم بن جمهور وقد كتبها

إليه من السجن : »

مَا جَالَ بِمَذَكِ لِحْطِي فِي سَنَاءِ الْقَمَرِ إِلَّا ذَكَرْتُكَ ذِكْرَ التَّيْنِ بِالْأَثَرِ ^(١)
وَلَا اسْتَطَلْتُ دَمَاءَ اللَّيْلِ مِنْ أَسْفِ إِلَّا عَلَى لَيْلَةٍ سَرَتْ مَعَ الْقَيْصَرِ ^(٢)
فَأَهْيِكَ مِنْ سَهَرٍ بَرَزَ تَأَلَّفُهُ شَوْقِي إِلَى مَا أَنْقَضَى مِنْ ذَلِكَ السَّهَرِ
فَلَيْتَ ذَلِكَ السَّوَادَ الْجَوْنَ مُتَّصِلُ لَوْ اسْتَعَارَ سَوَادَ الْقَلْبِ وَالْبَصَرِ ^(٣)

* *

أَمَّا الضَّنَى فَجَعَلْتُهُ لَحْظَةً عَنْ كَأَنَّهَا وَالرَّذَى جَاءَا عَلَى قَدَرِ ^(١)
فَهَيْتُ مَعْنَى الْهَوَى مِنْ وَحْيِ طَرَفِكَ لِي إِنَّ الْخَوَارَ لَمَفْهُومٌ مِنَ الْخَوَرِ
وَالصَّدْرُ مَذُورٌ وَرَدَّتْ رِفْهَا تَوَاحِيَهُ تَوْمُ الْفَلَاحِ لَمْ تَجْنَحْ إِلَى صَدْرِ ^(٢)

(١) أى لم أجعل لحظى فى نور القمر بعد غيبك عنى إلا ذكرتك كما يذكر الرأى عين العىء وفاته بما يراه من آثاره . (٢) القماء : بالفتح البقية الباقية من الليل - أى ما تمنيت أن يطول ما بقى من عمر الليل إلا أسفا على ليلته اذتمت على ما يسر مع قصرها ولشراء كثيرا ما يذمتون ليل الوصال بالقصر ، ومن أجدع ما قرأناه فى ذلك قول الشريف الرضى :

« أَشْكُرُ لَيْلَالٍ غَسِيرَ مَمْنَةٍ إِمَّا مِنْ الطُّولِ أَوْ مِنَ الْقَصْرِ

تَطُولُ فِي حِمْرِهِمْ وَتَقْصُرُ فِي لَوْصِهِمْ . فَلَا تُلْقِ عَلَى الْقَصْرِ

يَا لَيْلَةَ كَادٍ مِنْ تَقَاصُرِهَا يَسُرُّ فِيهَا الْمَشَاءُ بِالسَّعْرِ »

(٣) حتى أن يصل ظلام الليل بما يستمره من سواد القلب والبصر ، ولو لفتنى أى وليته استعمار ، ولا خفاء أن سويداء القلب وسواد العين من أغس الأشياء وأعزها ، ولكنه يندلس طارية فى سبيل استدامة الليل وطوله ، وجاء لابن بسام فى النخبة فى هذه هذا البيت . قوله : « لو استعمار سواد القلب والبصر » لفظ للمرى حيث يقول :

يَوْمَ أَنْ ظَلَمَ اللَّيْلُ دَامَ لَهُ وَزَيْدِيهِ سَوَادَ الْقَلْبِ وَالْبَصَرِ

(٤) العين : بفتحين من عن العىء إذا ظهر أمامك واعترض .

(٥) رِفْهَا : هو أن ترد الأبل للماء كل يوم - توم الفلاح : جمع تومه بالغم وهو المؤلوة ، استعمار ورود الأبل رِفْهَا للازمة الحلى صدرها من غير أن تجنح بعد الورود إلى الصدر .

حُسْنُ أَقَانِينُ لَمْ تَسْتَوِفْ أَعْيُنَنَا غَابَاتِهِ بِأَقَانِينِ مِنَ الظُّلَمِ
وَأَهَا لِنَفْرِكِ ثَمَرًا بَاتَ يَكْلُوهُ فَمَرَانُ تَسْرَى عَوَالِيهِ إِلَى الثَّرَى^(١)
يَقْطَانُ لَمْ يَكْتَحِلْ غَضًّا مُرَاقِبَةً لِوَابِطِ الْجَاشِ مِقْدَامٍ عَلَى الْغَرَى^(٢)
لَا هُوَ أَيْلِهِ الْخَالِي بِمُرْتَجِعِ وَلَا نَعِيمُ لِبَالِيهِ مِمْتَظَرِ
إِذْ لَا التَّجِيَّةُ إِيمَاءَ مُخَالَسَةٍ وَلَا الزِّيَارَةُ إِيمَاءَ عَلَى خَطَرِ
مَتَى كَانَ لَمْ يَكُنْ إِلَّا تَذَكُّرُهَا إِنْ التَّمَرَامُ لَمْتَادُ مَعَ الذِّكْرِ

* *

مَنْ يَسْأَلِ النَّاسَ عَنْ حَالِي فَشَاهِدُهَا تَحْضُ الْيَمَانِ الَّذِي يُفْنِي عَنْ الْخَبَرِ
لَمْ تَعْلَوْ بُرْدَ شَبَابِي كَبْرَةً وَأَرَى بَرَقَ الْمَشِيبِ أَغْطَى فِي عَارِضِ الشَّمْرِ^(٣)
قَبْلَ الثَّلَاثِينَ إِذْ عَهْدُ الصَّبَا كَسَبُ وَلِلشَّبِيَّةِ غُضْنُ هَمِيرٍ مُهْتَمِرِ

(١) يَكْلُوهُ : يحفظه ويأكل عليه - وغيران : وصف من التهمة - والعوالى صدور الرماح - الثرى :

جمع ثمره بالغم وفى الطرق والمنازل السلوك أو أراد بها جمع الثمرة وفى الثرة فى الثمر .

(٢) الثرى : جمع غرة بالكسر وفى النقة ، وللمنى : أنه يتزغرات الرقيب الساحر طول ليله همة وحفاظا ومراقبة ، فيقدم رابط الجأش بالغم من يخطئه وتنبه ومراقبته لئلا ، ولا يحجم عما اعتزمه من موافاة حبيب .

(٣) الكبرة : يفتح فيكون كبر السن - والعارض : الخد يقال أخذ الشعر من طارفيه - وللمنى : أن يياض للشيب وخط طارفيه قبل أن يخلع برد الشباب وقبل أن يمد من سنيه ثلاثين ريسا ، وأبدع أبو نواس فى هذا المعنى أيما إبداع إذ يقول فى سبيته :

« وَإِذَا عُدَدْتُ سَنَى ، كَمْ يَوْمٌ أَجِدُ لَشَبِيبَ عَفْوًا فِى التَّزُولِ بِرَاسِ

« نَفَرًا كَبُرَتْ تَقَلَّتْ مَا كَبُرَتْ يَدَى عَنْ أَنْ كَبُرَ لِي لِي بِالْكَسَى »

وقال ابن الرومى : « لَقَدْ يَشِبُّ الْفَسَقُ وَلَيْسَ بِجَيِّدٍ أَنْ يَرَى النُّورَ فِى الْقَضْبِ الرُّطِيبِ »

وقال الآخر : « يَاجُزْ هَلْ لَكَ فِى شَيْخٍ غِنًى أَبَدًا وَقَدْ يَكُونُ شَبَابٌ غَيْرَ فَيَانِ »

وقال أبو النعمان : « أَرْجِعْ إِلَى السِّنِّ فَانْظُرْ مَا تَهَامِيهَا فَاحْكَمْ عَلَيْهِ وَلَا تَحْكَمْ عَلَى الشَّمْرِ

فَكَمْ ثَلَاثِينَ حَوْلًا شَيْتَ وَمَضَتْ سِتْوَةٌ ، وَلَشَبِيبٌ فِيهَا غَيْرُ مَسْتَرِ

وليس ذلك إلا صيغة جملت طيباء وإذ قيل شاب الرأس لقدم .

هَاتِيهَا لَوْعَةً فِي الصَّدْرِ فَادِحَةً نَارَ الْأُمَى وَمَسِيحِي طَائِرُ الشَّرِّ (١)

* *

لَا يَمْنِيُ الشَّامِتِ الْمُرْتَاخَ خَاطِرُهُ أَنِّي مُعْنَى الْأَمَانِي ضَائِعُ الْخَطَرِ (٢)
هَلِ الرِّيحُ يَنْجِمُ الْأَرْضَ قَاصِعَةً؟ أَمْ الْكُصُوفُ لِنَعِيرِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ (٣)
إِنْ طَالَ فِي السَّجَنِ إِيدَاعِي، فَلَا عَجَبُ قَدْ يُوَدِّعُ الْجَفْنَ حَدَّ الصَّارِمِ الَّذِي كَرِهَ
وَبِنْ يُبْطِلُ - «أَبَا الْحَزَمِ» الرَّضَى - قَدَرُ عَنْ كَشْفِ حُرَّتِي فَلَا عَتَبُ عَلَى الْقَدَرِ

* *

مَا لِلذُّنُوبِ - الَّتِي جَانِي كِبَارِهَا - قَبِيرِي - يُحْمَلُنِي أَوْزَارَهَا وَزَرِي (٤)

(١) أي أنها لومة تدهح نار الأمى والحزن في صدره ، ومسحبي رأسه ما تطير من شر تلك النار الواقعة فيه ، وجه في التخيُّرة لابن بسام قبل هذا البيت قوله :
يا قرزايا لقد شانهت منهلها نحرًا فما اشرب المكروه بالفر
والنمر القدح الصغير ، فهو يعني أنه لا يشرب من المصائب بالقدح الصغير .
وجه بعده في نسخ الديوان المخطوطين هذا البيت أيضا هكذا :
حوادث استمرضتني ما فزرت لها غراره
وعن تشبها هنا كما وجدناها .

(٢) لا يمتنى : يقال منه الأمر أي تمنأ به - معنى الأمانى : اسم مفعول من التناء وهو التنبؤ - والخطير العرف والمترلة - والمعنى : لا يمتنى الشامت المتلوج الذؤاد يكوئ في منه ، ونصب بسبب الأمانى ويكوئ ضائع القدر والمترلة .

(٣) أراد شجع الأرض ما نعيم على وجهها من النبات ولم يتم على ساق ومنه قوله تعالى « ولانجم والنجم يسجدان » وهذا البيت دليل على أنه لا تفرح بأنها الشامت فالريح لا تصف إلا بما له ساق من الشجر ، والكسوف : لا يكون لنعير الشمس والنمر - وهو معنى طرده الشراء كثيرا ، ومنه قوله أبي تمام إن الرياح إذا ما أصفت صفت هيدان نجيد ولم يبان بالرم بنات لئس ولئس لا كسوف لها والشمس والبدر منها الدهرق رقم وقرب منه قوله أيضا :

لا تتركى ظل الكرم من الأذى فالسبل حرب للكفك العالي

(٤) الوزر : بالكسر الذنب والوزر يفتحان المين واللبيا - والمعنى : لأني سبب يحملني لمجنى ومقصي تمة ما جناه قبيري من كبار الذنوب ، وهو نظير قول للمري :
وجرم جرم سفهاء قوم وحل بشير جارمه العقاب

مَنْ لَمْ أَزَلْ مِنْ تَأْنِيهِ عَلَى تِقَةٍ وَلَمْ أَبْتَ مِنْ تَجَنُّبِهِ عَلَى حَذَرٍ (١)
 ذُو الشَّيْئَةِ الرَّسُولِ إِنْ هِجَبَتْ حَقِيقَتُهُ - وَالْجَانِبِ السَّهْلِ وَالْمُسْتَعْتَبِ الْبَسَرِ (٢)
 مَنْ فِيهِ لِلْمَجْنِيِّ وَالْبُتْلَى نَسَقًا جَمَالَ مَرَأَى عَلَيْهِ مَرُوءٌ مُخْتَبَرِ (٣)
 مُذَكَّلٌ لِلْعَسَايِ حُكْمَهَا شَطَطًا عَلَيْهِ وَهُوَ الْعَرِيزُ النَّفْسِ وَالنَّفَرِ (٤)
 وَزِيرٌ سَلِمَ كَفَاهُ يَمِينُ طَائِرِهِ شَوْمُ الْحُرُوبِ وَرَأَى مُعْصِدُ الْمِرَرِ (٥)
 أَغْنَتْ قَرِيحَتُهُ مَنَافِي تَجَارِيهِ - وَتَابَتِ اللَّعْنَةُ الْمَجْنَى عَنِ الْفِكْرِ (٦)
 كَمْ أَشْتَرَى بِكَرْسِيِّ عَيْنِيهِ - مِنْ سَهَرٍ ، هُدُوهُ عَيْنِ الْهُدَى فِي ذَلِكَ السَّهَرِ
 فِي حَضْرَةِ غَابِ صَرْفِ الشَّهْرِ خَشْيَتُهُ - عَنْهَا ، وَتَأَمَّ الْقَطَا فِيهَا فَلَمْ يَثُرْ
 مُتَمِّعٌ بِالرَّيْسِ الطَّلَقِ نَازِلُهَا يُلْهِمُهُ عَنِ طَيْبِ آسَالٍ نَدَى بُكْرِ
 مَا إِنْ يَرَالُ يَبْتُ الثَّبْتُ فِي جَلَدٍ مُذْ سَاسَهَا - وَيُقْبِضُ الْمَاءَ مِنْ حَجَرِ (٧)



قَدْ كُنْتُ أَحْسَنِي وَالنَّجْمَ فِي قَرْنٍ قَفِيمٌ أَصْبَحْتُ مُنْخَطًا إِلَى الْمَقَرِ (٨)

(١) التَّانِي : التَّهْل ، وَالْبَحِي : ادْعَاءُ ذَنْبٍ لَمْ يَفْعَلْهُ - أَيْ أَنَا عَلَى عَهْدٍ مِنَ الْمَحْصُولِ عَلَى أَيْتِي ، وَإِنْ تَأَنَّى ، وَلَا أَحْزَنْ أَنْ يَنْسَبَ لِي ذَنْبًا لَمْ أَفْعَلْ .

(٢) الشَّيْئَةُ الرَّسُولُ : الْحَقُّ السَّهْلُ السَّجَّاحُ - وَالْمُخْتَبَرَةُ : الْقَضَبُ - وَالْمُسْتَعْتَبُ : مَصْدَرُ مَبْعَى بِمَعْنَى الْأَصْحَابِ أَيْ الْأَسْتِزَاءَ يُقَالُ اسْتَخْبَهُ أَيْ اسْتَرْأَاهُ فَأَجَبَهُ أَيْ أَوْضَاهُ - وَالْبَسَرُ : الْبَصَرُ .

(٣) الْمَجْنَى : الْغَائِلُ ، وَالْبُتْلَى : الْغَائِلُ ، وَالْمَجْنَى : الْغَائِلُ ، وَالْمَجْنَى : الْغَائِلُ ، وَالْمَجْنَى : الْغَائِلُ .

(٤) السَّهْلُ : السَّهْلُ ، وَالْمَجْنَى : الْغَائِلُ ، وَالْمَجْنَى : الْغَائِلُ ، وَالْمَجْنَى : الْغَائِلُ .

(٥) الْمَرْوُ : الْمَرْوُ ، وَالْمَجْنَى : الْغَائِلُ ، وَالْمَجْنَى : الْغَائِلُ ، وَالْمَجْنَى : الْغَائِلُ .

(٦) يَقُولُ أَنَّهُ لَا حَاجَةَ لِي بِتَجَارِبِهَا وَإِنْ بَدَا لِي مِنْ رُوحِهِ تَمَنَّى مِنْهُ الرِّمِيَّةُ تَمَنَّى مِنْهُ لُطْفُهُ الْفِكْرَ وَدَعَا قُلُوبًا :

الْأَمَلَى الَّذِي يَنْظُرُ بِكَ الظَّنَّ كَانَ قَدْ رَأَى وَقَدْ سَمَا

(٧) الْجَلَدُ : الْأَرْضُ الْعَلِيَّةُ ، أَيْ أَنَّهُ مَذْهَبٌ لِلْمَلِكَةِ وَهُوَ دَائِبٌ عَلَى بَثِّ الثَّبَاتِ وَالزُّورِ فِي أَرْضٍ لَا تَلْبَثُ لِمَلَابَتِهَا وَإِفَادَةِ الْمَاءِ إِلَيْهَا مِنْ هَيْوَلٍ تَتَخَيَّرُ مِنَ الصَّخْرِ .

(٨) يَقُولُ : مَا بَالُكَ أَخْلَفْتَ آمَلِي وَبَدَلْتَ مَكَانِي الْعَالِيَةَ عِنْدَكَ الَّتِي كُنْتَ تَحْلِي بِهَا فَوْقَ ذُرُوءِ النُّجْمِ فَتَزِلُّنِي إِلَى حَيْثُ الْمَوَاتِ .

أَحِينَ رَفَّ عَلَى الْآفَاقِ مِنْ أَدَبِي غَرَسَ لَهُ مِنْ جَنَاحِهِ بَائِعُ الثَّعَرِ (١)
وَسَيْلَةَ سَبَبًا - إِلَّا تَكُنْ نَسَبًا - فَهَوَ الْوِدَادُ صَفَا مِنْ قَبْرِ مَا كَدَّرِ



وَبَائِي مِنْ تَنَاهَ حُسْنُهُ مَثَلٌ وَشَى الْمَحَاسِنِ مِنْهُ مُثَلَّمُ الطَّرِ
يُسْتَوْدَعُ الصُّحُفَ لَا تَحْفَى نَوَافِئُهُ إِلَّا خَفَاءَ نَسِيمِ الْمِسْكِ فِي الصَّرْرِ (٢)
مِنْ كُلِّ مُخْتَالَةٍ بِالْجَبْرِ وَافِلَةٍ فِيهِ اخْتِيَالُ الْكُتَابِ الرُّودِ بِالْجَبْرِ (٣)
يُجْنَى لَهَا الرُّوضَةُ الْفَنَاءُ أَخْضَكُهَا بَحَالٌ دَمَعُ النَّدَى فِي أَعْيُنِ الزَّهْرِ (٤)

(١) رف النبات اهتز - يقول : هل جن انتشرت آدابي ومدامعي في الآفاق فاجت بائع الثمر ، ولم يذكر جواب الاستفهام في البيت بعده لأنه مفهوم من السياق ، وهي مادة مألوفة كما قال الشاعر :

«الآن لما كنت أكل من معي وانقر نالجه عن شبة الفارح
وتكاملت ذيك الرودة والفق وأعت ذلك بالصال المالح»

وقول الناقل :

«أبت ل معي وأبي بلائي وأخذني الجد بائع الریح
ولاجشام على للكره غنى وضرب حلة البطل المشيح
وقول - كما جشأت وجاشت - مكائك تحمدى أو تسمى»

وربما ذكر الجواب كما ترى في قول ابن الرومي :

«الآن جن زارت واستمع الوری زأری وأندر كلب هر ذیبه
الآن حين سبغت كل مسابی فتركت اسرع جره هرقیه
يتكاف التكاليفت ویانسق لیطل بذلك معجب تمجیه»

(٢) أى يستودع ذلك انتاء - للضروب بحسنه للثل - بطون الصف ولا يمكن أن يثنى ما ينوح من أريجيه إلا إذا حل ریح السك في الصرر .

(٣) أى من كل صحيفة تختال بما فيها من اللام الذى سطر به آيات يانه وسمر بلافته اخيال الجارية التي كعب ثديها بما تلبسه من وشى منمر ويرد مجر .

(٤) أى أنه يصطبح الحبرة التي يكتب بمدادها آيات بلافته ويغفر لأجلها الروضة انتاء أخضكها الميا ، وجالت في أعين أزهارها دموع الندى .

يَا بَهْجَةَ الدَّهْرِ حَيًّا وَهَوًّا - إِنْ فَنَيْتَ حَيَاتُهُ - زِينَةُ الْأَنْفَارِ وَالسَّيَرِ (١)
 لِي فِي اعْتِيَادِكَ - بِالثَّامِيلِ - سَابِقَةُ وَهَجْرَةٍ - فِي الْهَوَى - أَوْلَى مِنَ الْهَجْرِ
 قَلِيمٌ غَضَّتْ هُمُومِي مِنْ غَلَا هَمِّي وَخَاصَّ بِي مَطْلَبِي مِنْ وَجْهِهِ الطَّفْرِ (٢)
 هَلْ مِنْ سَبِيلٍ قَدْ أَهَى الْقَتَبَ لِي أَسْنُ إِلَى الْمَذُوبَةِ مِنْ عَتَبِكَ وَالْخَصْرِ (٣)
 نَذَرْتُ شُكْرَكَ لَا أَنْسَى الْوَفَاءَ بِهِ إِنْ أَسْفَرْتُ لِي عَنْهَا أَوْجُهُ الْبُشْرِ (٤)

لَا تَلَهُ عَنِّي فَلَمْ أَسْأَلْكَ مُتَسِفًا رَدَّ الصَّبَا بَدَأَ إِفْهَامَهُ عَلَى الْكِبَرِ (١)
 وَأَسْتَوْفِرُ الْخَطَّ مِنْ نُصْحٍ وَصَافِيَةٍ كِلَاهُمَا الْعِلْقُ لَمْ يُوهَبْ وَلَمْ يُعَرِّ (٢)
 هَبْنِي جَهْلْتُ فَكَانَ الْعِلْقُ سَبِيَّةً لَا عُدْرَ مِنْهَا سِوَى أَنِّي مِنَ الْبُشْرِ (٣)
 إِنْ السِّيَادَةَ بِالْإِعْضَاءِ لَا بِسَةِ بَهَايَا وَبَهَايَا الْحُسْنِ فِي الْخَفْرِ (٤)

(١) نبي في هذا البيت ممدوحه وهو لا يزال حيا يرزق ، وقد أخذ هذا المعنى - ولم يحسن الأخذ - من قول أبي العلاء :

« جمال ذى الأرض كانوا في الحياة وهم بعد الغلات جمال الكعب والسير . »

(٢) حاس : حاد ومال .

(٣) القنب : الضبط وإظهار الوجوده كخافه ارتكبت ، والمعنى : الرضا والرجوع إلى السيرة بعد الخطأ والخسر : البرودة ، والمعنى : هل من سبيل يبعد القنب الشيء بالماء لأنس أى للتخفيف الذى لا يستقيسه شارب إلى المعنى الشبيه بالماء ، القنب البارد السائق قهرا - وقد أحسن أبو العلاء في جعل برد الماء الذى يصير به أطيب لشاربه سببا في حبه لا غرامه في الخسر والبرودة وذلك حيث يقول :

« لو اختصرتم من الانحسان زوتكم والقنب يهجر للانحراط في الخسر . »

(٤) الضمير في « عنها » عائد إلى المعنى ، والمعنى : جمع يجرى .

(٥) أى لم أعثف في السؤال ولم أطلب مستجيلا .

(٦) استوفى : استكثر ، وصافية : الانسان خلسته الذين يملكون إليه ويشئون مجله ويطلبون ما عنده والمعلق : المعنى النفس التى يهنئ به لنفسه فلا يوجب ولا يمار ، وقد ورد في ديوان الخامة قول الشاعر :

« أبيت الأمن إلا سكب حلقى هيمس لا يمار ولا يباع

معدة مكرمة علينا يجاع لها البيل ولا تجاع

سالية ساجين تاجلاها إذا لعبا بمنسها الكراع . »

لَكَ الشَّفَاعَةُ لَا تُؤْنِي أَعْيَتْهَا دُونَ الْقَبُولِ بِعَقُولٍ مِنَ الْعَذْرِ (١)
وَالْبَسَ مِنَ النُّعْمَةِ الْخَضْرَاءَ أَكَلَتْهَا ظِلًّا حَرَامًا عَلَى «الْآفَاتِ وَالْعَيْرِ» (٢)
نَعِيمَ جَنَّةٍ دُنْيَا - إِنَّ هِيَ أَنْصَرَمَتْ - نَعِمْتَ بِالْخَلْدِ فِي الْجَنَاتِ وَالنَّهْرِ

أترع الكأس

أَدْرَهَا فَقَدْ حَسَنَ الْمَجْلِسُ وَقَدْ آتَى أَنْ تُتْرَعَ الْأَكْوَسُ
وَلَا بَأْسَ إِنْ كَانَ وَلَّى الرَّيْسُ إِذَا لَمْ تَجِدْ فَقْدَهُ الْأَنْفُسُ (٣)
فَلَمْ خِلَالَ أَبِي عَامِرٍ بِهَا يَخْفُضُ الْوَرْدُ وَالزُّرْجِسُ (٤)

لاحيلة في الحب

يَا مُعْجِلَ الْفُضَنِ الْفَيْتَانِ إِنْ خَطَرَا وَفَاصِحِ الرَّشَامِ الْوَسْتَانِ إِنْ نَظَرَا (٥)
يَقْدِرُكَ مِنِّي مُحِبٌّ شَانُهُ عَجَبٌ مَا جِئْتَ بِالذَّبِّ إِلَّا جَاءَ مُتَعِدِّرَا (٦)
لَمْ يَنْجِنِي مِنْكَ مَا اسْتَشْعَرْتُ مِنْ حَذَرٍ هَيْهَاتَ كَيْدِ الْهَوَى بَسْتَمْلِكِ الْخَدَرَا
مَا كَانَ حُبِّكَ إِلَّا فِتْنَةً قُدِّرَتْ هَلْ يَسْتَطِيعُ الْفَقَى أَنْ يَذْفُقَ الْقَدَرَا (٧)

- (١) العذر : جمع عذره كعذره مصدر كالعذر . (٢) وجد هذا البيت في الأصل ناصباً هكذا :
وَالْبَسَ مِنَ النُّعْمَةِ الْخَضْرَاءَ أَكَلَتْهَا ظِلًّا حَرَامًا عَلَى الْآفَاتِ
ووجد في حاشي بعض النسخ تكملة لهذا البيت كلمة (والنعير) وهذه الكلمة يناسبها الآفات لا الارفات
لخصت كلمة البيت بكلمتين كما ترى إحداها من حاشي بعض الأصول ، والأخرى بسطها السياق .
(٣) أدر الكأس فقد صفا المجلس وانفاه حسنه من حسن الربيع فلم يعد نفس ربيع نقدا .
(٤) فان خلان أبي عامر تذكرنا بالورد والزرجيس وينتينا طيها عنهما .
(٥) يقول : « انك ترى بالنصن المورق إن مشيت وتزوي بالظلي الثمرير الطرف إن نظرت .
(٦) يدميك الفداء محب أمره عجيب ، فانك كما أنت ذنباً أبي إلا أن يفسد لك الأعداء ويغلها لك خلفاً
(٧) كنت أظن أنك تهجرني بعد الوصال وكنت اتلاني كل سبب يؤدي إلى ذلك وأخذت جهدي ألا يقع
ما خفته ولكن القدر لابد أن ينفذ حكمه وليس بدنه حذر . وما أجل قول الشاعر التابع محمود أبي الوفا:
« يالأي في الهوى دعى وما خلقت روحه ، ليس أمرى في الهوى يدي »
وقول الباس بن الأحف :
« لقد ولدت حواء منك بليدة على أماسيا ، وجلا من الخبل . »

في مدح ابن جهـور

- مَرَّاهُمْ حَيْثُ السَّلَاحُ تَمَازِلُ وَمَوْرِدُهُمْ حَيْثُ السَّمَاءُ مَنَاهِلُ^(١)
وَدُونَ الْمُنَى فِيهِمْ جِيَادُ صَوَافِنُ وَمَأْثُورَةٌ يَبِضُّ وَمُتَمِرٌ عَوَامِلُ^(٢)
لِكُلِّ نَجِيدٍ فِي النِّجَادِ كَأَنَّمَا تَنَاطُلُ يَمْتَحِنُ الرُّمُوحُ مِنْهُ الْحَمَائِلُ^(٣)
طَوِيلٌ عَلَيْنَا لَيْلُهُ مِنْ حَفِظَةِ كَأَنَّ صَبَابَاتِ النُّفُوسِ طَوَائِلُ^(٤)
كَنَاسٌ ذَنَا مِنْهُ الشَّرَى فِي مَحَلَّةٍ بِهَا اللَّيْثُ يَمْعُدُو وَالْفَزَالُ يُغَازِلُ^(٥)

(١) للراد : اسم مكان من راد يرود أى ارتاد طلباً للنجدة والسكنا ، والحمايل : جمع غيبة وهى الشجر الكبير المجمع للثقف الذى يستر ما فى داخله ، وتمازل - جمع منهل - وهو موضع النهل وهوالقرب أولا يقال قرب ملا بعد نهل يريد أنهم ينهلون من دم واردهم ، وللقى : الذى يرود حى أولئك العرب الانحداد حيث تسكن الحبيبة يرود هناك خاتل يكثر فيها السلاح وتشتجر الرماح، ومن يرد متجنبهم يجد مناهل تنهل فيها السماء ويترش واردها لاسباب السماء .

(٢) الصوائن : من الخيل جمع صائف وهو الذى يقوم على ثلاث ويثي -ملك الرابطة - ومأثورة صفة السيوف ، يقال سيف مأثور أى فى منته أثر يفتح فسكون وهو فرند السيف وجوهره وديباج ، والسر الرماح ، والموامل : صدورها جمع طائل ، يقول دون ما تمتناه حى منج بالصفات الجباد عى ببض السيوف وسمر الرماح .

(٣) نجيد : شجاع ذو نجدة وبأس ، والنجاد : حائل السيف ، وتناط : تعلق ، يمتن الرمح : أى بقامة كالرمح فى الطول ، والعرب تمدح بالطول وتتم العملة والقصر ، قال رجل من بني :

«ولما لقي الصفان واختلفنا نهلا وأسباب لنايا نهالها

بين لى أنت العماء ذلة وإن أعزاه الرجل طولها

دعوا إلى المد وانتينا لطي أسود لمرى إنماباوترالها.»

وقد أجاد أبو العلاء فى مدح القصر ، فقال :

«عجب الأنام أطول همه ماجد أولى به قصر على أضرابه

سهم لقي أنعى مدى من سيفه والرمح ، يوم طمانه وضرايه.»

(٤) الحنيظة : النخب ، والمبايات : جمع صباه وهى المشق ، والطوائل : جمع طائفة وهى الترة والتأثر يقول بطول على كل طويل النجاد ليه من خيطة ونخب علينا ، وكأن المشق وصبابات النفوس أوجبت له خندا طوائل وترات فهو كن يطلبتا لئلا منا .

(٥) الكناس : مأوى الظباء والبراقى تسكن فيه من الحر ، والدرى : موضع تنسب إليه الأسود .

أَمَرُ الْقِيَابِ الْحَمْرِ وَسَطَ عَرَبِيهِمْ لَقَدْ قُصِرَتْ فِيهَا السُّرُوبُ الْمُقَابِلُ^(١)
 أَنْجُوبَةُ لَيْلَى وَلَمْ تُخْضَبِ الْقَنَا وَلَا حَجَبَتْ شَمْسُ الصَّحْلَةِ الْقَسَاطِلُ^(٢)
 أَنَاةٌ عَلَيْهَا مِنْ مَسْنَا الْبَذْرِ مَيْسَمٌ وَفِيهَا مِنَ النُّعْمَنِ النُّخَيْرِ شَمَائِلُ^(٣)
 يَحُولُ وَيَسَاخَا عَلَى خَيْرِ زُرَانَةٍ وَتُشْرِقُ فِي «مَوْشِيَتَيْنِ» الْخَلَاجِلُ^(٤)
 وَلَيْلَةٌ وَاقْتْنَا الْكَتِيبَ لِمَوْعِدٍ كَمَا رِيحَ وَسَنَانِ الْعَشِيَّاتِ خَاذِلُ^(٥)
 تَهَادَى - أُنْسِيكَبَ الْأَيْمِ - يَمْقُوقُ إِنَارَهَا مِنْ الْوَشِيِّ مَرْقُومِ الْمُطَافَيْنِ ذَائِلُ^(٦)

(١) المرين : مأوى الأسد ، وفصرت : حبست قال كمال « حور مقصورات في الخيام » أى محبوسات في الخيام غفدرات على أزواجهن في الجنات ، والسروب : جمع سرب بالكسر وهو الفطيم من الغناء والنساء والطير ، والمقصود في كتب الله أنه يجمع على أسراب وسراب ، وقد جمعه هنا على سروب ، والقياس لا يأباه كما في حمل وحول وضرس وضروس ، والمقاتل : جمع عقيقة وهي من النساء الكريمة المحترمة ، ولقد أنعم بحياة القباب الحمر وسط عرين حياتها وألقاها فيها من أولئك الأسود لند حبست فيها أسراب المقاتل ومنعت من السروب إلينا والمروج لملأنا .

(٢) الضياء : ارتفاع النهار ووقته عقب الغروب قبل انصاف النهار ، والقاسطل : جمع قسطل وهو النبال الساطع
 (٣) الأناة : المرأة التي فيها فنور من التيام وتأن ، قال الشاعر :

أَنَاة تَزِينُ الْبَيْتَ لِمَا تَلْبَسُ وَإِنْ قَدَتِ هَلَا فُحْسِنَ بِهَا هَلَا

أى تزين البيت لابسة حلتها ومفندة بثوب واحد ، والسنا : الضوء ، والليم : ما عليها من أثر الوسامة والحسن ، والشمال : الطباع .

(٤) وفي الأصل « وتشرق في بردتين الخلاجل » وهذه الرواية بخجل ورد البيت ، وقد أبدلها بلفظة « موشيتين » للموضوعة بين قوسين لأنها بمعنى بردتين منقوشتين ولأنها قريبة منها في رسم الحروف ، إلى أن يظهر خلاف ما أفتناه هنا .

(٥) ربح : نزاع لأسر مفاجئ ، والوسنان : لفات الطرف شبه بالرأء الوسى من النوم ، والعشيات : جمع عشة وهي آخر النهار ، والمخاذل : من خذلت الغلبة فهي خاذل تخلفت عن سواحبها وأغرقت ، يقول ما أنسى لا أنسى لقة واقتنا في الكتيب لوقت حددناه موعدا لقاء فكانت كما ربح ظني فاتر المخطط أغرد من سائر سرب الغناء ، وقد مر الخطر الأول من هذا البيت في قصيدته الخافية ص (٢٤) من هذا الكتاب إذ قال :

وليلة واقتنا الكتيب لموعده سرى الأين لم يعلم لسره مزحف

تهادى أناة الخطو مرتامة المشا كما ربح يمشو القلا للتعرف

(٦) تهادى : أمسه تهادى ، وهو معنى في تناقل وتمايل وسكون ، والأين : والأين الحية ، وهو : يحو والاثار : جمع أثر جمه على فعل بالكسر جما قياسي كما في جبل وجبال وجبل وجمال ، قال ابن مالك :
 « وفصل أينا له فقال ما لم يكن في لاه اعتلال »

قَمِيدِكَ ، أَنَّى زُرْتِ صَوْدُكَ سَاطِعٌ وَطِيْبِكَ نَفَاحٌ وَحَلِيْكَ هَادِكٌ ^(١)
 هَيْبِكَ أَغْتَرَزْتَ الْحَى وَأَشِيْكَ هَاجِعٌ وَفَرَعُكَ غَرِيْبٌ وَلَيْلُكَ لَآئِلٌ ^(٢)
 فَأَنَّى اعْتَسَفْتَ الْهَوْلَ خَطُوكِ مُدْمِجٌ وَرَدْفُكَ رَجْرَاجٌ وَعِطْفُكَ مَائِلٌ
 خَلِيْلِي مَالِي كُلَّمَا رُمْتُ سَلْوَةً تَعْرِضَ شَوْقٌ دُونَ ذَلِكَ حَائِلٌ
 أَرَأَيْكَ إِذَا رَاحَ النَّسِيمُ شَامِيَا كَانَ قَمُولا مَا تُدِيرُ الشَّمَائِلُ ^(٣)
 صَلَاحًا تَمَادَى الْهَبُّ فِي الْمَشْرِ الْعِدَا وَلَجَّ الْهَوَى فِي حَيْثُ تُخْفَى الْفَوَائِلُ ^(٤)

ولم نثر فيها راجعناه من كتب الله على هذا الجمع ، والمطاف : بالكسر والمطاف كل ثوب كالرداء والبلدان تطفت أى تردت به ، وسمى طافا لوقوعه على صلب الابس وهما ناعيتا عنقه ، والمرنوم : ذو الوعى والذنبش أو المكتوب عليه رقم التاجر ، والذائل ذو الذيل ، وهو أيضا من الذالان وهو معنى مغارب الخطوب فيه نصف وعجة شبيه بعشة الذئب أو للثقل من حمل ، أو هو معنى سريع خفيف فى ميس وسرعة ويسمى الذئب ذؤالة ، والمعنى الأول هو للتصودها يقول وانثا للدوعدى تلك البلة تهادى فى مشيتها كالسحاب الحية فى الرمل نحو ما تركته من آثار المعى ، ذيل ثوبها المودى وهو قريب من قول امرئ القيس : « خرجت بها أسمى حجر وراءنا على أثرنا ذيل صرط صرطل »

(١) قَمِيدِكَ : مصدر منصوب لئانه من التمل والتقدير سألت الله حفظك ، وهادك : مهبل مسترخ إلى أسفل (٢ و ٣) مكرران مع قوله فيما تقدم فى القافية :

« هيك اغترزت الحى واشيك هاجع وفرعك غريب وليك أفضف
 فأنى اعتسفت الهول خطوك مدمج وردفك رجراج ونصرك عطف »

ولكن بتغيير القافية كما ترى ، واغترزت : بالفتح المجسة أنت منهم مرة وخفة فزرتنا ، وقد ضمنه معنى خدمت فضاء إلى الفصول بنفسه ، وتخدم تسيده بالعين للهمة بمعنى جئت الحى وضفت به سائلة على غير علم من أهله ، إلا أن هذا يستعمل غالبا فى المترأى طالب المروف . قال حاتم الطائي :
 « أوقد فان الليل ليل قر والريح يا غلام ريح صر
 لعل أن يصصرها للمتر إن جلبت ضيفا فأنتمر »

(٤) أَرَأَيْكَ : كأخف من الارتياح ، وراح : من الرواح ، والشمول : من أساء البحر ، والعمائل : جم العمال بالفتح وهى ربح تهب من قبل الشام عن يمار القبة ، وفي العمال والشمول يقول الشاعر :
 « ألت سيسى والنسيم عليل غليل لى أن العمال شمول
 كأن الخزامى صفقت منه قرنا ففكر أحنق اللطى تطول »

(٤) معنى مكرر بلفظه ولكن بتغيير القافية مع قوله فى القافية المتقدمة :
 « لجاج تمادى الحب فى المشر العدا وأم الهوى الأفق الذى فيه تنشف »

كَأَنَّ لَيْسَ فِي نَعْنَى الْمُهَامِ «مُحَمَّدٍ» مُسَلَّ وَفِي مَقْتَى أَيْلَادِيهِ شَاغِلٌ^(١)
 أَغْرَ إِذَا شِمْنَا سَحَابَ جُودِهِ تَهَلَّلَ وَجْهَهُ وَاسْتَهَلَّتْ أَنْامِلُ^(٢)
 يَبْشُرُنَا بِالنَّائِلِ الْقَمَرِ «جُودُهُ» وَقَبْلَ الْحَيَا مَا تَسْتَطِيرُ الْمُعَايِلُ^(٣)
 لَقَدْ رِيَاضُ لِلْسَّجَانَا أَيْقَةُ تَقْلُقُ فِيهَا لِلْمَطَايَا جَدَاوِلُ^(٤)
 أُنِي قَا تِلْكَ السَّمَاحَةُ بُهْرَةُ وَفِي قَا تِلْكَ الْحِبَالُ حَبَائِلُ^(٥)
 زَعِيمُ الدَّهَاءِ أَنْ تُصِيبَ مِنَ الْعِدَا مَكَائِدُهُ مَا لَا تُصِيبُ الْجَحَايِلُ^(٦)
 قَا سَيْفُ ذَلِكَ الْقَرْمِ فِيهِمْ عِمْقِدُ وَلَا سَهْمُ ذَلِكَ الرَّأْيِ أَفُوقُ نَاصِلُ^(٧)
 بَنِي «جَهْوَرٍ» عَشْمٌ بِأَوْفَرِ غَيْظَةٍ فَلَوْلَاكُمْ مَا كَانَ فِي الْعَبْثِ طَائِلُ^(٨)
 تَقَاضَلَ فِي السَّرْوِ الْمُلُوكُ، فَخَلَّتْهُمْ أَنَايِبَ رُمَحِ أَنْتُمْ فِيهِ حَامِلُ^(٩)

(١) - مسل : أى صارف من الموى الذى تحدث عنه فيما سبق من آيات القصيدة ، ومقتى الأيادى : إعادة المرفوف مرتين فأكثر ، والانصاء : من جزور اليسر يفرها الجواد فيطمعها الأبرام ، قال الفايقة :

« ينيك ذو عرضهم هنى وعالمهم وليس جاهل أمر مثل من عطا

أنى أعسم أيسارى وأأنههم مثل الأيادى وأكسوليفنة الأدماء » .

واليت من أحسن آيات التخلص من التنبيب إلى المدح .

(٢) - تهلل : أشرق وظهرت عليه أملوات السرور ، واستهلت : من استهلال للطر وهو الصبا به بشدة حتى يسمع له صوت ، شبه أنامه في الجود بالسحاب للتهلل .

(٣) - الحيا : النظر ، ما تستطير : ما زائدة أو مصدرية ، وتستطير : تنقصر ونعم الألقى ، والعايل : جمع غيلة وهو أن ترجو وتظن أن السماء خليفة بالطر ، وفي الأصل « ييغرنا بالنائل النذر » وبسده يياض وقد

أكدنا الشطر بلفظ « جوده » الموضوع بين هلالين أخذنا من السياق ، ومعنى البيت ييغرنا بالطاء الكثير جوده وقد استهلال الطر تنقصر بخالجه وعلاماته في السماء .

(٤) - الأئى : النافذ الذى يتأق للأشور ، وبهزة : يريد أنه لا يغفل السهاحة إشهاراً واقترافاً إذا منحت له الفرصة بل يتأق لها ويضى عليها في كل وقت غير متعين لها الفرس ، والحبل : العهد والدة والتواصل وعدم التناطح ، والحبال : جمع حباله وهو المصيدة وفي الحديث « الفناء حبال الشيطان » أى مصايده .

(٥) - اللعند والمضاد : سيف متمهن على شكل لاجل يتخذ القضاة لقطع العظام ، والرامة لقطع

فروع النجر ليطنوا بما يسقط من ورقها غنمهم وإبلهم ، وأفوق : مكسور الفوق بالضم وهو حرف

السم . وإذا كان في إحدى زمنى السم أى حرفه انكسار فذلك السم أفوق ، وبالاصل : الداط لاصل

وهو حديدة السم ، وللى : أنه ماضى البزعة صائب الرأى ، وفي الأصل : « أفوق نائل » .

لَنْ قَلَّ فِي أَهْلِ الزَّمَانِ عَدِيدُكُمْ
فِدَاؤُكُمْ مِنْ إِنْ تَعِدَهُ ظَنُونُهُ
مَنَّا كَيْدٌ^(١) فِعْلُ الْخَيْرِ مِنْهُمْ تَكَلَّفُ
فَلَنْ سُرِرَتْ أَخْلَاقُهُمْ يَتَخَلَّقُ
لَكَ الْخَيْرُ، إِنِّي قَاتِلٌ قَسِيرٌ مُقْصِرٌ
لَعَمْرُ سَرَاةِ الشَّرِّ وَأَفَاكُ وَفَدُهُمْ
لَا عَذْرَتَ لِمَا لَمْ يُمَلِّكَ مِنْهُمْ
نَصَدْتُ رَبَّاحِينَ الطَّلَاقِ غَفَّةً
فَمَا مِنْهُمْ إِلَّا شَسِيدُ زِرَاعِهِ
صَمَانٌ عَلَيْهِمْ أَنْ سَيُؤْتَرُ عَنْهُمْ

فَلَنْ دَرَارِي الشُّبُومِ قَلَائِلُ^(٢)
لَحَاقَكُمْ فِي الْمَجْدِ فَلَهُمْ مَاطِلُ
إِذِ الشَّرِّ طَبَعَ مَا لَهُمْ عَنْهُ نَاقِلُ
فَكُلُّ خَصِيْبٍ لَا عَمَلَةَ نَاصِلُ^(٣)
فَنَ لِي بِأَسْتِفَاهِ مَا أَنْتَ فَاعِلُ ؟
لَمَّا ذَمَّ مِنْهُمْ ذَلِكَ التَّرْلُ نَازِلُ
إِذَا عَذَرَ الْمُسْتَقْبَلِ الْمُتَنَاقِلُ^(٤)
وَرَفَرَفَتْ مَاءُ الْبِرِّ وَهُوَ سَلَامِلُ
إِلَيْكَ مُقِيمُ الْقَلْبِ وَالْجَنَمِ رَاجِلُ
عَلَيْكَ تَنَاءٌ فِي الْمَحَافِلِ حَافِلُ^(٥)

(١) ألم كثير من الشراء بهذا المعنى في صور مختلفة تختار منها قول السموال في لامية للمهمودة :

« تميرنا أنا قليل عديدنا ظلت لها : إن الكرام قليل
وما قل من كانت بغايه مثنا شباب تسمى الصلا وكهول »

وقول العباس بن مرداس :

« ينادى العابد أكثرها فراخا وألم الصقر خلاه زور »

(٢) جمع منكود من تكدر بالبناء السجول فهو منكود إذا كثرت سؤاله وقل خبره .

(٣) خضيب : مخضوب ، وناسل : وصف من فعل الشمر يصل بالقم زاله عنه الخضب ، وهو معنى كثير الورد في كلام الشعراء ، قال زهير .

« ومهما تكن عند امرئ من خليفة وإن ظفأ تحق على الناس تلم »

وقال الآخر : « ومن يخذل خيما سوى خيم قسه يبعه ويثلبه على اللبس خيما »

وقال ذو الأصبح السدواني .

« كل امرئ صائر يوما لبيته وإن تخلف أخلاقا إلى جن »

(٤) لأخبرت : لقد بدا هندي واضح ، والمستقل : السبيل ، لكثرت أكثر مما تستقره موجبات الضيافة ، والمتنائل : للتياطي الذي أهل على مضيقه فأله وأضره ، يقول أثبت عذرا لنفسك وأضاحا حين لم تمل ولم تسأم طول مكث سرية التفر الوافدين عليك في وقت يعرف فيه التنائل عذر مضيقه إذا مل مكانه ومعه تنيلا .

(٥) صيلا على هؤلاء الوافدين أنه سيؤثر ويروي عنهم تناء عليك في المحافل حافل بأنواع الحماد والنداح .

مَسْجَعٌ هُوَ الْمُقَدُّ أَنْتِظَامٌ عَمَّاسِينَ تَحْمَلِي بِهَا جِيدٌ مِنَ الدَّهْرِ طَائِلٌ
تُزِيدُ بِهَا الْأَمَالَ وَاللَّيْلُ وَقَبُ^(١) وَتُخَصِّبُ مِنْهَا الْأَرْضُ وَالْأَفْقُ مَاحِلٌ

هَيْبَتَا لَكَ الْعِيدُ الَّذِي بِكَ أَصْبَحْتَ تَرْوِقُ الضُّحَا مِنْهُ وَتَنْدَى الْأَصَارِلُ[‡]
تَلْقَاكَ بِالْبَشْرِى وَحَيَاكَ بِالْمُنَى فَبَشِّرَاكَ أَلْفَ بَعْدَ صَامِكَ قَائِلٌ
لَنْ يَنْصَرِمَ شَهْرُ الصَّيَامِ لِبَعْدِهِ نَقَا صَالِحِ الْأَعْمَالِ مَا أَنْتَ قَائِلٌ
رَأَيْتَ أَذَاءَ الْفَرَضِ ضَرْبَةً لِأَزِمِ فَلَمْ تَرْضَ حَتَّى شَيْعَتُهُ النَّوَافِلُ
سَدَنَتْ^(٢) يَبِيتَ اللَّهُ حُبَّ جَوَارِهِ ، لَكَ اللَّهُ بِالْأَجْرِ الْمُضَاعَفِ كَافِلٌ
هَجَرَتْ لَهُ الدَّارَ الَّتِي أَنْتَ آفِلٌ لِيَعْتَادَهُ مَخْضُ الْمَوْسَى مِنْكَ وَاصِلٌ
فَلِمَ تَتَنَاقَلُكَ الدِّيَارُ فَطَالَآ تَتَنَاقَلَتِ الْبَذَرُ الْمُنِيرَ الْمَنَارِلُ
أَلَا كُلُّ - رَجَوَى فِي سِوَاكَ - غَلَاةٌ وَكُلُّ مَدِيحٍ - لَمْ يَكُنْ فِيكَ - بَاطِلٌ
فَا لِعِمَادِ الدِّينِ - حَاشَاكَ - رَافِعٌ وَلَا لِلِوَاءِ الْمُلْكِ - غَيْرُكَ - حَامِلٌ
لَأُمْتَنِّي الْخُطْبَ الَّذِي أَنَا خَافِئٌ وَبَلَّغْتَنِي الْخَطَّ الَّذِي أَنَا آمِلٌ[‡]
أَرَى خَاطِرِي كَالصَّارِمِ النَّصْبِ لَمْ يَزَلْ لَهُ شَاحِدٌ مِنْ حُسْنِ رَأْيِكَ صَاقِلٌ
وَمَا الشُّعْرُ بِمَا أَدْعِيهِ فَضِيلَةٌ تَزِينُ ، وَلَكِنْ أَنْطَلَقْتَنِي الْفَوَاضِلُ
بَقِيَتْ كَمَا تَبَقِيَ مَتَالِيكَ إِنَّمَا خَوَالِدُ حِينَ الْعَيْشِ كَالظَّلِّ زَائِلٌ
فَا نَسْتَزِيدُ اللَّهَ بَعْدَ نَهَايَةٍ لِنَفْسِكَ غَيْرِ الْخُلْدِ إِذْ أَنْتَ كَامِلٌ^(٣)

(١) فِي الْأَسْلَ «رَائِد» (٢) فِي الْأَسْلَ «سَدَنَتْ» (٣) وَلَمْ يَكُنْ فِيكَ - بَاطِلٌ : وَلَمْ يَكُنْ فِيكَ - بَاطِلٌ : وَلَمْ يَكُنْ فِيكَ - بَاطِلٌ :

فَهَا أَنَا لَا أَفْعَلُ وَلَا أَنْتَ ظَالِمٌ .

وَلَمْ يَكُنْ فِيكَ - بَاطِلٌ : وَلَمْ يَكُنْ فِيكَ - بَاطِلٌ :

(٤) قَرِيبٌ مِنْ هَذَا لِمَنْ قَوْلُهُ مِنْ قَبِيضَةٍ سَابِقَةٍ :

« لَا أَسْتَزِيدُ اللَّهَ نَسْأَةً ، لَا بَلْ أَسْتَدِيمُ »

إلى ابن جهور

« وقال أيضا مع تلاح أهداه إلى ابن جهور . »

أَتَيْتُكَ بِلَوْنِ الْمَحَبِّ الْحَجَلِ تُحَالِطُ لَوْنَ الْمَحَبِّ الْوَجَلِ^(١)
 عَمَارُ تَضَمَّنَ^(٢) إِذْ رَاكَهَا هَوَاهُ أَحَاطَ بِهَا مُتَّعِدِلِ
 ثَانِي^(٣) لِإِلْطَافٍ تَذْرِيجِيهَا فَنَ حَرِّ شَمْسٍ إِلَى بَرْدِ ظِلِّ^٤
 إِلَى أَنْ تَنَاهَتْ شِفَاءَ الْعَلِيلِ وَأَنْسَ الشَّوْقِ وَلَهُوَ الْغَزَلِ
 قَلْبُ تَجَمُّدِ الرَّاحِ لَمْ تَنْدُهَا وَإِنْ هِيَ ذَابَتْ فَتَعْدُ تَحْمِلُ^(٥)
 لَهَا مَنَظَرَ حَسَنٍ فِي النُّفُوسِ كَذُنَيْكَ لَكِنَّهُ مُنْتَقِلِ^(٦)
 وَطَعْمٌ يَلِدُ لَيْنَ ذَاقَهُ كَلَذَةً ذَكَرَكَ لَوْ لَمْ يُعْلِ^(٧)
 وَرَيًّا إِذَا تَفَحَّتْ خِلْتُمَا تُحْمِلُ ثَنَاءَكَ أَوْ تَسْتَهْلِ^(٨)
 يُحْمِلُ مَلْتَسُهَا لِلْأَكْفِ لَيْنَ زَمَانِكَ أَوْ يَمْتَثِلُ^(٩)

- (١) معنى البيت: أتيتك هذه التفاحات بحمرة كحمرة خدود اللاح عند الخجل، تحالطها صفرة كصفرة خدود العاشقين عند الوجل . (٢) أى تكفل بالفنجان هذه الفمار هواء معتدل متوسط بين الحرارة والبرودة (٣) ثانى للاس ترضى له وأناه من وجهه ، والمعنى : تطفئ ذلك الجلاء فى تدريج نوحها وصبتها بذلك الألوان الزاهية فتنتقل منها من حر شمس إلى برد ظل حتى لفتحت وأبنت .
 (٤) يقول لو أن ذوب الراح تحول إلى جد لم يعد أن يكون ذلك التفاح ، ولو أن جامد التفاح تحول إلى فوب أحر لم يعد أن يكون خرا حلالا لا إثم على شاربها .
 (٥) يعنى : أن منظرها حسن ينظم ما فى ديك من محاسن إلا أنه حسن منتقل حائل ، وحسن ديك لا يحول ولا يمتثل .
 (٦) ولها طعم حلول للناقى ليقب كلذة ذكراك فى الأسباع إلا أنه يحل وترديد ذكراك لا يحل .
 (٧) ولها ريا : أى ربح طيبة ، حل : أى تحلى بمدحك ، أو استهل : أى ترفع صوتها بثناء عليك .
 (٨) يصور لمس التفاح التام للأكف لين زمانك حتى كأنها تحمسه ، أو يمتثل أى يضرب نفسه مثلا
 (٩) لين زمانك .

- (٦) ولها طعم حلول للناقى ليقب كلذة ذكراك فى الأسباع إلا أنه يحل وترديد ذكراك لا يحل .
 (٧) ولها ريا : أى ربح طيبة ، حل : أى تحلى بمدحك ، أو استهل : أى ترفع صوتها بثناء عليك .
 (٨) يصور لمس التفاح التام للأكف لين زمانك حتى كأنها تحمسه ، أو يمتثل أى يضرب نفسه مثلا
 (٩) لين زمانك .

صَفَوْتُ فَأَذَلَّتْ^(١) فِي عَرْضِهَا وَمَنْ يَصِفُ مِنْهُ الْهَوَىٰ فَلْيَدِلْ^٢
 قَبُولُكُمَا نِعْمَةٌ غَضَّةٌ وَقَضَلٌ - بِمَا قَبَلَهُ - مُتَّصِلٌ
 وَلَوْ كُنْتُ أَهْدَيْتُ نَفْسِي أَخْتَصَرَ^٣ تَ عَلَىٰ أَنَّهَا غَايَةُ الْمُخْتَفِلِ^(٤)

مجلس أبي علي

« لما ورد ابن زيدون إشبيلية نزل في دار
 ذى الوزيرين الكاتب أبي علي بن جلبة وهو
 يبنى فيها مجلساً ، فصنع آياتاً فكتبت فيه : »

مُحَرَّرٌ مَنْ يَنْتَرُ ذَا الْمَجْلِسَا أَطْوَلَ مُهْمٍ يُنْجِ الْأَنْفُسَا
 وَبَعْدَ ذَا عَوْضَ عَنْ دَارِهِ عَدْنَا وَمَنْ دِيَابِجِهِ السُّنْدُسَا
 وَوَقَى الْفَوْزَ بِهَا وَالرَّضَى وَوَقَى الْأَسْوَءَ وَالْأَبْوَسَا^(١)
 وَدَامَ عِبَادٌ لِمَهْدٍ الْهَدَى يَحْرُسُ حَتَّى يُفِي الْأَحْرُسَا^(٢)

* *

مُقْتَضٍ بِاللَّهِ إِحْسَانُهُ جَمٌّ إِذَا مَا الدَّهْرُ يَوْمًا أَسَا
 الْمَلِكُ الْفُتْرُ النَّدَى الْمُقْتَنَى مِنْ كُلِّ حَيْدٍ عِلْقَهُ الْأَنْفُسَا^(٣)
 إِنْ رَامَ يَوْمًا وَصَفَ عَلَيْهِ إِيَّاهُ قُوَّةٌ مُقْتَدِرٌ أُخْرَسَا^(٤)
 لَا زَالَ بَدْرًا طَالِمًا نِيرَا يَكْشِفُ مِنْ أَمَانَاتِ الْخِنْدِسَا^(٥)

(١) الأدلال التذلل والانبساط والجرأة على من تحب بإظهار الدالة عليه ، أى وقتت بما بيننا من الصفاء والود فأرطت في الدالة عليك بمرض هذا الفلاح الذى يتهدى بمتله الأشياء المحاصرون ، ومن يصف لى الهوى فليظهر الدلال على من يحبه .

(٢) المحفل المبالة في الاحياء ، والمعنى : لو كنت حين أردت الاحياء أهديت هوى لاخسرت ، هل أنها غاية ما أحفل وأبالغ في تقديمه إليك هدية . (٣) الأسواء : جمع سوء والأبوس جمع بؤس .

(٤) الأخرس : المحصور ، جمع حرس يفتح نسكون وهو الدهر .

(٥) الملك العظيم الاحسان الذى ظهر من الثناء بما لم يظفر به غيره ، من آيات الحمد .

(٦) إذا رام الحسن اللين أن يصف مجده أعياء الحرس لأنه يحاول بذلك أن يظفر بالاستعجل .

(٧) الظلام .

جواب

« كتب الوزير الفقيه صاحب الأحكام والأحكام

« أبو طالب بن مكي » يتين وهما :

« يا بعيد الدار موصو »

لا قلبي ولساني

ربما باعدك الله

وفادتك الأمانى . »

فكتب إليه الأبيات التالية : «

لَا أَفْتِنَانِ كَأَفْتِنَانِي فِي حُلَى الطَّرْفِ الْحِسَانِ (١)
خَصَّنِي بِالْأَدَبِ اللَّهُ فَأَعْلَى فِيهِ شَانِي
خَاطِرِي أَنْفَذَ - نَهْمًا قَيْسَ - مِنْ حَدِّ السَّنَانِ

* *

أَيُّهَا الرُّسُلُ أَطْيَا رَ الْمَعْنَى لِامْتِنَانِي
هَآكِ كَيْ تَزْدَادَ فِي الْأَدَابِ عِلْمًا يُمْكِنِي
قَدْ أَتَيْنَا الطَّرِيقَ تَشْدُو بَعْضَ أُنْيَاتِ الْأَغَانِي
بِرِطَائِنٍ قَصَصْنَا مَا اقْتَصَصْنَا مِنْ يَكَانِ

* *

إِنْ تَفَنَّى الْبُلْبُلُ أَهْتَاجَ غِنَاءِ الْوَرَشَانِ (٢)

(١) قال في اللسان : انظر البراعة وذلكاء القلب بوصف به الفتيان الأزوال والفتيات الزولات ولا يوصف به الشيخ ولا السيد ، وقد وصف الحسان بالطرف مبالغة ، ويجوز أن يكون انضم جمع ظرفه ، فإنه يجمع على ظرف يضمين ، والاسكان في مثل جئز ، وللمنى : ليس يعيد أحد - كما أبيد - الافتنان في صوغ تلك الحلى الحسان التي يملها الطرف والمبالغة .

(٢) الورشان : طائر لجه - فيما يقولون - أخف من الحمام ، وللمنى : أن غناء البلبل يحتاج غناء الورشان .
يشعر بذلك إلى أن شعر سديقه الوزير احتاجه فرك فيه بواض الشعر كما احتاج غناء البلبل غناء الورشان .

فَتَأْدَى مِنْهُ يَتَا غَزَلٍ مُتَفَرِّدَانِ
لِجَبِّ فِي حَبِيبٍ عَنْهُ نَأْمٌ مِنْهُ دَائِبٌ :
« يَا بَيْدَ الدَّارِ مَوْصُو لَا يَفْلِي وَلِسَانِي
رُبَّمَا بَاعَدَكَ الدَّهْرُ فَأَذْنُكَ الْأَمَانِي »

كن كيف شئت

يَا غَزَلًا أَسَارَنِي مُوثِقًا فِي يَدِ الْمَحْنِ
إِنِّي - مَذْهَجَرَتْنِي - لَمْ أَذُقْ لَذَّةَ الْوَسَنِ
أَيَّتْ حَظِّي إِشَارَةٌ مِنْكَ، أَوْ لَحْظَةٌ عَنْ^(١)
شَافِعِي يَا مُعَذِّبِي فِي الْهَوَى وَجْهَكَ الْحَسَنِ
كُنْتُ خِلْوًا مِنَ الْهَوَى قَانَا الْيَوْمَ ثَمَرَتَيْنِ^(٢)
كَانَ بَرَرِي مَكْتَمًا وَهُوَ الْآنَ قَدْ عَلَنَ^(٣)
لَيْسَ لِي عَنْكَ مَذْهَبٌ فَكَمَا شِئْتُ لِي فَكُنْ^(٤)

(١) يقول : إني اتنع منك بالي، التليل النافه وأكثي بأن يكون دخل من جبك إشارة أو لفظة سرية وقد دار الشعراء حول هذا المعنى ، ولعلَّ أجمع ما قيل فيه قول جميل بنيتة :

« وَإِنِّي لَأَرْضِي مِنْ بَيْتَةِ الْهَدَى لَوْ أَبْصَرَهُ لَوَاسِي لَوَاسِي لَمَرَّتْ بِلَايَ
بَلَا ، وَيَأَلَا أَسْتَطِيعُ ، وَبِلَانِي ، وَيَأَلُمُ الْمَرْجُو قَدْ خَابَ آمَلُهُ
وَبِالْنَظَرَةِ الْمَجْلُ ، وَيَالْهَوْلَ تَغْضَى أَوَاخِرُهُ - لَانْتَقَى - وَأَوَاتِيهِ . »

(٢) الخلو : الخالي . يقول « كنت طليقاً خالياً من إيسار الهوى فصرت اليوم أحريراً متهرباً . »

(٣) يقول : « كان سرى خائياً لا يعلمه أحد فأصبح مطناً ، وما أجل قول سرّ ود في حبيبه هذا المعنى

« وقد كشف النطاء فما نبأني أصرحنا بذكرك أم كنبنا

نائباً من ثمامات مجزوى وبنت الرمل يعلم من عتبنا

ولو أنا فتادى « ياسليمي » قالوا : ما عتبت سوى ليبي »

(٤) يقول : « لا لك لك لي من إيسار جبك فاستمع لي ما أنت صالح . »

حنين

هل رَاكِبٌ ذَاهِبٌ عَنْهُمْ يُحْيِي
 قَدْ مِتُّ إِلَّا ذَمًّا فِي يُمُسْكُهُ
 مَا صَرَخَ الدَّمْعُ مِنْ عَيْنِي وَأَمْلَقَهُ
 صَبْرًا لَعَلَّ الَّذِي بِالْبَعْدِ أَمْرَضَنِي ،
 كَيْفَ أَصْطَلِبَارِي وَفِي كَانُونٍ^(١) فَارَقَنِي
 شَخْصٌ يُدْكَرُنِي قَاهُ وَغُرَّتُهُ
 لَنْ عَمَلِشْتُ إِلَى ذَلِكَ الرُّضَابِ لَكُمْ
 وَإِنْ أَفَاضَ دُمُوعِي نَوْحٌ بِأَكِيَّةٍ
 وَإِنْ بَعُدْتُ وَأَسْتَنْتِي الْهُمُومُ لَقَدْ
 أَوْحَلَّ عَقْدَ عَزَائِي نَائِيَةً فَلَكُمْ
 إِذْ لَا كِتَابَ يُؤَافِيَنِي فَيُحْيِيَنِي^(٢)
 أَنَّ الْفَوَادَ يُلْقِيَاهُمْ يُرَجِّيَنِي^(٣)
 إِلَّا أَعْيَاذُ أَسَى فِي الْقَلْبِ مَسْجُونٍ^(٤)
 بِالْقُرْبِ يَوْمًا يُدَاوِيَنِي فَيُشْفِيَنِي
 قَلْبِي وَهَاتَمُنْ فِي أَعْقَابِ نَشْرِينٍ^(٥)
 شَمْسُ النَّهَارِ وَأَفْكَاسُ الرِّيحَيْنِ
 قَدْ بَاتَ مِنْهُ يُسْقِيَنِي فَيُزَوِّيَنِي
 فَكَمْ أَرَاهُ يُغْتَبِيَنِي فَيُشْجِيَنِي^(٦)
 عَهْدَتُهُ وَهُوَ يُدْنِيَنِي فَيُسْلِيَنِي
 حَلَلْتُ عَنْ خَضِرِهِ عَقْدَ الثَّمَانِينِ^(٧)

(١) حل يوافيني رسول من قبل من أحب فيعمل لي تحيتهم بعد أن حرمت كتبهم التي كانت تليد إلى الحياة .
 (٢) لقد كنت أحسب في عداد الملوك لولا بقية ظلية من الروح ببشرها في الرجاء والامل في آفاتهم .
 قال ابن الرومي في رثاء ابنه :

« ولقد تعزى القلب سلوته أي بأن أهلك مرتين . »

(٣) لم يغنى دمي إلا ذكريات مؤلة مسجونة في قفي تتنادى حيناً بعد حين وتطيف بنسي فتطلق
 الدمع وتسرعه . (٤) شهر من شهور الشتاء وهو ديسمبر ، قال أبو العلاء :

مضى كانون ما استصلت فيه حيم الماء ، فأقدم يا شبيباً

تتأهب أُنس الحشرات تنسى يكون لمن بالصيف ارتطام

(٥) شهر من شهور السنة الرومية وهو يوافق ١٤ أكتوبر ، وما تمرينان أحدهما في ١٤ أكتوبر
 والثاني في ١٤ نوفمبر ، ولعل المراد تمرين الثاني . (٦) في الأصل : فيروني .

(٧) عقد هزائي : العقد ضد الحلق ، والمزاد : الصبر ، والثاني : البعد وعقد الثمانين : أحد عقد
 الأصابع التي يجمع بها عدد الثمانين والاشارة إلى عقد الثمانين تكون بيد الإبهام والسبابة مما تلاصقتين
 بلا فرجة ظاهرة بينهما ، وللمنى : لئن حل تأى الحبيب وبعد عقد هزائي وسلواتي عنه ، فكثيراً ما حلت
 عن خصره لظافاً يشبه في الضيق عقد الثمانين ، وهذا الخصر الذي وصفه ابن زيدون يندق في الزم ،
 ويلطف في الخيال والحس إلى حد أن لا يمتد له على شيء ومثل حق ولا في خصور التاحلات الرشيقات



يَا حُسَيْنَ إِشْرَاقِ سَاعَاتِ الدُّنُوبِ بَدَتْ كَوَاكِبُهَا فِي لَيْلِي بُنْدِهِ الْجُودِ (١)

من نبات أوروبا وباريس في العصر الحاضر عصر التنفيع في الرخافة ، ودقة الحسوس ، والانفراط في تنسيق عقد النطاق .

عقد الأصابع

لما كانت كلمة « عقد الثمانية » الواردة في بيت « ابن زيدون » هذا لا يبين فيها وجه التعقيد والمبالغة التي يصعد إليها ابن زيدون أحياناً ، إلا بسد بيان ما تدلّ عليه عقد الأصابع من الأعداد الرئيسة الحساب ، وهو اصطلاح قديم استعمله العرب ، وجاء في الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم عقد ثلاثة وعشرين في التمسيد ، أي بجنس الخنصر والبنصر والوسطى على هيئة خاصة تدلّ على العدد المذكور ، فتمنح لمتطرد بثلثين ماهو مبسوط في بعض كتب الآفة والنحو متعلقاً بهذا الموضوع فنقول :

جسولوا للدلالة على الأحاد من أصابع اليد اليمنى الخنصر والبنصر والوسطى ، وقامرات إلى التسمين الوسطى والسيابة .

فالعدد الدالّ على الواحد يكون بإصبع الخنصر يماثل الكف مع بسط سائر الأصابع ، وعلى الايمن بإصبع البنصر معاً كذلك ، وعلى الثلاثة بضم الوسطى إليهما كذلك ، وعلى الأربعة بإصبع البنصر والوسطى وحدهما كذلك ، وعلى الخمسة بإصبع الوسطى وحدهما كذلك ، وعلى الستة بإصبع البنصر وحدهما كذلك ، وعلى السبعة بإصبع الخنصر وحدهما ممدودة إلى أسفل الكف على شكل يخالف شكل الواحد .

وعلى العشرة بوضع ظفر السيابة في وسط باطن أنفة الإبهام بحيث يحصل شكل حقة ، ولكن مع نشوز رأس الإبهام بقدر نصف الأنفة ، وعلى العشرين بضم رأس باطن السيابة إلى باطن رأس الإبهام على هيئة لافط الأبرة ، وعلى الأربعين بوضع باطن أنفة الإبهام على ظاهر أصل السيابة مما يلي الكف ، وعلى الخمسين بوضع الطرف الأيمن للإبهام على عز القعدة السفلى للسيابة بحيث تكون قائمة ، والجانب الأيمن للإبهام منعياً عليها ، وعلى الستين بوضع باطن أملي أنفة الإبهام على باطن أملي أنفة السيابة ، بحيث تكون السيابة على شكل قوس وتره الإبهام ، وعلى السبعين بوضع حرف ظفر الإبهام على القعدة الوسطى لباطن السيابة على هيئة راي الحصاة بالخنفر « وهو رى منار الحصى بعد أخذها بين طرف السيابة والإبهام » ، وعلى الثمانين ببسطهما مما لاصتين بلافجة بينهما كما أسلفناه في شرح البيت اتقى نحن بعده ، وعلى التسعين بطي السيابة إلى أصلها ووضع الإبهام على ظهر القعدة الوسطى للسيابة كما تنحوى المية .

وجسولوا للدلالة على الثلاث من أصابع اليد اليسرى السيابة والإبهام طبق ما في اليد اليمنى .

فالمائة في اليسرى كالعشرة في اليمنى ، وللكتمان كالعشرين ، وهكذا إلى التسعمائة ، والألف في اليسرى كالواحد في اليمنى ، والألف كالثنتين ، وهكذا إلى تسعة آلاف ، والعشرة آلاف بضم أعلى السيابة والإبهام بطناً لبطن ، وتتمثل عقد أصابع اليدين مائة للدلالة على الأعداد المركبة من الأحاد والعشرات وثلثات والآلاف بنسب الجينات للتمسمة .

(١) أي أن ليالي الوصال تبدو مضيقات لامعات في ليالي الباد السود .

وَاللّٰهُ مَا قَارَعُونِي بِاخْتِيَارِهِمْ وَإِنَّمَا الْدَّهْرُ بِالْمَكْرُوهِ يَزْمِينِي
وَمَا تَبَدَّلْتُ حُبًّا غَيْرَ حُبِّهِمْ إِذَا تَبَدَّلْتُ دِينَ الْكُفْرِ مِنْ دِينِي ^(١)
أَفْدَى الْحَيِّبِ الَّذِي لَوْ كَانَ مُقْتَدِرًا لَكَانَ بِالنَّفْسِ وَالْأَهْلِينَ يَفْدِينِي
بَارَبِّ قَرَبٍ - عَلَى خَيْرٍ - تَلَاقَيْنَا بِالْعَالَمِ السَّعْدِ وَالطَّيْرِ الْمَيَّامِينَ .

في الغزل

أَيُّوحُسْنِي الزَّمَانُ وَأَنْتَ أَنْسَى وَيُعْظِمُ لِي النَّهَارُ وَأَنْتَ تَحْسِنِي
وَأَغْرِسُ فِي حَبَّتِكَ الْأَمَانِي فَأَجْنِي الْمَوْتَ مِنْ نَمَرَاتِ غَرَمِي ^(٢)
لَقَدْ جَارَيْتَ غَدْرًا عَنِّي وَفَاقِي وَبَعَثَ مَوَدَّقِي ظُلُمًا يَخْسِي
وَلَوْ أَنَّ الزَّمَانَ أَطَاعَ حُكْمِي فَدَيْتَكَ - مِنْ مَكَارِهِهِ - بِنَفْسِي ^(٣)

في بعض مجالس الأنس

يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ الْجَبِلُ بِكُلِّ أَلْسِنَةٍ جَلَالُكَ
انْظُرْ إِلَى عُثْلَتِكَ ^(٤) قَدْ زَانَ سَاحَتَهُ اخْتِلَالُكَ
نَهْرٌ وَرَوْضٌ نَحْنُ يَنْتَهَمَا ثَقِيْدُنَا ظِلَالُكَ ^(٥)
قَدْ فَاضَ فِي هَذَا نَدَا لَكَ وَاعْتَمَتْ هَذَا خِلَالُكَ .

(١) إن إيماني بجهنم كما إيماني بدني سواء سواء وليس في مقدور أمد أن يدلي بمن أحب إلا إذا استطاع أن يظلي من ديني إلى الكفر .

(٢) يقول : « هل من العمل أن أكثر من الآمال والأمان فلا أجد من ذلك شيء إلا الاخفاق :

(٣) ليت الزمان قبل حكمي ، اذن لعديتي نفسي ، وإلا كنت لا تجازيني بحبي إلا بالضرر .

(٤) المكان الذي حلقنا فيه .

(٥) وفي الأصل : « مؤلفنا ظلالك . » والظلال : ما أظلك من سحب ونحوه ، وظلال البحر : أمواجه ، وللصعود هنا التيمم والراحة ، ولما كانت بلاد العرب في غاية الحرارة وكان الظل تنعم من أعظم أسباب الراحة جلوه كناية عن الراحة .

شكوى وألم

« قال في مدح ابن جهور »

أَلَمْ يَأْنِ أَنْ يَنْكِى النَّمَامُ عَلَى مِثْلِي وَيَطْلُبَ ثَأْرِي الْبَرْقُ مُنْصَلِتَ النَّصْلِ^(١)
وَهَلَّا أَقَامْتَ أَنْجُمُ اللَّيْلِ مَا تَمَّا لَتَنْدُبَ فِي الْآفَاقِ مَا ضَاعَ مِنْ تَحْلِي^(٢)
وَلَوْ أَنْصَفْتِي - وَهَى أَشْكَالُ هَمِّي - لَأَلْقَتْ بِأَيْدِي الذُّلِّ لَمَّا رَأَتْ ذُلِّي
وَلَا فَرَّقَتْ سَبْعُ الثُّرَيَّا وَقَاضِيَا^(٣) بِمَطْلَمَهَا مَا فَرَّقَ الْدَهْرُ مِنْ تَحْمِلِي

* □

لَتَمَرُّ اللَّيَالِي إِنْ يَكُنْ طَالَ تَرَعُهَا لَقَدْ قَرَّمْتَ بِالْبَثْلِ فِي مَوْضِعِ الثَّبَلِ^(٤)
تَحَلَّتْ بِأَدَائِي وَإِنْ تَأْوِي لَسَاحِمَةٌ فِي عَرَضِ أُمْنِيَةِ عَطَلِي
أَخْصَ لِفَهْمِي بِالْقَلْبِ وَكَأَنَّمَا يَبِيتُ لِيذِي الْفَهْمِ الزَّمَانُ عَلَى دَحَلِ^(٥)
وَأَجْنَى عَلَى نَفْطِي لِكُلِّ فَلَادَةٍ مُفْصَلَةِ السَّمَطَيْنِ بِالْمَنْطَلِقِ الْفَصَلِ
وَلَوْ أَنِّي أَسْطِيعُ كَيْ أَرْضَى الْعِدَا شَرِبْتُ يَمْنَى الْجَلْمِ حَطًّا مِنَ الْجَهْلِ^(٦)

(١) الذى فى الأمل المتقول « ألم بأن أن ييكى الحمام على قتل » والذى أبتناه هنا هو ما علقناه من الذخيرة لابن بسام وهو أنسب مما ذكر فى الأصل لأنه يريد من الطيبة أن تبكى لكائه ، وتأمر من أعدائه .

(٢) تلى : أى ما اعتقله واستخرجته فى حياته من جلاء ومنصب ومال .

(٣) قاضيا : فيضها أى أخفاها .

(٤) نزعها : جنبها وتر الفرس مصوبة نحوى سهام للعائب ، وقرطس : أى أصاب القرمطاس ، وهو فرض من آدمي يتخذ لفضال وتصيد الزمالة .

(٥) القلى - بالكسر - البض ، والقلى الثأر ، يريد أن يهزم من أهل الجهل نالوا المظوة والقرى ، وهو لئله ، خص بالقلى ولبيد وكأله قد جنى على الزمان فبات يطالبه بثأره .

(٦) الجلم : القمل ، والمط : التعصب . يقول : لو أستطيع لمرضاء العدا وشفاء ما فى قلوبهم من الحقد لاستبدت بهم - يسير من الجهل ، خطا عظميا من القتل .



أَمْقُوتَلَةَ الْأَجْفَانِ مَالِكٍ وَالْهَامِ أَلَمْ تَرِكِ الْأَيَّامَ نَجْمًا هَوَى قَبِيلِ (١)
أَقْلَى بُكَاءٍ لَسْتُ أَوَّلَ حُسْرَةٍ طَوْتُ بِالْأَسَى كَشْحًا عَلَى مَضْضِ الشَّكْلِ (٢)
وَفِي « أُمِّ مُوسَى » عِبْرَةٌ أَنْ رَمَتْ بِهِ إِلَى الْيَمِّ فِي التَّابُوتِ فَأَعْتَبِرِي وَأَسْلِي (٣)
لَعَلَّ الْمَلِيكَ الْمُجْمِلَ الضَّنْعَ - قَادِرًا لَهُ - بَعْدَ يَأْسٍ سَوْفَ يُجْمِلُ صُنْعًا (٤)
وَلَهُ فِينَا عِلْمٌ غَيْبٍ وَحَسْبُنَا بِهِ - عِنْدَ جَوْرِ الدَّهْرِ - مِنْ حَكَمٍ عَدَلِ (٥)



مُهَامٌ عَرِيقٌ فِي الْكِرَامِ ، وَقَلَمًا تَرَى الْقَرْعَ إِلَّا مُسْتَعْدًّا مِنْ الْأَصْلِ
نَهْوُضُ بِأَعْيَابِ الْمَرْوَةِ وَالثَّقَى - حُوبٌ لِأَذْيَالِ السِّيَادَةِ وَالْفَضْلِ
إِذَا أَشْكَلَ الْخَطْبُ اللَّيْلُ فَإِنَّهُ وَآرَامُهُ كَالْخَطِّ يُوصَحُّ بِالشَّكْلِ



وَذُو تُدْرَا لِلْعَزَمِ - نَحْتِ أَنْاتِهِ - كُمُونُ الرَّدَى فِي قَرَّةِ الْأَغْنِ النَّجْلِ (٦)

(١) أمقوتلة الأجفان ، الهزلة فيه لنداء أي يامن في أجفانها فتور وتكر ، ولولاه : للشديدة الحزن على
قد ولدها شبيها في شدة حزنها على نجمه الماوى في غيابة السجن بالمرأة التكل التي لا تغتر أجفانها الفاترة
الفرحة من البكاء لقد الحبيب .

(٢) الكشح : المخامرة ، وطوى كشمه على كذا استمر عليه ، والضض : ألم للميبة ، والشكل -
بالضم - قدان الولد والحبيب : أي لا تبكى باستمرار فلتست أول مرة لازمة وجع مصيبة التكل .

(٣) يشير بهذا إلى قوله تعالى : « وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه فإذا خفت عليه فألنيه في اليم ولا
تخاف ولا تحزنى إنا رآدوه إليك » أي اعتبرى بهذه القصة واصبرى .

(٤) لعل الملك المتاد صنع الجميل - قادرا لصنعه قدره - سوف يعمل على خلاصى بعد يأس .

(٥) على هذا البيت بيت وجد في الأصل نائضا هكذا :

..... آل جهور مستحکم الأسباب مستعد الحبل

(٦) ذو تدرا - بالضم - أي ذو عدة وقوة على مضادة أعدائه إذا وجه عزه من لعل أسر كن الردى
نحت تأنيه كونه نحت نور الأعين النجل أي المولسة جمع نجله ، واستعمل الفقرة بمعنى انكسار جفون
العين وضعفها ليعقد بينها وبين الأناة مناسبة وموافقة .

يَرَفَ عَلَى - التَّامِيلِ - لَأَلَا بِشِرِّهِ
تَحَامِسُنْ مَا لِلْحُسْنِ فِي الْبَذْرِ عِلَّةٌ
تُغِصُّ ثَنَائِي مِثْلًا غَصَّ جَاهِدًا
وَقَفْنِي عَنِ الْمَدْحِ بِاِكْتِفَاءٍ بِسُرُوحِهَا -
كَارَفَ لَأَلَا الْحُسَامِ عَلَى الصَّقْلِ (١)
سَوَى أَنَّهُ بَأَتْ تُمْلُ فَيَسْتَمْلِي (٢)
سَوَارِ الْفَتَاةِ الرَّادِ بِالْمَنْصَمِ الْخَذَلِ (٣)
غَنَى الْمُقَلَّةِ الْكُحْلَاءُ عَنْ زِينَةِ الْكُحْلِ

* *

« أُنَا الْحَزْمِ » إِي فِي عِتَابِكَ - مَائِلٌ
تَحَامِسُ شَكْوَى صَبَّحَتَكَ هَوَادِلًا
جَوَادُ إِذَا اسْتَنْتَ الْجِيَادُ إِلَى مَدَى
تَوَى صَافِنَا فِي مَرْبَطِ الْهُونِ يَشْتَكِي
عَلَى جَانِبِ - تَأْوِي إِلَى الْعَلَا - سَهْلٍ
تُنَادِيكَ مِنْ أَفْنَانِ آدَابِي الْهُدَلِ (٤)
تَمَطَّرَ فَاسْتَوَلَى عَلَى أَمْدٍ الْخَصْلِ (٥)
بِتَضَاهِيهِ مَا نَالَهُ مِنْ أَذَى الشُّكْلِ (٦)

(١) يرف - بالكسر - يرق ويلا، أى يلوح لألا بهر مع التأمل كما يبدو بريق السيف ولما حين تملعه وتجلوه .

(٢) تمل مضارع أمل : يقال أملاه القول وأمله ألقاه عليه ليكتبه ، ومنه قوله تعالى : « وقلوا أساطير الأولين » اكتنبا فهي تمل عليه ، وقوله تعالى : « فليدلل ولي بالهدل » واستعملته الكتاب طلبت أن يمل عليه ، أى هذه محاسن المدوح الشبيه بالبر لا يجب فيها سوى أنها بانت تمل على الشاعر وهو يكتب ، ويستكتبها فتمليه .

(٣) تنص ثنائي : أى تجعل نص كما ينص الشارب بالماء فلا يمكنه أن يستوفي هذه المحاسن كلها أو بعضها ، وكما ينص سوارا الفتاة الراد أى التي ترود بيوت جاراتها بالمصم الخذل - بالالف المجمة - أى الخلل فلا يجرؤ (٤) الهوادل : جمع هادله ، والهدل : صوت الحمام ، والهدل : جمع أهله ، وهو صفة الأفنان ، يقال : تهدت أفنان الشجرة أى تدل - يمل شكوى رفعها إليه بالحمام الهوادل تناديه بهديها من أعلى شجرة الأدب وتد تدل أفنانها ، وتهدت أخصانها .

(٥) استنت الجياد : مضت على وجهها في السباق ، وللدى : الغاية تمطر : جاء إلى النابة مسرعا ، فاستولى على الخصل : غلب على الزمان - يصف الشاعر نفسه بالبق على غيره .

(٦) توى : أتم ، والمانن : من الجياد الذى ظم على ثلاثة قوائم وقلب حافر الزابطة ، والشكل - يتجحض يكون - شد قوائم الدابة بالمشكال - يصف حاله في محبه وما يبتغى من الشكوى بحال الجواد اللقي على الهون يشكو بصماله ، أذى شكله ، قال ابن بسام في القهيرة : « وقوله توى صاننا » كنول للتضي : « وإن تكن محكمات الشكل تمنى ظهور جرى فلي فيهن نهال . »

* *

أَفِي الْمَدَلِ أَنْ وَافَقَكَ تَتَرَى رَسَائِلِي قَلَمٌ تَتَرَكُنْ وَضَعًا لَهَا فِي يَدَيَّ عَدَلٍ
أَعِدُّكَ لِلْجَنَى وَأَمْلُ أَنْ أَرَى بِشُمُوكَ مَوْسُومًا وَمَا أَنَا بِالْمُفْلٍ
وَمَا ذَاكَ وَعَدُ النَّفْسِ لِي مِنْكَ بِالْمُنَى كَأَنِّي بِهِ قَدْ شَمَعْتُ بَارِقَةَ الْمَحَلِّ (١)

* *

أَنْ زَعَمَ الْوَأَشُونَ مَا لَيْسَ مَزْمَعًا تُعَذِّرُ فِي تَفَرِّي وَتُعَذِّرُ فِي خَدَلِي
وَأَصْدَى إِلَى إِسْعَافِكَ السَّائِعِ الْجَنَى وَأُخْضِي إِلَى إِصْصَافِكَ السَّابِغِ الظِّلِّ (٢)
وَلَوْ أَنِّي وَافَقْتُ عَمْدًا خَطِيئَةً لَمَا كَانَ بِدَعَائِمِنِ سَجَايَاكَ أَنْ تُعْلِي (٣)
قَلَمٌ اسْتَبْرَحَ حَرْبَ «الْفِجَارِ» وَلَمْ أُطِيع «سُتَيْلَةَ» إِذْ قَالَ: إِنِّي مِنَ الرُّسُلِ (٤)

(١) في معنى هذه الآيات يقول ابن الرومي صاحبها :

« إذا أنت أزمعت السنية مرة فلا تقصر ماء السنية بالطل
ولا تخطط الحسنى بسوء فاته يحسبنا أن نخط للشكر بالعدل
أرضى بأن تكى بهل وإن ترى وما يطلب الحاجب عندك بالهل
أنت لمتاق للكلام أن ترى موايدهم مثل البوارق في المحل . »

(٢) أصدى : مضارع صدى - بالكسر - أي أعطش ، وأخضى مضارع كل من هما وخضى - بالفتح
والكسر - أي أبرز للشمس ، ومنه قوله تعالى : « وأنت لا تعلم فيها ولا تضحى » واستعمله هنا
في البروز إلى إصصافه السابغ الظل ، لا في البروز إلى الشمس ، وبعد هذا البيت وجد في الأصل بنس بيت
على هذه الصورة :

وحاشاك رام المنب إبلاغ سمحه فصح

(٣) وافتت دأيت ، وعلى تهمل ولا تسجل العقوبة ، أي لو أنني دأيت متمسكاً لونغ في الخطيئة لم يكن
من سجاياك غير الغف والأهمل .

(٤) يقول : إن عفوني صغيرة لا ينبغي أن تجسم إلى حد أن أكون كثير حرب الفجار أو كلطع ميلة
في دهواء الرسالة ، والفجار : بالكسر بمعنى اللعابة كالقتال ولغاظة ، وسيت حرب الفجار لأن العرب
جروا فيها إذ ماتوا في الأعراس الحرم ، وكانت العرب قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم أربع فجارات
أغرمها حرب الفجار التي ذكرت في كتب السير ، وكانت بين قريش ومن معها من كثافة ، وبين قيس عيلان
ووجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بنس أيامها ستة همرون سنة ولم يقاتل ولكنه كان ينبل على
أحمامه أي يرد عليهم نبل همومهم إذا رموم ، وأما « مسيلة » فكان من خبره أن وفد مع قومه

وَمِثْلِي قَدْ تَهَفُّوْهُ نَشْوَةُ الصَّبَا
وَمِثْلِي قَدْ تَهَفُّوْهُ نَشْوَةُ الصَّبَا
وَإِنِّي لَتَنْهَانِي ثَمَائِي عَنِ السَّبَا
أَشَادَ بِهَا الْوَائِي وَيَعْقِلُنِي عَقْلِي^(١)

* *

أَأَنْكُتُ فِيكَ الْمَذَحَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِي
وَلَا أَقْتَدِي إِلَّا بِنَاقِضَةِ الْفَزْلِ^(٢)
ذَمَّمْتُ إِذَا عَهْدَ الْحَيَاةِ وَلَا يَرْكُنُ
مُرًّا عَلَى الْأَيَّامِ طَعْمُهُمَا الْمَحَلِي^(٣)
وَمَا كُنْتُ بِالْمُهْدَى إِلَى السُّودَدِ الْخَلَا
وَلَا لِي لَا أَثْنِي بِآلَاءِ مُتَمِّمِ
هِيَ النَّعْلُ زَلَّتْ بِي، فَهَلْ أَنْتَ مُكْذِبُ^(٤)
وَهَلْ لَكَ فِي أَنْ تَشْفَعَ الطُّوْلُ شَافِعًا
فَتَنْجَحَ مَيْمُونُ النَّقِيبَةِ أَوْ تُثْلِي^(٥)

« من حنيفة » على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولما رجع ومن معه من قومه إلى « البصرة » ادعى النبوة ، وأنه أترك مع محمد بالأمر ، واجتمع عليه « بنو حنيفة » وكانوا أربعين ألف مقاتل ، وفي عهد الخليفة « أبو بكر » رضى الله عنه أرسل إلى إليه « خالد بن الوليد » على رأس جيش ، وجرت حرب بين الله بين اثنين قتلت « حنيفة » وتفرق أصحابه .

(١) نهای أى عقلی فاسد . تمهله مفردا ، قال فى اللسان : « والتهى العقل يكون واحدا وجما ، وفى التزئیل العزیز : إن فى ذلك لآیات لأولی النهی » اه ، وكان علیه حیث اعتبره ، فخره وأذانه إلى نفسه أن یبرد الفعل من علامة التأنیث إلا أن یركون قد أراد جمع نیه ، وأن عقله لقوته بمثابة نهى متددة ، من التی : أى حمة التی ، أشاد بها : أشاعها وناد بها ، وعقلی یحبس وعقلی .

(٢) ناقضة الفزل ، فى الكشف عند قوله تعالى : « ولا تكونوا کالتی غضت غزلهما من بعد قوة أنكاهن » قبل هی ریطة بنت سعد بن جمیع وکانت خرافة تخلفت مغزلا بقدر ذراع ، وصاروة مثل أصبع ، وما لک عقیبة على قدرها ، فكانت تفزل هی وجواربها من الفداء إلى الظاهر ، ثم تأمرهن فیقتضن ما فزلن .

(٣) ممرًا من أمر الطعام صیره مرا ، والمحل اسم مفعول من حلیت العیش أحلاه أى استحلته .

(٤) الخطة والبنامة ، والحمل - بالکسر - وه الضب ، ویکنی الضب : « أبا الحمل » .

(٥) تشفع : من قولهم شفع الوتر من المدد شفعاً صیره زوجاً ، والطول : القدرة والقفل ، وتثلی : تقيع مضارع أثلیه بإیه أثبتیه ، والمعنی هل لك أن تقم لى طرولک وإحسانک شامناً منك تشفع لى فى المخلص من السجن لتسقطى بإدراك حاجی فى حال کونک ميمون النقیبة أو تثلی أى تقيع الاحسان والتشافة بأشغالها : هذا مبلغ ما یفهم من البیت ، وقد وجد فى الأصل « تثلی » بالباء للوحدة ، وقد فهمنا من السياق أنها تثلی لا تثلی لیتناسب قوله « تشفع » أى تقم .

أَجْرٍ أَعْدَّ آمِنْ أَحْسَنِ أَيْدٍ أَعْدَا كَفَّ حُطَّ تَحَفَّ أَنْبِطُ اسْتَأْنَفَ مِنْ أَحْمَرِ اصْطَنَعَ أَعْلَى^(١)
مُنَى - لَوْ تَسْتَى عَقْدُهَا يَدِ الرِّضَا - تَيْمَّرَ مِنْهَا كُلُّ مُسْتَنْصَبِ الْحَلَا^(٢)

أَلَا إِنْ طَلَى - بَيْنَ فِعْلَيْكَ - وَأَقِفَ[✱] وَتَوَفَّ الْمَوَى بَيْنَ الْقَطِيعَةِ وَالْوَصَلِ
فَلَنْ تُنَمَّ لِي مِنْكَ الْأَمَانِي فَشِيمَةُ لِنَاكَ الْفَعَالِ الْقَصْدِ وَالْخَلْقِ الرَّسْمِلِ^(٣)
وَالْأَجْنَيْتُ الْأَنْسُ مِنْ وَحْشَةِ النَّوَى وَهَوَلِ الشَّرَى بَيْنَ اللَّطِيعَةِ وَالرَّحْلِ^(٤)

سَيَحْنِي بِمَا ضَيَّعْتُ مِنْهُ حَافِظُ[✱] وَيُلْقِي لِي أَرَحَصْتُ مِنْ خَطَرِي مُنْطَلِ
وَأَيْنَ جَوَابُ عَنْكَ تَرْضَى بِهِ أَمَلًا إِذَا سَأَلْتَنِي بَعْدَ أَلْسِنَةِ الْحَقْلِ^(٥)

(١) في هذا البيت كما يرى القاري محاكاة لقول المتنبي ، وقد سئل بيتاً يضمن أكثر ما يمكن من

الحروف ، فقال :

« عش ، ابق ، اسم ، سد ، جد ، قد ، سر ، انه ، اسر ، له ، تسل

فظ ، اوم ، صب ، احم ، اغز ، اسب ، وع ، زع ، دل ، اث ، نل

وممنا دعاء لو سككت كفتيه لأن سألت الله فيك ، وقد فصل . »

وخبر من هذه المعاطلة قول ابن الرومي :

« أغلى ، ورفق ، وأجل ثوبق وثابر على إقرار يرى وواظب

لأيتني جمواك - وهي سمية من اقم - ما فيها اعتلال لمائب . »

(٢) لو تسى : أى تسهل وتيسر أحكام أمرتك التي بيد المدحج لتسهل منها ما استصعب حله .

(٣) تمن : تهر من مناه الله بمنه قهره ومنه قول الشاعر :

« لا تأمن الدهر في حل ولا في حرم إن الدنيا توافي كل إنسان

واساك طريقك فيها - غير محتم - حق تلاق ما معنى لك الذي . »

أى يقدرك القادر ، والفعال - بالفتح اسم جامع لكل فعل حسن ، والقصد التوسط بين طرفي الافتراء

والافتراء ، والرسل - بالكسر - الرضى والثناء يقال أحسن كذا على رسلك أى على هيئتك وليس مراداً

هنا بل المراد الرسل - بالفتح - أى السهل يقال سهر رسل أى سهل .

(٤) وإن لم يدر الله حصول تلك الأمانى على يدك ولم تجر على عادتك وخلفك في إساق مجادتي فأخلق

سراحي لأضرب في الفياق وأجنى من وحشة النوى وهول البرى أنسا .

(٥) وأين جواب عنك أى بماذا يكون جوابي عنك إذا سئلت عما أسديت من معروف أو قدمت من

معوة . قال ابن بسام في باب اللوازة والتقد : « وأين جواب فيك ترضى به الملا » مأخوذ من

قول الآخر :

« فاختر لك ما أقول فاني لا بد أخبرهم وإن لم أسأل . »

جواب

« كتب اليه الوزير الكاتب أبو بكر بن القصبيرة
في يوم أخذ فيه دواء :

مولاي نفسي إلى مطالعة الـ

حسنى بقى الدواء مطالعه

وكيف ذاك الحس الذي وقد

بأثر تلك المذاقة البشعة

وددت لو أننى خصصت بما اـ

تبشفت منه وحزت منتفحه

أعقبك الله من فظاعته

أسوغ صنع في مثله صنعه

بصحة تصحب الزمان قـ

ليه وتقى جديدة نصعه

فأنت روح العلاء نسأه اـ

له وشمل الوفاء لا صدعه

جوابه ابن زيدون : «

قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ فِي الذِّي صَنَعَهُ عَارِضُ كَرْبٍ بِلُطْفِهِ رَفَعَهُ

تَبَارَكَ اللَّهُ إِنْ عَادَةَ حُسْنَاهُ - مَعَ الشُّكْرِ - غَيْرُ مُنْزَعَةٍ

✽ ✽

يَا سَيِّدِي الْمُسْتَجِدَّ^(١) مِنْ مَقَتِي^(٢) بِحُطَّةٍ قَاتَتْ الْحِسَابَ سَعَةً

وَأَقَانِي الْعِتْدَ - زَيْنَ نَاطِقُهُ - وَالْوَشْيَ لَأَرَامٍ حَادِثُ صَنَعَةٍ^(٣)

بَثَّنَتْ فِيهِ الْبَدِيعَ مُتَقِيًا كَالرَّوْضِ إِذْ بَشَّتْ فِي الرِّبَا - قِطْعَةً

(١) في الأصل : للسجد . (٢) من مقى . (٣) صانه .

أَزَاحَ كَرْبَ الدَّوَاءِ مَطْلَمُهُ لَمَّا بَدَأَ طَالِعُ الشَّرُورِ مَعَهُ ^(١)
 كَمْ دَعْوَةٍ - قَدْ حَوَاهُ صَالِحِيهِ، مِنْ أَمَلِي أَنْ تَكُونُ مُسْتَمَعَةً ^(٢)
 جُلَّةُ مَا نَفْسُكَ السَّرِيَّةُ مِنْ حَا لِي إِلَى عِلْمِ كُنْهِهِ طَلَمَةُ
 أَنْ الدَّوَاءَ انْتَدَتْ عَوَاقِبُهُ مِنْ نَفْسٍ تَبَشَّعَتْ جُرْعَةً ^(٣)
 فَالْحَمْدُ لِلَّهِ - لَا شَرِيكَ لَهُ - إِنْ بَدَأَ الطَّوْلُ مُنْعِمًا شَفَعَةً

حبيب

وَرَامِشَةٍ ^(١) يَشْفِي الْعَلِيلَ نَسِيمَهَا مُضْمَعَةً ^(٢) الْأَقَاسِي طَيِّبَةُ الْفَشْرِ ^(٣)
 أَشَارَ بِهَا نَحْوِي بَنَانُ مُنْعَمٍ لِأَعْيَدَ مَكْحُولِ الْمَذَامِعِ بِالسَّخْرِ ^(٤)
 سَرَتْ نَفْثَةٌ مِنْ عَهْدِهَا - فِي عُصُونِهَا وَعَلَّتْ بِمِسْكَ مِنْ شَمَائِلِ الزَّهْرِ
 إِذَا هُوَ أَهْدَى الْيَابِسِينَ بِكَلَمَةٍ أَخَذَتْ النُّجُومَ الزَّهْرَ مِنْ رَاحَةِ الْبَدْرِ
 لَهُ خُلُقٌ عَذْبٌ وَخُلُقٌ مُحْسَنٌ ^(٥) وَظَرَفٌ كَمَرْفِ الطَّيِّبِ أَوْ نَشْوَةِ الْخَمْرِ ^(٦)
 يُعَلِّلُ نَفْسِي مِنْ حَدِيثٍ تَلَذُّهُ كَيْتَلِ الْمُنَى وَالْوَصْلِ فِي عُقْبِ الْحَجْرِ ^(٧)

- (١) لما بدا شرك الجبل وسمه طالع الشرور أنشأ سرادة الهواء .
 (٢) كم دعوة حواها شرك ادعوا الله أن تكون مستجابة .
 (٣) كانت طافية الهواء حميدة وإن جرعت نفس من مره .
 (٤) في التاموس الرمش : العاطفة من الرمان ونحوه . وفي شفاء الغليل ، رامش : قال الصولي
 ورقة آس لها راسان . قال أبو نواس :

« لها روامش يفتحن لنا تظل آذانتا مطليها . »

- (٥) مطرة . (٦) طيبة : الراححة .
 (٧) وب طاعة من الزهر مطرة الشذى طيبة الأغصان قدما إلى من أهواه .
 (٨) خلقة حسنة . (٩) يعني أن سحر عيني يعمل في النفس ما يملحه الطيب أو الخمر .
 (١٠) القلب : يفتحين ، والحبب بضم فسكون العاقبة مثل مر وعسر . قال تمالى : « هو خير ثوبا
 وخير طبيا . »

في مدح ابن جهور

« قال مدح ابن جهور وذكر جواراه يرمه ، وأما
ضيه ، وجن إنجابه في طلبه ، وإسماعله بأمنه . »

« جتأحي » في جوارِكُمُ الذَّلِيلُ وَحَدَى فِي رَجَائِكُمُ الْكَالِيلُ ^(١)
نَصِيبٌ مِنْ وَلَايَتِكُمْ كَثِيرٌ وَحَظٌّ مِنْ عِنَايَتِكُمْ قَلِيلٌ ^(٢)
لِخْتَلَفَاتٍ مِنْ خَالَتِ مَهْمَا أَجَالَ الْفِكْرَ يَنْتَهِمَا مُحِيلٌ ^(٣)
أَتَمَحَا أَنْفُسُ الْأَمْثَالِ فِيكُمْ وَلِي - أَتَنَاءَ هَا - أَمَلٌ قَتِيلٌ ؟ ^(٤)
وَأَعْجَبُ حَادِثٍ نَفَرَى لَدَيْكُمْ إِلَى غَلَلِ النَّجَاحِ وَبِي غَلِيلٌ ! ^(٥)
وَقَدَحِي فِي وَدَادِكُمُ مَعْلَى وَتَبَاعِي فِي اعْتِمَادِكُمُ طَوِيلٌ ^(٦)
وَكَاثِنٌ لِي تَنَاءَ رَاحَ يَنْثَنِي إِلَيْهِ الْمُطَفُّ عِزُّكُمْ الْأَيْلُ ^(٧)

(١) وجد هذا البيت في نسخة الديوان على هذه الصورة .

..... في جوارِكُمُ الذَّلِيلُ وحَدَى في رَجَائِكُمُ الْكَالِيلُ

والشككة من عندنا كما يبسطها السياق .

(٢) يقول : إن حالي مختلفان عند إجابة النظر ، فنصيب من ولايتكم وحصرتكم وحي لكم كثير ، وحظي من عنايتكم وتفقدكم قليل .

(٣) ينكر عليهم أن تكون آمال الناس حية بسببهم وأمله بينها كالتفيل بين الأحياء .

(٤) النذل : السيل الضعيف الذي يجري في أصول الشجر فيروها قبل أن تنصف ، وأنليل : العطش أي وأعجب ما حدث لي أن أنظر إلى سيل ماء من ناحيتكم فيه نهجى واتشاش آمالي ، وبى طأ شديد فيحال يبقى وبين مايرد فلق ويشق غليل .

(٥) اللدلي من لداح الميسر المدحمة ، والقَدَح : بالكسر اسم للهم ، وكانت لداح الميسر عندهم معروفة بعلامات خاصة ، يسمونها في خريطة على يدى مدلي يجيها ويخرج باسم كل واحد من الياسرين قنصا ، فان كان غنلا أى لا نصيب له غرم صاحبه ، وإن كان من ذوات الانصبا ، أخذ نصيبه بحسبه ، والذي يخرج له القدح يملئ بعد أكبر فائز بأور نصيب لأن له سبعة أصباء ، وكانوا يتقاسمون على جزور يقتسمونها والذي يخرج لهم من الانصبا ، يوزعون على الفقراء .

(٦) وك من تناء ومدح راح يثني إليه مجدكم التناصل عطفه .

تَنَافُسُ الرِّيَاضِ مُنَوَّرَاتٍ تَنَقَّصَ عَنْ تَوَافِحِهَا الْأَصِيلُ^(١)
«أَبَا الْحَزْمِ» الزَّمَانُ - بِأَنْ تُنْقَى[❦] إِذَا عُدَّتْ فَوَاضِلُكُمْ - بِخَيْلٍ^(٢)
عَلَوْتَ التَّجَسُّمَ إِذْ مَلَ الْمَسَاحِي وَخَزَتْ الْخَمَلُ إِذْ كَلَّ الرَّسِيلُ^(٣)
رَأَيْتُ النَّاسَ - مَا أَصْبَحَتْ فِيهِمْ - بَلَاءُ اللَّهِ عِنْدَهُمْ جَمِيلٌ
وَمَاءُ الْعَيْشِ يَنْتَهُمُ فَضِيضٌ وَظِلُّ الْأَمْنِ فَوْقَهُمْ ظَلِيلٌ^(٤)
وَلَوْ فَقَدُوا - لَا فَقَدُوا - حَوَاهِمُ مَرَادٍ مِنْ زَمَانِهِمْ وَيَسِيلُ^(٥)
وَشَاقَ نُفُوسَهُمْ رَسْمٌ مُجِيلٌ - مِنَ الدُّنْيَا - وَعَهْدٌ مُسْتَعِيلٌ^(٦)
فَخَاصِرُ دَوْلَةٍ تَفْنَى لِلْيَالِي وَلَمْ يُفْنِ بِسَاحَتِهَا مُدِيلٌ^(٧)
وَلَا زَالَتْ نِبَالُ الدَّهْرِ تُصْنِي عُدَاتَكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ النَّبِيلُ
أَأَيْسُ مِنْ مُسَاعَفَةِ الْيَالِي وَأَنْتَ - إِلَى نِيَابَتِيَا - سَبِيلُ؟

- (١) التوافع : جمع نالفة وأراد بها أغاس الرياض التي تحملها نهلات الأصيل فتدح منها فحات طيبة ، يقول إن ذلك التناء الطيب تنافه الرياض وهي منورات قد تنفس الأصيل من نواجلها أي ما يوح من طيب روائحها ، ويجوز أن يكون عن نواجلها جمع نالفة للسك .
(٢) يا أبا الحرم الزمان بخيل بأن يمد لك ثانيا في الفضل إذا عدت فواضلكم .
(٣) حزت الخمل : أي أحرزت الغلبة في الرهان أو أدركت الغاية في السبق ، والرسيل للناضل ، أو للسائق ، وقد جاء في الأصل «الساقي» فوخنا في مكاتبنا «الساقي» كما يرشد إليه المعنى .
(٤) الفضيض : الماء العذب الكثير المتدفق ، أو ماء السحاب الغزير الغزير ، وظل ظليل : أي دائم لا يسخن في النحر .
(٥) مراد - بالفتح - اسم مكان من وادت الأبل ترد ، أي اخطف ذهابا ومجيئها في الرمي ، والويل للوخيم الذي لا يسترأ ، والمعنى : لو قدودك - لا تدرك الله - ولم يستظلا بظل دولتك لأحواهم من زمانهم مرضى وييل فلم يهنا فلم يعيش ولم ينم لهم بال .
(٦) الرسم ما بقي من آثار الفار بعد انحلال ما كتبها ، والمجِيل : للتقدم العهد الذي مرث عليه أحوال ، والمستعيل : للغير ، أي لو قدودك لا استوخوا العاقبة ، ولنازعهم قوسهم - إذا استمروا قهرك ولم يقوموا بصركك - إلى دنيا تحولت جنبها إلى بلى ، وشبابها إلى هرم ، وتغير عهدنا من سعادة وهناء إلى عنة وعقاء .
(٧) المحاصرة أخذ الرجل بيد صاحبه إذا ماشاه ، ومنه قوله :
ثم خضرتها إلى القبة الخضر راء تمنى في مرمر مستون
معناه ماشيتها إلى القبة الخضراء تمنى على مرمر مجلس ، وللدليل للفتل الذي تنتقل إليه الدولة ، يدعو للدوح بقاء الدولة له من غير تحول ولا انتقال .

إلى المظفر

« كتب إلى المظفر سيف الدولة أبى بكر محمد بن
عبد الله بن محمد بن مسلم صاحب بلطوس . »

لِيَبْضِ الطَّلَى وَلِسُودِ اللَّعَمِ بِعَقْلِي - مُذْنِ عَنِّي - لَمْ^(١)
فَنِي نَاطِرِي - عَن رَشَادِي - هَمِي وَفِي أَذُنِي - عَن مَلَامِي - صَمَمِ^(٢)
فَضَّتْ بِشِمَاسِي عَلَى الْعَاذِلِينَ شُمُوسٌ مُكَلَّمَةٌ بِالظَّلَمِ^(٣)
فَاسَقَمَتْ لَحَظَاتُ الْعُمُورِ نِي إِلَّا لِتُغْرِبَنِي بِالسَّقَمِ^(٤)
يَلُومُ الْخَلِيَّ عَلَى أَنْ أَجَنَّ وَقَدْ مَزَجَ الشَّوْقُ دُمْنِي بِدَمِ^(٥)
وَمَا ذُو التَّذَكُّرِ يَمْنُ يَلَامُ وَلَا كَرَمُ الْعَهْدِ مِمَّا يُدَمِّ^(٦)
وَأَبَى أَرْاحُ إِذَا مَا الْجَنُورُ^(٧) بَرَّاحَتِ بَرِّيَا جَنُوبِ الْعَلَمِ^(٨)

(١) الصلاة : بضم الطاء هي المتق والجمع طلى مثل شاه وتقى ، والميم : بكسر اللام جمع له - الشعر المجاور شعرة الأذن - لم يفتح اللام - الجنود .

(٢) في هذا البيت والذي قبله يقول الشاعر أنه همى عن الرشاد وصم عن اللام وصار في حل جنود مذ بلان وبعد عنه الحاصل يبض الأعناق سود الدم .

(٣) شمس الفرس شموسا وهما منع ظهره - العرب تقول روية مكلة ، يعني مخوفة بالنور ، تقول الشاعر : شمس مكلة : أي مجلة بليل الشعر الأسود - وهذا البيت بمثابة التكلفة لوصف حاله في اليقين السابقين فكأنه يقول وكما عبت عن الرشد وصممت عن اللامه كذلك قد قضى على هذا الجلال أن أشمس على العاذلين . (٤) الخلى : كفى الفراغ ، وفي المثل العربي القديم « ويل للشجي من الخلى » . (٥) انقل الشاعر لتبرير جنونه في فراغه وفي دمعه التي مزجت بالدم فأزيم لونه بالحبة وفنف في وجوههم بالبرهان الذي ليس وراءه برهان ، فقال : إن بكائي وجنوني ولوعتي كل أولئك لا لوم فيه ولا بأس منه في سبيل التكري والمخاطب بالهدد فليس كرم الهدد مما يذم ، وفي القرآن الكريم : « وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولا »

(٦) أراح - استريح - ربح الجنوب هي المقابلة لربح الشمال - « راحت » - من الراح ، وهو ضد التدور يقول : إنني لكثرة تذكرى الأجرة ولكثرة حفاظي بعهودهم استسقيح إذا ربح الجنوب طاعت إلى برائة أمكنهم القدسة المحبوبة .

وَأَصْبُو لِمَرْقَانٍ عَزَفِ الصَّبَا وَاهْدَى السَّلَامَ إِلَى «ذِي سَلَمٍ»^(١)
وَمِنْ طَرْبٍ عَادَ نَحْوُ «الْبُرُودِ» قِ «أَجْمَشْتُ لِلْبَرْقِ حِينَ ابْتَسَمَ»^(٢)
أَمَّا وَزَمَانٍ - مَضَى عَهْدُهُ حَمِيدًا - لَقَدْ جَارَ لَمَّا خَكَمَ
قَضَى بِالصَّبَابَةِ ثُمَّ انْقَضَى وَمَا اتَّصَلَ الْأَنْسُ حَتَّى انْتَصَرَمَ^(٣)
لَيْلًا نَامَتْ عَيْنُ الْوَشَا عِنَّا، وَعَيْنُ الرُّضَى لَمْ تَنَمْ^(٤)
وَمَالَتْ عَلَيْنَا غُصُونُ الْهَوَى فَأَجْنَتْ عِمَارَ الْمُتَى مِنْ أَمَمٍ^(٥)
وَأَيَّامُنَا مَذْهَبَاتُ الْبُرُودِ رِقَاقُ الْخَوَاصِي صَوَافِي الْأَدَمِ^(٦)

(١) أصبو - أميل - وعرفان - معرفة ، والعرف هو الشئى . يقول : أنى أيضا أميل صهوة وجيا إذا جئت الصبا - ربح النجم - لأنها مطرة بشئى من يحبه وهو اسم يهذى السلام إلى ذى سلم للوضع الذى حلت منه الصبا : لك الشئى المحبوب .

(٢) أجمشت : ارتفع صوتى بأى ، يقول : كما أنى أسترخى للجنوب إذا طادت برىا ربح العلم وأصبو إلى شئى الصبا كذلك أبكى من طرب بماودى إذا ابتسم البرق ولعل ، وللمنى فى هذه الآيات أنه يسترخى لكل فادم من جهات أحبه لأن فى ذلك نوما من التكرى . ولانفن شامرا لم يك لا بتمام البروق ولم ينش من ربا الصبا والجنوب .

(٣) الصرم : هو القطع ، وللمنى أن الزمان الذى مضى حميدا جلد عن المعدل حين حكم وحل أكل من وسر هذا الزمن بعبادة المعدل ، وهو الذى ما كاد يقضى لنا بالصبا والاستمتاع حتى انقضى وشيكا ، وما كادت تتصل أوقات الأنس حتى صرمة عنا وحال بيننا وبينه .

(٤) الرشا : فى الأصل هم الذين يمشون بالمر والسماية فيذهبون الأسرار ، ولراد بهم هنا المصوم على الإطلاق والمراد بين الرضى حلة للسعادة التى ينعم بها المحبوب فى ساعات الوصال ، وكألمك بالانصر فى هذا البيت شرح يصل الصباة التى انتضت والانس الذى انصرم ، فقال : ليل نامت عين الوشا إلى آخر هذا الوصف الذى يتخلل به إلى المديح فى أبى بكر .

(٥) أجت عمار إلى : أى أصطت والأمد هو القرب ، تقول : راجه من أمم ، أى من قرب ، يقول أيضا فى تفعيل الأنس الذى انصرم : ومالت علينا غصون الهوى أى وليالى ظلفتنا هذه النصوص - لجنتنا منها ملشنت -

(٦) منهبات البرود : أى موهبة البرود - جمع برد - بلقهب ، وقوله « رقاق الخواصى » كناية من رقة وخضرة العيش فى تلك الأيام ورعده ، وكذلك قوله صوافى الأدم ، والأدم هو الجلد . فل للنهى : « نأيا قدم سميت إلى الملا أدم اللال لأخصيك حذاء . »

كَانَ «أَبَا بَكْرٍ» الْأَسْلَمِيُّ أُجْرِي عَلَيْهِمُ فِرْنْدُ الْكَرْمِ^(١)
وَوَشَّحَ زَهْرَةَ ذَلِكَ الزَّمَانِ بِمَا حَازَ مِنْ زُهْرِ تِلْكَ الشَّيْءِ^(٢)
هُوَ الْحَاجِبُ الْمُغْتَلِي لِلْسَلَا شَمَائِلُ كُنْ مُنِيفٍ أَثْمُ^(٣)
مَلِكُ إِذَا سَابَقَتْهُ الْمُلُوكُ حَوَى الْخَصْلُ أَوْ سَأَمَتْهُمْ^(٤)
فَأَطَوْهُمْ - بِالْأَيْدِي - يَدَا ، وَأَثْبَتَهُمْ - فِي الْمَعَالِي - قَدَمَ^(٥)
وَأَرْوَعَ لَا مَعْنَى رَفِدِهِ^(٦) يَخْبِبُ وَلَا جَارُهُ يُهْتَمُّ^(٧)

(١) كان أبابكر الأسلمي أجرى بحسن جوده وديارجه كرمه على تلك الأيام والأيام التي قامت عنها
حول الوشاة وظلة غصون الحمى فيها ، وهذا مما يعمل الشعراء كثيرا تخلصا من النزل والذنب إلى المص
وهو ما يسيه علماء البدع : حسن التخلص .

(٢) وكان أبابكر بما أحرز من شمالك يمشي كأنها زهر النجوم قد وشح تلك الأيام بما وشحها به من
نصرة وحسن .

(٣) شَمَائِلُ : جمع شَرَاخٍ أو شَمْرُخٍ - أطلال الجبال - كل منيف أثم : أي كل طاب مرتفع . يقول : إن
أبا بكر هذا لا يقف في البلاعة عند حد فهو في سيلها قد أثم فذا كل منيف ، وعلا فوق كل طاب .

(٤) حوى : أحصل : أحرز الشيء اللوم الذي تراهوا عليه في السباق ، يعني أحرز نصيب السبق ،
وسامه : أي ذرعه للوك وانما لثمة فهمهم أي فلهذه ، والمعنى : أن هذا الملك سابقه الملوك في الجهد
فأحرز دونهم نصيب السبق ، ونارعه في مضمار النضال ففرعهم وغلبهم .

(٥) بِالْأَيْدِي : بالنم ، وبدا : يريد باعاً ، وهذا البيت توضيح أو تأكيد لسابقه أو هو بيان للميزات
التي بها يفلح هذا الملك أقمار الملوك من أمثاله وينبئهم .

(٦) الأروع : من يسبكه بحسنه وجواره نظره أو بشجاعته كالزراع ، وقولوا في الأروع : إنه الرجل
الكرم الملى النفس الذي الجليل الذي يروك حسنه ويسبكه إذا رأى به ، والمعنى : كالحاق كل من جاء
يطلب رعداً وعطاء وفضلاً قال الأعشى :

« تطوف الصفاة بأبوابه طواف النصارى بيت الوثن »

وقال مسلم بن الوليد :

« ترى العنقاء عكوفاً حول حجرته يرجون أروع رجب الباع بساعاً »

وقال أبو تمام :

« كم أعطيت راحتاه من نسيب سلامة المحتفين في عطيه »

والرند : العطاء - وقوله لا معنى - في الفاموس اعتدت الأبل اليسى واستعدت أخذته بلسانها فوق التراب
مستعربة له ، والرند هو العطاء ولا جاره يهتم فمهم الجار ويتنزه بمعنى ظله يقول إن هذا الملك اجتمع له
حسن الخلق فهو يسحب الناظر إليه بحسنه وجمال هيئته كما اجتمع له حسن الخلق ، لأنه لا ينبغي طالب رفعة
ولا يظلم جاره .

ذَلُولُ الْمَنَاقِبِ صَعْبُ الْإِبَاءِ تَقِيفُ الْعَزِيمِ إِذَا مَا اعْتَزَمَ^(١)
 تَمَّا الْمَجْرَةَ فِي أَفْهِيهَا فَجَرَ عَلَيْهَا ذُيُولَ الْهِمَمِ^(٢)
 وَنَاصَتْ مَسَاعِيهِ زُهْرَ النُّجُومِ وَبَارَتْ عَطَايَاهُ وَطَفَ الدِّيمِ^(٣)
 نَهَيْكَ إِذَا جَنَّ لَيْلُ الْعَجَاجِ سَرَى مِنْهُ فِي جُنْحِهِ بَذَرْتُمْ^(٤)

(١) الامانة سهولة الحق - وقوله تقيف العزم - عطف إذا صار - إذا حصينا فطنا، وتقيف إذا عظمت فيه هذه الصفات ، والمزم والمزعة والمزم واحد ، يعني أن المدح مع ما تقدم من صفات رجولته وسمو فروسته وبطولته ليس يتكبر ولا متعجرف ، وإنما هو سهل الحق دمت الطبع ولكن في إياه ، كما أنه كثير الحق والنظرة منتف العزم إذا ما اعتزم الأمور أو طلب الناس والراف .

(٢) المجرة : إحدى كواكب السماء فهذا المدح قد سما المجرة أى علا إليها وزاد عليها بدلو الهمم التي فصلها بقوله في الآيات السابقة لامتني وفده يجيب ولا جاره يعتزم وأنه إذا ساقى الملوك فليهم ، وأنه أطولهم يدا ، وأنتهم تدماء ، وليس المجرة من المآثر في الناس ما يعادل ما أثرهم هذا المدح .

(٣) ناصت مساعيه زهر النجوم : أى أن مساعيه ارتفعت حتى ساءت النجوم الزاهرة كالجمرة والثرثرة والأسكبل ، وقوله وطف الديم ، وطف : جمع وطفاء ، ومع السحابة للسخرية من اللطاف ، والديم : جمع ديمة ، ومع ملر يدوم في سكون بلا رعد ، يقول : إن عطاياه تبارى السحب المطر الدائمة بلا جلبة ولا ضوضاء . فكان هذا البيت برهان لساجه ، وكأنه يقول : لم لا تفضل على المجرة من هذه صفات مساعيه وسحب مبراته وعطاياه .

(٤) نهيك : الشجاع القوى البائح في الشجاعة لأنه ينهك عدوه فيبلغ منه ما يريد ، جن ليل العجاج : كل ما سترت لك فقد جن هناك ، والعجاج : الثياب اللتان واحدته عجاجة ، وجن الليل - بكسر الجيم وبضم - الطائفة من الليل ، وبدرتم : هو الثمر إذا أبدى في ليله تمامه أربع عشرة ، يقول : حبك من هذا المدح أنه إذا جن ليل الحرب سرى منه وجه مفرق أو سيف لامع يشبه اليد في ليله التمام يكشف ظلام هذا العجاج ، وبين من جهة النصر والفتوز ، فهو بعد أن فرغ من إثبات كرم بمدحه ، وحسن خلقه بما يملو به على مكاة النجوم وزهو بقدره فوق هام الكواكب فرغ يثبت له أنه فارس خيل ، وكاشف ويل ، وأنه لا يسقط بدركما ثارت مجاجة الميجاء ، وادخلت الحرب الموجه .

فَنَاشَ السُّيُوفَ بِهَامِ الْكُفَاةِ وَرَوَى الْقَتَا فِي نُحُورِ الْبُهَمِ^(١)
 جَوَادُ ذَرَاهُ مَطَافُ الْعَفَاةِ وَمُتَمَاهُ رُكْنُ النَّدَى الْمُسْتَمِ^(٢)
 يَبْسُجُ النَّزْلُ بِهِ وَالسَّوَا لُ لَيْشَاهُ صُورًا وَبَحْرًا خَفَمِ^(٣)
 شَهْدَانَا ، لَأَوْقَى فَضْلَ الْخِطَابِ وَخُصَّ بِفَضْلِ النُّهَى وَالْحِكَمِ^(٤)
 وَهَلْ فَاتَ شَيْءٌ مِنَ الْمَكْرُمَاتِ جَرَى السَّيْفُ يَطْلُبُهُ وَالْقَلَمُ^(٥)

(١) نشام السيوف : مناه أمحمد أو سلهما هو من الامتداد ، ولكن حين هنا أن يكون مناه أمحمد في هام الكفاة ، يقال شام الشيء في الشيء أدخله فيه أي جمل من رؤوس الكفاة أمهادا للسيوف - هام : جمع هامة ، وهي الرأس ، والكفاة : جمع كفى ، وهو الفارس الممسيح في السلاح والقتال : جمع قتاه ، وهي الرمح ، والبهيم : جمع بهيمة بضم الباء وسكون الهاء الشجاع الذي لا يتهدى من أين يؤتى - أو هو الجليش ، فهو يقول : إدا حين نيل العجاج وسرى من ذلك للمدح في تلك العجاجة - بدرتم - هناك رأيت كيف ينمد السيوف في رؤوس الفرس الممحين في السلاح ، ورأيت كيف تنقى الرمال من دم نحور الشبان الذين لا يعرف ما يتيم في الحروب .

(٢) يقول : إن مدحوه جواد وإن في داره مطافا ومثابة العفاة من طلاب الرد والمطاه وإن يده التي كأنها لكثرة ما تهلل من شهاب الرفودين أصبحت كالخبر الأسود المستلم التي يقبله حجاب بيت الله الحرام .

(٣) الخضم : السيد المحول للمطاه . قال في القاموس : هو خاص بالرجال ومن معانيه البحر أيضا - النزال : بالكسر أن ينزل الثريدان للتعاربان عن إيهما إلى إيهما فيتنابرا ، ويقال : نزال : كقطام ، أي أنزل - فواحد والجمع واللؤث ، والليث من أسماء الأسد ، والمصور - كالمصار - واللهيم - أسما ، فلا أسد أيضا ، وقوله « وبمرا خضم » ، وكذلك قوله في بيت سبق في هذه القصيدة نفسها : « فأطولهم بالأيدى يدا وأبينهم في المال قدم » .

أجرى فيه المنسوب للنون في الوقف مجرى الرفوع والمجروء ، فوقف عليه بالكون ولم يقف عليه بالألف . وذكر النجاة أن اللغة التثنية من لسان العرب قلب التثنية ألفا في المنسوب للنون عند الوقف نحو رأيت زيدا ، وبمرا خضما ، وريسة يميزون إجراءه في الوقف مجرى الرفوع والمجروء ، قد التامر : « ألا حبذا غم وحسن حديثها فقد تركت قلبي بها غائما دنف » .

« وابن زيدون » على قوليه ما كان ينبغي له أن يخطر إلى استعمال هذه الافة الثقيلة في شعره . ومعنى البيت أن دعوة الحرب تهيج من هذا المدح ليشاه صورا كما أن سؤل رنده وعطاه يهيج منه سيدها حول لما يكلف مناه لما يسأل كالخبر .

(٤) في هذا البيت الجانبي بين فصل الخطاب وفضل النهى ، ومعنى البيت أن المدح حكيم لا في هيا ويكم وذرب اللسان والنطق ولكن لا في طيش وخفة ، وهذا فلما جاح إلا لمن هيام الله لصرة الحق والصدق من حوزة الدين ، وجدير بمن يؤتى فصل الخطاب وفضل النهى أن يشهد له زمنة ويمتد له بالقامة . والرياسة والفضل . (٥) يؤكد ما قاله في البيت السابق ، فيقول : هل ترك المدح أولات شبتا من المكرمات يمكن السيف والقلم إحرازه من غير أن يحرزه ؟

* *

وَمُسْتَعْمِدٍ بِكَرِيمِ الْفَعَا لِي عَفْوًا إِذَا مَا أَلَّيْمٌ أُسْتَدَمَ^(١)
شَمَائِلُ شَهْبَرُ عَنْهَا الشُّمُولُ وَتُجْنَى لَهَا مُشْجِيَاتُ النَّعَمِ^(٢)
عَلَى الرُّوضِ مِنْهَا رُؤَاةٌ يَرُوقُ وَفِي الْمِسْكِ طَيْبٌ أَرِيحُ يُشَمُّ^(٣)

* *

أُبُوهُ الَّذِي قَلَّ غَرَبَ الضَّلَالِ وَلَا مَ شَعْبَ الْهُدَى فَالْتَأَمَ^(٤)
وَلَا ذِيهِ الَّذِينَ مُسْتَقْصِبَا بِذِمَّةٍ أُبْلَجَ وَإِنِ الْقَسَمِ^(٥)
وَبَاجَاهِدَ فِي أَقْهٍ - حَقِّ الْجَهَا دِمْنِ دَانٍ مِنْ دُونِهِ - بِالصَّمِّ^(٦)

(١) مستعد : أى منسوب إلى الجهد ، ويقال فعل الله ، طوعاً أى من غير تميل ولا غلب ، واستغفم : فعل ما يذم عليه ، وللحق في هذا البيت أنه من طيعته الاستعداد - عفواً - لأنه كريم الفعالة التي من شأنها أن تعود على صاحبها بالهدى ، وذلك في الوقت الذي يصدر فيه لؤم الزُّمَاء عفواً أيها . يقول إن ممدوحه في الوقت الذي يبدو فيه لؤم الزُّمَاء رغم لؤمهم وديارهم يظهر كرمه الفطري وميوله الخفية التي ترجمه أينما على إحراز المالحمة .

(٢) الشمول : من أسماء الحر - شجر ، وللحق أن شمائل ممدوحه تنفي عن الحر والنساء الفجى لأنها يدنى بها فتنطرب ويحدث عنها فتسخر .

(٣) الرواء الحسن - الأريج : الرائحة الطيبة ، يقول : إن هذه الشمائل تلى في رواء الحسن الذي يروق الناظر في الروض ، وكذلك تلى فيما يلد الماطر في الأريج الطيب للشوم من المك .

(٤) قلَّ غَرَبَ الضَّلَالِ : أى تلم حده الذي يشبه حدَّ السيف في اللضاء ، وقوله - ولادم شعب الهدى فالْتَأَمَ متناه أصابع شعب الهدى فالتصبع ، وللحق أن أباه وأب صدم الهدى وقرق حزب الضلال وخضد شوكرته .

(٥) الأبلج : هو كل واضح ، ويقال : أبلج الصبح وضع يقول باني المدوح احتمى الدين منه واعتصم بواضع المسكنة وإلى التعم .

(٦) يقول : وإن أباه هذا المدوح أبى البلاء الحسن في الجهاد لله وفي جماعة من دان من دول الله بالصم ، يعنى أنه طاش لله ولولا أوليائه عدواً لودوا لأعدائه .

فَلَا سَائِيَ الطَّرْفِ إِلَّا أَذَلَّ وَلَا شَامِخَ الْأَنْفِ إِلَّا رَعَمَ^(١)
تَقَبَّلَ فِي الْبَرِّ - مِنْ جَنِيذٍ - مَقَاوِلَ عَزَّوَا جَمِيعِ الْأَمَمِ^(٢)
هُمْ نَمَسُوا الْمَلِكَ حَتَّى اسْتَقَلَّ وَهُمْ أَظْلَمُوا الْخَطْبَ حَتَّى أَظْلَمَ
تُجُومُ هُدًى - وَالْمَعَالِي بُرُوجُ - وَأَسَدٌ وَغَى وَالْعَوَالِي أَجَمَ^(٣)

* *

« أَبَا بَكْرٍ » أَسْلَمَ عَلَى الْحَادِثَاتِ وَلَا زِلْتَ مِنْ رِيثِهَا فِي حَرَمِ^(٤)
أَنَادِيكَ - عَنْ مِقَّةٍ - عَهْدَهَا كَمَا وَشَتِ الرُّوضُ أَيْدِي الرَّهَمِ^(٥)
وَإِنْ يَمُدُّنِي عَنْكَ شَحَطُ النَّوَى فَحَطَّيْ أَخْسَ وَنَفْسِي ظَلَمَ^(٦)

(١) رَعَمَ : أرغم يقول : إنه لم يترك من أعدائه ، سائى الطرف إلا أدله ، ولا أنتم الأنف إلا أرعهم ، ويقال رغم أرغفه يعني أدله عن كبره بمعنى أرعهم .

(٢) تَبِيلُ أَبَاهُ أَشْبَهَ - مَقَاوِلَ وَمَقَاوِلَ وَأَقْوَالُ جَمْعُ مَقُولٍ كَبِيرٍ أَوْ جَمْعُ تَبِيلٍ - لَمَّا كَانَ مِنْ مَلُوكٍ حَمِيرٍ - أَوْ هُوَ مَادُونُ الْمَلِكِ الْأَعْلَى ، وَهِيَ تَبِيلٌ لِأَنَّهُ يَقُولُ مَلْشَاءَ فَيَنْفَذُ ، وَجَيْتَذُ فَعْنِي الْبَيْتُ أَنَّهُ فِي مَرْزِ وَجَدِهِ وَمَنَاعَتِهِ أَشْبَهَ أَبَاهُ وَأَجْدَادَهُ مِنْ مَلُوكٍ وَأَقْيَالٍ حَمِيرٍ الْقَبِيلَ سَادُوا وَغَلَبُوا جَمِيعَ الْأُمَمِ .

(٣) بُرُوجُ السَّمَاءِ مَرْوُفَةٌ - الْوُفَى : غِيَارُ الْحَرْبِ أَوْ الْحَرْبِ - الْعَوَالِي صُدُورُ الرِّمَاحِ - وَالْأَجَمُ بِالضَّمِّ وَبِضْعَيْنِ وَبِالتَّحْرِيكِ جَمْعُ أَجَمٍ مَحْرُكَتِ الشَّجَرِ الْكَبِيرِ لِلتَّنْفِثِ ، وَلِلْمَعْنَى أَنَّ الْقَاوِلَةَ الْإِقْيَاءَ أَبَاهُ هَذَا لِلدُّبُوحِ كَانُوا فِي الْمَعَالِ يَشْهَرُونَ التَّجُومَ فِي بُرُوجِهَا فِي السَّمَاءِ كَمَا كَانُوا فِي الْخُرُوبِ يَشْهَرُونَ الْأَسَدَ تَطْلُعُهُمْ رِمَاحُهَا أَيْمُ الْأَسَدِ .

(٤) يَمُدُّهُ أَنْ يَنْتَلِ فِي دَأْمِنٍ مِنْ أَحْدَاثِ الْحَرِّ وَمَصَابِيهِ ، وَأَنْ يَظَلَّ فِي مَوْضِعٍ لَا تَهْتَكُ الْحَادِثَاتُ وَلَا تَعْلُ إِلَيْهِ رِيثُهَا .

(٥) اللَّقَّةُ : الْحَبَّةُ ، وَالرَّهْمُ : كَتَبَ جَمْعُ رَهْمٍ بِكَسْرِ الرَّاءِ وَسُكُونِ الْمَاءِ وَهُوَ لِلطَّرِيقِ الضَّعِيفِ الْهَامُ وَيُقَالُ رَوْضَةٌ مَرْهُومَةٌ ، يَقُولُ الشَّاعِرُ : أَنَادِيكَ نَدَاءٌ صَادِرٌ عَنْ دَفْعَةٍ وَعَجْبَةٍ عَهْدَهَا فِي الْجِدَّةِ وَالشَّيْبِ كَمَا عَشَتْ أَيْدِي السَّحَابِ لِلنَّظَرِ ، أَدِيمُ الرُّوضِ النَّاضِرُ ، بِأَلْوَانِ الرِّيحِ الزَّاهِرِ .

(٦) عَدَاهُ مِنَ الْأَحْسَرَةِ وَشَفَهُ ، وَيَمُدُّنِي عَنْكَ : يَصْرِفُنِي وَيُشَانِي عَنْكَ ، وَالشَّحَطُ : الْبُيْدُ ، وَالتَّوْبَى الْإِقْتِرَابُ . يَقُولُ : إِذَا كَانَ الْإِقْتِرَابُ بِشَتْلِي وَيَصْرِفُنِي عَنْكَ فَاتَهُ لَمْ يَرَحْضَ إِلَّا حَطْلِي وَلَمْ يَظَلْمْ إِلَّا هَضِي فَضَرَّ هَذَا الْبَيْدُ وَالْبَعْدُ بِي وَبَعْدِي وَلَيْسَ يَجْعُ مِنْهُ شَيْءٌ طَلِيكَ .

وَأِنِّي لِأَصْفِيكَ غَضَّ الْهَوَىٰ وَأَخْفِي لِيْمَدِكَ بَرْحَ الْأَلَمِ ^(١)
وَعَبِيرُكَ أَخْفَرَ هَمْدَ الْقَمَامِ إِذَا حُسْنُ ظَنِّي عَلَيْهِ أَذَمَّ ^(٢)

وَمُسْتَشْفِعِي بِي بَشَرَتُهُ عَلَى تَقَةٍ - بِالنَّجَاحِ الْأَتَمِّ ^(٣)
وَقَدِّمًا أَقْلَتِ الْمُسَىءِ الْمَيَّارَ وَأَحْسَنَتِ بِالصَّفْعِ تَهْمَا أَجْزَمَ ^(٤)
وَعِنْدِي - لَشُكْرِكَ - نَظْمُ الْمُقْوَدِ تَنَاسَقَ فِيهَا اللَّالِي التَّوَمُ ^(٥)
تُجِدُ لِفَضْرِكَ بُرْدَ الشَّبَابِ إِذَا لَيْسَ الدَّهْرُ بُرْدَ الْهَرَمِ ^(٦)
نَمِشَ مُعْتَمًا يِفْقَاجِ السُّعُودِ وَدُمَ نَاعِمًا فِي ظِلَالِ النِّعَمِ ^(٧)
وَلَا يَزَلِ الدَّهْرُ أَيَّامُهُ لَكُمْ حَشَمٌ وَاللَّيَالِي خَدَمُ ^(٨)

(١) غَضَّ الهوى : خالبه - وأبرح : لشدة بدع هذا البيت معنى سابقه فيقول إلى لأصفيك وأصحبك الهوى خالبًا لاشأية فيه وإلى في بسفك لأشعر في غي بالألم للبرح والقومة للرة ولكني أدخل ذلك في حنايا السناويع وفي موضع الأسرار من تغلوب .

(٢) أخفر به : تفض عهده وغضره - القمام : الحرمة ويجمع على أكمة ويقال - أذم له عليه أي أخذ له ذمة أي حرمة أو اجازة . يقول : إن غيرك بأبا بكر هو الذي يخفر عهد القمام ويضميه ويندر به إذا جعل حسن ظني وطيب ملي له حرمة عندى أو أفعالى عليه ذمة .

(٣) يقول : ما بعثت المستشفع في لدهك بالنجاح إلا تم لمطلبه وبيل له حق بنجاحك فقد تشتمت بالذى لا ترد شفاعته عند أبي بكر ولا يحجب له وجهه لديه .

(٤) نعمًا أي قديمًا وأملت فلانًا من كذا معنى أمنيته منه واجترم أي آتى القتب أو الجرمية والصلمح هو الضو يقول وانا صرقت فليل المأثر من عثرته وتلفو عن الباغي في جرمته .

(٥) التناسق هو التآم جات المقود ولآنها واللآلى التوم أي للتشابهة ونسى المؤثرة التؤامبة وتوأم التزوج . ولؤلؤ ما تشابه منها يمد الشعر إلى تشويق اللبسوا لافناء مدائحهم وهجره الذى يشبه المقود للتؤامة المتناسقة جوائم اللآلى .

(٦) أجد الثوب سيرة جديدًا يعنى أن نظم هذه المقود للشقة يجد ويهدى زهراد الشباب من انفسر بها جديدة في الوقت الذى يلبس فيه الزم من ثوب الهرم ، أو أن غر للمدوح نفسه هو الذى يخل بذلك للذائع جديدًا .

(٧) يقاع : كسحاب التل ولتقصود به هنا المرتفع يعبر للدموم أن يعيش مستصفا بمرتعات السمود وإن يدوم مظللًا بالنعم تغلبة لوارفة .

(٨) حرم الرجل وحشته الذين ينسبون له من أهله وعبيده وجيرانه ، والحكم الواحد والجمع والحكم جمع خادم . يقول : لا زال الحر خادمًا لك .

في نكبة بنى ذكوان

«قال عند نكبة بنى ذكوان وابن حذام

في سنة ٤٤ هـ أر بعين وأر بعانة.»

هَلِ النَّدَاءُ - الَّذِي أَعْلَنْتُ - مُسْتَمَعٌ أَمْ فِي الْمَلَكِ الَّتِي قَدَّمْتُ مُسْتَمَعٌ^(١)
إِنِّي لِأَعْجَبُ مِنْ حَظِّ يُسَوِّفُ بِي كَأَيْتَأَسُّ مِنْ نَيْلِهِ أَنْ يَحْدِبَ الطَّمَعُ^(٢)
تَأْبَى الشُّكُونُ إِلَى تَعْلِيلِ دَهْرِي إِلَى نَفْسٍ - إِذَا خُوِدِعَتْ - لَمْ تُرْضِهَا الْخُدْعُ^(٣)
لَيْسَ الرُّكُونُ إِلَى الدُّنْيَا ذَلِيلَ جَبَا فَإِنَّهَا ذُولُ أَيْامَهَا مُتَعٌ^(٤)
تَأْتِي الرِّزَايَا نِظَامًا مِنْ حَوَادِثِهَا إِذِ الْفَوَائِدُ فِي أَثْنَائِهَا لُمَعٌ^(٥)
أَهْلُ النَّبَاكِهَةِ أَشْأَلِي لِدهْرِهِمْ بِقَضَرِهِمْ دُونَ قَايَاتِ الْمُنَى وَلَمَعٌ^(٦)

(١) يقول : هل وصل إلى سمعكم ذلك النداء الذي أعلنت فيه شكواي ، أم هل فيما قدمته من ملوك الفصائد والرسائل غناء وقع ، وهو بهذا الاستفهام ينكر أن تكون شكواه قد سمعت ، وأن تكون فصائده قد نلت .

(٢) الطمع : ضد اليأس ، وللمنى : إني لأعجب من حظ امتدّ بي في فيه تسويف المدح ومطه ، حتى لقد أصبح شبيهاً بليأس . نه طمع ينجذب إليه يريد أن الطمع فيه أخو اليأس منه .

(٣) يقول : إن دهري يعني بيل تلك الأماني البعيدة ، ولكن نفسي لا تسكن إلى هذا التعليل لأنها لاتخضع إذا خودعت .

(٤) الحجا : العقل والفتنة ، معناه أن الركون إلى الدنيا ليس فيه دليل على ذكاء وفتنة من يركن إليها لأنها زائلة متحولة ، وللمتنع بها مفرور مفتون .

(٥) يقول : إن الرزايا في هذه الدنيا تأتي على نسق متتابع من المصادفات التي يخالل سوادها بصيص من لمع الفوائد .

(٦) القصر : الحبس والنع ، والولع : مصدر ولع فلان بكذا إذا ألج فيه وحرص عليه ، يعني أن الدهر مولع بالميلولة بين التاج العريف وبين بلوغ أمانيه .



لَوْلَا بَنُو جَهْوَرٍ ، مَا أَشْرَقَتْ هَمِي كَمَثَلِ بَيْضِ اللَّيَالِي دُونَهَا الدُّرْعُ ^(١)
 هُمُ الْمُلُوكُ مُلُوكُ الْأَرْضِ دُونَهُمْ غَيْدُ السَّوَالِفِ فِي أَجْيَادِهَا تَلْعُ ^(٢)
 مِنَ الْوَرَى إِنْ يَفُوقُوهُمْ فَلَا تَحِبُّ لِنَلِكِ الشَّهْرِ مِنْ أَيَّامِهِ الْجُمُعُ ^(٣)
 قَوْمٌ مَتَى تَحْتَفِلُ فِي وَصِفِ سَوَدَدِهِمْ لَا يَأْخُذُ الْوَصْفُ إِلَّا بَعْضُ مَا يَدْعُ ^(٤)
 تَجْهَمُ الْأَنْهَارُ فَأَنْصَاتِ لَهُمْ غُرُرُ مَا هِ الطَّلَاقِ فِي أَشْرَاحِهَا دُقْعُ ^(٥)
 بَاهَتْ وَجُوهُهُمُ الْأَعْرَاضَ مِنْ كَرَمِ فَكَلَّمَا رَأَى طَابَ مُسْتَمِعُ
 سَرَوْ تَزَاحَمُ فِي وَصِفِ الْمَدِيحِ لَهُ نَحَاسِنُ الشَّعْرِ حَتَّى يَنْتَهَا قُرْعُ ^(٦)

(١) الدرع : الليال التي اسودت أو ابيضت سائرهما ، والليال البيض هي التي يطلع فيها القمر من أولها إلى آخرها ، أي لولا الجواهر ما أشرقت حمى إشراقا كإشراق الليال البيض دونها في اليأس الدرع أي الليال التي أظلمت أو اثلها .

(٢) غيد جمع أغيد : أي مائل ، والسوالف : جمع سافلة ، وهي صفحة العنق مما يلي الأذن ، والطلع : طول العنق واستداده ، يقول : بنو جهور هم ملوك الأرض لا يدانهم في اللزلة أولئك الملوك الذي أملاوا سوافهم ، ومدوا أعنانهم خيلاء وكبرا .

(٣) أي هم من الورى وليس يجي أن يفوقهم ، كما أن الجمع من أيام الدهر ولكها تنوق سائر .

(٤) تحتفل : تبالغ بريد أنك مهيا بالغ في وصف سوددهم فلا يمكنك أن تثبت من صفاتهم في البادة والمجد إلا جزءا صغيرا ، ما تدعه لكثرة ، ومجرك من الإحاطة به .

(٥) تجهم : عيس وتكررت أيامه ، وانصات : اشتهرت ، والأسرار : جمع سر ، وجمع أيضا عن أسرار ، وهي خطوط في الفرة والبيضاء ، والفع : جمع دفعة ، وهي النقرة من اللطخ ونحوه ، والحقى : عيس وجه الزمان واسودت جوارب العيش فاشتهرت لهم في أثناء تجمعه غمر يمشي يجري في غضونهما ماء الطلابة والبدر متفرقا متسللا .

(٦) جمع قرعه ، وهي السهم ، أي حتى يسام ويخرج بين جيد الأشعار أي أدق وأحسن وأجدر بنى الجزائر .



« أَبُو الْوَلِيدِ » قَدْ اسْتَوَى مَنَاقِبَهُمْ فَلَتَمَارِقٍ مِنْهَا فِيهِ مُجْتَمِعٌ ^(١)
هُوَ الْكَرِيمُ الَّذِي سَنَّ الْكَرَامَ لَهُ زُهرَ الْمَسَاكِي فَلَمْ تَسْتَوِهِ الْبِدْعُ
مِنْ عِتْرَةِ أَوْعَمَتِهِ فِي تَمَاقِبِهَا أَنْ الْمَكَارِمَ إِيصَاكِ بِهَا شَرِيعُ ^(٢)
مُهَذَّبٌ أَخْلَصَ فِيهِ أَوْلِيَّتُهُ كَالسَّيْفِ بَالِغٌ فِي إِخْلَاصِهِ الصَّنْعُ ^(٣)

(١) يعني أن (أبو الوليد) استوفى مناب الملوك حتى اجتمع فيه مافرق غيره منها وعبر بالتماريق للإشارة إلى توفيق في التل السائر « هو خير من تماريق المعاص » يريد أن منابه كالصفا جمعت كثيرا من المنافع ، وأن مناب غيره من الملوك كتماريق الصفا اختصت كل واحدة منها بفائدة ومنفعة ، وجاء في كتاب الصفا من البيان وتبيين لبحار منسخته : « ومن جل التوفيق في الصفا » وما يجوز فيها من المنافع والبراريق ، تنوير شعر « غنية » الأهرلية في شأن ابنها ، وذلك أنها كان لها ابن شديد العرامة كثير بلغت إلى اللبس مع منبت أمر ، ودقة عظم ، فوافقت مرة فتي من الأعراب ، فقطع التي أغنى وأخذت « غنية » دية ، لأنه ، لحسن لها بعد تار مدفع ، ثم واثب آخر فقطع أذنه فأخذت الدية فوافقت دية أذنه في المال وحسن الحال ، ثم واثب بعد ذلك آخر فقطع شفته ، فلما رأت ما قد صار عندها من الألبان والبن واللبان والكسب يتوارح ابنها ، حسن رأيها فيه فذكرته في أرجوزة لها تقول فيها :

« أحلف بلروة يوما والمعنا لك خير من تماريق الصفا . »

نزل ابن الأعرابي ، ما تماريق الصفا قال : الصفا تقطع ساجورا وتقطع عصا الساجور مصير أوتافها ، ويفرق الويد فمصر كل نقطة شظاها ، فإن كان رأس الشظاها كالقطعة صار البقي « همارا » وهو العود انتهى يدخل في أنف البقي ، وإذا فرق للمار جاءت منه التوادى ، والسواجير تكون للكلاب والأسراء من الناس . وواله التي صلى الله عليه وسلم ، « يؤتى بناس من هاهنا ينادون إلى حظوظهم بالسواجير » . وإذا كانت قناة فكل شفة منها قوس يندق ، قال فإن فرق الشفة صارت سهاما ، فإن فرق الشفاه صارت حذاء ، وهي سهام صغار ، ولواحدة حظوة وسروه ، فإن فرق الحظاه صارت منازل ، فإن فرق الفزل شجب به الشباب أقدامه للصدوة المشققة على أنه لا يجد لها أصلح منها . وقال الشاعر :

« توافد أطراف الفتاقد شككه ككثك بالشعب الالاء للثما . »

فإذا كانت الصفا صحيحة سالمة ففيها من المنافع الكبير ، والرائق الأوسط والصغار ، ملا يصبه أحد ، فإذا فرق ففيها مثل الذي ذكرنا وأكثر ، إلى آخر ما أورده الجاحظ في هذا الباب .

(٢) جمع شرعة بكسر أوله أي شريع ومنهج يجري فيها على سنة الملوك من آياله . يريد أن أباده من الملوك لتأجيلهم على سن السكوك نيين يخلفهم من أبنتهم أوهموه لكثرة ما أوصوا بها أنها شرائع منزلة .

(٣) الماخذ في منسخته .

إِنَّ السَّيُوفَ إِذَا مَا طَلَبَ جَوْهَرَهَا فِي أَوَّلِ الطَّبْعِ لَمْ يَتَلَقَّ بِهَا طَبْعُ^(١)
جَدَلَانِ يَسْتَضْحِكُ الْآيَامَ عَنْ شَيْمٍ كَالرَّوْضِ تَضَحُّكَ مِنْهُ فِي الرَّبَا قِطْعُ
كَالْبَارِدِ الْمَذْبِ لَدَتْ مِنْ مَوَارِدِهِ - لِشَارِبِ غَيْبٍ تَزْرِجُ الْعِدَى - جُرْعُ^(٢)

* *

قُلْ لِلْوَزِيرِ الَّذِي تَأْمِيْلُهُ وَزَرِي إِنَّ ضَاكُ مُضْطَرَبٍ أَوْ هَالٍ مُطْلَعُ^(٣)
أَصْبَحَ لِمَنْسٍ عَنَابٍ تَحْتَهُ مَقَّةُ وَكَلَّفَ النَّفْسَ مِنْهَا فَوْقَ مَا تَسْعُ^(٤)
مَا لِلْعَنَابِ - الَّذِي أَحْصَفَتْ عَقْدَتُهُ - قَدْ غَامَرَ الْقَلْبَ مِنْ تَفْصِيْعِهِ جَزْعُ^(٥)
لِي فِي الْمَوْلَاةِ أَتْبَاعُ يَسْرُهُمْ أَنِّي لَهُمْ فِي الَّذِي تُجْزَى بِهِ تَبْعُ^(٦)
أَلَسْتُ أَهْلُ اخْتِصَاصٍ مِنْكَ يُلْبِسُنِي جَلَالَ سِيْمَاهُ ؟ أَمْ مَا فِي مُعْطَنُكُمْ ؟^(٧)

(١) الطبع : الصدا ، يقول : إن السيوف في مبدأ طبيعتها إذا طالع جواهرها لم يلق بها شيئاً ،
يعني أن للمدح طابت أوليته ظلم جواهره ولم يفتنه حبيب .

(٢) فيه تشبيه للمدح بمورد الماء البارد العذب لذائذه منه جرع أفغان فله صغره بعد ضما
مربع شديد .

(٣) وزري : ملجئ ومتصلي ، وضطرب اسم مكان من الضرب وهو السير في الأرض ، ومطلع :
مكان الاطلاع من معرف حاله ، أو مكان المصود من أسفل إلى أعلى ، وفي حديث عمر رضي الله عنه أنه
قال هند مائة ، « لأن لي ما في الأرض جميعاً لا تفتيت به من حول للمطلع » وهو بالانشيد مكان الاطلاع
أراد به ما يعرف عليه من أمر الآخرة ويطلع عليه ضيق اللوت .

(٤) البلى رفيق خطاب كالمس في الأذى ينطوي على مقة ومحبة وكلف نفسك من تحقيق أمني
فوق طائها .

(٥) أحصفت : أحكمت ، والنفقة : الراد بها هنا الرأي والتقدير ، وللعنى : قد كان من القتل وحصافة
الرأي أن أجود إلى القوة وهانذا تأتب مما نسب إلى ، فالتوى قد ضيعت ولم تقبل مما جعل قبيحاً يخالطه
البلوغ وعدم الصبر ، ويمارجه اليأس والحزن .

(٦) يقول : أنا أول الناس في الولاء لكم وغيري تبع ، وأتباعي في اللوالة يسرهم أن أكون في
الجزء تبا وتاليا لهم ، فهم دائماً يسعون لاسقاط منزلي ولإحباط مساعي .

(٧) يقول : أذكر اختصاصي منك بما يجعلني متعلياً بجمال هذا الاختصاص ، فلا يقدم على من هم تبع
لي في الولاء والاخلاص ؟ أم هل تذكر أني قبل غيري أهل لب الصنعة وإسداء الجليل ؟

لَمْ أَوْتِ فِي الْحَالِ مِنْ سَعْيِي لَدَيْكَ وَتَى بَلْ بِالْجُدُودِ تَغْلِيهِ الْحَالُ أَوْ تَقَعُ ^(١)
لَا تَسْتَجِزْ وَضَعْ قَدْرِي بَعْدَ رَفْعِكَ فَأَقْبَلْهُ لَا يَرْفَعُ الْقَدْرَ الَّذِي تَصْعُقُ
تَقَدَّمَتْ لَكَ نَعْمَى رَادَّهَا أَمَلِي فِي جَانِبٍ هُوَ لِلْإِنْسَانِ مُتَجَبُّ ^(٢)
مَازَالَ يُوقُّ شُكْرِي فِي مَوَاقِعِهَا كَأَلْزَنِ تُوقُّ فِي آثَارِهِ التَّرْعُ ^(٣)
شُكْرُ يَرْوِقُ وَيَرْضَى طَيْبُ طُعْمَتِهِ فِي طَيْبِ نَفَحَاتٍ يَنْتَهَا خَلْجُ ^(٤)
خَلَنَ الْعِدَا - إِذْ أَقْبَتْ - أَتْنَاهَا تَقَطَّعَتْ ، هَيْهَاتَ لَيْسَ لِدُ الْبَحْرِ مُنْقَطَعُ ^(٥)
لَا بَأْسَ بِالْأَمْرِ - إِنْ سَاءَتْ مَبَادِئُهُ نَفْسَ الشَّقِيقِ - إِذَا مَا سَرَتْ الرُّجْعُ

* *

إِنَّ الْأَلَى كُنْتُ مِنْ قَبْلِ أَفْضَاحِهِمْ - مِثْلَ الشَّجِي فِي لَهَا هُمْ لَيْسَ يُنْزَعُ ^(٦)

(١) وتى : أى فترة وتوالى فى السعى ، والجودود : جمع جد بالفتح وهو المظ والبهت والمعنى : لم أوت ولم يذهب بسعى عندك فتور ولا تنصير فى اللطافة والسعى ، ولكن الذى قد بى عن ذك أنيق عندك إنما هو حظى الذى به يملو الحال ويرفع ، كما يطر الطائر أو يقع .

(٢) رادها : أى تقدمى أذل أرسلته فى طلب النجاة ، ولدتياذ النعمة ، فصادف جانبا مرمها ، ومراداً لنساءك ومنجها .

(٣) الترغ : جمع ترعة ، وهى الروضة على المكان المرتفع من الأرض ، يقول : ما زال روض شكرى موهجا . مجبا غب سها ، فساد ، كالزمن أى السحاب يعجبك على أثر نزول المطر منه الرياض والزنى قد أترعت بألوان الزهر ، وأينمت بأنواع الثمر .

(٤) طيب طعمته : أى مكعبه الطيب الحلال ، والخلج : جمع خلعة بالكسر ، وهى ما تخلعه من الثياب وأطره على آخر ، أى شكر يروق السامع حسنة . ويرضى الشاكر ما يشهه من طيبات المكاسب ، فى طيه مثل نفعات الروض ينشأ وفى أثنائها تطلع علينا خلج مجيبة ، وحلل ظفرة .

(٥) طان العدا أن هذه الطايا والثفائس مذ أقبت وتأخرت أيلما أنها انقطعت عني ، هيهات أن ينقطع عطاء يشبه البحر الذى ليس لبعده انقطاع .

(٦) يقول فى هذا البيت وألقى بعده :

أَلْ قَبْرِ كُنْتُ - من قبل انتضاح أمرهم وظهور صريح المداواة منهم كالشجا . مقترنا فى حلوهم لا يمكن انتزاعه ، لم أحظ منهم . وهم أعداء مناقول ، إلا بما كنت أحظى به منهم وهم شعبة مسالمون ، يريد أن ضيحه منهم فى الحالين لم يكن سوى الضر والأذى والوقية .

لَمْ أَخْطَ - إِذْ هُمْ عَدَا بَادٍ نَفَاتُهُمْ -
 مَا قَاطَهُهُمْ غَيْرَ مَا سَيَرْتُ مِنْ مَدَحٍ
 كَمْ غُرَّةٍ لِي تَلَقَّتْهَا قُلُوبُهُمْ
 إِذَا تَأَمَّلْتَ خَسِيٍّ غِيبَ غَشْمِهِمْ
 تِلْكَ الْعَرَائِينَ لَمْ يَصْلُحْ لَهَا شَمَمٌ
 أَوْدَعَتْ نَفْسَكَ مِنْهُمْ شَرَّ مُغْتَرِسٍ
 لَقَدْ جَزَّيْتَهُمْ جَوَازِي الدَّهْرِ عَنْ مَتْنٍ
 لَا زَالَ جَدُّكَ بِالْأَعْدَاءِ يَصْرَعُهُمْ
 إِلَّا كَمَا كُنْتُ أَخْطَى إِذْ هُمْ شَيْخٌ
 فِي صَائِكَ الْمِسْكِ مِنْ أَنْفَاسِهِمَا فَنَعَ^(١)
 كَمَا تَلَقَّى شِهَابُ الْمُوقِدِ الشَّمْعُ^(٢)
 لَمْ يَخَفْ مِنْ قَلْقِ الإِصْبَاحِ مُتَّصِدُ^(٣)
 فَكَانَ أَهْوَنَ مَا نِيلَتْ بِهِ الْجَدْعُ^(٤)
 لَنْ يَكْرُمَ الْفَرَسُ حَتَّى تَكْرُمَ الْبُقْعُ^(٥)
 حَقَّتْ قَلَمٌ يَنْدِيهِمْ عَنْ تَحْمِيلِهَا وَرَعُ^(٦)
 إِنْ كَانَ بَيْنَ جُدُودِ النَّاسِ مُصْطَرَعُ

- (١) صائك : اسم فاعل من صاك به المسك يمسك أى لمس به ، قال الأعمى :
 « ومنك ممجية بالشبا ب صاك البعير بأجلاده . »
 وسيأتي لصاحب الديوان قوله في « ص ١٣٩ » :
 « شاء غطل كان ثناه مسك بأردان الحافل صاك . »
 والفتح : نعمة المسك ، ومسك ذوقه ذكر الرائحة طيب الأنفاس . قال الشاعر :
 وفروع ساع أطرافها علقها دمع مسك ذى فتح
 وجاء بالأصل « صايك » بالياء ، و « كنع » بالكاف ولا معنى لها .
 (٢) كم غرّة لى واهمة منيرة تطلع عليهم فتفتأها قلوبهم وهي متأججة مستمرة ، كما يطلق الشرح عند
 الإشارة حر الثعالب من مولده ومشيده .
 (٣) يقول حي وانح كلفى الصبح ، وحيهم منشوش كاذب .
 (٤) العرائين : جمع عرين ، وهو أعلى الألف عند ملقى الحاجبين ، أو هو ما سلب من عظم الأنف ،
 قال ذو الرمة :
 « تلى القاب على عرين أدبة شاء ملوتها بالمسك مرثوم . »
 والشعر : ارتخا قصبه الألف وحسنها مع استواء أعلاها وإعتراف الأرنبة ، وإذا وصف الرجل بالشعر
 فاعلموا أنه سيد حريف النفس ذو ألفة وشوخ وجيه ، ويقال هم هم العرائين كناية عن ذلك ، قال
 كعب بن زهير :
 « هم العرائين أبطال لبوسهم من نسج داود في الميجاسرايل . »
 والجلبع : القطع اللين في الألف والأذن ونحوهما وهو مصدر جبع كفرح فهو أجبع .
 (٥) يقول : لقد استنبت مساك في بقعة خبيثة من نخوس هرفت بنمط النعمة ونكران الجبل .
 (٦) يقول : لأن الدهر جازاهم من دن أسد بدوها إليهم ، شفوا على آثارها ولم يجدوا في محطها
 والامتنام من شكرها .

تهنئة بقران

« وقال يندح المتضد بآفة المتصور بفضل الله »

أبا عمرو عبد الله ورجنيه بالبناء على البنية

بنت للموفق مجاهد رجهما الله . »

أَخْطَبُ فَلَنُكَكَ يَفْقِدُ الْإِمْلَاكَ ۚ وَأَطْلُبُ فَمَسْمُوكُ يَضْمَنُ الْإِدْرَاكَ ۚ^(١)
وَصَلَ النُّجُومُ بِحِطِّ مَنْ لَوَّ رَاثَهَا ۖ هَجَرَتْ إِلَيْهِ زُهُرُهَا الْأَفْلَاكَ ۚ^(٢)
وَأَسْتَهْدِ مِنْ أُنْعَى مَرَاتِعَهَا الْمَهَا ۖ فَالْمَصْنَبُ يَسْمَعُ فِي عِنَانِ هَوَاكَ ۚ^(٣)
يَأْتِيهَا إِلَيْكَ الَّذِي تَذِيرُهُ ۖ هَذِي اللَّيَالِي بِالْأَمَانِي تَمَحُّهُ ۖ
فَاعْقِلْ شَوَارِدَهَا إِزَاءَ عَقِيلَةٍ ۖ وَاقْتِ مُبَشِّرَةً بِبَيْلِ مُنَاكَ ۚ^(٤)
أَهْدِي الزَّمَانُ إِلَيْكَ مِنْهَا تُحْفَةً ۖ لَمْ تَعُدْ أَنْ قَرَّتْ بِهَا عَيْنَاكَ ۚ^(٥)
فَحَسَّ تَوَارَتْ - فِي ظِلَامٍ مَضِيئَةٍ - ثُمَّ اسْتَطَارَ لَهَا السَّنَا بِسَنَاكَ ۚ^(٦)

(١) الاملاك : هذه الزواج ، يقول : اخطب فملكك يوزها الصهر والنسب ، واطلب فمسموك يضمن لإدراك ما يطلب .

(٢) وصل النجوم بحط ملك لو رام زهر النجوم هجرت إليه أفلاكها ، يريد أنلورام مصاحرة من ارتفع لسيهم من الملوك إلى مسعوى زهر الكواكب في أفلاكها ، لسانوا إليه من زهر مراتها ما يرومه ، وتسمو إليه نفسه ، ويخاره لها وصيرا .

(٣) استهد : أطلب الهدى من هدى البروس يعني إليه هداه زوها إليه ، وفي الأصل (استبر) وهو من استهواء الشياطين ، ولا معنى له هنا ، أي اطلب من أنعم أحباء العرب وأشدها حاية وحيفة أن يهدوا إليك من بناتهم الشبهات بالها أي بثر الوحش في اللياس وسواد السيود من تريد وتهوى فالالمحب يلس ويظا في مناه مرادك وموافك .

(٤) أي أنصى تديره لوام للملكة ولطالها التي يمتد عليه في أمورها .

(٥) مضية : يقال هو يدار مضية كيفية أي يدار ترك والطراح وإشاعة ، واستطار : أظهر ، ولاننا : بالضم البناء ، أي كانت قبل هذا الاملاك شمسا محتجة وراء حجب الاعمال والترك ، فاستطار إليها شعاع من سنا وجهك ، فأدركت وأظورت .

قُرْنَتْ يَذِرُ السَّمَّ كَافِلَةً لَهُ أَنْ سَوْفَ تُنْبِئُ فَرَقْدِينَ بِمَا كَا^(١)
 هِيَ وَالْفَقِيدَةُ كَالْأَدِيمِ أَخْبَرَتْهُ فَقَدَدَتْ إِذْ خَلَقَ الشَّرَاكَ شِرَا كَا^(٢)
 فَاصْفَحْ عَنِ الرِّزْوِ الْمَاوِدِ ذِكْرُهُ وَأَسْتَأْنِفِ النُّعْمَى فَتِلْكَ بِذَا كَا^(٣)

بِسْمِ اللَّهِ

لَمْ يَبْقَ عُدْرٌ فِي تَقْسَمِ خَاطِرٍ إِلَّا الصَّبَابَةُ مِنْ دِمَاءِ عِدَاكَ
 كُفَّارُ أَنْثِيكَ الْآلَى حَلَّتِيهِمْ أَطْوَاهُمْ ، سَيَطْلُوتُونَ ظُلُمًا كَا^(١)
 أَعْرِضْ عَنِ الْخَطَرَاتِ إِنَّكَ إِنْ نَشَأَ تَكُنُ النُّجُومُ أَسِنَّةَ لِقَتْنَا كَا^(٢)
 هُمَيْرُ النَّيْمِ يَعْطِفُ دَهْرَكَ فَانْتَنَى وَجَرَى الْفِرْنَدُ بِصَفْحَتَيْ دُنْيَا كَا^(٣)
 وَبَدَا زَمَانُكَ لِأَبَا دِيَابَجَةَ تَجَلُّوْا لِمَنِ الْمَجْتَلَى سِيَمَا كَا
 دُنْيَا لَزَهْرِيهَا شَمَاعٌ مَذْهَبٌ لَوْ كَانَ وَصْفًا كَانَ بِمَنْ خَلَا كَا

(١) يقول : قرنت هذه العيلة بغير ألم شامة له أن ستنبئ فرقدين نجما يريد أنها ستجب أمثال الكواكب النيرة من الذكور .

(٢) الأديم : الجلد ، وخلق : بلى ، والمراك : أحاديث يورث النمل التي على ظهرها ، يقول : هذه العيلة وزوجك الفقيدة كالأديم قطعت منه بدل المراك الذي على فراكا جديدا ، أي اخترت بدل الفقيدة ، زوجا أخرى جديدة ، وقد ألف العرب أن يشبهوا المرأة بالنمل ، وجازاهم ابن زيدون في ذلك ، وقد قال الحريري في مقامه من حوار طويل : « قال لمن ظهر له ، فقد اغشى وضوءه بشفه أي إلى لس أسراه .

(٣) أي تلك النعمى بالجديدة ، عوض من ذلك الرزء بالفقيدة ، فاضرب مصفا عما يهاوك من ذكريات ولم تفك ويبتك على الحزن .

(٤) جمع طبة بالقم ، وهي حد السيف ، يقول : إن الذين طوتهم بأمنك فجمعوا بها ، سيجل لهم هذا من سيوفك في أمانهم أطواها يلوغونها .

(٥) أعرض عن كل خطرة تخطر بقلبك ، وتقع في ياك من جهة تدبير الملكة ، فاك منصور على أملاكك ، ولو شئت لتناولت نجوم السماء لجلسها أسنة لرمحك .

(٦) جبل النيم مصفا كصفت الحساء تهصره أي تليه إليك فيتل كما تهصر النمن وتليه نحوك لطف بحاره ، وجبل لنيا للمدح التي احوت النيم فرندا يجري في صفحتها ماء وتترق ديباجته ، فأصاها صورة ساحرة فاتة لما يصل بالمدح من دنيا يحفها النيم .

فَتَمَلَّ في فُرُشِ الْكَرَامَةِ نَاعِمًا وَأَعْقِدْ بِمَرْتَبَةِ السُّرُورِ حُبًّا كَا
وَأَطْلِنِ - إِلَى شَذْوِ الْفَيَّانِ - إِصَاخَةً وَتَلَقَّ مُتَرَقِّةَ الْكُؤُوسِ دِرَاكًا
تَحْتِهَا مِثْنَى مِثْنَى قَادَةٍ شَقَمَتْ بِحَثِّ غِنَاهَا الْإِمْسَاكَ
مَا الْمَيْسُ إِلَّا فِي الصَّبُوحِ بِسُحْرَةٍ قَدْ جَاسَدَتْ أَنْوَارَهَا الْأَخْلَاكَ كَا
لَكَ أَرْيَحِيَّةٌ مَاجِدٌ - إِنْ تَعْتَرِضُ ۞
مَنْ كَانَ يَمْلِكُ فِي خِلَالِ نِدَائِهِ دَمٌ يَمِضُ خِلَالِهِ فَخَلَاكَ
أُسْبُوحُ أَنْسِ مُعْدِتُ لِي وَحْشَةٍ عِلْمًا بِأَنِّي فِيهِ لَسْتُ أَرَاكَ
فَأَنَا الْمُعَذَّبُ قَبِيرُ أَتَى مُشَرَّمُ تَقَّةً بِأَنَّكَ نَاهِمٌ هَهْنَا كَا
إِنِّي أَقُومُ بِشُكْرِ طَوْلِكَ بَعْدَ مَا مَلَأْتَ مِنْ أَلْدُنْيَا يَدَيَّ يَدَاكَ
بَرَدَتْ ظِلَالُ ذَرَاكَ ، وَأَخْلَوْنِي جَنِّي نَعْمَاكَ لِي ، وَصَفَتْ جِجَامُ نَدَاكَ
وَأَمِنْتُ عَادِيَةَ الْعِدَا الْأَقْتَالِ مَذْ أَعْصَمْتَ فِي أَعْلَى يَفَاحِ جِمَا كَا

(١) تَمَلَّ : تَنَجَّ ، بِقَالَ مَلَكُ اللَّهِ حَبِيبُكَ أَيْ مَتَكَ وَأَطَشَكَ مَعَهُ طَوِيلًا ، وَالْجِبَا : جَمْعُ حَبْوَةٍ وَهُوَ أَنْ يَجْمَعَ الْجَالِسُ ظَهْرَهُ وَسَانِيَهُ بِنُوبٍ أَوْ نَحْوِهِ .

(٢) تَحْتِهَا : أَيْ الْكُؤُوسُ أَصْوَاتُ عُمَادٍ مِثْنَى مِنْ رَنَاتٍ مِثْنَى عُمَدٍ فِي يَدِ قَادَةٍ دَسَمَتْ إِلَى حِثِّ الْغَنَاءِ إِسْكَاتِ الصَّوْتِ بِدِ الْخَلَاةِ .

(٣) جَاسَدَتْ : خَالَطَ يَأْسُ أَنْوَارَهَا سَوَادَ ظِلْمَاتِهَا .

(٤) لَهْوٌ رَاحِكٌ : أَيْ فِي إِيْلَانِ لَهْوٍ بِضَرْبِ الرِّيحِ وَتَسْتَهْلُ تَطْمُرُ وَالْهَا : جَمْعُ لَهْوَةٍ بِالضَّمِّ ، وَهِيَ الْمَطْلَاةُ الْجُرَّةُ الْكَتْمَةُ .

(٥) مَنْ كَانَ : أَنْتَ الْتَامِدَةُ عَلَى الْفَرَابِ يَطْلُقُ بِيضُ خِلَالِهِ وَغَمَالُهُ مَا يَهَابُ وَيَهْمُ عَلَيْهِ ، تَلَاكَ دَمٌ وَحَلَاكَ عَيْبٌ .

(٦) هُوَ الْأَسْبُوحُ الَّذِي يَأْسُ فِيهِ بِمَرْسَمِهِ ، وَلَا يَخْرُجُ إِلَى خَاصَتِهِ الْقِدْرَا : بِالْفَتْحِ كُلُّ مَا اسْتَفْرِغَتْ بِهِ ، بِقَالَ أَنَا فِي ذَرَا فَلَانِ أَيْ فِي كَنَفِهِ ، وَالْجَلْمُ : جَمْعُ جَلْمَةٍ بِالضَّمِّ وَهُوَ مَعْظَمُ الْمَاءِ ، وَالنَّدَى : الْمَطَاةُ أَيْ صَفَا هَطَاؤُهُ الشَّيْبَةُ لِلْمَاءِ فِي الْغَمَاءِ فَلَمْ يَكْدُرْ مِنْ .

(٧) الْأَقْتَالُ : الْأَنْزَالُ الْمَسَاوِيلُ فِي الشَّجَاعَةِ مِنْ أَعْدَائِهِ ، وَأَعْصَمْتَ : مِثْلُ أَعْصَمْتَ أَيْ اسْتَعَصَمْتَ وَابْتَعَمْتَ وَبَلَّغْتَ ، وَالْبَيْعُ : لِلْكَانِ لِلرَّهْجِ .

جَهْدَ الْقِلِّ نَمِيحَةً نَمُوحَةً أَفَرَزْتَ مُهْدِيَهَا فَلَا إِشْرَاكَ^(١)
وَتَنَاءَ مُخْتَلٍ كَأَنَّ تَنَاءَهُ مِنْكَ يَارْذَابَ الْمُحَاطِلِ صَاكَ
وَتَذْهَبِي وَعَدْوِكَ الشَّائِي ، فَإِنْ يَرْمِ الْقِرَاعَ يَجِدُ سِلَاحِي شَاكَ^(٢)
لَا تَمْدَمَنَّ الْحَظَّ غَرَسًا مُطْلِعًا * تَمَرَّ الْقَوَائِدِ دَانِيَا لِنَنَاكَ
وَالنَّصْرَ جَارًا لَا يُحَاوِلُ ثِقَلَةً وَالصَّنْعَ زَهْنًا لَا يُرِيدُ فِكَكَ
وَإِذَا هَمَامُ السَّنْدِ أَصْبَحَ صَوْبُهُ دَرَكُ الْمَطَالِبِ فَلْيَمِيلْ سَفِيَاكَ
فَالذَّهْرُ مُفَرِّفٌ بِأَنَا لَمْ نَكُنْ لِنَسْرٍ مِنْهُ - بِسَاقَةٍ - نَوَلَاكَ

عهد

كَمَا تَشَاءُ فَقُلْ لِي لَسْتُ مُسْتَقِلًّا لَا تَخْشَ مِنِّي نِسْيَانًا وَلَا بَدَلًا^(٣)
وَكَيْفَ يَنْسَاكَ مَنْ لَمْ يَذَرِ بَعْدَكَ مَا طَعُمَ الْحَيَاةَ وَلَا بِالْبُعْدِ عَنْكَ سَلَا
أَتَلَقَّنِي كَلْفًا ، أَبْلَيْتَنِي أَسْفَا قَطَعْتَنِي شَفَقًا ، أَوْرَثْتَنِي عِلَلًا

* *

إِنْ كُنْتُ خُنْتُ وَأَضْمَرْتُ السُّلُوفَ فَلَا بَلَغْتُ بِأَمَلِي مِنْ قُرْبِكَ الْأَمَلَا^(٤)
وَأَلْفِهِ لَا عَلِقْتُ نَفْسِي بِبَعِيرِكُمْ وَلَا أَخَذْتُ سَوَاكُمْ مِنْكُمْ بَدَلًا

(١) أعدى إليك نهاية ما يستطيع إعداده مثل ، نصيحة خالمة أفرزت مهديتها واختصمت بها لم تترك معه فيه غيره .

(٢) الثاني : للبعض ، والقِرَاعُ القارعة بالسيف ، وشاك : السلاح يشاك شوكا ظهرت شوكتها وحده ، أى أدعى لمنازلة ومجادة عدوك الثاني للبعض فانه من يرمي ذلك يجدنى شاكي السلاح مستعدا لمقاتلته .

(٣) يقول : إني احتل منك كل شيء وليس ذلك بمحولى من حيك ولا هو بدائى إلى نسيائك أو الاعتلال من حيك إلى حب سواك .

(٤) يقول : « طالبي الله يأبى منك وحرمنى صلتك وودادك إذ كنت فكرت لحظة في السلو منك .

مدح ورثاء^(١)

« قال مدح للمتمد ، وبرئ المعتضد بالله . »

هُوَ الدَّهْرُ فَاصْبِرْ لِلَّذِي أَحْدَثَ الدَّهْرُ فَنَ شِمَ الْأَبْرَارِ - فِي مِثْلِهَا - الصَّبْرُ
سَتَصْبِرُ صَبْرَ الْيَأْسِ أَوْ صَبْرَ حِسْبَةٍ^(٢) فَلَا تُؤْثِرُ الْوَجْهَ الَّذِي مَعَهُ الْوِزْرُ^(٣)
حِذَارَكَ مِنْ أَنْ يُعْقِبَ الرِّزْقَ فِتْنَةً يَضِيقُ لَهَا - عَنْ مِثْلِ إِيْمَانِكَ - الْعَذْرُ
إِذَا أَسِفَ الشُّكْلَ اللَّيْبُ فَشَقَّهُ رَأَى أَفْدَحَ الشُّكْلَيْنِ أَنْ يَهْلِكَ الْأَجْرُ^(٤)
مُصَابَ الَّذِي يَأْمُرُ بِمَيِّتِ ثَوَابِهِ هُوَ الْبَرْخُ لَا لِمَيِّتِ الَّذِي أَحْرَزَ الْقَبْرُ^(٥)

* * *

حَيَاةُ الْوَرَى تَهْجُ إِلَى الْمَوْتِ مَهْجٌ^(٦) لَمْ فِيهِ إِضْيَاعٌ^(٧) كَمَا يُوضِعُ السَّفَرُ^(٨)

(١) ج. في ص ٤٧٩ من فتح الطيب ما فيه :

« ولما مات والده للمتمد واستقل بالملك ، قال ذوالوزاريتين ابن زيدون يرثي للمعتضد بقصيدة طويّة أولها :

« هو الدهر ، فاصبر للذي أحدث الدهر فن شيم الأحرار في مثلها الصبر . »

وقد ذكر صاحب فتح الطيب أكثر أبيات هذه القصيدة وإن اختلفت في قليل من الألفاظ في بعض أبيات القصيدة من رواية الذبوان .

وسمى القاري تشابها كثيرا بين هذه القصيدة وبين القصيدة الرائية التي قالها ابن زيدون في رثاء الوزر أبي الحرم .

(٢) حبة : احتساب الأجر ، وفي رواية فتح الطيب : « أو صبر وحشة »

(٣) وفي رواية فتح الطيب : « فلا تؤثر الوجه الذي معه الوزر »

(٤) وفي رواية فتح الطيب : « أن يذهب الأجر »

(٥) وفي رواية فتح الطيب : « يأس بموت ثوابه » (٦) طريق .

(٧) الإيضاع : السير السريع . قال أبو العلاء :

« لا وضع لرجل إلا بعد إضباع فكيف شاعرت إضاعي وإزماعي . »

(٨) السفر : للمارون .

فَيَا هَادِي الْمَنَاجِ جُحِرَتْ ، فَلَمَّا
إِذَا الْمَوْتُ أَضْحَى قَصَرَ ^(١) كُلُّ مُتَمَرِّ
أَلَمْ تَرَ أَنَّ الَّذِينَ ضَلُّوا دِمَارُهُ
بِحَيْثُ اسْتَقَالَ الْمَلِكُ ثَانِي عِطْفِهِ
هُوَ الضَّيْمُ لَوْ غَيْرُ الْفَضْلِ يَرُومُهُ
إِذَا عَرَّتْ جُرْدُ الْمَنَاجِجِ ^(٢) فِي الْقَنَا

الْأَنْفَسُ نَفْسٍ فِي الْوَرَى - أَفْصَدَ الرَّدَى
وَأَخْطَرَ عَلَيَّ - لِإِهْدَى - أَفْقَدَ الدَّهْرُ
أَعْبَادُ يَا أَوْفَى الْمُلُوكِ ، لَقَدْ عَدَا
عَلَيْكَ زَمَانٌ مِنْ سَجِيَّةِ الْغَدْرِ
وَذَكَرَكَ - فِي أَرْذَانِ أَيَّامِهِ - عَطُرُ

غُشِبَتْ فَلَمْ تَغْشَ الطَّرَادَ سَوَاجِحُ ،
وَلَا جُرْدَتِ يَبْضُ ، وَلَا أَشْرَعَتْ مُنْمَرُ ^(٣)

(١) البحر : بفتح والضم : المكروه والأمر العظيم ، وقد روى للبرد صاحب الكامل : أن الخليفة أبا بكر رضي الله عنه حين حضرته الوفاة قال في آخر كلمة : يا هادي الطريق جرت ، إنما هو والله القبر أو البحر ودوله « إنما هو والله القبر أو البحر » يقول : « إن انتظرت حتى يضيء لك القبر الطريق أصبحت تصدق وإن خبطت الظلمات وركبت المشواء هبنا بك على المكروه » وضرب ذلك مثلاً لفترات الدنيا وتغييرها أهلها (الكامل : ج ١ ص ٥٠ و ٦٠ و ٧٠)

وجاء في السان قوله : وفي حديث أبي بكر رضي الله عنه : إنما هو القبر أو البحر قال : البحر - بالفتح والضم - الفاحية والأمر العظيم . أي أن انتظرت حتى يضيء القبر أصبحت الطريق ، وإن خبطت الظلمات أنضت بك إلى المكروه . قال : ويزوي البحر بالماء يريد محمرات الدنيا شبهها بالبحر لتغير أهلها فيها .

(٢) قصر : قصارى أو غاية . (٣) دثر : كثير .

(٤) المناجج : جراد الليل والأيل . (٥) يبيض : سيوف ورمح .

وَلَا تَلْتِ الْمَحْدُورَ عَنْكَ جَلَالَهُ وَلَا غُرْرَ مَبْتُ وَلَا تَأْتِلْ غَمْرُ^(١)
 لَنْ كَانَ بَطْنُ الْأَرْضِ هُمِيٌّ أَنَّهُ[✽] بِأَنَّكَ تَأْوِيهِ لَقَدْ أَوْحَى الظُّهْرُ
 لَمَرُّ الْبُرُودِ الْبَيْضِ فِي ذَلِكَ الثَّرَى لَقَدْ أَدْرِجَتْ أَثْنَاءَهَا النِّعَمُ الْخَضِرُ
 عَلَيْكَ - مِنْ اللَّهِ - السَّلَامُ نَحِيَّةً يُسَمِّكَ الْفُقَرَاءَ وَنَحَايَهَا النُّصْرُ
 وَعَاهِدَ ذَلِكَ اللَّهَ عَهْدَ سَحَابٍ إِذَا اسْتَعْبَرْتَ فِي تَرْبِهِ - أَبْقَسَمَ الرَّهْرُ^(٢)
 فِيهِ عِلَالَهُ لَا يُسَاقَى يَفَاعُهُ^(٣) وَقَدَّرُ شَبَابٍ لَيْسَ يَمُدُّهُ قَدَّرُ
 وَأَبْيَضَ فِي مَلَى الصَّبِيحِ كَأَنَّهُ[✽] صَبِيحَةُ مَأْثُورٍ طَلَقَتْهُ الْأَثَرُ^(٤)
 كَانَ لَمْ تَمِرْ حُمْرُ النَّبَايَا تُظَلِّبَا إِلَى مَجَرِّ الْأَقْيَالِ^(٥) وَابَاتُهُ الْحُمْرُ
 وَلَمْ يَحْمِ مِنْ أَنْ يُسْتَبَاحَ حَتَّى الْهَدَى فَلَمْ يُرَضَّهِ إِلَّا أَنْ أُرْتَجَعَ الْغَمْرُ
 وَلَمْ يَنْتَجِعْهُ الْمُتَقَوُّونَ^(٦)، فَأَقْبَلَتْ حَطَايَا كَمَا وَآلَى شَأْبِنَهُ^(٧) الْقَطْرُ

(١) النَّاتِلُ النَّصْرُ : الْعَطَاءُ الْجَزِيلُ الْكَثِيرُ .

(٢) يَدْعُو اللَّهَ أَنْ يَطْرُدَهُ بِسَحَابٍ تَدْفِرُ مَا هِيَ عَلَى الْأَرْضِ فَتَرَى أَزْوَاجَهَا تَنْتَضِرُهَا .

(٣) الْيَفَاعُ : الرَّتَقُ مِنَ الْأَرْضِ .

(٤) الْأَثَرُ : فَرْدُ السِّيفِ ، وَرُوحُهُ ، وَهُوَ وَاحِدٌ لَيْسَ بِجَمْعٍ ، قَالَ الشَّامِرُ :

« جَاءَهَا الصَّيْلُونَ فَأَخْلَصُوهَا خِلَافًا ، كَلِمَاتُ بَنِي بَأَثَرُ . »

أَيُّ كَلِمَاتُ يَنْتَقِظُكَ بِفَرْعِهِ . وَبَنِي عَخْفَ مِنْ بَنِي .

وَقَالَتْ إِمْرَأَتُهُ :

« فَمَا وَدَعْتُ فَأَمْتُ مَنَاقِبَهُ وَإِذَا انْقَبِطَتْ ضَرَمَكَ الْأَثَرُ . »

وَقَالُوا : سَيْفُ مَأْثُورٍ ، أَيْ فِي مَنَةِ أَثَرٍ . وَأَخَذَ مِنَ الْأَثَرِ كَأَنَّ وَشْيَهُ أَثَرٌ فِيهِ ، أَوْ مَنَتُهُ حَدِيدٌ أَثَرَتْ

وَشَفَرَتُهُ حَدِيدٌ ذَكَرَ ، وَتَدَرَّجُوا أَنَّهُ السِّيفُ الَّذِي يَمْلِكُهُ الْبَنِي .

(٥) الْأَقْيَالُ - جَمْعُ قِيلٍ - وَهُوَ الشَّجَاعُ .

(٦) يَنْتَجِعُهُ الْمُتَقَوُّونَ : يَطْلُبُ مَعْرُوفَهُ طَالِبُوا الْأَحْصَالِ وَالنَّدَى .

(٧) شَأْبٌ : جَمْعُ شَوْبٍ ، وَهُوَ الْفَيْضُ مِنَ الطَّرِّ .

وَلَمْ تَكْتَفِ آرَامَهُ أَلَمِيَّةٌ كَانَ نَجَى النَّيْبِ فِي رَأْيِهَا - جَهْرٌ^(١)
وَلَمْ يَنْشَذِرْ لِلْأُمُورِ^(٢) مُجَلِّيًا إِلَيْهَا كَمَا جَلَّى مِنَ الْمَرْقَبِ الصَّقَرُ

كِلَا لَقِيَ سُلْطَانَهُ صَحَّ قَالَهُ فَبَاكَرَهُ عَضْدُ وَرَاوَحَهُ نَصْرٌ^(٣)
إِلَى أَنْ دَعَاهُ يَوْمُهُ فَلَجَابَهُ وَقَدْ قَدَّمَ الْمَرْوُوفَ وَأَسْتَمَجَدَ الدُّخْرُ
فَأَمْسَى تَبِيرٌ قَدْ تَصَدَّى لِحِلْمِهِ مَرِيرٌ قَلَمَ يَبْهَضُهُ^(٤) مِنْ هَضْبِهِ إِصْرُ

أَلَا أَيُّهَا لَوْلَى الْوُصُولُ عَيْبُهُ لَقَدْ وَابَنَّا أَنْ يَتَلَوَّ الصَّلَاةَ الْهَجْرُ
تُعَادِيكَ - دَاعِيَنَا السَّلَامَ - كَعَهْدِنَا فَمَا يُسْمَعُ الدَّاعِي وَلَا يُرْفَعُ السُّرُ
أُخْتُ عَلَيْنَا ذَادَ عَنْ ذَلِكَ الرِّضَى فَنُتَبَّ أَمْ بِالْمُسْتَعْرِ الْمُعْتَلَى وَقُرُ^(٥)
أَنَا إِنَّهُ شُغْلٌ قَرَأَكَ بَعْدَهُ سَبَنَصَاتُ إِلَّا أَنْ مَوْعِدَهُ الْحَشْرُ^(٦)
أَنْسَاكَ - لَمَّا يَنْأَى عَهْدٌ - وَلَوْ تَأَى سَحِيسَ الْأَيَّامِ لَمْ يَرَمْ نَفْسِي الدَّكْرُ^(٧)
وَكَيْفَ يَنْسِيَانِ وَقَدْ مَلَأَتْ يَدِي جِسَامُ أَيَّامٍ مِنْكَ أَيْتَرَهَا الْوَقْرُ

(١) لأن لم تكتف فطنته وألميته . مستور النيب الذي يقبى لها رغم غناه وأخها جليا .

(٢) تشذر الأمور : تشغل إليها وتخرج ، وتشذر الرجل تيباً لقتال والحجة .

(٣) يشير إلى تلبية بالمضد والتصور . (٤) يبهضه : يهظه ، أى يقتل عليه حله .

(٥) في رواية فتح الطيب :

«أخبت علينا ذامن ذلك الرضى فسمع أم الخ»

(٦) يقول : إنك في شغل لن يعنى إلا إذا جاء يوم المعسر .

(٧) دام برهم : فاروق يفرق ، يقول : كيف أنساك ولم يطل عهدي بك ولو طال أمد العمر لم أنساك ولم تهارق نفسى ذكراك .



لَنْ كُنْتُ لَمْ أَشْكُرْ لَكَ الْبَنَى أَنِّي تَمَلَّيْتُهَا تَتَرَى لَا وَبَقِي (١) الْكُفْرُ
فَقَلَّ عَلِمَ الشَّلُو الْمُقَدَّسُ أَنِّي سُوءُ حَالٍ ضَلَّ فِي كُتْمِهَا الْفِكْرُ (٢)
وَأَنْ مَتَابِي لَمْ يُضِغْهُ « مُحَمَّدٌ » خَلِيفَتِكَ الْمَذَلُّ لَمْ يَرْضَى وَأَبْنُكَ الْبَرُّ
هُوَ الظَّافِرُ الْأَعْلَى الْمُؤَيَّدُ بِاللَّيِّ لَهُ فِي اللَّيِّ وَلَاهٌ مِنْ صُنْعِهِ سِرُّ
رَأَى فِي اخْتِصَامِي مَا رَأَيْتَ وَزَادَنِي مَرِيَّةٌ زَانِي (٣) مِنْ تَنَاجُجِهَا الْفَقْرُ
وَأَزْغَمَ فِي بَرِّي أَتَوْفَ عَصَابَةٍ لِقَاوَهُمْ جَهْمٌ وَلَحْظُهُمْ شَرُّ
إِذَا مَا أَسْتَوَى فِي الدَّسْتِ عَاقِدَ حَبْوَةٍ وَقَامَ سِمَاطًا حَفْلِهِ فَلَئِي الْعَمْدُ (٤)

(١) لأملكى (٢) الشلو : المضمومة أشلاء . يقول : حل دلم الجند ليت الطاهر
أني أحول أن أُنصِبَ ما لا سبيل إلى استيفائه أي أنه يحاول أن يرغم نفسه على الرضى بما حدث
فلا يجد إلى ذلك سبيلا . (٣) قرئ .

(٤) استوى : جلس ، ولست : مغرب دشت ومضعا بالانارسية اليد - كما يؤخذ من شفاه الطليل
وترك هذه اللادة في الحال ، وفي إتمامه : « لست لفتت ومن الثياب والورق وصعد البيت
مربيات . » واستعملها اللولون لمان منها المجلس كما في البيت الذي نحن بصدده ، قال أبو العلاء المعري :

« من آلة الـست ما عند الوزير سوى تحريك الحيتة في حال إرماء

نحو : الوزير ولا أزر يشد به مثل المروض له بحر بلا ماء . »

وورد في القامة الحادية عشرة من مقامات الحريري عند قوله :

« تبصر ودع القوم وتقل لي حل ترى اليوم

فبق لا يجر القوم إذا ما دسسته ثم . »

وهو هنا بمعنى الحيلة والتخديع ، وللمنى تحت حيله ، ويغال فلان تم عليه الفتى في التناثر أي لم يفر وورد
في آخر القامة الثامنة عشرة عند قوله :

« فنادونا بعد أن رغبت عنه ، وزايلنا أنه ، كسبت غاب صدره ، أو ليل أفل بدمه . »

وهو هنا بمعنى المجلس وورد في أوله القامة الثالثة والعشرين عند قوله :

« فركنت في إثر التفاهة ، حتى وافيتا باب الأملوه ، وهناك صاحب المدونة مقربا في دسسته ،
ومروها بسنه . »

وَفِي نَفْسِهِ الْعَلِيَاءَ لِي مُتَبَوِّأً . يُتَافِسُنِي فِيهِ السَّمَاءُ كَانَ وَاللَّسْتُ
يُطِيلُ الْمِدَا فِي التَّنَاجِي خُفْيَةً يَقُولُونَ : « لَا تَسْتَفْتِ ، قَدْ قَضَى الْأَمْرُ » ،
مَضَى نَفْسُهُمْ - فِي عَقْدَةِ السَّعْيِ - مَنَلَةً فَمَادَّ عَلَيْهِمْ غَمَّةَ ذَلِكَ السَّحَرِ
يَشِبُّ مَكَانِي عَنْ تَوْفِي مَكَانِهِمْ كَمَا شَبَّ قَبْلَ الْيَوْمِ - عَنْ طَوَافِهِ مَعْمُرُو^(١)

وهو هنا بمعنى المجلس أيضا وورد في آخر هذه القامة عند قوله :

« فلما حضرت الوالي وقد خلا مجلسه ، وانجلى منبهه ، أخذ يصف لي زيد وفعله ، ويذم العرفه ، ثم قال : لشدتك الله - ألت ألقى أمراه الفت ؟ قلت : لا والقي أملك في هذا الست ، ما أنا بصاحب هذا الست ، بل أنت ألقى تم عليه الست . « فالت الأول هو التوب ، والثاني المجلس ، والثالث هو التوب أيضا ، والزابع الحية .

والحيوة : بضم وكسر أوله وتجمع على جباعي أن يجتمع المجلس ظهره وسائيه يوب أو يديه ، ويقال حل فلان حيوته ، وهذا الأمر مما يحل له الحيا ، والحيوة - بالفتح - الصدر ، والباط : الصف من الناس ، يقال قام التوم حوله ساطعين أي صنفين ، ومضى بين الساطعين أي بين الصنفين ، يقول إنه يمشح في الجالوس في الصدر إذا استوى في مجلسه ومثل حوله صفان من خلفه .

(١) أصل اللؤل : « شب عمرو من الطوق » وفي رواية أصل البلالة : « جل عمرو من الطوق » ، وفي رواية جمع الأمثال البدياني « كبر عمرو من الطوق » ومعنى البت :

« لقد جل مكانى عن أن أحاذرهم » كما جل عمرو من الطوق .

قال ابن تقيية في كتاب الطوق : و عمرو هنا هو عمرو بن هندى بن نصر ، ابن أخت جذية الأبرش ، وهو ألقى كال يقول - إذ اجتمع الكمأة بين يدى غله وهو صي - :

« هذا جنابى ، وخياره فيه إذ كل جان يده إلى فيه . »

وقد زعموا أن الجين استهوته حيناً ، ثم ظهر فوجده مالك وعطيل ، قالوا : « فالتب لها . فأبيا به

جذية فسر به سرورا شديدا وحكماهما فبالأه مناديه . »

وقد ضربت الأمثال بدمعائ جذية ، فقال متم التنويرى حين رأى أمه :

« وكنا كنتمائ جذية حبة من الفرح حتى قيل لن تصمدا

وعشنا بخير - في الحياة - وقبنا أصاب الناي رهط كسرى وبنا

فما تفرقا مكانى ومالكا - لطول اقتران - لم نبت ليقصا . »

وقال أبو خراش الهذلي :

« ألم تملى أن قد عرق - بلبل - خيلا صفاء مالك وعطيل . »

وقد أشار أبو الللاء للمرى إلى تدمائ جذية إشارة ناعمة في رسالة الغفران (ج ١ ص ١٣٢) فليرجع إليها

من شاء ، قالوا : وأصل هذا اللؤل أن أم عمرو تظنت وأبسته ثياب اللوك وطوقته بطوق في عته وأمرته

بزيارة غله ، قالوا : فلما رأى غله لحية والطروق في عته ، قال : « شب عمرو من الطوق » فذمبت مثله

قالوا : « وكانت الزباء قتلت غله فأمره عمرو فحصد ثأره فقتلها . »



لَكَ الْخَيْرُ، إِنَّ الرُّزْءَ كَانَ غِيَابَةً
فَقَرَّتْ عَيْنُونَ كَانَ أَسْفَهَتَهَا الْبُكَاءُ
وَلَوْلَاكَ أَغْيَا رَأْبُنَا ذَلِكَ الثَّانِي (١)
وَمَا قَدَمْتُ الْجَبِشَ بِالْأَمْسِ أَشْرَقَتْ
فَقَضَيْتَ مِنْ فَرَضِ الصَّلَاةِ لِبَانَةً
وَمِنْ قَبْلُ مَا قَدَمْتُ مَتْنَى تَوَافِلِ
وَرُحْتُ إِلَى الْقَصْرِ النَّبِيِّ غَضَّ طَرْفُهُ
فَدَاثَا مَعَا فِي خَيْرِ دَهْرٍ، صُرُوفُهُ
وَأَجْمِلَ - عَنِ النَّاوِي - الْمَرْءَ فَإِنْ تَوَسَّى

طَلَمْتُ لَنَا فِيهَا كَمَا طَلَعَ الْبَدْرُ
وَقَرَّتْ قُلُوبٌ كَانَ زَلْزَلَهَا الْقُدْرُ
وَعَزَّ فَلَمَّا يَنْتَمِشُ ذَلِكَ الْمَرْءُ
إِلَيْكَ - مِنَ الْأَمَالِ - آفَاقَهَا الْقُدْرُ (٢)
مُشِيعَهَا نُسْكَ وَفَارِطَهَا طُهُرُ (٣)
يَلَاقِي بِهَا مَنْ صَامَ مِنْ عَيْدِهِ فِطْرُ
بُعِيدَ النَّسَابِ أَنْ غَذَا غَيْرُهُ الْقَصْرُ (٤)
حَرَامٌ عَلَيْهَا أَنْ يَطْلُورَ مَهَا هَجْرُ (٥)
فَإِنَّكَ لَا الْوَانِي، وَلَا الضَّرْعُ الْغَمْرُ (٦)

(١) الثَّانِي : السَّاد وَرَأْبُهُ : صِلَاة ، قَالَ الشَّاعِر :

« بِرَأْبِ الصَّدْعِ وَالثَّانِي بِرَمِيْنٍ مِنْ سَجَايَا آرَائِهِ وَبَعِيْر . »

(٢) قَدَمْتُ : يُقَالُ قَدَمْتُ فُلَانًا فَلَمَّا جَدَدَهُ مِنْ بَابِ نَصَرَ إِذَا تَقَدَّمَ ، قَالَ كَهْأَلِ : « بِعَدَمِ قَوْمِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ » وَلِلنَّبِيِّ : وَلَمَّا تَقَدَّمَتِ الْجَبِشُ صَبِيْحَةَ يَوْمِ الْفِطْرِ أَشْرَقَتْ إِلَيْكَ شَمْسُ الْأَمَالِ مِنْ آفَاقِهَا الْغَمْرِ يَرِيدُ أَنَّ الْأَمَالَ ابْتَسَمَتْ لَهُ مَعْرِفَةٌ ، وَقَدْ اغْبَرَّتِ الْآفَاقُ حَزَنًا عَلَى قَدْوَالِهِ .

(٣) الْبَانَةُ : الْحَاجَةُ بِهَا لَفْظُ فَلَانُ لِبَانَتِهِ أَيْ حَاجَةٍ ، وَالْفَارِطُ : الْمُنْتَدِمُ أَيْ نَهَضَتْ حَاجَةُ فِي تَعَلُّكِ مِنْ صَلَاةِ الْبَرِّ إِلَى شَيْعِهَا وَتَلَاوَحَ لِكَ الْمَيْدِ وَسَبَقَهَا وَتَقَدَّمَهَا الطَّهْرُ الْمُنَوَّنُ وَالطَّيْبُ ، وَفِي رِوَايَةٍ نَحْوِ الطَّيْبِ : « فَشِيعَهَا نَسْكَ وَفَارِطَهَا طُهُرُ »

(٤) أَيْ بَعْدَ أَنْ عَدْتُ مِنْ مَعْلَى الْعَيْدِ وَرُحْتُ إِلَى الْقَصْرِ الَّذِي غَضَّ طَرْفُهُ حِيَاةً - بَعْدَ أَنْ سَهَا بِصَرِّهِ إِلَيْكَ - لِأَنَّكَ تَبَدَّلْتَ بِهِ تَصَرُّافَهُ . (٥) لَا يَطْلُورُهَا : لَا يَجْرِيهَا وَالْغَمْرُ هَاجِدٌ عَلَى الْقَصْرِ .

(٦) الْوَانِي : الضَّعِيفُ ، وَالضَّرْعُ : الْخَاطِضُ الْبَذِيلُ ، وَالْغَمْرُ : الَّذِي لَمْ يَجْرِبِ الْأُمُورَ ، يَقُولُ : تَدْرِعُ بِالْغَمْرِ وَأَجْمِلَ عَرَاءَ مِنْ مَرَاكِلِ النَّوِي فِي قَبْرِهَ ، فَانْكَ لَسْتَ - إِذْ أَلَمْ يَكْ خُطْبَ - بِالضَّعِيفِ وَلَا الْفَرِجَانِ الَّذِي لَمْ يَجْرِبِ الْأُمُورَ وَلَمْ يَتَمَيَّزْ بِصُرُوفِ الْغَمْرِ ، وَفِي الْأَصْلِ « فَانْكَ لَا الْفَانِي » وَلَقَدْ أَجْتَنَّا هُنَا رِوَايَةَ نَحْوِ الطَّيْبِ ، قَالَ الشَّاعِرُ :

أَمَلَةٌ وَحَلَا وَانْتَظَرُوا بِهِمْ عَمَّا هَذَا الْوَانِي وَالْضَّرْعُ الْغَمْرُ

وَمَا أَغْطَتْ السَّبُحُونَ قَبْلُ - أَوَّلِي الْحِجَا مِنْ الْإِرْبِ مَا أَغْطَتْكَ عِشْرُونَكَ وَالْمَشْرِ^(١)

* *

أَلَسْتَ الَّذِي إِنْ صَاقَى ذَرْعُ بِحَادِثٍ تَبْلُجُ مِنْهُ الْوَجْهَ وَأَتَسَّعَ الصَّدْرُ^(٢)
فَلَا تَهَيَّزِ الدُّنْيَا بِنَاحِكَ بَعْدَهُ فَنَكَ - لِمَنْ هَامَتْ نَوَائِبُهَا - جَبَرُ
وَلَا زِلَتْ مَوْثُورُ الْعَمِيدِ بِقُرْبِهِ لِمَيْنِكَ مَشْدُودًا بِهِمْ ذَلِكَ الْأَزْرُ
فَلِنَاكَ كَمَسْ - فِي سَمَاءِ رِيَاسَةٍ - تَطْلُعُ مِنْهُمْ حَوْلَهَا أَنْجُمُ زَهْرُ

* *

شَكَّكْنَا فَلَمْ تُثَبِّتْ^(٣) أَلْيَامُ دَهْرِنَا بِهَا وَسَنُ أَمْ هَزَّ أَغْطَاكَهَا سَكْرُ^(٤)
وَمَا إِنْ تَمَشَّتْ - فِي مَقَاصِلِهَا^(٥) - تَحْمُرُ وَمَا إِنْ تَمَشَّتْ - فِي مَقَاصِلِهَا^(٥) - تَحْمُرُ
سِوَى نَشَوَاتٍ - مِنْ سَجَايَا تَمَلُّكَ - يُصَدِّقُ فِي عِلْيَانِهَا الْخَبَرَ الْخَبِرُ

* *

أَرَى الدَّهْرَ - إِنْ يَبْطِئْ - فَأَنْتَ يَمِينُهُ وَإِنْ تَضْحَكِ الدُّنْيَا فَأَنْتَ لَهَا قَمَرُ
وَكَمْ سَائِلٍ - بِالنَّبِيِّ عَنْكَ - أَجَبْتُهُ هُنَاكَ الْيَادِي الشَّقَمُ وَالسُّودُ الْوَرُ^(٦)
هُنَاكَ التَّقَى وَالْعِلْمُ وَالْحِلْمُ وَالنُّحَى وَيَذُلُّ اللَّهُمَّ وَالْبَأْسُ وَالنَّظْمُ وَالنُّثْرُ

(١) أول الحجا : أرباب القبول ، والأرب : الغل والدعاء والبصر بالأمور ، يقال أرب ككرم أرواة فهو أرب أى حافل وجاء فى فتح الطيب « ألب » بدل « الأرب » ، وعصروك : بالاضافة ، وعصرون إذا أضيف سقطت منه التون لأنه ملحق بجمع للذكر السالم ، يقال : « عنه عصروك وعصرى » بتشديد الياء كسرى ، أى أن ثلاثين حجة أكادتك من الحجا والنزل ما لم تعطه فترك السجون .

(٢) ألسنت الذى إن صاقى ذرعا بمحادث تهلل له وجهك يدرا ، واتسع له صغرك احتلالا ومبرأ ، حجة منك بأنك ستكشف النازة ، وتدفع الكارثة .

(٣) وفى فتح الطيب : « ظم نورك » (٤) وفى فتح الطيب : « ما طافها » .

(٥) أى : هناك الأيدى أى التمس للزوجة للتكررة والمجد الفذ .

مُحَمَّدٌ - إِذَا لَاقَى الْمُنَاجِرَ وَدَّهُ - وَإِقْبَالَهُ خَطْوً ، وَإِذْ بَارُوهُ خُضْرُ^(١)
عَاسِينُ ، مَا لِلرَّوْضِ - خَازِنُهُ النَّدَى - رُؤَايَا إِذَا نُصِتَتْ حُلَاهَا وَلَا نَشْرُ^(٢)
مَتَى أَتَشَقَّقْتَ لَمْ تُطَرْ دَارَيْنُ مِسْكَمَا حَيَاءٌ ، وَلَمْ يَفْخَرْ بِشَجَرِهِ الشَّجَرُ^(٣)
عَطَاهُ وَلَا مَنٌ ، وَحُكْمٌ وَلَا هَوَى وَحِلْمٌ وَلَا عَجْزٌ ، وَعِزٌّ وَلَا كِبَرُ^(٤)
قَدِ اسْتَوْفَتْ النِّعَمَاءُ فِيكَ تَمَاتَهَا عَلَيْنَا ، فَنَا الْحَمْدُ لِلَّهِ وَالشُّكْرُ

إلى ابن ذكوان

« كتب إلى الوزير أبي العباس بن حاتم بن ذكوان »

لَسْتُ مِنْ بَابَةِ الْمُلُوكِ^(١) أَبَا الْعَبَّاسِ ، دَحْمُهُمْ فَشَأْنُهُمْ غَيْرُ شَأْنِكَ
مَا جَزَاهُ الْوَزِيرُ مِنْكَ - إِذَا اخْتَصَّكَ - أَنْ تَسْتَعْرِ فِي إِذْمَانِكَ
أُتْرَاهُ لَا يَسْتَرِيبُ لِإِمْسَا كَيْكَ سَرْدَ الْعِرَاقِ تَحْتَ لِسَانِكَ^(٢)
مُدَّ نَهَائًا - عَنِ الْمَدَامِ - أَتَهَيَّنَا مَعَ أَنَا نُعَدُّ مِنْ صِبْيَانِكَ .

(١) المناجر : من المناجرة وهي المبارزة في القتال والفتاح ، قال عبيد :

كللندوانى الهند هره لقرن المناجر

والخضر : إحصار الفرس وعدوه ، يقول هو ملك هلم إذا لاق عدوه للمناجر في الحرب والقتال رده منهزما
في حال كون إقباله بطيئا وإدباره سريعا .

(٢) نصت : وضعت على النسبة بكسر اللام وهي سرير العروس التي تنس وتغلب عليه ليه الزفاف ،
والنشر : الراحة الطيبة ، وفي الأصل « ولا يضر » والقي أثباته هنا رواية فتح الطيب .

(٣) لم تطر : لم تدمج ، ودارين : ثمر على الخليج الفارسي يجلب إليه الطيب من بلاد الهند ، والقي في
فتح الطيب « لم تخر » والشعر : ساحل البحر - بين « عمان » و « عدن » - أو هو صنع على ساحل الخليج
الفارسي وذلك هذا الصنع ينسب النهر الشرقي ، وهناك عدة مدد بهذا الاسم كما يؤخذ من « معجم البلدان » ،
والنبي : متى فاح غير تلك الحسن لم تكن دارين على مسكها ولم يضر الشعر بشعره .

(٤) من بابة الملوك : من الشروط والوجوه التي تصلح لهم ، ويقال : « هذا هي من بابك » أي يصلح
لك . يقول : « لست من بيتهم » .

(٥) العراق : بالسكسر الجبل المحروز على قم السقاء والرق ونحوها تشبه بحروزه الأسفل في السرد ،
والاستواء ، وجاء في الأصل « سعد العراق » يقول : أرى الوزير لا يقع في الرية لوضعه مسروقه
العراق تحت لسانك ، يريد أنه يحسب البحر من قم زق مرق أي على له عراق .

إلى المعتمد

« كتب ابن زيدون إلى المعتمد بشوقه إلى تعاطي
الحيا في قصوره البديعة التي منها المبارك والقرى (١) . »

فُزْ بِالنَّجَاحِ وَأُحْرِزِ الْإِقْبَالَ وَحُزِ الْمُنَى وَتَنَجَّرِ الْأَمَالَ
وَلِيَهْنِكَ التَّائِيدُ وَالظَّفَرُ الَّذَا صَدَقَكَ فِي السَّيِّئَةِ الْعَلِيَّةِ - فَلَا
يَأْيُهَا الْمَلِكُ الَّذِي لَوْلَاهُ لَمْ تَجِدِ الْمُقُولُ النَّاسِذَاتُ كَمَا لَا

* *

أَمَّا « الثَّرَيَا » (٢) فَالْثَّرَيَا نَصَبَةً وَإِقَادَةً وَإِنَافَةً وَجَمَالًا
قَدْ شَاقَهَا الْإِغْبَابُ حَتَّى أَتَمَّا لَوْ تَسْتَطِيعُ سَرَتْ إِلَيْكَ خِيَالًا
رَفَقَهُ (٣) وَرُودُكَهَا لَتَنْتَمَ رَاحَةً وَأَطْلُنْ مَزَارِكَهَا لَتَنْتَمَ بَالًا

* *

وَتَمَثَّلِ الْقَصْرَ « الْمُبَارَكَ » وَجَنَّةً قَدْ وَسَّطْتَ فِيهَا « الثَّرَيَا » غَالًا
وَأَدِرْ هُنَاكَ مِنَ الدَّمَامِ أَمَّتَهَا أَرْجَا زَكَا وَأَشْفَهَا جِرْيَالًا (٤)
قَصْرٌ يُقَرُّ الْعَيْنَ مِنْهُ مَصْنَعٌ بِهِجُ الْجَوَانِبِ لَوْ مَشَى لَأَخْتَلَا
لَا زِلْتُ تَقَرُّشُ السُّرُورُوحِدَاتِمَا فِيهِ ، وَتَلْتَحِفُ النَّعِيمَ ظِلَالًا .

(١) وردت منه التصديقة في الديوان ولم يكتب لها عنوان ، وقد غلنا هذه الكلمة من شع الطيب .

(٢) يعني قصره المسمى « الثريا » .

(٣) أي أجعل ورودك إياها راحة أي كل يوم ، يقال وردت الابل راحة إذا كانت ترد للراح .

شأت الورد . (٤) الجريال : الحمر ، أو حمرتها وسيأتي تفسيرهما في ص (١٥٥) .

مدح ورثاء وتهنئة^(١)

« وقال أيضا بمدحه ويرى الوزير الكاتب الأعلى

أبا الحزم أباه رجما لله . »

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الشَّمْسَ قَدْ صَمَمَا الْقَبْرُ وَأَنْ قَدْ كَفَانَا فَقَدْ نَا الْقَمَرُ - الْبَدْرُ
وَأَنْ الْحَيَا^(٢) - إِنْ كَانَ أَقْلَعَ صَوْبُهُ -
إِسَاءَةٌ دَهْرٍ أَحْسَنَ الْفِعْلِ بَعْدَهَا ،
فَلَا يَتَمَنَّ الْكَاشِحُونَ فَمَا دَجَا
وَإِنْ يَكُ وَلَى « جَهْوَر » ، « فَحَمْدُ »
خَلِيفَتُهُ الْعَدْلُ الرَّضَى وَأَبْنُهُ الْبَرُّ

* *

لَعَمْرِي لَنِعَمَ الْعِلْقُ^(٣) أَتْلَقَهُ الرُّدَى قَبَانٌ ، وَنِعَمَ الْعِلْقُ أَخْلَقَهُ الدَّهْرُ
هَزَزْنَا بِهِ الصَّنَمَ^(٤) ، فَالْعَزْمُ حَذُهُ وَحَلِيتُهُ الْعَلِيَا وَإِفْرِيدُهُ الْبِشْرُ
فَتَى يَجْمَعُ الْمَجْدَ الْمُفَرَّقَ هُمُهُ وَيُنْظِمُ - فِي أَخْلَاقِهِ - السُّودُ الدُّثْرُ
أَهَابَتْ إِلَيْهِ بِالْقُلُوبِ عَجَبُهُ هِيَ السَّخَرُ لِلْأَهْوَاءِ بَلْدُونُهَا السَّعَرُ
سَرَتْ - حَيْثُ لَا تَسْرَى مِنَ الْأَنْفُسِ الْمُنَى - وَدَبَّتْ دَيْبَا لِبَسَ يُحْسِنُهُ الْخَمْرُ
لَبَسْنَا لَدَيْهِ الْأَمْنَ تَنْدَى ظِلَالُهُ وَزَهْرَةٌ عَيْشٍ مِثْلُ مَا أَبْنَعَ الزَّهْرُ
وَعَادَتْ لَنَا عَادَاتُ دُنْيَا كَانَتْهَا بِهَا وَسَنُ أَوْ هَرُ أَعْطَاهَا سُكْرُ

* *

مَلِكُهُ لَهُ مِنْهَا التَّصِيحَةُ وَالْهَوَى وَمِنْهُ الْآيَادِي الْبَيْضُ وَالنِّعَمُ الْخَفَرُ

(١) ارجع إلى ص ١٤٠ و ص ١٧٤ من هذا الديوان .

(٢) للطر . (٣) التيس . (٤) الحمام .

نُسِرُ وفاء - حين نُنلُّ طاعة - فَمَا خَانَهُ سِرٌّ وَلَا رَابَهُ جَهْرٌ
فَقُلْ لِلْحَيَارَى: « قَدْ بَدَأَ عِلْمُ الْهُدَى » وَلِلطَّامِعِ الْمُرُورِ: « قَدْ نَفَضَ الْأَمْرُ »^(١)

* *

« أَبَا الْحَزَمِ » قَدْ ذَابَتْ عَلَيْكَ مِنَ الْأَمَى - قُلُوبُ مَنَاهَا الصَّبْرُ، لَوْ سَاعَدَ الصَّبْرُ
دَجَّ الدَّهْرِ يَفْجَعُ بِاللَّخَائِرِ أَهْلَهُ - فَمَا لِنَفِيسٍ - مَذْطَوَاكَ الرَّدَى - قَدْ رُ
يَهُونُ الرِّزَابَا بَعْدَ - وَهِيَ جَلِيلَةٌ - وَيُزَفُّ مَذْفَارُ قَتْنَا - الْحَادِثُ النُّكْرُ
فَقَدْ نَاكَ فَقْدَانُ السَّحَابَةِ لَمْ يَزَلْ - لَهَا أَمْرٌ يُبْنِي بِهِ السَّمْلُ وَالْوَعْرُ
مَسَاعِيكَ حَلَّى لِلْيَالِي مُرْصَعٌ - وَذِكْرُكَ - فِي أُرْدَانِ آبَائِكَ - عِطْرُ
فَلَا تَبْعَدَنَّ إِنَّ الْمَنِيَّةَ قَايَةٌ - إِلَيْهَا التَّنَاهَى طَالَ أَوْ قَصَرَ الْمُرُ

* *

عَوَا - فَدَنَّاكَ النَّفْسُ عَنْهُ - فَإِنْ تَوَى - فَإِنَّكَ لَا الْوَائِي وَلَا الضَّرْعُ النُّمْرُ
وَمَا الرُّزْءُ فِي أَنْ يُودَعَ التُّرْبَ هَالِكٌ - بَلِ الرُّزْءُ كُلُّ الرُّزْءِ أَنْ يَهْبِكَ الْأَجْرُ
أَتَمَّتْكَ - مِنْ حِفْظِ الْإِلَهِ - طَلِيعةٌ - وَحَوْلَكَ - مِنْ آلائِهِ - عَسْكَرُ عَجْرُ
وَمَا بِكَ مِنْ قَفَرٍ إِلَى نَصْرِ نَاصِرٍ - كَفَتَكَ مِنْ أَقْبِ الْكَلَاهَةِ^(٢) وَالنَّصْرُ

* *

لَكَ الْغَيْرُ، إِنِّي وَاقِعٌ بِكَ شَاكِرٌ - لَيْتِي أَيْدِيكَ أَلَّتِي كُفْرُهَا الْكُفْرُ
تَحَاكَى الْعِيدَا - لَمَّا اعْتَلَقْتُكَ - جَانِبِي - وَقَالَ الْمُنَاوِي: شَبَّ عَنْ طَوْفِهِ مَمْرُ^(٣)

(١) قريب من هذا قول ابن حاتم الأندلسي :

تقول أبو العباس : « هل صنعت مصر ؟ » قل لي العباس : « قد نفى الأمر »

(٢) الرعاية والحفظ . (٣) ارجع إلى شرح هذا البيت في (ص ١٤٥) من هذا الكتاب .

يَلِينُ كَلَامُ كَانَ يَخْشَنُ مِنْهُمْ وَيَقْتَرُ تَحْوِي ذَلِكَ النَّظَرُ الشَّرُّ

* * *

فَصَدَقَ ظُنُونَا لِي وَفِي ، فَإِنِّي لِأَهْلُ الْيَدِ الْبَيْضَاءِ مِنْكَ وَلَا قُفْرُ
وَمَنْ يَكُ - لِلدُّنْيَا وَلِلْوَفْرِ - سَعْيُهُ فَتَقَرُّ بِكَ الدُّنْيَا وَإِقْبَالَكَ الْوَفْرُ^(١)

هدية عنب

« وأهدي إلى الوزير الفقيه صاحب الأحكام أبي بكر
محمد بن محمد بن إبراهيم جدته لأتمه عنباً عذاري
وكتب معه . »

أَتَاكَ عُثْيَا عَنِّي أَعِذَارَا عَذَارَى دُونَهُ رِيقُ الْمَذَارَى^(٢)
تَحَالَ الشَّهْدَ مِنْهُ مَسْتَمَدًّا وَتَفَحَّ الْمِسْكِ مِنْهُ مُسْتَمَارَا
يَرُوقُ الْعَيْنَ مِنْهُ جِسْمُ مَاهٍ غَدَا تَوْبُ الْهَوَا لَهُ شِعَارَا
وَلَوْ لَا أَنِّي قَدْ نِلْتُ مِنْهُ وَلَمْ أَسْكُرْ خَلَيْتُ بِهِ عَقَارَا
بَعَثْتُ بِهِ وَلَوْ أَهْدَيْتُ نَفْسِي إِلَيْكَ ، لَسَاكَ مِنْ بَرِي أَقْصَارَا
فَأَنْعِمَ بِالْقَبُولِ قَرُبَ نَعْمِي أَعَدْتُ بِهَا دُجَى لَيْلِي نَهَارَا .

(١) يقول : إن من كانت غايته من الدنيا أن يتجمل عليه وأن ينال الثنى فإنه ينظر بها جميعاً حين تديه منك ويتجمل عليه .

(٢) المذاري : صنف من العنب يشبه بأصابع المذاري لونه ، يقول : أتاك يحمل تحيى محذراً إليك
« عنب عذاري » حلو دونه في الحلاوة ريق المذاري .

رثاء ابن ذكوان

« قال يرثي القاضي أبا بكر بن ذكوان . »

أَفْجَبَ لِحَالِ السَّرْوِ كَيْفَ تُحَالُ وَلِدَوْلَةِ الْعَلِيَاءِ كَيْفَ تُدَالُ ^(١)
لَا تَفْسَحَنَّ لِلنَّفْسِ فِي شَأْوِ الْمُنَى إِنَّ أَفْتِرَازَكَ - بِالْمُنَى - لَصَلَالُ
مَا أَمْتَعَ الْأَمَالَ لَوْلَا أَنَهَا تَمَتَّقُ - دُونَ بُلُوغِهَا - الْأَجَالَ ^(٢)
مَنْ سُرَّ - لَمَّا حَاسَى - قَلَّ مَتَاعُهُ فَالْمَيْشُ نَوْمٌ وَالسَّرُورُ خِيَالُ ^(٣)

* *

فِي كُلِّ يَوْمٍ تُنْتَحَى بِرِزْيَةٍ لِلْأَرْضِ مِنْ بُرْسَاتِهَا - وَزَلَالُ ^(٤)
إِنْ يَنْكَدِرُ - بِالْأَمْسِ - نَجْمٌ مَائِبٌ فَالْيَوْمَ أَقْلَعَ عَارِضٌ هَطَالُ ^(٥)
إِنَّ النَّبِيَّ « جَهْوَرٍ » وَ « مُحَمَّدٍ » أَبْكَى الْعَمَامَ ، قَدَمُهُ مُتَالُ ^(٦)
شَكْلَانِ - إِنْ حُمَّ الْحِمَامُ - تَجَاذَبَا لِأَعْرَوْ أَنْ تَجَاذَبَ الْأَشْكَالُ ^(٧)

(١) السرو : العرف والعبادة ، يقول : أعجب لهذا المجد كيف حال من عبده ومحمول ، وأعجب لدولة العلياء كيف دالت وبسدت . (٢) يقول : إن أحسن شيء تتنع به النفس الآمال ، لولا أن الآجال ، تنوق دون بلوغ الآمال .

(٣) من سره الميشت في هذه الحياة الدنيا فليعلم أن متاعها قليل ، وأن الناس فيها ينام لا يقاوم لهم ولا يظلم إلا بسد اللوت إذن سرورها خيال ، وغرورها بطلان .

(٤) تنتحى : تصعد ، يقال تصعد إذا قصد ناحية ، والبرحاء : الشدة .

(٥) ينكدر : يفتن ويشتط ، قال تعالى « وإذا النجوم انكدرت » أي تثار ، والعارض : السحاب ، يقول : إذ موت أبي بكر القاضي جاء عقب موت اثنين من آل جهور سيذكروها في البيت التالي لهذا البيت .

(٦) النبي : كني القاضي ، من لمي البيت يتناه إذا أخبر بموته ، ومتال : من تلى الجمع وغيره استخرجه .

(٧) حم : قدر ، والحمام : اللوت ، يقول : « جهور » و « محمد » شكلان متجانسان حم اللوت على أحدهما فانهذب إليه شكله ، وكذلك الأشكال تتجانذب .

* *

وَلَيْ «أَبُو بَكْرٍ» فَرَاغَ لَهُ الْوَرَى هَوَلٌ تَقَاصَّرُ - دُونَهُ - الْأَهْوَالُ
فَرَّهَوَى فِي التَّرْبِ - ثُمْنَى قُوَّةً - فِي مَا حَازَ التَّرَى الْمُنْهَالُ (١)
قَدْ قُلْتُ - إِذْ قِيلَ السَّرِيرُ يُقِيلُهُ - هَلْ لِلْسَّرِيرِ يَقْدِرُهُ أَسْتَحْقِلُ؟
الآنَ بَيْنَ لِلْعُقُولِ زَوَالُهُ أَنَّ الْجِبَالَ قُصَارُهُنَّ زَوَالُ
مَا أُفْتِحَ الدُّنْيَا! خِلَافَ مُوَدَّعٍ غَنَيْتُ بِهِ فِي حُسْنِهَا تَحْشَلُ (٢)

* *

يَا قَبْرَهُ الصَّطِرَ التَّرَى لَا يَبْعَدُنْ خَلَوْ مِنْ الْفَتَيَانِ فِيكَ حَلَالُ (٣)
مَا أَنْتَ إِلَّا الْجَفْنُ أَسْبَحَ طَبَهُ نَضَلُ عَلَيْهِ مِنَ الشَّبَابِ صِقَالُ (٤)
هَهَاكَ تَفَاحُ الشَّمَالِ مِثْلَ مَا طَرَقَتْ بِأَنْفَاسِ الرِّيَاضِ شَمَالُ (٥)

(١) ثُمْنَى : نهال فوهه ، والتَّرَى : التراب التندى .

(٢) خلاف مودع : أى بعده ، يقال جاء فلان خلاف فلان أى بعده ، قال تعالى « وَإِذْ لَا يَلْبِثُونَ خِلَافَكَ إِلَّا لَيَّالٍ » أى خلفك كما فى القراءة الثانية ، والمعنى : ما أفتح الدنيا بعد هذا الراحل للودع الذى كانت

الدنيا به تَحْشَلُ كالمرور للسنفة بجمالها من الزينة ثم أصبحت بعده فيحة دمية .

(٣) الخلو الحلال : من الفتيان هو الثقى الذى لاربية فيه للوثوق به ، قال القاصر :

«أَلَا ذَهَبَ الْخَلُو الْحَلَالُ الْحَلَالُ وَمِنْ قَوْلِهِ حُكْمٌ وَعَمَلٌ وَنَاقِلٌ»

وقال الآخر :

« رَأَيْتُ رِبَاطًا حِينَ تَمَّ شَبَابُهُ وَوَلَّى شَبَابِي لَيْسَ فِي بَرِّهِ عَذَبُ

إِذَا سَكَنَ أَوْلَادُ الرَّجُلِ حِرَازُهُ فَأَنْتَ الْحَلَالُ الْخَلُو وَالْبَارِدُ الصَّنْبُ . »

والمعنى : يا قبره التندى الصطر ثراه لا يبعدن فيك من الفتيان ذلك الذى الخلو الحلال أى الذى لا شك ولا ربية فى وجوهه وفنونه .

(٤) ما أَنْتَ أبهى القبر إلا جفن طوى فيه ثقى كضلع اليد عقل بعقل الشباب .

(٥) هناك أى فى ذلك الصبر وورى ثقى شياؤه وطباعه تنفع بأنواع الصطر : نل ما حبت بأنفاس الرىاض ريح المنال .

ذَانِ مِنَ الْخُلُقِ الْمُرْتَبِ ، نَارِحُ عَنْ كُلِّ مَا فِيهِ عَلَيْهِ مَقَالُ (١)
شِيمٌ يُنَافِسُ حُسْنَهَا إِحْسَانَهَا كَالرَّاحِ نَافَسَ طَمَعَهَا الْجِرْيَالُ (٢)



يَا مَنْ شَأَى الْأَمْتَالِ ، مِنْهُ وَاحِدٌ ضُرِبَتْ بِهِ فِي السُّودِ الْأَمْتَالُ (٣)
تَقَصَّتْ حَيَاتَكَ حِينَ فَضَّلْتَ كَامِلٌ هَلَا أَسْخِيفَ إِلَى الْكَمَالِ كَمَالُ (٤)
وُدَّعْتَ عَنْ قُمْرٍ قَمَرْتِ قَصِيرَهُ بِمَكَارِمِ أَعْمَارِهِمْ طَوَالُ
مَنْ لِلنَّدَى إِذَا تَنَازَعَ أَهْلُهُ فَاسْتَجْهَلَتْ خُلَمَاءُهُ الْجُهَالُ (٥)
لَوْ كُنْتَ شَاهِدَهُمْ لَقُلْ مَرَاوَهُمْ لِأَعْرَفِيهِ - مَعَ الْفَتَاهِ - جَلَالُ (٦)

(١) دان : قريب من كل خلق جيد يزيه ، نازح : بعيد من كل فعل فيه عليه لومه وإخذة وهيب ، ولفظه كلفظ قول الشاعر :

« إِذَا أَنْتَ لَمْ تَمْسِ الْهَوَى فَاذْكُ الْهَوَى إِلَى بَيْتِ مَا فِيهِ عَلَيْكَ مَقَالُ . »

(٢) جريال الحمر : حمرتها الشديدة ، قال الأعشى :

« وَسَيِّفَةٌ مِمَّا تَنْقِي بِأَيْلٍ كَدَمِ الْقَيْحِ سَلْبَتَهَا جَرِيْلَهَا . »

وهي سلبتها جريلا - أي لونها وحمرتها - أن لونها ظهر على وجهه حين ضربها ولكنها حين خرجت منه عند البولة خرجت بيضاء ، ويطلق الجريال والجريلة على الحمر نفسها ، قال ذو الرمة :

« مَكَائِي أَخُو جَرِيْلَةٍ بَابِلِيَّةٍ كَبِيتْ تَمَشَتْ فِي الْعِظَامِ شَمُولَهَا . »

وقالوا في السلاف - وهو أول ما يجري من ماء الضب من غير حصر ولونه أصفر - إنه أجود من الجريال . قال المتنبي :

« وَتَقْدُ خَبَاتٍ مِنَ الْكَلَامِ سِلَافُهُ وَسَقِيَتْ مِنْ نَادِئِمْ جَرِيْلُهُ . »

ومعنى البيت الذي نحن بصدده : نافس إحسان شبيك وغلاتك حننها كما نافس لون الراح طمعها ، حين جئت إلى لغة الطعم حسن اللون .

(٣) وفي الأصل : « يَا مَنْ شَاءَ . »

(٤) حابلك للنية في الوقت الذي كل فيه فضلك ، فهلا نسي في ممر حق تصنيف كمالا إلى كمال .

(٥) الندى : المجلس ، واستجھلت نسبتهم إلى الجهل ، والخلفاء : أصحاب الأحمال أي القول .

(٦) لو كنت حاضر مجلسهم لاحتجهم فلم يباروك ومجادلوك إذ ما تألفهم فيه مع لقاء السن وفار هوية .

* *

مَنْ لِلْمُؤْمِنِ؟ فَقَدْ هَرَى الْعَلَمُ الَّذِي وَصَّيْتُ بِهِ أَنْوَاعَهَا الْأَغْفَالَ^(١)
مَنْ لِلْقَضَاءِ بَيْرُ^(٢) - فِي أَثْنَانِهِ -
مَنْ لِلْيَتِيمِ تَتَابَعَتْ أَرْزَاؤُهُ؟ هَلَكَ الْأَبُ الْخَائِي وَصَنَعَ الْمَالُ
أَعَزَّزَ بِأَنْ يَتَمَّاكَ نَعْيَ شِمَاتِهِ لِلأُولِيَاءِ الْمُعْتَمِرِ الْأَقْفَالِ^(٣)
جُفِيتَ رَحَى الْإِسْلَامِ مِنْكَ بِقُطْبِيَا لَيْتَ الْحُسُودَ فِدَاكَ فَهَوَ فَيَا^(٤)

* *

زُرْنَاكَ لَمْ تَأْذَنْ كَأَنَّكَ غَافِلٌ مَا كَانَ مِنْكَ لِوَجِيبِ إِغْفَالِ
أَيُّنَ الْحَفَاوَةِ وَوَضْعَهَا غَضُّ الْجَنَى أَيْنَ الطَّلَافَةِ بِشْرُهَا سَلْسَلِ
أَيَّامٌ مَنِ يَمْرُضُ عَلَيْكَ وَدَادَهُ يَكُنِ الْقَبُولُ بِشِيرُهُ الْإِقْبَالِ
مَهْمَا تُبَيِّكَ لَا تُرْبِكَ وَإِنْ تَرُزَ رِفْهَا فَمَا لِزِيَارَةِ إِمْلَاكِ^(٥)
هَيَّاتَ لَا عَهْدَ - كَهْدِكَ - عَائِدَ إِذْ أَنْتَ فِي وَجْهِ الزَّمَانِ جَمَالِ

(١) العلوم للفرقة لصحبة الموضع فيها لإلهي أمثاله من الباحثين .

(٢) بيل ومنتج فلا يوجد لاشكها حل .

(٣) أعزز : أعظم على نفس مناك نبي هياة أي يمز على وبشقى على نفس أن يمتاك الأتقال أي الأعداء نبي هياة لأوليائك وأسمايك .

(٤) قطب الرضى : الحبيدة الفاتحة في وسط الرضى الخلقى ، وهو القى يدور عليه طبق الرضى العليا ، جبل للإسلام رضى هو قطبها الذى تدور عليه ، من أن عليه نظام الإسلام ، ومدار الأحكام ، والتمثال ما يوضع تحت الرضى من جلد ونحوه ليقى ما يسطع عند الطعن من القرباب ، وهذا لا يكون إلا فى رضى البيد ، فال زهير . « فتمرككم حرك الرضى بطلها » ، واللى ليج الإسلام بقطب الماء ، ورئيسهم ، ولبت الحسود كان فناء لك فمرك الموت حرك الرضى فوق طلالها أى ليرضى الموت دارتعل حاسدك وشايطك .

(٥) نيك : الاغياب أن تروره يوما وتنبه أى تنقطع عنه يوما أو أياما ، ورها : هو من ورود الابل ورها وهو أن ترد للماء كلما شامت الورد ، واللى : مهما اعططنا من زيارتك لم ترتب فى ودنا ، وإن زرنك ورها وفى كل وقت لم تسأم ولم تمل الزيرة .

فَاذْهَبْ ذَهَابَ الْبُرْءِ أَعْقَبَهُ الضُّعْفُ وَالْأَمْنُ وَاقْتِ بَعْدَهُ الْإِجَالُ ^(١)
لَكَ صَالِحُ الْأَعْمَالِ إِذْ شِيعَتَهَا بِالْبِرِّ سَاعَةً تُعْرَضُ الْأَعْمَالُ

✽

حَيًّا الْحَيَا مَثْوَاكَ، وَأَمْتَدَّتْ عَلَى صَاحِي ثَرَاكَ عَنْ النِّعَمِ - ظِلَالُ ^(٢)
وَإِذَا النَّسِيمُ أَعْتَلَّ فَأَعْتَامَتْ بِهِ سَاعَاتِكَ الْقُدَوَاتُ وَالْأَصَالُ ^(٣)
وَلَيْتَ أَذَلِكَ - بَعْدَ طُولِ صِيَانَةٍ - قَدَرْتُ، فَكُلُّ مَعُونِهِ سَيُذَالُ ^(٤)
سَيَحُوطُ مَنْ خَلَفْتَهُ مُسْتَبِيرٌ فِي حِفْظِ مَا اسْتَحْفَظْتَهُ لَا يَأْلُو
كَفَلَ الْوَزِيرُ «أَبُو الْوَلِيدِ» بِمَجْبِرٍ مِنْ ابْنِ الْوَزِيرِ - لِيْلَهَا - فَتَالُ
مَلِكٌ سَجِيئُهُ الْوَفَاءُ قَالَهُ بِالْمَعْدِ - فِي ذِي خُلَّةٍ - إِخْلَالُ
حَتَمَ عَلَيْهِ لَمَّا ^(٥) لِعَثْرَةٍ عَالِمِهِمْ قَدْ تَمَثَّرَ الْحَالَاتُ ثُمَّ تَهَالُ

✽

لِيَهَا: بَنِي ذِكْوَانَ - إِنْ غَلَبَ الْأَمْسَى - فَلَكُمْ إِلَى الصَّبْرِ الْجَبِيلِ مَالُ
إِنْ كَانَ غَابَ الْبَدْرُ عَنْ سَاهُورِهِ مِنْكُمْ وَفَارَقَ غَابَهُ الرَّثْبَالُ ^(٦)

(١) اذهب على وجه ذهاب العافية جاء عليها للرضاء والأمن والى بعده الأجل .

(٢) الحيا : للطر ، وللتوى ، القبر ، وضاعى ثراك : أى ثراك الضاعى أى البارز للشمس .

(٣) اعتامت : اختارت ، ومنه قول طرفة :

« أرى الموت يهتاج الكرام ويصطلي حنينة على الفاحش للنفسد . »

وللى : اعتامت أى اختارت القدوات والأصال ساحت القبر وأكثرتها بمرور النسيم الليل .

(٤) أذالك : أهاك ، أى لئن انتهك القدر بعد طول صيانته ، فكل مصلو لم يمتد إليه يد القدر سينال ويهان يوما من الأيام .

(٥) دعاه للملأ أن يجيبه الله من عثرته ، وإذا قيل « لانا للملأ » فناه لآله الله من عثرته .

قال ابن جرير :

« لأن عثرت بعدما - إن وآك عسى من حاتا - تقولوا : « لانا »

وإن تكن منها موصولة بلطف ، سلطت الأمسى على الأمسى . »

وقال الأخطل :

« خلاصى الله نسا - من خللاتهم - ولا لنا لبني ذكوان إذ عثروا . »

(٦) الساهور : دارة القدر ، والرثال : الأسد .

في مدح المعتضد

« قال يمدح المعتضد بلغة المنصور بفضل الله

أبا عمرو عباد بن محمد بن عباد . »

أَعَرَفْتُكَ رَاحَ فِي عُرْفِ الرِّيحِ ؟ فَهَزَّ مِنَ الْهَوَى حِطْفَ أَرْيَاحِي^(١)
وَذَكَرْتُكَ مَا تَعْرِضَ أَمْ عَذَابٌ ؟ غَصِبْتُ عَلَيْهِ بِالْمَذْبِ الْقَرَّاحِ^(٢)
وَهَلْ أَنَا مِنْكَ فِي نَشْوَاتِ شَوْقِي - هَفَّتْ بِالْقُلِّ - أَوْ نَشْوَاتِ رَاحِ^(٣)
لَتَمَرُّ هَوَاكِ مَا وَرَيْتَ زِنَادٌ لَوْصِلَ مِنْكَ طَالَ لَهَا أَقْدَاحِي^(٤)
وَكَمْ أَتَقَمَّتْ - مِنْ قَلْبٍ صَحِيحٍ - بِسَقَمِ جُفُونِكَ الْمَرْضَى الصَّحَّاحِ

* *

مَتَى أَخِفَ الْفَرَامَ يَصِفُهُ جِسْمِي بِالْسِنَةِ الضُّعْفِ الْخُرْسِ الْفِصَّاحِ^(٥)
فَلَوْ أَنَّ النِّيَابَ فَحِصَنَ عَنِّي خَفِيفُ خَفَاءِ خَضْرُوكِ فِي الْوِشَاحِ

- (١) العرف : بالفتح الراحة الطيبة ، والعرف : بالضم واحد أعراف الرياح وهي أوائها وأحاليها ، والمطف : الجناح وماثبه إذا طفت على شيء حثوا وإشغافا ، وتحركه إذا هزته أريحية ، وللعن : أهرطك وطبك سرى إلى أوائل الرياح التي هبت ماثبة من ناحية ، فتنتي تحرك بمائة الهوى والارياح .
(٢) غصبت : كصرفت بلقاء وزنا ومعنى ، أو وقف في حلقه فلم يسته ، والقراح : الماء الذي لم يتخالط فيه ، يقول : وهل ما تعرض ذكرك أم عذاب صرفت لأجله بلقاء المذب الذي لم يشبه شائبة فلم أسفه ، وفي الأصل : « وذكرك ما تعرض أم عذاب »
(٣) نشوات : واحدا نشوة ، والنشوة تكون من الريح ومن السكر وهي من السكر أوائه ومقدماته ، وهفت بالقل : ذهبت به ، يقال : هفت الريح بالقيء تنهوا أي ذهبت به ، وللعن : هل أنا من أجل هواك ، وبسبب ذكرك ، في نشوات من ربح الشوق أو نشوات من سكر الراح أطارت عقل وأذهبت لي .
(٤) أفسم جهواك إلى ملول اقتداحي زناد الوصل لم يورثا .
(٥) في الوقت الذي أنقذ فيه فراس من العاذلين يتم على تحول جسي بالسة للرض انكسار للضمه .

لَقَبْنَا مِنَ الْوَاشِينَ حَتَّى رَضِينَا الرُّشْلَ أَفْقَامَ الرِّبَاحِ (١)
وَرُبَّ ظَلَامٍ لَيْلٍ جَنِّ فَوْقِ قُبُوتٍ عَنِ الصَّبَاحِ إِلَى الصَّبَاحِ (٢)
فَهَلْ عَدَّتِ الْعَفَافَ هُنَاكَ نَفْسِي - أَوْجَنَحْتُ إِلَى الْجَنَاحِ (٣)

* *

وَكَيْفَ أَيْجُ لَا يَفْنِي عِنَانِي رَشَادُ الْعَزَمِ عَنْ فَيِّ الْجِمَاحِ (١)
وَمِنْ سِرِّ ابْنِ «عَبَادٍ» دَلِيلٌ بِهِ بَانَ الْفَسَادُ مِنَ الصَّلَاحِ
هُوَ الْمَلِكُ الَّذِي بَرَّتْ فَسَّرَتْ خِلَالَ مِنْهُ طَاهِرَةُ التَّوَاحِي
مُهَامٌ خَطٌّ - بِالْمِهْمِ السَّوَابِي - مِنْ الْعَلَيَاءِ فِي الْمِطْلَطِ الْفِصَاحِ (٢)
أَغْرَ إِذَا تَجَمَّعَ وَجْهٌ دَهْرٍ تَبْلُجٌ فِيهِ كَالْقَمَرِ اللَّيَّاحِ (٣)

(١) لقد قلنا من الواشين جيلهم في الوقوف على مكتوم أسرارنا ، حتى أصبحنا نلقح بأن تكون
أهاس الرياح يبردا يحمل عنا رسائل الحب والفرام ، وقد أبدع ابن الرومي حيث يقول :
« أباي كم لي بحوكم من نحية أهلها هبت كل جنوب
فلا تتركوا ود السلام إذا جرت هبال على فاني المحل غريب . »
(٢) كثيراً ما أرى الليل علينا سدوله ، فثبت في ظلامه عن الصباح إلى أن أسفر الصباح وغرب من
هذا قول أبي تمام :

« رحن والليل قد أظلم دواها فائق الصباح فيه عموداً . »

(٣) لم تند عسى في تلك الآية التي نمت فيها بالمهيب حدود العفاف ، ولم تل إلى ارتكاب ما يخالف
طبيعة الحب البريء مما فيه إثم علينا وجناح ، وفي هذا للمعنى يقول ابن المعتز :
« كم قد خلوت بها وثاقتا التي يحسى على السطوفان برد للورد . »

(٤) في هذا البيت والتي بعده تخلص من اللبيب إلى الملح حيث يقول : كيف أيج في الهوى ، وأتمادي
في القى ، ولا يثنى عنال جامعي اعتزاي الرشد ، في حال أن في من سر « ابن عباد » وقوة نفسه دليل
عرفت به الرشد من القى ، والصلاح من الفساد .

(٥) خط : انحط الأرض وهو أن يسلم عليها علامة بالخط ليعلم أنه قد احتازها لينبها ، والخطط :
جمع خلة بكسر أولها ، وهي الأرض التي يغتطها لنفسه لينبها عليها .

(٦) اليلج : بكسر وفتح أوله الأييض الثلاثي .

سَمِيعُ النَّصْرِ لِأَسْتَعِذَّاهُ جَارٍ
 مَرَاتِبُ جَهَنَّمَ - فِي النَّتَبِ - تُثَلَّى
 إِذَا أَرَجَ الشَّاهُ الرُّوْعَ مِنْهَا
 هُوَ الْمُتَنَبِّ مُلُوكَ الْأَرْضِ تَذَنَّى
 رَأَاهُ اللَّهُ أَجْوَدَ بِالْمَطَايَا
 وَأَفْرَسَ لِلْمَنَابِرِ وَالْمَذَاكِي
 وَأَمْتَعَهُمْ جَمِيعَ عَرَضِ مَعْشُورِي
 قَرَّضَ لَهُ الْوَرَى حَتَّى تَأْدَّتْ
 « لِمُتَعَدِّ » بِهِ أَرْضَاهُ سَخِيَا
 فَنَ قَاسَ الْمُلُوكَ إِلَيْهِ جَهْلًا
 أَصَمُّ الْجُودِ عَنْ تَقْنِيدِ لَاحٍ
 بِأَخْلَاقِي لَتَى الْمُتَنَبِّ مِلَاحٍ
 فَكَمَ لِلنَّسِكِ عَنْهُ مِنْ أَفْضَاحِ
 قُلُوبِهِمْ كَأَفْوَاهِ الْجِرَاحِ
 وَأَطْمَنَ بِالْمَكَايِدِ وَالرَّمَاكِ
 وَأَبْنَى فِي الْبُرُودِ وَفِي السَّلَاحِ
 وَأَوْسَعَهُمْ ذُرًّا مَالِي مُبَاحٍ
 إِلَيْهِ إِتَاوُهُ الْحَيَّ الْفَتَاحِ
 فَأَقْبَلَ وَجْهَهُ وَجْهَ الْفَلَاحِ
 كَمَنْ قَاسَ النُّجُومَ إِلَى بَرَاكِ

(١) الاستعانة : الاستعانة وطلب النصرة ، والتفتيد : القوم وتخصيف الرأي ، ولاح : اسم فاعل من لاه يلماه إذا لاهه وعنه .

(٢) مراتب : سجايا وطباع جمع ضريبة ، وجهة : طائفة من جهته إذا استقبله بوجه كره ، والمتنبي : الرجوع إلى ما يرعى العائب . وفي اللث « لك أخي ولا أعود » أي لك مني أن أخبك أي أرضيك ولا أعود إلى ما يخطئك .

(٣) أفرس : أصل تخصيل من الفراسة بالفتح والفروسة والفروسية وهي الخلق يركوب الخيل ، وفي اللث : أفرس من ملاعب الأسمنة ، وأفرس من طهر ، وأفرس من بسطام ، والمذاكي : الخيل التي أتى عليها بعد تمام السن أي - بلوغها النهاية في الشباب - سنة أو ستلا ، ولحق أنه أحقق للملك باعتلاء للنابر وركوب الخيل وأبهاهم لباسا وليوسا في السلم والحرب .

(٤) الآثورة : الخراج وكل ما أخذ بكمه أو فرض من أموال الجباية ، ولفي الفتاح : في اللسان قوم فتح وحي فتح لم يدينوا القلوب ولم يملكوا ولم يصبهم في الجاهلية ساء . أنتد ابن الأعرابي :

« لمر أريك والأبناء تسمى لهم الحي في الجسلى وراح
 أبوا دين للولك فهم فتح إذا هبوا إلى حرب أشاحوا » .

(٥) أنبل وجهه : من قولهم أنبله الشيء أي جعلته على بابه وجهته ولحق أن سكان الحواضر والبوادي كانوا بالطاعة « لتتصد » بالله أرست مولاه مساعيه فأقبل الله وجهه وجه الفلاح أي جعل وجهه يستقبل جهة الفلاح : (٦) إلى أرض ظاهرة .

وَمُتَّقِدُ الرِّيَاسَةِ فِي سِوَاهُ كَمُتَّقِدِ النُّبُوَّةِ فِي سَجَّاحٍ (١)

(١) هي « سجاج » بنت الحرث بن سويد بن عقال التيمية ، وكانت تسكن الجزيرة في اغوالها من بني تلب ، فادعت النبوة وخرجت تريد هروا للدينية في عهد « أبي بكر » صلى الله عليه ، وجرت بينها وبين سلى قوما - من بني تميم - حروب انتهت بسججها عما اصرته من القهال إلى المدينة لنزوها ، فانقلب إلى الحيمة وتقاتل مع مسيلة ، ثم رجعت إلى موطنها من بلاد الجزيرة وبقيت في أخوالها - من بني تلب - إلى أن هلك « مساوية » عام الهجعة : وجاءت معهم فأسلموا وأسلمت وحسن إسلامهم .

حروب الردة وقصة سجاج ومسيلة

وقد كتب اللؤرخ « دوزي » كلمة تامة عن « سجاج » : « مسيلة » وعن حروب الردة في كتابه القيم : « تاريخ الاسلام » وقد نهرنا بعض فصوله في كتاب « مخدرات كادل كيلاني » ، ونحن نختصر منه بما يلي : كان الوقت دميما ، وكانت الظروف غاية في المرح ، فقد كان موت النبي صلى الله عليه وسلم - الذي كانت تقريبه العرب منذ زمن طويل ببارغ المسير - مؤذنا بالثورة في كل مكان ، ولقد كنت ترى الثائرين - في حينها ذهبت - وراعين حلم الثورة والقرود ، وقد رجعت كفتهم أيما رجاء حتى لقد طردوا ولائهم من بلادهم ، فلم يجد هؤلاء أمامهم ملجأ إلا للمدينة ، فهاطروا عليها من كل فج يحصونها فيها من أذاهم . وكان لا يمر يوم حتى يند على المدينة بعض الولاة والسلا للطرودين ، وأعصت انقبال المجاورة للمدينة عدتها لحصارها .

فكيف يطاردهم « أبو بكر » وليس لديه جيش يجازيهم به بعد أن أرسل جيشه إلى سوريا ليقتلها تنليدا لأمر النبي صلى الله عليه وسلم - برغم نصيحة المسلمين الذين رأوا خطورة الحال ، فقد ألحوا عليه أن يعزل عن تنفيذ فكرة الفتح حينئذ ، فقال لهم : « أن أعاقب ما أمر به النبي صلى الله عليه وسلم ولو أصبت المدينة نفسا نهبا لثائرين والمتردين ولا بد لي من تحقيق مشيئة الله »

ومن ثم ترى الخطر العظيم باديا . على أنه - على الحقيقة - خطر أقل مما تدل عليه ظواهره ، فان قوة الحسم الحقيقية لأعاس بما لديه من عدة ورجال بل بما عنده من قوة مبنوية ، وبما يصبو إلى تحقيقه من غاية سامية يتخلل إليها ويغرض غمار الحرب من أجلها بأذلا في سيبلها النفس والنفس .

فأهي انابة التي يسي إليها الثائرون ؟ وأي حافز يدفعهم إلى إضرام هذه الحرب ؟ أهو إيمان وثيق متوشج في أحماق تلوهم كإيمانهم القديم الذي كانوا عليه قبل البشة ؟ لو كان ذلك لما كان ثمة شك في انتصارهم الحاسم !

ولكن شيئا من ذلك لم يكن ، فاتهم ليجابرون الآن لينصرفوا دينهم القديم وفريضة ، بل هم يوردون على دينهم الجديد لأنهم لا يطيعون أحدا .

وليس هذا بالسبب القوي الذي يلهب حماسهم ويجزمهم إلى الايمان بجلال الأعمال ، ولا هو بالسبب الذي يخلق البطولة والأبطال ، فقد كان رؤساء القبائل للثورة أقصم شاعرين كل الشور بنصف قوتهم للثورة ، فلما دفعهم إلى فكرة سخيفة حسروا أنها قيد إليهم تلك الثورة ، فادعوا النبوة ! وخيل إليهم أن محمدا - صلى الله عليه وسلم - لم يبع إلا بهذه الفكرة فأرادوا تقليده .

ولكنهم نسوا أمرا واحدا - هو سر نجاحه في بث دعوه - فذلك أنه كان مؤمنا بما يدعي إله إيمان ، وللسيقين الجازم . وهذا هو الذي يوزم وبنيه لا يتم نجاح .

أُخْرِجَ الْجُودُ - فِي يَوْمِ الْعَطَايَا - وَلَيْتَ النَّاسُ فِي يَوْمِ الْكَفَاحِ

وكانت تلك انتموزة الهامة وتلك الحرب الشمواء - على ما أرى فيها من دعاء غزيرة إذا قورنت بما آله للسلون في غزواتهم التي من بها الاسلام - ظاهرة سخيصة مضحكة ، يحشل فيها الانزال - غير قصد - كيف ظنوا تخيل هذه الرواية الجديدة - التي مثلها النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه - مهزلة وعبثاً ؟ ألا ترى إلى مسيلة تلى مثل دور النبي صلى الله عليه وسلم في النجاة ؟ ألا ترى إلى ذلك السجال السوقي النص ، ذلك المشعوذ السج الذي لا يصلح لنير التسميل وإدخال مينة في ذليلة شيفة القومة ؟ ألا ترى إلى يلقى - قرأنا سخيفاً يتلوه بعداً - صلى الله عليه وسلم - ثم يرخص لأتباعه في ضرب الخور أتي شاءوا ، ولا يكاد يندفع دعوته حتى يصادفه سوء الحظ فتصاحره « سجاح » وتنازعه النبوة ؟

أما « سجاح » هذه فقد كانت مسيحية نفاعت في « بلاد التهرين » وجاءت تبث البعثة لنفسها - على رأس جيش عظيم فإذا يصنع مسيلة ؟ ليس أمله إلا أن يلجأ إلى طريق اللسالة - وقد فعل - فأرسل إليها هدايا فاخرة ودعاهها إلى عبادته ، وطال بينهما الحوار . ولما عادت « سجاح » إلى قومها سألوها عن رأيها في « مسيلة » فقالت لهم - : « لقد رأيته نبياً حفاً تزوجت منه ! » ضامها التميميون - : « هل أحدى إلينا شيئاً من مهر الزواج ؟ » قالت : « لا » فقالوا لها - : « ها هو علينا أن نزوج نبيتنا بلامهر ! ولن نقبل ذلك بحال ما ! » فأرسلت إليه بذلك - وكان « مسيلة » خائفاً متحسناً - فلما جاءه الرسول لم يأذله حتى عرف الفرض الذي جاء من أجله فأخسأن إليه وقال له : « عد إلى قومك فأخبرهم أن « مسيلة بن حبيب » رسول الله قد دفع عن التميميين - من الصلوات الحس - صلاة الصبح والمشاء » ولقد فرح التميميون بذلك وظلوا يتبعونه حتى بعد أن عادوا إلى الاسلام من جديد .

ومن ثم ترى أن هؤلاء التاثرين ليس لهم عقيدة جدية يدافعون عنها ، فلاغرو إذا فهرهم وجل كأي بكر وثيق الايدي قوى الارادة صلب العزيمة لا يعرف هوانة في لإغرام آتوهم ولا رجة ! ولو شاء أبو بكر أن يباديهم لتناولهم من قليل من مطالبه فكسب بذلك مساعدة كثير من التباثل - أو منمن حياهم على الأقل - فقد وعفوه بالمواظبة على إقامة الصلاة للروضنة عليهم على فريضة أن يعطيم من إلقاء الزكاة ، ونصحه أعيان المسلمين أن يقبل ذلك منهم فرض رأيهم بإياه شديد ، وقال لهم : « إن الاسلام قانون واحد لا يجزأ ، وليس لأحد أن يأخذ ببعضه ويرفض البعض الآخر . » وقد كان هذا الاصراوا الحازم وذلك الحقد الشديد - على أهل الردة - سبباً في منته قوة أكثر مما يتصور .

ولم يكد يتعشى من إخضاع القبائل المجاورة له حتى بدأ يراجه « طليحة » الذي كان يظلم من قبل وقد جاء يدعي بالتبوءة كغيره ثم جبن عن دخول للمركة فظل يربط الحرب - وهو يبعد من اللبدان - مدثر في عبادته

لَقَدْ سَفَرْتَ بِعَلَّتِكَ الْيَلَالِي لَنَا عَنْ وَجْهِ عَادِيَةِ وَقَاحٍ ١١

كأنما يؤمل أن ينزل وحى من السماء أو تحدث معجزة خارقة ، وقد لبث زمناً طويلاً ثم وقعت المعجزة - إذ بدأت تهزم قبيلته أثناع إبراهيم - ويحقد صالح في جند « اخنوخا حنوى إذ استعظم » . ثم امتلئ جواده وأطلق له النبال وأمنى في فراده .

وكانت تلك للمركة التي اصطلاحاً للسلون معركة مروعة مائة ، وفي الحق أن الغناء التي أُرِيت في هذه الحرب كانت أكثر مما أُرِيت في تلك الحروب الصاخبة التي نشبت - فيما بعد - بين المسلمين والفرس ، ثم بين المسلمين والامبراطورية الرومانية ، بعد اقتراف العرب من اللطائف في هذه الحرب « حرب الردة » شنأا لم يعرفها الاسلام قط . فكانوا إذا انهزم العدو تعذيبه ونكلا به . لأن الردة جزاؤها القتل ، لا الهوادة في ذلك ولا راحة ، وقد يميت أبو بكر إلى خالد بأمره بقوله - :
« عليك بإبادة الكفر باليد والشار ، ولا تأخذك راحة نيم قط »

ولقد انهزم أصحاب « مسيلة » - وكان عددهم زهاء عشرة آلاف مقاتل - ومنهم للسلون حراً مزمق ، وغرقت بلاد العرب كلها في الدماء .

ولكن الاسلام قد خرج من تلك المأزق - الناشئة في كل مكان - مؤيداً منصوراً ، ودان به العرب بعد ذلك - . طوعاً أو كرها - فقد أتهمهم خذلانهم بوجوب الاعتراف بالدين الاسلامي ، لأن لم يكن اعتراف المسلمين للؤمن باعتراف الخائف التي يعرف قوة هذا الدين العظيمة التي لا تهبط معها أية مقاومة .

بعد النصر

ولم يكد يتم انتصار أبي بكر حتى وجه هؤلاء البدو الدائمين إلى الغناء ، إلى مهاجمة فارس : الامبراطورية الرومانية ، وهذا السبل - عند من ينظر إلى ظواهر الأمور وحدها - جراءة وتهور ، ولكنه - على الحقيقة - وذاة وتغل .

ولما سار أبو بكر في هذا على خطة التي سار الله عليه وسلم التي كان يتبعها ، وحى أن ينزل العرب من التكبر في خضوعهم ولا يبدع لهم وتعالى كافيًا ذلك ، وقد رأى أن خير ما يربطهم بالاسلام لا يكون إلا عن طريق الفتح والانتصارات الحربية وما يجره ذلك من الثنائ .

وهكذا انتهت حروب الردة ولم يعم المرتدين بسدساً ثالثة ، قد كان عقاب الردة اقتتل ، ومن هنا تظاهر الناس بالاسلام ودعوا عند هذا الحد .

وعن - إذا استثنينا صدرة المسلمين ونواصيتهم للولفة من المهاجرين والأنصار وبعض من يتبعون إليهم بسبب - لم نجد بعد ذلك من يعرف التمرأ وتعاليمه إلا عدداً غاية في القلة . أما العرب الذين استوطنوا أفريقيا قد ظفروا - حتى بعد مضي قرن من الهجرة - لا يعرفون من الاسلام أكثر من أنه دين أن يحرم الخمر . أما أولئك الذين استوطنوا مصر فاتهم ما تحدثوا عن الاسلام أو شنوا به أنهم قط . وكانوا لا يذكرون إلا أيام الوثنية وعهودها الغنية بالبناء والمخين .

(١) وقاح : صلبة الوجه لحياء فيها ، يقال رجل وقح الوجه وقاح الوجه صلبه لحياء فيه ، والأقي وقاح خمر حاله .

أَلَسْتَ مُصِحِّهَا مِنْ كُلِّ دَلَا ؟ وَمُبْدِي حُسْنِ أَوْجُهَا الصَّبَاحِ
وَلَوْ كَشَفْتَ عَنِ الصَّفَحَاتِ شَاكَمَتْ بُرُوقَ الْمَوْتِ مِنْ بَيْضِ الصَّفَاحِ (١)

* *

وَقَالَ اللَّهُ مَا تَحْنُيْ وَوَالِي عَلَيْكَ بِصُنْعِهِ الْمُغْدَى لِلْمَرَّاحِ (٢)
فَلَوْ أَنَّ السَّمَادَةَ سَوَّغَتْهَا تَجَارَتَهَا الْمَلَكَةُ بِالرَّيَاحِ
تَجَافَيْتَا عَيْدَكَ عَنْ نَفْسِي - عَلَيْكَ مِنَ الضَّنَى - حَرَى شِحَاحِ (٣)
نَهْأُ فِيكَ بِالْبُرْءِ الْمَوْفَى وَتُنْهَجُ مِنْكَ بِالْأَلَمِ الْمَرَّاحِ

* *

فَدَيْتُكَ كَمْ لَيْتَنِي مِنْ مُمَوِّ - لَدَيْكَ - وَكَمْ لَيْتَنِي مِنْ طَمَاحِ
أَلَا هَلْ جَاءَ مَنْ قَارَفْتُ أَتَى بِسَاحَاتِ الْمُنَى رَفْلُ الْمَرَّاحِ (٤)
وَأَتَى - مِنْ ظِلَالِكَ - فِي زَمَانٍ نَدَى الْأَصَالِ وَفَرَاتِي الضَّوَاحِي
تُحْيِي بَرِيحَانِ التَّحَنُّي وَتُصْبِحُنِي مُتَعَفَّةُ الصَّمَّاحِ (٥)
فَهَا أَنَا قَدْ فَعَلْتُ مِنَ الْأَيَادِي إِذْ أَتَمَلَّ اغْتِيَابِي فِي أَصْطَبَاحِي

(١) لو كفت هذه اليالئ ، وأجبت عن صلحة القمر والعداء لثامت سيرف بأس المدوح
طلع يروق موت وحلا لك اليالئ التي فاجأتنا بمرضه ، بعد أن أمهنا من كل داء ، وخلق عليها
من الرواء والحسن أبهى رداء .

(٢) وقال الله ما تحنني من طرش الرض وحصك من كل عنور وعفوف ، وتهدك بجبيل منه للندي
المرح أي القدي يحله يسود عليك في أول النهار ، وروح في آخره ، فلا يترك ضيقه ، ولا يخلف
عنه إحسانه .

(٣) الضنى : السقم ، وحرى : عطشى ، وشحاح : جمع شحجة من الشح وهو البخل .

(٤) الرذل : جر الذيل وركفه بالرجل ، يقول : ألا هل أتى من قارفت من خيلان ، قرطبة ، أي
أجر ذيل مرح وأرذل في ثياب النسوة وفخارة الجيش .

(٥) التحنى : المغاوة ، والصحاح : الجود .

فَلَا أَعْجِزُ فَإِنَّ التَّمَنُّعَ تَقَفْتُ وَإِنْ أَشْكُرُ فَلَا الشُّكْرَ صَاحِرُ
لِمَا كَسَبْتُ قَدَرِي مِنْ سَلَامٍ وَمَا لَقِيتُ سَمِيٍّ مِنْ نَجَاحِ

* *

لَقَدْ أَفْضَلْتُ - فِي الْآثَالِ - حُكْمِي وَأَجْرَيْتُ الزَّمَانَ عَلَى أَفْزَاجِي
وَعَلَّ أَخْشَى وَفُوقًا - دُونَ حَظِّ - إِذَا مَا أَثَّ رِيْشُكَ مِنْ جَنَاحِي
فَمَا اسْتَسْقَيْتُ مِنْ غَيْمٍ جَهَامٍ وَلَا اسْتَرْوَيْتُ مِنْ زَنْدٍ شِعْطَاحٍ
وَوَاصَلْنِي جِيلُكَ - فِي مَنِيٍّ - وَطَالَعَنِي نَدَاكَ مَعَ أَتْرَاجِي
وَلَمْ أَفْهَكْ - إِذْ عَدَّتِ الْعَوَادِي - إِلَيْكَ رَهْمِينَ شَوْقٍ وَالْتِيَاحِ
فَعَسَى أَنْتَ - مِنْ مُنْدٍ لِنُغْمِي - وَحَبُّكَ بِي بِشُكْرِ وَأَمْتِدَاحِ

هدية تفاح

« وأهدى إليه تفاحاً وأراد أن يكتب معه قطعة »

فبدأ بها ثم عرض له غيرها فتركها . »

دُونَكَ الرَّاحَ جَامِدَةً وَقَدَّتْ خَيْرَ وَافِدَةٍ
وَجَدَّتْ سَوْقَ ذَوْبِهَا - هِنْدَ تَقْوَاكَ - كَأَسَدَةٍ
فَاسْتَحَالَتْ إِلَى الْجُمُودِ دِ وَجَاءَتْ مُكَايِدَةٍ

والقطعة التي بعثت هي هذه

جَاءَتْكَ وَافِدَةُ الشُّمُولِ فِي الْمَنْظَرِ الْحَسَنِ الْجَبِيلِ
لَمْ تَحْطَ ذَائِبَةً لَدَيْكَ وَلَمْ تَتَلَّ حَطَّ الْقُبُولِ

فَتَجَامَدَتْ مُخْتَالَةً وَالْمَرْءَ يَنْجِزُ لَا الْحَوِيلَ^(١)
لَوْلَا أَتَقَلَّبُ الْتَيْنِ سُدَّتْ دُونَ بُعَيْتِهَا السَّيْلَ^(٢)
لَهَجَرْتَهَا صَفَرَاءُ فِي يَنْضَاءِ هَا جَرُّهَا قَلِيلِ
الْكَأْسُ مِنْ رَأْدِ الضُّحَى وَالرَّاحُ مِنْ طَفْلِ الْأَصِيلِ
آثَرَتْ عَائِدَةَ الثَّقَى وَرَغِبَتْ فِي الْأَجْرِ الْجَزِيلِ
يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ الَّذِي تَأْتِي الْمُلُوكُ لَهُ عَدِيلِ
يَا مَاءَ مَزْنٍ ، يَا شِمَا بَبْ دُجْنَةٍ^(٣) ، يَا لَيْتَ غِيلِ
يَا مَنْ تَحْبِبُنَا أَنْ يَحْمُو دَعِيْلُهُ الرَّمْنُ الْبَحِيلِ
بُشْرَاكَ دُنْيَا غَضَّةٌ فِي ظِلِّ إِبْقَالِ ظَلِيلِ
رَقَّتْ كَمَا سَاكَ الْعِدَا رُبَّ يَحَابِ الْحَدِّ الْأَسِيلِ
وَتَأَوَّدَتْ كَالْمُضْنِ قَا بَلْ عِطْفُهُ نَقَسُ الْقَبُولِ^(٤)
يُضَيِّ مُقْبَلُهَا الشَّعْيُ وَلَحْظُهَا السَّاجِي الْمَكِيلِ
فَتَمَلَّهَا^(٥) فِي الْمِرَّةِ الْقَمَسَاءِ وَالْعُمُرِ الطَّوِيلِ

- (١) الحويل : الحيلة ، يقال : احتال احتيالا وحولا وحيلة وحويلا وعجالة ، قال دؤاد بن ثابت زوجة :
« حلوت - حين صرحت - والمرء يسجر لا الهالة والمرء يطلب بالسبق والهمر أروغ من ثمل »
والمرء يسكب ماله بالشح ، يورثه الكلاله .
وفي التل للمهمور : « للمرء يسجر لا الهالة » أو « لاهالة » في رواية أخرى ، أي لا تفتيق مخرج الأمور
إلا على الساجر الذي لا يعرف وجوه الخيل . ويقال : احتال وتحيل وتحول ، قال أبو العلاء :
« لا يحببك خليل - ظم في ملا - بخطبة ذات مضامها وطولها
فاالظلمات - وإن راعت - سوى حيل من ذي مقال على ناس تحولها » .
(٢) يقول : لولا انقلاب عينها من ذاتية إلى جلدة لصدت دون ما تبنيه من إهداء نفسها إليك السيل
لأنه لا يبيع لها أن تروى جملتك وهي ذاتية . (٣) يقال يوم دجنة ، والدجنة : القلفة والقيم للبطي
الريان الظلم لا مطر فيه . يقول : إنك نور يبدد النجاس والظلمات .
(٤) القبول : ربح المباءة ، قالوا وذلك بأنها تتأهل بالدور . (٥) راسم بها .

شكر على زيارة

« قال يشكر المعتمد على الله أبا القاسم محمد
ابن الفضل بالله عباد بن محمد بن عباد ، وقد
شرفه بالعبادة في بعض عهده . »

لَسْتُ بِالْجَاهِدِ آلاءَ الْعِلْمِ كَمَ لَهَا مِنْ أَلَمٍ يُذْنِي الْأَمَلِ
أَجْتَلِي - مِنْ أَجْلِهَا - بَذَرَ الْمَلَأَ مُشْرِقًا فِي مَنَازِلِي حِينَ كَمَلِ
حُلَّةُ النَّبِيِّ عَنِّي فَغَسَرَهَا فَأَعْتَدْتُ تَرْفُلًا فِي أَبْنَى الْحُلَلِ
رَفَّ بِشَرِّ الْأَفْقِ فِي عَيْنِي لَهَا لَا لِأَنَّ الشَّمْسَ حَلَّتْ فِي الْحَكْلِ^(١)
مَا أَتَالِي مِنْ زَمَانِي بَعْدَهَا - إِذَا صَحَّ النَّفْسَ - إِنْ جَسَنِي أَعْلَ^(٢)
أَيُّهَا الْمَوْلَى لَقَدْ حُلَّتْ مَا^ب لَمْ يَدْعُ فِي وَسْعِ عَيْنِي مُحْتَمَلِ
وَضَعَ الطُّوفُ الَّذِي حَلَّتَنِي قَرَأَتُهُ نَفْسٌ لَا مَقْلَ^(٣)
أَنَا لَوْ طَوَّقْتُ مِنْهُ بَدَلًا أَنْجُمَ الْجَوَازِ لَمْ أَرْضَ الْبَدَلِ
كَمْ مَرَادِي - مِنْ تَمَائِكُمْ - وَارِفِ الظِّلِّ وَكَمْ وَرِدَ عَمَلِ^(٤)
لَا تَرَكْ دَوْلَتَكُمْ مَبْسُوطَةً بَسْطَةً فِي طَيْبِهَا قَبْضُ الدُّوَلِ
وَرَأَى الْمُتَضَيِّدُ الْمَنْصُورُ مَا أُتْبَأْتُهُ فِيكَ لَيْتَ أَوْ لَعَلَّ
فَسَلَقَاهُ الْيَلَالِي طَلَاتَةَ بِنْفَارِقِ أَمَانِيهِ جَمَلِ^(٥)

(١) الجمل : برج في السماء من البروج الربيعية ، يقول إن الأفق أحرق بنوره وازدادت يبهاته لايهاه الشمس التي حلت في برج الجمل .

(٢) يقول : لا أبالي بعد أن صحت هي بزيارته وخصيفه منزلي إن أرضي العبر جسمي .

(٣) يقول : إن إسماكت الذي طوَّقْتُ به حتى قد وضع للنفس لا ليعيون . وفي الأصل : تَمَاتُهُ مِنْ مَا فِي الْعَيْنِ - يَعْنِي مَا بَالِغُ رَغَايَا الْجُلَّةِ إِذَا مَدَّتْهُ وَهِيَ سَبَقَ لَهُ هَذَا اللَّحْظُ فِي قَوْلِهِ :

« يَا حَلَالًا تَرَامَا » غُوسَ لَاصِيُونَ . انظر صفحة ٣٩ .

(٤) الجمل : العرب الثاني ويقال على بعد نهل أي حرب ثان بعد حرب أول أنه ورد جياش كرمه مرة بعد أخرى . (٥) أي سبيله المحر جلة أمانيه للفرقة فلا يدع منها شيئا إلا حلقه له .

تهنئة

« وقال يهنيه أيده الله بقدم وإبلال » .

أَقْدَمَ كَمَا قَدِمَ الرَّيِّعُ الْبَاكِرُ وَأَطْلَعَ كَمَا طَلَعَ الصَّبَاحُ الزَّاهِرُ
قَتَمًا لَقَدْ وَفَى الْمُنَى وَتَفَى الْأَسَى مَنْ أَقْدَمَ الْبُشْرَى بِأَنْتَكَ صَادِرُ
لَيْسَ مُكْتَتِبٌ وَتَفَى سَاهِرُ وَرَاحَ مُرْتَقِبٌ وَيُوفَى نَازِرُ
قَلَّ وَإِبْلَالٌ - عَقِيبَ مُطِيفَةٍ - غَشِبَتْ كَمَا غَشَى السَّبِيلَ الْمَابِرُ^(١)
إِنْ أَعْتَتِ الْجِسْمَ الْمَكْرَمَ وَغَكَمَا فَلَرُبَّمَا وَعِكَ الْهَزَبُ الْخَادِرُ^(٢)
مَا كَانَتْ إِلَّا كَأَنْجِلَاءَ خَيَابَةٍ لَيْسَ الْفَرِندُ بِهَا الْحُسَامُ الْبَاكِرُ^(٣)
فَلْتَنْدُ أَلْسِنَةُ الْأَنَامِ وَذَاهِبَا شَكْرُ يُحَاذِبُهُ الْخَطِيبُ الشَّامِرُ
إِنْ كَانَ أَسْعَدَ مِنْ وَصُولِكَ - طَالِعُ فَكَذَلِكَ أَيْمَنُ مِنْ قُفُولِكَ^(٤) طَارِرُ
أُصْحَى الزَّمَانُ نَهَارُهُ كَافُورُهُ وَاللَّيْلُ مِسْكٌ مِنْ خِلَالِكَ - حَاطِرُ
قَدْ كَانَ هَجَرِي الشَّمْرَ قَبْلُ - صَرِيحَةً^(٥) حَذَرِي لِنَاكَ النَّقْدَ فِيهَا عَازِرُ
حَتَّى إِذَا أَنْتَ أَوْبَكَ بَارِئًا صَفَتِ الْقَرِيحَةُ وَأَسْتَنَارَ الْخَاطِرُ^(٦)
عَى قَلْبَتِ إِلَى الْبَلَاحَةِ عِيَهُ لَوْلَا ثِقَاكَ لَقُلْتُ : إِنَّكَ سَاحِرُ^(٧)
لَقَعْتَ ذَهْنِي ، فَأَجْنِ غَضَّ ثَمَارِهِ فَالْتَحَلُّ يُحْزِرُ مُحْتَنَاهُ الْآبِرُ^(٨)

(١) يقول : قدوم من السفر ، وإبلال من المرض عقيب عة أطافت بك وعشيتك غيالي طار سبيل .
(٢) الوبك : الحمى أو ألها وللوروك المحوم ، والخلل : الفار الكلال ، والأسد الخلد : القيم في خوره أي الذي لم يره . (٣) يقول : لم يكن للرض إلا فترة ماد يصعدا الحسام إلى جلاء وروقه .
(٤) رجوعك . (٥) الصرعة : البرقة ، يقال : « هو رجل فوسرعة وصرم » أي ذو سرعة ،
يقول : إني مجرت قبل قدومك بالشمر هجرا صارما فاطما ، وعذري في ذلك واضح وهو ما كنت أحزنه من ذلك النقد الذي يعرض له شعري ، أما الآن فقد صفت القرية لأوبك بارئا . (٦) يقول كنت اعترت هجرا بشمر حتى إذ آس خاطري لأوبك من سفرك صلت قريحتي وشذت فكري ففتحت أمامي طرق الشمر .
(٧) يقول لك أهدمت السبي باليابن ضاد بلينا ولولا أنك تقي لانهتك بالسفر في ذلك . وفي الأصل : « مي رددت إلى البلاغة يهني » .

(٨) يقال لعم النخلة وأقصها وألح القمل النافذة أجلبها ، وأقصت الريح الشجر والسحاب أجلبها ، والواو من الرياح : التي تحمل الندى ثم تبعه في السحاب فاذ اجتمع في السحاب صار مطرا ، يقول لك : لعت ذهني - كما يطلع الزارع النخلة - فأني أحسن الثمر وأشدهاء فأت أحق بإجتهاء الثمر لك فطره ومستهده .

كَمْ قَدْ شَكَرْتُكَ غِيبَ ذِكْرِكَ - فَأَتَقَنَّى مُتَذَكِّرٌ مِثِّي وَغَرَدَ شَاكِرٌ (١)
 يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ الَّذِي عَلَيَاؤُهُ * * * مِثْلٌ - تَنَاقُلُهُ اللَّيَالِي - سَائِرُ
 بَاقٍ مِنْ لِبَرِّ الْبَشَرِ مِنْهُ تَهْتَلُ مَا شِيعَ إِلَّا أَنْهَلَ جُودُ هَامِرُ
 أَنْتَ أَبْنَى مِنْ عَجْدِ الْمُلُوكِ ، فَإِنْ يَكُنْ لِلْعَجْدِ عَيْنٌ هَمُّو مِنْهَا نَاطِلُ
 مَلِكٌ أَعَزُّ أَرْذَانَتِ الدُّنْيَا بِهِ وَأَعَزَّ دِينَ اللَّهِ مِنْهُ فَاصِرُ
 أَبْنَاكَ فِي تَبِيعِ الْمَجْرَةِ قُبَّةٌ هَهُنَا أَنْتَ لِلْجُودِ مُخَاصِرُ (٢)
 وَتَلَقَّ - مِنْ مِمَّتِكَ - صِدْقَ تَقَاوُلِي هَهُنَا « الْمُوَيْدُ » بِالْإِلَهِ « الظَّافِرُ » (٣)

ابتداء قصيد

« وقال ابتداء قصيد اعتقد إنفاذه إليه وقد طالت

غيثته في بعض أسفاره ولم يكلمه . »

سَأَهْدِي النَّفْسَ فِي نَفْسِ الشَّمَالِ فَقَدْ لَفَحَ التَّشْوِيقُ عَنْ خِيَالِ
 إِلَى الشَّيْءِ الْغَزَامِ - إِنْ أَثِيرَتْ حَقِيقَتُهُ - إِلَى الدِّدْنِ الْخِلَالِ (١)
 إِلَى الْوَصَاحِ آتَاكَ الْمَسَاحِي ، إِلَى التَّفَاحِ أَخْبَارَ الْمَالِ
 إِلَى مَلِكٍ هُوَ الْمَعْنَى الْمُجَلَّى بِهِ الْإِشْكَالُ مِنْ لَفْظِ الْكَمَالِ
 إِلَى مَنْ لَا مِثْلَ لَهُ إِذَا مَا بَدَأَ فِي السَّرْجِ أَوْ فَوْقَ النِّمَالِ
 هَدِيَّةٌ مَنْ - لَوْ أَنَّ الدَّهْرَ سَقَى مِنْهُ - هَدَى إِلَيْكَ سُرَى الْخِيَالِ
 فَكَمْ بَوَاتَنِي سَاعَاتِ نُصْنَى عَذَابِ الْوَرْدِ وَارِفَةِ الظَّلَالِ

- (١) يقول ما شكرتك غيب ذكرك إلا تمك من لدوة الفرح وغرمت بإثناء عليك . وفي الأصل :
 « ومعد شاكر . » (٢) تبج المجرة وسطها أو أملا مكان فيها ، وتخلص : أي تعفى إلى جنبها ،
 يقول : « لقد بنى لك أوكية في خدوة المجرة فهبتك هنا للقام الرقيق القوي تخاصر فيه النجوم في عليتها . »
 (٣) يقول : « في تقاؤلي فيك فيحقق الله صدق فيك وما المؤيد وللصور فيؤيدك وينصر على أعدائك . »
 (٤) إلى ذي العروة القوة إلى حابه شير والخلال الرضية السبعة إذا لاينه سالم ، وقريب من هذا
 قول ابن دريد :

« سهل إذا لوحت لحد سطحي أوى - إذا خولت - مرهوب الشذا . »

إلى أبي القاسم

« كتب إلى أبي القاسم بن رفق »

عَذْرِي^(١) - إِنْ عَذَلْتَنِي خَلَعُ عَذْرِي^(٢) - عُصْنٌ أَثْمَرَتْ ذُرَاهُ يَبْدُرِ^(٣)
هَزَّ مِنْهُ الصَّبَا فَقَوَّمَ شَطْرًا وَتَجَافَى - عَنِ الْوِشَاحِ - بِشَطْرِ
رَشَا أَقْصَدَ^(٤) الْجَوَانِحَ قَصْدًا مَنِ جُفُونُ كُحْلِنَ - عَمْدًا - بِسَحْرِ
كُمَى الْمُحْسَنِ فَهَوَّ يَفْتَنُ فِيهِ سَاحِبًا ذَيْلَ بُرْدِهِ الْمُتَبَكِّرِ^(٥)
تَحْتِ ظِلِّ - مِنَ التَّرَازَةِ - فَيَنَّا نَ وَوَرَقِي^(٦) مِنَ الشَّيْبَةِ نُضِرِ
أُبْرَزَ الْجَيْدَ فِي غَلَّالٍ يَبِضِ وَجَلَّا الْخَدَّ فِي تَجَاسِدِ حُمْرِ^(٧)
وَتَثَنَّتْ بِمِطْفِئِهِ - إِذْ تَهَادَى - خَطَرَةُ تَمْرِجُ الدَّلَالِ يَكْبُرِ
زَارِنِي - بَعْدَ هَجْعَةٍ - وَالْثَرَيَا رَاحَةُ تَقْدِرُ^(٨) الظَّلَامَ بِشِرِ
وَالشُّبَا - مِنْ ثُجُومِهِ - فِي عُمُودِ يَتَلَأَلَنَّ مِنْ مِمَّاكِ وَلَسِرِ
تَحْسَبُ الْأَفْقَ يَنْتَهَا لَا زَوْرَدًا ثَبَرَتْ - قَوْقَةَ - دَنَانِيرُ تَبَرِ
فَرَشَقْتُ الرُّصَابَ أَعْدَبَ رَشَفِ وَهَمَزْتُ الْقَصِيبَ أَلْفَ هَمَزِ

(١) عذو - جمع عذرة بالكسر - أى ماذير . (٢) عذو : بضم أوله وثانيه جمع عذار وهو الحياء ، وخلق العذار أى ترك الحياء .

(٣) يقول إننى إذا خلعت عذارى فى الموى فإن ماذيرى واضحة فقد خلقى قوامه البلاد الذى يهبه النسيم ووجهه الغنى كاليد . (٤) يقال أقصد فلانا : طعنه فخر يضطه .

(٥) للبكر : السمرق ، والبكر كل شئ امتد وطال .

(٦) الورق الخاتم الذى يضرب لونها إلى خضرة ، قال جرير المود :

« وكان فؤادى قد صماء ثم ملأه حاتم ورق بالدية حنف . »

(٧) المجاسد - جمع مجسد - وهو القنيس الذى على البدن ، قال ابن الأعرابي : « ولا تخرجن إلى

الساجد بالمجاسد » (٨) تجيس .

وَنَمِينًا بِلَفِّ جَنَمٍ بِجَنَمٍ - لِلتَّصَانِي - وَفَرَجٍ ثَمَرٍ بِثَمَرٍ
يَالَهَا ! نَيْلَةً تَجَلَّى دُبَاهَا - مِنْ سَنَا وَجَنَّتِيهِ - عَنْ سَوَاهِ
قَصْرِ الْوَصْلِ عُمَرَاهَا ، وَبُودَى أَنْ يَطُولَ الْقَصِيرُ مِنْهَا بِثَمَرِي

* *

مَنْ عَذِيرِي مِنْ رَبِّ دَهْرٍ خَوْنٍ - كُلَّ يَوْمٍ - أَزَاغُ مِنْهُ بِنَذِيرٍ
كُلَّمَا قُلْتُ : « حَاكٌ فِيهِ مَلَأِي » نَهَسْتَنِي مِنْهُ عَقَابُ تَسْرِي (١)
وَتَرَنِي خَطُوبُهُ فِي صَفِيٍّ قَاضِلٍ نَابِيهِ - مِنَ الدَّهْرِ - وَنَرٍ (٢)
بَانَ عَنِّي - وَكَانَ رَوْضَةً عَيْنِي - فَقَدْ الْيَوْمَ وَهُوَ رَوْضَةٌ فِكْرِي (٣)
فَكَبَهُ يُنْهِجُ الْخَلِيلَ بَوَجْهِ تَرْدُ التَّيْنِ مِنْهُ يَنْبُوعُ بَشْرِ
لَوْ دَعَيْتُ - إِنْ يَيْتَلُهُ الْخَبِيرُ يَوْمًا - أَخْجَلَ الْوَرْدَ عَنْ خَلَائِقِ زَهْرِ
وَإِذَا غَاظَتْهُ مُقْلَةٌ طَرَفٍ كَاذَ مِنْ رِقَّةٍ يَدُوبُ - فَيَجْرِي (٤)

* *

يَا « أَبَا الْقَاسِمِ » الَّذِي كَانَ رِدْثِي وَظَهْرِي - عَلَى الزَّمَانِ - وَذَخْرِي

(١) حاك : وسخ أو أثر فيه ، ونهستني : عذبتني ، يقول : « كلما قلت إن زماناً قد أروعى وأثر فيه طائفة طهر لي خطي في طغي وعذبتني عذاب يوم تدب إلى وتسر في الظلام من عقارب دمرى » وقه در أبوالعلاء إذ يقول في الزمن :

« وقيظ يهوه منه ، وقيظ منهم فسنب ساكنيه وعذبه
وما يعني الوعيد فيوعده ولا يرمى القناب فيجبه
أساء - يجهل - أديا عليهم فهل من حجة فيؤدبه . »

(٢) وتر : فذ . (٣) كنت أراه أسمى فتتم به عيالي واليوم لا أراه - بعد نأيه - فأصبح يسم خلطي بذكره .

(٤) يقول إنه كاد من رقة يبدل . وقرئ من هذا للمعنى قول ابن الرومي :
« أهنيني خشت المائل - لوفنا منه خلافة - حياء الخلس . »

يَا أَحَقَّ الْوَرَى بِمَحْضٍ إِخْلَاً صَوِيٍّ وَأَوْلَاهُمْ بِنَايَةِ شُكْرِى
طَرَقَ الْفَهْرُ سَاحَتِي - مِنْ تَنَائِيكَ - يَجْتَمِعُ مِنَ الْحَوَاثِ نُكْرِي

* *

لَيْتَ شِعْرِي ! وَالنَّفْسُ تَعْلَمُ أَنَّ لَيْسَ بِمُجْدِي عَلَى الْفَتَى : « لَيْتَ شِعْرِي »^(١)
هَلْ نِلَّالِي زَمَانِنَا مِنْ رُجُوعٍ ؟ أَمْ يَلْأِصِي زَمَانِنَا مِنْ مَكْرٍ ؟

* *

أَيُّنَ أَيْلَانُنَا وَأَيُّنَ لَيْكِلٍ كَرِيَّاخٍ لَيْسَنَ أَفْوَافِ زَهْرِي
وَزَمَانُ كَانَمَا دَبَّ فِيهِ وَسَنُ أَوْ هَقَا بِهِ قَرَطُ سُكْرِي
جِئْتَ تَقْدُو إِلَى جَدَاوِلِ زُرْقِي بِتَغْلُفَلَنَ فِي حَدَائِقِ خُضْرِي
فِي هِضَابٍ - تَجْلُوَةِ الْحُسْنِ - عُثْرِي مَصْقُولَةِ النَّبْتِ - عُثْرِي
تَتَاطَى الشَّمُولُ - مَذْهَبَةَ السَّرِّ بَالٍ - وَالْجَوْ فِي مَطَارِفِ^(٢) غُبْرِي
فِي قُتُوِّ^(٣) تَوَشَّحُوا بِالْمَالِي وَرَرَدُوا بِكُلِّ تَجْدِي وَفَقْصَرِي
وَمُنَحَّ تَتَجَلَّى النِّيَابِ مِنْهُمْ عَنِ وُجُوهٍ - مِثْلَ الْمَصَائِيحِ - غُرِّي
كُلُّ خِرْقِي يَكَادُ يَنْهَلُ ظَرْفَا زَانَ مَرَّأَى بِهِ بِأَكْرَمِ خُبْرِي^(٤)

(١) يقول « ليت شعري » ، وإن كنت أعلم أنها غير مجدية ، قال ابن الرومي :

« يَا لَيْتَ شِعْرِي وَلَيْتَ غَيْرِ مُجْدِيَةِ إِلَّا اسْتَرْحَلَةَ قَلْبٌ وَهُوَ اسْوَالٌ . »

وقال القاسم :

« لَيْتَ وَهَلْ يَنْفَعُ شَيْئاً « لَيْتَ » لَيْتَ شَبَابًا يَبِيعُ الْاَشْقِيَّةَ . »

(٢) مطاف - جمع مطرف يضم الميم وكسرهما - مع فتح الراء في كليهما - : رداء مربع من خر

قو اعلام . (٣) خر - جمع خر وهو يجمع على قتيان وخروقى بتشديد الواو والياء .

(٤) الحرق : من القتيان الطريف في ساحة ونجدة ، وينهل : يبرد يكاد يسيل رقة وطرقة ، وقد جاء

بعد هذا البيت قوله :

« محض حال فتح لك مرعها طيب نعر . »

وقد أجهتاه كما ورد ناهياً بالأصل .

وَسَجَايَا كَانَتْ كُثُوسٌ أَوْ رِيَاضٌ قَدْ جَادَهَا صَوْبُ قَطْرِ
يَتَلَقَّى الْقَبُولَ مِنِّي قُبُولٌ كُلَّمَا رَاحَ تَفَحُّهَا أَوْتَاخَ صَدْرِي
فَهُوَ يَسْرِي مُخَمَّلًا - مِنْ سَجَايَا لَكِ - نَسِيًّا يُرْمَى بِأَفْوَحِ عِطْرِ

* ■

يَا خَلِيلِي وَوَاحِدِي وَالْمَلَى مِنْ قِدَاحِي ^(١) وَالْمُسْتَبْدِ يَرَى
لَا يَضَعُ وَدَى الصَّرِيحِ الَّذِي أَرَى حَاكٍ مِنْهُ أَسْتَوَاهُ يَرَى وَجْهِي
وَتَوَالِي أَدِمَّةٍ تَطَلَّمَتَا تَطَلَّمَ عَقْدِ الْجُمَانِ فِي نَحْوِ يَكْرِ
لَا يَكُنْ قَصْرُكَ الْجَفَاءَ ، فَإِنَّ الْوَدَّ - إِن سَاعَدَتْ حَيَاتِي - قَصْرِي ^(٢)
وَأَعِذْ - بِالْجَوَابِ - دَوْلَةَ أَنَسِي قَدْ تَقَعَّتْ إِلَّا غَلَاةَ ذِكْرِي ^(٣)
وَأَكْسُ مِنْ أَلْفِ مَلِكٍ دِيَارَ قَفْطٍ يَهْرُ الْفِكْرُ مِنْ تَظْمِيرٍ وَنَحْرِ
غُرُرٍ مِنْ بَدَائِعٍ لَا يَشْكُ الْدَّهْرُ فِي أَهْهَا فَلَاكِدُ دُرٍّ
تَتَوَالَى عَلَى النَّفُوسِ دِرَاكَا عَنْ فَتَى مُوسِرٍ - مِنَ الطَّبْعِ - مَثَرِ
شَدَّ فِي حَلَبَةِ الْبَلَاغَةِ حَتَّى بَلَغَ فِيهَا عَنْ شَأْوِ سَهْلٍ وَتَعْمُرُو
وَإِذَا أَنْتَ لَمْ تُجَلِّجْ جَوَارِي كَانَ هَذَا الْكِتَابُ يَنْصَةُ عُمْرِي ^(٤)
فَائِقَ - فِي ذِمَّةِ السَّلَامَةِ - مَا أَنْجَا بَ عَنِ الْأَفْنِ عَارِضُ مُتَمَرِّ
وَعَلَيْكَ السَّلَامُ مَا غَنَّتِ الْوُزُ قُ وَمَا لَتْ بِهَا ذَوَائِبُ سِيدِرِ ^(٥)

(١) أي القدرح للملئ . (٢) يقول : لا يمكن تصاريك الجفاء ، لأن تصاريح الوداد أي لا تكن

فايظك لطيفي لأن طافق وسلك .

(٣) يقول : أعد عهد الأوس الذي مضى ولم يترك لنا إلا ذكريات تملأ بها .

(٤) إذا لم تسجل برسالة الرد على كتابي كان هذا آخر كتاب أكتب به إليك .

(٥) السدر : شجر التيق يقول : « تحيي إليك كما غنت كالحام ومالك بها أفضال الشجر . »

مدح ابن جهور ورثاء أمه

« كثر ابن زيدون في هذه القصيدة أكثر

الآيات السابقة التي ذكرناها في ص ١٤٠ »

من هذا الديوان . »

هُوَ الدَّهْرُ فَأَصْبَرَ الَّذِي أَحْدَثَ الدَّهْرُ فَمَنْ شِئِمَ الْأَبْرَارِ - فِي مِثْلِهِكَ الصَّبْرُ
سَتَصْبِرُ صَبْرَ الْبَاسِ أَوْ صَبْرَ حِسْبَةٍ فَلَا تَرْضَ بِالصَّبْرِ الَّذِي مَعَهُ وَرْزُ
حِذَارِكَ مِنْ أَنْ يُقَبَّ الرُّزْهُ فَتَنَةً يَضِيقُ لَهَا - عَنْ مِثْلِ أَخْلَاقِكَ - الْعَذْرُ
إِذَا أَسِفَ الثَّكَلُ اللَّيْبُ فَشَقَّةُ رَأَى أَبْرَحَ الثَّكَلَيْنِ أَنْ يَحْبُطَ الْأَجْرُ
مُصَابَ الَّذِي بِأَسَى يَمِيتَ نَوَائِدِ هُوَ الْبَرْحُ لَا لَمِيتَ الَّذِي أَحْرَزَ الْقَبْرُ

* *

حَيَاةَ الْوَرَى تَهْجُ إِلَى الْمَوْتِ مَتَبَعٌ لَهُمْ فِيهِ إِضَاعٌ كَمَا يُوضِعُ السَّعْفُ
فَبَاهَا دَيْ الْمَنَاجِ جُجِرَتْ فَلَمَّا هُوَ الْفَجْرُ يَهْدِيكَ الصَّرَاطُ أَوْ الْبَجْرُ
لَنَا - فِي سِوَانَا - حَبْرَةٌ غَيْرَ أَنَا نَتَرُ بِأَطْلَاجِ الْأَمَانِي فَتَفْتَرُ
إِذَا الْمَوْتُ أَضْحَى قَمَرٌ كُلُّ مُعَمَّرٍ فَإِنْ سَوَاهُ طَالَ أَوْ قَصُرَ الْعُمُرُ

* *

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الدِّينَ رِيحَ ذِمَّتَاهُ فَلَمْ يُعْنِ أَنْصَارُ عَدِيدُهُ وَلَا وَفْرُ
بَحِيثُ اسْتَقْلَالِ الْمَلِكِ ثَانِي عِطْفِهِ وَجَرَّرَ مِنْ أَذْيَالِهِ الْمُتَشَكَّرُ الْمَجْرُ
هُوَ الضَّمِيمُ لَوْ غَيْرَ الْقَضَاءِ يَرُومُهُ شَاءَهُ الْمَرَامُ الصَّعْبُ وَالْمَسْلَكُ الْوَعْرُ

إِذَا عَزَّتْ جُرْدُ السَّوَابِحِ فِي الْفَنَاءِ بَلِيلِ عَجَاجٍ لَيْسَ يَصْدَعُهُ فَجْرُ
لَقَدْ بَكَرَ النَّاهِي عَلَيْنَا بَدَهْوَةٍ هَوَانٍ أَمَضْنَا لَهَا لَوْعَةً بِكْرُ

■ *

أَفَنَسُ نَفْسٍ فِي الْوَرَى أَفَعَدَّ الرَّدَى؟ وَأَخْطَرُ عَلَيَّ - لِإِهْدَى - أَهْلَكَ الدَّهْرُ؟
هَيْنًا لِبَطْنِ الْأَرْضِ أَنْسُ مُجَدِّدُ بِثَاوِيَةٍ حَلَّتْهُ فَاسْتَوْحِشَ الظُّهْرُ
بِطَاهِرَةِ الْأَثْوَابِ ، قَاتِنَةِ الضُّحَى مَسْبَحَةِ الْآثَاءِ ، عِزَّائِهَا الْخِذْرُ
كَأَنَّ أَثْنَيْتَ فَالنَّفْسُ أَتَى نَفِيسَةٍ إِذِ الْجَنَسُ لَا يَسْمُو لِذِكْرِهِ ذِكْرُ
حَصَانٍ - إِنْ النُّفُوسُ أَسْتَبَدَّتْ بِسِرِّهَا - فَمَنْ صَالِحِ الْأَعْمَالِ يُسَوِّضُ الْجَهْرُ
يُطَاعًا سِرُّ الصَّوْنِ دُونَ حِجَابِهَا فَيَرْفَعُ - عَنْ مَتْنَى تَوَافِلِهَا - السُّرُ

■ *

لَعَمْرُ الْبُرُودِ الْبَيْضِ فِي ذَلِكَ الثَّرَى لَقَدْ أَذْرَجْتَ أَثْنَاءَهَا - النُّعْمُ الْخَضِرُ
عَلَيْهَا سَلَامٌ أَفْهَ تَنْزَى نَحْمَةً يُفَسِّمُهَا الْفَقْرَانِ رِيحَاتُهَا النَّصْرُ
وَعَاهِدَ تِلْكَ الْأَرْضَ هَهُوَ غَمَامَةٍ إِذَا اسْتَبَرَّتْ فِي رُبِّهَا أَبْقَسَمَ الزُّهْرُ

■ *

فَدَيْنَاكَ ، إِنْ الرُّزْءُ كَانَ غَمَامَةٍ طَلَعَتْ لَنَا فِيهَا كَمَا يَطْلُعُ الْبَدْرُ
أَلَسْتُ اللَّيْلِ - إِنْ مَنَاقِ دَرَجٍ بِحَادِثٍ - تَبْلُجُ مِنْهُ الْوَجْهَ وَأَتَسَّعَ الصَّدْرُ
تَمَزَّ بِحَوَاءِ - أَلَيْ الْخَلْقُ نَسْلُهَا - فَمَنْ دُونَهَا فِي الْمَصْرِ يَبْسُمُ الْمَصْرُ
نِسَاءِ النَّبِيِّ الْمُسْطَقَى أَهْلَانَا ثَوْنٌ فَفَنَاهُنَّ - مُذْ حُقِبَ - قَفْرُ
وَجَارَتْهَا الْحُسْنَى ، فَأَمَّ شَفِيقَةً تَحْقَى بِهَا أَبْنُ كُلِّ أَفْئَالِهِ بَرُّ

تَمَتَّتْ وَفَاةً - فِي حَيَاتِكَ - بَعْدَ مَا
كَانَ الرَّدَى نَذْرُ عَلَيَا مُوَكَّدُ
تَوَلَّتْ فَأَبَقَتْ - مِنْ مُجَابِدُمَاهَا -
تَيْمٌ بِدِ النَّمَى، وَتَلَسَّقُ لِلْمَنَى،
فَلَا تَهَيَّ الدُّنْيَا جَنَاحَكَ بَعْدَهَا
وَلَا زِلَتْ مَوْثُورَ الْمَدِيدِ بِقَرَّةِ
تَوَالَّتْ - كَنَظْمِ الْعَقْدِ - آمَالُهَا التَّنْزُرُ
فَإِنْ أُسْنِفَتْ بِالْخَطِّ فَيْكَ وَفَى النَّذْرُ
فَقَالِسَ دُخْرِ مَا يَقَاسُ بِهِ دُخْرُ
وَتُسْتَدْفَعُ الْبُلُوى، وَتُسْتَقْبَلُ الصَّبْرُ
فِنَّكَ - لِمَنْ هَامَتْ تَوَائِبُهَا - جَبْرُ
لَعِينِكَ مَشْدُودِ بِهِمْ ذَلِكَ الْأَزْرُ

* *

بَنِي «جَوَرٍ» أَنْتُمْ مَمْلَأَ رِيَّاسَةِ
رَبَّى الدَّهْرِ - إِنْ يَنْطَلِسْ - فَنَكْمُ بَعِيْنُهُ
لَكُمْ كُلُّ رَفْرَاقِ السَّمَاحِ كَأَنَّهُ
سَحَابُ ثَمْنَى أَبْرَقَتْ وَتَدَفَّقَتْ
إِذَا تَأَذَّ كَرِيْمٌ، وَأُسْتَشْفَتْ خِلَالُكُمْ
طَرِيقَتُكُمْ مُقْلَى، وَهَذَبُكُمْ رَضَى
وَكَمْ سَائِلٍ - بِالنَّيْبِ عَنْكُمْ - أَجَبْتُهُ
عَطَاءً وَلَا مَنًى، وَحُكْمٌ وَلَا هَوَى
قَدْ اسْتَوْفَتْ النِّعْمَاءُ فِيكُمْ تَمَامَهَا
لِمَا فِيكُمْ - فِي أَقْفِيَا - أَنْجُمُ زُهْرُ
وَإِنْ تَضَحَكَ الدُّنْيَا فَأَنْتُمْ لَهَا قَرَرُ
حُسَامٌ عَلَيْهِ - مِنْ طَلَاقَتِهِ - أَثَرُ
فَصِيْبُهَا الْجَدْوَى، وَبَارِقُهَا الْبَشْرُ
تَصَوَّعَتْ الْأَخْبَارُ، وَأُسْتَمَجَدَ الْخَبْرُ
وَتَأْتَلِكُمْ قَرَرٌ، وَمَذْهَبُكُمْ قَعَرُ
هُنَاكَ الْأَيْدِي الشَّفْعُ وَالشُّدُودُ الْوِثْرُ
وَحِلْمٌ وَلَا تَحْجَرُ، وَعِزٌّ وَلَا كِبَرُ
عَلَيْنَا، فَنَا الْحَمْدُ لِلَّهِ وَالشُّكْرُ

في مدح ابن جهور

« قال يمدح أبا الحرم بن جهور . »

أَجَلٌ ، إِنْ لَيْلَى حَيْثُ أَخْيَاوَهَا الْأَسَدُ مَهَاءُ حَمَتَهَا - فِي مَرَاتِمِهَا - أُسْدٌ (١)
يَمَانِيَّةٌ تَذْنُو وَيَنْأَى مَزَارُهَا فَيَسِيَانِ مِنْهَا فِي الْهَوَى الْقُرْبُ وَالْبُعْدُ (٢)
إِذَا نَحْنُ زُرْنَاكََا نَحْمَدُ « مَا رَدُّ » وَعَزَّ - فَلَمْ تَقْلَقْ يَدُ - « الْأَبْلَقُ الْفَرْدُ » (٣)
تَحُولُ رِمَاحُ الْخَطِّ دُونَ أَعْيَادِهَا وَخَيْلٌ تَغْطِي نَحْوَ قَائِمَاتِهَا جُرْدُ
لَحْيٌ لِقَاحٍ تَأْتَفُ الصَّيْمُ مِنْهُمْ جَعَا جَعَةً شَيْبٌ وَصَيَابَةٌ مُرْدُ (٤)
أَبُ ذُو أَغْزَامٍ ، أَوْ أَخُ ذُو نَسْرَجٍ فَشَيْخَانُ مَلْأَى الْهَمَّ ، أَوْ فَاتِكَ جَلْدُ
فَمَا شَيْمٌ مِنْ ذِي الْهَبَةِ الصَّارِمِ الشَّبَا وَلَا حُطٌّ عَنْ ذِي الْمَيْعَةِ السَّابِحِ اللَّبْدُ

* *

وَفِي الْكَلَةِ الْحَمْدُ لَهُ وَسَطَ قِيَامِهِمْ فَتَاءُ كَمَثَلِ الْبَدْرِ قَابَلَهُ السَّعْدُ

(١) الأسد : لثقل الأزد ، والأسد : الأسود ، يقول : لم إن ليل من لية الأزد ومن طية تحبها
الأسود وتزود منها .

(٢) يقول إن قربها وبسدها سيل لال وصلها - على القرب ، واليد - بيد للنال ، وما أجل
قول للمرى :

« فإدارها بالحيف ، إن مزارها قريب ولكن دون ذلك أموال . »

(٣) الأبلق الفرد : حسن السوءل بن طاديا بناء أبوه . فلوا بل بناء سليمان - عليه السلام - بأرض
تهام ، ونصده الزباء فبجوت عنه ومن ملود ، فقلوا : « تمرد ملود ، وهو الأبلق » . وفي هذا الحسن
يقول السوءل - من لايته الرائعة للسهورة :

« لنا جبل يحمله من نجمة منج ، برد الطرف وهو كليل

هو الأبلق الفرد الذي شاع في كره - على من رآه - ويقول . »

(٤) الحى القاح : هم الذين لا يدبون للفوك ولا يؤدون لهم الاقاوة والجماعة : جمع جمع ، وهو
السيد السح أو هو الكريم وهو وصف خاص بالرجال ، قال الشاعر : « يمش قطارفة غلب جماعية . »
ويجمع أيتا على جليلج ، قال ابن الزبير :

« ملذا يسر فالتقتل من مرارة جليلج . »

صباية للدم وصوابهم : للهم .

عَقِيلَةٌ مِرْبٍ لَا الْأَرَاكَ مَرَادُهُ وَلَا قَرْنٌ مِثْلُ الْبَرِيرِ وَلَا الْمَرْدُ (١)
تَهَادَى فَيُضْنِيهَا الْوِشَاحُ غَرِيرَةٌ تَأَوُّهُ مِنْهَا نَاسٌ فِي جِيدِهَا الْعِقْدُ
إِذَا اسْتَحْفِظْتَ سِرَّ الشَّرَى جُنَحَ لَيْلِهَا تَنَامِي التَّمُوتَانِ : الْأَلْوَةُ ، وَالنَّدْ (٢)
لَهَا عِدَّةٌ بِالْوَصْلِ ، يُوعِدُ فِيهَا مَصَالِيْتُ، يَنْسَى - فِي وَعِيدِهِمْ - الْوَعْدُ
عَزِيزٌ عَلَيْهِمْ أَنْ يَمُودَ خِيَالُهَا فَيُسْحَفُ مِنْهَا نَائِلٌ فِي الْكُرَى تَمْدُ (٣)
كَتَفِي لَوْعَةٍ أَنْ الْوِصَالِ نَيْبَةٌ يُطِيلُ عَنَاءَ الْمُقْتَضَى وَالْمُتَوَى تَقْدُ (٤)
سَبْلِنِهَا عَنَا الشَّمَالِ تَحِيَّةٌ تَوَافِعُ أَنْفَاسِ الْجَنُوبِ لَهَا رَدُ (٥)
فَا نُسِي الْإِلْفُ الَّذِي كَانَ يَتَنَّا - لَطُولِ تَنَائِنَا - وَلَا ضَيِّعَ الْعَهْدِ

* *

لَمْ يَقِيلَ : « فِي الْجِدِّ التَّجَاحُ لِطَالِبٍ » قَلَّ عَنَاءُ الْجِدِّ مَا لَمْ يَكُنْ جَدُّ (٦)

(١) المرء : النفس من بحر الأراك أو نضجه . (٢) ناس : الغي : ينوس نوساً ونوساً تحرك وتذبذب واضطرب متديلاً ، وسى ذنواس - وهومن - بلوك - الذين بذلك قلوبهم كانتا تنوسان على ظهره .
(٣) الألوة : حود حندی يتخذه ، وقال أعرابي حين مر على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو يدفن :

« أَلَا جَلْتُمْ رَسُولَ اللَّهِ فِي سَلَطٍ مِنْ الْأَلْوَةِ أَحْوَى مَلْبَأً ذُخَا . »

والند : ضرب من الطيب .

(٤) تمْد : قليل ، يقول وهم يستكثرون علينا أن يزورنا خيالها فيسلمات بالوصال في فترات الكرى للقطعة القليلة . (٥) يقول : كفانا ألماً أنها لا تمن علينا بالوصال إلا وعوداً . وَجِدَ يَمِينًا اقْتَضَاها وَأَمَّا لَهَا فِي مَوَاجِدِهَا عَنَا نَضِجُهَا الْهَوَى طَابِلًا غَيْرَ مُتَمَلِّجٍ وَلَا مُؤْجِلٍ .

(٦) العيال : ريح الفبال ، والجنوب : ريح الجنوب ، وفي الأصل توافع ، والتوافع : السبب الكثير المطر ، وقال هج التمدى القيس أي رقهه وهجت الريح أي جاءت بقوة ، والتوافع - جمع تالفة وهي التسم - يقول ابن مردد في هذا المعنى :

« لَا يَتَنَحَّ الْجِدُّ بِلَا جِدٍّ وَلَا بِعَدَّةِ الْجِلْدِ إِذَا الْجِدُّ عِلَا . »

ويقول الشاعر :

« عَشَّ بِجِدِّ وَلَا يَضُرُّكَ تَوَكُّ »

وقد أكثر الشعراء من الكلام في الجود ، ومن أبداع ما رواه في ذلك قول ابن الرومي :

« إِنْ لَفِظَ كَجِيَاءٍ إِذَا مَا سَكَبَا أَلَهُ إِسَاتَا . »

يَتَالِ الْأَمَانِي بِالْحَظِيرَةِ وَادِغُ كَمَا أَنَّهُ يُكْنَدِي النَّبِيَّ شَأْنَهُ الْكَدَّ

* *

هُوَ الدَّهْرُ مَهْمَا أَحْسَنَ الْفِعْلَ مَرَّةً قَمْنِ خَطَا ، لَكِنْ إِسَاءَةٌ تَهْدُ
حِذَارَكَ أَنْ تَشْتَكَ مِنْهُ بِجَانِبٍ قَمْنِي كُلِّ وَادٍ مِنْ نَوَائِيهِ « سَمْدُ »
وَلَوْلَا السَّرَّاءُ الصَّيْدُ مِنْ آلِ « جَهْوَرِ » لَأَعْوَزَ مَنْ يُعْتَدِي عَلَيْهِ مَنِي يَعْدُو
مُلُوكُ لَبَسْنَا الدَّهْرَ فِي جَنَابَتِيَوْمِ رَفِيقِ الْحَوَائِي مِثْلَ مَا قُوفَ الْبُرْدِ
بِمَحِثٍ مَقْبِلُ الْأَمْنِ صَافٍ ظِلَالُهُ وَفِي مَنَهْلِ الْمَبْنِيِّ الْمُدُوبَةِ وَالْبُرْدِ
هُمْ التَّفَرُّ الْبَيْضُ الَّذِينَ وَجُوهُهُمْ تَرُوقُ فَتَسْتَشْفِي بِهَا الْأَعْيُنُ الرُّمْدُ
كَرَامٌ يَمُدُّ الرَّاعِيُونَ أَكْفَهُمْ إِلَى أَنْجَرٍ مِنْهُمْ لَهَا بِاللَّهِ مَدُّ

وقول النبي :

« والجد حتى تفضل العين أختها وحق بصير اليوم لبوم سيدا . »

وقول للمري :

« والجد يدرك أنوما ليرغمهم وقد ينال إلى أن يبعد الجبرا »

وعرفت ذات أنواط لباتها ولم تباين على علائها الشجرا . »

وقد ذكرنا طرفا من أقوال الشعراء في هذا الفن في وسلة النفران « ج ٢ ص ٩٨ » فليرجع إليها من شاء .

(١) الخطيرة : عن بها هنا الأموال الخطورة يقال : احظر الرجل وخطر الخطيرة حبس فيها أمواله من فضيق ، ويقال الرجل للثليل الخير « إنه لتلك الخطيرة » وسببت أمواله خطيرة لأنه خطر ما ومنهها حننه ، والوداع : الذي ينال حظه من العيش من غير كلفة ولا مشقة ، يقول : « كثيرا ما ينال الوداع الذي هو في غنى ودعة من العيش أماليه الخطورة حننه كما أنه كثيرا ما يضيع ذو النسي والسكند فلا يحصل من ثبه وكده على طائل » ، ولعل أجمع ما قرأته في هذا الفن قول ابن الرومي :

« إذا كان يجري كوكب سمت حلقه حلاها وإلا احتاض ذلك مطلبيا . »

وقول الآخر :

« سببحان ربي يعلو ذا ويمرح ذا هنا بعيد ، وهذا يأسل السكك . »

(٢) يقال « بطل واد سمد » أو « بطل واد بشر سمد » يريدون بذلك أن في كل جهة كفاها من الشر والأذى . فلما وأسل للثقل أن الأضبط بن فرج بن حوف بن كعب بن - مد بن زيد سماء - وأمن أهل وتوهم أمورا كرمها ففارتهم متعلا في القبايل فرأى من غيرهم مثل طرائف منهم فقال : « كل أرض سمد بن زيد . » (٣) الأصباط والمبات .

فَلَا يَنْجُ مِنْهُمْ هَالِكٌ هَوَّ خَالِدٌ بِأَنَارِهِ ، إِنَّ النَّشَاءَ هُوَ الْخَالِدُ
« أَقْبِلُوا عَلَيْنَا بِكُمْ لَا أَبَا لِأَيْكُمْ مِنَ الْوَهْمِ ، أَوْسُدُوا الْمَكَانَ الَّذِي سَدُّوا »^(١)
أُولَئِكَ إِنْ نَحْنُ سَرَى فِي صَلَاحِنَا سِجَاحٌ عَلَيْنَا كَحُلِّ أَجْفَانِهِمْ سَهْدٌ

* *

أَلَيْسَ « أَبُو الْحَزَمِ » الَّذِي غِيبَ سَخِيهِ تَبَصَّرَ قَاوِينَا قَبَانَ لَهُ الرُّشْدُ
أَعْرَ تَعْمَدَنَا بِهِ الْخَفَضُ^(٢) بِنَدَمَا أَقْضَى عَلَيْنَا مَضْجَعٌ وَتَبَا مَهْدُ^(٣)
لَشَرٍّ حَتَّى انْجَابَ عَارِضُ فِتْنَةٍ تَأَلَّقَ مِنْهَا الْبَرْقُ وَأَصْطَلَحَبَ الرَّعْدُ
فَسَلَّمَ مَنْ كَانَتْ لَهُ الْحَرْبُ مَادَّةً وَوَافَقَ مَنْ لَاشَكَ فِي أَنَّهُ صِدٌّ^(٤)
هُوَ الْأَمْرُ الْمَحْمُودُ إِنْ عَادَ ذِكْرُهُ تَطَلَّعَتِ التَّكْنِيَاهُ وَأَسْتَشْرَفَ الْمَجْدُ
تَوَلَّى قَاوِلًا أَنْ تَلَاَهُ « مُحَمَّدٌ » لَاوْطَأَ خَذَ الْحُرِّ أَتَمَّصَهُ الْعَبْدُ^(٥)

* *

مَلِكُ يَسُوسُ الْمَلِكَ مِنْهُ مُقْلَدُ رَوَى عَنْ أَبِيهِ فِيهِ مَا سَنَّهَ الْجَدُ
سَجِيئَةُ الْحُسْنَى ، وَشِجْمَةُ الرُّضَى ، وَسِيرَتُهُ الْمُثَلَّى ، وَمَذْهَبُهُ الْقَصْدُ

(١) ورد هذا البيت في الأصل :

« عليهم ، لا أبا لأَيْكُمْ من الوهم ، أَوْسُدُوا الْمَكَانَ الَّذِي سَدُّوا »
وليس هذا البيت لابن زيدون بل هو أنثياس ، وأصل البيت كما أنثياس ، وهو من القصيدة للحميرة
لحق بقول فيها الشاعر :

« وقعداني أبناء سعد عليهم ومالكت إللا بقى طلت سعد ».

(٢) الخفض : البعثة . (٣) يقول إنه يدلنا من خوف أننا ومن سهاد وقدا .

(٤) يقول : وقد سألته أشد الأصضاء ولوما بالحرب وواقته من لاشك في خصومته ولقد بهد ما رأوا
من شدة بأسه وقوته .

(٥) يقول : لولا أن عمدا قد خلف أبا الحزم لساءت العاقبة ولما دلت دولة البيعة على دولة الأحرار
مأقوهم أذلالا وداسو خدوهم بأرجلهم .

مُحَامٌ إِذَا زَانَ النَّدَى بِحَبْوَةٍ تَرْجِعُ فِي أَثْنَاهَا الْحَسْبُ الْمَدُّ
 وَهَمُّ لِأَبْنَاهِ السَّيَادَةِ بَارِعٌ هَلِكِهِمْ بِهِ مُنْقَى الْخَنَاصِرُ إِنْ عُدُّوا
 بَعِيدُ مَتَالِ الْحَالِ ، ذَانِي جَنَى النَّدَى إِذَا ذُكِرَتْ أَخْلَاقُهُ خَجَلُ الْوَرْدِ
 تَهْلَلُ فَأَتَهَلَّتْ سَمَاهُ بِمِجْنَاهِ عَطَا يَأْتِرَى الْأَمَالُ مِنْ صَوْبِهِمْ كَجَعْدِ (١)
 مُبْرٌ لَنْ عَادَاهُ إِذْ أُولِيَائِهِ يَلْذُ لَهُمْ كَأَلْمَاءِ شَيْبَ بِهِ الشُّهُدُ
 إِذَا أَقْتَرَفَ الْجَانِي عَفَا عَفْوٌ قَادِرٌ عِلَّا قَدْرُهُ عَنْ أَنْ يَلِجَ بِهِ حَقْدُ (٢)
 وَمُتَّحِدٌ لَوْ زَا حَمَّ الطَّوْدِ حِلْمُهُ لِحَاجَزُهُ رُكْنٌ مِنَ الطَّوْدِ مُنْهَدُ
 لَهُ عَزَمَةٌ مَطْوِيَّةٌ فِي سَكِينَتِهِ كَمَا لَانَ مَتْنُ السَّيْفِ وَأَخْشَوْشُنَ الْحَدِ (٣)
 يُوَكِّلُ بِالنَّدَى بِيْرِ خَاطِرٍ فِكْرَةٍ إِنْ أَقْتَدَحَتْ فِي خَاطِرٍ أَثَقَبَ الرَّنْدُ (٤)
 ذِرَاعٌ - لِمَا يَأْتِي بِهِ الدَّهْرُ - وَاسِعٌ وَبَاعٌ - إِلَى مَا يُحَرِّزُ الْفَخْرَ - مُتَمَدُّ
 إِذَا أَسْهَبَ الْمُثْنُونَ فِيهِ شَأْنُهُمْ (٥) مَرَاتِبُ عَلِيًّا كُلٌّ عَنْ عَفْوِهَا الْجَهْدُ
 هُوَ الْمَلِكُ الْمَشْفُوعُ بِالنَّسْكِ مَلَكُهُ قَبَا فَضْلٌ مَا يَخْفَى وَيَا سَرَّوْ مَا يَبْدُو (٦)
 إِلَى اللَّهِ أَوَّابٌ ، وَلِلَّهِ خَائِفٌ وَبِاللَّهِ مُتَعَدُّ ، وَفِي اللَّهِ مُشْتَدُّ

(١) جعد : ندى .

(٢) قريب من هذا قول سننرة :

« لَا يَجْعَلُ الْحَدَّ مِنْ قَلْبِهِ بِهَ الرَّبِّ وَلَا يَبَالُ الْعِلَامُ مِنْ طَبْعِهِ لِلنَّضْبِ . »

(٣) في هذا للمعنى يقول الناصب :

« وَكَالْبَيْفِ - إِذْ لَا يَنْتَه - لِأَنَّهُ حَدَهُ وَحَدَاهُ - إِذْ لَا يَنْتَه - خَشَانَهُ . »

(٤) أَثَقَبَ الرَّنْدُ : أَوْرَى . (٥) شَأْنُهُمْ : فَاتَهُمْ وَفَعَرُوا فِيهَا مِنَ الدَّيَاةِ .

(٦) يقول هو الملك الذي يجمع إلى سطوة الملك نسله (أورعين) ، أَثَقَلَ مَا يَبْرَهُ فِي نَفْسِهِ وَمَا أَيْلَ وَأَعْرِفَ مَا يَكُنْهُ ، يَمْنَى أَنْ سَرَهُ وَإِعْلَانَهُ خَائِفٌ فِي التَّجَلُّلِ وَالنَّضَلِ .

لَقَدْ أَوْسَعَ الْإِسْلَامُ بِالْأَمْسِ حِسْبَةً تَحْتَ غَرَضِ الْأَجْرِ الْجَزِيلِ فَلَمْ تَعُدْ
أَبَاحَ حِمَى الْخَلْعِ الْخَيْثَةِ ، حَاطًا حِمَى الدِّينِ مِنْ أَنْ يُسْتَبَاحَ لَهُ حَدٌّ
فَطَوَّقَ بِأَسْنَتِهَا الْمِصْرَ مِنْهُ يَكَادُ يُودَى شُكْرُهَا الْحَجَرُ الصَّلْدُ
هِيَ الرَّجْسُ إِنْ يُذْهِبُهُ عَنْهُ فَحُسْنُ شَهِيرُ الْأَيْدِي مَا لَا لَائِيَّ جَعْدُ
مَطْلَبُهُ أَتَامَ ، وَأُمُّ كَبَائِرِ يُقَصِّرُ عَنْ أَذَى مَعَايِهَا الْقَدُ
رَأَى نَقْصَ مَا يَنْجِيهِ مِنْهَا زِيَادَةً إِذِ الْعَوْضُ الرَّمَضِيُّ إِلَّا يَرُخُّ يَقْدُو

نَمِي ، فَجَسَدِ الظَّنِّ بِاللَّهِ مَالُهُ قَرِيرٌ ، فَصْنُ أَفْهِ مِنْ حَوْلِهِ جُنْدُ
نِعَمَ حَدِيثِ الْبِرِّ تُودِعُهُ الْعَبَا تَبْتُ نَقَاهُ حَيْثُ لَا تَوْضِعُ الْبُرْدُ (١)
تَقَلَّبَ فِي سَمْعِ الرَّبَابِ وَمَلَكَتْ لَهُ صُورَةٌ لَمْ يَنْعَمْ - عَنْ حُسْنِهَا - الْخُلْدُ
سَاعَ أَجَدَتْ زِينَةَ الْأَرْضِ ، فَالْخُلَى لَا لِيَّ تَرْدُ ، وَالْأَرَى عَنْبَرٌ وَرْدُ
نَبَى زَهْرَاتِ الرُّوضِ - عَنْهَا - بَشَارَةٌ وَفِي نَفَحَاتِ الْمِسْكِ - مِنْ طَيْبِهَا - وَفْدُ

بَدَيْتُكَ ، إِنِّي قَائِلٌ فَمَرَّضُ بِأَوَّلَارِ نَفْسِي مِنْكَ لَمْ تَقْضِهَا بَعْدُ
نَحَى كَالشَّجَا دُونَ اللَّهِاءِ (٢) تَمَرَّضْتُ فَلَمْ يَكْ الْعَصْدُورِ - مِنْ نَفْسِهَا - بُدُ

(١) يقول : لم حديث البر أردته ومع الصبا لحلة وبك خبره في الجهات الثانية حيث لا توضع البرد
في حيث لا تحمى خيل البريد إليها ولا تسلمها الأخبار لبعدها ، وفي الأصل : « توضع »
(٢) الهاء : الهمة للمعرفة على الخلق ، أو ما بين متقطع أسهل اللسان إلى متقطع القلب من أعلى القلب ،
وجمها لحوات وحيات ولهي . قال ابن دريد :

« والتلى كالتت ، فله رائق نفس لغير عوده من الجلى
ومنه ما تفتحم العين ، قال سفتجناه إلغ عندي في العلى »

أَمِثْلِي غُفْلٌ خَامِلٌ أَلَذَّكَرٍ صَانِعٌ صَبَّاحَ الْحُسَامِ الْمَضْبِ أَسَدَاهُ الْغَمْدُ
أَبْنِي ذَلِكَ أَنْ أَلْهَرَ قَدْ ذَلِكَ صَعْبُهُ فَسْتَيْ مِنْهُ - بِالَّذِي نَشْتَعِي - الْغَمْدُ (١)

* *

أَنَا السَّيْفُ لَا يَلْبُو مَعَ الْهَرِّ غَرَبُهُ إِذَا تَانَبَا السَّيْفُ الَّذِي تَطْنِجُ الْهِنْدُ
بَدَأَتْ بِتَعْنِي غَضَّةٍ إِنْ تُوَالِمَا فَحَسُنُ الْأَلَى (٢) فِي أَنْ يُوَالِيهَا مَرْدُ
لَمَعْرَكَةٍ مَا لِلْمَالِ أَسْنَى فَلَمَّا بَرَى الْمَالُ أَسْنَى حَفْلَهُ الطَّبْعُ الْوَعْدُ (٣)
وَلَكِنْ لِحَالٍ - إِنْ لَبَسَتْ جَمَالَهَا - كَسَوْتِكَ قُوبَ التَّمْنَعِ أَغْلَامُهُ الْحَمْدُ

* *

أَتَمَّتْ الْقَوَافِي شَاهِدَاتٍ بِمَا صَفَا مِنْ الْغَيْبِ قَافَتَاهَا فَمَا غَرَكَ الشَّهْدُ
لِيَحْطَى وَلِي - سِرُّهُ وَفَنُّ جَهْرِهِ - فَظَاهِرُهُ شُكْرُهُ ، وَبَاطِنُهُ وَدُّ
يُمَيِّزُهُ - بَيْنَ سِوَاهُ - وَقَاوُهُ وَإِخْلَاصُهُ ، إِذْ كُلُّ قَائِمَةٍ هِنْدُ (٤)

(١) سقى منه الغمد ، أى يهرس الصمب وسهل . قال الشاعر :

« وأعلم علما ليس بالظن أنه إذا الله سقى فقد أمر يهرا . »

(٢) الألى : التهمة جميعها آلاء .

(٣) الطنج : يقال : رجل طنج طنج (بكسر تاءيهما) متدنس العرض ذو خلق دنيء لا يستحي من سوءه ، والوعد : الخفيف الأحمق الضعيف العقل والبدن الدنيء الخسيس القليل .

(٤) كل قافية هند : مثل يضرب عند تلاوى القوم في فساد الباطن .

رثاء أم المعتضد

« قال يرثي السيدة الكبرى والدته . »

أَلَا هَلْ دَرَى الدَّاعِي التَّوْبُ - إِذْ دَعَا بِنَعْيِكَ - أَنْ الدِّينَ مِنْ بَعْضِ مَاتَى ؟
وَأَنَّ الثَّقَى قَدْ آذَنْتَنَا بِفِرْقَةٍ وَأَنَّ الْهَدَى قَدْ بَانَ مِنْكَ فَوْدَقَا ؟
يُرْزِقُكَ تَهْلُ الدُّمُوعُ ، فَشَلُهُ - إِذَا حَلَّ - وَدَّ الْقَلْبُ لَوْ كَانَ مَذْمُومًا
لَقَدْ أَجْهَشَ الْإِخْلَاصُ بِالْأَمْسِ بِأَكْيَا عَلَيْكَ ، كَمَا حَنَّ الْيَقِينُ فَرَجًا

وَدُنْيَا وَجَدْنَا الْمَبْشَى فِي غَمَلَاتِهَا طَرِيقًا - إِلَى وَرْدِ النِّبَةِ - مَهِينًا (١)
نُكَلِّلُ فِيهَا بِاللَّحَى فَتَفْرُغَا بَوَارِقُ لَيْسَ الْآلُ مِنْهَا بِأَخْذًا (٢)

أَصَيْنَا بِمَا لَوْ أَنَّ هَضَبَ مَتَالِجٍ أُصِيبَ بِهِ لَأَنْهَدَ أَوْ لَتَضَعَضَمَا
مَتَارٌ - مِنَ الْإِيمَانِ - لَمْ يَبْدَأْ هَوَى ، وَحَبْلٌ - مِنَ التَّقْوَى - وَهَى فَتَقَطَمَا
وَفُتْسُ هَدَى أَمْسَى لَهَا الْأَرْبُ مَقَرِّبَا وَكَانَ لَهَا الْمِحْرَابُ فِي الْخَيْدِ مَطْلَعًا (٣)

لَنْ أَتَيْتَ مِنَّا غَمَامَةً وَرَحْمَةً لَقَدْ ظَلَمْتَ ذَلِكَ السَّرِيرَ الْمُرَقَّمَا

(١) اللحن : الطريق الواسع الواضح البين .

(٢) الأكل : السراب ، يقول إلى الأمانى نمرنا ونخضعنا كما يجذع السراب . ولقد دُرَّ مِيزَارٌ إِذْ يَهْوِلُ :

« شد مامق غرودا شه - طجر الآمال في أن يبرها . »

وقوله : « ربما يقر بالظن الكذوب . » وق هذا الممن يقول ابن نباته السدي :

« وأنتم ما الدنيا يدور إفاة - ولا هي إلا مثل بعض المنازل

نسب إلى الأجل حول رجتها - ولطوى بها الأيام على الراحل . »

(٣) يقول : أنها شس لفرقت في خمرها ثم غربت في قبرها .

سِرِيرُ بِأَمْلَاكِ وَزُهْرٍ مَلَانِكِ - إِلَى جَنَّةِ الْفِرْدَوْسِ - رَاحَ مُشِيْعًا
تَبَكَ الْأَيَّامُ وَالْيَتَامَى قَبِيْدَةً - هِيَ الْمَرْزُوقَةُ أَحْيَا صَوْبُهُ ثُمَّ أَفْشَعَا
أَصْلَهُمْ قَعْدَاتُهَا ، فَكَأَنَّمَا - أَصْلَتْ سَوَامَ الْوَحْشِ فِي الْجَذْبِ مَرَّتَمَا
مُسَبَّحَةُ الْآثَاءِ ، قَاتِيَةُ الضُّحَى - ثَوَتْ فَتَوَى مَعْنَى الثَّأْوِ بَلَقَمَا
تَبَيَّتْ مَعَ الْإِخْبَاتِ " مُسْتَرَّةَ الْحَشَا - ثَقِيَّةٌ مَنْ يَخْشَى إِلَى اللَّهِ مَرْجِعَا
إِذَا مَا هِيَ أَسْتَوَفَتْ مِنَ الْبِرِّ قَايَةً - تَأْتَتْ لِأُخْرَى لَا تَرَى تِلْكَ مَقْعَمَا
كَأَن قَضَاءَ الْوَاجِبَاتِ مُخْرَجٌ - تَقْبَلُهُ إِلَّا بِأَنْ تَتَطَوَّعَا ﴿١﴾

أَصْرَفَ الرَّدَى لَوْ أَنَّ السَّيْفَ مَضْرِبًا ﴿٢﴾ - لَمَّا رُغْنَا ، أَوْ أَنَّ فِي الْقَوْسِ مَنَزَعًا
فَلَوْ كُنْتُ - إِذَا سَارَتْ - رَامَ مُجَاهِرٌ - ذِمَارَ الْهَدَى كَانَ الْمَوْطَ الْمُتَمَّا
إِذَا لَتَنَاهُ الْجَيْشُ مِنْ كُلِّ أَلْسِي ﴿٣﴾ - يُشَايِعُ قَلْبًا فِي الْحِفَاظِ مُشِيْعًا
« وَمُعْتَصِدٌ بِاللَّهِ » يَخْفَى ذِمَارُهُ - فَلَا يَرْبَ يُنْزِلُ - فِي حِمَا - مُرَوَّعَا
وَلَكِنْ عَزَزَتِ الْمَلِكُ مِنْ حَيْثُ لَا يَرَى - فَلَمْ يَسْتَطِعْ لِلْعَادِثِ الْحَثْمَ مَذْفَعَا ﴿٤﴾

(١) الاخبات : التقوى والخشوع والفتور ، يقول : هي البقية الباقية من النساء المالحات بقيت من خشية الله صلبة داعية مسرة الحفا خوفًا من لقاء الله ، ورفقًا من حول يوم المرجع وللآب .

(٢) يقول : أنها لحرمها على التطوع وضم التواضع إلى الفرائض كأنها تعتقد أن في أداء الفرائض وحدها غير مشفوعة بالتطوع حرجًا وإنما لا يجهل صابرتها متعبة وعملها متأب عليه إلا بأن تطوع ، وهي فداك بيت ليها آفة متجدة .

(٣) الأليس : الشجاع الذي لا يبالى الحرب ولا يروعه القتال والجمع ليس ، قال الشاعر :

« نَحَالُ نَلْهِمُ مَرْضَى حَيَاءٍ وَتَقْلَهُمُ فِدَاةَ الرُّوحِ لِيَا . »

(٤) هزوت : وطئت وركلت ، من غير مدنى وعلم ولا تمييز ، وهو من قول الله عز وجل : « ولولا رجل مؤمنون لسان مؤمنات لم تعلموا أن طغوتهم فتصيبكم منهم مرة بنير علم . » ، وقال عمر رضي الله عنه : « اللهم إني أعوذ بك من مرة الجيش » يبرأ رضى الله عنه من وطأة جيش المسلمين من سراب به بلا تميز بين مسلم ومجاهد وكافر وإصابتهم لإمام في حريمهم وأموالهم وزروعهم بما لم يؤذن لهم فيه من قبل الفرج . يقول : لو كان صرف البحر شخصاً يواجه عجلة ليجر عن غرضه ولتناه المتضد الشجاع وجيشه الجبال ولكن صرف البحر يأتي على مرة فلا يستطيع أحد أن يواجهه ويدفع غائلته ، وفيه در القاتل :

يَنْظِطُ الْبِتَاقُ الْجُرْدُ أَلَا تَرَى لَهَا تَجَالًا ، فَتَمُتُو فِي الْمَرَابِطِ خُشْمًا
وَتَأْسُفُ يَبِضُ الْمِنْدُ أَنْ لَيْسَ تَنْتَقِي ، وَتُسْرُ الْقَنَا أَلَا تُهَزُّ وَتُشْرَمَا

* *

لَنْ سَاءَكَ اللَّهُزُ الْمُسِيءُ قَلَمٌ يَكُنْ بِأَوَّلِ عَهْدٍ وَاجِبِ الْحِفْظِ مَنِيْمًا
شَهِدْنَا : لَقَدْ طَرَزْتَ بُرْدَ جَمَالِهِ وَقَلَّدَتْهُ عِقْدُ الْبَهَاءِ مُرْصَمًا
وَمَا قَسَرُهُ إِلَّا بِأَنْ كَانَ مُصْنِيَا لِأَمْرِكَ ، إِنْ نَادَيْتَ لَبِي فَأَسْرَمَا
أَتَى الْمَتْرَةَ الْمُطْمَى ، قَهْلَ أَنْتَ قَائِلٌ لَهُ حِينَ أَشَقَى مِنْ كَأَيِّهِ : «لَمَّا» ؟^(١)
وَهَا هُوَ مُنْقَادٌ لِحُكْمِكَ ، فَأَخْتَكِمْ لَتَبْلُغَ مَا تَهْوَى ، وَرُمُهُ لِيَصْدَمَا
لَعَمْرُؤِ الْبَيِّ وَدَعْتَ أَمْسِي - مُفَارِقًا - لَقَدْ وَرَدَتْ حَوَاضُ السَّمَادَةِ مَشْرَمَا^(٢)
تَمَتَّتْ وَفَاةٌ - فِي حَيَاتِكَ - بَعْدَ مَا حَسَدَتْ لَهَا الْأَمَالُ : مَرَأَى ، وَتَسَمَمَا
فَوَيْتَهَا مَا لَمْ يَدْعُ لِيَصْبِرْهَا إِلَى غَايَةِ مِنْ بَسْدِهِ مُتَطَلَمَا
خَفَضَتْ جَنَاحَ الذَّلِّ فِي الْبِزْرِ رَحْمَةً لَهَا ، وَعَزِيرُ أَنْ تَذَلَّ وَتَخْفَضَمَا^(٣)
تَرُوحُ أَمِيرًا فِي الْبِلَادِ مُحْكَمًا وَتَنْدُو شَقِيمًا فِي الذُّنُوبِ مُشْفَمَا
عَزَاهُ قَدْرَتُكَ النَّفْسُ ، عَزَمَ مُسَلِّمٌ لِوَقْعِ أَمْرِ لَمْ يَزَلْ مُتَوَقَّمَا

« اليوم بيني وبينك يا رب وجه حسن رأيه »

ومعهم - ذى برقه - لو كان للهوى على ألبته

أو كان قرني واحدًا كفتبه . »

(١) أشق : من قولهم أشق على المالك وأشق على اللوت إذا أصرف عليه ، والكأبة : الحزن ، ولما : كلمة تعال لهاثر وهي في الآيات دعاء له ، وإذا قيل : لا لنا لهاثر ، فلهنا لا أقال الله عزته ، يقول : قد أساء إليك الدهر في هذا الخراب فهل أنت صانع عنه ومقبل من عزته .

(٢) للفرع : كالفرعة والفرعة للكلل الذي ينمو منه لباس والدواب إلى الماء لوروده .

(٣) يشير إلى قوله تعالى في بر الوالدين :

« ولعنن لهما جناح الذل من الرحمة وقل وب آروهما كما ربياني صغيرا »

مَتَى ظَنَنْتِ الْيَوْمَ أَنَّكَ جَارِعٌ أَوْ اسْتَشْفَرْتِ فِي قَلْبِ صَبْرِكَ مَطْلَمًا
فَمَا أُرْبَدَتْ وَجْهَ الْمُطَلَّبِ إِلَّا لَقِيَتْهُ بِصَفْحَةٍ طَلَّقِ الْوَجْهَ أَبْلَجَ أَرْوَمًا
وَمَا كُنْتُ أَهْلًا أَنْ يُصِيبَكَ حَادِثٌ فَتُصْبِحَ عَنْهُ مُقَصَّدَ الْقَلْبِ مُوجِمًا
فَلَوْلَاكَ لَمْ يَسْمَعْ مِنَ الْغَمْرِ جَانِبٌ وَلَا أَهْتَرَ أَغْطَاكَ، وَلَا لَانَ أَخْذَمًا
فَأَنْتَ الَّذِي لَمْ يَنْتَقِمْ غِبٌّ قُدْرَةٍ وَلَمْ يُؤْثِرِ الْمَرْوُوفُ إِلَّا لِيَشْفَمَا
مَتَى تُسَدِّ ثُنْمِي - قِيلَ أَنْتُمْ مِثْلَهَا - يُقَلِّ جَلَلٌ حَتَّى إِذَا قِيلَ أَبْدَقًا ١
وَأِنْ يَسِلِ الْمَافُونُ جَذْوَاكَ يُعْطِلُهُمْ جَوَادٌ إِذَا لَمْ يَسْأَلُوهُ تَبَرَّمَا
وَيُغْرِى بِتَوْكِيدِ الْإِسَاءَةِ مُذْنِبٌ فَيَلْقَاكَ بِالْإِحْسَانِ أَغْرَى وَأَوَامًا ٢
خَلَائِقُ مُهْمَاءُ الْفِرْنِدِ كَأَنَّهُمَا حَذَائِقُ رَوْضِ الْحَزَنِ جِيدَ قَائِمَا
تُنَاقِضُهَا مِنْهَا أَحَادِيثُ سُودِدٍ تَحَاكُّ قَتِيتَ الْمِسْكِ عَنْهَا تَصَوَّمَا
تَتَلَقَّلُ فِي الْأَفَاقِ أَشْرَى مِنَ الصَّبَا وَأَشْهَرَ مِنْ شَمْسِ النَّهَارِ وَأَشْرَمَا
فَلَوْ مَرَفَتْ مَرْفَ الْمُنُونِ جَلَالَةً لَكُنْتُ مُحِبًّا مَنْ تَوَدُّ مُمْتَمَا
فَلَا زِلْتُ بِنَمُوعِ الْحَيْمَى مُسْتَفِئَ الْمُنَى إِذَا كَانَ شَانِيكَ الْمُنْصَابِ الْمُفْجَمَا ٣
وَدُمْتُ مُلْقَى أَنْجُمِ السَّعْدِ بَاقِيَا لِيَدِينِ وَدُنْيَا أَنْتَ فَخْصُ رُفْهَمَا

(١) يقول كلما أسدبت جبالا للناس : كم لهذا الجبل من أشباه ونظائر فهو - على نظره - فانه عندهم
لكثرة ما ألفوه من صنائعك ، ولو أبدعت لم يفرحوا بظلالهم إبداعك لطول ما ألفوا من روائيك وبما لك .
(٢) يقول : اذ لسي يطعمه غنوك من زلفه هو إذا أوقع جوكيد إسماءه وجبك أشد ولو ما جوكيد
إسماك ودفوك عنه . (٣) يقول : لا زاله الزمن ير من حلك وبمسلك بأمانك على حين يصيب
عدوك ويحبسه لها يجب .

قل للبغاة

« وقال ذو الوزارين وجه الله »

الْدَهْرُ - إِنَّ أُنْسَى - فَصَبِيحُ أَتَجْمُ يُغْلَى أُضْبَارِي مَا جَعَلْتُ فَأَعْلَمُ ^(١)
 إِنَّ الَّذِي قَدَّرَ الْحَوَادِثَ قَدَّرَهَا سَاوَى لَدَيْهِ الشَّهَدَ مِنْهَا الْعَلَقَمُ ^(٢)
 وَلَقَدْ فَطَرْتُ فَلَا أَغْتَرَابُ يَقْتَضِي كَدَّرَ الْمَالَ وَلَا تَوَقَّيْ بَعْصِمُ
 كَمْ قَاعِدٍ يَحْطَى قَتْنَجِبُ حَالُهُ مِنْ جَاهِدٍ يَصِلُ الْدُّوْبَ فَيَحْرَمُ
 وَأَرَى الْمَسَاعِي كَالسُّيُوفِ تَبَادَرَتْ شَأَوُ الْمَضَاءِ فُتْنَتْ وَمُصَمِّمُ
 وَلَكُمْ نَسَائِي بِالرَّقِيعِ نِصَابُهُ خَطَرُ فَنَاصَبُهُ الْوُضِيْعُ الْأَلَامُ ^(٣)
 وَأَشَدُّ قَاجِمَةِ الدَّوَاهِي مُحْسِنُ يَسْنَى لِيُطْلِقَهُ الْجَرِيْعَةُ مُجْرِمُ ^(٤)
 تَلَقَى الْحَسُودَ أَمَمٌ عَنْ جَرَسِ الْوَفَا وَلَقَدْ يُصْبِحُ - إِلَى الرَّقَاءِ - الْأَرْقَمُ ^(٥)

* *

قُلْ لِلْبَغَاةِ الْمُنْبِضِينَ قِسْمُهُنَّ سَرَّوْنَ مَنْ تُصْنِيهِ نَفْسُكَ الْأَسْهُمُ
 أَمَرَزَهُمْ فَرَأَى نَجْمِي عِيُوبِكُمْ شَيْحَانُ مَذْلُولٌ عَلَيْنَا مُلْهُمُ

- (١) يقول إن الدهر إن أنسى فاصبح أجمع يكتب اجباري وقاسي الحوادث والعرضها
 بعض علم ما جعلت . (٢) إن الذي قاس الحوادث بغير استوى له حل الحياة ومرها .
 (٣) وكثيرا ما يلقى أرتفع منعه خطره وهرقه فيناصبه الماء ، وينج لئيم حيدا منه وبينا .
 (٤) وأشد ما يبيع الانسان من الدواهي حسن يسي مجرم ليلسق به إساءة وجريمة .
 (٥) يصيح مضارع أصاح له استمع ، والرقاء جمع راق من الرقة وهي ما يئث فيه من الموت ، والأرقم
 ذكر الحيات وهو أغشيها وأطلبها قتاس ، أو هو ما فيه يئث وسواد ، يقول : إن الحسود أمم من سباع
 صوت الوفاء في حين أن الأرقم وهو أنثى الحيات وأشد ما عنادها قتاس يصيح بسامه لراق الذي يلو
 ويثث في الموت ، وفي الأصل « ولقد يصيح إلى الرقاء الأرقم » .

وَعَبَّائِهِمْ لِلْفَيْسِ ظَفَرٍ سِمَايَةٍ لَمْ يَنْدُكُمُ أَنْ رُدَّ وَهُوَ مُقَلَّمٌ
وَبَدَّيْتُمْ التَّقْوَى وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ فَقَدْأَ بَنِيضَكُمْ النَّقْيُ الْأَكْرَمُ
مَا كَانَ حِلْمٌ « مُحَمَّدٌ » لِيُحِيلَهُ عَنْ عَهْدِهِ ذَقِلُ الضَّمِيرِ ^(١) مَذْمُومٌ
مَلِكٌ تَطَلَّعَ لِلنَّوَائِلِ غُرَّةَ زَهْرَاءَ يُدْبِيهَا الزَّمَانُ الْأَذْهَمُ
يَنْشَى النَّوَائِلَ مِنْ جَهْدِ رُؤَايِهِ خَلَقَ - يُرَى مِنْ الصُّدُورِ - مُطْلَمٌ ^(٢)
وَسَنَّا جَبِينَ يَسْتَطِيرُ شُمَاعُهُ يُغْنِي - عَنِ الْقَمَرَيْنِ - مَنْ يَتَوَسَّمُ ^(٣)
صَلَتْ تَوَدُّ الشَّمْسُ لَوْ صِيغَتْ لَهُ تَأَجَّا تُرْصَعُ جَانِبَيْهِ الْأَنْجُمُ ^(٤)
فَصَحَّتْ عَاسِيَتُهُ الرِّيَاضَ بَكَى الْحَيَا - وَهَنَا عَلَيْهَا - فَأَعْتَدَتْ تَبَسُّمُ
بِالْقَدْرِ يَبْعُدُ وَالتَّوَاضُّعُ يَدْنِي وَالشَّرُّ يَشْمُسُ وَالنَّدَى يَتَقَيَّمُ ^(٥)
جَذْلَانُ - فِي يَوْمِ الْوَعْدِ - مُتَطَلِّقٌ وَجَهَا إِلَيْهَا وَالرَّدَى مُتَجَهِّمٌ ^(٦)
بَاسٌ - كَمَا صَالَ الْهَزْبُ - إِزَاءَهُ جُودٌ كَمَا جَاشَ الْخِصْمُ الْخِضْرُ ^(٧)

(١) يضمره قد مكتم . (٢) الرواء : الحسن ، وخلق مطوم : تلم باوع الجلال .

(٣) يستطير : يختر ، من القمرين : الشمس والقمر ، والنقى أجاز الثنية مع اختلاف لفظ للفرد التخليب كما هو معروف في كتب النحو ، ويحتمل : ينظر إلى وسامة ذلك الجين للنقى . وحسنه .

(٤) الصلت : صفة الجين ومضاه الواضح البارز المسترى ، أى تود الشمس لو أنها صفت تأجاً مرسماً بلأى النجوم ، ووضعت نوق جين للمدح : (٥) في الأصل :

« بالنمير يحد والتواضع يدني والبهير شمس والتدى يتنهم »

والقى أئبتناه هنا هو ما مضى عليه النقى .

(٦) يقول : أنه يرى يوم الحرب جذلان فرحا طلق الوجهة بلشاً إلى الحرب والردى متجهم هابس الوجه كره للنظر ، وفي الأصل : « والروا متجهم »

(٧) البحر العظيم العظيم .

نَفْسِي فِدَاؤُكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ الَّذِي
سَدَّدْتَ الْجَمِيعَ فَلَيْسَ مِنْهُمْ مُنْكَرٌ
لَا غَرَوُاؤُا الْمَجْدِ - فِي بَكْرِ الْحِجَابِ
فَاحْسِبْ دَوَاعِيَ كُلِّ شَرٍّ دُونَهُ
كَمْ سَقَطَ زَنْدٌ قَدْ نَمَّا حَتَّى غَدَا
وَكَذَلِكَ السَّيْلُ الْجُحَافُ فَلِئَنَّمَا
وَالْمَالُ يُخْرِجُ أَهْلَهُ عَنْ حَدِّهِمْ
وَأَذْكُرُ صَنِيعَ أَيْكَ أَوَّلَ أَمْرِهِ
لَمْ يَنْقُ مِنْهُمْ مَنْ تَوَقَّعَ شَرَّهُ
فَعَلَّامٌ تَنْكُلُ عَنْ صَنِيعٍ مِثْلِهِ
وَيَجْنَابُكَ الثَّبْتُ الَّذِي لَا يَنْقُي
وَالْحَالُ أَوْسَعُ وَالْعَوَالِي جَمَّةٌ
لَا تَبْرُكُنَ لِلنَّاسِ مَوْضِعَ شُبُهَةٍ
قَدْ قَالَ شَاعِرٌ كِنْدَةَ فِيمَا مَضَى
كُلُّ الْمُلُوكِ لَهُ الْمَلَاءُ تُسَلِّمُ
أَنْ حِزَّتْ قَدَّهُمْ أَلَدِي لَا يُثْنَأُ (١)
مِنْ أَنْ يُضَافَ إِلَيْكَ صِنُو - أَعْقَمُ (٢)
فَالَّذَا يَسْرِي إِنْ عَدَا لَا يُحْسَمُ
بُرْكَانَ نَارٍ كُلِّ شَيْءٍ تَحْطِمُ
أُولَاهُ حَلٌّ ثُمَّ وَبَلٌ يَجْمُ (٣)
وَأَهْمُ فَإِنَّكَ بِالْبَوَاطِينِ أَهْمُ
فِي كُلِّ مَتْنٍ فَإِنَّكَ تَنْلَمُ
قَصَفَتْ لَهُ الدُّنْيَا وَلَدَّ الْمَطْعَمُ
وَلَأَنْتَ أَمْعَى فِي الْخَطُوبِ وَأَشْهَمُ
وَحُسَامُكَ الْمَضْبُ الَّذِي لَا يَكْتَمُ
وَالْمَجْدُ أَشْمَعُ وَالصَّرِيعةُ أَضْرَمُ (٤)
وَأَحْزَمُ، فِثْلُكَ فِي الْعِظَائِمِ أَحْزَمُ
يَتَنَا عَلَى مَرِّ اللَّيَالِي يُنْهَلُ :

(١) الذي لا يكون له تودم وتظير من الملوك .

(٢) لا غرو فان أم المجد عظيم في بكرها للوسوم بالحبا والقتل قد يثبت من أن تعيب إليه صنوا .

(٣) الجحاف : كغراب الذي يذهب بكل شيء .

(٤) الصرعة : العزعة وأمرم أي أطلع ، وفي الأصل : « والصرعة ضميم » .

«لَا يَسْتَمُ الشَّرَفُ الرَّفِيعُ مِنَ الْأَذَى حَتَّى يُرَاقَى عَلَى جَوَانِبِهِ الدُّنْمُ»^(١)

فِرْقَى عَوْتٍ، فَزَارَتْ زَارَةً زَاجِرٍ رَاحَ الْكُلَيْبَ بِهَا السَّبْتَى الضَّيِّقُ^(٢)
يَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ يَعُودُ سَقِيمُهُمْ أَمْ قَدْ حَمَاهُ النَّبُحُ ذَاكَ الْمَكْمُ؟
لِي مِنْكَ فَلْيَذُبِ الْمَسُودُ تَلْظِيًا لُطْفُ الْمَكَانَةِ وَالْحَلَّ الْأَكْرَمُ
وَشَفُوفُ حَظٍّ لَيْسَ يَمْتَأُ يُحْتَلَى غَضَّ الشَّبَابِ وَكُلُّ حَظٍّ يَهْرَمُ
أَمْ تُلَفِّ صَاحِبَتِي^(٣) لَدَيْكَ مُضَاعَاةٌ كَلَّا وَلَا حَتَّى أَصْطِنَاعِي الْأَقْدَمُ
بَلْ أَوْسَمْتَ حِفْظًا وَصِدْقَ رِيَايَةِ ذِمَّتْ مُوَقَّعةُ الرُّمَّا لَا تُفْصَمُ
فَلْيُخْرِقَنَّ الْأَرْضَ شُكْرُ مُنْجِدٍ مِنْ تَنَاقُلِ الْمَحَافِلِ مُثْمِنُ
عَطِيرٍ- هُوَ الْمِنْكَ السُّطُوحُ- يَطْلُبُ قَمَّ الْقَوْلِ أُرِيحُهُ الْمُتَنَسِّمُ
وَإِذَا غُصُونُ الْمَكْرُمَاتِ تَهَدَّلَتْ كَانَ الثَّنَاءُ هَدْيَهَا الْمُتَرَنِّمُ
الْفَعْرُ قَمْرٌ- عَنْ حِفَاظِكَ- بَلِيمُ وَالْمَجْدُ بُرْدٌ- مِنْ وَفَائِكَ- مُعْلَمُ
قَانَسَلَمْ مَدَى الدُّنْيَا قَانَتْ جَمَالُهَا وَلَسَوْفَ الثَّمْنَى قَانَتْكَ مُنْجِمُ

(١) هذا البيت للطي وقد انتبه ابن زيدون في هذه التعميد .

(٢) السبتي والضبي من أسماء الأسد .

(٣) صاحبة الرجل غاصه : الذين ينشون مجله .

ذكرى قرطبة

سَقَى اللهُ أَطْلَالَ الْأَجْبَةِ بِالْحَمَى
وَعَاكَ عَلَيْهَا تَوْبَ وَشَى مُنَمَّنَا
وَأَطْلَعَ فِيهَا لِلْأَهْلِ أَنْجَمَا
فَكَمْ رَقَلَتْ فِيهَا الْخَرَائِدُ كَالْدُمَى^(١) إِذِ الْعَبَشُ غَضَّ وَالزَّمَانُ غُلَامُ

* *

أَهِيْمُ بِجَبَارٍ يَبِزُّ وَأَخْضَعُ^(٢)
شَدَا الْمِسْكِ - مِنْ أَرْذَانِهِ - يَتَضَوُّعُ
إِذَا جِئْتُ - أَشْكُوهُ الْجَوَى - لَيْسَ يَسْمَعُ
فَأَنَا - فِي شَيْءٍ مِنَ الْوَصْلِ - أَطْنَعُ وَلَا أَبْ يَزُورُ الْمُقَلَّتَيْنِ مَتَامُ

* *

قَضِيبٌ - مِنَ الرِّمْحَانِ - أَثْمَرُ بِالْبَذْرِ
لَوَاحِظٌ عَيْنِيهِ مُلْتَمِسٌ مِنَ السَّحْرِ
وَدِيْبَاجٌ خَدْيُهُ حَكَى رَوْتَقَ الْخَمْرِ
وَالْفَاعَظَةُ - فِي النُّطْقِ - كَاللُّوْلُو التَّنَرِ وَرِيقَتُهُ - فِي الْإِرْتِشَافِ - مُدَامُ

(١) رقل : جردته وبجته ، قال الشاعر : « برقلان في سرق الحرير وقرة » الخرائد - جمع خرقة -
وهي المرأة الحية ، وهي أيضاً اللؤلؤة التي لم تلب ، قالوا : وكل عفواه خرقة ، والذي - جمع دمية -
وهي الصورة للنقشة للزينة فيها حرة كالدُمى ، وقيل : هي من الرخام ، وقيل : هي من الباج ، وهي تضروب
مثلا في الحسن ، يقال « أحسن من الدمية »
(٢) قال الصريف :
« لو جيت يمتنع السرار وقفنا . لبيبتنا من مزه وخضومي . »

سَقَى جَنَبَاتِ الْقَصْرِ صَوْبُ النَّمَامِ -
وَفَتَى عَلَى الْأَغْصَانِ وَرَقُ الْحَمَامِ -
« بَقْرُطُبَّة » الْغُرَاهُ دَارِ الْأَكَارِمِ -
يَلَادُ بِهَا شَقُّ الشَّبَابِ تَمَامِي ^(١) وَأُنْجِبَنِي قَوْمٌ - هُنَاكَ - كِرَامٌ

فَكَمْ لِي فِيهَا مِنْ مَسَاءٍ وَإِصْبَاحِ -
يَكُلُّ غَزَالٌ مَشْرِقَ الْوَجْهِ وَصَاحِ -
يُقَدِّمُ ^(٢) أَقْوَاهُ الْكُؤُوسِ يَتَفَاحِ -
إِذَا طَلَمْتُ فِي رَاحِيهِ أَنْجُمُ الرَّاحِ - فَإِنَّا - لِإِعْظَامِ الْمُدَامِ - قِيَامٌ

وَيَوْمَ لَتَى « النَّبْتَى » فِي شَامِلِي النَّهْرِ -
تَذَارُ عَلَيْنَا الرَّاحُ فِي فِتْيَةِ زُهْرٍ ^(٣) -
وَلَيْسَ لَنَا قَرْنٌ سِوَى بَانِعِ الزَّهْرِ -
يَذُورُ بِهَا عَذْبُ الْمَاءِ أَهْيَبُ الْخَصْرِ -
يَفِيدُ مِنَ الزَّهْرِ الشَّيْبِ - نِظَامٌ ^(٤)

(١) النَّمَامُ - جمع نَمِيَّة - وهي حوذة تعلق على الأشجار غفلة العين ، ومنه قول القائل : « من على نَمِيَّة مَلَأْنِي اللَّهُ » وقول الشاعر :

« وَإِذَا النَّمِيَّةُ أَتَتْ أَظْفَارَهَا أَكَلَتْ كُلَّ نَمِيَّةٍ لَا تَفْعُ . »

(٢) قَدَّمَ نَمِ الْآيَةِ وَأَقْدَمَهَا جَلَّ عَلَيْهَا الْقَدَامُ أَيْ النِّظَامُ .

(٣) زَهْرٌ : مَعْرُوفُ الْوَجْهِ ، وَتَرِيبٌ مِنْ هُنَا - فِي بَابِ الْفَرْيَاتِ - قَوْلُ أَبِي نَوَاسٍ :

« وَدَارُ نَمَى عَطْلُومًا وَأَدْبَلُوا بِهَا أَمْرَ مِنْهُمْ جَيِّ وَدَارَسَ

مُصَاحِبٌ مِنْ جَرِّ الزَّاقِ عَلَى الثَّرَى وَأَضْغَنَاتٌ وَجِلَالٌ جَيِّ وَبَاسَ

جَسَتْ بِهَا مَهْمِي بِلَذَّةٍ مَهْدَمٍ وَآلَى عَلَى أَمْتَالِ هَلْكَ الْخَاسِ

وَلَمْ أَدْرِ مِنْهُمْ غَيْرَ مَا شَهِدْتُ بِهِ - بِمَعْرِقِ صَابِلٍ - الْفِيَارُ الْبَاسِ

أَلْنَا بِهَا يَوْمًا وَيَوْمًا وَثَلَاثًا وَيَوْمًا لَهُ يَوْمُ الْقَرَحِ خُفَسَ

تَذَارُ عَلَيْنَا الرَّاحُ فِي مَصْجِدِيَّةٍ جَبَتْهَا بِأَنْوَاعِ التَّصَايِرِ فَارَسَ

قَرَارَتَهَا كَسَرَى وَفِي جَنَبَاتِهَا مَهَا تَحْدِيرَهَا بِالْفَقَى الْفَوَارِسِ

لَا خَيْرَ مَا زَوَّرَتْ عَلَيْهِ حَيَوِيهَا وَلَقَاءُ مَا دَارَتْ عَلَيْهِ الْفَلَاسِ »

(٤) الشَّيْبُ - مِنَ الشَّبَابِ - وَهُوَ رِفَّةٌ أَوْ حَذْوَةٌ فِي الْأَسْنَانِ ، وَقِيلَ تَطَيَّرَ لَهَا .

وَيَوْمَ « بِحُوفِ الرِّصَافَةِ » مُبْهِجٍ
مَرَدَّنَا بِرَوْضِ الْأَقْصَوَانِ الْمُدْبِجِ
وَقَابَلْنَا فِيهِ نَسِيمُ الْبَتْنَسَجِ
وَلَاخَ لَنَا وَرَدٌ^(١) كَعَدِ مُصْرِجٍ رَأَاهُ أَمَامَ النُّورِ وَهُوَ إِمَامُ

وَأَكْرَمُ بِأَيَّامِ « الْعُقَابِ » السَّوَالِفِ^(٢)
وَلَمْ يَزَلْ أَتْرَافَهُ تِلْكَ الْمَعَاظِفِ
بِسُودِ أَيْثِ الشَّعْرِ يَبِضُ السَّوَالِفِ
إِذَا رَفُلُوا فِي وَثِي تِلْكَ الْمَطَارِفِ^(٣) فَلَبَسَ - عَلَى خَلْعِ الْمَذَارِ - مَلَامُ

وَكَمْ مَشْهَدٍ عِنْدَ « الْعَقِيقِ » وَجِئْرِهِ
قَمَدَانًا عَلَى خُمُرِ النَّبَاتِ وَمُصْفَرِهِ
وَلَبِي يُسْتَقِينَا مُسْلَافَةَ خَمْرِهِ
حَتَّى جَسَدِي فِي السَّقَمِ - رِقَّةَ خَصْرِهِ - لَوَاحِظُهُ - عِنْدَ الرُّثُوثِ - سِهَامُ

فَقُلْ لِرِزَايَا قَدْ تَوَلَّى نَسِيمُهُ^(٤)
وَرَزْنَتْ - عَلَى مَرِّ اللَّيَالِي - رُسُومُهُ
وَكَمْ رَقٍّ فِيهِ - بِالْعَتَى - نَسِيمُهُ
وَلَا حَتَّ لِسَارِي اللَّيْلِ فِيهِ تُجُومُهُ : « عَلَيْكَ مِنَ الْعَصَبِ الْمَشُوقِ سَلَامٌ »

(١) في الأصل : « نَعْد »

(٢) السَّوَالِفُ - جمع سَالَفٍ - وهو صلح العنق ، وقيل : ناحية مقدمهم لهذا ملحق الفرط إلى الترتوة .
وقد تقدم في ص (٥٤) وما يليها فرح أمكنة ومعاقد بقرطة منها (جوف الرصافة) و (العقاب) فارجد
إليها إن شئت . (٣) للطواف - جمع مطرف - وهو رداء من خر مربع ذو أطراف .

سُلوى المضطر

لَنْ قَصَرَ الْيَأْسُ مِنْكَ الْأَمَلُ وَحَالَ تَجَنُّبِكَ دُونَ الْحِيلِ
وَنَاجَاكَ - بِالْإِفْكَ - فِي الْحُسُودِ فَأَعْطَيْتِهِ - جَهْرَةً - مَا سَأَلَ
وَرَأَاكَ سِحْرَ الْمِدَا الْمُفْتَرَى وَغَرَّكَ زُورُهُمْ الْمُفْتَمَلِ
وَأَقْبَلْتِهِمْ فِي وَجْهِ الْقَبُولِ وَقَابَلَهُمْ بِشَرِّ الْمُقْتَبَلِ
فَإِنَّ دِمَامَ الْهَوَى لَمْ أَزَلْ أَبْقَاهُ ^(١) حِفْظًا كَمَا لَمْ أَزَلْ

* *

فَدَيْتِكَ - إِنْ تَعَجَّلِي - بِالْجَفَا فَقَدَّيْتَهُ الرِّثَ بَعْضَ الْمَجَلِ ^(٢)
عَلَامَ أَطْبَنِكَ ^(٣) دَوَاعِي الْقَلَى ؟ وَفِيمَ تَنَتَكَ تَوَاهِي الْمَذَلِ ؟
أَلَمْ أَلْزِمِ الصَّبْرَ كَيْمَا أَخِفَ ؟ أَلَمْ أَكْثِرِ الْهَجَرَ كَيْ لَا أَمَلُ
أَلَمْ أَرْضَ مِنْكَ بِشَيْرِ الرِّضَى وَأَبْدَى الشُّرُورَ بِمَا لَمْ أَتَلِ ؟
أَلَمْ أَهْتَفِرْ مُوَيْقَاتِ الدُّنُو بِ مُحَمَّدًا أَتَيْتَ بِهَا أَمْ زَلَلِ ؟

(١) في الأصل : « أَبْقَاهُ »

(٢) في هذا تشبيه لقتل للمعمور : « وب محبة تهب ريثاً » ، قالوا : وأسل للتل فيها حكاية للقتل الضمير أن ملكه بن عوف بن أبي عمرو بن عوف بن علم شام فيها فأراد أن يرسل بإمرائه خلافة بلى عوف بن أبي عمرو ، فقال له مالك : أين تظنين يا أخي ؟ قال : أطلب موقع مسننه السحابة ، قال : لا تفعل فانه وبما خيلت وليس فيها خطر ، وأنا أخلف عليك ، قال : لكنني لست أخاف ففسى ، وعرض له عيسى فأعجبه من إمرائه وجلبها بين لسانه ولم يكفها سترا ، فقال مالك بن سنان : ما فعلت أخفى ، قال : فغنى عنها الرماح فقال مالك : وب محبة تهب ريثاً ، وفروقة يدي ليذا ، وب غيث لم يكن غيثاً .

(٣) أطبعت : أطمعت ورائك ، قال ابن دريد :

« ولا أطمى عيني - مذ فارقتهم - شيء يروق العين من هذا الورق . »

وَمَا سَاءَ ظَنِّي فِي أَنْ يُسَيِّءَ
عَلَى حِينٍ أَصْبَحْتَ حَسْبَ الضَّمِيرِ
وَمَا نَكَ مِنْهُ وَفِي أَبِي
لِيَلْقَى الْعَلَاقَةَ أَنْ يُتَذَلَّ

سَمِعْتَ لِتَكْدِيرِ عَهْدٍ صَمًا ،
فَمَا عُوِيتَ مِقَّتِي ^(١) مِنْ أَدَى
وَمَهْمَا هَزَزْتُ إِلَيْكَ النِّتَا
كَأَنَّكَ نَظَرْتَ أَهْلَ الْكَلَامِ
وَلَوْ شِئْتَ رَاجَعْتَ حُرَّ الْفَعَالِ
فَلَمْ يَكُ حَظِّي مِنْكَ الْأَخَسَّ
وَحَاوَلْتُ تَقَعْنَ وَدَائِرَ كَمَلٍ
وَلَا أُعْفِيتَ تَقَيَّ مِنْ خَجَلٍ
بِظَاهَرَتِ بَيْنَ ضُرُوبِ الْعِلَالِ
وَأَوْتِيتَ فَهْمًا يَعْلَمُ الْجَدَلُ
وَعُذْتُ لِنَفْسِكَ السَّجَايَا الْأَوَّلِ
وَلَا عُدَّ مَهْنِي فِيكَ الْأَقَلَّ

عَلَيْكَ السَّلَامُ سَلَامَ الْوَدَاعِ
وَمَا بِأَخْيَارٍ تَسَلَّيْتُ عَنْكَ ،
وَلَمْ يَذَرِ قَلْبِي كَيْفَ التَّرْوِيعِ
وَلَيْتَ الَّذِي قَادَ عَفْوَاً إِلَيْكَ
يُجِئُ عَذُوبَةً ذَاكَ اللَّمَّا
وَدَاعَ هَوَايَ مَاتَ قَبْلَ الْأَجَلِ
وَلَكِنِّي : مُكْرَهُ لَا بَطْلَانٍ ^(٢)
إِلَى أَنْ رَأَى سِيرَةً فَاثْتَمَلَنَ
أَبِي الْهَوَايَ فِي عَيْنِ الْفَزَلِ
وَيَسْنِي مِنَ السُّقْمِ تِلْكَ الْمَقْلَ .

(١) عطف : هي .

(٢) يقول : إني مرغم على السلو وليس لي فيه اختيار وفي اللؤلؤ « مكروه أخوك لا بطل » يضرب لمن يحمل على ما ليس من شأنه ، ولا هو داخل في حدود استطاعته .

في مدح المعتضد

« وقال أيضا مدح المعتضد بلغة التصور بفضل

الله أبا عمرو عباد بن محمد بن عباد . »

لِلْحُبِّ - فِي تِلْكَ الْقِيَابِ - مَرَادُ^(١) لَوْ سَاغَفَ الْكَلِفَ الْمَشُوقَ مَرَادُ^(٢)
لِيَفْرُ هَوَاكَ فَقَدْ أَجَدَّ حَيَاةَ^(٣) لِفَتَاةٍ تَجَسَّدَ فِتْنَةً أَنْجَادُ^(٤)
كَمْ ذَا التَّجَلُّدُ؟ لَنْ يُسَاعِفَكَ الْهَوَى بِالْوَصْلِ إِلَّا أَنْ يَطُولَ نَجَادُ^(٥)
أَعْقِيْلَةَ السَّرْبِ ! الْمُبَاخُ لَوِزِدَهَا^(٦) صَقَوُ الْهَوَى إِذْ حُلِيَ الْوَرَادُ^(٧)
مَا لِلْمَصَايِدِ لَمْ تَنْتَلِكِ بِحَيْلَةٍ؟ إِنَّ الظُّبَاءَ لَتَذْزَى^(٨) فَتُصَادُ^(٩)
إِنْ يَتَعَدَّ عَنْ سِمَرَاتٍ جَزَعِكَ سَائِرُ^(١٠) فِي كُلِّ مُطْلَعٍ لَهُمْ إِرْعَادُ^(١١)

- (١) مكان ارتياد . (٢) ليندمر إلى الفناء ، والانحطاد : جمع نجيد وهو الشجاع ذو
النجمه والباس . (٣) يقول : ما هذا التجلد والعبر ؟ إنه لن يسدك الهوى بالوصل ما لم تكن
شجاعا طويل النجاد بحيث يباك الأعداء ، وتستطيع زيارة هذه الحبيبة في حق توبها رغم زهيم وعيديم .
(٤) الفتيلة : الكبريتة من النساء المتحدرة ، وحلي الوراد : متعوا من ورود الهوى صفوا ، أي باعتقلا
بين سرب من النساء مباح لها ورد الهوى صافيا ممنوع غيرها من ورده ، وجواب النداء في البيت بعده .
(٥) للمصايد : بلا همز جمع مصيده كمينته ومسايش ، وتذرى : تتفلت من أدرى المائد المصيد إذا خله
واحتال له ليميده ، قال الشاعر :

« وماذا يدرى للشراء مني وقد جاوزت حد الأوبين . »

وقال أبو نواس في وصف كلاس :

« قرارتها « كسرى » وفي جنباتها مها تذر بها - بالقسى - النوارس . »

(٦) سمرات : جمع سمرة (يفتح ضم) ضرب من الشجر - قال امرؤ القيس :

« كاتى غداة البين - يوم ترحلوا - لدى سمرات الملى ناخف حنظل . »

وجزحك : أراد به جرح الوادى أى مقطعه القى مقطعه عرضا إذا أراد زيارتها ، والاسار : مجلس السر
يقول : إن يمدني ويمسني عن سمرات جرح واديك سار من قومك لم في كل ثنية وطاع إرماد وإبراق
وإزجر ونخوف ، وجواب المرقط في البيت بعده .

فَبِمَا تَرَفَّرَقَ لِلتَّسِيمِ يَنْتَهَا غَلَّلَ شَقَى حَرَّ الْفَلِيلِ بُرَادُ^(١)
 أَنَا حِينَ أُطْرِقُ لَيْسَ يَفْتَأُ طَارِقُ شَوْقٌ كَمَا طَرَقَ السَّلِيمِ عِدَادُ^(٢)
 يَنْعَى جَفَاؤَكَ عَنْ زِيَارَتِي الْكَرَى كَيْلًا يَزُورُ خِيَالِكَ الْمُتَعَادُ
 لَا تَقْطَعِي صِلَةَ الْخِيَالِ تَجَنَّبَا إِذْ فِيهِ مِنْ عَوَزِ الْوَصَالِ سِدَادُ^(٣)
 مَا ضَرَّ أَنَّكَ بِالسَّلَامِ ضَيِّقَةً أَيَّامٌ طَيْفُكَ بِالْعِنَاقِ جَوَادُ
 هَلَا حَمَلْتَ السَّقَمَ عَنْ جِسْمٍ لَهُ فِي كِلَةِ زُرْتُ عَلَيْكَ فُؤَادُ
 أَوْعَدْتَ مِنْ سَقَمِ الْهَوَى، إِنْ الْهَوَى مِمَّا يُطِيلُ صَنَى الْفَقَى فَيَحَادُ
 إِلَيْهَا ! فَالْوَلَا أَنْ أُرْوَعَكَ بِالْشَرَى لَدَنَا وَسَادُ أَوْ لَطَالِ سِوَادُ^(٤)

(١) ترفرق : تحرك وجاء ودفع كما يرى في ترفرق الشراب واللها وفرد السيف ، والتسمير في « بنها »
 حائد على السررات ، والقتل : الماء الذي يخلل بين الشجر ، والنيل : العطش ، والبراد : البارد ، يقول :
 لأن يمتنع قومك من الوصول إليك فبمسيل الوادي الذي يخلل ماله بين سررات الحى ما يشق ليلى ويبرد
 خلق ، يريد أن الوصول إلى هذا المكان « أى » حرارة الشوق عنده ، وقد ورد هذا البيت والذى قبله في
 الأصل على هذه الصورة :

«إلا يصدمن غمرات جردك سلسر في كل مطلع لهم لإعداد

فيها ترفرق للتسيم ينها غلل فى جر النيل براد . »

(٢) السليم : الملوغ ، وعداد السليم : احتياج الوجع عنده ، وذلك إذا تمت له سنة من يوم بلغ حاج
 به الألم ، أو عداؤه أن تمت له سبعة أيام ، فالمدت وجوا له البرد ، يقول : أنا حين أطرق برأسى مفكرا
 يطرق من ألم الشوق ما يطرق اللذيع حاج به الألم لللود .

(٣) سداد : بالكسر هو كل شيء سددت به خلا ، ومنه سداد القارورة وهو صمامها الذى يسد به
 رأسها ، ويقال : سداد من عوز وسداد من عيش وهو ما سد به الحاجة .

(٤) الوساد : الوحدة والساد : السرار مصدر ساودها ساودة وسوادا أى سارها مسارة وسارارا فأدى
 سواده من سواده ، وقيل لأبنة الحس : « لم زنت وأنت سبعة قومك » ؟ هناك : « قرب الوساد ،
 وطول السواد . » وأرادت بطول السواد كثرة اللسارة عند النوم لأن اللسارة يؤمها قرب السواد من السواد
 أى دوت شخصها من شخصه ، وهو مثل يضرب للأمر يلقى صاحبه فيها يكره .

لَنَشِيتُ سَجْفَكَ فِي مَلَأَةٍ شَرَفٍ فَضِلْ سِرِّي أَنْ الْعِطَافَ نِحَادُ^(١)
لَأَمِيلَ فِي سَكْرِ اللَّامِ فَتَيْتَ لِي بِمَا حَوَى ذَاكَ السَّوَارُ - وَمَادُ
فَعِدَى الْمُنَى، فَوَعِيدُ قَوْمِكَ لَمْ يَكُنْ لِيَتَوَقَّ عَنْ أَنْ يُقْتَنَى لِلْعِيَادُ

* *

أَصْبُو إِلَى وَرْدِ الْخُدُودِ إِذَا عَدَتْ جُرْدُ - تَبْلُغْنِي جَنَاهُ - وَرَادُ
وَأَزَاحُ لِلْعَطْرِ السَّطْلُوحِ أَرِيحُهُ إِنَّ شَيْبَ الْجَسَدِ الْعَطِيرِ جَسَادُ^(٢)
عَزَمَ إِذَا قَعَسَ الْحَمِيَّ لَمْ يَذْنِبْ أَنْ الْفَتَا - مِنْ دُونِهَا - أَفْصَادُ^(٣)
مَنْ كَانَ يَجْهَلُ مَا الْبَلِيدُ، فَإِنَّهُ مَنْ تَطْيَبَهُ عَنِ الْخَطُوطِ - بِلَادُ^(٤)
وَقَفَى الشَّهَامَةُ مَنْ - إِذَا أَمَلَ سَمَا - نَقَدَتْ بِهِ شُورَى أَوْ اسْتَبَادُ^(٥)

* *

مَنْ مَبْلُغٌ عَنِ الْأَجْبَةِ إِذَا بَتَ ذَكَرَاهُمْ أَنْ يَحْمَنَ سِهَادُ
لَا يَأْسَ ، رَبُّ دُنُو دَارِ جَامِعٍ لِلشَّمْلِ قَدْ أَدَى إِلَيْهِ بِمَادُ^(٦)

(١) السجف : السمر ، قالوا : أو هو السمران للقرونان بينهما فرجة ، أو هو كل باب سر بغيرين مفروقين ، فكل شق سجف وسجاف ، وقال : اسجف السر أي أرسله ، والملاحة : الرحلة ، والنثرة : النزع السلة لللبس أو الواسعة ، والفضة - كالفضة - : الثياب التي يتخذ منها فروع ، وتوب فضل أي واحد أو هو أن يخالف بين طريقه فيجعلهما على طاقه وجوشع به ، والنجاد : حامل السيف وضعها على طاقه فكانت بذل العطف ، يقول : لنشيت سبطك ، وخذلت عليك سترك في دوح واسعة كالألحاة ، فضل أي خالفت بين طريقها لاجتماعها على طاقتي حين توشحت بها ، أو فضل أي واحدة ليس على غيرها سوى ما وشتت على طاقتي كالطلاف من نجاد السيف أي حاكمه .

(٢) الجسد : الثوب للصبوغ بالزعفران أو الصفر ، والجساد : الزعفران ، قالوا : « والجسد والجساد : الزعفران » وقال : أجسد ثوب فلان إجاداً فهو مجسد . يقول : إني أرتاح وأتم بسترِكَ الساطع إذا استرج طيب الزعفران بزيك الأحمر للصبوغ بالزعفران أو الأصفر للصبوغ بالصفر .

(٣) أفصاد : يقال قصعت الرماح تكسرت ودمج أفصاد منكسر ، ودمج أفصاد منكسرة يوصف به الواحد والجمع ، يقول : إذا قصعت زيلوتها ، وقصعت حمامها لم يضر عن حمري أن الرماح تكسر دون الوصول إليها ، وفي الأصل : « الحق » . (٤) أطياه : ازدهده ، وشأه وأجبهه .

(٥) ولي الأصل : « نقدت به شورى أو استباد »

(٦) وفي الأصل : « لا يأس »

إِنَّ أَغْتَرِبَ فَوَاقِعَ الْكَرَمِ - الَّتِي فِي الْقَرْبِ شَمْتُ بُرُوقَهُ - أُرْتَادُ
 أَوْ أَنَا - عَنْ صَيْدِ الْمُلُوكِ بِجَانِبِي - فَهُمْ الْعَبِيدُ مَلِكُهُمْ « عَبَادُ »
 الْمَجْدُ هُذُرٌ فِي الْفِرَاقِ لَمْ تَأَى - إِسْرَى الْمَصَانِعِ مِنْهُ كَيْفَ تُشَادُ
 يَا هَلْ أَتَى مَنْ ظَنَّنِي - فَظَنُّوهُ شَيْءِي تَرْجِعُ يَنْتَهَا الْأَصْدَادُ -
 أَنِّي رَأَيْتُ « الْمُنْدَرِينَ » كَلِيمَا - فِي كَوْنٍ مُلْكِي لَمْ يُجْلَهُ فَسَادُ
 وَبَصُرْتُ بِالْبَزْدَيْنِ إِزْثَ « عُرْقِي » - لَمْ تَحْلُقَا - إِذْ تَحْلُقُ الْأَبْزَادُ

(١) وفي الأصل :

« أَوْ أَنَا مِنْ صَيْدِ الْمُلُوكِ بِجَانِبِي فَهُمْ الْعَبِيدُ مَلِكُهُمْ عَبَادُ »

(٢) وفي الأصل : « الْمَجْدُ هُذُرٌ فِي الْفِرَاقِ لَمْ تَأَى »

(٣) محرق

هو - كافي سرح العيون - « عمرو بن النضر بن ماء السماء » وهو « عمرو بن هند » وكان يعرف
 بأمة هند بنت الحرث بن حجر آكل المراد السكتي ، وكان يقال لعمرو مضطرب الجبارة لشدة بأسه ،
 وسعى عرفاً لفصحة استحق أبو الفرج طرحها في كتاب الأغاني ، قال : كان قد عاهد حياضاً على
 ألا يتأذوا ولا يفاخروا ، ولا يفرحوا ، ثم أنه فرأى الجيامة ورجع منتبهاً وربطاً ، قال له زوارة بن عيس
 القيس ، وكان من خواصه أبيت القيس أصب من هذا الملى شيئاً ، قال ويحك إن لم يهدأ ، قال وإن كان
 لهم ، فلم يزل به حتى أصاب نوبة وأذوا ، قال في ذلك قيس بن جبرة الطائي :

« أراك ابن هند لم تفك أمانة وما للره إلا عهده ومواقفه »

فألمست جدي بالأطباع من مني وما خب في بطائني درادته

لئن لم تنير بشي ما قد فعلته لأتجنن للعظم فذأنت ماره .

سعى طارفاً بهذا البيت وبلغ العصر عمرو بن هند ، قال له زوارة بن عيس أبيت القيس أيجودك ؟ قال
 عمرو لربية بن شمار الطائي أيجوني ابن عمك وجودي ، قال لا والله ما يجودك ، ولكنه قال :

« والله لو كان ابن جنة جاركم ما إن كساكم ضجة وهوانا . »

وأراد رمية أن يسل سخنيته ، قال والله لأفعله ، فبلغ ذلك طارفاً ، قال لمشد :

« أيوعدني والزل يني ويته بين رويداً ما امامة من هند »

فعدت بهد كنت أنت أخفتنا عليه وفر الشبهة التدر بالهد

وفد يترك التدر التي وطامه إذا هو أمسى جلمن دم القصد .

فبلغ عمرو بن هند قوله فخر أخيراً أسرى من بني عدي بن أحرم رطل حاتم ، فوجد حاتم عليه وسأله في
 الأسرى فأظلم له ، وكان للنضر بن ماء السماء أبو عمرو قد وضع ابناً له منهراً يقال له مالك عند زوارة

ابن عس ، وأن مالكاً خرج وما يصيد فأخفق ولم يجد شيئاً ، فرجع الرّبايل لرجل من بني عبد الله بن حارم يقال له سويد ، وكان عند سويد ابنة زرار ، فوالت له سبعة غلة ، فأمر مالك بن النضر بئانة سينة منها فصرها ، ثم اشترى وسويد ثأم ، فلما اتجه شدّ على مالك بمدا فصره فأثته ، فالت وخرج سويد حاوياً حتى لحق بمكة ، وكانت على كفل عزة بن زرار ، وبني أبيه حتى بلغهم ما صنعوا بأخي لك ، فقال عطية بن عمرو الدائي :

« من مبلغ عمروأ بأنّ للره لم يخلق صباره
ومسواك الألام لا تبقى لها إلا الحجاره
أن ابن عمرو أمسه بالفتح أسفل من أولره
تلى الرياح خلان كسحه وقد سلوا أزاره
فاقتل زرار لا أرى في القوم أوفى من زرارته »

فلما بلغ هذا الشر عمرو بن هند بكى فاشت عيناه ، وبلغ الخبر زرار فهرب وركب عمرو في طلبه فلم يجد عليه ، فأخذ أسراة ، وعى حبلى ، فقال أذكر في بطنك أم أفي ؟ قالت لا علم لي بذلك فغير بطنها ، فقال قوم زرار زرار والله ما نلت أنا لك فأنه فأصدته الخبر ، فأثاه ففصل إليه ، فقال على سويد ، فقال إنه لحق بمكة ، قال فعلى بينه ، فأثاه بينه السجة وأمهم بنت زرار غلة فبهم فوق بسى ، فأمر بقتلهم ، فقتلوا أحدهم فصرها هته وكتلى بزرار الآخرون ، فقال زرار : يا بصى ، فذهبت مثلاً وقتلوا وآلى عمرو بن هند ألية لبحرن من بني حنظلة مائة وجل ، فخرج يردم وبث على مقدسه عمرو بن عطية الطائي فوجد القوم قد ألدوا فأخذ منهم ثمانية وتسعين رجلاً بناية البحرين فلبسهم ولحقه ابن هند فصرت بته وأسرهم بأخود ثم أضرهم فبسه ناراً ، فلما احتدمت وتلقت فنف بهم فيه فاحرقوا فأبلى واكب من البراجم وهم بطن من بني حنظلة لا يعرف بصى مما كان يسجن بغيره فأخذ وأتى في النار وأقام عمرو بن هند لا يرى أحداً ، فقتل له لو تحلت بأسراة منهم فقد أحرقت تسعة وتسعين رجلاً ، فدعا بأسراة من بني حنظلة ، فقال لها من أنت ؟ قالت الحمراء بنت ضرة ، فقال إني لأظنك أعجبة ؟ ففالت : ما أأما بأعجبة ولا ولدتى العجم :

« إني لبنت ضرة بن جابر ساداً معداً كارباً عن كارب »

قال عمرو : أما والله لولا عناق أن تله بئتك لمررتك من النار ، ففالت : « أما والذى أسأله أن يفتح وسادك ويغض عاديك ماقتل أن النساء أماليها دى » ، وأسأله دى . قال اقتذفوها في النار فالتت وقالت : ألا فني يكون مكان مجوز ، فلما أبستوا عليها قالت : هيأت صار القتيان حباً وسي من ذك اليوم محرراً ، ومن ملك جنة أيضاً ألقى لكته غير صاحب البردين . فأما أسر البردين فلك أن الوند اجتمعت عند عرق فأخرج بردين من لباسه يلو الوند وقال ليعم أمن العرب قيلة فليأخذها ، فقام حارس بن أحيير فأخذها فأثره بالواحد وأرندى بالآخر ، فقال له أنت أمن العرب قيلة ؟ قال العولا في مد والصد في مد ، ثم في زار ، ثم في ضر ، ثم في خنف ، ثم في تيم ، ثم في سم ، ثم في كعب ، ثم في بهلة فن أنكر هذا فلينا فرى فسكت الناس ، فقال هذه عشيتك كما تزعم فكيف أنت في ذك وأدل بيتك ؟ قال أنا أبو عفرة ، وأخو عفرة ، وهم عفرة ، وخال عفرة ، وما أنا في نفس وشاهد الزن شامدى ، ثم وضع قدمه على الأرض وقال من أزالها من مكانها لله عفرة من الأبل فلم يتم إليه أحداً ، وخرج بالبردين فصرت العرب بهز للتل ويبرده .

وَعَرَفْتُ مِنْ ذِي الطُّوقِ قَمِيْرًا ۝ تَأْرَهُ ۝ لَجْدِيَّةَ الْوَسَّاحِ ۝ حِينَ يَكْغَادُ

(١) عمرو « ذو الطوق »

انظر ص ١٤٥ « من هذا الديوان .

(٢) جذية الوصاح أو الأبرص

هو جذية بن مالك بن طامر التتويح ، وقبل الأزدى أول من قاد العرب ومك على قضاعة ، وكانت منازل الحيرة والانباء وولايته من قبل اردشير بن بك ، وكان أبرص فعدل من هذا الاسم ، فقبل الأبرص والوصاح ، وزعم بعضهم أنه كان يأتي من اسم الأبرص ، ولقد كفى عنه بالأبرص ، وفي العرب من يختص بذلك . قال الراجز يمدح أبرص :

« أبرص فياض البدين أكلف والبرص أمدى بالها وأعرف .

وهو أول من صنع له الشعر وأدب من الملوك ، وكان ذا رأى وهمة وفيه فطرت ، ويقال له تديم اللعدين كان إذا حارب فعداً صب لها قدعين ولا يتادم غيرهما ، وكان سبب ذلك فيما زعموا أنه كان تكهن واتخذ صنين يقال لها الفرياد يسبق بها ويتصر على أعدائه ، وكانت اباد قد خرج قوم منهم من الحجاز وانضمروا فيها بين البصرة والكوفة وتمكنوا على ما يلي الحيرة وكثروا بين أبلغ ، فخرج جذية غازياً ، وكان في اباد رجل يقال له عدى بن نصر ، وكان له طرف وجال ، وإليه نسب الملوك من آل نصر ، فنزل جذية بأسحتم ، فبحث اباد قوماً منهم إلى صنن جذية فسوقوا سددتهم الحمر وسرقوها فأصبحوا بها في اباد ، فبحث اباد إلى جذية يقول : إن صننيك قد أصبحا عندنا زهداً فيك ورغبة فينا ، فإن هاهنا على أن لا تزونا رددناهما إليك ، فقال جذية وتطوى أيضاً عدى بن نصر يكون عدى فأنلوا وانصرف عنهم ، وضم عدى إلى نفسه وولاه هرا به وأمر مجله ، وكان لجذية أخت تسمى رقائق وهي بكر ، فأحب عدى وأحبها ، فسأته أن يخطبها من جذية إذا سكر ففعل ذلك وزوجه بها وأعهد عليه من خسر ، فلما أصبح دخل عليه بذياب المرس ، وكان قد دخل بها تلك الليلة ، فقال جذية ما هذه الأكار يا عدى ؟ فقال آثار عرس رقائق ، فقال من زوجكما وبك ؟ قال لك ، فأكب على الأرض ففكر وأحرب عدى فلم يعرف له أثر ولا خبر ، وأرسل جذية إلى أخته يقول :

« خبريني رقائق لا تكذبي أبحر زينت ألم يبين

لأم ببعد فأنت أهل لبعد أم بدون فأنت أهل لدون .

فالت بل أنت زوجتي امرأة غريباً ولم تشاورني في نفسي ، فكف عنها وآلى أن لا يتادم إلا اللعدين وحملت رقائق فلاناً وسسته حمرا ، فلما ترعرع ألبته وطمخته ودخلت به على خاله ، فلما رآه أحبه وجهه مع ولده وخرج جذية متبجاً بأمله في سنة خيبة ، فأقام في روضة ذات زهر ونهر ، فخرج ولده وعمرو معهم يجتولن الكماء ، فكانوا إذا أصابوا كاه جيسه أكلوها ، وإذا أصابها عمرو خبأها وانصرفوا إلى جذية يجادون وعمرو يقول : هذا جنائي وبخار فيه ، إذ كل جأن يده إلى فيه ، فضمه جذية إلى صدره وسر يحوه وحلاه بطوق من ذهب ، فكان أول حربي ليس الطوق ، ثم إلى الجن استطارته فطلبه جذية في الأقالق زماناً فلم يقدري عليه ، ثم أقبل رجلان من قضاعة يقال لها ملك وعقيل ابنا فارح من العامريين جذية وأهديا له طرما ، فبهاهما يأكلان إذ أقبل فق حران قد قلب شمره ففرها فشمه فهذا وغسل

وَأَتَى فِي الثَّمَنَانِ ^(١) - يَوْمَ نَعِيهِ - تَجَمُّ تَلَقَّى سَعْدَةُ الْمِلَادُ
قَدْ أَلْفَتْ أَشْتَائَهُمْ فِي وَاحِدٍ إِلَّا يَكُنْهُمْ أُمَّةٌ فَيَسْكَادُ ^(٢)

رأسه وأصلها أمره وألهاه نياها ، وقال ما كنا لهدى جذية أفس من ابن أخته ، وخرجا به إلى جذية
فسر به ورأى الطوق ، قال شب عمرو عن الطوق فذهبت مثلاً ، وقال لك وعطيل حكمتك فلا
مناديتك ما بقينا وبليت فكنتما من ذلك وهما نديما جذية الفدان يضرب بها للثل وإياها عن متم بن
نورة بقوله في رثاء أخيه :

« وكنا كنعماني جذية حبة من الفهر حتى قيل لن يصدنا . »

وقيل إنما عن الفردين ، ويحك أن جذية سكر مرة أخرى فظلمها فلما أصبح ندم ، وبني عليها النرين
وتادم الفردين وقيل إن صاحب النرين للفرز الأكبر ، ثم إن جذية أرسل يضرب الزباء ملكة الحضر الحاجر
بين الفرس والروم ، وكالها وترعده فأجابه واستدعته إليها واستشار أصحابه فأشاروا عليه بالفضي فظلمهم نصير
ابن سعد ، وكان ليلاً ، وقال : إن النساء يهدين إلى الأزواج فمعه وسار حتى إذا كان بمكان يدهي بقه
استشارهم فأشاروا عليه لما يملون من رأيه فيها ، فقال نصير انصرف ودعك في وجهك فأبى ، ووطن
جذية حتى إذا طاب الكتاب قد استقبلته . قال لنصير ما الرأي ؟ قال تركت الرأي بقة ، ثم ركب نصير
فرساً لجذية نسي العسا فنجأ وأخذ جذية ، فلما أدخل على الزباء أمرت برواحته فظلمت والرواحش
عروق اليد واستنزفته حتى ماتت في غير طويل مشهور ، وكانت مدة ملكة ستين سنة ، وله أشعار حسنة
معمورة فيها :

« ألقى جذية في يمين منزله قد حلز ما حجت من قبله حاد

مستصل الحيرة لا تفتي زيادته في كل يوم وأهل الحيرة ترداد . »

(١) الثمنان

قالوا إن الثمنان كان له نديمان فظنن عليها ظلمها ، فلما أصبح ندم على ذلك أشد الندم ، فبنى على
تجربتها ضريعتين ، وجعل لنفسه يومين في كل عام يجلس فيها بجوار التبرين أحدهما يوم نيم ، والآخر
يوم يؤس . فأول من يطلع عليه في يوم التيم يهديه مائة من الابل ، وأول من يطلع عليه في يوم يؤس
يقتله ويطلق بدمه ضريعتي نديمه .

وقد ذكروا مثل ذلك من النذر بن ماء السماء ، وقالوا إنه تقي «صيد بن الأبرس» في يوم يؤس فظلمه .
قال له جلته التي صارت مثلاً فيما بعد وعي قوله : « حال الجريش دون القريش » .

(٢) يقول : قد اجتمع هؤلاء الأعلام الذين أزدادت بهم السير في شمس واحد هو للمدوح ، فإذا لم
يكن أمة مجنسة فيه صلاتهم وزمايهم فهو يكاد أن يكون .

وقدياً قال الفاتل :

« ليس على الله بمستسكر أن يجمع العلم في واحد . »

فَكَأَنِّي مَلَائِكَتُهُمْ يَوْمَافَةِ لَمْ يَسْتَطِعْهَا «عُرْوَةُ» الْوَفَادُ»

(١) عروة الوفاة

للنفس هنا طرفاً من أخباره عن كتاب الألفاظ فتقول :
هو عروة بن الورد بن زيد ، وقيل : ابن عمرو بن زيد بن عبد الله بن ناشب بن هرم بن لديم بن صوذ بن
قالب بن قتيبة بن عيسى بن بيش بن الرث بن عطفان بن سعد بن قيس بن صيلان بن مضر بن نزار ،
شاعر من شعراء الجاهلية ، وفارس من فرسانها ، وجواد من أجوادها للقدمين ، وكان يجمع الصالحات
ويحرم بأمرهم إذا أخذوا في غزواتهم ولم يسيروا معاشاً ، وثقتك سبي عروة الصالحات
ودروا عن عبد الملك بن مروان أنه قال : ما يبرئ أن أحدا من العرب ولدى من لم يلدن إلا عروة
ابن الورد لقوله :

«إني امرؤ طاق لثاني حركة وأنت امرؤ طاق لثالثها واحد
أبشراً مني أن كنت وأن ترى بجسمي من الحق والحق جاهد
أفرق جسمي في جسم كثيرة وأحس فريحاً للواء باد».

وقال أيضاً : إن عبد الملك قال : من زعم أن حاتم أصبح الناس فقد ظلم عروة بن الورد . قالوا : وكان
إذا أصابت الناس سنة شديدة تركوا في دارهم المريض والكبير والضعيف ، وكان عروة يجمع هؤلاء
وأشبايحهم ثم يعمر لهم الأسراب ، ويحتد لهم حظائر يكنفها عليهم وزيهم إليها ، ومن لوى منهم بأن يرى
من مرته أو ثابت إليه قوة خرج به معه فأغار ، وجعل لأهل النصف من أصحابه الباقين نصيباً ، وعن
ابن الأحرار قال : أجذب ناس من بني عيسى في سنة أصابهم فأهلكت أموالهم وأصابهم جوع شديد
وبؤس ، فأثروا عروة بن الورد فجلسوا أمام بيته ، فلما بصروا به صرخوا وقالوا : يا أبا الصالحات ، أفتنا ،
فرق لهم وخرج لينزويهم ويصيب معاشاً فنهت امرأة عن ذلك لحونها عليه من الحلال ، فصاعها وخرج غازياً ،
فرجهاك بن حمار الفزاري فنصر له جزوراً فأكل منها هو وأصحابه ، وأشار عليه مالك أن يرجع ففصاه ،
ومضى حتى انتهى إلى بلاد التين فأغار عليهم فأصاب حجة طار بها على نفسه وأصحابه
وقال في ذلك :

«أرى أم حسان التناة تلوذي تخوفني الأعداء والبس أخوف
تقول سليبي لو أقت لمرنا ولم تدروا أنني للقام أمارف
لعل ألقى خوتنا من أماننا يصادن في أمه للمنظف .»

وقال في ذلك أيضاً :

«أليس ورائي أن أدب على الصا نيتت أعدائي وبأسى أهل
وحينة فمر البيت كل حشة يذلي في الولدان أهدج كالزائر
ألبوا بني أبي صدور ركابكم فكل ناي النفس غير من الخزل
فانكدوا لن تبلوا كل حق ولا أدري حق تروا منبت الأمل
لعل أوتيد في البلاد وحيلني وشدي حيازيم الطية بالرحل
سيديفني يوماً إلى رب حجة يدافع ضها بالحق وبالبذل .»

في قصير ملك كالسدير^(١) أو التي ناطت به شرفاتها سنداد^(٢)

(١) السدير

« السدير » قصر - وهو مرب - قالوا « وأصله بالفارسية » - له دل « أي قبة فيها ثلاث قباب متداخلة » فربته العرب « قالوا : « سدير » قالوا : « وهو موضع معروف بالحيرة » وقالوا : « هو قصر قريب من « الخورق » كان النعمان الأكبر آخذه لبعض ملوك العجم .
وسمى ذكره في شعر الأسود بن مفر عند الكلام على « سنداد » في مخرج هذه القصيدة .
وقد ذكره « عبد المسيح بن عمرو » عند غلبة « خالد بن الوليد » وللمسلمين على « الحيرة » في خلافة أبي بكر فقال :

« أبعد المنذرين أرى سولما تروح بالخورق والسدير
تحمله فوارس شكل حي عثافة أغلب حال الزعيم
فصرنا بدمك « أبي قيس » كتل الشاة في اليوم للطير
تستنا التبايل من « سد » كأننا بعض أعضاء الجزور »

وقال الجبل في قصيدته المشهورة :

« فإذا سكوت ، فاني رب الخورق والسدير
وإذا صحت ، فاني رب الشربة والجبر . »

(٢) سنداد

« سنداد » قصر بالذهب وهو المصود هنا ، وسنداد - في رواية أبي الحسين الأدي : نهر ، وقد استعمل على ذلك بقول أبي ذؤاد الأدي :

« أهر الدير فالأجارج من قو ي ، فروق ، فراع ، غلج
فلاخ لللا إلى جرف سنداد د ، هو ، إلى صاف طيه
موحشاش من الأيس - بها الوحد ش خناتيل موعن أو بيه . »

قالوا : وسئل عنه « أبو عمرو » أهو بفتح السين أو كسرهما ، فقال : « بفتح السين » وعن صاحب التكملة : بفتح السين وسماى بالكسر .

وفي رواية « السكوني » : « سنداد منازل لا ياد ثرتها لما تارت الريف ، بعد لصف وخرج وناطرة ، وهو أسفل سواد الكوفة ، وراء نهران الكوفة .

قال حمزة في تاريخه : « وكان قد تمك في القديم من الفرس على مواضع متفرقة من أرض العرب ستة عشر مرزبانا ، وقد ذكرهم صاحب المعجم الجلال « ج ١ ص ١٥٠ » إلى أن قال : « ثم تمك سنداد على عمل سخت ، ومالكه في الريف حتى بين فيه أبيية : وهو صاحب المعصر في المعرفات من « سنداد » التي يقول فيه « الأسود بن مفر » « والمعصر في المعرفات من سنداد »

تَوَهُّمُ الشَّهْبَاءِ فِيهِ كَتِيبَةٌ فِيْهَا ، الَّتِي تُخْمَمُ فِيهِ جَوَادُ
يَحْتَالُ مِنْ سَيْرِ الْأَشْهَابِ وَسَطُهُ يَبْضُ كَمُزْهِفَةِ السُّيُوفِ جِمَادُ^(١)

* *

فِي «آلِ مَبَادٍ» حَطَّطْتُ فَأَعْصَمْتُ هَمِي بِمَحِثٍ أَنْفَقَتِ الْأَطْوَادُ
أَهْلُ الْمَنَازِرَةِ الَّذِينَ هُمُ الرُّبَا فَوْقَ الْمُلُوكِ إِذِ الْمُلُوكُ وَهَادُ^(٢)
قَوْمٌ إِذَا عَدَّتْ مَعَهُ حَقِيلَةٌ مَاءُ السَّمَاءِ ، فَهَمُّ لَهَا أَوْلَادُ
يَبْتُ تَوَدُّ الشَّهْبُ فِي أَفْلَاكِهَا لَوْ أَنْتَ - لِيَنَابِدَ - أَوْتَادُ

قال ابن السكيت :

وكانت «إباد» تنزل سنداد - وهو نهر نيا بين «الحيرة» إلى «الابية» وكان عليه قصر نجح
الرب إليه ، وهو القصر الذي ذكره الأسود بن يسفر .
قالوا : وسر «مر بن عبد العزيز» بقصر لآل جنة فقتل «مزاحم» - ولعله يقول «الأسود
ابن يسفر التهملي :

«ومن الحوادث - لا أبالك - أنني ضربت على الأرض بالأسناد
لا أعتدى فيها لمفجع لثمة بين العراق وبين أرض مراد
ماذا أقول - بعد آل عرق - تركوا منازلهم وبسد إباد
أهل الخورق والتدير وبارق والقصر فدى العرفات - من سنداد
حسبوا بأهرة يسيل عليهم ماء الفرات يجي من أطواد
أرض خيرة - لطيب مثيلها - كعب بن مله وابن أم دؤاد
جرت الرياح على عراس ديارهم فسكنا كما كانوا على مباد
ولقد فتوا فيها بأفضل عيشة في ظل ملك ثابت الأوتاد
فاذا التيم وكل ما يلحق به يوماً يصير إلى على وعاد .»

قال له عمر : ألا قرأت : «كم تركوا من جنت وصيون وزروع ومقام كريم ، ونعمة كانوا فيها فاكهين
كذلك وأورثناها قوماً آخرين»

(١) يقول يخال القصر من سیر الجداول وسطه متحدة كيش السيوف للرفة ، وفي الأصل :
«يخال من سر الأشهاب وسطه» ييض كرهفة السيوف جاد .

(٢) قريب من هذا المعنى قول ابن دريد :

«هم القهار يخ للنيقات القوى ولتلى فصاح تناب وأضى .»

تَمْدُودَةٌ يَلْمَى ^(١) التَّدَى أُلْتَابُهُ مَرْقُوعَةٌ - بِالْبَيْضِ - مِنْهُ عِمَاهُ
مُتَقَادِمٌ إِلَّا تَكُنْ شَمْسُ الضُّحَا لِدَهُ لَهُ ، فَتَجُوبُهَا أَرَادُ ^(٢)
نَيْطَتْ «بِبَادٍ» لَا لِي تَجْدِهِمْ قَتَلَاتٌ - فِي تَوْبَاهَا ^(٣) - الْأَفْرَادُ
مَلِكٌ إِذَا أَفْتَنَتْ صِفَاتُ جَلَالِهِ فَتَقَاصَرَتْ عَنْ بَعْضِهَا الْأَعْدَادُ
نَسِيتُ زَيْدُ ^(٤) عَمْرُهَا بَلْ أَهْرَضَتْ

(١) الهمي : الطلما :

(٢) أَرَادَ - جمع رَأَى - يقال رَأَى الضحى : أى ارتفعه ورأى الأرض : خلاصها ، قال الطبراني :

« مجدى أخيرا ومجدى أولا دُرِعَ والشمس والضحى كالشمس والطلل . »

(٣) الترم : جمع تومة وحى القزولة ، وسيت تومة لأنها تومة نظيرتها فى القيد أو فى الأذن ، والافراد : جمع فرد وهو ما لا نظير له فى القيد يقال : فرد وفريد ، ويقال : تادم أخه أى رده معه ، فهو ثلثة ، وتومه .

(٤) عمرو بن معديكرب الزبيدي

ويحرب للتل بالقدمه وشجاعته .

انقدم عمرو فى ساحة حاتم فى حلم أحلف فى ذكاء لئلا .

هو - كما فى شرح السيوطى - عمرو بن معديكرب بن عبد الله الزبيدي ، وكنته « أبو ثور » الفارس للفقير صاحب الغارات والفتوح المذكورة فى الجاعلية والاسلام ، وقد على رسول صلى الله عليه وسلم - فى السنة الماهرة من الهجرة .

قال عمرو :

قدمت للمدينة ، فرأيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقلنا « بؤك » فأردت أن أدنو إليه ، لئلى من حوله .

قال : « دعوه » فدنوت منه ، فقلت :

« أسمع صباحا أبيت الحسن »

قال : « يا عمرو أسلم لحلم ويؤمنك الله من الفزع الأكبر » فأسلت

وحلى « عمرو » لى أيام قتال ، وأبلى فى وقائع الاسلام بلاد حسنا مثل وقعة القادسية ، وهو الذى شرب حلم القيل بالسيف فانزمت الأماجم ، وكان سبب الفتح ومثل وقعة اليرموك وغيرها ، قال الحنصلى ما رأيت أحرف من رجل يوم اليرموك خرج له طلع قلعة ، ثم آخر قلعة ثم انزموا فتبعهم وتبعه ، ثم انصرف إلى خيابه له أسود فنزل لعدا بالفلان ودعا من حوله ، قلت من هذا ؟ قالوا عمرو بن معديكرب ، وحدث بن أبى حاتم . قال سررنا يوم القادسية بسرو بن معديكرب وهو يهين الناس بين الصدين ويقول : أياها الناس كوتوا أشد متلحا إنا هذا الرجل من الأماجم إذا لقي مرزاغا فاقما هو ترس ، فبينما هو كذلك يجرعنا إذ خرج رجل من الأماجم فوقف بين الصدين فرماه بقذبة ، لما أخطأت سية فوس كان متكبها فالتفت ، ثم حل عليه فاحتقه ، ثم أخذ بمنطقه فاحده فوضه بين يديه وجاء حتى إذا دنا منا كسر عنقه ،

ثم أسر الصمصامة على حلقه فذبحه ورتع مولاه ومنذئذ وقال : « مكفنا فاصنعوا بهم » فقلنا : « من يستطيع يا أبا ثور أن يصنع كما صنعت ؟ » وحكى أبو عبيدة قال : لما كان فتح القنادسة أصاب المسلمون أموالا عظيمة فنزل سعد بن أبي وقاص الخنيس ثم قسم البينة فأصاب الفارس ستة آلاف وثلثي مائة دثر ، فكتب إلى عمر بما فعل فكتب إليه أن رد على المسلمين الخنيس وأعط من لحق بك من لم يعهد الوقعة فضل ذلك ، ثم كتب إليه أن أعط ما في حلة القرآن ، فأناه عمرو بن مديكرب ، فقال ما ملك من حفظ القرآن ؟ قال : إلى أسلمت ، ثم شئت والنزوع حفظ القرآن ، وقيل أنه بهر بن ربيعة ، فقال له ما ملك من حفظ القرآن ؟ قال متى بهم الله الرحمن الرحيم ، فضحك القوم ، فقال سعد مالك في هذا للذل من شيء ولا من لصيب ؟ فقال عمرو منشفاً :

« إذا قلنا ولا يليك لنا أحد . قالت فريش ألا تترك المفادير

لعلى السوية من طين له تخذ . ولا سوية إذ تلعلى الدناير . »

وقال بهر أبياتاً فكتب سعد إلى عمر بما قال ، فكتب إليه : « أعطها على بلانها » فأعطاها أربعة آلاف درهم ، وحكى الدماثي قال : كان عمرو بن مديكرب في سرية أميرها سلمان بن ربيعة فمرض الخليل وفر عمرو على فرس له ، فقال هذا حجين ، فقال عمرو عتيق . قال فأمر به فطاش ، ثم دعا بقرس ، فقلب فيه مائة فدعا بجليل فطاش فخرت بجلاء فرس عمرو ، فثن يديه وحرب وهكذا يصنع المدين ، فقال له ألا ترى ؟ فقال عمرو أجل الحجين يعرف الحجين ، فبلغ عمر ، فكتب إليه قد بلغني ما قالت لأبيك ، وبلغني أن كنت سيقاً تسميه الصمصامة . وعندى سيف مصمم بالله . نحن وضعته على هامتك لا أنقل حتى أبلغ به خراسانك . قال : « سرك أن تعلم أحق ما أقول عند ، وروى أن عمر رضي الله عنه سأله يوماً ، فقال ما تناول في الحرب ؟ قال سريرة اللذان إذا كشفت عن ساق ، فمن صبر عرف ، ومن ضعف تلف . قال فما تناول في الزرع ؟ قال خليك وربما خذك . قال فأنزل ؟ قال منأيا تحيا » ووصب . قال فالترس ؟ قال عليه تدور الدوائر . قال فالسيف ؟ قال جددك تمكك أمك . قال عمر بل أمك ، فقال ألقى أضربني ، فألفظ له عمر في الكلام ، فقال :

« أنوعدي كالك ذو ردين بأفهم عيشة أرفق نواس

فلا تفتر بملكك كل ملك . يصير لفة بيد العباس . »

قال عمر صدقت فافض مني قال يا أمير المؤمنين لولا آية سببها لك لملكك باليف أخذت منك أم ترك ، قال وما هي ؟ قال سمعت قرأ أنه من يأتي ربه مجزأاً فإنه لا جنة لا يموت فيها ولا يحيا ، والله لو طعت اني إذا دخلتها مت لمت ، وحكى أن حبيشة بن حصن لما قدم الكوفة أظلم أياً ، ثم قال : والله مالي بأبي ثور عهد ، ثم ركب فرساً وسأل عن علة بني زيد فأرشد إليها وسأل عن عمرو فوقف ببابه ، ثم قال : يا أبا ثور انخرج إلينا طريح مؤزرأ كأنما كسر وجبه ، فقال له انعم صباحاً أيا ملك ؟ فقال أوليس قد بدلنا الله تعالى بهذا السلام عليكم ، فقال دعنا عما لانعرف انزل فإنه ضدى كيشاً سينت فقول ضد إلى الكيش فذبحه ثم ألقاه في قدر وطيحه ، وجلس يتحدث إلى أن أدرك فترد في جفنة عظيمة وألقى القدر عليها وقصدا فأسلامها ثم قال : أي القرب أحب إليك الذين لم ما كنا نتادم عليه في الجمالية ، فقال أوليس حرمها الله تعالى في

الاسلام ، قال : أنت أئمة إسلامنا أم أنا ؟ قال : أنت ، قال : فاني قد سمعت ما بين دفتي المصنف فوالله ما وجدت لها محرماً إلا انه قال : خل أئمة منهن . قلت : « لا » ثم جاء بليذ وجلسا يهرجان ويصدان ويذكران أئمة الجعلية حتى أسيا ، فلما أراد صينة الانصراف . قال عمرو إن انصرف أبو مالك وبني حياه إنها لوسية فأمره بثلاثة أرحية وحده عليها ثم أتى بمرود فيه أربعة آلاف درهم فوضه بين يديه ، قال أما لك فوالله لا آخذنه ولا أئمه ، فانصرف وهو يقول :

« جزيت أبا ثور جزاء سكرامة فتم التقي أنت للزور اللعيف . »

وقيل انه لم يكن في عمرو خصة رفيقة إلا للكذب ، حكى أبو عمرو بن العلاء ، قال : وقف عمرو يوماً بالريد يتحدث - دخل فاحتمه - قال : « فزوت في الجعلية على بني مالك فخرجوا مستدعين بمحمد بن الصعب فطقت عليه بالصمصامة فأخذت رأسه » وكان خالد بن الصعب حاضرًا ، فقال بني الجاعة : « مهلا أبا ثور فبيته يسبح كلاك » وأشار إليه ، فقال اسكت إنما أنت محدث فاسح أو تم ، ثم التفت إلى خالد وقال : « إنما نرهب هذه المدينة بهذه الأخبار » ونفى في حديثه فلم يقطعه ، قال له وجل : « انك لشجاع في الحرب والكذب » قال : « إني كذلك » وحكى أبو عمرو بن العلاء قال : جاء رجل إلى عمرو وهو واقف بالريد على فرس له وقد أسن قال لا تظن ما عني من قوة أبي ثور فأدخل يده بين ساقه وجنب الفرس فظن عمرو ففك فضم وجهه وحرك الفرس فجعل الرجل يمد مع الفرس لا يقدر أن يتزعج يده حتى إذا بلغ منه صاح به قال : « يا ابن أخي مالك ؟ » قال : « يدي تحت ساك » غلى عنه وقال : « إن في عك بكية بعد » ومن كلامه حكى أنه أتى بجاشع بن مسعود فقال : أسألك حلالاً مثلي وسلاحاً مثلي فأمره بفرس جواد وسيف صاوم وعشرين ألف درهم فرمى بي حفلة فقالوا : « يا أبا ثور كيف رأيت صاحبك ؟ » قال : « فقه بنو جاشع ما أشد في الحروب لغامها ، وأجزل في الزبائط مطامها ، وأحسن في اللكرات بناءها ، والله قد فلتها فإبيتها وسألتها فإبجفتها ، وحاميتها فإالمتها » ومن جيد شعره :

« ولما رأيت الحيل زوراً كائنها جداول ماء أرسلت فاستبطلت »

فجاشت إلى الناس أول مرة فردت على مكرورها فاستقرت

ظلت كائني لرماح دويقة أفلت من أصحاب جرم وفرت

ولو أن قومي أفلقتن وماحهم فطقت ولكن الرماح أجرت . »

قوله أفلت من أصحاب جرم من الهجاء للمض ، وذلك أنه ذكر أن قوما فرّوا وليس هو منهم غير أنه يقاتل غنماً لهم وصية ، وقوله ولو أن قومي أفلقتن ، يعني لو فالتوا وطاروا فالتت بهمهم ، ولكنهم فرّوا ، فأستكون من اللص ، والأصل في الاجراء أن التصيل إذا أرادوا فطامه شقوا لسانه فلم يقدر على الرضام وفي القصيدة التي أروها : « أمن ريحانة الداعي السبع »

يقول :

« وقد عجبت أئمة أن رأني عرع لقي شبيب فطع

أشباب الرأس أليام طوال وهم ما بيلته الضلوع

وزحف كتيبة هاه أخرى كال زهاهما رأس صليح

وإسناد الأسنة نحو نهرى وحرّ للعرفية والوقوع
فإن تلب التواب آل عصم تحد كعادهم فيها ونوع
إذا لم تسطع شيئاً ففعله وياوزة إلى ما لا تسطع
وصلة بالزروع فكل عوى سهاك أو سوت له نزوع .
وقوله أيضاً :

« يا أيها الفتاح - جهلا بنلو ولدت جيداً
ليس الجبل بمحمّد - ساعلم - ولدتوديت برداً
إنّ الجبال صلات ومناب أروق عينا
أصعدت للمدائن ما بقى وعداء طندي
نهما وفا شطب بعد البيض والأبدان قد
كل اسرى يجرى إلى يوم الهياج بما استعدا

لما رأيت نساءنا يطمعن بالزراء - شفا
ولدت عاسها التي تخفى ، وطاد الأمر جدا
تأزت كيفهم ، ولم أر من ترال الكش - بدا
هم ينفرون دى والسند إلى لقيت بأن أشده
كم من أغلى صلح بوائه يندى لحدا
ذهب الذين أحبهم وبقيت مثل اليفسرفدا .

قلت : « لو لم يكن له إلا هذه القصيدة لاستحق بها التقدم على بغير كثير » وأما المصمادة فهي سيفه
للمجهور . قال عبد الملك بن حمير أهدت بليلى إلى سليمان خسة أسياك ، وهي : ذو الفقار ، وذو النون ،
ومجنوب ، ورسوب ، والمصمادة . فأما ذو الفقار : فكان لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - أخذته
من منبه بن الهياج يوم بدر ، ومجنوب ورسوب : الحرت بن حيلة النسيك ، وذو النون والمصمادة :
لمرو بن مديكرب ، وحكى أن عمر بن الخطاب قال لمرو : أهدت لي المصمادة ، فهدت به إليه فلم يره كما
يلفه ، فقال له في ذلك ؟ فقال لي يشت إليك المصمادة ولم أهدت لك باليد التي تضرب به ، وحكى أبو صيدة
أن المصمادة انتقلت إلى سعيد بن العاص ، وذلك أن خالد بن الوليد لما غزا بني زيد ، وكان خالد بن
سعيد من جهة أسراه أوقع بهم وأسر رجلاً أخت عمرو بن مديكرب ففداها خالد وأباه عمرو المصمادة ،
ثم فقد يوم الحار في مقتل عثمان ووجد ، ولم يزل إلى أن صعد للهدى البصرة ، فلما كان بواسط أرسل
إلى بني العاص يطلب المصمادة ، فقالوا إنه في السيل عجباً ، فقال حنون سيقاً قطعاً في السيل أغنى من
سيف واحد وأعطاهم خمسين سبباً وأخذته ، فلما صار إلى الهادي أحضره وأسر الشراء بوصفه ، فقال
بعضهم من أبيات :

« حاز مصمادة الزيدى عمرو من جميع الأكم موسى الأمين
ما يبالى من اعتناء لضرب أحيال سطت به أم بين . »

ثم وصل إلى التزك فقدمه إلى غلامه « باغزا » التزك فلفه به ، ومن عند « باغزا » قطع خفه .

عَنْ وَصِيفَ «كُفِّ» ^(١) بِالسَّمَاكِ إِيلَادُ
فَضَحَ الدُّهَاءَ فَلَوْ تَقَدَّمَ عَهْدُهُ لَمَكَ «الْمُفِيرَةُ» أَوْ أَقَرَّ «زِيَادُ» ^(٢)

(١) كُفِّ بْنِ مَالِمْ

هو كُفِّ بْنُ مَالِمْ الْإِيَادِي ، وكان أحد أجواد العرب يضرب به المثل في الوفاء ، أثر على نفسه وكان مسافراً مع رفيقه فقل عليها الماء فتصافاه ، والتصافان أن يوضع في الماء معلقة أي جبر صنيع ينسج بالماء لكلا يتظاهروا في القسمة ، لجل رفيقه يضرب نصيبه ، فإذا جاء دور كُفِّ ، قل له رفيقه وقد جهده العيش : « أسق أخاك » فيؤثره على نفسه حتى جهد كُفِّ من العطش وأحرق على الحلاك ، ورضت له أحلام الماء ، وقيل له رد كُفِّ ولا ورود به فأت صطناً ، وفي ذلك يقول أبو دؤاد الإيادي :

« أوفى على الماء كُفِّ ثم قيل له رد كُفِّ لك وراذ لنا وراذ . »

ارجع إلى الكامل للبرد ص ١٣٦

(٢) زِيَادُ بْنُ أَبِيهِ وَالْمُفِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ

كلاهما من أنفاد العرب وساستهم ودعاتهم وأخبارهما مستفيضة في كتب التاريخ ، وليكننا نختار القول
اجتماعهما إلى :

وسمى « زِيَادُ بْنُ أَبِيهِ » أو « زِيَادُ بْنُ سَمِيَّة » لأن أمه كانت جارية فهارت بن كعدة التثلي ، فزوجها بمبد له وسمى يقال له : « عِيد » نولت « سَمِيَّة » زِيَادُ عَلَى غَرَشِهِ ، فهو ولد « عِيد » حرماً .
فلما : وكان « أَبُو سَلِيان » قد سار في الجملية إلى « الحائف » فنزل على باع خر يقال له :
« أَبُو سَرِم » - وقد أسلم بها بعد - فقال له « أَبُو سَلِيان » : « قد اشتيت النساء » فقال
أبو سَرِم : « هل لك في سَمِيَّة ؟ »
فقال أبو سَلِيان :

« حاتها على طول ثمديها وذفر بطنها »

فأكلها بها ، فوقع عليها ، فيقال إنها عقلت منه زِيَادُ ، ثم وضعت في السنة التي هاجر فيها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولما « زِيَادُ » ضيحا .

وحضر « زِيَادُ » يوماً بمصر جماعة من الصحابة في خلافة « عمر » قال « مروان بن الحارث » :
لو كان أبو هذا النعام من قرشي ، لساقت العرب بهواه .

فقال أبو سَلِيان لعل بن أبي طالب :

« إني لأحرف من وضعت في رحم أمه »

فقال على :

« لما يملك من استلحاه »

قال :

« أخاف الأصغر (يعني عمر) أن يقطع إمامي بالهرة »

لَا يَأْمَنُ الْأَعْدَلُ رَجْمَ ظَنُونِهِ إِنَّ الثُّيُوبَ وَرَاءَهَا إِمْدَادُ
مَلِكٍ - إِذَا مَا اخْتَلَّ - غُرَّةٌ فَيَلْقَى قَدْ أَمْطَلَتْ عِقْبَانَهُ الْأَسَادُ (١)
أَسَدٌ، فَرَأَيْتُهَا الْفَوَارِسُ فِي الْوَعَى، لَكِنْ بَرَأْتِنَا - هُنَاكَ - صِعَادُ (٢)

فلما كانت قضية شهادة اليهود على المنيرة بائنا وجدد لهم ثبوت الزنا عليه - ومنهم أبو بكره أخو زيد لأمه - وامتناع « زيد » حين كان يؤدي الشهادة عن التصريح ، وكان أحد الأربعة الذين شهدوا عليه - اتخذ المنيرة ذلك زيدا بنا .

ثم لما ولى « علي بن أبي طالب » الخلافة ، استعمل « زيدا » على فارس ، فقام بولايتها أحسن قيام ، ولما سلم « الحسن » الأمر إلى « معاوية » امتنع « زيد » بفارس ، ولم يخلط طاعة « معاوية » وأمر « معاوية » بالأمر ، وخلف أن يدعو إلى أحد من بني هاشم ويعيد الحرب ، وكان معاوية قد ولى « المنيرة بن شعبة » الكوفة ، فقدم « المنيرة » على « معاوية » سنة ٤٧ هـ فشكا إليه « معاوية » امتناع « زيد » بفارس ، هال « المنيرة » :
« أَنَاذُنِي فِي الْمِيرِ إِلَيْهِ ؟ »

فأذن له ، وكتب « معاوية » لزيد أمأماً ، فتوجه « المنيرة » إليه - لما بينهما من المودة - ولم يزال به حتى أخبره إلى « معاوية » وبأيه .

وفي سنة ٤٤ هـ استلقى « معاوية » « زيدا » فأحضر الناس ، وحضر من يعهد لزيد بالنسب ، وكان من حضر تلك « أبو مرز » بالي الخراج الذي أسلفنا ذكره - وهو اتقى أخضر « سببة » أم « زيد » إلى « أبي سفيان » بالطائف - فعهد بنسب « زيد » من « أبي سفيان » .

قالوا : « فاستلحقه معاوية » وقد أعظم الناس ذلك وأنكروه لاسيما بنو أمية لأن زيدا ابن عبيد الرومي قد ألحق نسب بني أمية بن عبد شمس ، وقد قال « عبد الرحمن الحكم » أخو « مروان » في ذلك :

« أَلَا بَالِغُ «معاوية بن صخر» : « لقد ضاقت بما تأتي اليك »

أَتَضْبُ أَنْ يَهَالَ : « أَوْ كَصَف ؟ » وترضى أن يهال : « أَوْ كَزَانِي ؟ »

وأعهد أن يهال - من زيد - كرحم النيل من ولد الأكلان .

ثم ولى « معاوية » « زيدا » البصرة ، وأضاف إليه « خراسان » و « سجستان » ثم جمع له الهند والبحرين وعمال .

(١) ندبان - جمع حجاب - وهو من سباع الطير التي تصيد - قال المتنبي :

« شكوى الجريح إلى الحبان والرحم »

وقال البحتري :

« ضاقت بعد أرضها لما روى سلطانها بطييس والفرسان »

بطوارس - مثل المقور - وضمر مجذولة ، ككواصر العيلان .

(٢) صداد - جمع مسددة - وهي الفتاة التي تثبت مستعينة لا تحتاج إلى التحفيف ، والمسددة - من النساء - المستعينة القائمة - على التقسية - قال « كعب بن جيل » وصف امرأة شبه تدعى بالفتاة :

« فانا قامت إلى جاراتها لاحت الساق بخلخال زجل »

مسددة ناجدة في حائر أيتها الريح تميلها تل .

خِلْتَ اللّوَاءَ تَهْمَةً فِي ظِلِّهَا قَرُّ ، يُرْمِي السَّنَا الوَحَادُ

شَيْعَانُ مُتَمَسِّسُ السَّنَانِ مِنَ الْعِدَا - فِي النَّقْعِ - حَيْثُ تَتَلَقَّلُ الْأَحْقَادُ
نَشْكُو إِلَيْهِ الشَّمْسُ نَقْعَ كَتِيبَةٍ مَا زَالَ مِنْهُ لَيْعِنُهَا إِزْمَادُ ^(١)
جَبَشُ - إِذَا مَا الْأَفْقُ سَافَرَ طَيْرُهُ مَعَهُ - فَنِي ذِمِّهِ الصَّوَارِمُ زَادُ ^(٢)
مُسْتَطَرِفٌ لِلْمَعْجِدِ لَمْ يَكْ حَسْبُهُ مَجْدُ - يَدُورُ مَعَ الزَّمَانِ - تِلَادُ ^(٣)
مَا كَانَ مِنْهُ إِلَى رَهَاطَةٍ رَاحَةٍ حَتَّى يُخَلِّدَ مِثْلَهُ إِخْلَادُ
أَرِجُ النَّدَى ، مَتَى تَقَرُّ بِجَوَارِهِ يَطِيبُ الْحَدِيثَ وَيَتَّبِقُ «الْإِنْشَادُ» ^(٤)
لَوْ أَنَّ خَاطِرَهُ الْجَمِيعَ مُفَرَّقُ فِي الْخَلْقِ أَوْشَكَ أَنْ يُحْسِنَ جَمَادُ

نَقَمِي فِدَاؤُكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ الَّذِي زَهَرُ النُّجُومِ - لَوْجِيهِ - حُسَادُ
تَبَذُّو عَلَيْكَ - مِنَ الْوَسَامَةِ - حُلَّةُ يَفْقُو إِلَيْهَا - بِالْثُقُوسِ - وَدَادُ
لَمْ يَشْفِ مِنْكَ الْعَيْنُ أَوَّلُ نَفْزَةٍ لَوْلَا الْمَهَابَةُ رَاجَعَتِ تَرْدَادُ

(١) النعم : القبار ، والكسبية : الجيش ، يقول : «فتكو إليه الشمس سطوع القبار ، والشمع النار لأنه أومد حينها فأعمتها ولم تهر .»

(٢) يقول : إن هذا الجيش إذا سارته في الأفق صفال الجوِّ وجوارح الطير ، في ذمة الصوادم من السورف أن تضمن لها الرُّاد من فلي الأعداء .

(٣) مستطرف : أي استعنت لنفسه مجدا طريقا أي جديدا مكسوبا غير موروث ، والجب : بحركة وقد يمكن كما هنا ما يهده الانحلال من مفخره ، والتلاد : التلاد للوروث عن الآباء .

(٤) الندى : المجلس ، يقول : هو أريج الندى أي عطر ما يثبت من مجلسه من طيب انقول واطر اللثاء ، إذا فرغ بقره ودنوت من مجلسه ، يطيب الحديث ، ويتيق في أرجاء المجلس مير الانشاد ، وقد ورد هذا البيت في الأصل هكذا :

« أريج الندى ، متى عز بجواره يطيب الحديث ويبقى . . . »

والفككة يطيبها السياق .

مَا كَانَ مِنْ خَلَلٍ فَأَنْتَ سِدَادُهُ فِي الدَّهْرِ أَوْ أَوْدٍ فَأَنْتَ سِدَادُهُ^(١)
 الدِّينَ وَجْهَهُ أَنْتَ فِيهِ غُرَّةُ وَالْمَلِكُ جَفَنُ أَنْتَ فِيهِ سَوَادُ
 اللَّهُ مِنْكَ يَدٌ عَلَتْ ، تُؤَلِّي بِهَا صَفْدًا فَيُحْمَدُ ، أَوْ يَفُكُّ صِفَادُ^(٢)
 لَوْ أَنَّ أَقْوَامَ الْمُلُوكِ تَوَافَقَتْ فِيهَا لَوَافِقَ حَفَلَهَا الْإِسْمَادُ
 نَفَعَ الْعُدَّةَ النَّاسُ^(٣) مِنْكَ ، لِأَنَّهُ بَرَدَتْ عَلَيْكَ مِنْهُمْ الْأَكْبَادُ
 يَتَصَاعُ مَنْ جَارَكَ مَقْبُوضَ الْخَطَا فَكَأَنَّمَا عَضَّتْ بِهِ الْأَقْيَادُ^(٤)

قَدْ قُلْتُ لِلتَّالِي تَنَاءَكَ سُورَةٌ مَا لِلْوَرَى فِي نَعْمَا إِنْخَادُ^(٥)
 « أَعِدِ الْحَدِيثَ عَنِ السِّيَادَةِ ، إِنَّهُ لِنَسِ الْحَدِيثِ يُبْلُ حِينَ يُمَادُ . »
 كَرَّمُ كَمَا الْمَزْنِ رَاقٍ خِلَالَهُ أَدَبُ كَرَوْضِ الْحَزْنِ بَلَتْ يُحَادُ^(٦)
 وَخَسِينُ زَهَرَ الزَّمَانُ بِزُهرِهَا فَكَأَنَّمَا أَبَاهُ أَعْيَادُ^(٧)

(١) يقول : ما كان من خلل في الزمان فأن سداه الذي يد به ، أو كان من أوديه وإعرجاج فأن سداه ، أي بك سداه وصلحه وقهره .
 (٢) الصمد الخطاء ، والصمد : ما يوثق به القيد من قيد ونحوه ، يقول : لله منك يد تول الجليل وتهب الطاء ، لا تزال تحمدها وتشكرها لك إلى أن ينك ما تبتدأ به من أسفاد النعم ، وقد جانس بين الصمد بمعنى الطاء ، والصمد بمعنى التمدد ، وجعل الاحسان صفاً وقيماً مستفيض في كلام الشعراء ، قال الشاعر :
 « ومن وجد الاحسان قيد تقيماً » ، وقال ابن الرومي :
 « ما على الأحرار من رقي إذا قدوا شكرهم مولى أيدي
 إنما النعمى صسفاد فأذا قنيت شكراً فليت بصفاد . »
 وقال ابن جوس :

« عظمهم بالجليل فالضوا وبهنا أسفادها الصمد . »

أي فيودها الطاء ، وفي الأصل : « تولي بها • صمد . »

(٣) في الأصل : « البأس »

(٤) يقول : يتصاع ويرجع من مجارته في الجحد كل من جلوه ، ويقف حيث اجدا مقبوض الخطا كأنما ضمت بسيفاته القيد لنتجه من القيد .

(٥) الزرد : السحاب ويحد بطر الجلود (يفتح فكون) وهو اللطير الثور .

(٦) يقول : ويضاف إلى هذا السكر الذي وصفه في البيت السابق عانس أثناء الزمان بزهر نحبوها ، فكأنما كل يوم من أيديها عيد .



يَأْتِيهَا الْمَلَكُ الَّذِي - فِي ظِلِّهِ - رِيضَ الزَّمَانِ فَذَلِكَ مِنْهُ قِيَادُ
يَا خَيْرَ « مُتَّعِدٍ » بِمَنْ أَفْذَارُهُ - فِي كُلِّ مُنْصِلَةٍ - لَهُ أَعْضَادُ
لَمَّا وَرَدْتُ - يَوْمَ حَضْرَتِكَ - الْمُنَى فَهَمَّتْ لَدُنِّي جِجَاهُهَا الْأَعْدَادُ (١)
فَأَسْتَقْبَلْتَنِي الشَّمْسُ تَبْسُطُ رَاحَةً لِلْبَحْرِ - مِنْ نَفْعَاتِهَا - أَسْتَمْدَادُ
فَكُنْتُ فَحَرْتُ - بِمَا بَلَغْتُ - لِقَلِّ لِي أَلَّا يَكُونَ مِنَ النُّجُومِ حِتَادُ
مِنْهَا أَمْتَدَحْتُ سِوَاكَ - قَبْلُ - فَمَا عَمَّا مَدَحِي - إِلَى مَدَحِي - لَكَ أَسْتَطْرَادُ
يَنْشَى الْمَيَاكِينُ الْفَوَارِسُ - حِقْبَةً كَيْفَا يُعْلَمُهَا النَّزَالُ طَرَادُ (٢)
فَلَأَسْحَبِينَ ذَيْلُ الْمُنَى فِي سَاحَةِ - إِلَّا أَوْفَ بِهَا الْمُنَى - فَأَزَادُ (٣)
وَلَيْسَتْ تَفِيدُنَ السَّنَاءَ مَعَ النَّفْسِ عَبْدٌ يُقِيدُ النَّفْسَ حِينَ يُقَادُ
وَلَأَنْتَ أَنْفَسُ شَيْءَةٍ مِنْ أَنْ يَرَى - لِنَفْسٍ أَعْلَاقِي لَدَيْكَ - كَسَادُ
هَيْهَاتَ قَدْ ضَمِنَ الصَّبَاحُ لِيَنْ تَرَى أَنْ يَسْتَتِبَّ لِسَعْيِهِ الْإِحْمَادُ (٤)
لَأَتَقَدَّمَنَّ - مِنَ الْخَطُوطِ - ذَخِيرَةً تَبْقَى فَلَا يَنْشَلُو الْبُقَاءَ نَقَادُ

(١) فهت : جواب لما أي سالت ، وجهاها : جمع جم (بالفتح) وجه (بالفهم) وهو اللاء الكبير والأعداد : جمع حد (بالكسر) ، وهو اللاء الدائم الذي له ملادة لا انقطاع لها كماء المليون ، يقول : حين وردت في حضرك وودد لاني ، همت جلدها ، وسالت ميلها الأعداد ، يريد أنه رأى نبيش التي يلبش من راحته ، وفي الأصل :

« لما وردت يورد حضرك لنا فهت لدى جامها الأعداد . »

(٢) هو مطاردة للترسان بعضهم ينشأ للبراق على الحرب .

(٣) فلاسحين من التي ذيلها في ساحة جواد إن لم أوف بها ما تلوح إلي عسى من الأماني فأنا سأزاد عليها ، يقول : إن أسره دثر بين أن لي له بما تسو إليه نفسه من الأماني ، أو يزيد عليها فوق ما يريد ويحني .

(٤) يشير إلى القتل المهور : « عند الصبح يحمده القوم للمرى . » وسببر بك شرحه في ص (٢١٧) من هذا الديوان .

في مدح المعتضد

« قال يمدح المعتضد بالله المنصور بفضل الله
أبا عمرو عباد بن محمد بن عباد ، ويذكر
بعض مواقف له مع خاصته من أصفياه ،
والمناوئين له من أعدائه . »

لَيْتَنِ الْهُدَى إِنْجَاحُ سَعْيِكَ فِي الْعِدَا وَأَنْ رَاحَ مُنْعُ اللَّهِ تَحْوِكَ وَأَعْتَدَى ^(١)
وَتَهْجُكَ سَبْلُ الرُّشْدِ فِي قَمْعٍ مِّنْ غَوَى وَعَدْلُكَ فِي اسْتِنْصَالٍ مِّنْ جَارٍ وَأَعْتَدَى ^(٢)
وَأَنْ بَاتَ مَنَ وَالْأَكْ فِي نَشْوَةِ النَّعَى وَأَصْبَحَ مَنَ قَادَكَ فِي غَمْرَةِ الرَّدَى ^(٣)
وَبُشْرَاكَ دُنْيَا غَضَّةٍ الْهَمْدِ طَلْقَةً كَمَا ابْتَسَمَ التَّوَارُ عَنْ أَدْمُعِ النَّدَى ^(٤)
وَدَوْلَةٍ سَعْدٍ لَا أَتْبَاءَ لِحَدَمٍ إِذَا قِيلَ فِيهِ قَدْ تَنَاقَى تَوْلَدَا
دَهَوَتْ ، فَقَالَ النَّصْرُ : لَيْتَكَ مَائِلًا وَلَمْ تَكُ كَالِدَاعِي يُحَاوِبُهُ الصَّدَى

(١) السى : التصرف فى كل عمل من خير أو شر ، أى أن سبيل الهدى وسبيل للؤمنين جديران بكل
تجربة وبهرى حيث أجمع الله سيك فى مناجرة أعدائك ولم يزل يجهلك بمجمل منه ولطيف إحسانه فى الرواح
والندو ، والصباح والعشى .

(٢) ولين الهدى أيضا سلوكك مناهج الرشد ، وإجراؤك سنة العدل فى قبح النابزين المفسدين ، واستعمال
شأنه الجائزين للصدى ، واقتلاهم من أسوأهم ، وإظهار الملكة من طاعتهم وهروهم .

(٣) والى : للولادة ضد المداواة ، وقد طابق فى البيت بين «لجت» و «أصبح» و «والى» و «عادى»
و «نشوة النفس» و «غمرة الردى» .

(٤) التوار : يضم أوله وتشديد ثانيه التور ، واحده تواره وقد تور الشجر والنبات أى أزهر ، وفى البيت
تعبية التوار بالتر الباسم عن لؤلؤ الباك .

وَأُنْجَذَتْ عُنْيُ الصَّبْرِ فِي دَرْكِ اللَّيْلِ كَمَا بَلَغَ السَّارِي الصَّبَاحَ فَأُنْجَذَا ١١

« أَصْبَادُ » يَا أَوْفَى الْمُلُوكِ بِذِمَّةِ وَأَرْعَاهُمْ عَهْدًا وَأَطْوَلَهُمْ يَدًا
تَبَايَنْتَ فِي حَالَيْكَ : غُرْتَ تَوَاضَعًا لِنَسْتَوْفِي الْعَلِيَّا ، وَأُنْجَذَتْ سُودَدَا ١٢

(١) الدرك : محركا الحاق والوصول إلى الشيء . يقال أدركته إدراكا ومركا ومنه الدرك بالسكون . قال جندب بن جندب الأسد :

« لَيْتَ وَلَيْتَ فِي مَكَانٍ شَتَكَ كُلُّهَا ذُو أُنْفٍ وَعَكِ
وَبَطْشَةٍ وَصَوْلَةٍ وَفَتَكٍ إِنْ يَكْتَفِ اللَّهُ قِتَاعَ الشَّكِّ
يَنْظُرُ مِنْ حَلْقِي وَدَرْكِ لَنَا أَحَقُّ مَثَلُ بَرْكِ
الْقَتَبِ بِوَيِّ وَالْفَرَابِ بِبَكِي »

والساري : اسم فاعل من السرى وهو سير الليل وأصل الليل «عند الصباح يحمد القوم السرى» وأول من قال ذلك كما في بحر الأسماء من «الفضل» الضبي هو «علاء بن الوليد» لما بث إليه أبو بكر رضى الله عنها وهو «بالجملة» أن سر إلى «الوراق» فأراد سلوك اللقظة ، فقال له «رائع» الطائي : قد سلكتها في الجميلية ، هي خسر لئلا الزائدة ، ولا أظنك تفكر عليها إلا أن تحمل من الماء . فاشترى مائة شارب فطعمها ، ثم سقاها الماء حتى رويت ، ثم كشيها وكرم أفواهما ، ثم سلك اللقظة حتى إذا مضى يومان وغاب الشمس على الناس والحيل وخفى أن يذهب ما في بطون الابل ، نحر الابل ، واستخرج ما في بطونها من الماء وسقى الناس والحيل ومضى فلما كان في الليلة الزابعة ، قال «رائع» : انظروا حل ترون سديرا عظيما ؟ قال وأجسوما وإلا فهو الهلاك . فنظر الناس فرأوا السدر فأخبروه فكبر وكبر الناس ثم هجموا على الماء ، قال خالد :

« فَهُوَ دَرِ رَائِعٍ أَيْ أَحْسَنِي فَوْزٍ مِنْ قَرَارٍ إِلَى سَوِي
خَسَا إِذَا سَارَ بِهِ الْجَيْشُ بِكِي مَسَارَهَا مِنْ قَبْلِهِ لَيْسَ بِكِي
عِنْدَ الصَّبَاحِ يَحْمَدُ الْقَوْمُ السَّرِي وَتَجَلَّى عَنْهُمْ بِأَيْدِي الْكَرِي »
يضرب الرجل بمعدل للشفقة رجاء الزاحة .

(٢) غرت : من غار غورا فهو غار إذا أتى النور وهو ما انحدر منه ، وقابله النجد : يقال : غار وأجهد وأغار وأجهد ، قال جرير .

« يَا أَمَّ حَزْزَةٍ مَا رَأَيْنَا مِثْلَكُمْ فِي لِلْجَبْدِينَ وَلَا بِهَوْرِ النَّثْرِ . »
وقال الأعشى :

« نَهَى بَرَى مَا لَا تَرُونَ وَذَكَرَهُ أَظَارُ لَسَرَى فِي الْبِلَادِ وَأَجْهَدَا . »

وأكثر الجوهري أظار ، وقال الأعشى : أظار وأجهد في بيت الأعشى بمعنى أسرع وارتفع ، على أن النصف الثاني من البيت دوى غزوما هكذا : « ظار لسرى في البلاد وأجهدا » ، يقول : بين حالك من التواضع والسمو إلى مراتب السيادة بين شامخ ، قد انحدرت إلى غور التواضع فكانت حابة ذلك أن استوفيت حظك من العباد . وبنت أسى مراتب السوء والرفعة .

وَلَمَّا احْتَضَنَتْ اللَّهُ كُنْتَ مُوَهَّلًا لَدَيْهِ لِأَنْ تُحْمَى وَتُسَكَّنَى وَتُفَضَّلَا
وَجَدْنَاكَ إِنْ أَلْقَيْتَ سَعْيًا تَنْجَتَهُ وَغَيْرَكَ شَاوِحِينَ أَنْفَجَ رَمَدًا ^(١)
وَكَمْ سَاعِدَ الْأَعْدَاءِ أَوَّلَ مُطْمَعٍ رَأَوْكَ بِمُقْبَاهُ أَحَقَّ وَأَسْمَدَا
فَلَا ظَافِرَ إِلَّا - إِلَى سَعْدِكَ - أَغْرَى وَلَا سَائِسَ إِلَّا بِتَذِيرِكَ أَقْتَدَى

* *

صَلَاةً لِفَتُونٍ مَمُوتٍ بِحَالِهِ إِلَى أَنْ بَدَتْ - بَيْنَ الْفَرَائِدِ - فَرَقْدَا
رَأَى حَطَهَا أَوَّلَى بِهِ ، فَأَحْلَمَهَا حَضِيضًا بِكُفْرَانِ الْعَيْنِيَةِ أَوْهَدَا ^(٢)
وَمَا زَادَ - لَمَّا لَجَّ فِي الْبُغْيِ - أَنَّهُ سَمَى لِلَّذِي أَصْلَحَتْ مِنْهَا فَأَفْسَدَا
فَزَلَ وَقَدْ أَمْطَيْتُهُ ثَبِيجَ الشَّهَا وَصَلَّ وَقَدْ لَقِيْتُهُ قَبَسَ الْهُدَى ^(٣)
طَوِيلُ عَثَارِ الْجُرْمِ قُلْتُ لَهُ: «لَمَّا» ^(٤) بِحِلْمٍ تَلَقَّى جَهْلَهُ فَتَعَمَّدَا ^(٥)

(١) أَلْقَيْتَ مِنْ أَلْقَى الْفِعْلُ الْتَأَنَّى ، وَلَقَعْتُ هـ ، قَالَ الْحَرْثُ بْنُ حَبَاد :

« قَرِيبًا مَرِطُ التَّلَامَةِ مِنْ لَقَعْتُ حَرْبَ وَائِلٍ مِنْ حِيَالٍ . »

والسبي : انصرف في الأمور ، ونتيجته : من قولهم تنجح فلان التائفة إذا ولي فاجها وهي ماخض حتى تنجح ، وفي اللؤلؤ : « هل تلتج التائفة إلا لمن لقت له » ، وكتب عليه صاحب مجمع الأمثال ما نسخته : يقال تنجبت التائفة على ما لم يسم فادله ، وأتجنبها إذا أنتهت على ذلك ، والتأنجح فتوق كالقائبة للانسان ، ولقعت تلتمع لعلها ولعلها والتائفة لاتمع وتنجح ، وسبق للتلؤلؤ : هل يكون الولد إلا لمن يكون له الماء ؟ يضرب في التشبيه ، ويروي « لما لقت له » أي فاجها أي قبول رجها ماء الفضل ، يشير إلى صدق التشبيه « ما » مع « لقت » للصبر ، وغيره شلو : أصل للتلؤلؤ شوى أخوك حتى إذا أنفج رمد ، والتزديد لقاء الفؤاد في الرمد ، يضرب - كما في مجمع الأمثال البيهقي - لمن يفسد اصطناعه بليل ، ويرد صلاحه بما يورث سوء الفطن ، ويروي عن أمير المؤمنين « عمر بن الخطاب » رضي الله عنه : أنه مرَّ بدار رجل عرف بالصلاح فسب من داره صوت يمشي لللاهي ، فقال : شوى أخوك حتى إذا أنفج رمد .

(٢) الحضيض : القفر من الأرض للنقص عن سطح الجبل ، وأوهد : أفضل تفصيل من الوعدة وهي الهوة ، يقول : رأى ذلك الفتون اعطط حاله أول به فأنزله للندوح من مستوى الفرائد إلى أسط فرار من الأرض بسبب كفران التمسك وتكرار الجليل .

(٣) ثَبِيجَ الشَّهَا : أملاه ، والشها : نجم صغير في بنات نكس الكبري يتحتمل به أهباسهم ظفاه ، وفي اللؤلؤ « أربها لها وترين القمر »

(٤) دعوت له بأن يجبه الله من سقطته . (٥) غطى على جهله وسره .

تَجَنَّى فَأَهْدَيْتَ التَّمِيحَةَ مَحْفَاةً ، وَلَجَّ فَوَلَّيْتَ الْعِقَابُ مُرَدَّدًا ٥
وَلَمْ تَأَلَّهِ بِقِيَا عَلَيْهِ تَنْظُرًا لِقَيْتَهُ مِنْ أَكْرَمَتِهِ قَتَرَدًا
فَأَآزَرَ الْأَوَّلَى ، وَلَا قَلَّدَ الْحِجَى ، وَلَا شَكَرَ الثُّغْنَى ، وَلَا حَفِظَ الْيَدَا
كَأَنَّكَ أَهْدَيْتَ السَّوَابِجَ مَضْرًا لِيَزَكُفَهَا - فِيمَا كَرِهْتَ - فَيَجْهَدَا ٥
وَأَجْرَزْتَهُ ذَيْلَ الْحَبِيرِ ٥ تَأَلَّفَا لِيَخْلُقَ - فِيمَا جَرَّ - حَقْدًا مُجْدَدًا ٥
سَلَّ الْخَائِنُ الْمُتَمَرِّ : كَيْفَ اخْتَبَاهُ - مَعَ الدَّهْرِ - حَارًا بِالْعِرَارِ مُخْلَدًا ٥
رَأَى أَنَّهُ أَضْحَى هَزِيرًا مُصَمَّمًا ، فَلَمْ يَمُدَّ أَنْ أَمْسَى ظَلِيمًا مُشْرَدًا ٥
دَهَاهُ - إِذَا مَا جَنَّهُ اللَّيْلُ - أَنَّهُ أَقَامَ عَلَيْهِ - آخِرَ الدَّهْرِ - سَرْمَدًا ٥

(١) يقول بدأ بجنى عليك القنوب وبخلفها خلفاً ، فكان جزاؤه منك أن تمنحه النصح خالفاً بريئاً ، طالع في غروده وعصيانته صبت عليه عقابك للتوالت لتزجره - على أسأته وتؤذيه .

(٢) كأنما أهديته الجياد الضمر ليعاروك بها ويجهد نفسه في توقي أعدائك وتذلل ما تكره .

كان هذا الخائن ظن أنك أهديته الجياد الضمر السوابج ليجهدا ركضاً فيما تكره من مناصرة أعدائك .

(٣) أجرت ذيل الحبير : جعلته يمر ذيل النعمة .

وكأنه ظن أنك تألفه بما تخلف عليه من جبر أجرته ذيله ليعلق لك مشاكل ويعجده أخطاها بهيب ملجوه من جرائر وجرائم . (٤) وفي الأصل : « لثقت مجدداً »

(٥) الخائن : الأحمق ، وللمتر التغير للمعروف للسروف من غير أن يسأل ، والاختقاب الادخار ، يقال : احتجب الشيء : ادغره ، واحتجب خبيراً أو فحراً واحتجب : احتله وجعله خلفه ، واحتجب الائم : جهه ، والعرار - جمع مرة وهي الحلة النخيلة .

(٦) للصم : للاضي في الأمر مستزماً ، والظلم : الذكر من النعام ، قال تأبط فراء :

« أنا الذي تكح النبلان في يدي ما طل فيه سبائك ولا جادا »

في حيث لا يمت القنادى عما به ولا الظلم به يعني سبائكاً

وقد هوت بمقول عوارضها - بكر تنازعى سحائباً ومعتاداً

ثم اغشى صرما عني ، وأغيبه صر للشيب ، ظل في صالح باداً .

أي تكح النبلان في يدي لم يظهر بالطل وهو الزقازق «الطر الخفيف» ولم يظهر فيه الظلم - «فرخ النعام» - بلبيد - وهو المنخل - لياكله ، وقد لها بنتاة من الأكلار معقولة المراضين تنازعه كئوس الخمر وعنايد الغنم ، ثم اغشى ذلك الصر الصالح وأغيبه صر للشيب .

(٧) يقول : وقد أصبح يترقب جزاء أن يكون حينه مرتبطاً بيومه وصار يتوحي للعر خوفاً من أن يكون له سرمداً لما خلفته .

يُحَاذِرُ أَنْ يُنْقَى قَتِيلًا مُفَرًّا - إِذَا الصَّبْحُ وَاقَى - أَوْ أُسِيرًا مُقِيدًا

* *

لَيْسَ الرِّقَاءُ أَسْتَنْ فِي «أَبْنِ حَقِيدَةٍ» حَشِيَّةٌ لَمْ يُصْدِرْهُ مِنْ حَيْثُ أُوْرِدَا
قَرِينٌ لَهُ أَغْوَاهُ حَتَّى - إِذَا هَوَى - تَبَرَّأَ يَمْتَدُّ الْبَرَاءَةُ أَرْشَدَا (١)
فَأَصْبَحَ يَتَكَبَّهِ الْمَصَابُ بِشُكْلِهِ ، بُكَاهُ «لَيْدٍ» حِينَ فَارَقَ «أَرْبَدَا»
فِدْلًا لِإِسْمَاعِيلَ كُلُّ مُرْشِحٍ إِذَا جُشِمَ الْأَمْرَ الْجَسِيمَ تَبَلَّدَا (٢)

* *

أَقَادَ مِنَ الْأَمْثَلِكِ حِدْمَتَانِ فَشَلِيمِ مَوَالِي، لَمْ يَشْكُ الصَّدَى مِنْهُمْ الصَّدَا (٣)
أَمَادَ الصَّبَاحَ الطَّلَقَ لَيْلًا عَلَيْهِمْ فَجَاءَ وَأَنْتَى نَاطِرَ الشَّمْسِ أَرْمَدَا
فَحَلَّ هِلَالًا - فِي ظِلَامٍ مَحْجَاةٍ - تَلَا حِطَّةُ الْأَقَارُ - فِي الْأَقْرِ - حُسَدَا
بُرَاجِمُ مِنْ «سَهْنَجَةِ» وَ «زَنَاتَةِ» - عَثَلُ بُحُومِ الْقَدْفِ مَتْنَى وَمَوْحَدَا (٤)

(١) يقول : أن قرينه زين له الضلال حتى إذا تردى في سوء ماله تبرأ قرينه من ماله ورأى في التخلي عنه وسيلة إلى نجاة .

(٢) الرشح : اللؤلؤ .

(٣) يقول : إن توالت الأحداث والحوادث التي أثرها حيثه باللوك قد أداته موال غاية في البهالة لا يتكو السلطان منهم عطشاً لشدة ما أوتيته من صبر وجهه .

(٤) راجع عنه : ناضل ، وراجع في الكلام والحرب بالغ بأشد ماجة ، ونجوم القذف ، أو شهب القذف هي الرجوم ، قال الشاعر :

« كغهب القذف يرميكم به فارس في كفه للحرب نار . »

يقول : إنه يسجل بضرورة أهل زناته وسهابة ويغنف بهم الأعداء كما يغنف بالغهب بالرمح ويرجم بها شائبه ، وقد اشتهرت سهابة بظلم اللذعة الكبرى التي حدث في القتل الخامس من الهجرة سنة ٤٥٩ هـ وقد تارت سهابة على اليهود وقتلوا منهم مئة عظيمة وفيهم الوزير يوسف بن غزلة اليهودي ، وكان سبب هذه اللذعة أن ذلك الوزير - وكان قد استوزره باديس صاحب هراتلة - قد وشى بأبي إسحق اللقيبه زاهد البيرة فأهضاه السلطان من بلاده .

قلوا : « وكان ذلك الوزير قد تعرض لتسفيه بعض الآراء الدينية الاسلامية ، وكان عظيم الخطر واسع

هَمُّ الْأَوَّلِيَّاءِ الْمَانُحُوكَ صَفَاءُ هَمُّ إِذَا أَمْتَاَزَ مُصْنَفِي الْوُدِّ يَمْنَنُ تَوَدُّدًا

النفوذ - فوجد أبو إسحق من ذلك حظاً إلى إنشاء نصيده للبلغة التي دفعه إلى قولها غيظه من عدوه - ذلك الوزير الخليل - فلما تحريراً وأنصاه حبباً وبرامين، أطلع في الثأير بها على العامة وحلم على إغاضة رغباته - وما زال يفتن في ضروب الاحداث والتمهيج حتى اشتعل الجمهور حاسة وحجم على ذلك الوزير قتله - في نصر السلطان نفسه - وليس من شك في أن أبا إسحق بذل كل مواهبه في الضرب على النعمة الدينية وإظهار الفجع الشديد على ما اتخاب الدين من التهاون به وعرف كيف يوالى فيها اطراد الأدلة وانصافها وتصدق للماني وغزائتها مع دقة بحية في الصير عن أغراضه وخوابله بكلام علم ، يضارح حاسة ويتأجج ناراً ، وشعر صارخ

« خرج من قلب قلته مطا يزفر بركان . »

وهذا استطاع أن يوحى سامعياً أن قتل أولئك اليهود - أنصاه - فرض لا مناص من أدائه وواجب حتى لا يصح السكوت عنه وأنهم - إن كانوا غفلوا عن القيام به فيها - في فهم خليقون أن يتداركوه في الحال ، حتى لا تصب عليهم لنة الله ، أو يحيق بهم غضبه ، فيضف بهم الأرض ، أو ينزل عليهم السماء ، وكذلك لم يترك ناظراً وسيلة من الوسائل التي تستفز أخى الدوافع الدينية السكينة إلا استغنىها ، ولا لغة من لغات تمصع للعبادة الدينية إلا ضرب على وتيراتها . كل ذلك بأسلوب سهل ورشيق كاد يصل - لسهولة - إلى حد الركاكة في بعض الآيات - أنه من أجل الشر وأبدعه ، وإن شئت قل وأروعه ، وإليك هذه القصيدة الفريدة في بابها :

« ألا قل لصنابة أجهين بدور الزمان وأسد العرب

مقالة ذى مفة مشفق بمد النصيحة زلى ودين

لقد ذلّ سيديكم فلة تفرّ بها أعين القاسمين

تخبر كتابه ككافرا ولو شاء كل من المؤمنين

فزع اليهود به واتخذوا وتاهوا، وكاتوا من الأوردين،

ومنها :

« فكلم سلم راغب راعب لأرذل فرد من للمركبين

وما كان ذلك من سميم ولكن بنا يقوم المدين

فهذا اتسدى فيهم بالألى من القادة الميرة اللعين

في هذا البيت شيء كثير من الركاكة في قوله « بالألى من القادة الميرة اللعين » ولكننا ننتظرها لما في

ليه من نعمة تلك السورة الشريفة للتعزية البدئية .

وأزلهم حيث يستألمون ووردهم أسفل السافلين

فلم يستمعوا بأعلامنا ولم يستظلموا على الصالحين»

ومنها يخاطب السلطان باديس :

« أبا ديس ! أنت امرؤ حاذق تصيب بظنك عس البقين

فكيف خلى منك ما يمشون وفي الأرض تضرب منها القرون

وكيف تحب فراخ الزنا وقد يضضوك إلى العالمين

لَهُمْ كُلُّ مَيْمُونِ الثَّغِيَّةِ بَازِلٍ ^(١) كَفِيلٍ بِأَنْ يَسْتَنْزِمَ الْجَمْعَ مُفْرَدًا
يَسْرُكُ فِي الْهَيْجَا إِذَا جَرَّ لَأَمَةً وَيُزْنِيكَ فِي النَّادَى إِذَا أَعْتَمَّ وَأُرْتَدَى ^(٢)



كَرِهْتَ - لِسَيْفِ الْمَلِكِ - أُلْفَةً غَمِيدَةً وَقَلَّ غَنَاهُ السَّيْفُ مَا كَانَ مَقْعَدًا
وَلَمْ تَرَ لِلشَّبْلِ الْإِقَامَةَ فِي الشَّرَى فَجَدَّ أَفْتِرَاسًا حِينَ أَصْحَرَ لِلْعِدَا
مُهَامًا - إِذَا حَارَبْتَ - فَأَرْفَعُ لِرِوَاءِهِ، فَمَا زَالَ مَنصُورَ اللُّوَاهِ مُؤَيَّدًا
وَيَأْتِي مِنْ بَيْنِ الْمِهَادِ تَمَوُّنًا بِصَهْوَةٍ طَيَّارٍ - إِلَى الرُّوْعِ - أَجْرَدًا
وَقَدِّمًا شَكَا حَبْلَ التَّمَامِ يَافِيَا لِيَحْمِلَ رَفْرَاقَ الْفِرْنِدِ مُهَيَّدًا
وَلَمْ تَرَمِيْنَا - بَابِكَ ^(٣) الْحَدَّ قَبْلَهُ - تَنَاولَ سَيْفًا - دُونَهُ - فَتَقَلَّدَا

وكيف يتم لك الرقبي إذا كنت تبي وهم يهدمون

وكيف استمتت إلى فاسق وفارته وهو بشى القرن ؟

ومنها :

« وإلى حطت بئرنا فمكنت أرواحهم بها طابين

وقد نسروها وأملها فمهم بكل مكان لدين »

ومنها :

« وهم أنما كم على سرّكم وكيف يكون أبنائكم خؤول ؟

ويأكل فيهم درهما فيقضى ويدنون إذ يأكلون

وقد نهضوكم إلى ربكم فما يمنون وما ينكرون »

ومنها :

« وروحم قرحهم داره وأجرى إليها نعيم البيوت

وصارت حولها غنمه ونحن - على باب - فأتمون

ومضك منا ومن ديننا فأتانا إلى ربنا راجعون »

(١) البازل : الرجل الكادل ، والبالز أيضا الثاقفة في طمها الناسح ، قال الشاعر :

« منوت للزلزل إن هي ظالني فإ بال وبال ابن ليون »

(٢) أى تعجب بشجاعتهم إذا ليس لأمة الحرب كما تعجب بشجاعة التنف وراءه وليس علمته في السلم .

(٣) بابك الحد : فاطمة مرهقة .



لَيْسَ أُنْجِزَتْ مِنْهُ الشَّمَالُ آخِرًا لَقَدْ قَدَمَتْ مِنْهُ الْمَخَالُ^(١) مُوَحِّدًا
قَرَرْتُ بِوَ عَيْنَا، فَكَمْ سَادَ حِزْرَةً وَكَمْ سَاسَ سُلْطَانًا، وَكَمْ زَانَ مَشْهَدًا
وَأَعْطِينَا - فِيمَا تُرِيدَانِي^(٢) - الرِّضَى، وَبُلْشْنَا - جِئَا تُرِيدَانِي - الْمَدَى

دولة عباد

كَمْ لِرِيحِ الْقَرْبِ مِنْ عَزِيفِ نَدَى كَالشَّرَابِ الْعَذْبِ فِي نَفْسِ الصَّدَى^(٣)
حَيْثُ «عَبَادُ» فَتَى الْمَجْدِ الَّذِي نَعَمَتِ الدُّنْيَا بِوَ نَصْرِ الْهَدَى
مِلْكُ رَاحَتِهِ بِحَزْزِ النَّدَى مِثْلَمَا فُرَّتُهُ بِدَرْزِ النَّدَى
أَضْبَحَتْ دَوْلَتُهُ فِي عَصْرِنَا كَفَرْنَا فِي سَيْفِ صَدَى^(٤)

إلى حبيب

يَا غَلِيَّةَ لَطُفْتُ مِنْى مَنَازِلَهَا فَالْقَلْبُ مِنْهُمْ وَالْأَحْدَاقُ وَالْكَبِدُ
حُبِّي لَكَ النَّاسُ طَرَا يَشْهَدُونَ بِوَ وَأَنْتِ شَاحِدَةٌ إِنْ يَنْتَنِيهِمْ حَسَدُ
لَمْ يَمُزْ بِالْوَمَلِ فِيمَا يَنْتَنَا أَبَدًا لَوْ كُنْتُ وَاجِدَةً مِثْلَ الَّذِي أَجِدُ

(١) المخاليل من السحب : المنفرة بالطر . قال مروان ابن أبي حفصة :

« إِنْ أَخْلَفَ الْبَيْتَ لَمْ تَخْلَفْ عَيْنَا »

وهي هنا بمعنى الدلائل التي تتوهم بها القوم . والحقائق : الصفات ، قال أبو تمام يرمي طفلان :

« فَمَنْ عَلَى تِلْكَ الْخَالِيلِ دَنِيَا لَوْ أَمَلَتْ حَقَّ تَسْكُونِهَا »

لقد سكنوا بها حباً ، وصباحاً عزماً ، وطقت الأريحية نالاً .

(٢) تريثانه : تطلبانه ، طول : أراغ القوم أي أراده وطلبه ، وقد جاء في الأصل :

« وَأَعْطِينَا - فِيمَا تُرِيدَانِي - الرِّضَى »

(٣) الصدى : الصانع .

(٤) أطاعت دولته إلى زماننا وروثه وجاءه نصار كالسيف ماوده السفل والروث بعد أن ملأه الصدا .

في مدح أبي المظفر

« وقال مدح أبي المظفر سيف الدولة أبا بكر محمد

ابن مسلم صاحب بطليوس . »

هِيَ الشَّمْسُ مَقْرِبَهَا فِي السَّكَلِ (١) وَمَطْلَعُهَا مِنْ جُيُوبِ الْحُلَلِ (٢)
وَعُصْنُ تَرْشَفَ مَاءِ الشَّبَابِ (٣) ثَرَاهُ الْهَوَى وَجَنَاهُ الْأَمَلِ (٤)
تَهَادَى لَطِيفَةً طَلَى الْوِشَاحِ (٥) وَتَزَنُو ضَيْفَةً كَرَّ الْمَلِكِ (٦)
وَتَبَرُّزُ خَلْفَ حِجَابِ الْمَقَافِ (٧) وَتَسْفِرُ تَحْتَ قَابِ الْحَجَلِ (٨)
بَدَتْ فِي لَدَاتِ - كَزُهْرِ النُّجُومِ - حِسَانِ التَّحَلَّى مِلَاحِ الْمَطَلِ (٩)
مَشَيْنَ يُمَايِدَيْنِ رَوْضِ الرُّبَا (١٠) يَبَاحُ رَوْضِ الصَّبَا الْمُقْتَبَلِ (١١)
فَرَنْ قُصْبٍ تَتَنَّى بِرَبِيعِ (١٢) وَمِنْ قُصْبٍ تَتَنَّى بِدَلِ (١٣)
وَمِنْ زَهْرَاتٍ تُنْدَى بِمَسْكٍ (١٤) وَمِنْ زَهْرَاتٍ تُنْدَى بِطَلِ (١٥)
تَعَاهَدَ صَوْبُ الْجِهَادِ الْحَيِّ (١٦) وَلَا زَالَ مَرَبَّهَا فِي مَلَكِ (١٧)

(١) السَّكَلُ : جمع كلمة ، وهي ستر رقيق سريع يتحول به من البيوض ونحوه ، والجيبوب : جمع جيب ، وهو من القيس طوله ، والحلل : جمع حلة بالضم وهي إزار وراية (برد أو غيره) ولا تكون حلة إلا من ثوبين أو ثوب له بطانة ، وللمنى أن هذه الحسنة شمس تقرب في السَّكَلِ كما تتيب للشمس في مغربها ، وتغرب من جيوب الحلل كما تطلع الشمس من مغربها .

(٢) وهي حصن غرس في أرض الهوى وارتوى بماء الشباب لأماء السحاب فأجنتا ثمرة الأول .

(٣) تهادى : بمعنى مشية في مهل وتناقل ، وتزنو : تنظر بمؤخر عينها ، يعني أنها تهادى بين أثرها يكاد ينعدم ما انطوى عليه الوشاح من الحصر ، وتكر سيف لظها من جلون فائرة مرصنة .

(٤) تسفر : مضارع سمرت المرأة سفورا كشفت الثياب عن وجهها ، يحول : إذا برزت لرجل برزت وراء حجاب يسونها من صفها وإذا بدت لهم سافرة ستر وجهها قاب من المياه والحجل .

(٥) الههاد : اللطر ، وصوبه تزوله ، والربيع : للوضع الذي يتزلزل فيه أيام الربيع ، ولا زال مرهبها في ملل : أى ولا زال للطر يسوب في مرهبها حتى يميل لكثرة تزوله ، وفي الأصل :

« ولا مل مرهبها في ملل » وجاء في ابن الأثير : في حديث الاستسقاء قال الله للسحاب وملتنا ، كذا في رواية مسلم ، قيل من ملل أى كثر مطرها حتى ملتنا . انظر ج ٤ ص ١٠٩ من النهاية لابن الأثير .

مَرَادُ - مِنَ الْحُبِّ - غَضُّ الْجَنَى ، لَدَيْهِ - مِنَ الْوَصْلِ - وَرَدُّ هَلَكِ
لِيَاكِ مَا أَفْكَتْ يَهْدِي السُّرُورَ حَبِيبُ سَرَى ، وَرَقِيبُ غَفَلِ
زَمَانٍ كَانَ الْفَتَى الْمَسْلَمِيَّ تَكْنَفُهُ عَدْلُهُ فَاعْتَدَلِ
تَدَارِكُ^(١) مِنْ حُكْمِهِ أَنْ يُعِيدَ بِهِ عِزَّةَ الَّذِينَ أَيَّامَ ذَلِكَ
وَيُوضِحَ رَسْمَ الثَّقَى - إِذْ هَفَا - وَيُطْلِعَ نَجْمَ الْهَدَى إِذْ أَقْلَنَ

حِجْدَنَا « الْمُظَفَّر » لَمَّا رَأَى * « يَنْصُورِنَا » سِيرَةً فَاثْتَمَلَنَ
مَلِيكَ تَجَلَّى لَهُ غُرَّةٌ تَأْمَلُهَا عِيسَةُ تُهْتَبَلَنَ
أَشْفُ الْوَرَى - فِي الثَّنَى - رُبْنَةُ وَأَشْهَرُهُمْ - فِي الْمَالَى - مَثَلُ^(٢)
وَأَحْزَى الْأَنْكَمِ بِأَمْرِ وَهْنِي وَأَذْرَى الْمُلُوكِ بِسَفْدٍ وَحَلْ
يَمَافٍ لَهُ النَّجَافُ مِنْ يَتِيمِهِمْ بِمَا أَوْرَثَ التَّبَعُونَ الْأَوَّلَ
سَتَامَ - مِنَ الْمَجْدِ - حَالِي الْفُرَا يَخْلُ الْمِدَامِنَةُ تَحْتَ الْأَظْلَ^(٣)
ثَقِيلَ - فِي الْمُهْدِ - ظِلُّ الْوَاهِ وَسِيمَ النَّهْضِ بِهِ فَاسْتَقَلَّ^(٤)
وَيُطَلَّتْ حَمَالُهُ الْوَافِيَاتُ - مَكَانَ تَعَامِيهِ - فَاحْتَمَلَنَ
وَمَا بَلَّتْ الْبُرْدُ تِلْكَ الدُّمُورُ عِ إِلَّا وَفَى الْبُرْدُ لَيْتَ أَيْلُ^(٥)

(١) في الأصل : « تبارك »

(٢) وقف على « مثل » بالكون مع أنه منصوب لوقوفه تمييزاً ، وريضة يجرول للنصبوب في الوقف
يجري المربوع والمجرور فيقول عليه بالكون ، وقد اضطرته القافية - في غير ما موضع - أن يترك
الاستعمال القاننى من لغة العرب ويلجأ إلى هذه اللفظة .

(٣) باطن مندم البج .

(٤) قليل : استظل ، وسيم : كلف ، بالغ إلى حد الأفراق لجل للدوح وهو في العهد يتود الجيوش
ويطيل ظل الواء ويكلف النهوض بهذا السبب فيستغل بحمل الواء وحده .

(٥) البيت الأيل : الألد الشديد الحسومة .

عَهْدًا لِّلْكَارِمِ فِيهِ مَعَانِ تَبَشِّرُنَا فِيهِ مِنْهَا الْجَمَلِ
تُرَى بَمَدِّ بَشِيرِ يُرِيكَ التَّمَامِ تَهْلِلُ بَارِقُهُ فَانْتَهَكِ
يُصَدِّقُ مَا حَدَّثْنَا «عَنَى» بِرِغْنِهِ، أَوْ أُتْبَأْنَا «لَعَلَّ»
فَمَا وَعَدَ الظُّنُّ إِلَّا وَفَى وَلَا قَالَتِ النَّفْسُ إِلَّا فَعَلْ
فَلَقَى مُنَاوَرَةً مَا أَتَى وَأَعْلَى مُؤَمَّلَهُ مَا سَأَلْ

كَمْ اسْتَوَفَتِ الشُّكْرُ نَسَاوَهُ فَأَقْبَلَ يَتِمُّ مِنْ ذِي قَبْلِ^١
فَمَا يُظِلُّ ، وَتَمَسُّ تُذِيرُ ، وَتَحْزُو يَفِضُ ، وَتَسِفُ يُسَلُّ^٢
نَسِيمُ الْمُحَيَّا ، صَوَاكُ السَّمَاحِ ، لَطِيفُ الْخَوَارِ ، أَدِيبُ الْجَدَلِ
تَوْصِي الْبَلَاغَةِ أَفْلَامُهُ إِذَا مَا الضَّمِيرُ عَلَيْنَا أَمَلُ^٣
يَتَاكَ يُيِّنُ - لِلسَّامِعِينَ - أَنْ مِنْ السَّحْرِ مَا يُسْتَحَلُّ^٤
أَلَا هَلْ سَبِيلُ إِلَى الْغَيْبِ فِيهِ فَكَمْ عَيْنٌ مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كَمَلِ^٥

- (١) يقال : لقيه من ذي قبل (يبتحن ويكسر وضع) أى ليا يطل .
(٢) يقال أمل عليه الكتاب أى أملاه ليكتبه ، وفي الكتاب المزب : (فليكتب وليل الذى عليه الحق)
وبه أيضا : (ونظروا أساطير الأولين اكتبها فعلى نجل عليه)
(٣) السر القى يستحل هو سر الليل ، وفيه الإشارة إلى الليل للمعمور : إن من اليا لاسرا ،
قاله النبي - صلى الله عليه وسلم - حين وفد عليه ، عمرو بن الأثم ، والزربان بن بدر ، وقيس ابن
طام ، فقال عليه الصلاة والسلام عمرو بن الأثم عن الزربان . فقال عمرو : « طاع فى أدبه » سعيد
العارضة ، مانع لما وراء ظهره . فقال الزربان : « يا رسول الله ! إنه ليلى منى أكثر من هذا ، ولكنه
حسدنى » . فقال عمرو : « أما والله ! إنه زمن للرؤى » . ذيق المطن ، أحمى الزاد ، ثم الحال ، والله
يا رسول الله ما كذبت فى الأولى ، ولقد صدقت فى الأخرى ، ولكنى رجل وحيث قلت أحسن ما علمت ،
وسخطت قلت أبلغ ما وجدت . فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « إن من اليا لاسرا » ،
وإنما سعى لبيان سرا لأخبره فى سامه ، وسرعة قبول القابل .
(٤) بين : أصيب بالبن ، من حال المحمود به هو هان والمحمود بين أمياه بالبن ، يقول : هل
من سبيل إلى وجود هيب واحد فيه تر أعين الماسدين ، فكيفما ما أصيب بالبن الكامل الذى لاهس
فيه ولا هيب . وهذا قريب من قول القائل :
« ما كان أحوج ذا الكمال إلى هيب يوفيه من البن . »

لَنْ لَيْسَ الْمَلِكُ رَحْبَ الْمَلَأِ • فَاخْتَالَ مِنْهُ بِذَيْلِ رَقْلٍ
قَاتٍ تَرَوْدُهُ لِمَعَالِي وَإِنْ تَأَهَّبَهُ لِلْجَلِّ
فَأَخْبِرْ سَوَاسِ هَذِي الْأُمُورِ وَتَأْسِكُ أَرْبَابِ هَذِي الدُّوَلِ

وَلَيْتَ الثُّمُورَ قَلَمٌ تَمُدُّ أَنْ رَأَيْتَ الثَّقَى ^(١) وَسَدَدْتَ الْخَلَلَ
سِوَالِكْ - إِذَا قُلْتَ الْأَمْرَ - جَارَ، وَقَعِيرُكَ - إِنْ مَلَكَ النَّيْءُ - غَلَّ ^(٢)
يَحْيَ لَا يَزَالُ لِمَنْ حَلَّهُ أَمَانَانِ : مِنْ عَدَمٍ، أَوْ وَجَلٍ ^(٣)
فَأَنْجِمُ دَهْرِهِمْ سَمْدَةً وَتَمْسُ زَمَانِهِمْ فِي الْحَمَلِ ^(٤)

« أَبَا بَكْرٍ » ائْتَمِعْ أَتَادِيَتَ لَوْ بُنْتُ بِسَمْعٍ عَلِيلٍ أَبْلَى ^(١)
سَأَشْكُرُ أَنَّكَ أَعْلَيْتَنِي بِأَحَقِّي مَكَانٍ وَأَذْنِي عَمَلٍ
وَأَنْتَ إِنْ زُرْتِ لَمْ تَحْتَجِبْ وَإِنْ طَالَ بِي عَجَلٌ لَمْ تَعَلَّ

(١) الثَّقَى : الضاد ، ورواها أصلته .

(٢) « النَّيْءُ » : ما حصل للسلب من أموال الكفار طوا بلا فعل ، وقصيه غير همم الغنائم ، وغل : خال ، وخسه بفهم بالنول (أى الحياة) فى القى واللحم ، وهو من قول الله عز وجل : « وما كان لى أن يذل » .

(٣) عدم أو وجل : أى قرأ وخوف .

(٤) سمدة : صفة للأتمم ، يقال : يوم سمدة ولىة سمدة ، وفى الأصل : « وأتمم دهرهم أسد » وأسد وصف للذكر ، ولا يصح وصف الأنثى به ، وفى السماء كواكب يقال لكل منها : « سمدة » وسمود النجوم حشرة وفى : « سمدة الداج » ، وسمدباج ، وسمدة السود ، وسمدة الأخية ، وسمدة ناشره ، وسمدة للذك ، وسمدة البهائم ، وسمدة الحمام ، وسمدة البارع ، وسمدة مطر .

(٥) صبح من مرهه .

تَبَسَّمتُ ثُمَّ ثَبَّتَ الْوَسَادَ فَحَسَنِي مِنْ خَطَرٍ مَا أَجَلُ^(١)
فَلَوْ صَافَحَ الثَّبَرُ خَدِّي لَهَادَ وَلَوْ كَثَرَ الْقَطَرُ شُكْرِي لَقَلَّ
بِأَثْنِهَا يُسْتَرْقُ الْكَرِيمُ إِذَا مَطْمَعٌ بِسِوَاهُ أَخْلُ

فَلَا تَمْدَمَنَّ الْمَسَامِي أَلَيَّ لِأَمْ الْمُنَاوِيكَ فِيهَا الْمَجَلُ^(٢)
فَأَنْتَ الْجَرِيُّ - إِذَا الشَّبَلُ هَابَ وَأَنْتَ الدَّلِيلُ، إِذَا النَّجْمُ مَلَّ
وَمَا أَبْنُكَ إِلَّا جِلَاءَ الْعَبُونِ إِذَا نَاطِرٌ - بِسِوَاهُ - أَكْتَغَلُ
رَيْبُ السَّيَادَةِ - فِي حِجْرِهَا - تُدِرُّ لَهُ ثَدْيَيْهَا إِذْ حَفَلُ^(٣)
تَمَكَّنَ يَتَلَوَّكُ - فِي الصَّالِحَاتِ - فَلَمَّا تَفَتَّحَتْهُ ، وَلَمَّا يَتَلَنُ

(١) ثبت الوساد : الوساد للثَّاء ، وتثنيه أي رددت بعده على بش ، وفكك لثنيه ، أو ثنيه جعلت له ثانيا وضمت عليه ليحصل الارتفاق ، والاتكاء عليه عند الجلوس ، وهذه الحفاوة إما أن تكون حلت بصل مباشر من الملك تواضعا منه ومبالغة في إكرام ذي الوزاريين (ابن زيدون) ، وإما أن تكون حلت من الخدم والاتباع بناء على أمر الملك ، يقول في هذا البيت والبيتين قبله : سأشكر لك أنك أطبت مكاني ، وأدبرت علي ، وإني إن زودتك لم تحجب وإن طال بي الجلوس في مجلسك لم تسأم ولم تمل ، وإني إن جئت زائرا تبسمت وتثبت الوساد احتفاء بي ، فحسي هذا من خطر عظيم وعرف ما أجله وما أعطته .

(٢) يقال : مكنت أمه مكنته ، ولأمة المجل أي التكل - قال الشاعر :

« والناس من يلق خيرا ، قالوا له ما ينفعني ، ولأم أخطى المجل . »

وقال الجعفي :

« ولا كم البني ، ثم انساب نحوكم بالعرفية فيها التكل والمجل . »

وقال العري :

« دع آدماء - لا شفاء الله من مل - ليكن على رءوس القتلوا ما يلا . »

(٣) حفل : امتلأ ، حفل الابن في الضرع يحفل حلا وحولا ، وتحفل واحفل : اجتمع وهذا ضرع حليل أي مملوء لبناً .

ذكرى قرطبة وإيام الصبا

تَنَشَّقُ - مِنْ عَرَفِ الصَّبَا^(١) - مَا تَنَشَّقَا

وَمَا وَدَّ ذِكْرُ الصَّبَا فَتَشَوْقَا

وَمَا زَالَ لَمَعَ الْبَرْقِ - لَمَّا تَأَلَّفَا -

يُجِيبُ بِدَمْعِ الْعَيْنِ حَتَّى تَدْفَقَا ، وَهَلْ يَمْلِكُ الدَّمْعُ الْمَشُوقُ الْمَصْبَا^(٢)

* *

خَلِيلِي - إِنْ أَجَزَّعَ - فَقَدْ وَصَحَ الْمُدْرُ

وَإِنْ أَسْتَطْلَعَ صَبْرًا فَرَنْ شَيْتِي الصَّبْرُ

وَإِنْ يَكُ رُزُوا مَا أَصَابَ بِهِ الدَّهْرُ

فِي يَوْمِنَا نَحْرُ ، وَفِي قَدَرِهِ أَمْرُ^(٣) ، وَلَا تَحِبُّ ، إِنْ الْكَرِيمُ مُرَرًا

(١) الصبا : روح الصبا أى روح العيال . والمرف : الطبيب .

(٢) يجيب : مضارع أحاب يصاحبه دواء ، أى يدعو النعم ليتدفق ، والمصبا : ذو العصبوة ، والعصبوة جهة القوة يقال صبا صبوا وصبا وصباء . وصي إليها - كرمى - حن ، وأصبته المرأة وتعبته : شاقبه ودعته إلى الصبا لمن إليها .

(٣) فى التل : « اليوم غر وغدا أمر » وقد قال امرؤ القيس حين بلغه قتل أبيه ، ومناه : اليوم نهور وتتم تاركين إلى النداء ما علينا من الواجبات والفروض . ويروى ، وهو أيضاً لامرؤ القيس : « اليوم صفاء ، وغدا ظلم » والصفاء جمع صف ، وهو إناه يعرب فيه ، والتفاف : المناقعة من قف الهامة شفاها عن الدماغ .



رَمَيْتِ اللَّيْلِي هَبْ قِسِي النَّوَابِ
فَمَا أَخْطَأْتَنِي مُزَسَّلَاتُ الْمَصَائِبِ
أُفْقَى نَهَارِي بِالْأَمَانِي الْكَوَاكِبِ
وَأَوَى إِلَى لَيْلِي بِطَلِي الْكَوَاكِبِ ١



أَفْرُطِبَةُ الْفَرَاءِ أَهْلَ فَيْكِ مَقْطَعُ ؟
وَهَلْ كَبِدُ حَرَّى لَيْتِكَ تَنْقَعُ ؟
وَهَلْ لَيْلَايِكَ الْحَيْدَةُ مَرْجِعُ ؟
إِذِ الْحُسْنُ تَرَأَى فَيْكِ وَاللَّهُ مُسْمِعُ وَإِذَا كَفُفَ الدُّنْيَا لَدَيْكَ مُوَعَا ٢

(١) إشارة إلى البيت للمهزوم في قصيدة التائبة الثانية :

« كَلْبِي لَمْ يَأْمِيَةَ نَاصِبٌ وَلَيْلِ أَنْفَسِي بِطَلِي الْكَوَاكِبِ
تَطَاوَلَ حَتَّى قَلْتُ لَيْسَ بِمَعْلُومٍ وَلَيْسَ الَّذِي يَرْمِي النُّجُومَ بِأَنْبِ
وَصَدَرَ أَرْجَحُ الْإِيلِ طَازِبٌ هَمٌّ تَنَافَسَ فِيهِ الْحَزَنُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ »

جبل صدره مألماً للهجوم وجبل المهزوم كلالاً بالمأزبة بالنهار حتى إذا أتى الإيل أراحته الراحة في أماكنها والتائبة أول من جبل المهزوم تعذب بالنهار وتزايد بالليل ، وبه الشعراء في ذلك ، قال مجنون ليلى :

« يَضُمُّ إِلَى الْإِيلِ أَهْوَائِهِمْ كَمَا ضُمُّ أَزْوَاجِ الْفَيْسِ الْبَيْتَانِي »

وقال ابن العمينة :

« نَهَارِي نَهَارِ النَّاسِ حَتَّى إِذَا بَدَأَ لِيَ الْإِيلِ هَزَمْتُ إِلَيْكَ الْمَضَاجِ
أُفْقَى نَهَارِي بِالْجَدِثِ وَبِلَيْلِي وَبِجِدِّي وَاهُمٌ بِالْإِيلِ جَامِعٌ »

ولهذا السبب ترم الشعراء بتأويل الإيل قال :

« كَوَاكِبُ لَيْلَةٍ طَالَتْ وَهَمَتْ فَهَذَا السَّجَّاحُ رَاحِمَةُ الْحَوْدَى »

وقال امرؤ القيس :

« ذِيكَ مِنْ لَيْلٍ كَانَ نَهْرَهُ بِكُلِّ مَنَارٍ الْفَتْلُ شَدِيدٌ يَذْبُلُ »

وقد أكثر الشعراء من أمثال هذه المعاني فلننجز هذه الأبيات .

(٢) مواعاً : ميسر مدلل .

أَلَيْسَ هَيْبَا أَبْ تَشْطُ النَّوْىَ بِكَ
فَأَحْيَا كَأَنْ لَمْ أُنْسَ نَفْعَ جَنَابِكَ
وَلَمْ يَلْتَمِمْ شَفِى خِلَالَ شِعَابِكَ
وَلَمْ يَكْ خَلْقِي بَدْوَهُ مِنْ ثَرَابِكَ وَلَمْ يَكْتَفِنِي مِنْ نَوَاحِيكِ مَلْئَانًا

تَهَارُكِ وَمَنَاحٍ ، وَلَيْتُكَ خُصِيَانُ
وَتُرْبُكِ مَصْبُوحٍ ، وَغُصْنُكِ نَشْوَانُ
وَأَرْضُكِ تَكْنَى ، حِينَ جَوْكِ عُرْيَانُ
وَرِيَاكِ رَوْحٌ - لِلنَّفُوسِ - وَرِيحَانُ وَحَسْبُ الْأَمَانِي ظِلُّكِ الْمُتَقِيَانُ (١)

أَأُنْى زَمَانَا « بِالْمُعَاقِبِ » مُرْفَلَا
وَعَيْنَا بِأَكْنَافِ « الرِّصَافَةِ » دَغْفَلَا (٢)
وَمَنْفَى - إِذَا « الْجَعْفَرِيَّةِ » - أَقْبَلَا
لَنِعْمَ مَرَادُ النَّفْسِ وَوَحْنَا وَجَدُولَا وَنِعْمَ غَلُّ الْمَنْبُوءَةِ الْمُتَبَوُّلَا

وَيَارُبَّ مَلَقَى « بِالْعَقِيقِ » وَتَجَلَّسِ
لَدَى ثُرْعَةٍ ، تَزْنُو بِأَحْدَاقِي تَرْجِسِ
بِطَلْحٍ هَوَاهِ مُطْمِعِ الْحَالِ مُؤَيِّسِ
مَغْنَمٍ وَلَكِنْ مِنْ مَنَا الرَّاحِ - مُشْمِسِ إِذَا مَا بَدَتْ - فِي كَأْسِيهَا - تَلَلَا

(١) هَيْبَان : أى بارز ظاهراً لا يستره ظلام ، وذلك لكثرة ما يضاء فى قرطبة من المصاييح والشمج
بالليل ، وعريان : هو يريد أن أرضها مكسوة بالنبات وجوها هو صالى الأديم ، للنبأ : الذى يستظل به
ويستريح فيه للليل . (٢) الدغفل : الحبش الواسع الحصب .

وَقَدْ صَنَعْنَا مِنْ «عَيْنِ شَهْدَةٍ» - مَشْهَدًا
 بَدَأْنَا وَعَدْنَا فِيهِ ، وَالْمَوْدُ أَحَدُ
 يَرْفُ عَرُوسَ اللَّهِوِ أَحَوْرُ أُغَيْدُ
 لَهُ مَبْنِيٌّ عَذْبٌ ، وَخَدُّ مُورَدٌ ، وَكَفٌّ - بِحَنَاءِ الْمُدَامِ - تُقْنَأُ ^(١)

* *

وَكَاثِنٌ عَدَوْنَا - مُصْعِدِينَ - عَلَى الْجَنَسِ ^(٢)
 إِلَى الْجَوَسِقِ ^(٣) النَّصْرِيُّ يَبْنِي الرَّبَّ بِالْعَقْرِ
 وَرُخْنَا إِلَى الْوَقْصَاءِ ^(٤) مِنْ شَاطِئِ النَّهْرِ
 بِحَيْثُ هُبُوبُ الرِّيحِ حَاطِرَةِ النَّشْرِ عِلَا قُصْبِ الثَّوَارِ ، فَهِيَ تُكْنَأُ

* *

وَأَحْسِنُ بِأَيَّامٍ - خَلَوْنَ - مَوَاحِلَ
 بِمَضِيَّةِ الدُّلَابِ ، أَوْ قَصَرِ نَاصِحِ
 تَهْزُ الْمَبَا - أَتْنَاءَ تِلْكَ الْأَبَاطِحِ -
 صَفِيحَةً سَلْسَالِ الْمَوَارِدِ سَاحِجٍ تَرَى الشَّمْسَ تَجْمَلُونَ نَصْلَهَا حِينَ يَصْدَأُ ^(٥)

(١) هَذَا : تَصْبِغُ بِالْوَلَدِ الْأَحْمَرِ الْقَتَايَ ، وَذَلِكَ حِينَ تَمْلِكُ بِالْكَاسِ فَيَنْكَسُ عَلَيْهَا مِنْ لَوْنِ الزَّارِجِ مَا يَهْبِهُ
 الْحَضَابُ بِالْحَنَاءِ . (٢) وَكَمْ جَرَيْنَا صَاعِدِينَ عَلَى الْجَسْرِ .

(٣) الْجَوَسِقُ : الْقَصْرُ ، وَالرَّابَا : جَمْعُ دَبُورَةٍ ، وَهِيَ مَا ارْتَفَعَ مِنَ الْأَرْضِ وَالْمَرْجِعُ غُرَاءَ - وَهِيَ أَرْضٌ
 يَبْضَاءُ لَمْ تَوْطَأْ .

(٤) الْوَقْصَاءُ : رَايَةُ مِنْ رَمْلِ لِيْنَةٍ تَهْتَبُ أَحْرَارَ الْبَقُولِ .

(٥) يَمْجُلُ : إِذَا دَوَّجَ الْمَبَا تَهْزُ خِلَالَ تِلْكَ الْأَبَاطِحِ صَفِيحَةً جَدُولَ سَلْسَالِ الْمَوَارِدِ سَاحِجٍ فِي الْأَبَاطِحِ ،
 وَالْقَسَسُ تَجْمَلُ لَمَّا نَظَرَ هَذَا الْجَدُولَ التَّيْبَةَ بِصَفِيحَةِ السَّيْفِ حِينَ يَهْدَأُ مِنَ الظَّلِّ .

وَيَا حَبْدًا « الزَّهْرَاءُ » بَهْجَةً مَنْظَرٍ
وَرِقَّةً أَنْفَاسٍ ، وَحُجَّةً جَوْهَرٍ
وَأَهْلِيكَ مِنْ مَبْدَأِ جَمَالٍ وَخَضِرٍ
وَجَنَّةٍ عَذْبٍ تَطْلِيكَ وَكَوْثَرٍ يَرَى زَيْدُ الْقَمَرِ طِيكَ - وَيَسْأَلُ^(١)

مَعَاهِدُ - أَبْنِيهَا - لِعَهْدٍ تَصَرَّمَا^(٢)
أَغْضَى - مِنْ الْوَرْدِ الْجَنِيِّ - وَأَنْتَمَا
لَبَسْنَا الصَّبَا فِيهَا حَبِيرًا مُتَمَتَّمَا^(٣)
وَقَدْ نَأَى - إِلَى اللَّذَاتِ جَبْشًا عَرَمَرَمَا لَهُ الْأَمْنُ رِذْوًا^(٤) وَالْفِدَاوَةُ مَرْبَأًا

كَسَاهَا الرِّبْعُ الطَّلَقُ وَشَى الْحَمَائِلُ^(٥)
وَرَأَتْ لَهَا مَرْغَى الرِّيَّاحِ الْبَلَائِلُ
وَفَادَى بَثْوَهَا النِّبْشَ حُلُوَ الدَّهَائِلُ
وَلَا زَالَ مِنَّا بِالضُّخَا وَالْأَصَائِلُ سَلَامٌ - عَلَى تِلْكَ الْبَاكِدِينَ - يُقْرَأُ

(١) طليكَ : تمجيدك وتزديعك ، يسأ : يؤخر ، أى يطيل العمر ، وقد مرَّ التصريف بأزهاره وغيرها من آثار « قرطبة » فى الحاشية ص (٥٤ - ٥٦) فارجع إليها إن شئت .

(٢) تصرم : اتقى وفات :

(٣) الحبير : التامم الجديد ، وضرب من برود العين والنسيم : للتفوش اللوى .

(٤) رده : طهر أوسمين .

(٥) الحمايل - جمع حيلة - وهى للوضع الكبير للفتور .

أَخَوَاتِنَا | لِلْوَارِدِينَ مَصَادِيرُ
وَلَا أَوْلَى إِلَّا سَبَّحُوهُ آخِرُ
وَأَنَّى - لِإِفْتَابٍ ^(١) الْوَعْدَانِ - لَنَظِيرُ
فَقَدْ بَسَّطَ الْجَدَّ - وَالْجَدَّ عَارِ - وَتَحَمَّدَ عَقِي الْأَمْرِ مَا زَالَ يُشْنَأُ ^(٢)

* *

ظَلَمْتُ، فَكَانَ الْحُرُّ يُخْفَى فِي ظِلِّهِ ^(٣)
وَأَصْبَحْتُ أَسْلُو بِالْأَمَى ^(٤) حِينَ أَحْزَنُ
وَقَرَّ - عَلَى الْيَأْسِ - الْفَوَادُ الْمُوْطِنُ
وَأِنْ بِلَادًا - هُنْتُ فِيهَا - لَأَهْوَنُ وَمَنْ رَامَ مِثْلِي بِالْذَّنْبِ أَذْنَأُ

* *

وَلَا يَنْقُطُ الْأَعْدَاءُ كَوْنِي فِي السَّجْنِ
فَلَأَنِّي رَأَيْتُ الشَّمْسَ تَحْصَنُ بِاللَّجْنِ ^(٥)
وَمَا كُنْتُ إِلَّا الصَّارِمَ الْمَضْبُوبِ فِي جَفْنِ ^(٦)
أَوِ الْبَيْتِ فِي قَابٍ، أَوِ الْعَقْرِ فِي وَكْنٍ ^(٧) أَوِ الْمَلَقِ يُخْفَى - فِي الصُّوَارِ - وَيُجْبَأُ ^(٨)

(١) الاحباب : إرضاء الماتب .

(٢) بسطيل : يهنئ ، والجدة : الخط . ويشنأ : يهنئ .

(٣) أي رحلت فكان رجلي هذا لأنني لقيت جنه فترحت من مكان الجفوة والحر إذا ثبت به أوتنه

حاجر إلى غيرها . (٤) الأسي : جمع أسوة ، وهي التأسى والتجمل ، قال ابن دريد :

« فأن عثرت بهما - إذ وألت غلى من هاتل - فتولا : لالها . »

وإن تكن مدبأ موصوفة بالخصسلطت الأسي على الأسي .

أي سلكت الصغر والتجمل هل الحزن .

(٥) اللجن : النيم . (٦) جفن : محمد (٧) الوكن : عش الطائر ، لوكة مثله .

(٨) الصوار : وماء السلك .

* *

يَضِيقُ - بِأَنْوَاعِ الْمَبَايَةِ - مَذْهَبِي
إِلَى كُلِّ رَحْبِ الصَّدْرِ مِنْكُمْ - مُهْدَبٌ
مَقْضِي لَأَلَاءِ الْأَسَاوِيرِ مَذْهَبٌ ^(١)
يُنَافِسُ مِنْهُ الْبَدْرُ غُرَّةَ كَوْكَبٍ دَرَى أَنَّهَا أَبْغَى سَنَاءً وَأَضْوَأُ

* *

أُسِفْتُ، فَمَا أَرْتَاحُ - وَالرَّاحُ ثَقِيلُ -
وَلَا أُسِفُّ الْأَوْتَارَ - وَهِيَ تَرْسَلُ -
وَلَا أَرْهَوِي عَنْ زَفَرَةٍ - حِينَ أَعْدَلُ -
وَلَا لِي - مُذْ قَارَتْكُمْ - مُتَعَلِّلٌ سِوَى خَبَرٍ مِنْكُمْ - عَلَى النَّأْيِ - يَطْرَأُ

* *

حَدَّثْتُمْ - مِنَ الْأَيَّامِ - لَيْنَ خِلَافِهَا
وَمَرَّتْكُمْ الدُّنْيَا بِمُسْنٍ دَلِيلِهَا
مُؤَمَّنَةٌ مِنْ عَثْبِهَا وَتَلِيلِهَا
وَلَا زَالَ مِنْكُمْ لَا يَسُ مِنْ ظِلَالِهَا يُسَوِّغُ أَبْكَارَ الْمَنَى وَيُهِنُّ

(١) أساوير الوجه : محاسنه ، والأساوير - جمع أسرار والأمراد جمع سراد وهي خطوط الكف .

إلى ابن عبيدوس^(١)

« وكتب إليه الوزير الكاتب أبي علي

ابن عبيدوس معاتباً . »

(١) كان بين ابن زيدون وابن عبيدوس صداقة أصيلة - بعد صداقة أكيدة - وكان من أكبر أسباب تلك الصداقة تنازعهما على «ولادة بنت المستكفي» وقد كانت هذه الصداقة حاضرة لابن زيدون على إلغاء هذه الصداقة، كما كانت حاضرة له على إنشاء رسالته الخيرية للصمود التي ستمر بك في هذا الكتاب . وقد كتب ابن نباتة في مقدمة الرسالة كلمة تمهيدية ظل بها أسباب هذه الصداقة كما كتب صاحب نفع الطيب وغيره ونحن نختار بما على :

كانت بمرطبة امرأة غريبة من بنات خلفاء القرب الأمويين اللذين إلى عبد الرحمن بن الحكم المعروف بالهاخل - من بني عبد الملك بن مروان تسمى : «ولادة بنت المستكفي بالله عهد بن السطيف بالله عبد الرحمن» أجمل حجابها - بعد نكبة أبيها وقتل وتغلب ملوك الطوائف - في خير طویل - ثم صارت تهبس القصر، والكتاب وقاصدهم ومحاضرم ويحشونها الكبراء منهم ، وكانت ذات خلق جميل وأدب نحس ونوادير عجيبة ، ونظم جيد فمن ذلك ما كتبت به لابن زيدون وهي راضية عنه تقول :

«ترقب-إذا جن الغلام- زيارتي فاني رأيت القيل أكرم قمر

وفي منك ما لو كان بالبدل لم يفره وبالقيل لم يظلم، وبالتجيم لم يصر . »

وتولها فيه وهي عليه نحس :

«إذ ابن زيدون- على فضله- يلهج في شتا ولا ذنب لي

يلحظني شورا إذا جئته كلما جئت لأخصي على . »

تسمى غلاما له يسمى عليا . وكان سبب تولها فيه هذا القصر أنه اتهمها بمواصلة الوزير «أبي طاهر بن عبيدوس» وكان يلقب بالفلر ، فقال فيه وفيها :

«ميرتونا بأن قد صار غفلتنا شين نحب-وما في ذاك من طار

أكل شيء» أسبنا من أتابيه بسنا، وبسنا سفحتنا عنه قمار . »

ومن شعرها ما كتبت به على كها وقيل : على تاجها :

«أنا والله أصلح للمال وأضيق مشيق وأتبه فيها

وأمكن عاشق من لم تفرى وأعطى تليل من يشتهيها . »

ومما ينسب إليها وهو عندي كثير على شعر امرأة :

«لما ظنكم تبحرنا في المعنى ولما ظننا يبحرنا في الحسدود

جرح يجرح ، فاجعلوا ذا بقا فإنا اتى أوجب جرح الصدود . »

وكان ابن زيدون كثير الشغف بها ، وليل إليها ، وأكثر غزل شعره فيها وفي اسمها ، ثم إن الوزير «أبا طاهر بن عبيدوس» أيضا علم بها وكان يصفرتها ، وكان يمدح لظرف والأدب ، وكانت «ولادة» كثيرة البيت به ، ولها منه نوادر غريبة ، ومن نوادرها الغريبة أنها صرت يوما يدار «ابن عبيدوس» وهو جالس بالباب وحوله جماعة من أصحابه - وأسلمه بركة تولد من سراجين وألفار- فوفقت عليه وقالت يا أبا طاهر :

«أنت المصطب وهذه مصر قدسها فكلاكم بحر . »

أَثَرْتُ هَزْزَ الشَّرَى - إِذْ رُبْعَن - وَتَبَّهْتُ إِذْ هَذَا فَأَتَمَمْتُ (١)
وَمَارِلْتُ تَبَسُّطُ (٢) مُسْتَرَسِلًا - إِلَيْهِ يَدَ الْبَنَى لَمَّا انْقَبَضَ

* *

حَذَارِ حَذَارٍ فَلَانَ الْكَرِيمَ - إِذَا سِيمَ خَسَفًا - أَبَى فَأَتَمَمْتُ
فَلَانَ سَكُونَ الشَّجَاعِ النَّهْوِ سِ (٣) لَيْسَ بِمَانِيَةٍ أَنْ يَبْعُثُ
وَإِنْ الْكَوَاكِبَ لَا تُسْتَزَلُّ وَإِنَّ الْمَقَادِيرَ لَا تُفْتَرَضُ
إِذَا رِيغَ فَلْيَقْتَصِدْ مُشْرِفٌ مَسَاجٍ يُقَصِّرُ عَنْهَا الْحَفِضُ (٤)
وَهَلْ وَارِدُ النَّمْرِ مِنْ عِذِّهِ يُقَاسُ بِهِ مُسْتَشْفِ الْبَرَضُ (٥)

لم يخرجوا، فحقت وحفظت هذه النادرة، واشتغل بها الناس، وهذا البيت لأبي نواس فحقت به وقته هذا
القليل الحسن من - المدح إلى الهباء - وكان كثيرا ما يضعها ويبنى النفر بها ، وفي ذلك يقول ابن زيدون :

« وفرك من عهد ولادة - سرا بترامى ويرق ومضى

في الماء بأبي على فابض ومنع زبدته من غش . »

وكان أول أمرها معه والباحث لابن زيدون على إنشاء هذه الرسالة : أن «ابن مبدوس» لما سمع بها أرسل
إليها امرأة من جهته لتعيلها إليه وتذكر لها عنايته ومناقبه وترغبها في النفر بمواصلته ، فبلغ ابن زيدون
ذلك ، فكتب هذه الرسالة البديعة جوابا له من لسانها تتضمن هذه الترائب من سب أبي مامر والتهكم له
والهباء له وجعلها جوابا له على لسان ولادة ، وأرسلها إليه عبيد بن جريح - للرأفة قبلت منه كل مبلغ واشتهر
ذكرها في الأفاق ، وأمسك «ابن مبدوس» عن التمرض لولادة إلى أن اغفل «ابن زيدون» إلى «اشيلية» وتوفي بها
تسعة الله رحمة ، وفكر لنا ولهم منه وكرمه. هذا معنى ما ذكره ابن حبان وابن بشار وغيرهما من اللورخين .
(١) أثرت : حجت ، والمخرير : من أساء الأسد ، والفرى : موضع تكثر فيه الأسود ، وريش :
أوى إلى حريمه ، وهذا : نلم .

(٢) يقول : وما زلت تبسط يد البطش والبنى على ذلك الأسد الزايف في بحشه على حين أنت يده
للجنة حكة .

(٣) التماس : الضموس ، والشجاع المذكور من الحيات ، قال الناطل :

« أتبع له - وكان أعا حبال - شجاع - في الحظاظ - مسكن . »

(٤) الحفص : الجبل الضيف .

(٥) المد : أراد به هنا معين الماء اتقى له مادة لا تنقطع ، يقال ماء عد أى كثير دائم لا ينقطع ،
البرش : القليل . قال ابن دويد :

« أرمق العيش على برش فان ومشارشفا ومتصبللتى . »

يقال ماء برش (بالسكون) أى قليل وهو خلاف النفر ، والسلف : الذى يأتي على آخره على الأداة عند التفرغ .

إِذَا الشَّمْسُ قَابَلَتْهَا - أَرْمَدًا - فَحَطَّ جُفُونِكَ فِي أَنْ تُغْمَضَ (١)

* *

أَرَى كُلَّ مُجَرِّدٍ أَبَا حَامِرٍ ، يُسِرُّ إِذَا فِي خَلَاهُ رَكْعَتُ
أَعْيُذُكَ مِنْ أَنْ تَرَى مِنْزَعِي (٢) إِذَا وَتَرَى بِأَلْمَانَا أُنْقَبَضُ
فَلَمَّا أَلَيْنُ لِمَنْ لَانَ لِي وَأَتْرَكْتُ مَنْ زَامَ تَسْرِي حَرَضِ (٣)
وَكَمْ حَرَكَةُ الْعُجْبِ مِنْ حَائِنٍ فَقَادَرْتُهُ ، مَا بِهِ مِنْ جَبَضِ (٤)

* *

« أَبَا حَامِرٍ » أَيْنَ ذَاكَ الْوَقَاهُ إِذَا الدَّهْرُ وَسَنَانُ ، وَالنَّبَشُ غَضُ ؟
وَأَيْنَ الَّتِي كُنْتَ تَمْتَدُّ مِنْ مُصَادَقَتِي الْوَاجِبِ الْمُفَرَّضُ ؟
تَشُوبُ وَأَعْضُ (٥) مُسْتَبْقِيَا وَهَيْهَاتَ مَنْ شَابَ مِنْ غَضُ ؟

* *

أَبْنِي لِي ، أَلَمْ أَضْطَلِعْ نَاهِيًا (٦) بِأَعْيَاهُ بَرَكْ ، فِيمَنْ نَهَضُ ؟
أَلَمْ تَنْشَ مِنْ أَدْبِي نَفْعَةً حَسِبْتَ بِهَا الْمِسْكَ طِيًّا يُغَضُ ؟

(١) قال الفلي :

« قد تكرر العين ضوء الشمس من ومد ويكرر الفم طعم اللاء من سلم . »

(٢) للترج : النهم الذي يرى به أهد ما يقدر عليه لظدر به النوة قال الأعمى :

فهو كالترج للریش من الشو حط خالت به يمين النال

(٣) حرض : ساقط لا يجرى على النهوض .

(٤) الجيش : التحرك والصوت ، والقوة وبهاء الحياة ، يقول : كم دفع الغرور من قرب حينه إلى من
وأى فكرته ميلا لأحراق به .

(٥) أي تخرج الصالح بالكدر وأسبك المعوى خالسا من كل شائبة .

(٦) وفي رواية : « طابا »

أَلَمْ تَكْ مِنْ شَيْئِي قَادِيَا إِلَى ثَرْجٍ صَاكَحَكْنَهَا قُرْضٌ^(١) ؟
وَلَوْلَا اخْتِصَانُكَ لَمْ أَتَقَتِ لِحَالِيكَ مِنْ صِحَّةٍ أَوْ مَرَضٍ
وَلَا عَادِيٍّ - مِنْ وَفَاءٍ - مُرُورٍ وَلَا فَالَتِي - لِحَقَاءٍ - مَضْنٍ
يَعْرِ أَعْتِصَارُ الْفَتَى وَارِدًا إِذَا الْبَارِدُ الْعَذْبُ أَهْدَى الْجَرَضِ^(٢)

* *

عَمَدَتِ لِيَسْمُرِي وَلَمْ تَتَكَبَّ^(٣) تَكَارِضُ جَوْهَرُهُ بِالْعَرَضِ
أَسَاكَتْ أَسَاكِبُ هَذَا الْقَرِيضِ ؟ أَمْ قَدْ عَفَا رَشْمُهُ قَا تَقْرَضِ ؟

* *

لَعَنَرِي لَفَوَّتَ مِنْهُمُ النُّصَالِ وَأَرْسَلْتُهُ، لَوْ أَسَيْتَ الْفَرَضِ^(٤)
وَتَحْمَرَّتْ لِلْخَوْضِ فِي لُجَّةٍ - هِيَ الْبَحْرُ - سَاكِهَا لَمْ يَخْفُضْ
وَعَرَّكَ مِنْ عَهْدٍ « وَلَادَةٍ »^(٥) مَرَابُ تَرَامَى وَبَرَقُ وَمَضْنُ
تَقْلُنُ الْوَفَاءَ بِهَا وَالظَّنُّ نُنْ فِيهَا تَقُولُ عَلَى مَنْ قَرَضَ :
« هِيَ الْمَاءُ يَأْبَى عَلَى قَائِضٍ »^(٦) وَيَمْنَعُ زُبْدَتَهُ مِنْ تَحْفَضِ

(١) القرض - جمع قرصة ، والقرصة من التهرطقة يستق منها ومن البحر يحط السفن .
(٢) وفي الأصل : « ولكن من اختصار الفتى واردا » ، والجرض منناه الممس بالرق ، يقال جرس برقه : اجله بالجهد . والاعتصار : أن ينس الانسان بالطعام فينصر بالماء ، وهو أن يصره قليلا قليلا ، قال عدي بن زيد :

« لو بهر الماء حاقى عرقى كنت كالنصاراء بالماء احصارى .

(٣) ولم تأل جهداً . (٤) القرض : العذب .

(٥) وفي الأصل : « وعرك من عهد ضالة » ولكنه في بقية الروايات : « ولادة »

(٦) وفي رواية : « هي الماء يزحلى قايض » .

وَبُشَّتْهَا بَدْيِ اسْتُحْدِثَتْ بِسِرِّى إِلَيْكَ لَعَنَى عَمَضُ

* *

« أَبَا حَالِرٍ ، عَثَرَةٌ قَاسْتَعَلِ لِتُبْرِمَ مِنْ وَدَّنا مَا أَتَقَعُ

وَلَا تَقْتَصِمُ مَلَّةً بِالْحِجَابِ ^(١) وَسَمِّ قَرُبٍ أَحْتِجَابِ دُحَضِ

وَالْأُ أَتَحَنَّاكَ جُبُوشُ الْعَتَابِ مُنَاجِرَةٌ فِي قَفِيعِ وَقَضِ

* *

وَأَنْذِرْ خَلِيلَكَ مِنْ مَاهِرٍ يَطِبُّ الْجُنُونِ إِذَا مَا عَرَضَ

كَفِيلٌ يَطُّ خِرَاجٍ قَسَا ^(٢) جَرَى عَلَى شَقِّ عِرْقٍ نَبَضِ

يُبَادِرُ بِالْكَيِّ قَبْلَ الضَّادِ وَيُسْعِطُ بِالسَّمِّ لَا بِالْحَضَضِ

وَأَشْعِرُهُ أَنِّي أَتَخَبَّتُ الْبَدِيلَ وَأُظِلُّهُ أَنِّي اسْتَجَدْتُ الْبَوْضِ

فَلَا مَشْرِئِي - لِقَالَةٍ - أَمَرٌ وَلَا مَضْجَبِي - لِنَوَاءٍ - أَقْضِ

وَإِنْ يَدُ الْيَتِيمِ مَشْكُورَةٌ لِمَا أَمَاطَ وَوَضَمَ رَحْفَنُ ^(٣)

وَحَسْبِي أَنِّي أَطْبَتُ الْجَنَى لِإِبَانَةِ ، وَأُبْحَثُ النَّفْسَ ^(٤)

وَيَهْنِكَ أَنْكَ يَا سَبْدِي غَدَوْتُ مُقَارِنَ ذَلِكَ الرَّبَضِ ^(٥)

(١) الحجاب : الحاجة والجهد .

(٢) وف الأصل : « خراج جرى » .

(٣) وحسب : عمل .

(٤) النفس : ما سفل من الروح والنفس حسب الشب حين يوجد منه في نفس .

(٥) الربض : الأما ، أو ما في البطن سوى القلب ، وماوى النمل ، وفرك الذى يكليك من اللبن .

مدح ابن جهور وشكر باديس^(١)

« وقال من قصيدة طويلة يمدح بها الوزير

الأجل محمد بن جهور . »

سَلِ الْمَشْرَ الْأَعْدَاءُ إِن رُمْتَ حَرَقَهُمْ - عَنِ الْقَعْدِ إِن أَعْيَاكَ مِنْهُ مَرَامُ
أَتَوْكَ كَأَسَادِ الشَّرَى فَرَدَدَتْهُمْ كَمَا أَجْفَلْتَ وَسَطَ الْفَلَاةِ نَعَامُ
مَضَوْا يَسْأَلُونَ النَّاسَ مِمَّا وَرَاءَهُمْ فَيُخْبِرُهُمْ - بِالْبُكْيَاتِ - عِصَامُ^(٢)

(١) سبق الكلام عن « باديس » وعن « صنهاجة » في ص (٢٢٠ و ٢٢١) من هذا الديوان ، فليرجع إليها من شاء .

(٢) يقول المثل : « ما وراءك يا عِصَامُ ؟ » وجاء في مجمع الأمثال من للفضل الذي أن أول من قال ذلك الحرث بن عمرو ملك كندة ، وذلك أنه لما بلغه جمال ابنة عوف بن علم الشيباني وكلها وقوة عظمها ، دعا امرأة من كندة يقال لها « عِصَام » ذات عقل ولسان ، وأدب وبيان ، وقال لها : أذني حق تسمى لي علم ابنة عوف ، فبنت حق انتهت إلى أمها ، وهي « أميمة » بنت الحرث ، فأعلمتها ما قدمت له ، فأرسلت « أميمة » إلى ابنها وقالت : أي بنية ! هذه خاتك أنت لتضرب إليك فلا تشرى ضيا شيئا إن أودت النظر ، من وجه أو خلق ، وناظيتها إلى استئذنتك ، فدخلت إليها ، فنظرت إلى ملأ ثم قطعت ، ثم خرجت من عند ما وهي تقول : « ترك الخداع ، من كشف الخداع . » فأرسلتها مثلا ، ثم انطلقت إلى الحرث فلما رأها عابدة ، قال لها : « ما وراءك يا عِصَام . » قالت : « صرح الخن من الزبد . » رأيت جبهة كالمرأة للمعولة ، يزينها شمر حلك كاذناب الخيل ، إن أرسلته خلفه السلاسل ، وإن مشيته قلت هاتيك جلها الوابل ، وحليتي كاتما خطا بقلم ، أو سودا بحم ، فهو على مثل عين طيبة صبرة ، بينهما أنف كحر السيف الصنيع ، حفت به وجنتان ، كالأرجوان ، في يافى كالجلان ، شق فيه قم كالقائم لقيح اللبسم ، فيه ثيابا غر ذات أشر ، تلب فيه لسان ، ذو فصاحة وبيان ، يهمل وافر ، وجواب حاضر ، تلتق فيه شفتان حراوان ، في روية يضاء كالفضة ، وكبت في صدر كصدو تخال دمية ، وهذان مدحجان ، يحصل بهما ذراعتان ، ليس فيها عظم عيس ، ولا حرق بجيس ، وكبت فيها كلفان دقيق قصيبا ، لين صعبها ، تعد إن شئت منها الأنامل ، تنأ في ذلك الصدر ثمين كالزمانين يخرقان طيبا ثيابها ، تحت ذلك بطن طوى طوى القباطي اللدجة ، كسر عكنا كالقراطيس للدرجة ، تحيط بذلك لكن سررة كالدمع الجلو ، خلف ذلك ظهر فيه كالبدول ، ينهي إلى خصر لولا رحة الله لا ينقر ، لها كليل يصدمة إذا نهضت ، ونهضا إذا قدمت ، كأنه دهم الزمل ، ليدع سقوط اللؤلؤ ، يحمله غلذان لعاوانه تحبها سافان خدجلان ،

وَمَا صَاقَ عَنْهُمْ جَانِبُ الْعُذْرِ إِنَّهُمْ كَمَثَلِ الْقَطَا لَوْ يُتْرَكُونَ لَتَأْتَمَرُوا ۝

يحمل ذلك قصداً ، كخوف الناس ، عبادك الله مع صغرهما ، كيف يطيقان حل ما فوقهما ؟ . فإرسل الله إلى أبيهما لحظتهما فزوجها إياه ويث بصدقتها لجهزها إليه ، فما أرادوا أن يحملوها إلى زوجها قالت لها أمها : أي بنية ! إن الرخصة لو تركت لفضل أدب لترك ذلك منك ، ولكنها تذكره لئلا ، ومنوعة لئلا ، ولو أن امرأة استفتت من الزوج لئن أبيوها ، وشدة حاجتهما إليها ، لكنت أغنى الناس منه ، ولكن النساء لرجال خلقن ، ولهن خلق الرجال ، أي بنية ! إنك إن فارقت الجو ألقى منه خرجت ، وخلفت المش التي فيه درجت ، إلى وكر لم تعرفه ، وفقرين لم تألفيه ، فأصبح بملكك عليك رقيقاً ومليكاً فكيف له أمة يكن لك عبداً وشيكاً ، إلى آخر ما جاء في هذا الخبر ، قال في جمع الأمثال بعد سيطرة هذا الخبر : وروى أبو حنيفة ، ما وردك على التذكير ، وقال : يقال إن التكلم به الثانية القبيح فله لعصام بن عبيد حلب النعمان وكان النعمان مريضاً ، وقد أرجف بموته ، فسأله الثانية عن حال النعمان ، فقال : « ما وردك بأعصام . » ومثناه ما خلفت من أسر الليل ، أو ما أمألك من حله ، ووراء من الأضداد . (١) يشير إلى لئلا المشهور : « لو ترك القطا لئلا تأم » يضرب لمن حل على مكروه من غير إرادته .

وقد تمثل به الحسين بن علي (رضي الله عنه) في القصة الأخيرة التي تلاها مصرعه ، قال عليّ ابنه : إلى جالس في تلك المقبة - التي كل إلى في صبيحتها - وحمى « زبيب » عندي تمرض ، إذ اضرب إلى بأصابعه - في خبائه - وضعه « حوى » مولى « أبي ذر » - وهو يبالغ سجيته ويصلحه - وأبى يقول :

« يادهر : ألف لك من خليل
كم لك - بالأهراق والأصيل -
من صاحب ، أو طالب خليل
والدهر لا يمنع باليسيل
وإنما الأمر إلى الجليل
وكل حتى سالك السيل . »

قال عليّ بن الحسين : فأخذاً أبي مريخ أو هلاً - حتى نهبتا - ضرفت ما أراد ، طعنتي عبرتي ، فرددت دعوى وثمت السكون ، وطعت أن القلاء قد نزل ، فأما حتى تأتيا سمعت ما سمعت - وهي امرأة ، ولئلا الزفة والجرح - ثم تمتمت عنهما أن رجعت تمرقها - وإنها لحامسة - حتى انتهت إليه ، فقالت : « وانكلاه ! ليت اليوم أهدمى الحياة ! اليوم ماتت « فاطمة » أمي و « علي » أبي و « حسن » أمي . يا خليفة للناس ، وثمنا الباقي . » نظرت الحسين ، فقال : « يا أخيه ! لا يذم من حلك للظلم ! » قال : « بأبي أنت وأمي ، يا أبا عبد الله استعظت ، عسى فداك ! » فردت نصته ، وتركت صباه ، وقال : « لو ترك القطا لئلا تأم ! »



فِدَاكَ « لِبَادِيَس » الثَّقُوسُ ، وَجَادَهُ مِنْ الشُّكْرِ - فِي أَفْنِ الْوَفَاءِ - عَمَامٌ
فَمَا لَحِقَتْ تِلْكَ الْمُهْوَدَ مَلَامَةٌ وَلَا ذَمٌّ - مِنْ ذَلِكَ الْخِفَاطِ - ذِمَامٌ (١)
وَمِثْلَكَ وَالِي مِثْلَهُ فَتَصَافِيَا كَمَا صَافَتْ - الْمَاءُ الْقِرَاحَ - مُدَامٌ
رَسِيْلُكَ - فِي شَأْوِ الْمَعَالِي - كِلَا كَمَا بَعِيدُ الْمَدَى صَبْبُ الْمُثْمُومِ مُهَامٌ



لَعَنَرِي لَقَدْ أَحْفَلَيْتَهُ بِوَفَادَةٍ لِأَسْنَى كَرِيمٍ أَنْجَبْتَهُ كِرَامٌ
فَمَا أَنْفَكَ إِلَّا عَدَلَ نَفْسِكَ إِنْ بَسَرَ فَلَجَسِمٍ لَا لِلنَّفْسِ مِنْكَ مُقَامٌ (٢)
حُسَامُكَ تَهْمًا تَحْتَرِطُهُ لِئَلْهِيَ قَلَّ غَنَاهُ السَّيْفِ حِينَ يُشَامُ

اسم من أحب

« وقال في ممشوقة يؤخذ اسمها بالتوالي من أرض
وسماء وماء ، فيستكون من مجموعها « أسماء » . »

إِنْ لِلْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ وَلِلْمَاءِ عَلَيْنَا أَذِمَّةٌ لَا تُذَمُّ
مَنْ بَغَضُ أَمَرٍ مِنْ أَحَبِّ وَلَاءٍ وَتَكْرِيْرٌ بَغْضِيهَا يَسْتَمُّ

قلت :

« يَا وَيْلَا ! أَنْصَبَ عَلَيْكَ اخْتِصَابًا ؟ فَذَلِكَ أَرَحَ لَهِي ، وَأَسْدَى عَلَى « ا » وَلَطَتْ وَجْهَهَا ،
وَأَمُوتَ إِلَى جِيبِهَا وَشَقَّه ، وَخَرَتْ مَشْيًا عَلَيْهَا . »

لَقَامَ إِلَيَّا الْمَدِينِ نَصَبٌ عَلَى وَجْهِي لِلْمَاءِ ، وَحَرَامًا بِكَلَامٍ طَوِيلٍ يَرْجِعُ إِلَيْهِ الْغَارِيُّ - إِذَا شَاءَ فِي كِتَابِنَا

« مصارع الأعيان » من ص « ٢٥ » إِلَى « ٥٦ »

(١) جَد . (٢) وَفَى الْأَمَلِ :

« لِي أَبْكَ إِلَّا عَدَلَ نَفْسِكَ ، إِنْ بَسَرَ لَجَسِمٍ - لَا لِلنَّفْسِ مِنْكَ - مُقَامٌ . »

وقال

« كان أبو الطائف بن حبي إذ ورد إشبيلية
رسولا قد سأله أن يريه من شعره ، فطله
حتى كتب إليه شعرا يستبطله فيه ، فجابه
عليه في عروضة وقافته . »

أَفَذَنْتَنِي مِنْ نَفَائِسِ الدَّرَرِ مَا أَبْرَزْتَهُ غَرَائِرُ الْفِكْرِ^(١)
مِنْ لَفْظَةٍ قَارَنْتَ نَظِيرَتَهَا قِرَانٌ سَقَمَ الْجُفُونِ لِلْحَوَرِ^(٢)
أَبْدَعَهَا خَاطِرٌ ، بِدَائِئِهِ - فِي النَّظْمِ - حَارَتْ جَلَالَةُ الْخَطَرِ
الْعِطْرُ مِنْهَا سَرَى لَهُ نَفْسٌ ، مِنْ نَفْسِ الرُّوضِ رَقٌّ فِي السَّحَرِ^(٣)

* *

يَا رَاقِمَ الْوُثْيِ - زَانَهُ ذَهَبٌ - رَفَرَقَ إِذْ رَفَّ مِنْهُ فِي الطَّرْرِ^(٤)

(١) يقول : أذنتني من نفائس الدرر انتفعت منه الأصداف ما أبرزته غرائر فكرك من
مكتون روائع الحكم ، وبدائع الحكم .

(٢) سقم الجفون : فتورهما ، والمور : في العين شدة سواد اللثة في شدة يابضها في شدة يابض لون
الجد ، وقيل المور أن سود العين كلها كما في أمين الظباء والبحر ، وهذا ليس بوجود في الأدبين ،
يقول : أكتبني من نفائس دررك كل لفظة وانقت قريبتها ، وقارنت نظيرتها ، قران سقم الجفون ،
لمور العيون .

(٣) يقول : الطر من . هذه الحكم البديهة التي أبدعها خاطرك سرى له نفس يحكي في الأريج والرفة
عس الروض الطر ، سرى به النسيم وقت السحر ، وفي الأصل : « أنطر مهما سرى له نفس . » ،
وما أبتناه هنا وما يرشد إليه السياق .

(٤) الرضي : النفس ، ورفرق : تحرك ولج وسار له بهيم وتلاؤ ، ورف يقال : رف اللون
والقصب والبرق يرف (بالكسر) دفيقا برق وتلاؤ ، ورفت الأسنن كذفت ، وفي الحديث أن
« النابة » الجدي أنشد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - :

« ولا خير في حلم إذا لم تكن له يواعد تحسى صلوه أن يكفوا

ولاخير في جمل إذا لم يكن له حلم إذا ما أورد الأسر أسدوا . »

قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : لا يفيض الله فاك . فبعت أسنانه ترف حتى مات ، يقول :
يا كاتباً يرمي في الكتاب ما يحكي الجرد للوضي للذهب الطرور والمواهي ، والتي لونه وراق وبسيس ، وفي
الأصل « وراق » وقد وضعتا جملها « وراق » ليسهم للنم والوزن .

وَنَاطِلِمُ الْعِقْدَ - نَظْمٌ مُقْتَدِرٌ - يَفْعِلُ بَيْنَ الْفُيُونِ بِالْفُرَرِ (١)
لِي بِالنِّصَالِ الَّذِي نَشِطَتْ لَهُ عَهْدٌ قَدِيمٌ مُعْجَمُ الْأَثَرِ (٢)
هَلْ أَنْصِلَ السَّهْمَ فِي الْجَفِيرِ وَقَدْ تَمَطَّلَتْ قُوْفُهُ مِنَ الْوُثْرِ ؟ (٣)

* *

مَا الشَّمْرُ إِلَّا لِمَنْ قَرِيعَتُهُ غَرِيضَةُ النُّورِ غَضَّةُ الشَّمْرِ (١)
تَبْسِمُ عَنْ كُلِّ زَاهِرٍ أَرَجٍ مِثْلَ الْكِيَامِ أَبْشَمَنْ عَنْ زَهَرٍ
إِنَّ الشَّفِيعَ الْهَمَامَ سَوَّغَهُ أَفْهُ أَنْصَالَ التَّائِيْدِ بِالظَّفْرِ
الْفَاضِلِ الْخُبْرِ فِي الْمُلُوكِ إِذَا أَقْصَرَ خُبْرُهُ عَنْ غَايَةِ الْخَبَرِ (٢)
نَجَلُ الَّذِي نَصَحَهُ وَطَاعَتُهُ كَالْحَجِّ تَتَلَوُّهُ بَرَّةُ الْعُمَرِ (٣)

(١) الفيون : الخيار للتنقيب من حبات العقد ، والفور البيض ، يقول : ويا ناطم الشعر انظم تقدير يحصل بين أجزائه ، ويؤلف بين مواقع كاه ، كما يؤلف ناطم العقد بين خرزته وحباته ، ويحصل بين الخيار للتنقيب منها يزر اللآلئ .

(٢) النصال : الرماة بالسهم وأراد به هنا المساجة والمساجة في مجل القول ، ومعجم الأثر : مهم مشكل قد انقضت معالته وآثاره ، يقول : يشق لى بهذه الكلام الثمينة ، والنظم الرائع تريد بذلك أن تجد عهد النصال الذى نشطت له أنت الآن بعد أن طاف في عهده ، وأبهم على أمره ، واستمع أمره .

(٣) أصل . مضارع أنصل السهم جل له نصلا ، والجدير : جبة السهام ، والفوق : موضع الوتر من السهم ، يقول : هل أجل للسهم الذى في الجفير نصلا ، وقد تمطلت فوقه أى مشق رأسه فلم تعد صالحة لأن يوضع الوتر في موضعها ، يريد أن آلة النصال بطلت عنده وتمطلت أساليبها لطول العهد .

(٤) غريضة النور : الفريضة ، والنفس : كلاما الذين الطرى النافس من الزهر والنبات وغيرها .
(٥) الخبز : (ضم وكسر أوله وسكون ثانيه) العلم بالحق ، عن عيان وخبرة ، والخمر : الخمر ، التبا الذى يأكله من طريق السباع ، يقول : هو لك الذى يغفل ويخبر والعلم بصفاة وأحواله عن الخبر الذى يملكه منه في حين أن غيره من الملوك يقصر الخبر والعلم بأحوالهم عن الخبر الذى يأكله منهم .

(٦) برة الصبر : أى الصبر البرورة المقبولة جمع صبرة ، وهى فى الأصل الزيادة ، وتتعلق صرما بالظواهر بالبيت والى بن السفا والروة ، والفرق بينها وبين الحج أن الصبرة تطوع وأنه يجرى للالسان أن يستر فى السنة كلها بخلاف الحج فانه لا يجوز الاحرام به وأداء مناسكه إلا فى أشهر الحج للملومة وهى هواله ، وفوق التهمة ، وعمر ذى الحجة ، يبنى أن نصحه وطاعته من أعمال البر انى تقابل من الله بالتواب ، وهى لسكونها من الطاعة والبر بمثابة الحج الذى تتلوه الصبر للبرورة .

شَهِدَ عَهْدِي لَكَ الصَّبِيحُ بِإِخْلَاصٍ نَأَى صَفْوُهُ عَنِ الْكَدْرِ

مَشَيْتُ فِي عَذَلِ الْبَرَارِ لِمَنْ لَمْ يَرْضَ فِي الْعُدْرِ مِشْيَةَ الْحَمْرِ^(١)
وَقُلْتُ: مَطْلُ الْفَنَى وَرَدُّ مِنَ الظُّلَمِ، يُلْقَى مَلَاوِمَ الصَّدْرِ^(٢)
وَلِي مَعَاذِيرُ لَوْ تَطَّلَعَ فِي لَيْلٍ سِرَارٍ أَغْنَتْ عَنِ الْقَمَرِ
مِنْهَا أَتَقَاتِي لِأَنْ أَكُونَ أَنَا الْجَالِبَ مَا قُلْتُهُ إِلَى هَجَرِ^(٣)
لَكِنْ سَيِّئَتِكَ مَا يُحَوِّزُهُ سَرُوكَ دَابَّ الْمُسَابِحِ الْبَسْمِ
فَا كَتَبَ مِنْهُ بِنَظَرَةٍ عَنِّي^(٤) لَا حَظَّ فِيهِ لِكِرَّةِ النَّظَرِ

(١) البرار: من الأرض القضاء الواسع الذي ليس به غير يمتد من شجر أو غيره، والحجر: ما يستر الماشي ويؤاري المريد من شجر أو جرف أو جبل من جبال الرمل أو غير ذلك، يقول: عندك ولك لما صريحا لا واردة فيه، فكنت فيه كن معنى البرار لا واردة غير، ولا يمتد سائر من مرتفع أو شجرة وهو عند أهله لمن لم يرض قبول صفو أسف وراهه مجرى عن مجاراة، وأخفى في التماسه ضلع عن مجاراة وفي اللئ: «معنى إليه البراز» و «معنى إليه الللا والبراج» أي معنى إليه مظهرا غير مستر، وجاء في عند هذا اللئ مثل آخر وهو: «معنى إليه الحجر، ووب له الضراء».

(٢) للطل: الله يقال مطل الجبل وغيره يحمله مثلا، وفي الحديث: «مطل الفنى ظلم»، وللانوم: جمع للامة، والمصدر: الانصراف والرجوع عن الشيء.

(٣) في اللئ: «كسبج الثمر إلى هجر»، و «ناقل الثمر إلى هجر» وهو مثل قديم متداول: يضرب في الخطأ لأن ناقل الشيء إلى مدته غلط، ويقال أيضا كسبج الثمر إلى خير. قال النابغة الجعدي: «وإن أسرا أهدى إليك قصيدة كسبج تمرا إلى أرض خيبر».

وقد ورد هذا اللئ في كتاب لبيدنا على كرم الله وجهه ورضي عنه بنت به جوابا إلى معاوية رضي الله عنه وهو من ع الحسن كتيبه، وذلك حيث يقول عليه السلام في صدر هذا الكتاب: —

«أما بعد» فقد أتاني كتابك تذكر فيه أسلفنا الله محمدا صلى الله عليه وآله لهبه، وتأييده إياه من أيده من أصحابه، فلقد خبا لنا العزمك عجا إذ طلفت تخبرنا ببلاد الله عندنا ونسنته علينا في لونا، فكنت في ذلك: «كنال الثمر إلى هجر»، أو دامي مسدده إلى الغزال. «إلى آخر ما جاء في هذا الكتاب للشيخ، فارجع إليه في نتج البلاغة إل شئت.

(٤) أي لتفرض لك من غير تسيل ولا قصد، يقول: سيأتيك نظمي هذا الذي يجيزه سرودك وإعناؤك مما فيه أفضاء المسامح السهل، فاكنت منه بنظرة عجل، فانه لاحظ فيه لمرودة النظر ككرة بعد كرة.

بين ابن زيدون والمعتمد

وكتب إليه المعتمد على الله المؤيد
بصر الله وهو جالس في فصيل من القصر
تحت غرفة لزومه :

أيها المنحط عني مجلسا
وله في القلب أعلى مجلس
بفؤادي لك حب يقتضى
أن ترى تحمل فوق الأروس
جلوه به ابن زيدون .

أَسْقِطُ الطَّلَّ فَوْقَ النَّزْجِيسِ أَمْ نَسِيمُ الرُّوضِ تَحْتَ الْخَنْدِيسِ
أَمْ نِظَامٌ لِلْأَلِ نَسِي جَامِعٌ كُلَّ خَطِيرٍ مُنْغِيسِ ^(١)
أَمْ قَرِيبٌ جَاءَ فِي عَرْفِ مَلِكٍ مَالِكٍ بِالْبَرِّ رِقَى الْأَنْفِيسِ
ذَلَمْتُ فِكْرِي مِنْ إِبْدَاعِهِ حَبِيزَةٌ فِي مَنَاطِقِي لِي مُخْرِيسِ
بِتْ مِنْهُ يَنْ سَهْلٍ مُطْمَعٍ خَادِجٌ يَتَلَّى بِحَزْنٍ مُؤَيِّسِ

يَا بَائِدَى يُعْنَى «أَبِي الْقَاسِمِ» غَيْمٌ يَا سَنَا تَمْسِي الْمَحْبَا أَفْهَمِيسِ
يَا بَيْجَ الْخُلُقِ الْمَذْبُ أَتَقِيمُ يَا مُبِيجَ الْأَنْفِ الصَّبَّ أَعْبِيسِ
يَا جَمَالَ الْمَوَكِبِ النَّادَى - إِذَا سَاكَ فِيهِ - يَا بَهَاءَ الْمَجْلِيسِ
أَنْتَ لَمْ يُعْنِكَ أَنْ أَلْبَسْتَنِي نِمَّةٌ تُذَكِّرُ هَذَا السُّدُوسِ
قَتَلْتُكَ لِأَنْ حَلَيْتَنِي مُوَلِيَا طَوْلَى مُحَلَّى مَلْبَسِ

(١) يقول : أم من لائل متصلة في نظام جمع الحس الأعلاق وأجلها خلا .

ذَلِكَ تَنْوِيهِ تَنَانِي فَتَسْرُهُ سَائِي اللَّحْظِ أَتَمَّ الْمَعْطِي
شَرَفَتْ بِكَرِّ الْمَالِ خِطْبَةُ مِنْكَ ، فَأَتَمَّ بِسُرُورِ الْمُرْسِي
تُمْنَحُ التَّائِيْدَ يُجَلِّي لَكَ عَنْ ظَفَرِ حُلُوٍ وَهَزِ أَقْمَسِي
وَأَرْشِفَ مَسْوَلِ نَصْرِ أَشْنَبِ تَجَنَّبِهِ مِنْ هِجَابِ أَلْسِي
وَأَرْتَقِ بِالسُّنْدِ فِي دَسْتِ الْمَنَى تُصْبِحُ الصَّنْعَ دِهَاقِ الْأَكْوَمِي
فَاعْتِرَاضُ النَّهْرِ - فَيَا شَيْتَهُ - مُرْتَقَى فِي صَدْرِهِ لَمْ يَهْجَسِ

وقال

« وقد أسره بدخول حمام القصر وبث
إليه ينخور وطيب . »

رِمَاكَ لَنَا - قَبْلَ الطُّهُورِ - مُطَهَّرُ وَفُرْ بِكَ سَمِينِ دُونِ الْبُخُورِ - مُعَطَّرُ
قَلْوِ عَزْ سَحَامٍ لَأَذْقَانَا ذَرَى يَفِيضُ بِهِ مَاهُ النَّدَى الْمُتَفَجَّرُ
وَلَوْ لَمْ يَكُنْ طَيْبٌ لَأَغْنَتْ حَقَاوَةُ تُمْسِكُ مِنْهَا حَالَتَنَا وَتُسَبِّرُ (١)
فَلَا فَارَقَ الدُّنْيَا سَنَلَا مُقَدَّسُ بِمِشْكٍ فِيهَا أَوْ ثَنَالَا مُجَمَّرُ (٢)
وَدُمْتَ مُلْقَى - كَرًّا - يَوْمَ - صَبِيحَةِ يُقَادِيكَ فِيهَا - بِالْفُتُوحِ - مَبَشَّرُ

وقال

« مجاوبه عن شعر خاطبه به . »

أَمَوَلَايَ بُلَغْتَ أَقْصَى الْأَمَلِ وَسُوِّغْتَ دَا بَا نِسَاءَ الْأَجَلِ (٣)

(١) لو لم نجد الطيب لأختنا منه خاوطك التي تطرأ بالملك والنعير .

(٢) النساء : الزمة ، والثناء : اللح ، والجبر السبق ، يقال : حر ثوبه : بخره ، وجر النار : هبأها .

(٣) نساء الأجل : طول العمر .

وَمُحَرَّتْ مَشَيْتَ فِي دَوْلَةٍ تُقَعَّرُ عَنْهَا طَوْلُ الدُّوَلِ
فَأَنْتَ الَّذِي غَرُّهُ أَفْئَالُهُ تَحَلَّى بِهَا الدَّهْرُ بَعْدَ السَّعَلِ
يُشْرِفُ تَمْلُوكَكَ الْمُسْتَرْقُ قَطْمٌ مِنَ الْكَلِمِ الْمُتَخَلِّ «
وَرَاحُ تُمَيْدٍ إِلَى مَنْ أَسْنَنَ طَيْبَ زَمَانِ الصَّبَا الْمُقْتَبِلِ «
فَأَخْجَلَنِي الْبِرُّ مِنْ قَرْمَلِهِ وَإِنْ الْجَوَابَ لِيَبْدَى الْخَجَلِ
وَقَدْ يَقْبَلُ الدَّهْرُ مَوَالِي الْأَنَا مِ جُهِدِ الْعَيْدِ إِذَا مَا أَقْلَ
سَمِدَتْ كَمَا سَمِدَ الْمُشْتَرَى وَنِلْتَ عَلَا لَمْ يَتَلَمَّازُ حَلَّ «

جواب

« وقال مجاوباه أيضا . »

هَلْ يَشْكُرُنَّ وَأَبُو الْيَزِيدِ « إِذَا نَاكَ الْأَمَلُ الْبَعِيدُ
أَوْ أَنْ تُسَوِّغَ نِعْمَةً لِلدَّهْرِ أَنْهَرْتَ الْحُسُودَ
إِنْ لَمْ يَدِنْ بِصِحَّةٍ ثَرْمِيكَ فَهَوَّ مِنْ الْيَهُودِ
لَا زِلْتَ رَافِعَ رَايَةٍ تُضْحِي، السُّعُودُ لَهَا جُنُودُ

وقال يستهديه خمرأ

يَا بَابِيَا كُلُّ تَحْدٍ وَهَادِمًا كُلُّ وَجْدٍ
جِسْمُ الشُّرُورِ سَوَى مِنْ صَوْنِ نِعْمَاكَ عِنْدِي
فَهَبْ لَهُ رُوحَ زَاخٍ يَنْطَلِقُ بِأَخْفَلِ تَحْدٍ

(١) للتأمل : للتفكير . (٢) وقد جاء بعد هذا البيت قوله :

« أَنْتَ مَعَ امْرَأَةٍ مَا يَحْدِي وَأَقْرَبُ بِأَكُورَةٍ تَقْتُلُ . »

(٣) المشتري وزحل كوكبان معروفان . قال أبو النخاس :

« زحل لأشرف الكواكب دارا من لقاء الردى على مباد . »

(٤) يعني نفسه .

وقال مجاباً المعتمد

أَفَاضَ تَمَاحُكَ بَحْرَ النَّدى وَأَقْبَسَ هَدْيُكَ نُورَ الْهُدى
وَرَدَّ الشَّبَابَ أَغْلَاقَكَ بَعْدَ مُفَارَقَتِي ظِلَّهُ الْأَبْرَدَا ^(١)
وَمَا زَالَ رَأْيُكَ فِي الْجَبِيلِ يُفْتَحُ لِي الْأَمَلِ الْمُوَصَّدَا ^(٢)
وَحَسْبِي مِنْ خَالِدِ الْفَخْرِ أَنْ رَضِيتَ قَبُولِي مُسْتَعْبِدَا ^(٣)
وَيَا فَرَطَ مَا بِي ^(٤) إِذَا مَا طَلَمْتُ فَقُمْتُ أَقْبَلُ تِلْكَ الْيَدَا
وَرَدَّدْتُ لَحْطِي فِي غُرَّةٍ إِذَا أَجْنَلَيْتَ شَفَتِ الْأَزْمَدَا
وَمَا عَةُ أُنْزِكَ قَرْضُ أَرَا هُ مِنْ كُلِّ مُفْتَرَضٍ أَوْ كَدَا
هِيَ الشَّرْعُ أَصْبَحَ دِينَ الضَّمِيرِ فَلَوْ قَدْ عَصَاكَ لَقَدْ أَلْهَدَا
وَسَأَلْتَنِي أَنْ أَضِلَّ الصِّرَاطَ فَيَعْدُونِي الْكُفْرُ تَمَّ بَدَا ^(٥)
وَأُخْلِفَ مُوَعِدَ مَنْ لَا أَرَى لِذَهْرِي إِلَّا بِوِ مَوَعِدَا ^(٦)

(١) يقول : رد على شبابي بعد أن طرقت ظله الأبرد اغلاقاً بأسبابك والصال بدولك .

(٢) وما زال جبل رأيك في يفتح لي من الأمل كل باب منق .

(٣) وكفاي ظرا خلفاً أنك رضيت قبولي ضمن من استعبدتهم بإصافك ، وسدوت عليهم ظن
نصك الواو . (٤) في الأصل : « يا فرط باوى . »

(٥) يقول : خضعت أن أضل الصراط وأعرض أو ك فرض على من طاعتك التي هي العرع ، وسعد
الضير ، فيعدي للكفر مما بدا لي من صفة الإيمان .

(٦) في الأصل : « وأخلف الوعد » وهو لا يصدى بإليه ، فأبدناه بالوعد ليصح اللفظ ، والجب
في أنه يتصل هنا من خلف الوعد أن « اللحد » كان قد عرض له سفر فجاء فكسب إلى « ابن زيدون » :
« لئن بدك هفتي بـكـل » .

فليجل شخصك منها ما باليب جناه .

ضافت « ابن زيدون » عن الجواب أشغال توالت عليه ، ثم استبها « اللحد » فبث إليه بالصيغة
التالية معانها :

وعدت وأخلفت للوعدا وخلفت بالنهي الجنا

أَتَانِي حِتَابٌ مَتَى أَدْكُرُ مَتَى نَشَوَّلَتِ الْكَرَى أَشْهَدُ^(١)
وَأِنْ كَانَ أَغْفَبَهُ مَا أَقْتَضَى شِفَاءَ السَّقَامِ وَتَقَعَ الصَّدَى^(٢)
تَنَاءَ نَتْنِي فِي سَنَاءِ الْمَحَلِّ زُهرَ الْكَوَاكِبِ حُسْنًا^(٣)
فَرِيضٌ مَتَى أَتْبِرَ لِلْقَرْضِ مِنْهُ أَذَاهُ أَجْدُ شَأْوُهُ أَمْتَدَا
لَوْ الشَّمْسُ مِنْ نَظْمِهِ حُلِيَّتٌ أَوْ الْبَذَرُ قَامَ لَهُ مُنْشِدَا
لَضَاعَفَ مِنْ شَرَفِ النَّبَرَيْنِ حَقًّا بِهِ قَارَنَ الْأَسْعَدَا

وألمحني ثم أيتسنى ويعتق لود أن أحدا
وأضمت بالمطل جبل الرجا فرت وأمرده محدا
وعاد ضياء الوفا في ظلامنا وأصبح مصباحه أرمنا
وكان ضاعت قبل اللقال فإذا هذا الآن فيها بدا
وقد كان طي بها رأيت به أنه الفى بل اليدا
وكم قد توكلتها روضة تهرب لي الأمل الأهدا
ينور طلعك أوجاهها ويظهر طبعك فيها تما
توكلها زمتا ناظري فإذا سر يوم تهادى غدا
على ذاك أنديك من ماجد تعبت بالظرف فيه الهدى
حيناً أزدور به روضة وحيناً أحي به مسجدا
لك العلم بها أورد بحره لأروى به أهد للوردا
وفيك تجمت للأثرا ت طرا تعرت بها مفردا
شمال تنثر شل الهوى ثم نترك بلأرى شل العدا
لنصني الله بالمظ منك ولا زلتى مؤاسرنا
ودمت ودمت على حالنا كما يصحب للفرقد الفرقدنا
فلولاك كانت دموع السرور ومنى نجواب فيها الصدى

(١) أتاني من قبل اللدوح حتاب تسبب لي ذكره الأرق والهدى كما ينبغي نفوات الكرى وعشقي
أوائل التوم .

(٢) يقول : أشهدني وأداني إذا ذكر حسنا الحباب ، وإن كان أدبه ما اقتضى شفاء التوب ، وإطلاء
وحر الصدور .

(٣) تناء ومدبح رعت به على ، فأثنت زهر التجوم تعمدني عليه .

فَدَيْتَكَ مَوْتِي: إِذَا مَا هَرَّتْ أَقَالَ ، وَهَمَّا أَرْغَ أُرْشِدَا
رَكَنْتُ^(١) إِلَى كَرَمِ الصَّفْعِ مِنْهُ فَأَمَّنِي ذَاكَ أَنْ يَحْفِدَا
وَأَنْتَ سُوقَ أَحْيَالِ أَبِي لِسْتَبْضِعَ الْمَذْرُوءَ أَنْ يَكْسِدَا^(٢)
شَفِيعِي إِلَيْهِ هَوَى مُخْلِصِي كَمَا أَخْلَصَ السَّابِكُ الْمَسْجِدَا
وَمِنْ وَصَلِي هِجْرَةٍ لَا أَعُدُّ لِحَالِي سِوَى يَوْمِهَا مَوْلِدَا^(٣)
وَتُعْنِي تَقِيَّتُهَا أَيْكَةً فَشَكْرِي سَمَامَ بِهَا غَرَدَا
تَبَارَكَ مَنْ جَمَعَ الْخَيْرَ فِيكَ وَأَشْمَرَكَ الْخُلُقَ الْأَجْمِدَا
مَضَاهُ الْجَنَانِ وَظَرْفُ اللَّسَانِ وَجُودُ الْبَنَاتِ بِسَكْبِ الْجَدَا
رَأَى شَيْبَتِكَ لِمَا تَسْتَحِقُّ وَقَفَى فَاظْفَرَ إِذْ أَيْدَا
لَيْسَ أَنْتَ أَزْكَى الْمُلُوكِ بَنِيهِ وَأَشْرَفُهُمْ سُودَدَا
سِوَى نَاجِلٍ لَكَ سَابِي الْمَوُو مَرْدَانِي الْفَوَاضِلِ نَائِي الْمَدَى^(٤)
مُهَامَ أَغْرَ رَوَيْتَ الْفَخَارَ حَدِيثًا إِلَى سَرُوهِ مُسْنَدَا^(٥)

- (١) في الأصل « وكنت » وقد وضنا بدلها « ركنت » التي هي كمودتها في الخط ليطعم المعنى .
(٢) السبضع: اسم فاعل من استبضع الفىء . جله صناعة ، وللبضاعة طائفة من اللؤلؤ ترسل إلى الأسواق لتجارة ، يقول : إن احتاله وإغذاه . من المهنات بناية سوق تأتى لمن استبضع إليها الأهدار أن تكسده بصناعته ، وهو مأخوذ من اللؤلؤ : « كسبضع التمر إلى هجر . »
(٣) الوصل : جمع وصلة بمعنى الاتصال والاسباب والفرائع ، يقول : ومن أسباب الصلابة وذرائع إلى هجرة فارقت فيها موطنى ، وانملت على أثرها بولته ، واحتلفت بجله وذمته ، تلك الهجرة التي لا أهد أن حل استقرت وولدت ، إلا يوم أن حصلت رعت .
(٤) التناجل : الكرم الجدل ، يقول : ليس في اللؤلؤ أزكى منك سوى والدك الذى نجتك وأنجبتك .
(٥) يقول : إن أباك هم أفر مشرق الوجه ، رويت عنه القصار حديثاً مستنداً إلى سروده ومجده وبه .

سَلَكْتَ إِلَى الْمَجْدِ مِنْهَاجَهُ فَقَدْ طَابَقَ الْأَطْرَفَ الْأَنْفِلَا (١)
 هُوَ الْيَتُّ قَدْ مَنِكَ النَّجَادَ لِيَوْمَ الْوَعَى شَبْلَهُ الْأَنْجِدَا (٢)
 يُعِدُّكَ صَارِمَ عَزْمٍ وَرَأَى قَرْضِيهِ جُرْدَ أَوْ أُغْمِدَا (٣)
 وَمَا اسْتَنْبَهَمَ الْقُفْلُ فِي الْحَادِيَا تِ إِلَّا رَاكَ لَهُ مِقْلَدَا (٤)
 فَأَمَّا مَنَّاكَ مَنَكِبَ طَرَفِ النَّجُومِ وَأَوْحَا إِيْتَمَصَكَ الْفَرْقَدَا
 فَلَا زِلْمًا يَرْفَعُ الْأَوَّلِيَا ، مَنَّاكُمْ وَمَيَّحُطُ الْعِيدَا
 وَنَفْسِي لِنَفْسِيكُمْ الْبَرِّيَّتَيْنِ مِنْ كُلِّ مَا يُتَوَقَّى الْقِيدَا
 فَنَ قَالَ : أَنْ لَسْنَا أَوْحَدَيْنِ فِي الصَّالِحَاتِ قَا وَحَدَا (٥)

وقال

لَتَمْرِي لَنْ قُلْتَ إِلَيْكَ رَسَائِلِي لَأَنْتَ الَّذِي نَفْسِي عَلَيْهِ تَذُوبُ
 فَلَا تَحْسَبُوا أَنِّي تَبَدَّلْتُ غَيْرَكُمْ وَلَا أَنَّ قَلْبِي مِنْ هَوَاكِ يَتُوبُ

وقال

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَصَادِفُ خَلْوَةً لَدَيْكَ ، فَأَشْكُو بَعْضَ مَا أَنَا وَاجِدُ
 رَحَى اللَّهِ يَوْمًا فِيهِ أَشْكُو صَبَابَتِي وَأَجْفَانُ عَيْنِي - بِالْذُمُوعِ - شَوَاهِدُ

-
- (١) الأطرف : الحديث ، والأطف : القديم .
 (٢) النجاد : حائل السيف ، والأجد : الشجاع ذو النجدة والباس ، يقول : هو رأى وذلك الله ليت
 قد شبه الأنجد الشجاع السيف ليوم الوعى والحرب .
 (٣) يمدك صارم عزم وحزم في الحرب والياسة ، قرضيه في الماين : جرد السيف ، أو أهدم .
 (٤) استلهم : استنتج ، والقفل : ما يعلق به الباب ، والله : للفتاح ، يقول : لاستنتج الحادثات
 إلا رآك متاعاً لأفعلها للفتحة ، وفي الأصل : « الفصل » فوجدنا مكانها « الفصل » . ليناسب
 الاستبهام والله .
 (٥) يقول : أن من يكر أنكما في الجبر والصلوات أو حدين قد بلغ في الجبر والانكار مبلغ من يكر
 التوحيد ولا يقول بوحداية الله .

تهنئة

« وقال رحمه الله يهنيه أيداه الله بالقدم من سفر . »

أَيُّهَا الظَّافِرُ أَبَشِرْ بِالظَّفَرِ وَأَجْتَلِ الثَّائِدَ فِي أَبْهَى الصُّورِ
وَقَفِيًّا ظِلًّا مَسْعِدًا تَجْتَنِي فِيهِ مِنْ غَرَسِ الْمُنَى أَخْلَى الثَّمَرِ
وَرَدِ الصَّبْحَ فَكَمْ مُسْتَوْحِشٍ غَرَضٍ^(١) مِنْكَ إِلَى أَنْسِ الصَّدْرِ
كَانَ مِنْ قُرْبِكَ فِي عَيْشٍ نَدٍ عَطِرِ الْأَصَالِ وَصَاحِ الْبُكَزِ
كُلَّمَا شَاءَ تَأْتَى أَنْ يَرَى خُلُقَ الْبَرْجِيسِ^(٢) فِي خَلْقِ الْقَمَرِ

(١) غرض : نصف من الغرض (حركة) وهو شدة النزاع نحو الشيء ، والشوق إليه يقال : غرض إلى لئله فهو غرض اشتاق ، ومنه قول الشاعر :

فمن يك لم يرض ذاتي ونافعي
بحير إلى أمل الحلى غرضان
عن فنبدي ما بها من صباة
وأخى الذي لولا أنسى لقضائي

وفي الأصل : « مرضى » .

(٢) البرجيس

البرجيس : الشقى وهو أحد الداراي الخمسة : للشقى ، وزحل ، والمريخ ، وطارود ، والزهرة ، وهذه الكواكب الخمسة هي الجنس الكس للذكورة في قوله تعالى : « فلا أقسم بالجنس الجواد الكس . » قالوا : وإنما وصفت بما ذكر في الآية لأنها من الكواكب السيارة التي تجري مع الشمس والقمر ، وغنوسها رجوعها مزمرة بسد اختلافها في شوق الشمس ، ولتلك تسمى الرواجع ، وكنوسها اختلافها تحت شوق الشمس من كس الظلي والوحش إذا دخل كنانها ، وفي النهاية لابن الأثير من حديث ابن عباس رضي الله عنهما ، « أن النبي - صلى الله عليه وسلم - سئل عن الكواكب الخمس فقال هي البرجيس وزحل وطارود وبهرام والزهرة ، البرجيس : للشقى ، وبهرام : للمريخ . »
والبرجيس : لفظة فارسية تدل على « للشقى » وهو كوكب معروف تطلق عليه الترمجة اسم « جوبيتر » « Jupiter » وهو - في أساطير قدماء الرومان واليونان ، إله الآلهة ، للبهين على كل الكائنات العلوية والعلوية ، قالوا : « وإنما سمي للشقى - من القراء ، وهو الوضع لنبا ، لونه وصفاته . » قال الشاعر :

« يا ربَّ ليل بت أرمي نجمه - حتى الصباح - بزفرة وحولى
والشقى - في الأفق - يحنق لأمسا - كدم الحبيب هجير بالفضيل . »

فَتَوَسَّى دُونَكَ مَتَوَسَّى فَلَيْتَ يَشْتَكِي مِنْ لَيْلِهِ مَطْلَ السَّحَرِ
 قُلْ لِسَاقِينَا : « يَحْزُنُ أَوْ كُفَّةً » وَلِسَادِينَا : « يَصِلُ قَطْعُ الْوَتَرِ »
 حَسْبُنَا سُكْرُ جَنَّتِهِ ذِكْرٌ دُونَهُ السُّكْرُ الَّذِي يَمْنَحِي السُّكْرَ (١)
 لَمْ يُقَادِرْ لِي سَقَايَ جَلْدًا مَعَ أَنِّي لَمْ أَزَلْ ثَبَتَ الْمِرْزَ (٢)
 أَيُّهَا الْمَائِي الْبَرَّازَ الْمُنْبَرِي لَزِمَانِي إِنْ مَشَى نَحْوِي الْخَمَرِ (٣)
 وَالَّذِي إِنْ سِيمَ مَا فَوْقَ الرِّضَى وَجِدَ الْأَلْوَى الْبَعِيدَ الْمُسْتَمَرَّ (٤)
 وَإِذَا أُعْتَبَ فِي مَعْتَبَةٍ لَأَنْ مِنْهُ جَانِبُ السَّمْعِ الْيَسَرِ
 نَقَلَنِي الْمُهْدَى إِلَى أَبْرَجٍ مِنْ نَظَمِ السَّحَرِ يَبَانَا أَوْ تَنْزِ

(١) السكر : الفء غير للطبخ من ماء التمر اللطيف ، والشراب المتخذ من التمر نومان : ما يسيل من التمر حين يكون رطباً فإذا اشتد سقى سكرًا ، وما يفتخ أي يثقل من التمر ثم يقع في الماء ليستخرج الماء خلوه ثم يترك حتى يشتد وتذهب خلوه ويسمى فنيخًا وكلامها مكر . وقد ورد ذكر السكر في قوله تعالى : « ومن تمرات النخيل والأعناب تتخفون منه سكرًا وورقًا حنا . » ، ومن هذا البيت والذي قبله : تل لساقينا : نخ كؤوسك هنا فقد أثنانا السكر التي تحدثه الذكر ، من السكر التي يجنيه السكر ، وتل لساديننا : مل قطع الوتر والفتاء ، فيما حلا في السبع من ذكر الكفاية والثناء .

(٢) ثبت : ثابت ، والرد : جمع منه (بالسكر) وهي القوة والشدة أي لم يقادر لي السقام بها وصبرًا مع أني لم أزل فاسية قويًا ، وورد هذا البيت في الأصل هكذا :

لم يقادر لي شفا من جلد مع أني لم أزل ثبت التمر

وما أتهناه من الإصلاح هو ما يرشد اليه السياق .

(٣) البراز : المنسج من الأرض التي ليس به ما يقره من شجر أو غيره ، والخمر : ما يستر للمائي أو الصيد من شجر أو جرف أو جبل دمل أو غير ذلك ، يقول : يا من يدافع مني إذا رأي زمان معي إلى متكرًا يريد تخلي وأخفى على غيره . (٤) الألوى : الشدة للتصومة الجدل السليط ، والستر : من استمر استحكم مصدر ميمي يعني أنه بعيد شأوا المحصورة ، وفي اللتل : « لتجدل فلانا ألوى بعيد للستر . » وقد جاء هذا التل في قول الزاجر :

« إذا تمنازوت وما بي من خور ثم كسرت الطرف من غير عور

وجدتي ألوى بعيد للستر أجل ما حلت من خير وشر . »

أي وجدني خصا سليط اللسان بعيد شأوا المحصورة .

لِي فِيهِ الْمَلَلُ السَّائِرُ عَنْ جَالِبِ التَّعْرِ إِلَى أَرْضِ هَجَرَ
فَإِنَّ أَنْ الْعَدْرَ رَسْمٌ وَاصْبَحُ تُنْفَتِ الشُّكُوى إِذَا الشُّوقُ صَدَرَ^(١)
ثُمَّ قَدْ وَقَفَ عِنْدَ عَظُمَتِ نِعْمَةُ الْمَوْلَى عَلَيْهِ فَشَكَرَ
لَأَعْدَا حَظِّكَ إِبْقَالُ تُرَى قَاضِيَا أَثْنَاءَهُ كُلِّ وَطَرِ
وَأَصْلَحَ كَأْسُ الرِّضَى مِنْ تِلْكَ سِرَتْ فِي إِرْصَانِهِ أَرْكَى السَّيْرِ
حِينَ صَمَتَتْ إِلَى أَعْدَائِهِ فَأَتَتْهُمْ مِنْكَ صَمَاءُ الْغَيْرِ
فَاضْغَمَ غَمْرُ اللَّيْلِ مِنْ قُوَّتِهِمْ كَانَ يُرَوِّى شُرْبُهُمْ مِنْهُ الْغَمْرُ^(٢)
سَبَقَ النَّاسَ فَصَلَّى مِنْكَ مَنْ إِنْ رَأَى آعَارُهُ الزُّهْرَ أَتَقَرَّ^(٣)
زَيْلًا الْأَيَّامِ إِذْ مُلْكُكُمْ سَالَ فِي أَوْجُعِهَا سَيْلُ الْفُرَزِ
فَأَبْقَى فِي دَوْلَةٍ قَادِرَةٍ بَعْضُ حُرَّاسِ تَوَاحِيهَا الْقَدَرِ
مُسْتَدَلِّي مَنْ طَعْنَى مُسْتَأْمِلِي شَافَةَ الْبَاغِي مُقْبِلِي مَنْ عَزَرِ
عَلَى مَنْ صَلَّى مُزْنِي مَنْ شَكَ خَلَّةَ الْإِحْمَالِ بِذَرِي مَنْ نَظَرِ
تَضَحَّكَ الْأَرْزَمُ عَنْ عَلَيَا كَمَا ضَحِكَ الرَّوَضَةُ عَنْ قَعْرِ الزُّهْرِ

(١) صدر : أصاب الصدر ، يقال : صدر فلان فلانا يصدده صدرا (من باب نصر) أصاب صدره .
(٢) الغمر : مدح صنف يصفان به القوم في السفر إذا قل الماء ولم يكن معهم منه إلا البعير ، والقصاين
أن بقوا فيه حياء ثم يصب فيه من الماء قدر ما ينسر الحصاد ، ثم يعطى الأناة كل رجل منهم بحسب دوره
وجاء في شعر أهدى بأهله : -

« يكفيه حزة فقد إن لم بها من الشواء ويروى هرهقه »

(٣) اغتر - من اغتر الأثر - انقضاء وتعبه ، والمضى : سبق أبوك لحظك مصلياً وتالياً بعده أنت يامن
يخص آثار أبيه الزهر .

ذكرى ولادة

« كان يكلف بولادة بنت المهدي هذه وجهه ،
ويستضيء بنور تخيلها في الليل البهيم ، وكانت من
الأدب والظرف ، وتقيم السمع والظرف ، بحيث تخلص
أقارب والألباب ، وتعيد الشيب إلى أخلاق الشباب ،
فلما حل بذلك القرب ، وتخل عقد صبره بيد الكرب ،
كر إلى الزهراء ليتوارى في نواحيها ، ويسل برؤية
مانيها ، فوافها والربيع قد خلع عليها برده ، ونثر
سوسه وورده ، وأترع جدولها ، وأنطق بلابلها ، فارتاح
لرياح جبل بوادي القرى ، وراح بين روض يافع
وربع طيبة السرى ، فتشوق إلى لقاء ولادة وحن ،
وخاف تلك التواب والمحن ، فكتب إليها يصف فرط
قلقه ، وضيق أمده إليها وطلقه ، ويصحبها على إغفال
تعبه ، ويصف حسن محضه بها ومشهده (١) : »

إِنِّي ذَكَرْتُكَ « بِالْزَهْرَاءِ » مُشْتَقًا وَالْأَفُقُ طَلَّقَ ، وَنَرَأَى الْأَرْضَ قَدْ رَاقًا
وَلِلنَّسِيمِ أَغْيَالٌ - فِي أَصَائِلِهِ - كَأَنَّهُ رَقَّ لِي ، فَأَعْتَلُ إِشْفَاكَ
وَالرَّوْضُ - عَنِ مَائِهِ الْفَيْضِ - مُبْتَسِمٌ ، كَمَا شَقَقْتَ مِنَ اللَّبَاتِ - أَطْوَاكَ
يَوْمٌ ، كَأَنَّهُ لَدَاتٍ لَنَا أَنْصَرَمَتْ ، بِقَنَاحِهَا - حِينَ نَامَ الْذَهْرُ - سُرَاكَ
نَلْهُو بِمَا يَسْتَمِيلُ التَّيْنَ مِنْ زَهَرٍ - جَالِ النَّدَى فِيهِ - حَتَّى مَالَ أَغْنَاكَ

(١) ثلاث العيان . (٢) وفي بعض الروايات : « ووجه الأرض لدراما » .

(٣) البات : جمع لبة ، وهي موضع القلادة من الصدر ، والأطواق : جمع طوق ، وأراد به ما يطبق
بالساق من الثوب ، ولأنه أن الهيئة الخاصة من أنساب اللاء الفضي في الروض تشبه الهيئة الخاصة من
الانغلاق طوق الثوب عند تراثب الثمر والصدر ، وجاء في بعض الروايات : « كما حلت عن البات أطواك » .

كَأَنَّ أَهْنَهُ - إِذْ مَاتَتْ أَرْقَى - بَكَتْ لِمَا بِي ، فَجَالَ الدَّمْعُ وَفَرَقَا
 وَرَدُّ تَأَلَّقَ - فِي مَنَاحِي مَنَاجِدِهِ - فَأَزْدَادَ مِنْهُ الضَّحَى فِي التَّيْنِ - إِشْرَاقَا
 سَرَى يَتَأَفَّعُهُ يَتَلَوَّرُ عَيْقُ وَسَنَانُ ، نَبْهَ مِنْهُ الْمُبِيعُ أَحْدَاثَا
 كُلُّ يَبِيجُ لَنَا ذِكْرَى نُشَوِّقُنَا إِلَيْكَ ، لَمْ يَمُدَّ عَنْهَا الصَّدْرُ إِنْ مَنَاقَا
 لَا مَسْكَنَ اللَّهُ قَلْبًا ، عَنْ ذِكْرِكُمْ قَلَمٌ يَهْلِكُ - يَمْنَحُ الشُّوقِ - خَفَاقَا
 لَوْ شَاءَ حَمَلِي نَسِيمَ الْمُبِيعِ - حِينَ سَرَى - وَفَاكُمُ بَقِيَّ أَضْنَاءَ مَا لَاقَى
 لَوْ كَانَ وَفَى الْمَنَى - فِي جَمْعِنَا بِكُمْ - لَكَانَ مِنْ أَكْرَمِ الْأَيَّامِ أَخْلَاقَا

* *

يَا عِلِّي الْأَخْطَرَ الْأُسْنَى الْحَبِيبَ إِلَى نَفْسِي ، إِذَا مَا أَقْتَنَى الْأَحْجَابُ أَخْلَاقَا
 كَانَ التَّجَارِي بِمَخْضِ الْوُدِّ - مُذَرَمِينَ - مَيِّدَانِ أَنْسٍ ، جَرَيْنَا فِيهِ أَطْلَاقَا
 فَالآنَ - أَخَذَ مَا كُنَّا لِمَهْدِكُمْ - سَلَوْنُمُ ، وَبَقِينَا نَحْنُ مَشَاقَا

إلى ولادة

يَا نَارِيَا - وَضِيرُ الْقَلْبِ مَثْوَاهُ - أَنْسُكَ دُنْيَاكَ عَيْدًا أَنْتَ دُنْيَاهُ
 أَلْهَتَكَ عَنْهُ فُكَاهَاتُ تَلَذُّبِهَا فَلَبَسَ يَجْرِي - يِيَالٍ مِنْكَ ذِكْرَاهُ
 مَلَّ الْيَلَالِي تَبْقِيَنِي إِلَى أَمَلٍ ، الدَّهْرُ يَنْعَلُ وَالْأَيَّامُ مَعْنَاهُ

إلى أبي حفص بن برد

قُلْ لِي حِفْصٍ وَلَمْ تَكْذِبْ - يَا قَمَرُ الدِّيَّانِ وَالْمَوَكِبِ :
مَا لِي بِمَفْوَازٍ - مَا لَوْفِكَ - أَبْرَقَ فِي الْأَلْفَةِ عَنْ خُلْبِ ؟
وَلَمْ يَمُذْ إِلَّا كَمَا يَتَّقِي مُسْتَرْقِ السَّمْعِ مِنَ الْكُزْكَابِ ؟

* * *

هَفَءُ يَأْتِيهِ عَلَى فِعْلِهِ ، وَأَشْتَمَ - وَإِنْ لَمْ يَنْسَجِمَ - فَأَشْرَبَ
وَعَالِيهِ صَهْبَاءُ مَشْمُولَةٌ يَرَى لَهَا الْمَشْرِقَ فِي الْمَغْرِبِ
وَلْيُشْرَبِ الْأَكْثَرُ مِنْ كَأْسِهِ وَأَمَحَدُ - إِلَى فَضْلَتِهِ - فَأَشْرَبَ
عُقُوبَةُ ، أَحْسِنَ بِهَا سُئْنَةً - فِي مِثْلِهِ - مِنْ حَسَنِ مُذْنِبِ
وَبَاكِرِ الطَّيِّبِ ، وَرُوحَالَهُ ، فَأَنْجَمًا فِي زَمَنِ طَيِّبِ

ليل انس

« وَبَاتَ لَيْلَةً بِأَحَدَى جَنَاتِ اشْشِيلَةِ هَال : »

وَلَيْلٍ أَدْمَنَّا فِيهِ شُرْبَ مَدَامَتِهِ إِلَى أَنْ بَدَأَ الصَّبِيحَ - فِي اللَّيْلِ - تَأَمُّرُ
وَجَاءَتْ نُجُومُ الصَّبِيحِ - تَضْرِبُ فِي الدُّجَى قَوْلْتُ نُجُومُ اللَّيْلِ ، وَاللَّيْلُ مَقْهُورُ
فَعَزَّزْنَا مِنَ اللَّذَاتِ أَطْيَبَ طَيِّبَهَا ، وَلَمْ يَغْرُنَا هَمٌّ وَلَا حَاقَ تَكْدِيرُ
خَلَا أَنَّهُ - لَوْ طَالَ - دَامَتْ مَسَرَّقِي ، وَلَكِنْ لِيَاكِ الْوَصْلُ فِيمَنْ تَقْصِدُ

دواء

« وقد أهدى دواء »

قَدْ بَشَنَاهُ يَنْفَعُ الْأَعْضَاءَ حِينَ يَحْمَلُوْهُ يُلْطَفُهُ السَّخْنَاءُ^(١)
جَاءَ يُرْمَى بِمُسْتَشْفٍ رَقِيقٍ يَخْدَعُ الْقَيْنَ رَقَّةً وَصَفَاءُ^(٢)
تَنْفَعُ الْقَيْنُ مِنْهُ فِي ظَرْفِ نُورٍ مَلَأَهُ أَيْدِي الشُّمُوسِ ضِيَاءُ
أَكْسَبَتْهُ الْأَيَّامُ بَرْدَ هَوَاهُ فَهُوَ جِسْمٌ قَدْ صِغَ نَارًا وَمَاءُ
مَنْظَرٌ يَنْهَجُ الْقُلُوبَ ، وَطَمَمَ تَشْكُرُ النَّفْسُ عَهْدَهُ أُسْتِمَاءُ
لَدَهُ الْوَصْلُ نَالَهُ - بَعْدَ يَأْسٍ - كَلِفٌ طَالَمَا تَشْكَى الْجَفَاءُ^(٣)
يَفْضَحُ الشَّهْدَ طَمَعُهُ - كُلَّمَا قَيْسَ - إِلَيْهِ وَيُخْجِلُ الصَّهْبَاءُ
فَقَلَّ السَّابِقُ الْمُقَدَّمُ - فِي التَّنْجِجِ - فَازْرَى بِطَلْبِهِ إِزْرَاءُ
فَهِرَ أَنِّي بَشَنْتُ هَذَا غِذَاءُ - يَشْتَهِيهِ الْفَقَى - وَذَلِكَ دَوَاءُ
مُلْطَفٌ يُبْرِدُ الْمَزَاجَ إِذَا جَا شَ التَّهَابَا ، وَيَقْمَعُ الصَّفْرَاءُ

(١) بَشَنَاهُ : أى الدواء للمهود بينه وبين غلظه ، ومعلوم أن الطب وعلم الكيمياء وتركيب الأدوية والصيادلة والجراحه خدمت في الأندلس وبخاصة في القرون الوسطى وعند طلاء الأندلس كابن رشد ، وأبي القاسم زهرادى ، وابن زهر ، وأضرابهم من طلاء للفرق بينداد : كابن سينا والرازى ، وعلى ابن اللباس أخذ طلاء أوربا بعلومه الطيبة وفيها ، وقد مر بك كثير من صفات ابن زيدون التي تبرز في ذكر الطب والعلاج ، وأنت إذا تأملت فيها يمر بك من هذا النوع وأشبهه هرا فيه آيات الحضارة ، وتشر بأثار المدنية . والنحناء : من قومهم : إلى لأجد في على سحناء - بلاد - وسخوة أى حراوة جديدة من وجع أو حمى .

(٢) يقول : إن هذا الدواء قد جاءك يرمى في رفته وسيروله بوما ، وحين تمشط العين ماني داخله ، ويندفع القاطر فلا يكاد يراه لشدة رقة وصفائه .

(٣) قوله : إنه متطليه يستمره ويهد فيه لغة الكلب المشوق ، ظفر بومل المهبب بعد بأس وطول جناه .

وَمُعِينٌ لِوَأَسِيلِ الصَّوْمِ، يَنْبَرِي بَرْدُهُ فِي الْحَشَا - قَبْرُوى الطَّمَاءِ
(قَتَقَبَلَهُ) شَافِئًا لِأَيْدِيكَ الَّتِي بَغَضَهَا يَمُوتُ الشَّاءُ ^(١)

حسبي رضاك

إِلَيْكَ - مِنْ الْأَنَامِ - غَدَا أَرْيَا حِي، وَأَنْتِ - عَلَى الزَّمَانِ - مَدَى أَقْبَرِ رَاحِي
وَمَا أَغْتَرَضْتَ مُهْمُومُ النَّفْسِ إِلَّا - وَمِنْ ذِكْرِكَ - وَنَحَافِي وَرَاحِي
فَدَيْتَكَ : إِنْ صَبَرَى عَنْكَ صَبَرَى - لَدَى عَطَشِي - عَلَى الْمَاءِ الْقَرَّاحِ ^(٢)
وَلِي أَمَلٌ - لَوْ الْوَأَشُونَ كَفُّوا - لَا طَلَعَ غَرَسُهُ نَمَرَ النَّجَاحِ
وَأَعْجَبُ كَيْفَ يَفْلِيئُنِي عَدُوٌّ - رِضَاكَ عَلَيْهِ مِنْ أَمْنِي سِلَاحِ
وَلَمَّا أَنْ جَلْتِكَ لِي - اخْتِلَاسًا - أَكْفُ النَّهْرِ لِلْحَيْنِ الْمُتَاحِ ^(٣)
رَأَيْتُ الشَّمْسَ تَطْلُعُ مِنْ تِقَابِ، وَغَضَنَ الْبَانِ يَرْقُلُ فِي وَشَاحِ
فَلَوْ أَسْطَبِعُ طَرْتُ إِلَيْكَ - شَوْقًا - وَكَيْفَ يَطِيرُ مَقْصُومُ الْجَنَاحِ
عَلَى حَالِي وَصَالِ وَأَجْتَابِ، وَفِي يَوْمِي دُؤُوبٌ وَأَنْتِزَاحِ
وَحَسْبِي أَنْ تَطَالِمَكَ الْأُمَانِي بِأَفْقِكَ - فِي مَسَاءِ أَوْ صَبَاحِ

(١) وجد هذا البيت في الأصل ناقصاً هكذا :

« شافئاً لأيديك التي بغضها يموت الشاء . . »

والفكرة لا يلزمها البيان .

(٢) يقول : إن صبرى عنك كصبرى على الماء الفراح لدى عطشي وشدة ظمئي .

(٣) يقول في هذا البيت والى هذه : ولما أن جلتك وأبرزتك يد البدر خلسة ليحي وحلاكي إقواء
أنجح وقد تدلى ، طلعت سافرة كما طلعت الشمس من غاب ، وخطرت مائة كما يرقل غصن البان في وشاح

وَأَنْ تُهْدِيَ السَّلَامَ إِلَيَّ - غِيًّا - وَلَوْ فِي بَعْضِ أَفْكَاسِ الرِّيحِ (١)
فَوَإِدِي - مِنْ أُمِّي بِكَ - قَبِيرُ خَالٍ وَقَلْبِي - عَنْ هَوَى لَكَ - قَبِيرُ صَاحِ

عودي إلى الوصال

بَاعَدْتَ - بِالْإِفْرَاضِ - غَيْرَ مُبَاهِدٍ وَزَعَدْتَ فِيمَنْ لَيْسَ فِيكَ بِزَاهِدٍ (٢)
وَسَقَيْتَنِي - مِنْ مَاءِ هَجْرِكَ - مَالَهُ أَصْبَحْتُ أَشْرَقُ بِالْزُّلَالِ الْبَارِدِ
هَلَّا جَمَلْتُ - قَدَتِكَ نَفْسِي - قَابَةَ اللَّعْبِ ، أَبْلُغُهَا بِجَهْدِ الْجَاهِدِ (٣)
لَا تُفْسِدُنْ - مَا قَدْ تَأَكَّدَ يَتَنَّا مِنْ صَالِحٍ - خَطَرَاتُ ظَنِّ فَايِدٍ
خَاشَاكَ مِنْ تَضْيِيعِ أَلْفِ وَسِيلَةٍ - شَجَى الْعَدُوِّ لَهَا - بِذَنْبٍ وَاحِدٍ (٤)
إِنْ أَجْنِهَ خَطَأً ، فَقَدْ عَاقَبْتَنِي ظُلُمًا ، بِأَبْلَغِ مِنْ عِقَابِ الْعَامِدِ (٥)

* *

عُودِي لِمَا أَصْفَيْتَنِيهِ مِنَ الْهُوَى بِذَوَا ، فَلَسْتُ لِمَا كَرِهْتِ - بِمَائِدٍ
وَصْنِي قِنَاعَ السُّخْطِ عَنْ وَجْهِ الرِّضَا كَيْمَا أُخِرَّ إِلَيْهِ أَوَّلَ سَاجِدٍ (٦)

(١) وحسبي أن تبغى بالسَّلامَ أي يوماً بعد يوم ولو مع أفكاس الريح التي تهب من ناحيتك ، وفي الأصل « وأن تهدي » وقد وضعنا بدلها « تهدي » التي هي كصورتها حتى لا تكون نائية في موضعها ، وقد وجد هذا البيت بعد تأليه ، ولكننا آثرنا تقديمه عليه بحكم المعطف على قوله :

« وحسبي أن تطالعك الأماني . »

(٢) باعدت نفى غير مباعد وذلك بأمرائك منه ، وزعدت نفى محب ليس فيك بزاهد .

(٣) يقول كان ينبغي أن تجعل بيني وبينك نهاية للحب وفاقاً أبلغ فيها وذاك بجهد الجاهد وشق النفس .

(٤) يقول : خاشاك أن تضيع ألف وسيلة توسلت بها إلى رضاءك براها عدوى كالفجاء مستقرنا في

حلقه بذنب واحد .

(٥) إلا أن ذلك الذنب خطأ قد ظننت بأن عاقبتني عليه بأشد من عقوبة من أتى بقلوب مما .

(٦) أظن من وجه الرضا ما يستقره من قناع السخط كما أكون أول ساجد على نية رضاء مني .

أبو القاسم

« وأمره المتضد أن يمرض قطعا من أشعار كان
يستحسن ألحانها فعرضها رجه الله بقطع وهي : »

يَقْصُرُ قُرْبُكَ لِيَلِي (١) الطَّوِيلَا وَيَشْنِي وَصَالِكَ قَلْبِي الْعَالِيَا
وَإِنْ عَصَفَتْ مِنْكَ رِيحُ الصَّدُودِ فَقَدْتُ نَسِيمَ الْحَيَاةِ الْبَلِيلَا
كَمَا أَنَّنِي (٢) إِنْ أَطَلْتُ الْمِثَارَ وَلَمْ يُبْدِ عَذْرَى وَجْهَا جِيلَا
وَجَدْتُ « أبا القاسم الظافر المؤيد بالله » مَوَلَى مُقْبِلَا
إِذَا مَا نَدَاهُ هَمِي وَالْحَبَا شَاءَ ، وَعُدَّ الْجَوَادُ الْبَغِيلَا
وَأَقْلَامُهُ وَفَقُّ أَسْيَافِهِ يَظَلُّ الصَّرِيرُ يُبَارِي الصَّلِيلَا

وقال

أَنْتَ الْمُسَبَّبُ لِلْوُلُوجِ وَمُثِيرُ كَامِنَةِ الْجُمُوعِ
يَتَمَيَّزُ لَوْ أَغْفَا سَهْمَا طَلَعَتْ مِنَ الطَّلُوعِ
وَالظَّافِرُ الْمَلِكُ الْمُؤَيَّدُ وَاحِدٌ عَدْلُ الْجُمُوعِ
الْبَدْرُ فِي سَحْبِ الْبُرِّ وَدِ الْلَيْثُ فِي لَبَدِ الدَّرُوعِ
عَنْتِ الْأَصُولُ لِأَصْلِهِ وَتَقَاعَصَتْ عَنْهُ الْفُرُوعِ

(١) في الأصل : « اليل »

(٢) في الأصل : « أني »

آلام الحب

مَتَى أَبُذِّكَ ^(١) مَاي ؟ يَا رَاحَتِي وَعَذَابِي
مَتَى يَتَوْبُ لِسَانِي فِي شَرْحِي مِنْ كِتَابِي ؟
اللَّهُ بَعْلَمُ أَنِّي أَصْبَحْتُ فِيكَ لِمَا يِي
فَلَا يَطِيبُ ^(٢) مَنَامِي وَلَا يَسُوغُ شَرَابِي

* *

يَا فِتْنَةَ الْمُتَعَرِّى ^(٣) وَحُبَّةَ الْمُتَمَارِي :
الشَّمْسُ أَنْتِ تَوَارَتْ عَنْ نَاطِرِي - بِالْحِجَابِ

* *

مَا الْبَذْرُ - شَفَّ سَنَاهُ عَلَى رَقِيقِ السَّحَابِ -
إِلَّا كَوَجْهِكَ ، لَمَّا أَصَاءَ تَحْتَ النُّقَابِ

كيف السلو ؟

كَمْ ذَا أُرِيدُ وَلَا أَرَادُ ؟ يَا سَوْءَ مَا لَقِيَ الْفُؤَادُ !
أُصْنِفِي الْوِدَادَ مَدْلَلًا ، لَمْ يَصْفُ لِي مِنْهُ الْوِدَادُ
يَقْنِي عَلَى دَلَالَةٍ - فِي كُلِّ حِينٍ - أَوْ يَكَادُ
كَيْفَ السُّلُوكُ عَنِ الَّذِي مَثْوَاهُ - مِنْ قَلْبِي - السَّوَادُ ؟

(١) وفي بعض الروايات : « متى أميك . »

(٢) وفي بعض الروايات : « لم يله منامي »

(٣) وفي الأصل : « يا فتنة للفرى »

عَلَّمَ الْقُلُوبَ بِمُنْهٍ، فَلَهَا - إِذَا أَمَرَ - أَتِيَادُ

يَا هَاجِرِي كَمْ أَسْتَفِيدُ الصَّبْرَ عَنْكَ ، فَلَا أَفَادُ
أَلَا (١) رَبَّنَا لِمَنْ يَبِيتُ وَحَشْوُ مُقَلَّتِهِ الشَّهَادُ ؟
إِنْ أَجْنِ ذَنْبًا فِي الْهَوَى - خَطَاً - فَقَدْ يَكْبُو الْجَوَادُ
كَانَ الرَّمَى - وَأَمِيدُهُ - أَنْ يُغَيَّبَ الْكَوْنُ الْفَسَادُ

قسم

أَسْتَوْدِعُ اللَّهَ مَنْ أَمْنِي الْوَدَادَ لَهُ
إِنْفَ اللَّهِ غُرُورَ الْوَعْدِ، يَصْفَحُ لِي
تَجَلَّوْا لِي شَخْصَةً لِي - وَهُوَ مُتَجَبِّ
يَا بَذَرْتِمِ بَدَا فِي أَفْقٍ تَمْلِكُهُ ،
أَفْدَى بَدَائِعِ شَكْلِ مِنْكَ مُضْبَرَّةً
مَحْضًا ، وَلَا مَ بِهِ الْوَأْيِ فَلَمْ أُطِيعْ
عَنْهُ ، وَيُقْنِي التَّحْلِيلُ بِالْخُدْعِ
عَنِّي - قَا شِلْتِ مَنْ تَرَأَى وَمُسْتَمِعْ
فَرَأَى مُطْلِمًا مِنْ خَيْرٍ مُطْلَعِ
لِقَتْلِ نَفْسِي - عَمْدًا - أَشْنَعُ الْبِدْعِ

تَاللَّهِ - أَكْرَمَ مَا أَمْنِي الْيَمِينَ بِهِ
مَالَهُ لِي قُرْبُ أَنْسٍ أَنْتِ نَارِحَةٌ
مَنْ دَانَ فِي حُبِّهِ الصَّدَقِ وَالْوَرَعِ -
عَنْهُ ، وَلَا سَاغَ عَيْشُ لَسْتُ فِيهِ سَيِّ

خداع الأمان

وَلَقَدْ شَكَوْتُكَ بِالضَّمِيرِ إِلَى
وَدَعَوْتُ - مِنْ حَقِّي - عَلَيْكَ فَأَمَّنَا
مَبْتُتُ نَفْسِي - مِنْ مَقَانِكَ حَصَّةً
وَلَقَدْ تَرَرُّ الرَّمَى بَارِقَةُ الْوَيْ

في الغزل

« وله يتغزل ويحاتب من يستطفه ويتزل . »

يَا مُسْتَنْجِفًا بِمَا شِيقِهِ وَمُسْتَشْفَا لِنَاصِيهِ
وَمَنْ أَطَاعَ الْوُشَاةَ فِيْنَا حَتَّى أَطَعْنَا السُّلُوَ فِيهِ
الْحَمْدُ لَهُ إِذْ أَرَانِي تَكْذِيبَ مَا كُنْتُ تَدَّعِيهِ
مِنْ قَبْلِ أَنْ يُهْزَمَ النَّسْلُ وَيَقَابَ الشُّوقُ مَا يَلِيهِ

إلى هاجر

أَوْسَلَبُ مِنْ رِصَالِكَ مَا كُتِبْتُ ؟ وَأَعَزُّ عَنْ رِصَالِكَ - وَقَدْ وُلِيتُ ؟
وَكَيْفَ - وَفِي سَبِيلِ هَوَاكَ طَوْعًا - لَقِيتُ مِنَ الْمَكَارِهِ مَا لَقِيتُ ؟
أَسِرُّ عَلَيْكَ عَتَبًا لَيْسَ يَنْقُ ، وَأُصْبِرُ فِيكَ غَيْظًا لَا يَبِيتُ
وَمَا رَدَى عَلَى الْوَاشِيَيْنَ ، إِلَّا : « رَضِيتُ بِحُورٍ مَا لِكُنِّي رَضِيتُ . »

دعاء محب

أَنْ أُنْجِعَ عَهْدَكَ ؟ أَمْ كَيْفَ أَخْلِفُ وَعْدَكَ
وَقَدْ رَأَيْتَكَ الْأَمَانِي رِضَى ، قَلَمٌ تَتَمَدَّدُ

يَا لَيْتَ مَا لَكَ عِنْدِي مِنْ الْهَوَى لِي عِنْدَكَ^(١)

(١) ولي بعض الروايات :

« يَا لَيْتَ شِعْرِي ، وَهْدِي مَا لَيْسَ - فِي الْمُبِّ - عِنْدَكَ

هَلْ طَالَ لَيْتُكَ بِهْدِي ؟ كَلُولُ لَيْلٍ بِهْدِكَ ؟ . »

فَطَالَ لَيْلُكَ بَدِي كَطُولُ لَيْلِي بِذَلِكَ
سَلَنِي حَيَاتِي أَهْبَهَا ، فَلَسْتُ أَمْلُكَ رَدَّكَ
الْأَهْرُ حَبْدِي ، لَمَّا أَسْبَحْتُ فِي الْمَبْدِ عَيْدَكَ

أنت حسبي

يَا مَنْ غَدَوْتُ بِهِ - فِي النَّاسِ - مُشْتَرِياً
إِنْ غَيْتَ لَمْ أَلْقَ إِنْسَانًا يُؤَلِّسُنِي ^(١)
فَلَنِي عَلَيْكَ يُقَالِي الْهَمَّ وَالْفِكْرَا
وَإِنْ حَضَرْتُ ، فَكُلُّ النَّاسِ قَدْ حَضَرَا

ما الذي أنكروه ؟

قَالَ لِي : « أَهْلُ مَنْ هَوَيْتَ » حَسُودٌ قُلْتُ : « أَنْتَ الْغَلِيلُ وَنَحْمُكَ لَاهُو ،
مَا الَّذِي أَنْكَرُوهُ مِنْ بَرَاتٍ ^(٢) سَاعَفَتْ حُسْنَهُ وَزَادَتْ حُلَاةَ
جِسْمُهُ - فِي الصَّفَاءِ وَالرَّفَقَةِ - الْمَا ، فَلَا غَرَوْ أَنْ حُبَابُ عِلَاةَ

شوق بعد سلوان

عَاوَدْتُ ذِكْرِي الْهَوَى - مِنْ بَدِي نِسْيَانٍ وَأَسْتَحْذَتْ الْقَلْبُ شَوْقًا بَعْدَ سُلُوانٍ
مِنْ حُبِّ جَارِيَةٍ ، يَنْدُو بِهَا صَمٌّ مِنْ اللَّحْيَيْنِ ، عَلَيْهِ تَاكِجٌ عَقِيَانٍ
غَرِيرَةٌ - لَمْ تُقَارِفْهَا تَمَامُهَا - نَسِي الْعُقُولِ بِسَاجِي الطَّرِيفِ وَسَنَانٍ
لَا سَتَجِدُنْ - فِي عَشْقِي لَهَا - زَمَنًا يُنْسِي سَوَائِفَ أُمَامِي وَأَزْمَانِي
حَتَّى تَكُونُ لِيِنْ أَحْيَيْتُ خَاتِمَةً ، نَسَخْتُ - فِي حُبِّهَا - كُفْرًا بِإِيمَانٍ

(١) في الأصل « بوني » بإبدال الهيرة ولوا وهو إبدال مقيس كما يعلم من علم الصرف ، وهو مضارع
أسى (بالضخيف) أي أزال وحقق كآسى ، وجاء في كلامهم :
« إِذَا جَاءَ الْغَلِيلُ اسْتَأْسَى كُلُّ وَحْشٍ ، وَاسْتَوْحَشَ كُلُّ إِنْسٍ » .

(٢) البرات : واحدتها برة كسجدة وسجدات ، وهي خراج صفار تظهر على الوجه ، تشتطف جلده ،
وأغلب ما يكون ذلك في لوان الشباب ، وقلته يعرف عند العامة في بلادنا (عجب الشباب) ، وقد طرد في
البيت التالي قليلا حسنا ، حيث شبهه بالحباب يطفو على وجه لاله القبيح بعمرة وجه المهيبي لاله والسماء .

أسر الهوى

بِأَسْوَاقِ قَفْصِي - إِنْ أَحْكَمَ - وَأَخْتَارِي إِنْ أَعْيَزَ
كَمْ لَأَمْنِي فِيكَ الْحُسُو دُ ، وَقَدْ الْوَأَيْ فَأَكْثَرُ
قَالُوا : « تَمَيَّزَ بِالسُّلُوِّ وَالْمَلَامَةِ قَدْ تَمَيَّزَ »
وَتَوَهَّمُوكَ جَنَيْتَ ذَنْبًا بِالتَّجَنَّى لَيْسَ يُغْفَرُ
وَيَزَمُّهُمْ أَنْ لَيْسَ مِثْلِي فِي الرِّضَى بِاللَّوْنِ يُعَذَّرُ
لَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ الْهَوَى رِقٌّ ، وَأَنَّ الْحُسْنَ أَمْرٌ »

معذرة

إِنْ تَكُنْ نَالَكَ بِالصُّرْبِ يَدِي - وَأَصَابَكَ بِمَا لَمْ أُودِ
فَلَقَدْ كُنْتُ - لَعَنَرِي - قَادِيَا لَكَ بِالْمَالِ وَبِأَخِي الْوَلَدِ
فَقِي مِثْنِي بِعَهْدِ ثَابِتٍ وَصَحِيرِ خَالِصِ الْمُتَقَدِّ
وَلَنْ سَاءَ لِي يَوْمٌ قَاطَمِي أَنْ سَيَتَلَوُهُ سُورُورٌ يَغْدِ

وصف الكأس

أَنَا ظَرَفُ الْهَوَى كُلِّ ظَرِيفٍ أَنَا مُسْتَوْدَعُ لِبَلْقِي شَرِيفٍ
أَنَا كَالصَّدْرِ فِي الْإِطَاعَةِ بِالْإِذَا حِ إِذِ الرَّاحِ كَالضَّمِيرِ الْإِطِيفِ
سَلْ مِنَ الطَّبَيَّاتِ قَفَى قُنُونُ أَلْقَتْ فِي أَحْسَنِ التَّأْلِيفِ
أَيُّ حُسْنِي بَنِي بِحُسْنِي نَحْمُو لَا يَكْفِي وَصِيفَةٍ أَوْ وَصِيفِ

(١) من قولهم « الحسن أمر » أي ذو مفعة وبلاء يريدون أن من تعلق الحسن والجمال تحمل في سبيله للشفقة وصبر على الأذى ، وأما يقال ذلك إن ستره الهوى ، ويطلب الحسن على أمره فيبقى في سبيله للروت الأحمر .

غاية المحين

لَيْنٌ كُنْتُ فِي السَّنِّ - رَبِّهِ الْهَلَالِ ، لَقَدْ قُفْتُ - فِي الْحُسْنِ - بِذِرَاكِمَا
أَمَّا وَاللَّيْ نَكَّدَ الْحَفْظُ فِي دُتُو الْمَكَانِ يُنْمِدُ النَّالِ
لَقَدْ بَلَغْتَنِي دَوَاعِي هَوَاكَ إِلَى قَايَةِ مَا جَرَّتْ لِي بِكَ
فَقُلْ لِلْهَوَى : « يَحْجِزُ مِلَّ الْعَنَانِ » فَيَدَانُ قَلْبِي رَجِيبُ الْمَجَالِ

صفح المذنب

بِأَقْرَأَ مَطْلَعُهُ الْغَرْبُ قَدْ صَاقَنِي - فِي جُبِكَ - الْمَذْهَبُ
أَعْتَبُ - مِنْ ظُلْمِكَ لِي - جَاهِدًا ، وَيَغْلِبُ الشَّوْقُ فَأَسْتَعِيبُ
أَلَزَمْتَنِي الذَّنْبَ الَّذِي جِئْتُهُ ، صَدَقْتُ ، فَاصْفَعْ أَيُّهَا الْمُذْنِبُ

لا يأس

أَيُّهَا الْبَذْرُ الَّذِي يَمْلَأُ عَيْنِي مِنْ تَأْمَلِ
مَحَلَّ الْقَلْبِ تَبَارِجَ النَّجْمِ فَتَحَمَلْ
لَيْسَ لِي صَبْرٌ جَمِيلٌ ، فَمَيَّرَ أَنِّي أُنْجَمَلُ
ثُمَّ لَا يَأْسَ ، فَكَمْ قَدْ نِيلَ أَمْرٌ لَمْ يُؤْمَلْ

عتب

أَوْخَيْتُ - بِلَا جُرْمٍ - وَأَفْضَى بِلا ذَنْبٍ ، سِوَى أَنِّي مَحْضُ الْهَوَى صَادِقُ الْهُبِ
أَعَادِيكَ يَا الشُّكْرَى ، فَأُخَيِّ عَلَى الْقَلِي وَأَرْجُوكَ لِلْعَتَى ، فَأُظْفِرُ بِالْعَتَبِ
فَدَيْتُكَ ، مَا لِلْمَاءِ - عَذَابُ الْقَلْبِ - وَإِنْ مُنِمَّتِي خَسَفًا ، مَحَلَّتْ مِنْ قَلْبِي
وَلَوْلَاكَ ، مَا صَاقَتْ حَشَايَ - صَبَابَةً - جَعَلْتُ قِرَاهَا أَلْفَ مَسْكَبٍ عَلَى مَسْكَبِ

تجنّب الحبيب

بقي بي - يا مُدَّيْنِي - فإني سأحفظُ فيك ما صَبَّغْتَ مِنِّي
وإن أصبغت قد أُرْضِيتِ قَوْمًا بسُخْطِي، لَمْ يَكُنْ ذَا فِيكَ ظَنِّي
وَهَلْ قَلْبُكَ قَلْبِي فِي صَلَواتِي، فَأَسْأَلُو عَنْكَ حِينَ سَأَلَتِ عَنِّي
نَمَتَتْ - أَنْ تَنَالَ رِضَاكَ - نَفْسِي، فَكَانَ مَنِيَّةً ذَاكَ التَّجَنُّبُ
وَلَمْ أَجْنِ^(١) الدُّنُوبَ فَتَحْقِيقِهَا، وَلَكِنْ عَادَةٌ مِنْكَ التَّجَنُّبُ .

لا يأس في الحب

أَنْتِ مَعْنَى الضَّغْنِ وَمِثْلُ الثُّمُوجِ ، وَسَبِيلُ الْهَوَى ، وَقَصْدُ الْوُلُوجِ
أَنْتِ وَالشَّمْسُ ضَرَّتَانِ ، وَلَكِنْ لَكَ - عِنْدَ الْغُرُوبِ - فَضْلُ الطُّلُوجِ
لَيْسَ بِالْمَوْيِيسِ تَكْلُفُكَ الْمَتَّعِ - دَلَالًا - بِنِ الرِّضَى الْمَطْبُوعِ
إِنَّمَا أَنْتِ - وَالْحُسُودُ مَعْنَى - كَوَكَبٌ يَسْتَقِيمُ بَعْدَ الرُّجُوعِ

بقية المسواك

أَهْدِي إِلَى بَقِيَّةِ الْمِسْوَاكِ لَا تُظْهِرِي بَخْلًا بِمُودِ أَرَاكِ
فَلَعَلَّ نَفْسِي ، أَنْ يُنْقَسَ سَاقَةٌ عَنْهَا بِتَقْبِيلِ الْمُقْبِلِ فَالِكِ
يَا كَوْكَبًا - بَارِئًا سَنَاءً سَنَاءً - تَرَاهِي الْقُصُورُ يَدُ عَلَى الْأَفْلاكِ
قَرَّتْ وَفَارَتْ - بِالْخَطِيرِ مِنَ الْمُنَى - عَيْنٌ تُقَلِّبُ لِحْظَهَا فَتَرَاكِ

غرور المني

إِنْ سَاءَ فِعْلُكَ بِي ، فَمَا ذَنْبِي أَنَا ؟ حَسْبُ الْمُنِيمِ أَنَّهُ قَدْ أَحْسَنَّا
لَمْ أَسْأَلْ حَتَّى كَانَ عَذْرُكَ - فِي الَّذِي أَبْدَيْتَهُ - أَخْفَى ، وَعَذْرِي أَيْتَنَّا
وَلَقَدْ شَكَوْتُكَ - بِالضَّمِيرِ - إِلَى الْهَوَى ، وَدَعَوْتُ - مِنْ حَقِّي - عَلَيْكَ فَأَمَتْنَا
مَتَّبَعْتُ نَفْسِي - مِنْ وَفَائِكَ - صَلََّةً ، وَلَقَدْ تَرُّوا الْمَرْءَ بَارِقَةً الْمُنَى

صليبي

أَفَاقِبَةٌ عَلَيَّ ، وَخَاصِرَةٌ بَعْدِي ، أَتَأْدِيبُكَ - لِمَا عَمِلَ صَبْرِي - فَأَتَمِّمِي
أَفِي الْحَقِّ أَنْ أَشَقَّ بِحُبِّكَ ، أَوْ أَرَى حَرِيْقًا بِأَفْقَابِي ، حَرِيْقًا بِأَذْمِي
أَلَا عَطْفَةٌ تَحْمِي بِهَا نَفْسُ فَاشِقٍ ؟ جَعَلْتَ الرَّدَى مِنْهُ يَمْرَأً وَمَسْنَعٍ
صَلِيبِي - بَعْضُ الْوَصْلِ - حَتَّى تَيْبَنِي حَقِيقَةً حَالِي ، ثُمَّ مَا شِئْتَ فَأَمْسِنِي

شكوى ضائعة

سَاحِبُ أَعْدَائِي لِأَنَّكَ مِنْهُمْ (١) يَا مَنْ يُصْبِحُ - بِمُقَلَّتِي - وَيُسْقِمُ
أَصْبَحْتَ تُسْخِطُنِي فَأَمْتَحُكَ الرِّضَى - مَحْضًا - وَتُظْلِمُنِي فَلَا أَتُظْلِمُ
يَا مَنْ تَأَلَّفَ لَيْلُهُ وَتَهَارَهُ ، فَالْحُسْنُ يَنْتَهَمَا مَعْصِيَهُ مُظْلِمُ
قَدْ كَانَ فِي شَكْوَى الصَّبَا بِقِيَرَاةٍ ، لَوْ أَنَّنِي أَشْكُو إِلَى مَنْ يَرْحَمُ

وفاء المحب

لَمَّا اتَّصَلْتَ اتِّصَالَ الْحُبِّ (٢) بِالسَّكِيدِ ثُمَّ أَمْتَرَجْتَ أَمْتَرَاَجَ الرُّوحِ بِالْجَسَدِ

(١) وهذا قريب من قول الشاعر :

« شابهت أعدائي نصرت أحبيم إذ كان حطلي منك حطلي منهم »

(٢) وفي الأصل : « المحلب »

سَاءَ الْوُشَاةَ مَكَانِي مِنْكَ ، وَأَتَقَدَّتْ - فِي صَدْرِكُ كُلِّ عَذْوٍ - حَجْرَةُ الْحَسَدِ
فَلْبَسَتْ عَلَى النَّاسِ لَا أَهْدِي الرِّضَى لَهُمْ ، وَلَا يَضِيعُ لَكَ عَهْدُ آخِرِ الْأَبَدِ
لَوْ اسْتَعْلَمْتُ - إِذَا مَا كُنْتُ قَائِلَةً - غَضَضْتُ طَرْفِي ، فَلَمْ أَتُفَرِّ إِلَى أَحَدٍ

غدر الحبيب

يَا لَيْلُ طُلْنَ ، لَا أَشْتَعِي - إِلَّا بِوَصْلِ - قِصْرِكَ
لَوْ بَاتَ عِنْدِي قَمَرِي ، مَا بَتُّ أَرْضِي قَمَرِكَ
يَا لَيْلُ خَبَرْتُ : أَنِّي أَلْتَدُّ عَنْهُ خَبْرَكَ
يَا اللَّهُ فُلْنِي لِي : هَلْ وَفَا ؟ فَقَالَ : « لَا ، بَلْ غَدَرْتُكَ »

حذر العاشق

لَبَنٌ فَاتَنِي مِنْكَ حَطَّ النَّظَرُ لَا كَتِفَيْنِ بِسَاحِ الْخَبَرِ
وَإِنْ عَرَضَتْ غَفْلَةٌ لِلرَّقِيبِ ، فَحَسْبِي تَسْلِيمَةٌ تُخْتَصَرُ
أَحْذَرُ أَنْ تَتَطَلَّى الْوُشَاةُ ، وَقَدْ يُسْتَدَامُ الْهُوَى بِالْحَذَرِ
وَأَصْبِرُ مُسْتَنْفِئًا : أَنَّهُ سَيَحْطِي - بِنَيْلِ الْمُنَى - مَنْ صَبَرَ

قناعة المحب

سَأَقْنَعُ مِنْكَ بِلَحْظِ الْبَصَرِ ، وَأَرْضَى بِتَسْلِيمِكَ الْمُخْتَصَرِ
وَلَا أَمْحَلِي الْعَامِسَ الْمُنَى ، وَلَا أَمْدَى اخْتِلَامَ النَّظَرِ
أَصُونُكَ - مِنْ لَحْظَاتِ الظُّنُونِ - نِي وَأَعْلِيكَ مِنْ خَطَرَاتِ الْفِكَرِ
وَأَحْذَرُ - مِنْ لَحْظَاتِ الرَّقِيبِ - وَقَدْ يُسْتَدَامُ الْهُوَى بِالْحَذَرِ

كيف السلو ؟

هَلْ لِنَا عَيْبَكَ مُجِيبٌ ؟ أَمْ إِشَاكِكَ طَيِّبٌ ؟
يَا قَرِيبًا - حِينَ يَتَأَى - حَاضِرًا - حِينَ يَغِيبُ - ١
كَيْفَ يَسْأَلُوكَ مُجِيبٌ زَانَهُ مِنْكَ حَبِيبٌ ؟
إِنَّمَا أَنْتَ نَسِيمٌ تَتَلَقَّاهُ الْقُلُوبُ
قَدْ عَلِمْنَا عِلْمَ ظَنٍّ ، هُوَ - لَا شَكَّ - مُصِيبٌ
أَنْ يَرَى الْحُسْنَ يَمَّا أَضْرَرْتَ نَفْسَ الْجُيُوبُ

أنت المني

أَرْخَصْتَنِي - مِنْ بَعْدِ مَا أَعْلَيْتَنِي - وَحَطَطْتَنِي ، وَلَطَّأَا أَعْلَيْتَنِي
بَادَرْتَنِي بِالْمَزَلِ عَنْ خُطَطِ الرَّمْيِ ، وَلَقَدْ تَحَفَّتُ الثَّمَرُحَ إِذْ وَلَّيْتَنِي
هَلًا - وَقَدْ أَعْلَقْتَنِي شَرَكِ الْهَوَى - عَلَّيْتَنِي بِالْوَسْلِ ، أَوْ سَلَّيْتَنِي
الْعَبْرَ مُهْدٍ - عِنْدَ مَا جَرَّعْتَنِي - وَالنَّارُ بَرْدٌ ، عِنْدَ مَا أَصْلَحْتَنِي
كُنْتَ الْمَنَى ، فَأَذَقْتَنِي غَمَصَ الْأَذَى ، يَا لَيْتَنِي مَا مُهْتُ فِيكَ : يَلْبِغْتَنِي

بقاء على العهد

جَارَيْتَنِي - عَنْ تَمَادِي الْوَسْلِ - هِجْرَانًا وَعَنْ تَمَادِي الْأُبَى وَالشَّوْقِ سُلوَانًا
يَا قَهْ هَلْ كَانَ قَتْلِي فِي الْهَوَى خَطَاً أَمْ جِئْتَهُ عَامِدًا ظُلُمًا وَعُدُوَانًا ؟
عَهْدِي كَعَهْدِكَ ، مَا الدُّنْيَا تُعَبِّرُهُ وَإِنْ تَبَيَّرَ مِنْكَ الْعَهْدُ الْوَدَانَا
مَا صَحَّ وَدَى إِلَّا أَعْتَلَّ وَدُكِّي ، وَلَا أَطْلَعُكَ إِلَّا زِدْتَ عَمِيَانَا
يَا أَلَيْسَ النَّاسُ أَعْطَافًا ، وَأَفْتَنَهُمْ لَحْظًا ، وَأَعْطَرَ أَفْكَاسًا وَأَزْدَانَا
حَسُنْتَ خَلْقًا ، فَأَحْسِنِ لَأَكُونُ خَلْقًا ، مَا خَيْرُ ذِي الْحُسْنِ إِنْ لَمْ يُولِ إِحْسَانًا ؟

أبن وفاؤك؟

أَتَمَّتْ بِي فِيكَ الْعِدَا وَبَلَّغَتْ مِنْ ظُلْمِي الْمَدَى
لَوْ كَانَتْ بِمِلْكٍ فِدَايَةَ مِنْ حُبِّكَ الْقَلْبُ أَقْدَى
كُنْتُ الْحَيَاةَ لِأَشَقِي مَذْخُلَتْ أَيْقُنَ بِالرَّدَى
لَمْ يَسْلُ عَنْكَ، وَلَوْ سَلَا لَمَذَرْتُهُ، فَبِكَ أَقْدَى
ضَيِّقَتْ هَمْدَ عَجَبِي كَالْوَرْدِ سَامِرُهُ النَّدَى
أَبْنِ أَدْمَاؤَكَ لِلْوَفَا ، وَمَا عَدَا جَمًّا بَدَا (١)

صريع الحب

لَوْ كَانَتْ قَوْلُكَ دُمْتُ، مَا كَانَتْ رَدَى وَلَا يَا جَائِرَ الْحُكْمِ، أَفْئِدِي رَيْنَ عَدَلَا
أَبْدَيْتَ لِي - مِنْ أَفَاقِيَنِ التَّلِي - عِبْرًا، أَرْسَلْتَنِي - فِي أَحَادِيثِ الْهَوَى - مَتَلَا
لَمْ تُبْقِ جَارِحَةً بِالْهَجْرِ مِنْ جَسَدِي إِلَّا خَلَعْتَ عَلَيَّهَا - بِالصَّنَى - حُلَلَا
فَلَيْفِي كَفْكَ أَنِّي بَعْضُ مَنْ مَلَكَتْ، وَلَيْكَفِ طَرْفَكَ أَنِّي بَعْضُ مَنْ قَتَلَا
وَلَتَقْضِ مَا شِئْتُ مِنْ هَجْرٍ وَمِنْ صِلَةٍ - لَا أَقْضِي مَا عِشْتُ سُلُوءًا وَلَا مَتَلَا
سَقِيَا لِعَهْدِكَ وَالْأَيَّامُ تُقْبِلُنِي وَجْهَ الشُّرُورِ بِوَجْهِ جَدَلَانَ مُقْبِلَا
إِذِ الزَّمَانُ بَلِغٌ فِي مُسَاعَدَتِي يُهْدِي إِلَيَّ - تَقَارِيقَ الْمُنَى - مُجَلَا
إِنْ كَانَتْ لِي أَمَلٌ إِلَّا رِصَاكَ، فَلَا بُلَاغْتُ - يَا أَمَلِي - مِنْ دَهْرِي الْأَمَلَا

(١) في الأصل : « وما عدا دما بدا . » وأصل للتل كما في جمع الأمثال البدياني : « ما عدا ما بدا . » أي ما منك مما ظهر لك أولا ، قاله علي بن أبي طالب لزيد بن العوام رضي الله عنهما يوم الجبل يريدان الذي صرفك عما كنت عليه من البية ، وهذا متصل بقوله : « عرفتني بالمجاز ، وأكرمتني بالعراق ، فإعنا مما بدا . »

وفاء المحب

مَنْ مَبْلُغٌ مَعَى الْبَذَرِ الَّذِي كَمَلَا
أَنْ الرِّمَانُ الَّذِي أَهْدَى مَوَدَّتَهُ
أَمَّا الْحَبِيبُ الَّذِي أَبْدَى الْهَفَاءَ لَنَا،
وَلَمْ تَرِدْ أَنْ ظَفِرْنَا مِنْهُ، أُعِينْنَا
أَنْتَ الْحَبِيبُ الَّذِي مَازَلْتَ الْحِفَةَ
هَذِي الْحَقِيقَةُ، لَا قَوْلِي مُخَافَةً :
فِي مَطْلَعِ الْحُسْنِ وَالْقَمْعَيْنِ الَّذِي أَعْتَدَلَا
إِلَى مُرْتَمَيْنِ شُكْرِي بِمَا فَعَلَا
فَمَا رَأَيْنَا فَلَاةً خَادِنًا جَلَلَا
بِالْمُشْتَرَى، فَتَجَبَّنَا لَهُ زُحَلَا
ظِلُّ الْهَوَى، وَأَسْقِيهِ الرِّضَا عَمَلَا
لَوْ كَانَ قَوْلُكَ «مُت» مَا كَانَ رَدِّي «لَا»

انت حسي

لَمْ يَكُنْ هَجْرِي حَبِيبِي مِنْ قَلِي
يَذِرُ مَا غَايَةُ صَبْرِي فَأَبْتَلِي
أَنَا رَاضٍ بِاللَّذِي يَرْضَى بِهِ
مِثْلُ فِي كُلِّ حُسْنٍ مِثْلُ مَا
يَاقَتِيتُ السِّنْكَ يَا قَمْسَ الصُّحَا
إِنْ يَكُنْ لِي أَمَلٌ فَخَيْرَ الرِّضَا
لَا وَلَا ذَاكَ التَّجَبُّ مِثْلَا
يَذِرُ مَا غَايَةُ صَبْرِي فَأَبْتَلِي
لِي مَنْ لَوْ قَالَ «مُت» مَا قُلْتُ: «لَا»
صَارَ ذُلِّي - فِي هَوَاهُ - مِثْلَا
يَاقَتِيتُ السِّنْكَ يَا قَمْسَ الصُّحَا
مِنْكَ، لَا بُلُغْتُ ذَاكَ الْأَمَلَا

إلى هاجر

أَتَهَجَّرُنِي وَتَنْصَبُنِي كِتَابِي ؟
أَتَحْمِلُ أَنْ أَيْحَاكَ عَفْصَ وَدِي ؟
فَدَيْنُكَ، كَمْ تَنْفُسُ الطَّرْفِ دُونِي
وَكَمْ لِي مِنْ قُوَادِكَ - بِتَدْرُوبِ -
وَمَا فِي الْحَقِّ فَعْنِي وَأَجْتَنَابِي
وَأَنْتَ تَسُوْمُنِي سُوءَ الْعَذَابِ
وَكَمْ أَدْعُوكَ مِنْ خَلْفِ الْحِجَابِ
مَكَانَ الشُّبِّ فِي نَفْسِ الْكِبَابِ

أَعِزْ - فِي جَدِّكَ الْمَغْلُومِ - رَأْيَا تَنَالُ بِهِ الْجَزِيلَ مِنَ الثَّوَابِ (١)
وَأَنْ تَبْخُلَ عَلَيْهِ قَرُبُ دَهْرٍ وَهَبْتَ لَهُ وَصَاكَ بِلَا حِسَابٍ

لا سبيل إلى السلو

أَذْكَرُ تَنِي سَالِفَ الْمَبْعَى الَّذِي طَابَا يَا لَيْتَ قَابَ ذَاكَ الْعَهْدِ قَدْ آتَا
إِذْ نَحْنُ فِي رَوْحَةٍ - الْوَصْلِ - نَسَمَا مِنْ الشَّرُورِ قَمَامٌ فَوْقَهَا صَابَا
إِنِّي لَأَعْجَبُ مِنْ شَوْقِي يُطَاوِلُنِي فَكُلَّمَا قِيلَ فِيهِ: «قَدْ قَضَى»، ثَابَا
كَمْ نَفْرَةً لَكَ فِي عَيْنِي عَلِمْتَ بِهَا - يَوْمَ الزَّيَارَةِ - أَنَّ الْقَلْبَ قَدْ ذَابَا
قَلْبٌ يُعْلِلُ مَقَامَاتِي لِطَاعَتِكُمْ، فَإِنْ أَكَلَفَهُ عَنَتَكُمْ سَلَوَةٌ يَابَا
مَاتُوا بَنِي بَنُوحٍ - مِنْ عَجَبَتِكُمْ - لَا عَذَبَ اللَّهُ إِلَّا حَاشِقًا ثَابَا

انت الحياة

أَمَّا رِصَاكَ فَعِلَانٌ مَالَهُ نَحْنُ لَوْ كَانَتْ سَاغِي فِي وَصْلِهِ الزَّمَنُ
تَبْكِي فِرَاقَكَ عَيْنٌ أَنْتَ نَاطِرُهَا قَدْ لَجَّ فِي هَجَرِهَا عَنْ هَجَرِكَ الْوَسَنُ
إِنَّ الزَّمَانَ الَّذِي عَهْدِي بِهِ حَسَنٌ قَدْ حَالَ مَذْغَابٌ عَنِّي وَجْهَكَ الْحَسَنُ
أَنْتَ الْحَيَاءُ فَإِنْ يُعَذِّرُ فِرَاقَكَ لِي فَلْيُخَفِّرِ الْقَبْرُ أَوْ فَلْيُخَفِّرِ الْكَفَنُ
وَاللَّهُ مَا سَاوَى أُنَى جُفَيْتُ صَنَى بَلْ سَاوَى أَنْ يَرَى - بِالضَّنَى - عَلَنُ
لَوْ كَانَتْ أُنَى - فِي كَتَمِ الْغَوَى - يَدِي مَا كَانَ يَعْلَمُ - مَا فِي قَلْبِي - الْبَدَنُ

ذكرى معاهد قرطبة

عَلَى الثُّغْبِ الشَّهِيدِ مِنِّي نَحِيَةٌ زَكَّتْ، وَطَى وَادِي الْعَقِيقِ سَلَامُ
وَلَا زَالَ نَوْرُ فِي الرِّصَافَةِ صَاحِكُ بِأَرْجَائِهَا يَبْكِي عَلَيْهِ غَمَامُ

(١) - قَرِيبٌ مِنْ هَذَا قَوْلُ الْبَحْرِيِّ :

« أَمِيتُ فِي نَفْرَةٍ مَحْتَبٍ نَوَى الْأَجْرَ لَوْ كَرِهَ الْأَكْلَامُ »

مَتَاهِدٌ لَهْوٍ لَمْ تَرَكَ فِي ظِلَالِهَا تُدَارُ عَلَيْنَا - لِمُجُونٍ - مُدَامُ
 زَمَانٍ: رِيَاضُ الْعَبَشِ خُضِرَ نَوَاصِرُ تَرَفٌ ، وَأَمْوَاهُ الشَّرُورِ جِجَامُ
 فَلَنْ بَانَ مِنِّي عَهْدُهَا ، كِبَلُوعَةٍ يَشُبُّ لَهَا - بَيْنَ الصَّلُوحِ - ضِرَامُ
 تَدَكَّرْتُ أَيْبَى بِهَا ، فَتَبَادَرَتْ دُمُوعٌ ، كَمَا خَانَ الْفَرِيدَ نِظَامُ
 وَتُحِبَّةَ قَوْمٍ كَالْمَصَابِيحِ ، كُلُّهُمْ - إِذَا هَزَّ لِلْخُطْبِ الْمِلْمُ - حُسَامُ
 إِذَا طَافَ بِالرَّاحِ الْمُدِيرُ عَلَيْهِمُ أَطَافَ بِهِ يَعْضُ الْوُجُوهُ ، كِرَامُ
 وَأَحْوَرُ سَاجِي الطَّرِيفِ حَشْوُ قُوْنِهِ سَقَامُ بَرَى الْأَجْسَامُ مِنْهُ سِقَامُ
 تَحَالَ قَضِيبُ الْبَانِ - فِي طَى بُرْدِهِ - إِذَا أَهَرَّ مِنْهُ مَقْطِيفٌ وَقَوَامُ
 يُدِيرُ - عَلَى رَغَمِ الْعِدَا - مِنْ وَدَادِهِ سَلَاكًا ، كَأَنَّ الْمِسْكَ مِنْهُ خِتَامُ
 فَمِنْ أَجَلِهِ أَذْغُولُ قُرْطَبَةِ الْمَسَى بِسُقْيَا ضَعِيفِ الطَّلِّ وَهُوَ رِهَامُ^(١)
 تَحَلَّى غَيْنِنَا بِالْخَصَائِي خِلَالَهُ فَأَسْمَدْنَا ، وَالْحَادِثَاتُ نِيَامُ
 فَالْحِقَتْ تِلْكَ اللَّيَالَى مَلَامَةً ، وَلَا دُؤْمَ - مِنْ ذَلِكَ الْحَيْبِ - دِمَامُ

غدر الحبيب

أَجِدُ ، وَمِنْ أَمْوَاهُ - فِي الْحُبِّ - حَابِتُ وَأَوْفَى لَهُ بِالْمَهْدِ ، إِذْ هُوَ نَاكِثُ
 حَيْبُ نَأَى عَنِّي - مَعَ الْقُرْبِ وَالْأَمَى - مُقِيمٌ لَهُ - فِي مُضْمَرِ الْقَلْبِ - مَا كِثُ
 جَعَلَنِي بِالْطَّافِ الْعِدَا ، وَأَزَالَهُ - عَنِ الْوَصْلِ - رَأَى فِي الْقَطِيعَةِ حَدِيثُ
 تَغَيَّرْتُ عَنْ مَهْدِي ، وَمَا زِلْتُ وَإِقَامَا بِمَهْدِكَ ، لَكِنْ غَيَّرْتُكَ الْحَوَادِثُ
 وَمَا كُنْتُ إِذْ تَمَلَّكْتُكَ الْقَلْبَ مَا لَمَّا بِأَنَّى - عَنِ حَقِّي - بِكَفَى بَلِغْتُ
 فَذَيْتُكَ ، إِنَّ الشَّوْقَ لِي - مَذْهَبٌ نَحْيَ - تُمِيتُ فَهَلْ لِي - مِنْ وَصَالِكَ - بَاعِثُ؟

سَتَبِلَى اللَّيَالِي - وَالْوِدَادُ بِحَالِهِ - جَدِيدٌ، وَتَقَى وَهُوَ لِلْأَرْضِ وَارِثٌ
وَلَوْ أَنَّنِي أَقْسَمْتُ : أَنَّكَ قَاتِلِي وَأَنْتَى مَقْتُولٌ، كَمَا قِيلَ : « حَاثٌ » ،

اصنع ما شئت

يَا نَاسِيَا لِي - عَلَى عِرْفَانِهِ - تَلَنِي ذِكْرُكَ مِنِّي بِالْأَنْفَاسِ مَوْصُولٌ
وَقَاطِعًا صِلَتِي - مِنْ فَيْزٍ مَا سَبَبَ - تَأَلَّه : إِنَّكَ - عَنْ رُوحِي - لَمْ تَسْئَلْ
مَلَكِيَّتَ فَأَصْنَعُهُ ، كُلُّ مِثْلِكَ عُقْمَلٌ ، وَالذَّنْبُ مُتَقَرَّرٌ ، وَالْعُدُوُّ مَقْبُولٌ
لَوْ كُنْتُ حَقًّا ، لَمْ أَطْلُبْ بِهِ بَدَلًا ، أَوْ نِلْتُ مِنْكَ الرِّمَاءَ ، لَمْ يَبْقَ مَأْمُولٌ

أمنية

يَا قَاطِعًا حَبْلَ وَدِّي وَوَاصِلًا حَبْلَ صَدِّي
وَسَاكِيَا ، لَيْسَ يَدْرِي بِطُولِ بَيْتِي وَوَجْدِي
لَوْ كَانَتْ عِنْدَكَ مِنِّي مِثْلُ الَّذِي مِنْكَ عِنْدِي
لَيْتَ - بَعْدِي - مِثْلِي ، وَبَيْتٌ - مِثْلَكَ - بَعْدِي

نفسى فداؤك

لَوْ تَرَكْنَا بِأَنْ تَعُوذَكَ عُدْنَا وَقَضَيْنَا الَّذِي عَلَيْنَا وَزِدْنَا
غَيْرَ أَنْ أَلْهَوَى اسْتَطَارَ حَدِيثَنَا ، فَأَتَتْحَتْنَا الْقِيُونُ لَمَّا حُسِدْنَا
كَلَرْنَا أَنْ النُّفُوسَ تَقْبَلُ مِنَّا ، لَسَمَحْنَا بِهَا - فِدَاؤُ - وَجِدْنَا

دين الحب

يَا غَزَا لَا حُجِمَتْ فِيهِ - مِنْ الْحُسْنِ - فُتُونُ
أَنْتَ فِي الْقُرْبِ وَفِي الْبُعْدِ - مِنَ النَّفْسِ - مَكِينُ
يَهْوَاكَ - أَلْهَرُ - أَلْهَوُ ، وَبِحُبِّيكَ أَدِينُ

مُنِيَّةُ الْمَسْبِّ : أَغْنِي ، قَدْ دَنَتْ مِنِّي الْمُنُونُ
وَأَحْفَظُ الْعَهْدَ ، كَأَنِّي لَسْتُ - وَأَهْلُ - أَخُونُ
وَأَرْحَمُنْ مَبَا شَحِيحًا قَدْ أَذَابَتْهُ الشُّجُونُ
لَيْلُهُ هَمٌّ وَغَمٌّ ، وَسَقَامٌ ، وَأَيْنُ
شَقَّةُ الْحُبِّ ، فَأَمْنِي - سَقَمًا - لَا يَسْتَبِينُ
صَارَ - لِلْأَشْوَاقِ سَبَبًا ، فَتَبَّتْ عَنْهُ الْعُيُونُ

وفاء

يَبْنِي وَيُنْشِئُ مَا لَوْ شِئْتَ لَمْ يَصْغِرْ سِرٌّ إِذَا ذَاعَتْ الْأَسْرَارُ - لَمْ يَذْجِرْ
يَا بَالِمَا حَظَّهُ مِنِّي ، وَلَوْ بَدَّلْتَ لِي الْحَيَاةَ - بِحَقْلِي مِنِّي - لَمْ أَبْصِرْ
يَكْفِيكَ أُنْكَ - إِنْ سَخَّلْتَ قَلْبِي مَا لَمْ تَسْتَطِعْ قُلُوبَ النَّاسِ - يَسْتَطِيعُ
تَهْ أَخْتَمِلُ ، وَاسْتَطِلُّ أَصْبِرْ ، وَغَرَّاهُنْ ، وَلَوْ أَقْبَلُ ، وَلَنْ أُنْتَمِعُ ، وَتُرْ أَطِيعُ

في سبيل الهوى

قَدْ نَالَني مِنْكَ مَا حَسَنِي بِهِ وَكَفَى يَا مَنْ تَنَاهَيْتُ - فِي الْإِطَافَةِ فَجَبًا
هَلَّتْني بِالنُّيْ - حَتَّى إِذَا عَلِقَتْ بِالنَّفْسِ - لَمْ أُعْطَ مِنْ أَسْبَابِهَا طَرَفًا
فُيِّدَتْ عَنْ خُلُقِي - قَدْ لَانَ لِي زَمَنًا - لَيْلِنَ النَّسِيمِ ، فَلَمَّا لَدَّ لِي عَصْفًا
لَا يَجْبَطُنْ قَهْلٌ - أَرْصَاكَ صَالِحَةً - فِي سَبِيلِكَ أَفْقَعْتُ الْهُوسَى سِرْفًا

صلة الحب

سِرِّي وَجَهْرِي أَنِّي هَامٌ ، قَامَ بِكَ الْعُدْرُ ، فَلَا لَأَمُّ
لَا يَنْفِرُ الْوَائِي الَّذِي غَرَّنِي هَا أَنَا - فِي ظِلِّ الرُّمَى - نَأَمُّ
عُدْتُ إِلَى الْوَصْلِ - كَمَا أَشْتَعِي - فَالْهَجْرُ بَالِكٌ ، وَالرُّمَى بَلِيمٌ

حَسْبِيَ - أَنَا الْمَظْلُومُ - فَيَا جَرِي ، وَإِنْ تَشَاءُ قُلْتَ : «أَنَا الظَّالِمُ»
يَا سَائِلًا تَمَّا بِنَفْسِي لَهُ - تَجَنَّبَا - وَهُوَ يَوْمَ عَالِمٍ
مَعْنَى الْهَوَى أَنْتَ وَشَخْصُ الْمُنَى ، دَغْنِي يَمَّا يَرْعُمُ الزَّامِمُ

مقيم على العهد

عَذِيرِي مِنْ خَلِيلٍ يَسْتَطِيلُ عَيْلُ - مَعَ الزَّمَانِ - كَمَا يَمِيلُ
وَرَضَى أَنْ تَضِيعَ سُدَى^(١) حَقُوقِي ، وَبَاعِي فِي الْهَوَى بَاعُ طَوِيلُ
أَتَمَسَّا أَشْرَقَتْ مِنْ عَيْدِ نَحْسٍ ! أَمَّا لَكَ - فِي سِوَى قَلْبِي - أَقُولُ ؟
أَمَّا يَمْنَحِي عِتَابَكَ كُلَّ يَوْمٍ ؟ أَمَّا يُرْجِي - إِلَى وَصْلِ - وَصُولُ ؟
وَلَوْ أَجِدُ السَّبِيلَ لَطَرْتُ وَجَدًا ، وَلَكِنْ مَا إِلَى هَذَا سَبِيلُ
كِتَابِي - عَنْ وَدَادِكَ - لَا يَزُولُ ، وَعَهْدِي - مِثْلَ عَهْدِكَ - لَا يَحُولُ

آلام المحب

يَا مُعْطِي مِنْ وَصَالٍ كُنْتُ وَارِدًا - هَلْ مِنْكَ لِي غَلَّةٌ إِنْ نَحَنَتْ : «وَأَعْطَيْتَنِي»
كَسَوْتَنِي - مِنْ ثِيَابِ السَّقَمِ أَسْبَغَهَا - ظَلَمًا - وَصَيَّرْتَ مِنْ خَلْفِ الصُّنَى قُرْنِي
إِنِّي بَصُرْتُ الْهَوَى ، عَنْ مُقَلَّةٍ كُحِلَتْ - بِالسَّحْرِ مِنْكَ ، وَخَدَّ بِالْجَمَالِ وَثِي
لَمَّا بَدَأَ الصَّدْعُ مُسَوِّدًا بِأَعْمَرِهِ - أَرَى الْقَسَامَ - بَيْنَ الرُّومِ - وَالْخَبَشِ
أَوْفَى إِلَى الْحَدِّ ، ثُمَّ أَنْصَاعَ مُنْعَطِفًا - كَأَلْمَقْرُبَانٍ أَتْنَى مِنْ خَوْفِ مُخْتَرِشِ
لَوْ شِئْتَ مَزُرْتَ وَسَيْفَكَ النِّجْمَ مُنْعَطِمًا - وَالْأَفْقُ يُخْتَالُ فِي قُوبٍ مِنَ النَّبَشِ -
صَبًّا - إِذَا تَلَكَّتِ الْأَجْفَانُ طَمَعٌ كَرَسَى - جَمًّا الْمَنَامَ ، وَصَاحَ اللَّيْلُ : «يَا قُرْشِي»
هَذَا وَإِنْ تَلِفَتْ قَمِي ، فَلَا تَجِبُ ، قَدْ كَانَ مَوْتِي - مِنْ تِلْكَ الْجُفُونِ خُسِي

إلى المعتمد

أَيُّهَا الظَّافِرُ لَا زِلْتَ مَدَى الدُّنْيَا مُظْفَرٌ

(١) الأناز والمعيات

اتفق كثير من النظمين والكتاب في طرق الأناز والتصية ليعتصروا بها الذكاء والفطنة على تلك الطلائع والمعيات ، ويزجوا بها أوقات فراغهم الطويلة ، وهو عمل شاق مضى لا يقدم عليه إلا من فرغ به من مشكلات الحياة وجهدا . وأكثر أنواعه تافه لا خطر له ، وسنلم بملاحظة كبيرة منها . وثمة أنواع من التصية تقوم عند الملوك والأمراء إلى ذلك الهدم معتم الشفرة ، وتطهير الخلق الأزابل وما إلى ذلك من وسائل المخافة السرية ، ومن يدري ؟ فربما كان ملحدان بين (ابن زيدون) و (المعتز) من هذا النوع لم يكن يقصد به قتل الوقت والتفلية أو امتثال الذكاء طبع ، وإنما كان يقصد به فوق ذلك اللزج على بعض ضروب المخافة السرية التي كانت تمس إليها حاجة الدولة ، ويستعملها أئسادها للسياسيون لتعصية على غيرهم من خصومهم . وربما كان القليل وحدهما وترجة أوقات الفراغ الطويلة أيها .

والطريقة التي تبها للمعتد ابن زيدون هي إحدى هذه الطرق المعيدة ، ولم نتر عليها - فيما قرأناه من كتب الأناز على كثرتها - ولم نمر إليها للعالم السرية ، ولكننا استعجنها من الأشعار التي دارت بينهما ، ومن قول « للفرى » صاحب « نفع الطب » الذي مرزما فصبنا إليه .

وخلاصة هذه الطريقة أن يطير أحد للفراسين إلى الآخر بيتا شائكا في قصيدة أو بيتين ويرمز لكل حرف من حروفها باسم طائر بيته .

قال للفرى :

« وكنت ابن زيدون إلى للمعتد :

« وإناك نظم لي في طير » معنى اللفظ مستور

سماه مصم ما لم يبح بالسر - قرى وشعرو .

قال : « ثم ذكر أياتاً ، فيها أسماء طيور ، مما بها من بيت طيره فيها ، وأبليت الطير هو :

« أنت - إن نزل - طائر - فليطع من بنافر . »

فكك « للمعتد » وجاوه :

« جاءني الطير التي سماها نظم به ظي مسرور . » اه .

ويستمر بك هذه القصيدة في « ص ٢٩٩ » من هذا الديوان .

ويؤيد هذا الاستنتاج قول للمعتد :

« أرسل طيور الشعر نحوى قد بث نواذي شرك النهم . »

وقول ابن زيدون للمعتد :

« وإناك طير سرب إليه سركم . »

ولا تكاد تخلو قصيدة - من هذا النوع - من ذكر الطيور كما يرى القارئ في القصائد التالية ، وسنثبت القصيدة التي نحن بمهدما في المرح وتبها بمجدول نرد فيه على الترتيب أسماء الطيور التي ذكرها فيها ،

وهو كل طائر بحرف حبابه ليسن للقارئ استخراج البيت للطير بنفسه ، وعاهى الأيات :

« ناسأل القشامين ، والقصرين ، والعتاد خبير

أَنْتَ أَشَقَى ابْنِي لِأَعْمَى وَالِدِي فِي أَمْعَرٍ فَأَفْتَرِ
إِنْ تُرِدْ شَرَحَ مُعْتَى هُوَ فِي تَغْلِيٍّ مُضْمَرِ

ثم رآه القدر ، والف سياد ، والسر للسر
ثم بعد ذلك عد له سر ، والزال للسر
ثم عد للسر والزا ل ، فكل قد تكرر
والجباري ، والسياني والشرقي المجر
ثم سأل بعدما ألبا زى - إن حل فصرصر
مصه الطلوس والدا ك إذا بالصبح يمر
تسلوه القمري مها ودد السبح ففر
ثم نادى الحق والرا ل ، لعل السر يظهر
وثيف ما لدى اللب جين من خلف سيظهر
ثم عد للسر والزا له هما في الأسر أكثر
وازجر للفق حق الزج ر ، إن القطر يزر
وليل الزال سياني وشرقاق تأخر . »

فليس فيها إلا أسماء طيور بينها ترمز إلى حروف بينها ، ونحن نبينها لقاري لتكون بموفقا - لمن
بنيه حل أمثال هذه للبيات ، وألقت القسي التي يستخرج من هذه الأبيات هو :
« صدق لنا قال الله تظهر على الكلمة . »

وأنت إذا تبعت ما فيها من أسماء الطيور تجد أن كل طائر في جملة حروف من حروف هجاء البيت ونحن
نضع حروف البيت وأعلام كل حرف طائره التي يدل عليه في الجدول الآتي ليدين لقاري طريقة الحل ،
وهنا هو الجدول :

الحرف	الطائر	الحرف	الطائر	الحرف	الطائر
ص	شاهين	ا	نسر	ع	هقي
د	صقرين	ل	رأل	ل	رأل
قا	عنقاء	س	جباري	ي	قبيجين
ل	رأل	م	سياني	ا	نسر
ن	فياد	ه	شرقاق	ل	رأل
ا	نسر	ت	بازي	ك	عققي
ف	ديك	ظ	طلوس	ل	رأل
ا	نسر	ف	ديك	م	سياني
ل	رأل	ر	قمري	ه	شرقاق

فاسأل - الشاهين ، والصقرين ، والعنقاء - تحب ثم رال القفر ، والقياد ، والنسر المعمر

ولكى القارىء معنى هذه الكلمات :

الشاهين : ضرب من الصقور أكدر أبش أى رمادى اللون .

العنقاء : طائر خرافى لا وجود له إلا فى شعر الشعراء .

رال : ولد النعام ، وسير بك فى « ص ٢٨٤ »

القياد : ذكر اليوم .

نسر : النسر طائر عظيم من جوارح الطير يسمى بذلك لأنه ينسر القىء ويقطعه ويختصمه والكتير الریش منه يسمى النشاف .

ديك - الديك : ذكر السجاج .

رال : ولد النعام .

جبارى - الجبارى : طائر فى حجم الديك الهذى كثيرة الریش ، ومنها بيضاء وكغوا .

معانى : طائر معروف فوق الصقور ، ويجمع على سمانيت .

فالرا : وهو يئوس فى البحر بأحد جناحيه ويقم الآخر كالمخاض السلية ، فتدفعه الريح إلى ساحل البحر . وكثيراً ما يوجد ييلا الدواحل ، وله صوت حسن ومن شأنه أنه يسكت فى الشتاء ، فإذا أبطل الريح صاح . شقراق : طائر صغير بقدر الحمام أخضر مشع الخضرة ، حسن النظر ، فى جناحيه سواد وعده الجاحظ نوعاً من الغربان . يألف الروابى وروس الجبال . وله شتى ومضيف ، قال الجاحظ وهو كثير الاستغاث ، إذا سر به طائر ضربه بجناحيه وهاج كانه هو المضروب .

بازى - البازى : من الصقور الأزرق الأحوى ، والأرقط التميمير الجناحين النليظ .

طالوس : طائر فى نحو قندو الاوزة ، حسن اللون ، والذكر منه غاية فى الحسن له فى رأسه ذؤابة قائمة كالفرشوش ، وفى ذنبه ريش أخضر طويل فى أحسن منظر ، وليس إلا بئى مثل ذلك وفى طبعه الزهو بنفسه والاحجاب يربشه ، وفى الخريف يلقى ريشه كما يلقى للشجر وريته ، فإذا بدا طلوع أوراق الأشجار طلع ريشه .

قرى سير بك فى « ص ٣٠٤ »

حيق : ذكر النعام ، قال أبو العلاء على لسان حيق فى رسالة القفران :

« وأركب الحيق - فى القفلاء - مقلداً أو لا ، فذهب رواديت سنوروا . »

تجبين : شئ ليع وهو الكروان وسير بك فى « ص ٣٠٤ »

مطيق - المطيق طائر كالغراب ضمن طويل المنتار يجعل حبلاناً ، وهو يدجن ولونه أبيض بيضاء وسواد . شقراق - الشقراق : طائر مرقط بخضرة وحررة ويبيض ويكون بأرض الحرم .

ثُمَّ - بَعْدَ الَّذِيكَ - عُدَّ لِلْفَنْرِ وَالرَّأْلِ الْمُنْفَرِ

أصل اشتقاق الفنز

وأصل اشتقاق الفنز - كما يروى النورى - من الفنز المبروع وفنز ، إذا حفر لنفسه مستحيماً ثم أخذ منه دبيرة ليوارى بذلك وبمضى على طالبه .
وفنز أسماء ، فنها : الحماة ، والمويس ، والرمز ، والحاجية ، وأبيات اللعان ، واللحن ، والرموس ، والتأويل ، والكناية ، والتريض ، والاشارة ، والتزجيه ، والمعنى ، والمثل ، ومعنى الجميع واحد ، واختلافها بحسب اختلاف وجوه اعتباراته .

فإنك إذا اعتبرته من حيث إن واضه كأنه مائل - أى يظهر إعياه وهو التنب - سببته : «مماواة» وإذا اعتبرته - من حيث صعوبة فهمه واعتباس استخراج - سببته : « هرباً » .
وإذا اعتبرته - من حيث إنه قد عمل على وجوه وأبواب - سببته : « لفرا . » وفكك له : « الفارأ . »
وإذا اعتبرته - من حيث إنه واضه لم يفسح عنه - قلت : « رمز » وقريب منه الاشارة .
وإذا اعتبرته - من حيث إنه غيرك جاك - أى استخراج مقدار طقك - سببته : « حاجة . »
وإذا اعتبرته - من حيث إنه استخراج كثرة معانيه - سببته : « أبيات اللعان . »
وإذا اعتبرته - من حيث إنه قد يومك شيئاً ويريد غيره - سببته : « الحنا » وسببته فك : « لللائح »
وإذا اعتبرته - من حيث إنه ستر منك ورمس - فهو « للرموس » ، والرمس القبر .
وإذا اعتبرته - من حيث أن معناه يؤول إليك - سببته : « مؤولا . » وسببته فك : « تأويلا . »
وإذا اعتبرته - من حيث إنه صا به لم يصرح بفرنه - سببه « تريضاً » ، و « كناية . »
وإذا اعتبرته - من حيث إنه ذو وجوه - سببته : « للوجه » وسببته فك : « التزجيه . »
وإذا اعتبرته - من حيث إنه منطى عليك - سببه : « معنى . »
طرق التعمية

ومن ضروب التسمية - ما ذكره الفقهستندى - وهو أن يعطى الالفاظ على إبدال حرف معين بحرف آخر من - حيث وقع في القلم للعرف بالنسب - وهو أن جعلوا مكان كل حرف من حروف العربية حرفاً آخر من حروفها ، فجعلوا الكاف ميماً وبالكس ، والألف واواً وبالكس ، والذال راءً وبالكس ، والسين هيناً وبالكس ، والفاء ياءً وبالكس .

فيكتب « محمد » « كطكر » ، و « على » « سهف » ، و « مسعود » « كسار »
وقس على ذلك .

وقد نظم بعضهم ذلك في بيت واحد ذكر فيه كل حرف نحو ما يبدل به ، وهو :

« كم أو حط صلاطه درسح في يزخش عنى ميج تدفق . »

ومنهم من يكس حروف الكلمة فيكتب « محمد » « دم » ، و « على » « يلح » . ومنهم من يبدل الحرف الأول من الكلمة ثانياً مطلقاً في سائر الكلام ، فيكتب : « محمد أخو حلى » : « حدم خامويل » . إلى غير ذلك من التميزات .

ثُمَّ عُدَّ - لِلْفَنَنِ وَالرَّاءِ - لِي - فَكُلُّ قَدْ تَكَرَّرَ

ومنهم من يبدل الحروف بأصداها في الجمل فيكتب « محمد » « ٤٠ و ٨ و ٤٠ و ٤ » وتسمى التسمية صفة عاسبة .

ومنهم من يكتب - عوض عدد الحروف - حروفا ، وهو أبلغ في التسمية ، فيكتب « محمد » « لي ، بو ، لي ، اج » لأن اللام والياء بأربعين ، وحى عدد مائتين الأولى ، والباء والنواو بثمانية ، وحى عدد مائة ، واللام والياء أيضا بأربعين ، وحى عددهما للميم الثانية ، والألف والجيم بأربعة ، وحى عددهما لمدال ، فكانت « م ح م د » .

وإن شاء أن يغير هذه الحروف مما يتضمن غير هذه الأعداد .

ومنهم من يجعل لكل حرف اسم دجل أو غيره . ومنهم من يضع الحروف على منازل القدر الثمانية والمعبرين ، على ترتيبها على حروف « أبجد » :

فيجمل الألف للمعبرين ، والياء للبطين ، والجيم فثريا ، وهكذا إلى آخرها : فيكون بطن الموت للثين من « شغف » .

وربما اصطلح على الترتيب على أسماء اللهبان أو الفواكه أو الأشجار ، أو غير ذلك ، أو صور الطير وغيره من الحيوانات ، إلى غير ذلك من مذروب التماثل لا يأخذها حصر .

وأكثر أهل هذا الفن على أن يرسم الحروف أشكالا يختصها فلها نقطة على ترتيب حروف للمجم ، والطريق في ذلك أن يثبت حروف للمجم ، ثم يرتب تحت كل واحد شكلا لا يماثل الآخر ، فكانما جاءه في الخط ذلك الحرف كتب بحيث لا يقع عليه غلط . ثم يفعل بين كل كلمتين ، إما بخط أو بنقط ، أو يواش ، أو دائرة ، أو غير ذلك .

وأكثر للتصنيف يجهلون الحرف للشدة بجرين ، وللتأخرون يجعلونه حرفا واحدا .

وقد ذكر القنطشدي - في ذلك - فصلا طويلا في الجزء التاسع من صبح الأعمى ، فليرجع إليه القارئ « من ص ٢٢٩ إلى ٢٤٩ » إذا شاء .

أمانة من التسمية

ومن الأمانة التي ذكرها النوري قول الحكميم أمير الدولة - للحروف بأبن التليذ - ملزما في الوزن :

« ما واحد مختلف الأسماء يبدل في الأرض وفي السماء »

بحسبكم بالقيط بلا رياء أسمى يرى الزنادكل رأي

أخرس - لا منعه وداء - ينني من التصريح بالإيعاء

يجيب - لأن ناداه فواستاء - بالرفع والحذف من القضاء

ينصح إن علق في الهواء .

فهو يقول : « مختلف الأسماء » يعني : « ميزان » الشمس ، والاصطرلاب ، وسائر آلات الرصد وهو معنى قوله : « يحكم في السماء » . وميزان الكلام : « النحو » وميزان الشعر : « العروض » وميزان اللسان : « اللغز » وهذه للوزن والقراع والمكيال .

وقول آخر في الوزن :

« ما يمولون : فيها نزل من السماء ، وعلق في الهواء ، له عين حمراء ، وكف شلاء ، ليس له - إن جعل -

وَالْحَبَّارِيُّ وَالشَّامِيُّ وَالشُّعْرَانِيُّ الْمَحْبُورُ

ثوب ، ولا عليه - إن جار - طاب . خلق من ثلاثة أجناس ، تضمنه الأعراس . جنة طار من غير لباس ، أغرس السائل ، في أذنه خرسان ، مكرر الذكر في القرآن ، ينطوى - إذا نام - كالصمل ، وفعله للصلب مثل ، وله في الآخرة أكبر عمل .

وقول ابن الرومي في فتحة السراج :

« ماحية في رأسها دودة تسبح في بحر قليل لدى ؟ »

إن غبت كالنسي حاضراً وإن بشتلاح طرقت الهدى ! »

وقول السري الزباء في شبكة العباد :

« وكثيرة الأحداق ، إلا أنها عياء ، ما لم تنفس في ماء »

وإذا هي التست أفادت ربها ما لا ينال بأنين البصراء . »

وقول آخر في النوم :

« وحلل يحلني وما له شئ يرى ! »

إذا حصلت غفوة وهو لقيذ للتطلى

سريت لا أدري ألى أرض سريت ؟ أمها ؟ »

وقول المرعي في وكابي السرج :

« خليلان يطافان جواب مجلس جسدوا له ووراء »

مضى يضح الزجلين مثلن عليها يزل عنه - في وشك - خا وخاء . »

قوله : « خليلان » لتشابههما ، وانجلس : « السرج » ، وجداراه : « قريوسه » و « رادفه » والمغا مقصور : « وجع الزجل » وممدود ، من معنى الزجل حائياً بنير ليل .

وقوله في الملح :

« ويضاء - من سر الللاح - ملكنا ظنا فنت إدري جوت بها صهي »

فباتوا بها مستثنين ، ولم تزل تختمهم - بعد الطعم - على القرب »

قوله : سري : « خالصة » والملاح : جمع ملح ، والارب : الحلية . وقول آخر في الحرب .

« ما ذات شوكة لها جناح يختطف الناس عن قريب »

وهي عقيم ، ترى بئيا من بين مرد ، وبين شيب »

بأسكل يمشي البين يهناً طلوع شمس إلى غروب »

تصيحها الداء - غير شك - قد يحسم الداء بالطبيب »

والداء معكوسه مكان يصلح للطائر النجيب »

مهرها من يحكون طبا بالسر والتمو والثراب . »

لهذا نرى معنى في الحرب ، وشوكها : « السلاح » ، وجناحها : « جناحها » ، وطعم لأنها لا تجرد ،

وبنوها : « وجناحها » وأكلم : « تلهم . » ، وتصيحها : « الجرب » وعكسه : « برج »

وقول آخر في التمدد :

« وما أخوان مغتيلان جدا كما احسب الثراية والثراب »

نَمَّ سَائِلٌ بَعْدَهَا الْبَا زِيَّ إِنَّ جَلَّ قَصْرُ مَرْ

بعضهما على سر القيل - وما جتما ، ولا اقترافا - إهاب
فذاك وذا ، دموع حلمات ، ولكن كل دمهما شراب
يصونهما من الأبحار - دين - يضرب - دون يلهما - حجاب .
وعاشيا للراءة ، ويضهما إهاب ، وهو : « الجلد »
وقول آخر في الفتح :

« وما ميت كلفته ودفته - ظم إلى صبيح فأوقته . »
وقول آخر في الصدى :

« وساكن يسكن في القفلة ليس من الرخش ولا التبت
ولا من الجن ، ولا الحيات ، ولا الحيام للشر والأيات
ولا يذو جسم ولا حياة كلا ، ولا يدرك بالصفات
على ، له صوت من الأصوات يسمع في الأحيان والأوقات . »
وقد ذكر النوري أمثلة كثيرة من هذه الأنواع وأشباهاها ، ثم قال :

مسائل العويس

وما يصل بهذا الباب مسائل العويس .

لن ذلك فوهم :

« امرأتان التتا برجلين ، فالتا لها : « مرجا بابينا وروجينا ، وابن روجينا . »

وذلك أن كل واحد منهما تزوج بأب الآخر ، لها ابناهما وروجاها وابنا روجيها .

وفوهم :

« رجلا نكل واحد منهما مع الآخر وابن أخيه . »

وذلك أن كل واحد من أبويهما تزوج بأب الآخر ، فزوّج كل واحد منهما ولدا ، فكل من الولدين مع

الآخر وابن أخيه .

وفوهم :

« رجلا نكل واحد منهما نكل الآخر وابن أخته »

وذلك أن كل واحد من أبويهما تزوج بأبنة الآخر ، فزوّج كل واحد منهما ولدا ، فكل من ولديهما نكل

الآخر وابن أخته .

وفوهم :

« رجل وامرأتان ، مو نكل إحداهما مع غلته ، ومع الأخرى مع غلته . »

وذلك : أن جدته أم أبيه تزوجت بأخيه لأمه ، وأخته لأبيه تزوجت بأب أمه ، فولدتا بنتين ، فبنت أخته

خالته ، وهو غلها ، وبنت جدته معته وهو معها .

وهذا أصل الأيات للمنظومة في ذلك :

« ولي غلتي وأنا غلها ، ولي معته وأنا معها . »

مَعَهُ الطَّائِسُ وَالذَّبِيكُ إِذَا بِالصَّبْرِ بَشَرٌ

وقوله :

« رجلان كل واحد منهما ابن خاله الآخر وابن عمه »
وذلك أن كل واحد من أبويهما تزوج بأخت الآخر ، فزوّج كل منهما ولدا ، فكل من ولديهما ابن خاله الآخر وابن عمه .

وقوله :

« رجلان كل واحد منهما عم والد الآخر . »
وذلك أن كل واحد من أبويهما تزوّج بأُمَ الآخر ، فكل من أولادهما عم أب الآخر .

وقوله :

« رجلان كل واحد منهما عم أم الآخر . »
وذلك أن كل واحد من أبويهما تزوّج بأبنة ابن الآخر ، فكل من أولادهما عم أم الآخر .

وقوله :

« رجلان ، كل واحد منهما خاله أم الآخر . »
وذلك أن كل واحد من أبويهما تزوّج بأبنة بنت الآخر فكل من أولادها خاله أم الآخر .

وقوله :

« رجلان أحدهما عم الآخر ، والآخر خاله » وذلك أن رجلين تزوّج أحدهما امرأة ، وتزوّج الآخر ابنة ابنها ، فولد لكل منهما ولد فابن الأب عم ابن الابن ، وابن الابن من أم امرأة الأب هو أخوها وخال ابنها .

وقوله :

« رجلان ، أحدهما عم الآخر وخاله ، والآخر ابن أخيه وابن أخته »
وذلك : أن رجلا له أخ لأب ، وأخت لأم ، فزوّج أخه لأبيه ، بأخته لأمه ، فأولدها ولدا ، فهما كنفك . وقد طلب المصنفان من الخوارزمي - أثناء مناظرته المشهورة - أن يكتب كتابا غاليا من الحروف الموحدة ، وآخر أوائل سطوره كلها ميم وآخرها كلها جيم الخ « فسمى الخوارزمي ذلك صحيفة . وصدق في تسميته كل الصدق .

وما أجدر هذا الوصف بأمثال هذه الألغاز الكلامية .

ألفاظ الحريري

ومن ألفاظ الحريري الذي نقل أثر الخوارزمي في مقاماته قوله في القامة الفرضية - وهي مقامه الخامسة عشرة :

« أيها العالم الفقيه القوي فاق ذكاء ، فله من شبيه

أفتنا في قضية ، حاد عنها كل فاض ، وحار كل قهيه :

رجل مات من أع مسلم حرّ تقى من أمه وأبيه

وله زوجة لها - أيها المبرر أع خاليس بلا تمويه

لحوت فرضها ، وحار أخوها مات في بلاد دون أخيه

فأشقتنا بالجواب عما سألتا فهو ليس ، لا خلف يوجد فيه . »

ثم حل هذا اللغز بقوله :

« قل لمن ينظر للسائل : لاني كاشف سرّ ما الذي تخفيه

إن ذا الليث القوي قدم القدر ع أبا حمزة عن ابن أبيه

تِلْوَةُ الْقُرْآنِ مَهْمَا رَدَّدَ السَّجْعَ قَرَّرَ قَرَنَ

رجل زوج ابنة - عن رضاء - بجاه له ، ولا فهو فيه
ثم مات ابنة ، وقد طقت منه ، طاعت بائن يمر ذويه
فهو ابن ابنة - بغير رضاء - وأخو عمة ، بلا تحويه
وابن الابن الصريح أدنى إلى الجسد ، وأولى بولته من أخيه
فلما - حين مات - أوجب قزو جة ، فمن القوت مستوفيه
وحوى ابن ابنة - ألقى حوى الأصل أعواما - من أمها باليه
وتخل الأخ الصليق ، من الارث ، وقتلا : يكتيك أن يكيه
حلك من الفيا لقي يحفظها كل فاض يفضي ، وكل فيه .
المقامة الشتوية

وقوله في لقامة الشتوية .

«عندي أطيب أوروبا - بلا كذب - عن السيلان - فكانوني : أبا العجب
وأيت يا قوم ، أقولما غفلاهم بول المجوز ، وما أعنى ابنة العنب»
« بول المجوز » لبن البفرة ، والمجوز أيضاً من أساء الخمر .
« ومستلين من الأسماء قوتهم أن يشعروا خفة ثني من السنب»
« الحرفة » القطة من الجراد .

« وقادري - مق ما ساء صنهم » أوقصروا فيه فقالوا : القنب للعطب .
« القنار » الطاع في القدر والتدبير للطبوح فيها .

« وسكانين وما خطت أناملهم حرفاً ولا قرؤا ما غطى في الكتب» .

« الكتابون » الخرازون يقال كتب السماء وللزادة إذا خرزها وكتب البنية أو النافذة إذا جمع شفرها
وخطلها ، قال الشاعر :

« لا تأمنن فزلوا خلوت به على قاصك واكتبها بأسبار» .

« وتأمينن طابا في مسيرهم على تكيهم في البيض واليب .

« العباب » الزاية وكانت راية النبي صلى الله عليه وسلم تسمى العباب .

« ومستدين ذوى نبل بدت لهم قبلة فافقوا منها إلى الحرب .

« البنية » الجبهة ومنه نبل البعير إذا ملك وأرواح مني عن .

« وعصبة لم تر البيت العتيق وقد حجت جيا بلا فك على الركب .

معنى « حجت جيا » أي غلبت بالهبة مجادلين جادين على الركب وجرى جمع جلت .

« ولوسة بسد ما أدلين من حلب صيحن كاطمة من غير ما تعب .

« كاطمة » في هذا الموضع من كلم النيطز .

« ومديلين سروا من أرض كاطمة فأصبحوا حين لاح تصبح في حلب» .

« في حلب » أي أصبحوا يحملون الدين .

« وبأضاً لم يلاسن قط فانيصة شاعته وله ليل من العيب .

« اللال » مهتا المدو ، قال تعالى - وهم من كل حطب ينزلون - « والعيب » مؤخر القدم .

ثُمَّ تَادِ الْحَقِيقَ وَالرَّاءِ لَ، لَمَلَّ السَّرَّ يَنْظَرُ

- « وشابنا غير مخف للشيب بدا في البدو وهو في السن لم يشب .
 « الثائب » منها مزاج الابن و « للشيب » الابن المزوج ويقال فيه متيب ومعسوب .
 « ووسمناً بلبات لم يغب له رآيته في شجار بين اللب .
 « الفسار » الحقة مالم تكن مظلة ، فان ظلت فهو الهودج ، واللبب هنا الليل ، ومنه قوله تعالى
 - فليمدد بسبب إلى السماء -
 « وزاروا ذرة حتى إذا حسنت صارت غيرهما يهواما أخوالطرب .
 « النبراء » السكر التخذه من القدة يسمى أيضا الكركة ، وفي الحديث : إلام والقبواء فانبا غير العالم .
 « وراكباً وهو مطول على فرس قد غل أيضا وما ينطق من خبب .
 « الفلول » منها المطشان ، وغل أى عطش .
 « وقا يد طلق يتناد راحلة - مستجلا وهو مأسور أخو كرب .
 « للأسور » القى يحد الأسر وهو احتباس البول .
 « وجالسا ماشيا تهوى مطيحه به ، وما في القى أوردت من ريب .
 « الجالس » الآنى نهداً والماسى الذى كثرت ماشيته ، وعليه نسر بشهم قوله تعالى - أن امشوا كأنه
 دعاء لهم بكثرة المشاية والتماء والبركة .
 « ودمكا أجزم الكعين ذا خرس فان مجتم فكهم في الخلق من حجب .
 « الحائك » هنا الذى إذا مضى حرك منكبيه وطلع بين ركبتيه .
 « وذا شطاط - كصدور الرمح قائته - صادته بمعنى يتكر من الحذب .
 « الحذب » ما ارتفع من الأرض .
 « وساعيل في مسرات الأنام يرى إفراحهم مأتماء كالظلم والكذب .
 « إفراحهم » إتحافهم بالدين ، ومنه قوله عليه الصلاة والسلام : « لا يترك في الاسلام مفرح أى متقل من الدين
 أو يقضى عنه دينه » .
 « ومسرما يحتاجه الرجال له وماله في حديث الخلق من أرب .
 « هنا الكذب » ومنه قوله تعالى - إن هذا إلا خلق الأولين .
 « وذا ذمام وقت يلمد ذمته ولا ذمام له في مذهب العرب .
 « القلم » الثاني جمع قمة ، وهي البثر القليلة الماء ومعنى بالمذهب للسلوك أى ماله آثار قليلة للماء في البدو .
 « وذا قوى ما استبان قط ليخته وليته متين غير شجب .
 « الابن » نخيل الدقل ، ومنه قوله تعالى - ما تقدم من ليته -
 « وساجداً فوق غل غير مكثرت بما أنى بل يراه أفضل للرب .
 « الفحل » الحصير التخذه من ظلال النخل .
 « وماذرا مؤلما من غل يمزوه مع التلطف للمعزوف في صنب .
 « المازر » الحاقى « والمزور » المختول .
 « وبلدة ما بها ماء لثرف ، والماء يجري عليها جرى منرب .

وَتَصِفُ مَا لَدَى الْقُبْحَيْنِ مِنْ خَافٍ سَيَظْهَرُ

- « البيلة » الفرجة بين الحاجين وتسمى أيضاً البيلة .
 « ورقية - دول المحرس القطل - شخت » يعلم عيهم من خلة اللب .
 « القربة » بيت الخيل « واليدلم » الخيل الكبير « وخلة اللب » لحاء الشجر .
 « وكوكباً يتوارى عند رؤيته الانسان حتى يرى في أمنح الحب .
 « السكوب » التكة البيضاء التي تحدث في العين « والانسان » ههنا انسان الدين .
 « وروقة قومت ماله خطر - وغس صاحبها بالمال لم تلب .
 « الروقة » مقدم الأنت .
 « وصفت من نثار خامس ، هريت - بيدللكس - بغير اطمن القهب .
 « النضار » هاهنا شجر النضار ، ومنه قول بني النابج : « لأبأس أن يصرب في قلع النضار » عن به هذا .
 « ومستبيهاً بخش - ماش ليدفع ما أظه من أهديه فلم يجب .
 « الحشماش » الجماعة عليهم دروع وأسلحة .
 « ومالمّا مرّ في كلب وفي فقه ثور ، ولكنه نور بلا ذنب .
 « الثور » القطعة من الأقط (وهو نوع من الجبن)
 « وكم رأى نظري فيلا على جل وقد تورك فوق الرجل والتمب .
 « الثيل » الرجل الغافل الرأي .
 « وكم ليت - برض اليد - مشكياً وما شتكي قط في جد ولا لب .
 « للمشكي » المتخذ شكوة وهي القربة المنيرة .
 « وكنت أبعرت كرازا زاعية - بقدو - يشتر من عيتين كالشهب .
 « الكرازا » كبش يحمل عليه الزاعي أداته .
 « وكم رأيت معلق عيتين - ماؤها » يجري من الغرب - والعينان في حلب .
 « الغرب » يجري الدمع « والعينان » اللفتان .
 « ومادماً بالفتا من غير أن علفت كفاء يوماً برمح لا ولم يلب .
 « الفتا » ارتفاع الأنت وتعدب وسطه « ومذبح به » أي كشفه .
 « وكم نزل بأرض - لا تخيل به - وبعد يوم رأيت البسر في القلب .
 « البسر » جمع بسرة وهو لواء الحمير العهد بالطر « والقلب » جمع قلب .
 « وكم رأيت - بأقطار اللا - طبياً » يلعب في الجو - منتبهاً إلى صيب .
 « الطبق » القطعة من الجراد .
 « وكم مشاخ - في الدنيا - رأيتم مخدين ، ومن ينجو من السطب ؟
 « المخد » الذي أهلك شيه .
 « وكم بدال وحش - يشكي سنباً - ينطق ذلق أمضى من القصب .
 « الوحش » الرجل الجائع .
 « وكم دعاني مستج لحادني وما أخل - ولا أخفت بالأديب »

ثُمَّ عِذُّ لِلْمَسْرِ وَالْإِذَا لِحِمَا فِي الْأَفْرِ أَكْثَرَ

« للمسنجى » الجالس على نخوة وهو المكان المرتفع .
 « وكم أخت قاصي - تحت جنبف - نفلت ماشئت من هم ومن عرب . »
 « الجنبذة » أقمصة « والرب » جمع مروب وهي للتحية إلى زوجها من توله تعالى - حرباً أتراباً -
 « وكم نظرت إلى من سرّ ساعته ودمه مستهل الفطر كالحب . »
 « سرّ » أى قطع سرده ويسمى ما يبق بعد القطع السرة .
 « وكم رأيت قيساً خراً صاحبه حتى اعنى واهى الأضواء والنصب . »
 « القيس » القبة الكثيرة القنوس وهو الوثوب والقفز .
 « وكم لزار لو أن الدهر أظفه لبت لبحت السير مضطرب . »
 « الأزار » المرأة ، ومنه قول الشاعر :
 * فدى لك من أختي ثمة لزارى *
 ثم يقول في ختام قصيدته :
 « هذا وكم من أفاين ممجة عندي ومن ملح طهي ومن نخب
 فان فطمت لحن القول بل لكم سقى ودلكم طلى على رطى
 : إن شدم ، فإن العار - فيه - على من لا يميز بين النج والفرج . »
 المقامة النجارية

وقوله - في المقامة النجارية - في مروحة الجيش ، وهي ثياب خفنة من الكتان تصصل في العراق تكوّن شبه فراع السفينة ، تملق في سفك البيت ، ويسل لها جبل منها - نجريه - وتبل بالماء ، وترش بماء الورد ، إذا أراد الرجل النوم ، جفب جفها ، فيب منها نسيم بارد طيب يذهب أذى الحر ، ويستطاب معها النوم ، وقد ألتز فيها الحريري بقوله :

« وجارية في سيرها - مشطه ولكن - على إثر المسج - قنوطها
 لها سائق - من جنبها - يستحيا على أنه - في الاحتك - رسيها
 ترى - في أوان الفيظ - تنطفج بالندى ويدو - إذا زل المصيد - قنوطها . »
 وقوله ملزما في جاول النمل ، وهو الجبل الذي يصعد به النمل ، ويخمد من الماء أى ليف النمل .
 « ومنسب إلى أم قنطأ أصسده منها
 يماقها ، وقد كانت قنطه - برمة - ضبا
 به حوصل الجاني ، ولا يلقى ، ولا ينهي . »

وقوله - ملزما في القلم - :

« ومأموم ، به عرف الامام كما باحت بصحبه الكرام
 له - إذ يرتوى - طيشا صاد ويسكن حين يعروه الأوام
 ويذرى - حين يسلق - دموما يرقن ، كما يروق الانبسام . »

وقوله ملزما في الورد الذي يكسل به :

« وما ناكح أختين جهرا وخفية ، وليس طيب - في الكناح - سبيل ؟
 من يش معنى يمش - في الخلد حفده وإن مال يمل لم تجسده يميل
 بزبدما - عند اللبيب - تمها ويرأ ، وهذا - في البعر - قليل . »

وَأَزْجُرِ الْمَقْمَقَ - حَقِّ الرَّجْرِ - إِنَّ الطَّيْرَ تُرْجَرُ

وقوله - ملنأ في الدولاب :-

«وجاف، وهو وصول وصول ليس بلجاف
غريق بلوز، فأجيب له، من راسب طاق
يسح دموع مضموم ويهضم هضم متلاف
وتخفى منه حدة ولكن قلبه صاف.»

إلى آخر هذه الألفاظ التي تراها في هذه القامة .

لقامة اللطيفة

والنظر قوله - في معانيه اللطيفة :

«بمن - إذا - أشكل المسمى جلسته أفكاره العليقة

إن قال يوما لك الخابي : «خذ لك ما لك حقيقه.»

وهو يعني بذلك كلمة : «ما بك» وما للثنية ويعني خذ، وبك أي لك .

وقوله : ماذا مثال قولهم : «حمار وحش زينا.»

يعني كلمة «فرازين» والفرا حمار الوحش .

وقوله : ما مثل قولك لذى حجابك : «أفنى تهيح»

يعني كلمة «منتم» من : الأمر من ما يكون ، هم مضارع وتم ، من الوقه وهو الأذلال .

وقوله : ما مثل قولك لذى أنفى بجاحى : «غسل ملكى»

ومثله : «صليور» من الأمر من الصوت ، والبور : الخلس .

وقوله : ماذا يماثل قول : «استنش روح مدامه»

ومثله : «دحراج» روح استنشق الرائحة ، والروح : الخمر .

وقوله : «سار بالليل مدة» أي قىء مثله ؟

ومثله : «سراجين» سرى سار ليلا ، وحين : مدة .

وقوله : لك البيان ، فحين ، ماثل : «أجيب فروع»

ومثله : «مقلع» من : الأمر من وسق : أي أحب ، والمقلع : الجبان .

وقوله : ما مثل قولك : «أعط أب - ريحا يلوح بغير عروة»

ومثله : «أسكوب» أس : الأمر من الأوس ، وهو الأصداء ، والأكوب : الابرق بغير عروة .

وقوله : ما مثل قولك لبدأ بي ذى الذكاء : «الثور ملكى»

ومثله : «الفلأل» وللألى : ثور الوحش .

وقوله : ماذا مثال : «صغير جملة» بيته تينايا ييم به .

ومثله : «مكاشفة» وللكاء : الصنبر .

وقوله : «ماذا يماثل قول : جوع أمد يزداد ؟»

يعني «طوامير» ، طوى : جوع ومير : من ما رده الطام ، وهو مثل قوله : أمد يزداد .

وقوله : ما مثل قول الخبي : «ظهر أصابه حين ؟»

يعني : «مطاعين» جمع مطعون ، ومطأ مثل ظهر ، وعين - من طأه أي أصابه بالعين .

وَلَيْلِ الرَّالِ شُمَاكِي وَشِقِرَانِ تَأَخَّرَ

- وقوله : « ما مثل نورك قذى » حليته : صانف جُرْه ؟
ومثله « الفاصلة » وهي الحائطة بين الشيعين عند الراسلة وكله ألقى مثل صانف وتكتب بإياه إذا
انفردت ، وصلة : جائزة أو عطية .
وقوله : « ألا اكشف لي ما مثل : » تنازل ألف دينار »
ومثله : « حادة » فأثبت الهادي ، والتمتق أيضا ، ومعنى ما : خذ وتناول ، وديه هي ما يطلى لأهل
القتيل ، وهي من الذهب ألف دينار .
وتوله : « ما مثل : » « أهل حلية » بين حديث - رجل .
ومثله : « الفاشية » وهي اسم لمن ينشئ الرجل من الأضياف : غاشية السرج ما يطلى به ومعنى التي
أهدى وشية : حلية .
وتوله : « ما مثل نورك - قذى » ألغى بحاجيك : « اكشف اكشف » .
ومثله : « مومه » وهو الصبراء ، ومعنى ما : اكشف وتكررها لتأكيد .
وتوله : « ما مثل : » « فزلت ذا بيان » ما مثل تولى : « الشقيق ألتك »
ومثله : « أختار » جمع خطر ، وهو ما يؤدي إلى الملاك ، وإذا ضحك كان : « أخت » من معانيه
الشقيق ، ومما : أهدت .
وقوله : « ما مثل قولك لهما » هي ذى الحجي : « ما اختار فضه »
ومثله « أأرته » جمع ابريق ، وإذا ضحك كانت ألى أى ما اختار ، ورقة : اسم من أسماء النخلة .
وقوله : « أوضح لنا ما مثل قو » لك الصحابي : « دس جماعه »
ومثله : « ماذبة » وهي ما يطفئ دلى الماء ، وطأ : أسر من دولي ، والفتة : الجماعة .
وتوله ألت الهين ، فقل لنا ما مثل قولي : « خلى اسكت » .
ومثله : « خضعة » أى خلى صه ، ومماها خلى اسكت .
وقوله في منادته الدنيا في حوار طويل بين قتيهين .
- ما تقول فيمن تومنا ثم لم يظهر ليه ؟
- اختفى وضوءه بطله .
- من لم زوجته .
- فان تومنا ثم أنكاه ابرد ؟
- يبعد الزوج من بعد ؟
- بين بالبرد : انوم
- أجمع المتروكي أميه ؟
- قد تدب إليه ، ولم يوجب عليه .
- بين : الأذنين .
- أيجوز الوضوء مما يقفنه اشمبال
- وهل أنظف منه لمريال

لَكَ ذِهْنٌ - بِالَّذِي فِي الشَّرِّ مِنْ خَبْرٍ - سَيَسْخَرُ

يعني : جمع ثعب ، وهو سيل الوادي .

- أَيْسَاحُ مَاءِ الْفُرُرِ ؟

- نعم ، ويحتمل ماء البصير .

يعني بالضرير : حرف الرادي ، وبالبحير : الكلب .

- أَيْحَلُ التَّطُوفِ فِي الرَّبِيعِ ؟

- يَكْرَهُ ذَلِكَ لِمَدَّتِ الشَّيْخَ .

يعني بالتطوف : التَّنَوطُ ، وبِالرَّيْعِ : النهر الصغير .

- أَيْجِبُ النَّسْلَ عَلَى مَنْ أَمَى ؟

- لا ، ولو نَحَى .

يعني : مَنْ نَزَلَ « مَنَى »

- فَهَلْ يَجِبُ عَلَى الْجَنْبِ غَسْلُ فُرُوجِهِ ؟

- أَجَلْ ، وَغَسْلُ إِبْرَتِهِ .

يعني بالفروء : جلدة الرأس ، وبِالْبِرَّةِ عظم المرقق .

وهكذا إلى أَنْ استوفى مائة مسألة مِنْ هَذَا النَّوعِ .

المقامة النحوية

وقوله في القامة الرابعة والمعبرين :

فأَكَاةٌ هـ - إِنْ شَتَمَ - حَرْفٌ مَبْرُوبٌ ، أَوْ اسْمٌ لِمَا فِيهِ حَرْفٌ حَلُوبٌ ، وَأَيُّ اسْمٍ يَتَقَرَّدُ بَيْنَ فَرْدٍ حَلَزَمٍ وَجَمْعٍ مَلَاظِمٍ ، وَأَيَّةٌ هَا هـ - إِذَا تَنَدَّتْ أَمْلَاطُ التَّمَلِّ ، وَأَطْلَقَتْ الْمُتَغَلُّ ، وَأَيُّ تَغَلُّلٍ السَّيْنِ فَتَبْزِلُ الْعَامِلُ مِنْ خَشِيرٍ أَنْ تَجَابِلَ ، وَمَا مَنُوبٌ أَبَدًا عَلَى الظَّرْفِ ، لَا يَمُغِّضُهُ سِوَى حَرْفٍ ، وَأَيُّ مَضَافٍ أَهْلٍ مِنْ عَرَى الْأَضَافَةِ بِمَرُوءَةٍ ، وَأَخْلَفَ حَكْمَهُ بَيْنَ مَاءٍ وَخَدْوَةٍ ، وَمَا الْعَامِلُ الَّذِي يَهْدِلُ آخِرُهُ بِأَوَّلِهِ ، وَيَعْمَلُ مَكْشُورَةً مِثْلَ عَمَلِهِ ، وَأَيُّ طَائِلٍ نَائِبُهُ أَحَبُّ مِنْهُ وَكَرَأً ، وَأَنْظَمَ مَكْرَأً ، وَأَكْثَرُ قُلَّةً - تَعَالَى - ذِكْرًا ؟ وَفِي أَيِّ مَوْطِنٍ تَلْبَسُ الذِّكْرَانُ ، بِرَأْسِ النِّسْوَانِ ؟ وَتَجُوزُ دِهَاتُ الْحَبَالِ ، بِسَائِمِ الرَّجُلِ ؟ وَأَيُّنَ يَجِبُ حِفْظُ الرِّائِبِ ، عَلَى الْمَضْرُوبِ وَالْمُضَارَبِ ؟ وَمَا اسْمُ لَا يَهْرَفُ إِلَّا بِاسْتِخْفَافِ كَلِمَتَيْنِ ، أَوْ لِقَاصَرٍ مِنْهُ عَلَى حَرْفَيْنِ ، وَفِي وَضْعِهِ التَّرَامُ ، وَفِي الثَّانِي إِتْرَامٌ ؟ وَمَا وَصَفٌ - إِذَا أَرَدْتَ بِالنَّوْنِ - تَقَسَّ صَاحِبُهُ فِي الْمَيُودِ ، وَقَرِمَ بِالْفُودِ ، وَخَرَجَ مِنَ الزُّبُونِ وَتَعَرَّضَ لَهَاوُونٍ .

وقد فسره بقوله :

هـ أما الكلمة التي هي حرف مبروب ، أو اسم لما فيه حرف حلوب ، فهي لم - إن .

(وأما الكلمة التي هي حرف مبروب أو اسم لما فيه حرف حلوب) فهي نعم لأن أردت بها تصديق الأخبار أو السدة عند السؤال فهي حرف وإن تنبت بها الابل فهي اسم ولقمت تذكر وتؤنث ، وتطلق على الابل وعلى كل ماشية فيها إبل ، وفي الابل الحرف وهي النانة الضامرة سببت حرفا تشبيها لها بحرف السيف ، وقيل أنها الضميمة تشبيها لها بحرف الجبل (وأما الاسم المتقصد بين فرد حلزم وجمع ملازم) فهو سراويل . قال بعضهم هو واحد وجهه سراويلات ، فقل هذا القول هو فرد وكنى عن ضمه الحصر بأنه حلزم ، وقال آخرون بل هو جمع واحد سراويل مثل شلال وفيليل ، وسرايل وسرايل ، فهو على

فَتَاقِلْ مَا أَتَّبَعِي فِكْرِي لَهُ ، ثُمَّ تَدَبَّرْ

هذا القول جمع ، ومعنى قوله ملازم أى لا ينصرف وإنما لم ينصرف هذا النوع من الجمع وهو كل جمع فاعله ألف وبمعناها حرف مفرد أو حرفان أو ثلاثة أو سطحا ساكنين لثقله وطرده دون غيره من الجوارح بأن لا نظير له فى الأسماء الآحاد ، وقد كفى فى هذه الأحيية عمالا ينصرف باللائزم كما كفى فى القى قبلها مما ينصرف باللائزم (وأما الهاء التى إذا التفت أمانت القتل وأمانت القتل) فهى الهاء اللاحقة بالجمع لتقديم ذكره كقولك صيلولة وصياغة فينصرف هذا الجمع عند التعلق الهاء به لأنها قد أسارت إلى أمثال الآحاد نحو رفاعية وكراعية خلف بهذا السبب وصرف لهذه اللمة ، وقد كفى هذه الأحيية مما لا ينصرف بالمعنى كما كفى فى القى قبلها مما لا ينصرف باللائزم (وأما السين التى تحول العامل من غير أن تحامل) فهى التى تدخل على القتل للقتل وتصل بينه وبين أن التى كانت قبل دخولها من أدوات النصب فترفع حينئذ الفعل وتقتل أن من كونها الناصبة لفعل إلى أن تصير المخفضة من التثنية ، وذلك كقوله تعالى - علم أن سيكون منكم مرضى وتقديره علم أنه سيكون (وأما للنصب على القلرب الذى لا يخفضه سوى حرف) فهو عند إذ لا يجره غير من خمسة وقول القلمة ذمعت إلى عنده لحن (وأما الضاف التى أدخل من هرى الإضافية هروا واختلف حكمه بين ساء وغدوة) فهو لدن ولدن من الأسماء اللازمة للإضافة وكل ما يأتى بعدها مجرور بها إلا غدوة ، فإن العرب نصبها بلفظ لكثرة استعمالها لإياها فى الكلام ، ثم نوبتها أيضا ليعين بذلك أنها منصوبة لأنها من نوع المجرورات التى لا تنصرف ، وعند بعض النحويين أن لدن بمعنى عند والصحيح أن ينيها لفظا لطيفا وهو أن عند يشتمل معناها على ماعوف ملكك ومكنتك ما دنا منك وبعد عنك ولدن يختص معناها بما حضرك وقرب منك (وأما العامل الذى يصل آخره بأوله ويصل مكسوسه مثل حله) فهو با ومكسوسها أى وكلفها من حروف التاء وعملها ما فى الاسم للنادى بيان وإن كانت بأجول فى الكلام وأكثر فى الاستعمال وقد اختار بعضهم أن ينادى بأى القريب فقط كالفزة (وأما المفضل الذى نال به أرحب منه وكرا ، وأعظم مكرا ، وأكثر لله تعالى ذكرا) فهو باء القسم وهذه الباء من أصل حروف القسم بدلالة استعمالها مع ظهور ضل القسم فى قولك : أقسم بالله ، ودخولها أيضا على الضمر كقولك بك لأملن ، وإنما أبدلت الواو منها فى القسم لأنها من حروف الشفة ، ثم تضارب ما ينيها لأن الواو تنهى الجمع والياء تنهى الالفاظ ، وكلاهما متعلق وللتبيان مغايرتان ، ثم صارت الواو المبيضة من الباء أدور فى الكلام وأعظم بالأقسام ، ولهذا ألتز بأنها أكثر لله تعالى ذكرا . ثم إن الواو أكثر موطنها من الباء لأن الباء لا تدخل إلا على الاسم ولا تصل غير الجر والوار تدخل على الاسم والفعل والحرف وغير تارة بالقسم وتارة بإظهاره وتنظم أيضا مع نواصب الفعل وأدوات اللطف ، فلهاذا وصفها بربح الوكر وحطم للسكر (وأما للوطن الذى يلبس فيه الذكر أن يرانق النسوان ويبرز فيه وبات الجبال بسام الرجال) فهو مراتب العدد للضاف ، وذلك ما بين الثلاثة إلى العشرة فإنه يكون مع للذكر لهما ، ومع اللواتى يخفضها كقوله تعالى - سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام - والهاء فى غير هذا للوطن من خصائص اللواتى كقولك ثام وثامنة ، وحالم ومطللة ، وقد رأيت كيف انعكس فى هذا للوطن حكم للذكر وللواتى حتى اعطب كل منهما فى ضد قائله وبرز فى بزة صاحبه (وأما الموضع الذى يجب فيه حفظ الراتب على الضروب والضارب) فهو حيث يشقبه القاهل بالمقول لتنفذ ظهور علامة الاعراب فيها أو فى إحداها ، وذلك إذا كانا معصوبين مثل موسى وهارون أو من أساء الاشارة نحو ذاك ، وهذا فيجب حيقظ لازالة اللبس إقرارا

وَأَعْتَقِدْ أَنِّي فِي «نَمٍ» كَمَنْ خَطَّ قَسَطَرُنْ

كل منهما في رتبته يعرف الفاعل منهما بنفسه وللعمول تأخره (وأما الاسم الذي لا يهيم إلا باستضافة
 عيين أو بالاتصاف منه على حرفين) فهو منها وفيها قولان أحدهما أنها مركبة من مه التي هي بمعنى اكشف
 ومن ما ، والقول الثاني وهو الصحيح أن الأصل فيها ما فزيت عليها ما أخرى كما تزداد ما على أن ، فصار
 فظها ما ما ، فقل عليهم تولى كلين بلفظ واحد فأبدلوا من ألف ما الأولى هاء فصارتا مهيا ، ومهيا من
 أدوات العطف والجزاء ، ومع لفظ بها لم يتم الكلام ولا حمل المعنى إلا بإيراد كلين بهما كفواك مهيا
 فعل أهل وتكون جملته ملقمة للفعل ، وإن انصرفت منها على حرفين وهما التي بمعنى اكشف فهم المعنى
 وكنت ملزما من خاطبت أن يكف (وأما الوصف الذي أردف بالتون فهو صاحب في العميون وقوم بالسود
 وخرج من الأزبوت وعمرش الهون) فهو ضيف إذا لحقه التون استحتم إلى ضيفين وهو الذي يتبع التنب
 ويحذف في التند مثالة الزيف .

ومن ألا عيب الحريري قوله في مقالة أخرى - مما يقرأ طرفا وعكسا في مقامته الغربية :
 « لم أخلد ، كبير رجاه أجز ربك ، من يرب إذا بر ينم ، سكت كل من نم لك تكس » وقوله :

أس أوملا - إذا ما ولوع إذا المرأ أما
 أسند أبا تباعة أبت أخطا دنا
 أسل جناب فاقم مشاب إن جلا
 أسر إذا هب مرا وارم به ، إذا دنا
 أسكن تو ، فسي يصف وقت تكسا .
 القامة القهقرية

وقوله في مقامته القهقرية :

« أومرون رسالة أرضها ساؤها ، وصحبها ساؤها ، نسجت على متواليين ، وتجلت في لويز ، ووصلت
 إلى جيهين ، وبنت ذات وجهين .
 إن يزمت من معرفها ، فتابعك بروقها ، وإن ظلمت من منبرها ، فيا لسيها »
 وهذه الرسالة التي تقرأ من أولها كما تقرأ من آخرها هي :

« الاتصال صليحة الأحسان ، ورب الجليل فضل التنب ، وشيعة المر ذخيرة الحمد ، وكسب الشكر استبصار
 السعادة ، وعنوان الكرم تبايش الهمم ، واستصمال الإدارة يوجب للمنافاة ، وعند المحبة يخفى النصح
 وصديق الحديث حلية السلام ، وضاحية للنطق سحر الألباب ، وفكر الهوى آفة النفوس ، ومثل الخلاق
 شين الخلاق ، وسوء الطبع يابن الورع ، والفرام الحزامة زلم السلامة ، وتطلب للشاب هر اللباب ،
 وتبع العثرات يحنى المودات ، وخصوص النية خلاصة العطية ، وتهمة النوال غن السؤال ، وتكف
 الكلف يحمل الخلف ، وتيقن للموتة يسكن المؤونة ، وفصل الصدر ، سة الصدر ، وزينة الرعاة مقت
 الساحة ، وجواز للداعيت للناعم وسمير الوسائل ، تشجيع للسائل ، ومجلة الفتوة استرقاق الناية ، وتجاوز
 الحمد ، بكل الحمد ، وتسمى الأديب ، يحيط للفرق ، وتسمى الحقوق ، وتسمى الرب ، يرض الرب ،
 وارتفاع الأخطار ، لاتصام الأخطار ، وتو ما لأعصار يموتاة الأنداء وعرف الأعمال ، في تسمير الآمال ، وإطالة
 الفكرة ، فتليح الحسكة ، ورأس الرئاسة تهذيب الحياة ، ومع العجالة ، معنى الحاجة ، ويعد الأوجال تضافيل
 الرجال ، ويتفاضل الهمم تطاولت القيم ، ويتردد السقم ، بين التدبير ، ويخل الأحوال بتبين الأحوال ،
 ويعوجب المعبر ثمرة النصر ، واستحقاقه الأعداد بحسب الاجتهاد ، ووجوب للملاحظة ، كفاة الملاحظة ،

وَيَقِينُ أَنَّ مَا بَيْنَكَ أَمْزُوتٌ يَقْدَرُ

وسمى للوالى ، جهد المولى ، وتحمل المروءات بحفظ الأمانات ، واختبار الاخوان بتخفيف الأحرار ، ووقع الأعداء بكف الأوداء ، وامتحان الفتلاء بمقارعة الجبهلاء ، وتجمع المواقب يؤمن للمطالب ، وانقاة الشتمة ينشر السمعة ، وتقع السمعة ، وتقع الجفاء يثاق الوفاء ، وجوهر الأحرار عند الأسرار .

وقوله من خطبة لا قطع فيها ولا إجماع - في مقامته السمرقندية :-

« الحمد لله المدح الأسماء الحمود الآلاء الواسع العطاء للدعوى لحسم الآواء ، ملك الأمم ، ومصور الرمم ، وأهل السباح والكرم ، ومهلك عاد وإرم ، أدرك كل سر طعه ، ووسع كل معرج طعه ، وهم كل عالم طوله ، وحد كل مارد حوله ، أحده حمد موحد مسلم ، وأدوده دماء مؤهل مسلم ، وهو الله لا إله إلا هو الواحد الأحد ، العادل القصد ، لا ولد له ولا والد ، ولا رده معه ولا مساعد ، أرسل محمداً للإسلام مهديا الخ »

وفي مقامته المرائية - رسالة « حروف إحدى كتبها يبدأ بالتقط وحروف الأخرى - كما يقول - لم يجمع قط » وحى :

« الكرم - ثبت الله جيش سمودك - بزمن ، والقوم - غنى الله جن جن حودك - بشين . والأدوع شيب ، واللمور يجيب ، والحلال يضيف ، والمالح يخيف ، والسبح يندى ، والملك يقضى ، والعطاء ينجي ، والمحال يشجي ، والبهاء يقي ، والمدح ينقي ، والمزج يزي ، والالطاط يجزى ، والطراح ذى الحرمة فنى ، وعمره بنى الآمان بنى ، وما منى إلا منين ، ولا نين إلا منين ، ولا خزن إلا شقى ، ولا قبض راحة نقى ، وما نقى وعذك نقى ، وآراك نقى ، وعلاك نقى ، وحلك نقى ، وآلوك نقى ، وأعداؤك نقى ، وسامك نقى الخ الخ . »

وله رسالة شنيعة كتبها - على لسان بعض الأسماء - إلى بعض أصدقائه تنابا :

باسم السميع القدوس المستفتح ، وباسماده المستنج ، سيرة سيدنا الأسفلتار ، السيد النفيس ، سيد الرؤساء ، سيف السلاطين ، حرس قفه ، واستنارت شمه ، وانقأ أنه ، وبسب غرسه .
إلى أن يقول :

« وسيف السلاطين متأثر بأفس الجاع وحسو الكؤوس
سلاقي ، وليس لباس السلاطين يناسب حسن سيات النفيس
وسن تناسي جلاصه وأسوا السجلا تناسي المجلس
وسر حودى بطنس الرسوم ، وطس الرسوم كرمس النفوس
وساقى الحسام يتأس السلاف ، وأسهدى بيبوس وبوس . »

إلى آخر القصيدة .

ورسالة شنيعة ، وحى القى كتبها لأحد أصدقائه يمدحه فيها ، وفيها يقول :

« بارشاد للنقى أنقى ، شنىق بالشيخ شمس أشمراء ، ريش مماشه ، وفنا ريشه ، وأشرق مهابه ،
وامشوشب شهابه ، بفاكل شنف للنقى بالنشوى ، ولرنتى بلرندوى ، والشادن بهرخ الشهاب ،
والعطشان إلى شيم الشراب ، وشكرى نتجشمه ومشفقه ، وشوامد شفقه ، يشاكل شكر الناقد للشفه ،
وللمترعد للرشد ، والمستر للهمر ، والمستجيش للجيش للشم ، وشماوى إناشد شمراء ، وإشجاب
للكنشج وللكاشر بنمراء »

وهكذا إلى أن قال :

« فأشماره معهوره : بمشاره وعفرته منكورة ، وعشاره
شأى الشمراء للشملين شمراء فشاويه مشجوا الحشا ، ومشاره
وشوه ترشيش للرتش رفته ، فأشباعه يتكونه ، ومعاره

إلى المعتمد على الله

« وكتب أيضا رحمه الله إليه أبده الله . »

يَأْيَا الظَّافِرُ نِلْتَ الْمُنَى وَلَا يَنْلُكَ فِيكَ عَذُورُ
إِنَّ أَنْحِلَالَ الزُّهَرِ قَدْ صَنَمَا ثَوْبُ عَلَيْكَ الدَّهْرِ عَزُورُ
لَا زَالَ الْمَجْدِ الَّذِي شِدَّتُهُ رُبْعٌ - بِتَعْمِيرِكَ - مَنْصُورُ
حَتَّى يُوفَى فِيكَ مَا يَنْتَقِي مُعْتَصِدٌ بِاللَّهِ مَنْصُورُ



وَأَفَاكَ نَظْمٌ - لِي فِي طَيْبَةٍ - مَعْنَى مُعْنَى الْأَفْطِ مَنْصُورُ
مَرَامُهُ يَصْنَعُ ، مَا لَمْ يَبْنِ - بِالسَّرِّ قُمْرِي^(١) - وَعُصْفُورُ
وَبُلْبُلٌ ، ثُمَّ يَكُرُّ اللَّذَا تَقَدَّمَا ، فَالْأَفْطِ مَكْرُورُ
ثُمَّ تَرَى الْبُلْبُلَ قَدْ حَكَّهُ نَسْرًا ، بِالشَّقْنَيْنِ^(٢) مَفْسُورُ
ثُمَّ الْغُرَابُ الْجَوْنُ ، يَنْتَلُوهُ قُمْرِي وَدَرَجُجٌ وَزَرْزُورُ

وشاق الشباب العم والشيب وشبهه ، فنشوره بهرى للشوق، ونافره

شماله مشوطة - كشووله - وهريه مستعبره، وممافره .

إلى آخر القصيدة .

(١) القمري : طائر حسن الصوت - ويجمع على قمري - ويقال للذكر منه : الورشان .

قال ابن سيده : « القمري طير صغير » وعنده - في اشكم - من ايام .

وقد زعموا أن القمري - إذا مات ذكوره - لم تزوج إناثها .

والورشان - الذي هو ذكر القمري - يوصف بالحنون على أولاده ، حتى أنه ربما نل نفسه إذا رآها في

يد الناس ، وقد مرّ بك في « ص ١٠٧ » قول ابن زيدون :

« إن نني البلبل احتاج غناء الورشان »

(٢) الشقنين - كما في حياة الحيوان وابن البيطار - نوع من الحمام ، قالوا : « وهو الذي تسميه العامة

بهميم » . وجهه شافين .

ثُمَّ بَلَى الدَّرَاجُ^(١) مِنْ بَعْدِهِ نَيْقُ^(٢) وَمُكَا^(٣) وَشُرْشُورُ^(٤)
وَبَاشِقُ^(٥)، ثُمَّ إِذَا حَلَقَ الشَّاهِينُ - وَالْمُصْفُورُ مَذْعُور -
ثُمَّ سَلَّ الْمَكَا^(٦) بَصْدُفَكَ، وَالْمُصْفُورُ، وَالْقَمْرِيُّ مَرْجُورُ
وَإِنْ جَرَى الدَّرَاجُ - فِي إِثْرِهِ الزَّرْزُورُ - فَالطَّوِيُّ مَنَشُورُ
وَتُحْمٌ فَأَعْلَمَ أَنَّ مَوْضُوعَهَا حَرْفُ الْفَصْلِ الْفَعْلِي مَقْدُورُ
وَفِي النَّيِّ قَمَسَتْ نُصْحُ، لَيْنَ جَدَّ - مِنَ الْأَعْدَاءِ - مَشْكُورُ^(٧)

(١) الدراج - بضم الدال - طائر ظاهر جناحه أبيض ، وباطنها أسود - فحين النطا إلا أنه أليف .
والجناظ بعده من جنس الحمام ، لأنه يجمع بينه تحت جناحه كما يفعل الحمام .
قالوا : وهو كثير التناج يعبر ، بقدم الريح ، وهو يصلح بهبوب الشمال وسفاه الهواء ، ويسود له
بهبوب الجنوب ، حتى لا يقدر على الطيران .

(٢) النريق أو الفروق : طائر مائي ، وقيل هو الكركي أو طائر يشبهه .
قالوا :

وهو دون الحمام - في القندار - ولونه الحمرة مع كودة ، وفي صوته ترجيع وتحزين .
ومن شأنها أنها تحسن أصواتها - إذا اضططت - ومن طبعه أنه إذا فقد أناه لم يزل - فيها يزعمون -
أعرب إلى أن يموت ، وكذلك الأتي إذا فقدت ذكرهما .
قالوا :

وهو شديد الاحتباس ، وفيه ألفة لبيوت .

(٣) للمكا : طائر . (٤) الشرشور : طائر يسمى : « البرقش » وجمه فراشع .
(٥) واليهت للطير في هذه القصيدة هو :

« أت - إن ناز - طائر فليطع من ينظر . »

ولنضع في الجدول التالي أمام كل حرف طائره على الترتيب الذي ذكره في القصيدة مكنا : -

الحرف	الطائر	الحرف	الطائر	الحرف	الطائر	الحرف	الطائر
أ	قرى	ب	لر	ج	شاهين	د	دراج
ن	صدور	ز	غراب	ح	قرى	ط	مرشور
ت	بلبل	ظ	دراج	ع	باشق	ف	دراج
ا	قرى	ا	زرزور	م	شاهين	ر	زرزور

جواب^(١)

« جوابه ذو الوزارتين رجه الله . »

حَظِيَّ - مِنْ تُشْمَاكَ - مَوْفُورُ وَذَنْبُ دَهْرِي بِكَ مَقْفُورُ
وَبِتَارِي - إِنْ زَمَنِي رَامَهُ - حَجَرٌ^(٢) لَدَى ظِلِّكَ مَحْجُورُ



يَا ابْنَ الَّذِي سَرَبَ الْهُدَى آمِنُ مِنْذُ أَبْرَى يَحْيِيهِ مَوْفُورُ

وليملم القارىء أن الشاعرين في قوله : « ثم إذا خلق الشاعرين . » ساقط ليس له حرف هجاء كغيره من طيور القصيدة ، وقد أشار إليه بقوله :

« وتم فاعلم أن موضوعها حرف لفصل اللفظ مقدور . »
وقد نكته العديد ، وجوابه بالقصيدة التالية :

« يا أخير من يلحظه خاطري ، شهادة ما شابها زور
ومن إذا ما ليل خطب دجا لاح به - من رايه - نور
وأبك - إما شت - صاوم غضب على الأعماء مغمور
جاءني الطير ألقى سرّا انظم به قلمي سرود
شعر هو الشعر فلا تنكروا آني به - ما عشت - مسحور
اللفظ والقرطاس - إن شجها - قيل هما مسك وكافور
وإنه لما اضدى خاطري ساقلا جلوب عصفور
موى لجيش الطير من فكرتي صغر فولي وهو مغفور
فلاح لي بيت فؤادي له وأبا على ودك منصور
حظك من شكرى يا سيدي بما بدا لي منك موفور
قصرت في نظمي فاهترقن ضاماك في التفسير مغفور
فأنت إن تنظم وتثر تتد أموز منظوم ومثبور
لا يصدكم روض من الحظ في ال إكرام والتزيع مطور . »

(١) بحث ابن زيدون بهذه القصيدة للمتبد ردا على قصيدته التي ذكرناها في هذه الصفحة .

(٢) المجرى الكسف أو المرام ، يقال : « هذا جبر عليك » أى حرام و « نشأت في حبر ثلاث »

أى في كنفه ومنه وحفظه وستره .

أَجَبْتُ أَمْرِي بِاللَّيْلِ لَمْ يَزَلْ يُصْنَعِي إِلَيْهِ مِنْهُ مَأْمُورٌ
الْبَيْسَ مِنْكَ الْمَلِكُ أَسْنَى الْخَلَى بِظَافِرٍ يَتَمِيهِ مَتَّصُورٌ

* *

يَا مَرْوَى الْمَأْمُورُ، يَا بَنَ لَهُ تَجَدَّدَ - مَعَ الْأَيَّامِ - مَأْمُورٌ
عَبْدَكَ - إِنْ أَكْثَرَ مِنْ شُكْرِهِ - فَهَوَّ بِمَا تُؤَلِّيه مَشْكُورٌ
إِنْ تَمَفَّ عَنْ تَقْصِيرِهِ مُنْعِمًا فَالْمَرْوَى^(١) أَنْ يُقِيلَ مَبْسُورٌ
إِنْ حَلَّالَ السَّحْرِ - إِنْ سَمَّيْتَهُ - فِي مُحِيفِ الْأَنْفُسِ مَسْطُورٌ
تَظَلَّمَ زَهَّانٍ مِنْهُ إِذْ جَاءَ فِي عِلَقِ عَظِيمِ الْقَدْرِ مَذْخُورٌ
هَوَى إِلَيْهِ طَرَبًا خَاطِرِي كَمَا تَلَقَّى الْوَصْلَ تَهْجُورٌ
لَا غَرَوْ أَنْ أَفْتَنَ إِذْ لَاحَظْتَ فِكْرِي مِنْهُ أُغْيِنُ حُورٌ
تَشَفَّى عَنْ مَعْنَاهُ الْفَاطِلُ كَمَا وَشَى بِالرَّاحِ بَلُورٌ
جَبَلْتُ - إِذْ عَارَضْتُهُ - غَيْرَ أَنْ لَا بُدَّ أَنْ يَنْفُتُ مَصْدُورٌ

* *

يَا آلَ «عَبَادِ» مُوَالَاةِكُمْ، زَالَتْ - مِنَ الْأَعْمَالِ - مَبْرُورٌ
إِنْ الَّذِي يَرْجُو مُوَادَاتِكُمْ - مِنَ الْمُنَاوِينِ - لَمْعُورٌ
مَكَانَهُمْ مِنْكُمْ كَمَا نَحْطُ عَنْ مَنَزَلَةِ الرَّفُوعِ - مَجْرُورٌ
يَدُنُو إِلَيْكُمْ مَا تَأَى عَنْكُمْ إِنَّ الْعُلَى مِنْ أَنْبِ نُورٌ
لَا زِلْمٌ تَشَاوَنَهُمْ مَا انْجَلَى - مَنْ فَلَقَ الْإِصْبَاحَ - ذِيحُورٌ
وَلَا يَزَلْ يَجْرِي - بِإِرَائِكُمْ أَهْمَارُهُمْ - فِيهِ مَقْدُورٌ

إلى المعتمد

« وكتب أيضا ربه الله إليه أيده الله . »

يَا مُرْضِيَا كُلَّ عَزَمٍ وَتُرْوِيَا كُلَّ لَهْزَمٍ
وَيَا صَبِيَّ الْمَصَلَّى عَلَى أُنْعَمِهِ وَالْمُسَلَّمِ
وَيَا ابْنَ أَعْظَمِ مَنْ هَا بِهِ الْمُلُوكُ وَأَكْرَمِ
وَأَفَاكٍ - لِطَيْرٍ - سِرْبٍ لَذِيهِ سِرٌّ مُكْتَمِ
إِنْ تَسْأَلِ الطَّيْرَ عَنْهَا مُسْتَعْلِمًا مِنْهُ تَمَلِّمْ
وَالْفَسْرُ وَالرَّهْوُ ^(١) يُنْقِيسُكَ وَالظَّلِيمُ ^(٢) الْمَصْلَمِ

(١) الرهو : الكركي ، وهو - كما جاء في صبح الأعشى - طائر أعبر طويل الساتين في قدم الأوزة ، ويرجع على كراكي ، وفي طبعه خور يحمله على التماس ، حتى إنه إذا - اجتمع جماعة من الكراكي - يحرسها بالنوبة بينها ، ومن شأن الذي يحرس مكانه حتى يقضي كل منها نوبته من الحراسة ، ولا طير إذا قضى نوبته ظم واحد ممن كان قائما يحرس مكانه حتى يقضي كل منها نوبته من الحراسة ، ولا طير متفرقة بل سفا واحدا يقدمها واحد منها - كالرئيس لها - وهي تنبهه ، يكون ذلك حيناً ، ثم يخلطه آخر منها مقدما حتى يصير الذي كان مقدما مؤخرا ، وفي طبعها التناصر والامتناع ، ومن خاصتها أن أتناها لا تقعد للسداد بل يسفدها - وهي فاعلة - ويكون سفاده صريحا كالصغور .

وقال الفروبي - في عجائب المخلوقات :

والكركي لا يمشي على الأرض إلا بأحدى رجليه - ، ويملأ الأخرى ، أو يضمها وضماً خفيفاً مخافة أن تخسف به الأرض .

قال - في « للمسايد وللطارد » :

وهو من أبعد الطير صوتا يسمع على أميال .

قالوا : وكانت الكراكي تأتي إلى مصر من بلاد الترك ، وفي طلبها وصيدها كانت تتنقل ملوك مصر نقابا لا يدرك حده ، وتتفق في ذلك الأموال الجمة .

(٢) الظليم - ذكر النعام - وقد جاء في صبح الأعشى - في مفرد الكلام عن النعام - قوله :

« هو طائر معروف ، مركب من صورتى جل وطائر ، ولذلك نسيه الترك « دوانش » بمعنى « طير جل » ونسيه الفرس « اشتر مرك » ومنه « جل طائر » وبمعنى ذكر النعام : الظليم . قالوا : وسكانها الزبل ، وتضع بيضها سطرأ مستطيلا ، بحيث لو مد عليها خيط لم تخرج واحدة منها من الأخرى ، ثم تغطي كل بيضة منها بصبغها من الحصى ، لأنها لا تستطيع ضم جميع البيض تحتها .

ثُمَّ الْهَدِيلُ ^(١) تَلِيهِ حَامِسَةٌ تَدْرِمُ
إِلَى عَقَائِنِي تَدْعُو مُمَا الطَّلِيمَ فَيَقْنَمُ
ثُمَّ الْمُقَابُ ^(٢) مَعَ الصَّقْرِ، فَهُوَ بِالْشَّرَحِ أَنْتَمُ
وَالرَّالُ ^(٣) وَالرَّهْوُ وَالْقَبْسُجُ ^(٤) قَالَتِلَاثَةُ حَوْمُ
ثُمَّ الْمُقَابُ فَسَلَهُ وَالصَّقْرُ لَا يَتَلَقَّمُ

- وإذا خرجت الطعم ، فوجدت بين فامة أخرى حطته ولبت أيضا فربما حطت هذه بين هذه .
وقدك توصف - في الطير - بالحق .
ويقال : إنها قسم أيضا أثلاثا ، فته مائحتنه ، ومنه مايجله فضاء لها ، ومنه ماقتنه وتجهل في الهواء
حتى يحول فيه المود تفتدي به أفرأها إذا خرجت . فلوا :
« وليس لتمام حامة - مع - ، ولكنه قوى العلم ، يستغنى بشبه من سياهه . حتى يقال : إنه يسم راحة
الثامن من بد . وفي أساطير العرب :
أن الثمامة ذهبت تطلب قرين فتطموا أذنيها .
ومن خصائصها أنها تجعل النظم الصلب والمجبر تغذيه معنتها .
(١) الهديل ذكر الحمام ، قال أبو العلاء في داليته للصهورة :
« يا هديلات الهديل : أسعدك لوعد ن قليل الجباه بالاسعاد . »
(٢) المقاب : طائر من الجوارح تسمى العرب بالكاس ، قيل المقاب سيد الطيور والنسر هربها
وتقول العرب : « أهر من عقاب » قال ابن ديزيد في مقصورته الزائفة :
« فاستنزل الزياء - فورا - وهي من عقاب لوح الجو أعلى منتهى . »
وقد جاء في صبح الأعشى : أن المقاب مؤنة لا تذكر ، وتجمع على مقبان وأقرب .
وجاء في « الصائد للطاود » قوله :
« وهي من أعظم الجوارح ، وليس بعد النسر في الطير - أعظم منها وأصل لونها السواد . »
فإنها سوداء دجوجية ، وخضارية - وهي التي لا يبيض فيها - ومنها البضاء - وهي التي يخالط سوادها
يباض - ، ومنها الشفراء وهي التي في رأسها قط يبيض - قال « أبو هيبسة » و « يونس » :
« ويقال لذكر العقاب « الفرن » ويقال إن ذكور العقاب من طير آخر لطاف الجرم لانسواى شيئا ،
تلب بها الصبيان » والمقاب من أسرع الطير طيرا . (ارجع إلى صبح الأعشى ج ٧ ص ٥٣)
(٣) الرال : ولد الثمام ، قال أبو العلاء :
« قد كنت فات - في كلام لي قديم - إنني قد هجرت الشعر هجر الرال تركته . »
(٤) القنج : والكروان ، عرب « كنج » بالفارسية وهو طائر في قدر النجاجة طويل الرجلين
حسن الصوت لا ينم الليل .

إِلَى حُبَارَى^(١) وَبَارِ
ثُمَّ السَّمَاءِ^(٢) مَعَ الرَّا
إِلَى عَقَابٍ وَرَهْوٍ
وَمَا الظِّلْمُ بِأَلٍ
ثُمَّ الْعُقَابُ سَيَّوَجِي
وَعَقَقْتُ وَهَدَيْتُ
وَتَمَّ فَعَلْتُ كَمَا قَدْ
يَا مُبْلِيسَ أَلْهَرِي وَشِيَا
اسْلَمْ سَيِّ الْأَمَانِي
وَعَالِكَ اللَّوْنُ أَغْصَمُ^(٣)
لِي كَيَّ يَتُوحُّ الْمُجَنَّمُ^(٤)
يُصْبِحُ بِمَا شِئْتُ أَسْنَعُمُ
فَلَوْ زَجَرْتَ لَتَرْجَمَ
لِلصَّغِيرِ لَا تَكَلَّمْ
وَالْقَبْجُ فِي ذَلِكَ مُلَقَمٌ
عَدَدَتْ فِيهَا قَدَدَمُ
مِنْ الْجَمَالِ مُنْتَمِ
مُؤَزَّرَ النَّصْرِ مُطْعَمُ^(٥)

- (١) الحبارى : طائر - يقع على الذكر والأنثى - قالوا : « ويضرب به للتل - في البلامة والحق يقال :
« هو أبى من الحبارى » قبل ذلك لأنها إذا غيرت معها ذواته وحضت يمشي غيرها .
(٢) الأصم : البلي . قال ابن دريد :
« لو نابت الأصم لأخط لها - طوع القباد في ديارم القدرى .
وجهه صم ، قال الشاعر :
« واديتني حتى - إذا ما خنتني يقول يحمل الصم سهل الأباطح
تأديت من حين - لاني حية - وفادرت ما فادرت بين الجوانح .
(٣) الحمام : ضرب من الطير ، واحدة حمامة .
(٤) المجسم : القى لا يحمي ، قال للحرى :
« جيم هذا الزمان قولا وكنتا يرمي بانه .
(٥) « وجهت للطير - في هذا الشعر - هو :
« أهدت عدوك ، واسلم ، واظهر بؤسك - وانتم .
وقد ذكره المتجد .

بيت مطير

وكتب اليه العتد أبده الله

باسمى بلعدن العلم

يا آله الحرب والسلم

وجمليور الشعر نحو قد

بت فؤادى شرك الفهم

فبعث اليه بيت مطير وجلوبه رحمه الله .

أَلْحَقْنِي بِرُكِّ النَّجْمِ	يَا ابْنَ الْبُدُورِ الزُّهْرِ مِنْ لَحْمِ
يَا لَابِسَ الْمَجْدِ الَّذِي زَانَهُ	بِالْعِلْمِ زَيْنَ الْبُرْدِ بِالرَّقَمِ
قَدْ لَيْمَتْ كَفَى الدَّرَارِي مَذْ	شَافَتْ تِلْكَ الْكَفَّ بِاللَّحْمِ
فُلِدَ مِنْكَ الْمَلِكُ عَضْبَ الظُّبَا	يَنْصِي مَضَاءَ الْقَدَرِ الْحُكْمِ
فِرْنْدُهُ الرَّفَاقُ مِنْ بَشْرِهِ	وَحَدُّهُ مِنْ نَافِدِ الْعَزَمِ



قَدْ جَاءَ فِي النَّظْمِ الَّذِي خِلْتُهُ	مُؤَلَّفَ اللَّوْلُؤِ فِي النَّظْمِ
حَلِيقَتِي مِنْهُ بِفَضْرِ بَرَى	فِي عُقْلِ حَالِي رَاقِ الْوَسْمِ
مُسْتَدْعِيًا طَيْرَ الْمُعْتَى لِكَيْ	يَصِيدَهَا فِي شَرَكِ الْفَهْمِ
فَهَا كَمَا تُهْدَى إِلَى خَاطِرِي	يَسْتَخْرِجُ الْإِفْصَاحَ مِنْ فُجْمِ ^(١)

(١) البيت للطيح في منه القصيدة هو :

« أُنْتُ - إِنْ تَرَى طَائِرَ » طليح من يناير . »

والبيت المطير

إظفر كما أنت ظافر يكُلُّ غاوٍ مُنافِرٍ

وطير له أيده الله يبتين وهما

«شعر من محض وده»

لك في علم طيره

فهي مهما زبرتها

لم تخبر بغيره . »

ففكهما وجاوبه رحمه الله

أيها الماجد الذي خيره وفق خيره

والذي سيره مشتري أفتنا دون سيره

ملك صحاح من أديبهم الهدى - قد سيره

فهو - الدهر - نفعه حاضر ، دون سيره

* *

يا ليلي سئمت من سهرى في قيره ؟

عز - في وهبه - مرا م عتا في سحره

«شعر من محض وده» لك في علم سيره

فهي - مهما زبرتها - لم تخبر بغيره

جواب على بيت مطير

« قال يمدح المعتد على الله أبا القاسم محمد بن
المعتد بالله وعباد بن محمد بن عباد ، أدام الله
تأييده ، في حياة أبيه - وكان قد عمى له بيتا :
« الحاجب الأعلى المعتد قرّة عين المعتد »
فكفك - أبده الله - وجاوبه بأربعة أبيات ، وهي :

يا سيدي ، الأعلى ومن
أعدته أقوى المعتد
حلت طيورك بي ، وقد
قرّبت منها ما بعد
كشفتا عن سرّها
فوثى إلى بها الصرد
بيتا بدلا على امتقا
دك يا جيل المعتد
الحاجب الأعلى المعتد
قرّة عين المعتد
لجاوبه ذو الوزرئين بقصيدة ، وهي :

لَوْ أَنَّ مَنْ جَارَ قَصْدَ	لَمْ يَخْرِ - عَنْ وَصْلِي - بِصَدِّ
سَيِّئٍ هَدَى - أَرْخَصَتْ	عَيْنَاهُ فِي قَتْلِي التَّمَدِّ
مَالِكُ سُلْطَانِ الْهَوَى	أَمْنَهُ مِنَ الْقَوْدِ (١)
مُخْلَدٌ خَلَدَ - بَرَّ	حَ الشَّوْقِ - فِي كُلِّ خَلَدَ
وَعَزُّ الرِّضَى ، لِحُبِّهِ	نَهَجٌ - إِلَى قَلْبٍ - جَدَدَ

فَاسِي إِذَا مَا قِيلَ : « أَبْنَى حُلَّةَ الْفَجْرِ ، أَجَدُّ
أَوْ قُلْتُ : « قَدْ هَبَّ نَسِيمُ الْوَصْلِ لِي مِنْهُ ، وَكَذَّ
مَا كُنْتُ آبَى صَدِّهِ لَوْ أَنَّ سُلوَانِي صَدَّ

* *

فَشَنُ وَجْدٍ ، هِيَ كَالْفِشَنَةِ فِي الْعِجْلِ الْجَسَدِ
غَيْرُ مُبِينٍ ، طَرَفُهُ يَتَصِفُ بِالْخَضَمِ الْأَلَدِ
عَصَفَ « أَبِي الْقَاسِمِ » بِالْقَتْلِ إِذَا الْقَتْلُ مَرَدَّ
الْحَاجِبُ الْأَغْلَى الَّذِي لَوْ تَابَعَدَ الشَّمْسُ تَجَدَّ
تَحْضُ الثَّقَى ، عَفَّ الْهَوَى غَمْرُ النَّدَى ، صَدَقُ الْجَلَدِ
رَكِينُ طَوْدِ الْحِلْمِ إِنْ جَاءَهُ فِي النَّادَى عَقْدُ
مُؤَفَّقِ الْأَنْحَاءِ مَا دَ فِي أَسَالِبِ الرَّشَدِ
لَوْ قَصَّ كُنْهَ جُودِهِ لِلْبَعْرِ وَاقٍ ، فَاسْتَمَدَّ
مُؤَمَّلُ - مَعَ الرَّصَا - يُهَابُ فِي حِينِ الْبُعْدِ
إِنْ قُلْدَ الْأَمْرِ كَفَى وَإِنْ تَوَلَّى النَّعْرَ مَدَّ
مَلَأَ تَمَاحٍ فَاضَ فِي جَمْرِ ذَكَاهُ فَاتَّقَدَّ
يَا عَصُدَ الدُّوَلَةِ ، يَا مَوْلَى يَبَارِيهِ أَعْتَصَدَا (١)
وَمَنْ - بِفَضْلِ اللَّهِ - حَا زَ النَّصْرِ فِي جِدِّ وَجْدِ

(١) وَلِ الْأَمَلِ :

أَصْبَحَ أَعْلَى وَالِدٍ فَأَوَقَهُ أُنْسَى وَلَا
حَدَّثْنَا عَنْ سِرِّهِ (١) نَاهِيكَ مِنْ قُرْبٍ سَنَدٌ

* *

مَلَكَ - إِذَا نَحْنُ اعْتَمَدْنَا نَا مِنْهُ أَوْفَى مُتَمَدًا -
تَهَلَّتْ تَمَسُّ جَبِينِ وَأَسْتَهَلَّتْ مُزُنُ يَدِ
مُحَصَّنُ الدَّهْرِ الَّذِي أَصْلَحَ مِنْهُ مَا قَسَدَ
وَعَاصِدُ الدِّينِ الَّذِي قَدْ كَانَ - قَبْلُ - يُعْطِيهِ
وَنَاصِرُ الْعِلْمِ الَّذِي نَفَقَهُ لَمَّا كَسَدَ
مَنْ لَمْ يَمِزْ إِلَّا وَفَى، وَلَا وَفَى إِلَّا وَعَدَ
شَاوِرِي - فِي أَمْرِهِ - شَيْخَانُ لَوْ شَاءَ اسْتَبَدَّ
يَخْشَى الْقَدُومَ مِنْهُ عَزَّ مَ قَسُورِ شَاكِي اللَّبَدِ
تَمَحُّ لَهْ - تَهْمَا عَنَّا - فَظٌّ عَلَيْهِ إِنْ عَنَدَ
كَالْسَيْفِ - فِي خَالِيهِ - إِنْ رَاقَ فِرْنِدُ رَاحِ حَدِّ
يَا مُهْدِي السَّعْطِ الَّذِي قُلْدَتُهُ فَخْرُ الْأَبَدِ
أَحْسَنُ مِنْ رَقْمِ عِذَا رِ سَائِلِ فِي وَشِي خَدِّ
أَوْ مَبْنِيهِمْ حُلِيَّ اللَّمَّا يَفْتَرُّ عَنْ عَذْبِ بَرْدِ

إلى المعتمد

قَدْ قُلْتُ - لَمَّا هَوَّنِي مِنْهُ الْبَدِيعُ الْمُفْتَقِدُ -
 « نَسِيمُ أَيْلُولٍ سَرَى أَمْ وَرَدُ نَيْسَانَ وَرَدُ »
 خَاطِرِي السَّهْمُ وَشَى بِمِرٍّ عَلَيَّ لَا الصَّرْدُ
 وَفِطْنَةُ كَأَلَفْتُ - مِنَ الْمُعَى - مَا شَرْدُ
 شَيْشِنَةُ أَعْرِهَا فِي شَيْلٍ مَلَكٍ مِنْ أَسْدُ

يَا آلَ « عَبَادِ » مَنَا لَنْ لَبَسَ يَنْدُوهُ السَّدُّ
 مَنْ لِي بِشُكْرِ نَمَةٍ ، الْحُرُّ عَنْهَا مُتَبِّدُ
 سَوَّغْتُ مِنْهَا الْغَزَّةَ الْقَسَاءُ فِي الْبَيْضِ الرَّغْدُ
 حَبْتُ اسْتَضِيفَ مَنَهْلُ صَفَا إِلَى ظِلِّ بَرْدُ
 كَأَنَّمَا لِي جَنَّةُ حُفَّتْ بِمَكْرُوهِ الْحَسَدُ
 يَحْمِلُهَا مِنِّي وَآ فِي الشُّكْرِ صَافِي الْمُعْتَدُ
 كَمْ قَامَ بِالشُّكْرِ إِلَى أَنْ أَهْلَكْتُهُ قَقَعْدُ
 قَصْرٌ ، لَكِنْ لَمْ يَقْعَرْ مُبْلِغُ الْمَذَرِ اجْتَهَدُ
 وَفَيْتُ بَعْلَى الْبَيْنِ فِيكُمْ بِالْمَعَى لَا بِالرَّمَدُ

صرعى الحب ^(١)

أَخَذْتُ ثُلُثَ الْهَوَى غَعَبًا ، وَلِي ثُلُثُ ، وَلِلْمُحِبِّينَ - فِيمَا يَنْتَهَمُ - ثُلُثُ
 تَأْفِكُ ، لَوْ حَلَفَ الْمُشَاقُّ : أَنَّهُمْ مَوْتِي مِنَ الْوَجْدِ - يَوْمَ الْيَتِيمِ - مَاحَشُوا

(١) من شعر ابن زيدون الذي قاله في مدة صباه ، وقد أوردته للراكمي صاحب كتاب اللجب في تاريخ أخبار العرب ، ولم يرد في ديوان ابن زيدون .

قَوْمٌ - إِذَا هَجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا وُصِّلُوا - مَاتُوا ، فَإِنْ حَادَ مِنْ يَهُودِيَّتِهِ بَشُّوا
رَبِّ الْمُجِبِّينَ صَرَخَى - فِي عِرَاصِهِمْ - كَفْتِيَةِ الْكَهْفِ ، تَائِدِرُونَ مَالِيَتُوا

ذكرى قرطبة

« وما لله يشوق ابنه المهدى ومعهده قرطبة ، وضمها

بيت أبي الطيب - في أول قصيدته السكافورية :

« بم التطل ؟ لا أهل ، ولا وطن ،

ولا نديم ، ولا كأس ، ولا سكن ؟ »

قصيدة أولها (١) :

هَلْ تَذْكُرُونَ غَرِيبًا عَادَهُ شَجَنُ - مِنْ ذِكْرِكُمْ - وَجَفًا أَجْفَانُهُ الْوَسَنُ
يُخْفِي لَوَائِحَهُ - وَالشُّوقُ يَفْضَحُهُ - فَقَدْ نَسَاوَى - لَدَيْهِ - السُّرَّ وَالْعَلَنُ
يَا وَبِلَتَاهُ ، أَيْقَى - فِي جَوَائِحِدِ - فُوَادُهُ ، وَهَوَى بِالْأَحْلَالِ مُرْتَهَنُ
وَأَرْقَ التَّيْنِ - وَالظُّلُمَاءُ مَا كَيْفَهُ - وَرَقَاهُ قَدْ شَقَّهَا - إِذْ شَفَّنِي - حَزَنُ
فَبَتُّ أَشْكُو وَنَشْكُو فَوْقَ أَيْكَتِهَا - وَبَلَّتَ يَهْفُو أَرْيَاكًا يَلْتَنُّ النُّعْنَ

يَا هَلْ أَجَالِسُ أَقْرَبًا أَحِبَّهُمْ - كُنَّا وَكَانُوا - عَلَى عَهْدِ - فَقَدْ ظَنَّنَا
أَوْ نَحْفَظُونَ عُهُودًا لَا أَصْنَعُهَا - إِنَّ الْكَرَامَ - بِحِفْظِ الْمَهْدِ - تَتَحَنُّ
وَمِنْهَا :

إِنْ كَانَ حَادَكُمُ عَيْدٌ ، قُرْبٌ فَقَى - بِالشُّوقِ قَدْ حَادَمْتُ مِنْ ذِكْرِكُمْ - حَزَنُ
وَأَفْرَدَتُهُ الْيَلَالَى - مِنْ أَحْبَبِي - فَبَاتَ يُشْدِّهَا - مِمَّا جَنَى الزَّمَنُ - :
« بِمِ التَّمَلُّلِ ؟ لَا أَهْلٌ ، وَلَا وَطَنٌ ؟ وَلَا نَدِيمٌ ، وَلَا كَأْسٌ ، وَلَا سَكَنٌ ؟ »

(١) ذكرها كتاب المصنف في تاريخ أخبار العرب ، ولم ترد في ديوان ابن زيدون .

رَسَائِلُ ابْنِ بُدْوَيْنَ فِي إِخْبَارِهِ
وَشَعْرِ الْمَلَائِكَةِ

وَإِخْبَارُهَا

الرسالة الهزلية (١)

أَمَا بَعْدُ أَيُّهَا الْمُصَابُ بِمَقْلِهِ ، الْمَوْرُطُ بِجَمْلِهِ ، الْيَتِيمُ سَقَطُهُ ، الْفَاحِشُ غَلَطُهُ ، الْكَافِرُ فِي ذَيْلِ اغْتِرَابِهِ ، الْأَعْمَى عَنْ قَمَرِ نَهَارِهِ ، السَّاقِطُ - سُقُوطًا أَلَذَّ نَابٍ - عَلَى الشَّرَابِ ، الْمُتَهَامَةُ - تَهَامَتُ الْفَرَّاشِ (١) - فِي الشَّهَابِ ، فَلِمَ الْمُجَبِّ أَكْذَبُ ، وَمَعْرِفَةُ الْمَرْءِ نَفْسَهُ أَصُوبُ ، وَإِنَّكَ رَأَسْتَنِي مُسْتَعْدِيًا - مِنْ صِلَتِي - مَا صَغُرَتْ مِنْهُ أَيْدِي أُنْثَاكَ ، مَتَّعِدِيًا - مِنْ خُلَّتِي - لِمَا قُرِعَتْ دُونَهُ أُتُوفُ (٢) أَشْكَالِكَ ، مُرْسِلًا خَلِيلَتِكَ مُرَادَةً ، مُسْتَعْمِلًا حَبِيبَتِكَ قَوَادَةً ، كَاذِبًا نَفْسَكَ أَنْتَ مَسْتَزِلُّ عَنَّا إِلَى ، وَتَحْلِفُ - بَعْدَهَا - حَلِي :

« وَلَسْتُ بِأَوَّلِ ذِي حِمَّةٍ دَعَتْهُ لِمَا لَيْسَ بِالنَّالِ (٣) » ،

* *

وَلَا شَكَّ أَنَّهَا قَلَّتْكَ إِذْ لَمْ تَصُنْ بِكَ ، وَمَلَّتْكَ إِذْ لَمْ تَتَرَّ عَلَيْكَ ، فَلَمَّا نَهَا أَهْذَرَتْ فِي السَّفَاةِ لَكَ ، وَمَا قَصَّرَتْ فِي النِّيَابَةِ عَنْكَ ، زَائِمَةً أَنْ الْمَرْوَةَ لَفْظُ أَنْتَ مَعْنَاهُ ، وَالْإِنْسَانِيَّةُ أُنْمُ أَنْتَ جِسْمُهُ وَهَيْوَلَاهُ (٤) ، قَاطِمَةً أَنْتَ أَتَقَرَّدَتْ

(١) الغار ص ٧٣٧

(٢) الفرائض معروف بأنه يطرح همه في النار فيحترق ، قال الشاعر :

« هل أتم إلا الفرائض شردى الشهاب وقد توفد »

فدنا ، فأحرق نفسه ولواحتدى برشد الأبد .

(٣) فرع الأنثى أى العجوز والدة ، والرب تمول الكبد : « هو الممل لا يفرح أخه » وقد قال

ابن زيدون في إحدى قصائده في « ص ٦٧ » : « وأب الفحل لا يفرح . »

(٤) البيت المعنى ، وهو من نصيبته للمعبودة :

« إلام طامعية المائل ولا رأى في الحب المائل »

يراد من القلب لسانكم وتأني البلاغ على النال .

والقصيدة معروفة فليجإ إليها القارئ في ديوانه إن شاء .

(٥) أصله وحقيقته .

بِالْجَمَالِ ، وَأُسْتَأْثَرْتُ بِالسَّكَمِ ، وَأُسْتَعْلِيَتْ فِي مَرَاتِبِ الْجَلَالِ ، وَأُسْتَوَلَيْتَ
عَلَى عَاصِمِ اللَّيْلِ ، حَتَّى خَيْلْتُ أَنَّ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَاسِنَكَ فَقَضَعْتَ
مِنْهُ ، وَأَنَّ أَمْرَأَةَ الْعَزِيزِ ^(١) وَأَنَّكَ قَسَلْتَ عَنْهُ ، وَأَنَّ قَارُونَ ^(٢) أَصَابَ بِغَضٍ
مَا كَثُرَتْ ، وَالنَّعْلُفَ ^(٣) عَوَّ عَلَى فَضْلِ مَا رَكَزَتْ ، وَكَسَرْنِي ^(٤) حَمَلَ غَاشِيَتِكَ ،
وَقَبَضَ ^(٥) رَحِي مَاشِيَتِكَ ، وَالْإِسْكَندَرَ قَتَلَ دَارًا ^(٦) فِي طَاعَتِكَ ، وَأَرْدَشِيرَ ^(٧) جَاهِدَ
مُلُوكَ الطُّوَائِفِ بِمُخْرُوجِهِمْ مِنْ جَمَاعَتِكَ ، وَالضُّعَاكَ ^(٨) أَسْتَعْذِي مُسَالَمَتَكَ ، وَجَدِيْعَةَ

(١) امرأة العزيز معصومة بحبها يوسف الصديق وعصمتها معروفة .

(٢) قارون : يضرب به القتل في الثراء والذلي ، وقد جاء في الكتاب الكريم : « وآتيناه من الكنوز ما إن مفاتحه فتوه بالعصية أول القوة . »

(٣) قالوا : إنما على النطف بن جبيب بن حنظلة العبدي ، وقد كاد مقبلاً بالبلدية مع بني تميم ، وقد نهب أموالاً كان أرسلها كسرى إلى عامله وقبلاً ومساكلاً ، فغضب به للتل بما أصاب من ثروة طاعة ، قال بعض ولده :

« أرى النطف للباري الشمس ، إلى عرق في السباحة والعمال . »

(٤) كسرى : اسم يطلق على كل ملك من ملوك الفرس .

(٥) قبض : اسم يطلق على كل ملك من ملوك الروم .

(٦) يعني الاسكندر الأكبر المقدوني وتاريخه معهود ، و « دارا » هو ملك الفرس الذي انتصر عليه الاسكندر وفاته .

(٧) اسم ملك من ملوك الفرس .

(٨) الضعك يزعمون أنه قتل « جشيد » - سيد الفراع - وملك الأقاليم البعيدة وأول من حمل السلاح واستخرج الإبريسم ، والقول ، وأكرم أهل الفساد الأعمال الفاسدة في قطع المعذور ، واستخراج المادن . قالوا : وطال عمر « جشيد » وقهر ، وادّعى الزبوية ، فخرج عليه الضعك ، وتبعه خلق كثير من أممائه « جشيد » فظفر به الضعك ، فهرب « جشيد » بين يديه فظفر به الضعك وأمر بشعره بفشله ، وقال له : « إن كنت إنما ألدغ عن نفسك »

ثم ملك الضعك - فيما يزعمون - وبنى ونجهر وبنى ودان بين البراعة ، وكان - فيما يقولون - أول من فني له ، وضرب الدينار والدرهم ، وليس الناج ، ووضع المشور ، إلى آخر ملزمه له .

الْأَبْرَشَ^(١) تَحْنِي مُنَادَمَتَكَ، وَشِيرِينَ قَدْ نَافَسَتْ بُورَانَ فَيْكَ^(٢)، وَبَلْقَيْسَ^(٣)
فَايَزَتِ الزَّيَّاءَ عَلَيْكَ، وَأَنْ مَالِكَ بْنَ نُورَةَ^(٤) إِنَّمَا أَرَدَفَكَ، وَعُرْوَةَ بْنَ جَعْفَرٍ^(٥) إِنَّمَا
رَحَلَ إِلَيْكَ، وَكَلْبَيْبَ^(٦) بْنَ رَيْعَةَ إِنَّمَا حَمَى الْمَرْعَى بِعِزَّتِكَ، وَجَسَّاسًا إِنَّمَا قَتَلَهُ

(١) جذية الأبرش ، قد سبقت الإشارة إليه في «ص ٢٠٢» ظهير إليها من شاء .

(٢) شيرين : هي زوجة كسرى أبروز ، وبوران هي ابنته ، وقد أشار المرى إلى شيرين إشارة طريفة في رسالة الفراء فقال :

ولو قالك شيرين للملك لكسرى : « جئني الله فداءك » خالبتك في ذلك - وانفقت ، وإن رافته وواظته ،
على أنه أخذها من حال دينية ، لمجلها في النعمة السنية ، وحبه - في ذلك - الأجداء ، وجرت لهم - في
ذلك - قصص وأنباء ، وقيل له - فيما ذكر - :

« كيف قطيب قص لك هذه للموسى ؟ »

فصرب لهم لكل بالفتح - جبل في الآراء الشعر والدم ، وقال للناصر :

« تعجب منك لدرب مانيه ؟ » قال : « إنها لانطيب وهي بالأنجاس قطيب . »

فأراق ذلك العنى . وغسله وهذب وعاده ، وجعل فيه - من بعد - مداما . وعرضه على التداوى ، فكلمهم
بشي أن يهرب ، فقال : « هنا مثل شيرين » .

(٣) بلقيس هي ملك بلاد سبأ ، وإزباء هي التي قتلها عمرو بن عسى وقتل أباهما جذية بن الأبرش ،
وقد مر ذكره .

(٤) مالك بن نورة : من مشهورى فرسان العرب وشجعانهم في الجاهلية ، وقد أدرك الإسلام . قالوا
واوتد وبنت أبو بكر خلف بن الوليد لقتال أهل الردة ، فكان إذا صبح قوماً لمح الأذن كان معهم كنف
عنهم ، وإن لم يسمعهم قاتلهم إلى أن مر بالبلح وبه مالك وأصحابه ، فليل إنهم لم يستمعوا أذاناً فقاتلهم ،
وأنى بجائك بن نورة أسيراً فأمر خاد يقطه . قالوا : واحتج قوم لحلف في قتله ، وطعن عليه آخرون في
كلام طويل مشهور . وقد رثاه أخوه متم رثاءه الزائم ، وقد سعه عمر قتاله ودودت لو رثيت أنى
زبدًا بمثل ماوثبت به أخاك ، فقال له متم : والله لو طلت أن أنى صار إلى ماصار إليه أخوك لم أرته ولم
أحزن عليه ، ومن آيات متم التي سارت في رثائه سير الأمثال قوله :

« وقالوا أبكي كل غير راجح غير نوى بين أقوى ، فالكذك

قتلهم : « إن الأسى ميت الأسى دعوى لهذا حكاية تبر ملك »

(٥) عروة بن جعفر - كان ينسب إلى جعفر هو وأهل بيته ، وكان يرف بمروءة الرجال لرحلته إلى
اللوك ، وكان هو السبب في حرب الفجار للجهورية .

(٦) كليب بن ربيعة - هو رئيس المخين من بكر وقلب ، وقد بلغ من جبروته وبنيه أنه كان يحصى
مواقع السحاب فلا يرمى جماء ويحول وحش كذا وكذا في جوارى غلاتها ولا يورد أحد مع أبه ولا توجد
نار مع ناره ، ولا يمشي في مجلسه ، ولا يتكلم إلا بأذنه كما يدعك على ذلك قول أخيه مهلهل في رثائه :

« نبت أن النار - بسك - أولدت - واستب - بسك - يا كليب المجلس

بِأَفْتِكَ، وَمُتَهِّلًا^(١) إِنَّمَا طَلَبَ تَأْرَهُ بِهَيْتِكَ، وَالسَّمَوِيلُ^(٢) إِنَّمَا وَفَى عَنْ عَهْدِكَ،
وَالْأَخْنَفُ^(٣) إِنَّمَا أَحْتَمَى فِي بُرْدَتِكَ، وَنَحْنُ إِنَّمَا جَادَ بِوَفْرِكَ، وَأَقْبَى الْأَضْيَافَ

وتكلموا في - أسركل عطية - لو كنت لحضر أسره لم يهبوا .

وقد قتله جساس بن مرة زوج أخت كليب ، وكان ذلك سبباً في حرب الهموس .

(١) مهمل بن ربيعة - هو أخو كليب والأخذ بتأره في حرب طويزة فقتلها هزمتها عن ذكرها .

(٢) السمويل - هو السمويل بن حنانيا وهو من يهودى يثرب ، ويضرب به المثل - في الوفاء - بعد حادثة
المهمورة مع امرئ القيس الذي أودع عنده ودية ومضى ، وحاول الحارث بن ظالم أن يأخذها من السمويل
فأبى ، ثم ظفر الحارث بأبيه ، فقال السمويل : إن لم تحلني ودية امرئ القيس قتلت أبنتك فأبى .

قتل الحارث ابن السمويل وانصرف ، والسمويل هو صاحب اللامية للمهمورة التي يقول في أولها :

«إذا لفره لم يدنس من العزم - حرصه ذكلك رداء يرتديه جميل

ولان حوله عمل - على النفس - ضيغها - طيس - إلى حسن التواء - سبيل .»

(٣) الأخنف - هو الأخنف بن قيس ويضرب به المثل في الخلم .

(٤) حاتم - هو حاتم الثمالي وهو أشهر من ضرب به المثل في الجود .

قالوا : - « وأجواد العرب في الجاهلية ثلاثة :

« حاتم الطائي ، هرم بن سنان ، كعب بن مالك »

قالوا « وحاتم أشهرهم ذكراً » .

وقد أدرك مولد النبي - صلى الله عليه وسلم - ومات قبل بته ، ومن غفار شره قوله : -

« أما ذل إن للال غمير عطف وإنت التي طارية فزود

وكم من جواد يفسد اليوم جوده وسأوى قد ذكرته الخمر في غده

وكم لي آباء ، فما كف جودهم ملام ، ومن أيديهم خلقت يدى .»

وقوله :

« لما الله صعلوكا مناه وهمه من العيش - أن يلقى لبوسا ومطما

وقله صعلوك يساور همه ويعفى على الأحداث والهلول - ما

إذا ملأ رأى يوماً مكارم أعرضت تيسم كبرامن ، تحت صبا .»

وقوله :

« أماوى إن اللال قاد ورايح وبقى من اللال الأحاديث والذكر

أماوى ما يبنى التراث عن الحق إذا حشرت يوماً وفاق به الصبر

أماوى إن يصح صدائى بفترة - من الأرض - لاهاء لدى ولاخر

ترى أن ما أملكك لم يك ضرى وأن يدى - مما تملك - به صفر

وقد علم الأتوم لو أن حاتمًا أراد ثراء اللال كان له وفر

وأنى لا آلر - بحال - صليحة فأزله زاد وآخره ذخ

غنتنا زماناً بالصنعة والفق ولا سقاءه بجا سبها - النمر

في زادة بنيًا - على ذى قرايقه غننا ، ولا أزرى بأحساننا الفخر .»

يُشْرِكُ، وَزَيْدٌ^(١) بِنُ مَهْلِيلٍ إِنَّمَا رَكِبَ بِفَحْدَيْكَ، وَالسُّلَيْكُ^(٢) بِنُ السُّلَكَةِ إِنَّمَا
عَدَا قَتْلَ رَجُلَيْكَ، وَعَامِرُ بِنُ مَالِكٍ^(٣) إِنَّمَا لَاعَبَ الْأَسْتَةَ يَدَيْكَ، وَقَيْسُ^(٤) بِنُ زُهَيْرٍ
إِنَّمَا اسْتَعَانَ بِدَهَائِكَ، وَإِلَاسُ بِنُ مُعَاوِيَةَ^(٥) إِنَّمَا اسْتَضَاءَ عَيْصِيَّاحَ ذَكَائِكَ،

(١) زَيْدُ بِنُ مَهْلِيلٍ - أَدْرَكَ الْإِسْلَامَ ، وَكَانَ فَارِسًا مَشْهُورًا ، عَمِيدَ الْمَيْتِ ، وَشَاهِدًا نَائِبًا ، وَكَانَ
يُحْسِي زَيْدَ الْخَيْلِ لِكثَرَةِ مَا ضَمَّهُ مِنَ الْخَيْلِ ، فَلَا أَسْلَمَ سِوَاهُ النَّهْيِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - زَيْدُ الْخَيْرِ .
(٢) السُّلَيْكُ بِنُ السُّلَكَةِ جَاهِلٌ قَدِيمٌ ، وَهُوَ أَحَدُ صَنَائِكِ الْعَرَبِ وَأَحَدُ لُصُوفِهِمُ الْعَدَائِينَ الَّذِينَ كَانُوا
لَا يَلْحَقُونَ ، قَالَ ابْنُ الرَّبِيعِ فِي وَصْفِ هَبْرٍ رَمَضَانَ :

« يَعْنِي الْهَبْرِيَّةَ ، فَأَمَّا حِينَ يَطْلُبُنَا فَلَا تَلْبِكُ يَدَايَ وَلَا تَلْسِكُ . »

(٣) عَامِرُ بِنُ مَالِكٍ - لِلْمَشْهُورِ بِلَايَةِ الْأَسْتَةِ ، وَأُمُّهُ أُمُ الْبَيْتِ لِلْمَشْهُورَةِ الَّتِي اقْتَضَرَهَا لِيَدٍ عِنْدَ الْعَمَلِ
فِي قَوْلِهِ :

« نَحْنُ بَيْنَ أُمِّ الْبَيْتِ الْأَرْبَعَةِ . »

(٤) قَيْسُ بِنُ زُهَيْرٍ - هُوَ صَاحِبُ الْحُرُوبِ لِلْمَشْهُورَةِ بَيْنَ عَيْسٍ وَذِيكِلَ بِسَبَبِ الْفَرَسَيْنِ (دَاحِسٍ وَالنَّبْرَاءِ)
وَكَانَ يُضْرِبُ بِهِ الْخَلْفَ فِي السَّمَاءِ ، يُقَالُ : « أَدْعَى مِنْ قَيْسٍ . »
(٥) إِلَاسُ بِنُ مُعَاوِيَةَ - هُوَ صَاحِبُ الْفَرَسَةِ وَالْأَجْرِيَّةِ الْبَدِيدَةِ الرَّائِعَةِ ، وَكَانَ خَاضِيَ الْبَصْرَةَ ، وَضَرَبَ
بِهِ الْخَلْفَ فِي الذَّكَاءِ . قَالَ أَبُو تَمَّامٍ :

« أَتَدَامُ حَمْرُو فِي سَبَاحَةِ حَاتِمٍ فِي حِلْمٍ أَحْنَفٍ فِي ذَكَاءِ إِلَاسٍ . »

قَالُوا : وَكَانَ سَبَبُ وَلَايَةِ الْقَتَاءِ أَنَّ حَمْرَ بْنَ عَبْدِ الْغَزِيرِ أَرْسَلَ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الشَّامِ وَأَمَرَهُ أَنْ يَجْعَلَ
بَيْنَ إِلَاسٍ وَالْقَتَاءِ بَيْنَ أَبِي رَيْمَةَ وَيُولِ الْقَتَاءَ أَقْدَمًا ، فَجَمَعَ بَيْنَهُمَا ، فَكَانَ كُلُّ مَنُهَا يَمْتَنِعُ مِنَ الْوَلَايَةِ ،
فَقَالَ إِلَاسُ الْقَتَاءُ : « سَلِ الْحَسَنَ الْبَصْرِيَّ عَنْ وَعْنِ الْقَتَاءِ ، وَسَلِ بَنِي سَمِينٍ . » فَطَلَعَ الْقَتَاءُ أَنَّهُ إِنْ
سَأَلَ عَنْهَا أَشَارًا بِهِ ، فَقَالَ الْقَتَاءُ : « لَا تَسْأَلْ عَنْهُ ، فَوَافَقَهُ الْقَتَاءُ لِأَنَّهُ لَا يَمُرُّ إِلَّا بِإِلَاسٍ أَوْ لُفْلُفٍ مِنْ
وَأَعْلَمُ بِالْقَتَاءِ ، فَانْكَرْتُ مِنْ بَصْرِيقِهِ ، فَبَيَّنْتُ لَهُ أَنَّهُ لَا يَصْدُقُ قَوْلِي ، وَإِنْ كُنْتُ كَذَّابًا فَلَا يَجِلُّ لِي أَنَّهُ
أَنْ تَوَلَّيْتُ الْقَتَاءَ وَأَنَا كَذَّابٌ ، » فَقَالَ إِلَاسُ الْقَتَاءُ : « إِنَّكَ جَعَلْتَ رَجُلًا خَافَتْهُ عَلَى خَيْرِ جَهَنَّمَ فَخَدَى
نَفْسَهُ مِنَ الْخَارِ يَمِينًا كَذِبًا يَسْتَفِرُّ اللَّهُ مِنْهَا وَيَنْجُو مِنَ الْخَارِ » فَقَالَ الْقَتَاءُ : « أَمَا إِذْ فَتَلْتُ لَهَا فَنِي
أَرَيْدُكَ » فَاسْتَضَاءَ ، فَلَمْ يَزَلْ عَلَى الْقَتَاءِ مَدَّةً ثُمَّ هَرَبَ . قَالُوا : « وَلَمَّا دَوِيَ الْقَتَاءُ دَخَلَ عَلَيْهِ الْحَسَنُ
الْبَصْرِيُّ فَجَبَّ إِلَاسَ وَقَالَ لَهُ : « بَلِّغْنِي أَنَّ الْقَتَاءَ ثَلَاثَةٌ : رَجُلٌ مَالٌ بِهِ الْخَرَى نَهْوَى الْخَارَ ، وَرَجُلٌ اجْتَبَدَ
فَأَخْطَأَ نَهْوَى الْخَارَ ، وَرَجُلٌ اجْتَبَدَ فَأَصَابَ نَهْوَى الْحَيَّةِ » فَقَالَ الْحَسَنُ « إِنَّ لَهَا قَتْلَ اللَّهِ تَعَالَى فِي النَّهْيِ
دَاوُدَ مَا يَرِدُ قَوْلَ مَوْلَايَ . » ثُمَّ قَرَأَ قَوْلَهُ تَعَالَى « فَصَبَّأَهُمْ سَلِيلًا وَكَلا آتَيْنَا حُكْمًا وَطَلًّا »
لِحَدِّ سَلِيلَانَ وَلَمْ يَذْمِ دَاوُدَ ، وَأَخْبَارُهُ كَثِيرَةٌ مَشْهُورَةٌ فِي كُتُبِ الْأَدَبِ ، فَلَا حَاجَةَ بَيْنَنَا إِلَى الْإِظْهَارِ .

وَسَعْبَانَ^(١) إِنَّمَا تَكَلَّمُ بِلسَانِكَ، وَعَمَرُو^(٢) بِنِ الْأَهْتَمِ إِنَّمَا سَحَرَ بِبَيِّنَاتِكَ، وَأَنَّ
الْعَمَلُ - يَنْ بَكَرٍ وَتَمْلَبَ - ثُمَّ بِرِسَائِكَ^(٣)، وَالْحِمَالَاتِ - يَنْ عَتَسٍ وَذِيَانِ -
أَسْنَدَتْ إِلَى كَفَالَتِكَ، وَأَنَّ أُخْيَالَ هَرِيمٍ - لِمَتَقَمَّةٍ وَعَامِرٍ حَتَّى رَضِيَا - كَانَ ذَلِكَ عَنْ

(١) سحبان وأتل - يضرب به التل في الفصاحة والبيان والقدرة على الخطابة ، أدرك الاسلام ومات سنة أربع وخمسين . قال الأسي : « وكان إذا خطب يسيل عرفاً ، ولا يبدى كفة ، ولا يتوقف ، ولا يحد حتى يفرغ » قالوا : « وقدم على معاوية وفد من غراسان فيهم - سعيد بن عثمان - فطلب سحبان فلم يوجد في منزله فالتفت - من تاحيه - انحناءً وادخل عليه فقال : « تكلم » فقال : « انظروا لي صبا هوم من أودى . » قالوا : « وما تمنع بها وأنت بحضرة أمير المؤمنين . » قال : « ما كان يمنع بها موسى وهو يخاطب ربه وصاه في يده . » فضحك معاوية وقال : « هاتوا صبا لجادوا بها إليه فركبها برجله ولم يرضها . » وقال : « هاتوا صبا » فأثوا بها فأخضعها ، ثم قام وتكلم منذ صلاة الظهر إلى أن قامت صلاة العصر ما تتجج ، ولاسل ، ولا توقف ، ولا ابتداء في من يخرج منه وقد في عليه منه هي . » فإذ كانت تلك له حتى أشار معاوية بيده ، فأشار إليه سحبان : ألا تطلع على كلامي ، فقال معاوية « الصلاة » قال : « هي أم لك ، ونحن في صلاة وتحميد ، ووعد ووعد » ، فقال معاوية : « أنت أخطب العرب . » قال سحبان : « والجميع والجن والأنس »

(٢) عمرو بن الأهتم - من سادات بني تميم وخطبته في الجاهلية والاسلام ، وكان - بلحمه - يدعونه : « للكل » قالوا : « ووجد على النبي - صلى الله عليه وسلم - هو والزيتران بن بدر فأسلوا وأكرهما النبي - صلى الله عليه وسلم - » فقال النبي - صلى الله عليه وسلم - عمرو بن الأهتم من الزيتران بن بدر بحضوره قال عمرو : « مطاع في أدبيه ، شديد الفطنة في قومه ، مانع لما وراء ظهره » .

قال الزيتران : « يا رسول الله إنه ليعلم مني أكثر مما قال ، ولكنه حدي . » قال عمرو : « أما والله لئن علمت ما قد علمت ، إنه زمن للرودة ، أحق الأب ، لئيم الحال ، ضيق البطن ، حديث النسي . » فرأى تنفر النبي - صلى الله عليه وسلم - لما اخطف قوله ، فقال : « يا رسول الله لا تنضب ، لما رضى قلت أحسن ما علمت ، ولما غضبت قلت أقيح ما علمت ، فوالله ما كذبت في الأولى ، ولقد صدقت في الثانية . » قال النبي - صلى الله عليه وسلم - : « إن من قليلان لسرا . » وتوفي سنة ٥٧ هـ - ومن ما نوه حكه قوله :

« أشجع الناس من رد جله بجله . » وقوله « أف فخر لو كان هي يشتري ما كان أي أنس من القتل ، فالجلب لمن يشتري الحق بملكه فيمنه في رأسه فيجيء في جبهه ويبلغ في ذنبه . » وكان ممن حرّم الخمر - على نفسه - في الجاهلية .

(٣) بكر وتلب اثنا وأتل - هم الذين أشعلوا حرب البسوس ، وقد دامت ستين طوية قتل فيها معظماء المؤمنين وأخبارها مشهورة .

إِشَارَتِكَ، وَجَوَابَهُ لِمُتَرٍّ - وَقَدْ سَأَلَهُ عَنْ أَيِّمَا كَانَ يَتَغَرُّ - وَقَعَ عَنْ إِرَادَتِكَ^(١)، وَأَنْ
الْحِجَاجَ^(٢) تَقْلُدُ لَوَايَةَ الْعِرَاقِ بِحَدِّكَ، وَتُتَبِّعُ^(٣) فَتَحَ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ بِسَمْعِكَ، وَالْمُهَلَّبَ^(٤)
أَوْهَنْ شَوْكَةَ الْأَرَاغِقَةِ بِيَدِكَ، وَفَرَّقَ ذَاتَ يَتِيمِهِمْ بِكَيْدِكَ، وَأَنْ هُرْمُسَ^(٥)
أَعْطَى بَلْبِنُوسَ^(٦) مَا أَخَذَ مِنْكَ، وَأَفْلَاطُونَ^(٧) أَوْزَدَ عَلَى إِرْسَاطِطَالَيْسَ^(٨) مَا قَتَلَ عَنْكَ،
وَيَطْلُبُ بَلْبِنُوسَ^(٩) سَوَى الْإِسْطَرْلَاقِ بِتَذْيِيرِكَ، وَصَوَّرَ الْكُرَّةَ عَلَى تَقْدِيرِكَ،

(١) يشير بذلك إلى عمر بن الخطاب حين قال لهرم بن قطة بعد أن أسلم: «أيها كان الأفضل عندك بين سامراً ومطبة» فقال: «لو قلت الآن فيها كلمة لحدثت الحرب بين المؤمنين». فأجيب بذلك القول عمر وسر من سياسته وبعد نظره وقال له: «بحق حكمتك الحرب»

(٢) الحجاج - هو الحجاج بن يوسف الثقفي ولد سنة ٤١ ولشأ بالطائف، وولى الكوفة، واشتهر بسلك الدماء، وهو الذي حاصر مكة وفيها عبد الله بن الزبير وضربها بالمتنجق (انظر ص ١٦ من كتاب مصارع الأعيان) وحروبه مع شيب، وعبد الرحمن بن الأشعث مشهورة، وقد ذكرنا في مصارع الأعيان من (ص ٧٠ إلى ص ١١٥) طليح إلى هنا من شاء، وكان يسحب بسرعة الجواب، وله نوادر كثيرة في ذلك، قالوا: إنه قال ذات يوم لأحد بني يونس «فكرت في أمرك فوجدت منك ومالك خلافا» فقال: «أيها الأمير أعتد ما في القضية أن هذا الرأي بعد الفكر» فضحك وهاهنا، وطلوا له أن يقوم من أصحاب بن الأشعث فأمر بقرب أعناقهم، فقام رجل قال: «أيها الأمير إن لي ضدك يدا» فقال «وما هي؟» قال «شك رجل بحضرة ابن الأشعث فرددت منك» فقال: «من يهدك؟» فأشار: «هنا» وأشار بيده إلى رجل منهم، فقال: «صدق أيها الأمير» فقال «لما منك أن تحمل كما فعل؟» قال «بغض لك»، فقال الحجاج «أطلقوا هذا ليده متدنأ، وهذا لصدقه في مثل هذا الوقت» قال مالك ابن دينار: «والله لربما رأيت الحجاج يحكم على النهر ويذكر حسن صنعه إلى العراق وسوء صنعه له حتى يجبل إلى أنه مظلوم» وقال الحسن البصري «لقد وقفت كلمة سمعتها من الحجاج «إن امرأه نعت ساعة من عمره في غير ما خلق له لجدير أن تطول حسرته»

(٣) تنبيه - هو تنبيه بن مسلم الباهلي نقياً في الرواية وولى الأمارة، وكان شجاعاً طمناً.

(٤) المهلب - هو المهلب بن أبي صفرة وهو الذي يمزى إليه الفضل في القضاء على الخوارج (انظر ص ٩٧: ٩٧ من كتاب مصارع الأعيان)

(٥) هرمس - هو الذي يزعم نفر من الصابئة أنه نبي مرسل وأنه إدريس عليه السلام ويسندون إليه رسائلهم في تخليص الكواكب السبعة والقروج التي عمر والقرب إليها بالقبائح وغيرها.

(٦) بلبنوس - هو الذي يزعم الصابئة أن رسالة هرمس انطلقت من بعده إليه.

(٧) أفلاطون وإرسطاطاليس - هذان من أعلام فلاسفة اليونان وقادة الفكر المتأخرين.

(٨) بطليموس - هو صاحب كتاب المجسطي، والجغرافيا، والاستعلا لاب وغير ذلك، وهو أول من تعرض للفلك والخدعة.

وَيَقْرَأُ^(١) عِلْمَ الْعِلَالِ وَالْأَمْرَاضِ بِلُطْفِ حِسِّكَ ، وَجَالِيَتُوسَ^(٢) عَرَفَ طِبَائِعَ
الْمَشَائِصِ بِدِقَّةِ حَدْسِكَ ، وَكِلَاهُمَا قَلْدُكَ فِي الْعِلَاجِ ، وَسَأَلْتُكَ عَنِ الْمِرَاجِ ،
وَأَسْتَوْصَفُكَ تَرْكِيبَ الْأَعْضَاءِ ، وَأَسْتَشَارُكَ فِي الدَّاءِ وَالذَّوَالِ ، وَأَنْتَ تَهَبُّتَ
لِأَبِي مَعْشَرٍ^(٣) طَرِيقَ الْقَضَاءِ ، وَأَعْلَزْتَ جَابِرَ بْنَ حَيَّانَ^(٤) عَلَى سِرِّ الْكِيمِيَاءِ ،
وَأَعْطَيْتَ النَّظَامَ^(٥) أَصْلًا أَذْرَكَ بِهِ الْحَقَائِقَ ، وَحَمَلْتَ لِلْكِنْدِيِّ^(٦) رِثْمًا اسْتَفْرَجَ

(١) بقراط - علم من أعلام الطب واليونان .

(٢) جالينوس - من العلماء المتأخرين الذين كان لهم الفضل في تربية فن الطب ، وقد عرف خواص
المشائص ، وفلس أمرجتها وطبائنها ، وشرح الأعضاء ، ووضع الكتب الثمينة في الطب .

(٣) أبو ميمر : كان في أول أمره من أصحاب الحديث ببغداد ، وكان يفتن على الكندي الفيلسوف
للحرف ويترى العامة به - قالوا « قدس له الكندي من حسن له النظر في علم الحساب والمناسة فأحبها
ثم عدل إلى أحكام النجوم ففتن ومهر واقطع بذلك صرعه عن الكندي لأنه من جلس علومه .

(٤) جابر بن حيان - من أعلام العلماء العرب في الكيمياء .

(٥) النظام - إمام من أئمة المعتزلة ، وكان آية في أدبها ، من صغره . قالوا : إنه جاء إلى الخليل بن
أحمد ليبله ، فقال له الخليل يتحنن وفي يده قنق زجاج : « يا بني صف لي هذه الزجاجية » فقال : « أجمع
أم يجمع » قال « يجمع » قال « ترك القنق ، ولا تقبل الأذى ، ولا تستر ما وراءها » قال « ففهمها » قال
« يسرع إليها الكسر ، ولا تقبل الجبر » قال « نصفت لي هذه القنقة » وأوما إلى نقة في داره . قال
« يجمع أم ذم ؟ » قال « يجمع » قال « حلوا جناها ، بأسق مشهاها ، ناضر أعلامها » قال « ففهمها » قال
« صبة للرقيق ، بيضة الحنظل ، عفونة بالأذى » فقال الخليل « يا بني نحن إلى التلم منك أحوج » ثم اشتغل
على أبي الهذيل الملاف بمنهج الكلام إلى أن برع وظهر في أيام التلم وتبعه خلق كثير - وحكى عنه قال
« مات لصالح بن عبد القدوس ولد ، فنفى إليه أبو الهذيل والنظام معه وهو غلام حدث كالتبع له فقرأه
عقراً ، فقال أبو الهذيل « لا أعرف لجرحك وجباً إذا كان الناس عندك كالزروع » فقال صالح « يا أبا الهذيل
إنما أجزع عليه لأنه لم يقرأ كتاب التذكوك » فقال أبو الهذيل « وما كتاب التذكوك ؟ » قال « كتاب
وضعت من قرأه شك فبما كان حق يومه أنه لم يكن ، وفيما لم يكن حق يظن أنه قد كان » فقال له النظام
« فشك أنت في موت ابنك ، وأصل على أنه لم يموت وإن مات ، وشك أيضاً في أنه قد قرأ هذا الكتاب
ولأن لم يكن قرأه » فحضر صالح وكان منحه مذهب السوسطانية فاتهم يزعمون أن الأشياء لا حقيقة لها ،
ولأن ما ليس به مجوز أن يكون على ما نأمله ، ويجوز أن يكون على غير ما نأمله ، وأن حل البعثان كحل
النائم ، وتوفي سنة ٢٢١ هـ وسنة ست وثلاثون سنة .

(٦) الكندي - مقرب الكندي من كبار فلاسفة الاسلام - انتقل إلى بغداد واشتغل بفن الأديب ،
ثم تعلم الفلسفة - وحل مشكلات الأوائل وله مؤلفات بارزة - وهو مشهور بالعدل ، وكان يقول : من
عرف البطل أنك تقول لسان لا « ورأسك صرغوع إلى فوق ، ومن ذل الطاء أنك تقول « تم »

بِالدُّعَاتِيْنَ ، وَأَنْ صِنَاعَةَ الْأَلْحَانِ اخْتِرَانُكَ ، وَتَأْيِيفَ الْأَوْتَارِ وَالْأَفْكَارِ تَوَلِيدُكَ
وَأَيَّدُكَ ، وَأَنْ عَبْدَ الْحَمِيدِ بْنِ يَحْيَى ^(١) بَارِي أَقْلَامِكَ ، وَتَهْل ^(٢) بَنَ هَارُونَ مَدُونُ
كَلَامِكَ ، وَعَمْرُو بْنُ بَحْرٍ ^(٣) مُسْتَمْلِكُكَ ، وَمَالِكُ بْنُ أَنَسٍ ^(٤) مُسْتَفْتِيكَ ، وَأَنْتَ الَّذِي
أَقَامَ الْبَرَاهِينَ ، وَوَضَعَ الْقَوَانِينَ ، وَحَدَّ الْمَاهِيَةِ ، وَبَيَّنَّ الْكَيْفِيَّةَ وَالْكَيْفِيَّةَ ^(٥) ،

وَأَنْتَ مَشِيرَ بِرَأْسِكَ إِلَى أَسْفَلَ ، وَمُؤَلَّفَاتُهُ كَثِيرَةٌ مِنْهَا (أَسْمَاءُ النُّفُلِ الْأَنْسَى) وَكِتَابُ (الْجَوَامِعُ الْفِكْرَةِ)
وَكِتَابُ (الْفَلَسْفَةِ الْأُولَى) وَغَيْرُهَا .

(١) عبد الحميد بن يحيى - هو عبد الحميد بن سعيد الكاتب المشهور ، وكان يقال « بدأت الكتابة بيد
الحميد » ، وتحت بين السيد ، وكان في أول نشأته معلماً صبياناً بالكوفة ، فلما اتصل بمروان الجدي قبل أن
يحل إلى الخلافة حبه واعطى إليه فلما جاء الأمر بالخلافة سجد مروان وأصحابه لإبراهيم ، فقال مروان
« لم لم تسجد ؟ » فقال « ولم أسجد على أن كنت متناً فطرت مني بالخلافة » فقال « إذن طهر مني »
قال « الآن طاب السجود » وسجد وظل كاتب مروان طول خلافته .

(٢) سهل بن هارون - من أهل نيسابور - رحل إلى البصرة فنسب إليها ، وكان شموياً ، واشتهر
بالبلخ . قال الجاحظ : أتى رجل سهل بن هارون فقال : « هل لي ما لا ضرر به عليك » قال : « وما
هو يا أحمى ؟ » قال : « درهم » قال : « لقد هونت الدرهم وهو طائع الله في أرضه لا يهوى ، وهو
عبر العسرة ، والعمرة سعر المائة ، وللمائة سعر الألف ، والألف سعر دية المسلم » ألا ترى إلى أين
انحى الدرهم الذي وهته ، وهل يبيت الأموال إلا درهم على درهم » قال : « فاضرب الرجل ولولا
اضربه لم يكت » وحكى دهل الخرازمي قال : « أقام يوماً عند سهل بن هارون وأطعنا الحديث حتى أضمر
به الجوع فطعنا بندانه فأنى بسفحة فيها مرقى نخذه ديك هرم فأخذ كسرة . وتقدمنا في الصفحة فلم يجد
رأس الديك فبقى مطرفاً ثم قال لفلان : « أين الرأس ؟ » قال : « وميت به » قال : « ولم ؟ » قال :
« لم أظنك تأكله » قال : « ولم طنن ذلك ؟ فوافقه فإني لأمت من يرى برجله » فكيف برأسه ؟ والراس
رئيس يتفاد به ، وفيه الخواص الحجة ، ومنه يصحح الديك ، ولولا صوته ما أريد ، وفيه فرقة ألقى
يترك به ، وعينه التي يضرب بها العين الثقل ، ودماعه يجب لوجه السكية ، ولم أر عظماً قط أحسن من رأسه
فإن كان يبلغ من خبث أن لا تأكله فمتدنا من يأكله ، أما طنن أنه خير من طرف الجناح والساق ،
انظر أين رتبته فقال : « والله ما أدرى » قال : « لكني أدرى أنك رتبته في طننك » .

(٣) عمرو بن بحر - هو الكاتب المشهور ويكنى بأبي عثمان ويعرف بالجاحظ وهو من يفتخر به الليان
المرى حتى قيل : « مما فضل الله به أمة محمد - صلى الله عليه وسلم - على غيرها من الأمم : عمر بن الخطاب
في سياسته ، والحسن البصري في علمه ، والجاحظ في بيانه » - نشأ يثداداً وتلذذ على النظام وأهرد
بحسن الليان والنصاحة ، وأخباره مشهورة في كتب الأدب فلا داعي للإفاضة فيها -

(٤) مالك بن أنس - هو صاحب المذهب المشهور .

(٥) للماهية - ماهية الشيء ، ما يحصل في الثمن من صورة كلية مطابقة له بعد حذف الشخصات عنه إن
كان جزئياً . قالوا : وهي أحد حدود العلم عند الحكماء فإن العلم ينقسم إلى ثلاثة أقسام . علم (ما) وعلم

وَنَاطَرَ فِي الْجَوْهَرِ وَالرَّضِ^(١)، وَبَيَّرَ الصَّحَّةَ مِنَ الرِّضِ، وَفَكَ الْمُسَى^(٢)، وَفَصَلَ
يَنْ الْأَنْمِ وَالْمُسَى، وَصَرَفَ وَقَسَمَ، وَعَدَلَ وَقَوَّمَ، وَصَنَّفَ الْأَنْهَاءَ وَالْأَفْئَالَ،
وَيَوَّبَ الظَّرْفَ وَالْحَالَ، وَبَنَى وَأَعْرَبَ، وَتَنَّى وَتَمَجَّجَ، وَوَصَلَ وَقَطَعَ،
وَتَنَّى وَجَمَعَ، وَأَعْلَمَرَ وَأَصْنَرَ، وَاسْتَفْهَمَ وَأَخْبَرَ، وَأَهْمَلَ وَقَيَّدَ، وَأَرْسَلَ وَأَسْنَدَ،
وَبَحَثَ وَنَظَرَ، وَتَصَفَّحَ الْأَدْيَانَ، وَرَجَّحَ بَيْنَ مَذْهَبَيْنِ مَانِي وَغِيلَانٍ^(٣)، وَأَشَارَ
بِذَنْجِ الْجَنْدِ^(٤)، وَقَتَلَ بَشَارَ بْنَ بُرْدٍ، وَأَنَّكَ لَوْ شِئْتَ خَرَفْتَ الْمَكَدَاتِ، وَخَالَفْتَ
الْمَعْمُودَاتِ، فَأَحَلَّتِ الْبِحَارَ عَذْبَةً، وَأَعَدَّتِ السَّلَامَ رَطْبَةً^(٥)، وَقَتَلْتَ غَدَاً فَصَارَ

(كَيْفَ) وَعِلْمَ (كَمْ) . فاعلم اننى يطلب منه ما يعاين الأعياء هو العلم الالهي ، واننى يطلب منه كيفيات
الاشياء هو الطبيعى ، واننى يطلب منه كيفيات الأعياء هو الرياضى .

(١) الجوهر والرض : الجوهر - فيها يقولون - هو الجسم ، كالاسلاك والفرس والمجر ونحو ذلك .
والرض والحال والوصف الثماني عليه كالألوان من يابس ، وسواد وحمرة ، والحركات المختلفة من قيام وقعود
واضطجاع ، وجميع ما هذا الجوهر فاسم الرض واقع عليه .

(٢) وفك المسى - وهو الفز ، ارجع الى « ص ٢٨٤ »

وكان الملاحظ يقول : « ليس لعلمي بقى ، قد كان كيلا مستملا أبى عبيدة يسع خلاف ما يقال ، ويكتب
خلاف ما يسع ، ويقرأ خلاف ما يكتب ، وكان أعلم الناس باستخراج المسمى - فلوا : « وكان النظام على
قدرته على أصناف العلوم - لا يقدر على استخراج أخف ما يكون من المسمى .

(٣) ماني وغيلان - ماني هو الذى تنسب إليه المانوية وهو تنوى نسبة إلى الاثنين لزمه أن صانع العالم
اثنان ، أحدهما فاعل الخير وهو النور ، والآخر فاعل الشر وهو الظلمة ، وهما قديمان لم يزلوا ولن يزالا
حاسبين سعيين بصيرين وهما مختلفان في النفس والصورة ، متضادان في الفعل والتقدير ، لجمهور انوار فاعل
حسن نير وتلك خيرة قديمة قلعة . منها الخير والسرور والصلاح وليس منها من الشر - هي . وجوهر الظلمة
على ضد ذلك جيء ، وقد أشار للتني إلى هذا للفتب بقوله :

« وكَمَ لظلام الليل عندك من يد تخبر أن المانوية تكذب . »

وكان ماني راجعاً بغير ان . فلوا : « وكان مؤمناً بالمسيح مطلقاً من أساقفة النصارى ، ثم وفى به حاسدوه
فأحدث دينا ودعا إليه وبعثه كثير من الجيوش .

وغيلان هو ابن يونس القندري النسطري . فلوا كان أبوه مولى لعماد بن عطاء ، وكان غيلان أول من تكلم
في القندر ، وخلق التركان في الاسلام في رأى بعض اللوثرخين .

(٤) الجند - هو مولى بن الحكم وكان يعلم سريوان بن محمد الجندى ويخطن دمشق وينسب إليه بعض
اللوثرخين أنه أول من تكلم بخلق التركان .

(٥) السلام : المجازة الصلبة .

أَمْسَا، وَزِدْتَ فِي الْمَنَاصِرِ فَكَانَتْ حَسًّا ^(١) ، وَأَنْتَ لِلْقَوْلِ فِيهِ :

« كُلُّ الصَّيْدِ ^(٢) فِي جَوْفِ الْفَرَا . » وَ

« لَيْسَ عَلَى اللَّهِ بِمُسْتَكْرٍ أَنْ يَجْمَعَ الْعَالَمُ فِي وَاحِدٍ ^(٣) . »

وَالْمَعْنَى بِقَوْلِ أَبِي تَمَّام :

« قَلَوْ صَوَّرْتَ نَفْسَكَ لَمْ تَرِدْهَا - عَلَى مَا فِيكَ - مِنْ كَرَمِ الطَّبَاج . »

وَالْمُرَادُ بِقَوْلِ أَبِي الطَّيِّب :

« ذُكِرَ الْأَنَامُ لَنَا فَكَانَ قَصِيدَةً كُنْتُ الْبَدِيعَ الْفَرْدَ مِنْ أَيْتَانِهَا . »

فَكَدَمْتُ فِي غَيْرِ مَكْدَمٍ ^(٤) ، وَاسْتَسَمْتُ ذَا وَرَمٍ ^(٥) ، وَتَفَعَّتْ فِي غَيْرِ ضَرَمٍ ^(٦) ،

وَلَمْ تَجِدْ لِرَبِّحٍ مَهْرًا ، وَلَا لِشَفْرَةٍ عَهْرًا ، بَلْ رَضِيتَ مِنَ الْغَنِيمَةِ بِالْإِيَابِ ،

(١) المناسير : هي في رأى القدماء أربعة : النار ، والهواء ، والماء ، والقرباب .

(٢) كل الصيد في جوف الفراء - مثل يضرب في وصف الشيء للربى على غيره فقالوا : « وأصله أن قوماً

خرجوا للصيد فصاد أحدهم غلياً وآخر أرباباً وآخر فرا ، وهو الحمار الوحشي ، فقال لأصحابه : كل الصيد

في جوف الفراء - يعني أن جميع صيدهم يسير في جنب ما صده ، وزعم بعضهم أن الفراء اسم واحد كثير الصيد

وهو قول مردود ، وأما قول الشاعر :

« وواد جوف العير قمر قطعت »

فليس من هذا وإنما أراد الوادي المعروف بجوف حمار ، وحمار اسم رجل قديم كان في واد خصيب فظلم

عشيرته ، فأرسل الله عليه ناراً فأحرقت وأحرق الوادي غللاً وسكنته الجن قليل : أئلى من جوف حمار

وحجب يوماً أبو سفيان بن حرب عن النبي - صلى الله عليه وسلم - ثم أذن له قال : « يا رسول الله

أأكنت تأذن لي حتى تأخذ لحجارة الجلبتين » قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « يا أبا سفيان

كل الصيد في جوف الفراء » . (٣) هذا البيت من قصيدة لأبي نواس في مدح الفضل بن يحيى .

(٤) كدمت في غير مكدم - فضضت في غير موضع الضم ، وهذا للتل يضرب لمن يطلب ما يجز منه .

(٥) في هذا إشارة إلى قول الشاعر :

« ملو ناراً ففخت بها أعضات ولكن أنت تنفخ في رماد »

لقد أسمت - لو نأديت حيا - ولكن لا حياة لمن تنادي .

(٦) يشير إلى قوله للشبي لسيف الدولة مرمناً بأبي فراس :

« أعيذها نظرات منك صدقة أن تحسب الشعم فيمن له ورم . »

وَتَقَبَّلْتُ الرَّجُوعَ بِخُفْيِ حُتَيْبٍ^(١) ، لِأَنِّي قُلْتُ :

« لَقَدْ هَانَ^(٢) مِنْ بَالَتْ عَلَيْهِ الثَّعَالِبُ . » وَأَنْشَدْتُ :

« عَلَى أَنَّهُا الْأَيَّامُ قَدْ صِرْنَ كُلُّهَا عَجَائِبَ حَتَّى لَيْسَ فِيهَا عَجَابٌ^(٣) ،

وَنَحَزَتْ^(٤) وَبَسَرَتْ^(٥) ، وَعَبَسَتْ فَكَفَرَتْ ، وَأَبْذَأَتْ وَأَعْدَتْ ، وَأَبْرَفَتْ

وَأَزَعَدَتْ^(٦) وَهَمَّتْ وَلَمْ أَفْعَلْ وَكِدْتُ وَلَيْتَنِي ، وَلَوْلَا أَنَّ لِلْجَوَارِ ذِمَّةً ،

وَلِلضَّبَاقَةِ حُرْمَةً ، لَكَانَ الْجَوَابُ فِي قَذَالٍ^(٧) الْمُسْتَقَى ، وَالنَّعْلُ^(٨)

(١) خفي حنين - مثل يضرب لمن يرجع بالحيلة - وكان حنين فيها يقولون إسكافاً من أهل الحيرة سلموه
أمرأى بجنين ولم يند منه شيئاً فغاطه ذلك طرج عليه وعلق أحد الحفنين على شجرة في طريقه وهدم قليلاً
وطرح الآخر وكن ، فجاء الأمرأى فرأى أحد الحفنين فوق الشجرة ، فقال « ما أشبه هذا بجن حنين
لو كان منه آخر لتكلفت أخذه » ثم هدم قليلاً فرأى الحنف الآخر مطروحاً نزل وعلق بيده فأخذه ورجع
ليأخذ الأول فخرج حنين من للسكن وأخذ بيده وفهب ورجع الأمرأى إلى أخيه بجن حنين .

(٢) لقد هان من بالت عليه الثعالب - شطريت هو :

« أرب يول الثعلب برأسه » لقد هان من بالت عليه الثعالب .

قال رجل من بني سليم كان يهد صنناً ، فرأى ذات يوم ثعلباً يول على الصنم فكسره وأند هذا البيت
وفهب إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - فأسلم .

(٣) البيت لأبي تمام من قصيدة وثناء ، منها قوله :

وقلت : « أبحي » قالوا « أخذوا فرباً » ؟ قلت لهم : « إن الشكول أقارب »

وإن باعدتنا في الأصول والناسب

حببت لصبري بعده - وهو ميت - وكنت امرأه أبكى دماً وهو غائب

على أنها الأيام قد صرن كلها عجايب حتى ليس فيها عجايب .

(٤) نخرت - الخبز صوت الألف عند الغضب .

(٥) والبر - الاستعجال بالعنى ، قبل أوانه . وهو في قوله تعالى : « عسى ويسر » منناه أظهر

المبوس قبل أوانه . (٦) الأبراق والأرصاد - كناية عن التهديد وأصلها من البرق والرمد . قال الشاعر :

« قل للسيا : أرمدي واربقي فانا وصلنا إلى اللؤلؤ . »

(٧) أي فعلت بهذه للرأه التي أرسلتها رسولاً من قبلك لولا حرمة الضيافة - فليس سيف الدولة بالمستحق ،

وهو لقب يطلق على كل قائد من قواد جيش الروم ، وقد هزمه سيف الدولة وأشار للنبي إلى ذلك بقوله :

« وكنت إذا كاتبته قبل هذه كبيت إليه في قذال المستحق . »

(٨) مثل قفريه العرب وقد ضنه أحد الشعراء قوله :

« إن طاعت العرب عدنا لها وكانت اتدل لها حاضرة . »

حَاضِرَةٌ إِنْ حَادَتْ الْمُقَرَّبُ ، وَالْمُقُوبَةُ مُمَكِّنَةٌ إِنْ أَصَرَ الْمُذْنِبُ ، وَهَبَهَا لَمْ
تُلَاحِظْكَ بِعَيْنٍ كَلِيلَةٍ عَنْ عَيْنَيْكَ ، مِلْأَهَا حَبِيبُهَا ^(١) ، حَسَنُ فِيهَا ^(٢) مَنْ تَوَدُّ
وَكَأَنَّتْ إِعْمًا حَلَّتْكَ بِحِلَاكَ ، وَوَسَمَتْكَ بِسِيَاكَ ، وَلَمْ تُرِكَ شَهَادَةٌ ، وَلَا
تَكَلَّفَتْ لَكَ زِيَادَةً ، بَلْ صَدَقَتْ سِنَّ يَكْرِهَا فِيمَا ذَكَرْتَهُ عَنْكَ ، وَوَضَعَتْ
الْهَنَاءَ مَوَاضِعَ النُّقَبِ ^(٣) ، بِمَا نَسَبَتْهُ إِلَيْكَ ، وَلَمْ تَكُنْ كَاذِبَةً فِيمَا أَثْنَتْ بِهِ
عَلَيْكَ ، فَالْمَيْدَى ^(٤) تَسْمَعُ بِهِ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَرَاهُ :

هَجِينُ الْقَذَالِ ^(٥) ، أَرْعَنُ ^(٦) السَّبَالِ ، طَوِيلُ الْمَتَى وَالْمِلَاوَةِ ^(٧) ، مُفْرِطُ الْحُمَى
وَالْعَبَاوَةِ ، جَانِي الطَّبْعِ ، سَيِّئُ الْجَبَابَةِ وَالسَّمْعِ ، بَنِيضُ الْهَيْئَةِ ، سَخِيفُ الْهَذَابِ
وَالْجَيْئَةِ ، ظَاهِرُ الْوَسْوَاسِ ، مُتَنِّئُ الْأَنْفَاسِ ، كَثِيرُ الْمَعَايِبِ ، مَشْهُورُ الْمَنَاقِبِ :

(١) إشارة إلى قول ابنون :

« أَمَا بِكَ إِجْلَاءً ، وَمَا بِكَ قُدْرَةً عَلَى ، وَلَكِنْ مَلْءَ عَيْنَ حَبِيبَا . »

(٢) في هذا إشارة إلى قول عمر بن أبي ربيعة :

وَلَقَدْ ظَلَمْتُ لَجَارَاتِهَا وَفُتِرَتْ - فَاتِ يَوْمٍ - بَتَرَدِ

أَصْحَابَا يَنْحَنِي تَبَصَّرَنِي - عَمَرَكَ اللَّهُ - أَمْ لَمْ يَهْتَمِدْ؟

فَنَحْنُ مَحْصَنٌ وَقَدْ قَلَنَ لَهَا : « حَسَنٌ فِي كُلِّ مَعْنٍ مِنْ تَوَدُّ . »

(٣) الهناء : القُطْرَان ، والنقَب : الجُرب ، وهذا للثل يضرب لمن يضع الأمور في مواضعها ، وهو نصف
بيت لأبي زيد بن الصمة في الحناء وهو :

« مَيْثَلًا يَبْعُو عَاسِيَةً يَضَعُ الْهَنَاءَ مَوَاضِعَ النَّقَبِ . »

(٤) مثل يضرب لمن يكون غلبه خيرا من منظره . فله التمتع لشدة ينضرة ، وكان يسببه ما يسع
منه ، فلما رآه استرعى منظره ، فقال التمتع : لأن تسمع بالميدى خير من أن تراه .

وقال له : « أَيْتُ النَّاسِ إِنْ الرَّجُلَ لَيْسُوا بِجَزْوٍ ، وَإِنَّمَا يَمِيشُ الْمَرْءُ بِأَصْغَرِهِ قَلْبُهُ وَلِسَانُهُ . »

(٥) القفال - جماعة مؤخر الرأس ، وهجين القفال : أي خبيث الأصل . قالوا : « لَأَنْ الْقِيَّ يَمُرُّ
لَوْمْ نَسَبَ إِذَا وَلَّى طَائِفًا وَأَسَءَ حَيَاةً وَذَلَا ، فَكَأَنَّ الْقَوْمَ يَتَّبِعُونَ مِنْ قَفَالِهِ » . وقيل : بل لكثرة انهزامه
في المروب .

(٦) أرعن : أحمق ، والسبال : جمع سيلة وهي شجرة الشفة العليا وضخت الرعونة بها لأشياء طامعة الرجل .

(٧) الملاوة - الرأس مادام على المتق ، وفي الفراسة أن طول المتق والرأس من دلائل الخيانة .

كَلَامُكَ تَمْتَمُهُ ، وَحَدِيدُكَ قَمَمُهُ ، وَيَأْنُكَ هَهْمُهُ ، وَصَحِيحُكَ هَهْمُهُ ^(١) ،
وَمَشِيكَ هَرَوْلُهُ ، وَغِنَاكَ مَسْأَلُهُ ، وَدِينُكَ زَنْدَقُهُ ، وَعِلْمُكَ عَزْرَقُهُ ^(٢) :
«مَسَاوِي لَوْ قُسِمْنَ عَلَى التَّوَانِي - لَمَّا أَنْهَرْنَ إِلَّا بِالْإِلَاقِ ^(٣) ،

حَتَّى إِنْ بَافِلًا ^(٤) مَوْصُوفٌ بِالْبَلَاغَةِ إِذَا قُرِنَ بِكَ ، وَهَبْنَقَ ^(٥) مُسْتَوْجِبٌ لِأَسْمِ
الْعُقْلِ إِذَا أُصِيفَ إِلَيْكَ ، وَطُونَسًا ^(٦) مَأْثُورٌ عَنْهُ يُؤْنِ الطَّائِرُ إِذَا قِيمَ عَلَيْكَ ،
فَوْجُودُكَ عَدَمٌ ، وَالْأَغْيَابُ بِكَ تَدَمٌ ، وَالْحَيَّةُ مِنْكَ ظَفَرٌ ، وَالْجَنَّةُ مَعَكَ
سَقَرٌ ، كَيْفَ رَأَيْتَ لَوْ مَتَكَ لِكَرْبَى كَيْفَهُ ، وَصَنَتَكَ لِشَرَفِي وَفَاهُ ، وَأَتَى
جَوَلْتُ أَنْ الْأَشْيَاءُ إِنَّمَا تَتَجَذَّبُ إِلَى أَشْكَالِهَا ، وَالطَّيْرُ إِنَّمَا تَقَعُّ عَلَى الْأَفْهَامِ ،
وَهَلَّا عَلِمْتَ أَنَّ الشَّرْقَ وَالْقَرْبَ لَا يَحْتَمِيَانِ ، وَشَعَرْتَ أَنَّ الْمُؤْمِنَ وَالْكَافِرَ

(١) قال الجاحظ - القمه : التردد في البناء ، وأما فاه : التردد في الفناء ، والهبقة : التواء الصنان عند
إرادة الكلام ، والمهبسة ضمير الكلام ، والقف : إدخال حرف في حرف ، والزقة تمنع الكلام ، فالأ
جاء منه بضم الهاء ، وقيل المهبسة فيه ، واثننة أن يبدل من حرف إلى حرف ، والفتنة أن يعرب الحرف
صوت المفهوم والمحنة أشد منها ، والكنة أن يفترض اكتمال حرف أجنبي ، والمطلعة أن يكون
الكلام شبيهاً بالجبى .

وأما الفسنة فهي أن يسمع الصوت ولا يبين تظليح الحروف - والمهلمة : التي في التلطيح ، والتهلمة :
الضحك الشديد يستبدلون به على لغة العقل .

(٢) المرولة : بين اللين والصلب ، والمسالقة : الفقر ، والمخرنة : نوع من الحرق ، الذي هو ضد الرقيق ،
ومنه يقال : المخرق وهو شيء يلبس به كآله يخرج لأظهار الشيء بخلافه .

(٣) البيت لأبي تمام . (٤) باطل : مغرب للتل في الهمزة .

(٥) هبقة : مضرب للتل في الحبل وضرب المغل - قالوا : ووضع قدراً في حنقه علامة لنفسه فلا يخرج
قالوا : وراقبه أخوه إلى أن تام ، فأخذ القدر من حنقه وجعله في عنقه - فلما اتبعه هبقة ورأى أخاه ،
قال « أنت أنا » فأنا يترى ، من هو أنا « وهو جاهل .

(٦) اللقي الماحن المهور ، وكان يسكن المدينة ، وهو أول من غنى بها على الدف بالبرية ، وضرب به
الثل في القوم ، لأنه ولد يوم مات النبي - صلى الله عليه وسلم - ، وقدم يوم مات أبو بكر ، وخت يوم
فيل مر ، وتزوج يوم قتل عثمان ، وكانت أمه تسمى بالنبية بن لاء الأصل ، ونوادى شؤمه كثيرة
مفهورة في كتب الأدب .

لَا يَتَقَارَبَانِ ، وَقُلْتَ : « الْخَلِيبُ وَالطَّيِّبُ لَا يَسْتَوِيَانِ » وَتَمَثَّلَتْ ^(١) :

« أَيُّهَا الْمُنْكَحُ الثَّرِيًّا سَهِيلاً عَمَّرَكَ اللَّهُ كَيْفَ يَلْتَقِيَانِ ؟ »

وَذَكَرْتَ أَنَّ عِلْقَ لَا يَبَاعُ ^(٢) يَمْنُ زَادَ ، وَسَلَاطُزُ لَا يَصِيدُهُ مِنْ أَرَادَ ، وَغَرَضُ لَا يُصِيدُهُ إِلَّا مِنْ أَجَادَ . مَا أَحْسَبُكَ إِلَّا كُنْتَ قَدْ تَهَيَّأْتَ لِلتَّهْنِئَةِ ، وَتَرَشَّعْتَ لِلتَّرَفِيفَةِ ! وَلَوْلَا أَنْ جُرَحَ الْمَجْمَاءُ جُبَارُ ^(٣) ، لَلَقِيتَ مِنَ الْكَوَاغِبِ مَا لَاقَى يَسَارُ ^(٤) ، قَسَاهُمْ إِلَّا يَبْعُضُ مَا بِهِ تَهَمَّتْ ، وَلَا تَعْرِضُ إِلَّا لِابْتِرِ مَالَهُ تَعَرَّضْتَ ، أَبْنِ ادْعَاؤَكَ رِوَايَةَ الْأَشْعَارِ ، وَتَعَاطِيكَ حِفْظَ السَّيْرِ وَالْأَخْبَارِ ؟ أَمَّا قَابَ إِلَيْكَ قَوْلُ الشَّاعِرِ :

« بَنُو دَارِمٍ أَكْفَاؤُهُمْ آلُ مِسْمَعٍ وَتُنْكَحُ فِي أَكْفَائِهَا الْحَبِطَاتُ ؟ »

(١) البيت لسر بن أبي ربيعة ، وعمره الله بالنصب فيها لأنه لم يرد النعم ، وإنما أراد سألت الله أن يطيل عمره (بالفتح) أي حياته ، وهذه قوله :

« هي شامية إذا ما استظلت وسهيل إذا استهل يمان . »

(٢) الملق : الفئس وهو من تصبده للحريث بن فضال التميمي كانت له فرس اسمها - سكاب - فأراد بعض ملوك اليمن أخضاها منه فهرب بها وقال :

« أَيْتَ الْعَمَنُ إِلَى سَكَابِ عَلَى فَيْسٍ لَا تَارَ وَلَا تَبَاعَ »

مفسدة مسكرة علينا تجماع لها القيل ، ولا تجماع

فلا تلعب أيت العمن فيها ونمنحها بشيء استطاع .

(٣) المجاء : البئمة ، والجبار : الحمر ، واللقى : أن البئمة إذا جربت لادية لها ولا تخاص ، وهو مثل ضرب ، لمن يستهل به .

(٤) يسار : اسم عبد دميم أسود كان النساء يربضه فيضكن منه ، لبسه وصيجهن لثقله صجبات به حتى نظرت إليه بنت مولاه فتمحكت فظن أنها رضىته له ، فقال لصاحبه له أسود : « قد والله عفتني مولائي ، فلأزودنها إليه » فقال له صاحبه « يا يسار ، احرب ابن المغفار ، وكل لحم الخوار ولحم وبنات الأحرار » فقال له « واقة مارأني حرة إلا عفتني » فلما أسى قال لصاحبه « احفظ على الأبل حتى أنصرف ، وأعود إليك » فنهاه فلم يته حتى دخل على بنت مولاه يرادها من ههنا ، فالتفت له « ما كنت بالمرئ طياً ، أشك إياه » فقال لها « هاتيه » فأته بطبق وموسى فاطمة ، فأشبهه الطيب ، ثم أخذت بالوسى على منه قططته ، فخرج عارياً حتى أتى صاحبه ودمه يسيل ، ففرب به اللث .

وَهَلَّا حَبِيتَ وَلَمْ تَقْتَرِ؟ وَمَا أَشْكُ أَنْكَ تَكُونُ وَافِدَ الْبَرَّاجِمِ^(١)، أَوْ
تَرْجِعُ بِصَحِيفَةِ النَّكْسِ^(٢)، أَوْ أَفْعَلُ بِكَ مَا فَعَلَهُ عَقِيلُ بْنُ عُلْفَةَ بِالْجَوْفِيِّ،
إِذَا جَاءَهُ خَاطِبًا فَذَهَنَ أَسْتُهُ بَرْنَتٍ وَأَذْنَاهُ مِنْ قَرِيَةِ النَّعْلِ، وَتَقَى كَثْرَ تَلَاقِنَا
وَأَتَصَلَ تَرَائِينَا، فَيَذْهَبُ إِلَى إِلَيْكَ مَلَذَّامًا بَنَى الْخَسَّ إِلَى عَبْدِ هَاشِمٍ مِنْ طُؤْلِ السَّوَادِ^(٣)،
وَقُرْبِ الْوَسَادِ؟ وَهَلْ فَقَدْتَ الْأَرْاقِمَ^(٤) فَأَنْكَسَحَ فِي جَنْبِ^(٥)؟ أَوْ عَقَلَنِي
هَمَامُ بْنُ مَرْءَةَ فَأَقُولُ: «رَوْحٌ مِنْ عُودٍ، خَيْرٌ مِنْ قُمُودٍ؟»

وَلَتَمْرِي لَوْ بَلَغْتَ هَذَا الْمَبْلَغَ لَأَرْتَفَعْتَ عَنْ هَذِهِ الْخَطِئَةِ، وَلَا رَضِيتَ بِهَذِهِ الْخَطِئَةِ،
كَالْتَارِ، وَلَا الْعَارِ، وَالنِّبْيَةِ، وَلَا الدُّنْيَةِ، وَالْحُرَّةِ تَجُوعُ وَلَا تَأْكُلُ بِشَيْئِهَا^(٦).

(١) والبراجيم: هو رجل من بني تميم - والبراجيم حبة من أولاد حنظلة - والغريب يقرب للثلث بوافد
البراجيم لأن عمرو بن هند أقرق لسمعة وشجين رجلا من بني تميم لتأمله عندهم، وكان قد آلى أن يحرق
منهم مائة فينبأ هو بخمس بقية المائة إذ سرَّ رجل اسمه عمار فاشتم رائحة القنطار فظن أن لذلك اتخذه طعاماً
فدخل إليه فبل له «من أنت» قال: «أنا وافد البراجيم» فألقى في النار.

(٢) شاعر جاهلي وفد هو وابن أخته طرفة بن العبد على عمرو بن هند أحد ملوك الحيرة فاعلمه وبعثها طرفة
بمهر يوماً مع وقي بنده جلم من ذهب فيه شراب أعرفه أخت عمرو، فرأها طرفة فقال: «ألا بأبي الظبي
ألقى يجرى شتاه، ولولا لك القنطار ألتقيناه» فسمعا عمرو فأسرعا في شيه وهم يفتنه، ولكنه خاف
من حياء النخس، فكتب لها كتابين إلى طامل البحرين، وقال: «إني كتبت لكما رسالة فاقبضاها
من طامل البحرين» فخرجا من عنده بالكتابين، وصرَّ للنخس بنادم من أهل الحيرة، فطلب إليه أن يقرأ
كتابها فإذا به «إذا أنك النخس فاطلع بيده ورجليه واصل» فأقبل على طرفة فقال «والله لقد كتب لك
بمثل هذا» فادفع كتابك إلى الغلام يقرأه» قال: «كلاما كان ليبتري على قومي بمثل هذا» فألقى
النخس صحيفته في نهر الحيرة وذهب طرفة قاتل.

(٣) ابنة الخنساء جاهلي فزنت ببد لها، فلما قرعوها وصبروها بسلتها ولا موعها طيبا قالت لهم مستفزة:
«لقد حلتني على ذلك قرب الوساد» وطول السواد» وهي تمنى بطول السواد: طول السراة، وفي الحديث:
«السواد من الشعر» تقول: سواده أي سارته، أنظر «ص» ١٩٨ (٤) حتى من تطلب.

(٥) حتى من التمن، وهو من شعر مهلهل التمني حين حرب وطالت عليه حرب البسوس فزل في طريقه
على حتى من التمن فظفروا إليه ابنته فسلوا لهم وهو جلود من آدم ونصبوه على الأزواج قال:

«أمرز على تطلب بما لقيت أخت بني الأكرمين من جم

أنكحها فدهما الأراقم من جب وكان الهباء من آدم

لوياً بأباين جاء خاطبها خرج ما ألق خاطب بيم.

(٦) هذه أمثلة لمن يفضل الهلاك على قبح الاحدوث.

فَكَيْفَ وَفِي أَبْنَاءِ قَوْمِي مَنَکَحٌ وَفَتَيَانِ هَزَانِ الطَّوَالِ الْفَرَاتِيَّةِ^(١)

مَا كُنْتُ لَأَتَخَطَّى الْمِسْكَ إِلَى الرَّمَادِ ، وَلَا أَمْتَطِي الثَّوْرَ بَعْدَ الْجَوَادِ ، فَإِنَّمَا يَتَّبِعُهُمْ مَنْ لَمْ يَجِدْ مَا ، وَبَرَّعَى الْهَشِيمَ ، مَنْ عَدِمَ الْجَسِيمَ ، وَبَرَكَبَ الصَّبَّابَ مَنْ لَا ذُلُولَ لَهُ ، وَلَمَلَّكَ إِنَّمَا غَرَّكَ مَنْ عَلِمْتَ صَبُورِي إِلَيْهِ ، وَشَهِدْتَ مُسَاعَفَتِي لَهُ ، مِنْ أَقْمَارِ الْمَصْرِ ، وَدِيحَانِ الْمِصْرِ ، الَّذِينَ هُمْ الْكُوكَبُ غُلُوجُهُمْ ، وَالرَّيَاضُ طَيْبُ شَيْمٍ :

«مَنْ تَلَقَّى مِنْهُمْ تَقَلَّ لَا قَيْتُ سَيِّدَهُمْ مِثْلَ النُّجُومِ الَّتِي يَسْرِي بِهَا السَّارِي^(٢) ، حَنْ قَدَحٌ لَيْسَ مِنْهَا ، مَا أَنْتَ وَهُمْ ، وَأَنْتَى تَقَعُ مِنْهُمْ ، وَهَلْ أَنْتِ إِلَّا وَائُؤُ عَمْرٍو فِيهِمْ ، وَكَأَلَوْ شَيْطَانُ^(٣) فِي الْعَظْمِ يَنْتَهُمْ ، وَإِنْ كُنْتُ إِنَّمَا بَلَّغْتُ قَعْرَ تَابُوتِكَ ، وَتَجَافَيْتَ عَنْ بَعْضِ قُوتِكَ ، وَعَطَّرْتَ أَرْدَانَكَ ، وَجَرَرْتَ هِمْيَانَكَ ، وَاخْتَلَتْ فِي مِشْبَتِكَ ، وَحَدَفْتُ قُصُولَ لِحْيَتِكَ ، وَأَصْلَحْتُ شَارِبَكَ ، وَمَقَطَلْتُ حَاجِبَكَ ، وَرَقَقْتُ خَطَّ عِذَارِكَ ، وَاسْتَأْنَقْتُ عَقْدَ إِزَارِكَ ، رَجَاءُ الْإِكْتِنَانِ فِيهِمْ ، وَطَمَعًا فِي الْأَعْتِدَادِ مِنْهُمْ ، فَظَلَنْتَ عَجْزًا ، وَأَخْطَأْتُ اسْتِكَ الْحَفْرَةِ^(٤) ، وَأَقْبَلَهُ لَوْ كَسَاكَ مُحَرَّقُ الْبُرْذَيْنِ^(٥) ، وَحَلَّتْكَ مَارِيَةُ^(٦) بِالْقُرْطَيْنِ وَفَلَدَكَ عَمْرٍو الصَّنَمَامَةَ^(٧) ، وَحَمَلَكَ الْحَارِثُ عَلَى النَّمَامَةِ^(٨) ، مَا شَكَّكَتُ فِيكَ ،

(١) اسم قرية - والفراتة الشاب ، والبيت للأعشى .

(٢) البيت لفرندس أحد بن بكر بن كلاب .

(٣) قطعة العظم تكون زيادة في العظم الصميم - يقال طلع وشيطة في قومه أي حشو فيهم .

(٤) مثل يضرب لمن يطلب أمراً فيخطئه ولا يثله . (٥) انظر ص « ٢٠٠ »

(٦) ابنة ظالم زوج الحارث الأكبر النسابي - وقد أهدت قرطها إلى الكعبة .

(٧) انظر ص « ٢٠٢ - ٢١٠ »

(٨) فرس الحارث بن عباد الغنهي من سادات بني وائل .

وَلَا سَتَرْتُ أَبَاكَ، وَلَا كُنْتُ إِلَّا ذَاكَ، وَهَبَكَ سَامِعِيهِمْ فِي ذِرْوَةِ الْمَجْدِ
وَالْحَسَبِ، وَجَارَتْهُمْ فِي قَائِمَةِ الطَّرَفِ وَالْأَدَبِ، أَلَسْتُ تَأْوِي إِلَى يَتِّ
قَصِيدُهُ لِكَاعٍ ^(١)؟ إِذْ كُلُّهُمْ عَزَبُ خَالِي الذَّرَاعِ، وَأَيُّ مَنْ أَفْرِدُ بِهِ يَمُنْ
لَا غَلَبَ إِلَّا عَلَى الْأَقْلِ الْأَخْسَ مِنْهُ، وَكَمْ يَنْ مَنْ يَتَمَذَّنِي بِالْقُوَّةِ الظَّاهِرَةِ،
وَالشَّهْوَةِ الْوَافِرَةِ، وَالنَّفْسِ الْمَضْرُوفَةِ إِلَى، وَاللَّذَّةِ الْمَوْقُوفَةِ عَلَى، وَيَنْ آخِرَ
قَدْ نَصَبَ غَدِيرُهُ، وَتَرَحَّتْ بِيرُهُ، وَذَهَبَ نَشَاطُهُ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا ضُرَاطُهُ،
وَهَلْ يَجْتَمِعُ لِي فِيكَ إِلَّا الْحَشَفُ وَسُوءُ الْكَيْلَةِ ^(٢)، وَيَقْرَنُ عَلَى بَكَ إِلَّا
الْفُتَّةُ وَالْمَوْتُ فِي يَتِّ سَلْوِيهِ ^(٣) :

تَعَالَى اللَّهُ يَا سَلَمُ بْنُ حَمْرٍو أَذَلَّ الْحِرْصُ أَغْنَاكَ الرَّجَالِ ^(٤)
مَا كَانَ أَخْلَقَكَ بِأَنْ تَقْدِرَ بِذَرْعِكَ، وَتَرْبِعَ بِذَلِكَ عَلَى ظَلَمِكَ، وَلَا تَكُنْ
بِرَاقِشٍ ^(٥) أَدَالَةً عَلَى أَهْلِهَا، وَعَزَّ السُّوءُ الْمُسْتَعِيرَةَ لِحَنَفَهَا، فَمَا أَرَاكَ إِلَّا سَقَطَ
بِكَ الْمَشَاهِ عَلَى سِرْحَانٍ ^(٦)، وَبِكَ لَا يَفْطَحِي أَفْقَرُ ^(٧)، أَعْذَرْتُ إِنْ أَغْنَيْتُ شَيْئًا،
وَأَتَمَعْتُ لَوْ تَادَيْتُ حَيًّا ^(٨) .

(١) القصيد : الروجة ، والكاع : الشبة ، واليت العطية يقول :

« أطوف ما أطوف ثم آوى إلى بيت قصيدته لكاع . »

(٢) مثل يضرب في الحذفين الشيعين يجتمان . قالوا أنه لسرو بن مديكرب ، والمشف أودا التمر ،
والكيلة مصدر يدل على الهيشة .

(٣) وهي امرأة من سول ، وهو مثل قاله طاهر بن الطفيل عند ما تودع النبي - صلى الله عليه وسلم -
فدعا عليه وقال : اللهم اكفني طاهرا بما شئت ، فظهر في رقبته غدة مات منها وجعل يقول : « غدة كفنة
البحر ، وموت في بيت سلوية . » (٤) البيت لأبي الصنابية . (٥) يشير إلى اللؤلؤ (جنت
على أهلها براقش) (٦) القرب . (٧) مثل يضرب للشجاة بإزبل - أي نزل بك الكروه ولا
نزل ينهي ، والأعقر الذي لونه لون الثراب . (٨) يشير إلى قول المرى :

« لقد أصمعت لو تاديت حيا ولكن لا حياة لمن تادى

وتار لو نعت بها أضاعت ولكن أنت تنفيخ فيوماد »

ولله اقتبسها في قصيدته من شعر عمرو بن مديكرب .

إِنَّ الْمَصَاعِرَ لَدَى الْحِلْمِ وَالشَّيْءُ تَحْفَرُهُ وَقَدْ يَنْبَغِي^(١)
وَأِنْ بَادَرْتَ بِالنَّدَامَةِ ، وَرَجَعْتَ عَلَى نَفْسِكَ بِاللَّامَةِ ، كُنْتَ قَدْ اشْتَرَيْتَ
الْمَأْفِيَةَ لَكَ بِالْمَأْفِيَةِ مِنْكَ ، وَإِنْ قُلْتَ جَنَحَةً وَلَا طِيْنَ ، وَرُبَّ سَلَفٍ نَحَتْ^(٢)
الرَّاعِيَةَ ، وَأَنْشَدَتْ :

« لَا يُؤَسِّنُكَ مِنْ مُخَذَّوَةٍ قَوْلُ تَقْلُظُهُ وَإِنْ جَرَعَا^(٣) . »

فَعُدْتُ لِمَا نُهَيْتَ عَنْهُ ، وَرَاجَعْتُ مَا اسْتَعْفَيْتَ مِنْهُ ، بَعَثْتُ مِنْ يُرْجِيكَ إِلَى
الْخَفَرِ^(٤) دَفْعًا ، وَيَسْتَحِيكَ نَحْوَهَا وَكِرًا وَصَفْعًا ، فَإِذَا صِرْتَ إِلَيْهَا عَبْتُ
أَكْثَارُهَا^(٥) بِكَ ، وَتَسَلَّطَ نَوَاطِيرُهَا عَلَيْكَ ، فَمِنْ قَرَنَةٍ مُوَجَّعَةٍ تَقُومُ فِي قَعَاكَ ،
وَمِنْ قُبْلَةٍ مُنْتَنِيَةٍ يَرْمِي بِهَا نَحْتَ خُصَاكَ ، ذَلِكَ بِمَا قَدَمْتَ يَدَاكَ ، لِنِدْوَقِ وَبَالِ
أَمْرِكَ ، وَتَرَى مِيزَانَ قَدْرِكَ :

فَمَنْ جَهِلَتْ نَفْسُهُ قَدْرَهُ رَأَى غَيْرَهُ مِنْهُ مَا لَا يَرَى^(٦)

(١) وما مثلك يضربان في التحذير، وقد نظمها المارث بن وهب اليشكري، وقد نزل بعض سادات قومه أخاه فقال:

« أَفَلَا سَادَتَا - بِلَارَقٍ - إِلَّا لَنُزَمِ قُوَّةَ الْعِلْمِ
وَمُحَلَّتَا وَمَطَا عَلَى جَنْفِ وَطءِ الْقَيْدِ نَابِتِ الْهَرَمِ
وَزَعَمْتَ أَنَا لَا حُلُومَ لَنَا إِذِ الْمَصَاعِرَ لَدَى الْحِلْمِ
لَا تَأْمَنُ قَوْمًا ظَهَبَ وَيَدَانِهِمْ بِالْعَرِّ وَالْفِطَمِ
أَنْ يَأْبُرُوا غُلَا لِنَسْجَمِ وَالْقِيَّةَ تَحْفَرُهُ وَقَدْ يَنْبَغِي
الآنَ لِمَا أَيْبَسَ مَسْرِقِي وَعَضَضْتَ مِنْ نَابِي عَلَى جَنَمِ
تَرْجُو الْأُمْدَى أَنْ أَسَالِحَهَا جِلَا تَوْهَمِ صَاحِبِ الْكَلَمِ
تَوَى هَمَّ ظَنَرَا أَيْمَ أَيْمِي فَإِذَا وَصِيَتْ بِمِجْنِي سَهْمِي
لَقَدْ عَفَوْتَ لِأَعْمُورِ جِلَا وَلَقَدْ أَسْبَيْتَ لِأَوْحَشِ عَظْمِي . »

(٢) الجسبة: صوت الرمح، والطين: الدقيق، والملك: القلندر، وسحاب صلب: أي قليل الماء كثير
الرمح، وما مثلك يضربان لمن يوحده من غير أن يعلم . (٣) هذا البيت لبشار بن برد - ويصده قوله :
« صر النساء إلى مياسرة والصبير يركب بهما جاهدا . »

(٤) الناحية: للزوجة من الجاهل، والورز: ضرب الظهر مع الحج أو الضرب بجميع اليد على القطن .
(٥) الأكثرون: الزارعون . (٦) البيت للثعلبي - من تصبغ في خم كالقور الاخشيدي ومجاهد، ومنها قوله:

« وَفَدَكْتَ أَحْسَبَ قَبْلِ اللَّهِ
فَمَا ظَلَمْتَ إِلَى طَعْنِهِ
وَجِدْتَ لَنِي كَلَامِي إِلَى اللَّهِ
فَمَا بَزَقَ رِيَاحَ غَلَا . »

الرسالة الجديدة لابن زيدون^(١)

« كتبها لابن جهور »

يَا مَوْلَايَ وَسَيِّدِي الَّذِي وَدَّادِي لَهُ ، وَأَعْتَادِي عَلَيْهِ ، وَأَعْتَادِي بِهِ ،
وَأُمْتِدَادِي مِنْهُ ، وَمَنْ أَبْقَاهُ اللَّهُ مَخْصِيَّ حَدِّ الْعَزَمِ ، وَارِي زَنْدِي^(٢) الْأَمَلِ ، ثَابِتَ
عَهْدِ النِّعْمَةِ ، إِنْ سَلَبَنِي - أَعَزَّكَ اللَّهُ - لِبَاسَ نَعْمَانِكَ ، وَعَظَلْتَنِي مِنْ حُلِّي
إِنْسَانِكَ ، وَأَعْلَمَانِي إِلَى بَرُودِ^(٣) إِسْنَانِكَ ، وَتَقَضَّتْ بِي كَفَّ حَيَاتِكَ ،
وَعَضَضَتْ^(٤) عَنِّي طَرَفَ^(٥) حَيَاتِكَ ، بَعْدَ أَنْ نَظَرَ الْأُمْنَى إِلَى تَأْمِيلِي لَكَ ،
وَسَمِعَ الْأَصَمُّ ثَنَاءِي عَلَيْكَ^(٦) ، وَأَحَسَّ الْجَمَادُ بِاسْتِحْضَادِي إِلَيْكَ - فَلَا غَرَوَ
قَدْ يَمَسُّ بِالْمَاءِ شَارِبُهُ ، وَيَقْتُلُ الدَّوَاهُ الْمُسْتَشْفِي بِهِ ، وَيُوَثِّقِي الْحَذِيرُ مِنْ
تَأْمِينِهِ ، وَتَكُونُ مَنِيَّةُ الْمُتَمَنَّى فِي أُمْنِيَّتِهِ^(٧) ، وَالْحَيْنُ قَدْ يَسْبِقُ جَهْدَ
الْحَرِيسِ^(٨) :

كُلُّ الْمَصَائِبِ قَدْ تَمَرُّ عَلَى الْفَتَى وَتَهْوُونَ فَيَرَّ شِمَاتُهُ الْحَسَادُ
وَأَنَا لَا تَجْمَلُدُ ، وَأَرَى الشَّامِتِينَ أَنَّ لَرَبِّ الدَّهْرِ لَا أَنْضَمُّعُ^(٩) ، فَأَقُولُ :

(١) ارجع إلى « ص ٤٩ » (٢) الزند : الزند ، وورى الزند هو اقتداحه وخروج النار منه .

(٣) برود : بارد . (٤) عضضت : خففت .

(٥) طرف : حين . (٦) يعبر إلى قول للتني :

« أَنَا أَقَى نَظَرَ الْأُمْنَى إِلَى أَدْبِي وَأَسَمْتُ كَلَامِي مِنْ بِهِ صَم . »

(٧) فيها يؤمُّه وجهناه .

(٨) الحين : الخلافة ، والمجد : الطاقة ، وهذا مثل من أمثال العرب « جهور » قال عدى بن زيد :

« تَدِيدُكَ الْبَطْلَى مِنْ حَقِّهِ - وَالْحَيْنُ لَيْسَبِقُ جَهْدَ الْحَرِيسِ . »

(٩) يشير إلى قول أبي ذؤيب الهذلي :

« وَتَجْمَلِدِي قَتْلَتَيْنِ أَرْبَعَمُ - أُنَى لَرَبِّ الدَّهْرِ - لَا أَنْضَمُّعُ . »

وقد تامل به معاوية قبل وفاته .

هَلْ أَنَا إِلَّا يَدٌ أَدْمَاها سِوَارُها ^(١)، وَجَبِيْنُ عَصًى بِدِ الْكَلِيْلِ ^(٢)، وَمَشَرِيْ ^(٣)
الْصَّغَةِ بِالْأَرْضِ صَاقِلُهُ، وَتَمَهَّرِيْ ^(٤) عَرَصَةً عَلَى النَّارِ مُتَقَفَةً، وَعَبْدُهُ ذَهَبَ
بِهِ سَيْدُهُ مَذْهَبَ الَّذِي يَقُولُ :

« فَقَسًا لِيَرْدَجِرُوا وَمَنْ يَكُ حَارِمًا فَلْيَقْسُ أَحْيَانًا عَلَى مَنْ يَرْحَمُ ^(٥) »
هَذَا الْعَتَبُ عَمُودُ عَوَاقِبُهُ، وَهَذِهِ النَّبُوَّةُ ^(٦) عَمَرَةٌ ^(٧) ثُمَّ تَنْجَلِيْ، وَهَذِهِ
النَّكْبَةُ سَحَابَةٌ صَنِيفٌ عَنْ قَلِيلٍ تَقْشَعُ ^(٨)، وَلَنْ يَرِيَنِيْ مِنْ سَيْدِيْ أَنْ
أَبْطَأَ سَيْبُهُ ^(٩)، أَوْ تَأَخَّرَ - غَيْرَ صَنِيفٍ - غَنَاؤُهُ ^(١٠)، فَأَبْطَأَ الدَّلَاءُ فَيَضَا
أَمْلُوها ^(١١)، وَأَثْقَلُ السَّخَابِ مَشِيًّا أَحْفَلُها ^(١٢)، وَأَنْفَعُ الْحَيَا مَا صَادَفَ ^(١٣)
جَذْبَا، وَالَّذُ الشَّرَابِ مَا أَصَابَ غَلِيْلًا ^(١٤)، وَمَعَ الْيَوْمِ غَدٌ، وَلِكُلِّ أَجَلٍ

(١) السوار : نوح من الخيل يلبس في الساعد ، وقريب من هذا قول المتن :

« بنوكعب - وما أثرت فيهم - يد لم يدمها إلا السوار »

لها - من قطعه - ألم وقس ، وفيها - من جلالة - اختار .

(٢) الأكمل : الناج . (٣) المفرق : السيف .

(٤) السهمي : الرمح .

(٥) البيت لأبي تمام ، وقريب من هذا المعنى قول للمري :

« اضرب وليدك - تأديبا على رشده - ولا تقل هو طبل عسير عظم »

قرب شق برأس جر منقعة ، وقس على شق رأس السيف والعلم .

(٦) النبوة : الجنوة . (٧) الأنرة : الشدة . قال الشاعر :

« وما هي إلا حمرة ثم تنجلي سريعا ولا نبوة تستمر . »

(٨) مثل عربي : يشير إلى أن السر سحبه اليسر بعد قليل .

(٩) سيبه : جوده أو عطؤه . (١٠) غناؤه : خيره أو قومه .

(١١) مثل عربي ، يقولون : « لعل أبطأ الدلاء أملوها » وقد اشتقعه به المبري في إحدى

مقالاته ، وممنه إن أبطأ الدلاء في الصعود هي الدلاء المتلفة بالداء .

(١٢) أحفلها : أكثرها ماء .

(١٣) الحيا : النيث أو اللطر .

(١٤) القليل : شدة العطش .

كِتَابٌ ، لَهُ الْحَمْدُ عَلَى أَهْتِيَالِهِ ^(١) ، وَلَا عَتَبَ عَلَيْهِ فِي إِغْفَالِهِ ^(٢) :
« فَإِنْ يَكُنِ الْفِعْلُ الَّذِي سَاءَ - وَاحِدًا ، فَأَفْعَالُهُ - اللَّاتِي مَرَرْنَ - الْوُفْ » .

* *

وَأَعُوذُ فَأَقُولُ :

« مَا هَذَا الذَّنْبُ الَّذِي لَمْ يَسْمَعْ عَفْوُكَ ، وَالْجَمَلُ الَّذِي لَمْ يَأْتِ مِنْ وَرَائِهِ جَمْلُكَ ،
وَالْتَطَاوُلُ ^(٣) الَّذِي لَمْ يَسْتَرْفِقْهُ تَطَوُّلُكَ ، وَالتَّحَامُلُ الَّذِي لَمْ يَفِ بِهِ أَحْتِمَالُكَ ،
وَلَا أَخْلُو مِنْ أَنْ أَكُونَ بَرِيًّا ، فَأَيُّ الْمَذَلِّ ؟ أَوْ مُسِيئًا ، فَأَيُّ الْفَضْلِ ؟
إِلَّا يَكُنْ ذَنْبٌ فَمَذَلُّكَ وَاسِعٌ أَوْ كَانَ لِي ذَنْبٌ فَفَضْلُكَ أَوْسَعُ ^(٤)
حَتَانِيكَ ^(٥) » قَدْ بَلَغَ السَّيْلُ الرُّبَى ^(٦) ، وَنَالَنِي مَا حَسَنِي بِهِ وَكَفَى ، وَمَا أَرَانِي
إِلَّا أُمِرْتُ بِالسُّجُودِ لِآدَمَ ^(٧) فَأَيُّتُ وَأُسْتَكْبَرْتُ ، وَقَالَ لِي نُوحٌ ^(٨) :
« أَرْكَبْ مَتَا » فَقُلْتُ : « سَأَوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ » وَأُمِرْتُ

(١) اهتباله : اختناه .

(٢) اغفاله : تهاونه وتغافل .

(٣) التطاول : التكبر ، والتعول : الفضل ، والتعامل : التكليف بما لا يطاق ، والاحتمال : هو
القدرة على الحمل .

(٤) البيت الأول للبحتري ، والثاني مأخوذ من قول الشاعر :

« مَبْنِي ظُلُومًا نَفْسُهُ بِمَسَادٍ قِصَاصًا فَأَيُّ الْأَخْذِ بِمَنْ بِالْمَذَلِّ ؟ » .

(٥) حنانيك : روحك وهو مثل كلمة خنال .

(٦) الرُّبَى : جمع زبية بمعنى المفرقة في مكان مرتفع لا يملؤه الماء تحفر لعبد الأسد ، فإذا وصل إليها
السيل كان سيلًا عظيمًا لا عهد للناس به ، وهو مثل يشرب للمنى . يرى على غايته .

(٧) يشير إلى استكبار إبليس عن السجود لآدم حين أمره الله بذلك نصاه وحفت عليه العقبة ، فضل
نفسه عليه لأنه من نور وآدم من طين ، وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك في قوله تعالى : « فسجدوا إلا
إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين » .

(٨) يشير إلى قصة نوح حين فاض الطوفان ، وركب السفينة هو ومن معه وخالفه ابنه وهما فهلك ،
وقد أشار الكتاب الكريم إلى ذلك في قول نوح : « يا بني أركب معنا ولا تكن من الكافرين » وقول
ابنه : « ساوى إلى جبل يعصمني من الماء » .

بَيْنَاهُ الصَّرْحَ ^(١) لَعَلِّي أُطْلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى ، وَعَكَفْتُ عَلَى الْجِبِلِّ ^(٢) ، وَأَخَذْتُ
فِي السَّبْتِ ^(٣) ، وَتَطَايْتُ ^(٤) فَمَقَرْتُ ^(٥) ، وَشَرَبْتُ مِنَ النَّهْرِ الَّذِي أَبْتَلِي
بِهِ جُيُوشَ « طَالُوت » ^(٦) ، وَقُدْتُ الْفِيلَ لِأَبْرَهَةَ ^(٧) ، وَعَاهَدْتُ قُرَيْشًا عَلَى
مَا فِي الصَّحِيفَةِ ^(٨) ، وَتَأَوَّلْتُ فِي يَمَّةِ الْمُقَبَّةِ ^(٩) ، وَتَقَرَّرْتُ إِلَى الْقَبْرِ بِبَذَرٍ ،
وَأَخَذْتُ ثُلُثَ النَّاسِ يَوْمَ أَحُدٍ ^(١٠) ، وَتَخَلَّفْتُ عَنْ صَلَاةِ الْمَصْرِ فِي

(١) الصرح : القصر - يشير إلى قصة فرعون وهي مذكورة في الكتاب الكريم جن قال : « يَا أَيُّهَا
اللَّامُ مَا طَلَتْ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوَدْتُ لِي يَا حَمَلَانُ عَلَى الْعَيْنِ فَاجْعَلْ لِي صِرْحًا » .

(٢) يشير إلى جبل بن إسرائيل الذي عبده .

(٣) يشير إلى قصة بن إسرائيل حين نبوا عن العيد في يوم السبت فخانوا ما نبوا عنه ، لحق بهم العذاب

(٤) تطاييت : أي قلت على أطراف أصابع رجلي وركعت يدي وضربت .

(٥) عكرت : قتلت قتال طار البحر بالسيف أي ضربت قوائمه به وهو يشير بذلك إلى ناقة صالح وذنب
من عقرها ، وإلى الآية الكريمة : « قَتَلَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُلَيْهَا فَاسْتَدِمُّهُمْ عَلَيْهِمْ بِهِمْ ذُنُوبُهُمْ فَنَاقَهَا »

(٦) يشير إلى الذنب الذي اقتربه جيش « طالوت » عليه السلام ، وإلى الآية : « إِنَّ اللَّهَ مَبْتَليكُمْ بِهِرَ
فَنَ حَرَّبَ مِنْهُ فُلُوسَ مِى وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْ فَانْه مَنِ إِلَّا مَنْ اخْتَرَفَ خُرْفَةً يَدِهِ » واسكن أكثرهم خالته وعرب
منه فوعدوا في الامم ، قال أبو العلاء :

« سَيَا لَسِجَةَ وَالِدِيَا مَفْرَقَةً حَتَّى يَمُودَ اجْتِمَاعُ النَّجْمِ تَشْتِيَا »

وبعدا لأربد القرب من نهر كأنما أنا من أصحاب طالوتا »

(٧) يشير إلى قصة أبرهة طامل اليمن من قبل النجاشي حين ذهب لهدم الكعبة ومعه الهبة لنضبه عليها
إذ بنى كنيسة فيمناء اليمن ليحج إليها الناس بدل الكعبة فلم يمتوا بها وفنطو رجل فيها وأحرقها بشن نجار
اليمن ، وغضب النجاشي من ذلك ، وأمر أبرهة طامل اليمن بهدمها والقصة مذكورة في الكتاب الكريم
« أَلَمْ تَرَ إِلَى رَجُلٍ كَيْفَ ضَلَّ بِأَهْوَائِهِ الْفِيلَ * أَلَمْ تَرَ كَيْدَهُمْ فِي تَضَلُّلٍ * وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ * تَرْمِيهِمْ
بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ * فَجَلَّاهُمْ كَقَصِفٍ أَمْكَولٍ » وقد أشار للمرى إلى هذه القصة في لؤمياته بقوله :

« حَذِثْ جَاءَ مِنْ قَائِدٍ لِي - فِي النَّمْرِ - وَهَائِلَا »

وطير صمكت يوماً على الجيش أبابيلَا

مَنْ تَزَحَلْ عَنْ دُنْيَا تَزِيدَ الْقَلْبَ تَحْيِيلَا .

(٨) يشير إلى الصحيفة التي كتبها قريش وعطوها في الكعبة يقررون فيها مقاطعة النبي - صلى الله
عليه وسلم - وحادثة الاسلام بعد أن رأوا إسلام امر وجره الذي اعتن بها الدين .

(٩) يمة المقة : مخالفة الاجماع والشذوذ من جهة الصواب .

(١٠) يشير إلى واقعة « أحد » حين اخذ ابن سلول هو ومن معه من المنافقين ورجلوا
جنت الجيش .

بَنِي قُرَيْظَةَ ^(١) ، وَجِئْتُ بِالْإِفْكِ ^(٢) عَلَى عَائِشَةَ الصَّدِيقَةِ ، وَأَقِئْتُ مِنْ
إِمَارَةِ أُسَامَةَ ^(٣) ، وَزَعَمْتُ أَنَّ يَسَعَ أَبِي بَكْرٍ ^(٤) كَانَتْ قَلْتَهُ ، وَرَوَيْتُ
رُغْبِي مِنْ كِتَابَةِ خَالِدٍ ^(٥) ، وَمَزَقْتُ الْأَدِيمَ ^(٦) الَّذِي بَارَكْتَ يَدَ اللَّهِ عَلَيْهِ ،
وَفَحِشْتُ بِالْأَشْمَطِ ^(٧) الَّذِي هُوَ نَوَّالُ السُّجُودِ بِهِ ، وَبَذَلْتُ لِقَطَامٍ ^(٨) .

« ثَلَاثَةَ آلَافٍ وَصَبَدًا وَقِيَّةً » وَضَرَبَ عَلَى الْحُسَامِ الْمُسَمِّ .

(١) بنو قريظة : طائفة من اليهود وفد أمر النبي - صلى الله عليه وسلم - أصحابه بعد عودته من غزوة
الحنين أن يصلوا المعصر في بني قريظة حتى يهلك أن يردوا في العقاب لايهم .

(٢) يشير إلى جريمة - مسطح وحسان في حادثة الإفك - وهي اتهام عائشة زوج النبي - صلى الله عليه وسلم -
حين كانت طاهرة من غزوة بني المصطلق ونزلت من المعوج لفضاء حاجتها وسار أصحاب الرسول
- صلى الله عليه وسلم - من غير أن يفتقدوا عائشة ، وكانت قد تخلفت عن الركب ، ومرت بها صفوان
وكان منتقلاً عن الركب فأركبها على جملته ، ولما وصلا أشاع أعراس السود منها ما شاءوه ، ثم برأها الفركان ،
وأظهر طهارتها ، وأبلم أهل الإفك والبهتان .

(٣) يشير إلى تولية النبي - صلى الله عليه وسلم - أسامة بن حذافة قيادة الجيش الذي ذهب إلى العالم
والذي قاتل بعض المهاجرين ، وأقنعتهم من إيلامه ، وغضب الرسول - صلى الله عليه وسلم - عليهم وعمرهم
لإهم ، وصودعه القبر وهو طاب رأسه لرحمته .

(٤) يشير إلى رأى الشيعة في أن علي بن أبي طالب كان أجدر بالخلافة من أبي بكر وعمر ، وأن أبا بكر
قد اغتلبها لنفسه اختلاساً .

(٥) يشير إلى ذلك أبي شجرة السلمي في بعض حروب الردة بجيش خالد بن الوليد .

(٦) يعبر إلى أديم « عمر » أي جلده الذي مزقه أبولؤلؤة الحبشي حين قتله ، ويشير إلى قول الشاعر في ذلك :
« جزى الله خيراً من إيلام ، وباركت يد الله في ذاك الأديم المزق » .

(٧) يعني بالأشمت : عقال بن دغان ، وهو يشير إلى قول حسان بن ثابت في ذلك :
« هموا بأشمت ، عنوان السجود » .

(٨) قطم : اسم امرأة أقرت عبد الرحمن بن ملجم بقتل علي ورفضته ، ثم رآها ، فأجبتها إلى ما طلبت ،
وبلى هذا البيت قوله :

« فهاجبتني من ملجم بقتل علي ورفضته ، ثم رآها ، فأجبتها إلى ما طلبت ،
وبلى هذا البيت قوله :

« فهاجبتني من ملجم بقتل علي ورفضته ، ثم رآها ، فأجبتها إلى ما طلبت ،
وبلى هذا البيت قوله :

« فهاجبتني من ملجم بقتل علي ورفضته ، ثم رآها ، فأجبتها إلى ما طلبت ،
وبلى هذا البيت قوله :

« فهاجبتني من ملجم بقتل علي ورفضته ، ثم رآها ، فأجبتها إلى ما طلبت ،
وبلى هذا البيت قوله :

« فهاجبتني من ملجم بقتل علي ورفضته ، ثم رآها ، فأجبتها إلى ما طلبت ،
وبلى هذا البيت قوله :

« فهاجبتني من ملجم بقتل علي ورفضته ، ثم رآها ، فأجبتها إلى ما طلبت ،
وبلى هذا البيت قوله :

« فهاجبتني من ملجم بقتل علي ورفضته ، ثم رآها ، فأجبتها إلى ما طلبت ،
وبلى هذا البيت قوله :

« فهاجبتني من ملجم بقتل علي ورفضته ، ثم رآها ، فأجبتها إلى ما طلبت ،
وبلى هذا البيت قوله :

« فهاجبتني من ملجم بقتل علي ورفضته ، ثم رآها ، فأجبتها إلى ما طلبت ،
وبلى هذا البيت قوله :

« فهاجبتني من ملجم بقتل علي ورفضته ، ثم رآها ، فأجبتها إلى ما طلبت ،
وبلى هذا البيت قوله :

« فهاجبتني من ملجم بقتل علي ورفضته ، ثم رآها ، فأجبتها إلى ما طلبت ،
وبلى هذا البيت قوله :

وَكَتَبْتُ إِلَى عَمْرِو بْنِ سَعْدٍ : « أَنْ جَمْعُ^(١) بِالْحُسَيْنِ » وَتَخَلَّتْ عِنْدَ مَا بَلَغَنِي مِنْ وَقْعَةِ الْحَرَّةِ^(٢) :

« لَيْتَ أَشْيَاخِي - يَذِرُ - عَلِمُوا جَزَعَ الْخَرْجِ مِنْ وَطْعِ الْأَسْلِ ،
وَرَجَعْتُ الْكُفَّةَ ، وَصَلَبْتُ الْعَائِدَ عَلَى الثَّنِيَّةِ^(٣) ، لَكَانَ - فِيمَا جَرَى عَلَى -
مَا يَحْتَمِلُ أَنْ يَسْمَى نَكَالًا ، وَيُدْعَى - وَلَوْ عَلَى الْمَجَارِ - عِقَابًا .
« وَحَسْبُكَ مِنْ حَادِثٍ بِأَمْرِي تَرَى حَاسِدِيهِ لَهُ رَاحِمِينَ ! »

* * *

فَكَيْفَ وَلَا ذَنْبَ إِلَّا تَمِيمَةٌ أَهْذَاهَا كَلَشِحُ^(٤) ، وَبَنَاءٌ جَاءَ بِهِ فَاسِقٌ .
وَهُمُ الْمُتَمَارِزُونَ الْمَشَاءُونَ^(٥) ، وَنَسِيمٍ ، وَالْوَاشُونَ الَّذِينَ لَا يَلْبَثُونَ أَنْ يَصْدَعُوا
الْعَصَا ، وَالنُّوَاءُ^(٦) الَّذِينَ لَا يَبْرُكُونَ أَدِيمًا^(٧) صَحِيحًا ، وَالسَّعَاءُ^(٨) الَّذِينَ
ذَكَرَهُمُ الْأَخْنَفُ بْنُ قَبَسٍ فَقَالَ : « مَا ظَنُّكَ بِقَوْمٍ الصَّدُوقُ تَعْمُدُ إِلَّا مِنْهُمْ »
« حَكَمْتُ فَلَمْ أَتْرُكْ لِنَفْسِكَ رَيْبَةً ، وَلَيْسَ - وَرَاءَ اللَّهِ - لِمَنْزَعِهِ مَذْهَبٌ »
وَأَفْهِ ، مَا غَشَشْتُكَ بَعْدَ النَّصِيحَةِ ، وَلَا أَنْحَرَفْتُ عَنْكَ بَعْدَ الصَّاعِيَةِ^(٩) ، وَلَا
نَصَبْتُ لَكَ^(١٠) بَعْدَ النَّشِيرِ ، وَلَا أَزْمَعْتُ يَأْسًا مِنْكَ مَعَ ضَمَانٍ تَكْفَلْتُ بِهِ

(١) يشير إلى تحريض حبيد الله بن زياد على قتل الحسين حين أرسل عمر بن سعد لقتله وأتبعه بشمر وأمر حبيد الله عمرو بن سعد أن يجمع يندون أي يضيق عليه الخناق .

(٢) وقعة الحرّة - يشير إلى ما فعله يزيد بن معاوية حين أرسل عقبة بن مسلم لحاربة أهل المدينة وإلحقتها ثلاثة أيام ، ولما تمّ إيزيد فذك تمثل بقول ابن الزبير : « ليت أشياخي الخ . »

(٣) يشير للمدحج الحاجب الكمية بالنجنيق وصلبه عبد الله بن الزبير وهو بمنه بالمائد أي للصحى ، والثنية : طريق القبة . (٤) الكاشح : العدو .

(٥) المتمازون : الذين يكثرزون المعز وهو النية ، وللمشؤون : الذين يكثرزون السى بين الناس بالتمية . (٦) النوأة : جمع غاو وهو اللقال . (٧) الأديم الجلد .

(٨) السعاء : الذين يسون بين الناس بالفساد . (٩) الصاعية : صاعية الرجل خاصته الذين سئون إليه ويفشون مجله . (١٠) ولا نصبت لك : طديك .

الثَّغَةُ عَنْكَ ، وَعَهْدِ أَخَذَهُ حُسْنُ الظَّنِّ عَلَيْكَ . قَصِمَ عَثَبَ الْجَفَاءِ بِأَذْنِي^(١) ،
وَعَاثَ الْعُقُوقُ فِي مَوَاتَانِي ، وَتَمَكَّنَ الضِّيَاقُ مِنْ وَسَائِلِي ؟ وَلَمْ صَاقَتْ
مَذَاهِبِي ، وَأَكَدَتْ مَطَالِبِي ؟ وَعَلَامَ رَضِيَتْ مِنَ الْمَرْكَبِ بِالتَّغْلِيْقِ : بَلْ
مِنَ الْغَنِيْمَةِ بِالْإِيَابِ^(٢) ؟ وَبِأَنْ غَلَبَنِي الْمَغْلَبُ^(٣) ، وَفَضَرَ عَلَى الْعَاجِزِ الضَّعِيفُ ،
وَلَطَمَنِي قَبِيرُ ذَاتِ سِوَارٍ^(٤) ؟ وَمَا لَكَ لَمْ تَمْنَعْ مِنْ قَبْلِ أَنْ أَفْتَرَسَ ، وَتَذَرِكُنِي
وَلَمَّا أَمْرُقُ^(٥) ؟ أَمْ كَيْفَ لَا تَنْصَرِّمُ جَوَانِحَ الْأَكْفَاءِ^(٦) حَسَدًا لِي عَلَى الْخُصُوفِ
بِكَ ؟ وَتَقَطِّعُ أَفْكَسَ النُّظَرَاءِ مُنَافَسَةً فِي الْكَرَامَةِ عَلَيْكَ ، فَكَيْفَ وَقَدْ
زَانَنِي قَدِيمُ خِدْمَتِكَ ، وَزَهَانِي وَسْمُ نِسْنِكَ ، وَأَبْلَيْتُ الْبَلَاءَ الْجَمِيلَ فِي
مِصَامِكَ^(٧) ، وَقُنْتُ الْمَقَامَ الْمَحْمُودَ عَلَى بَسَاطِكَ ؟

« أَلَسْتُ الْمُرَالِي فِيكَ غُرَّ قَصَائِدِ هِيَ الْأَنْجُمُ أَتَقَادَتِ مَعَ اللَّيْلِ - أُنْجُمًا
ثَنَاءً يَطْلُ الرُّؤُوسُ مِنْهُ مُنُورًا ضَمًّا ، وَيُحَالُ الْوُشَى فِيهِ مُنْجَمًا »

(١) الأذنة : المهود والحمرات . (٢) رَضِيَتْ مِنَ الْغَنِيْمَةِ بِالْإِيَابِ : مثل يخرُب في القنطرة بالسلامة

قال امرؤ القيس :

« قَدِمْتُ رَفِيقِي - الْآفَاقَ - حَقِي رَضِيَتْ مِنَ الْغَنِيْمَةِ بِالْإِيَابِ . »

(٣) الْمَغْلَبُ : أَيْ الضَّعِيفُ . قَالَ الشَّاعِرُ :

« فَاتَكَ لَمْ يَخْضِرْ عَلَيْكَ كِفَاخِرُ ضَعِيفٌ لَمْ يَطْلُبْكَ مِثْلُ مَغْلَبِ . »

(٤) فِي الثَّلْثِ « لَوْ ذَاتِ سِوَارٍ لَطَفَى » ، يُشِيرُ إِلَى ضَمَفِ الْعَتَدَى وَخِفَارَتِهِ وَالْعَادَةِ أَنَّ السِّوَارَ

لَا تَلْبِسُهُ إِلَّا الْحَرَّةَ . قَالَ الشَّاعِرُ :

« بِلَاءٌ لَيْسَ يَمْلِكُهُ بِلَاءُهُ عِدَاوَةٌ يَحْرِضُ حَسْبَ وَدِينِ »

يُطْلِقُ مِنْهُ حَرَمًا أَمْ يَفْرَهُ وَيَرْتَعُ مِنْكَ عَلَى عَرَضٍ مَمْرُودِ . »

وَقَالَ الْمُرِّي : « خَفَ بِأَكْرَمٍ عَلَى عَرَضٍ قَرَضَهُ لِمَا بَ ، تَطْلِمُ لَا يَفَاسُ بَكَ »

إِذَا زِلْجَاجُهُ - لِمَا حَطَّتْ - سَبَكَتْ وَكَمْ تَحْطَمُ مِنْ دُرِّ قَا سَبَا . »

(٥) وَتَذَرِكُنِي وَلَمَّا أَمْرُقُ : يُشِيرُ إِلَى قَوْلِ اللَّصْبِ الْمُبْدِيِّ ، وَقَدْ اسْتَعْمَدَ بِهِ عَتَادَتَيْنِ عَدَنَ فِي كِتَابِهِ إِلَى عَلِي :

« فَإِنْ كُنْتُمْ كَوَلَا تَكُنْ أَنْتَ أَكْشَى وَإِلَّا فَأَذَرِكُنِي وَلَمَّا أَمْرُقُ . »

(٦) الْأَكْفَاءُ : جَمْعُ كَفٍّ وَهُوَ الْقَدُّ أَيْ الثَّلِيلُ .

(٧) السَّهَاطُ : الْعَفْصُ ، وَقَدْ سَمَّيْتَ بِكَ قَوْلَ ابْنِ زَيْدُونَ فِي ص « ١٤٤ »

« إِذَا مَا اسْتَوَى فِي السَّهَاتِ فَاتَّجِدْهُ » ، وَلَمْ يَسَاطَا حَقْلُهُ عَلَى الْمَدْرِ .

أَيْ صَفَا حَقْلُهُ .

وَهَلْ لَيْسَ الصَّبَاحُ إِلَّا بُزْدًا طَرَزَتْهُ بِفَضَائِكَ ، وَتَقَلَّتْ الْجُوزَاهُ إِلَّا عَقْدًا
فَعَلَتْهُ بِمَآثِرِكَ ، وَأَسْتَلَى الرِّيعُ إِلَّا نَهْأَةً مَلَأَتْهُ بِمَحَاسِنِكَ ، وَبَتْ ^(١) الْمِسْكُ
إِلَّا حَبْدًا أَذَعَتْهُ فِي عَامِدِكَ ؟ مَا يَوْمُ « حَلِيمَةَ » بِسِرٍّ ، وَإِنْ كُنْتُ لَمْ أَكُنْكَ
سَلِيًّا ^(٢) ، وَلَا حَلِيْنُكَ عُظْلًا ^(٣) ، وَلَا وَصْمُكَ عُقْلًا ، بَلْ وَجَدْتُ أَجْرًا وَجِصًا ^(٤)
فَبَنَيْتُ ، وَمَكَانَ الْقَوْلِ ذَا سَمَةٍ فَقُلْتُ عَمَّا لَكَ أَنْ أَعْدَّ مِنَ الْعَامِلَةِ النَّاصِبَةِ ^(٥)
وَأَكُونَ كَالَّذِي بَالَهُ ^(٦) الْمَنْصُوبَةُ تُضِيهِ لِلنَّاسِ وَتَحْتَرِقُ ، فَكَانَ الْمَثَلُ الْأَعْلَى ، وَهُوَ
- يَكْ وَبِي - فِيكَ أَوْلَى ، وَلَمَنْزَرِي إِنْ صَرِيحَ الرَّأْيِ أَنْ أَتَحَوَّلَ ^(٧) إِذَا بَلَغْتِي
الشَّمْسُ وَتَبَايَ لِلْمَنْزَلِ ، وَأَصْنَعَ عَنِ الْمَطَامِعِ الَّتِي تَقْطَعُ أَغْنَاكَ الرِّجَالِ .
فَلَا أَسْتَوْطِنُ الْعَجَزَ ، وَلَا أطمِنُّ إِلَى الْغُرُورِ . وَمِنْ الْأَمْثَالِ الْمَضْرُوبَةِ :
« خَامِرِي أُمَّ عَامِرٍ ^(٨) » وَإِنِّي مَعَ الْمَعْرِفَةِ أَنْ الْجَلَاءَ ^(٩) سِيَالًا ^(١٠) وَالنَّقْلَةَ مُثْلَةً ^(١١) :

(١) بَتْ : نَصَرَ ، وَقَوْلُهُ « مَا يَوْمُ حَلِيمَةَ بِسِرٍّ » مِثْلُ يَضْرِبُ فِي كُلِّ أَمْرٍ مَعْنَاهُ مَعْمُورٌ ، وَأَمَّا أَنْ
الْخَارِثُ بِنَ أَيْ شَرُّ وَجْهٍ جِيئًا إِلَى النَّفَرِ بِنَ مَا السَّاءُ فِي الْفِرَاقَةِ الَّتِي قَتَلَ فِيهَا ، وَأَمَّا ابْنَتُهُ حَلِيمَةُ فَأَخْرَجَتْ
لَهُمْ مَرْكَبًا فِيهِ خَلْقٌ أَيْ طَيْبٌ ، فَقَالَ خَلْقُهُمْ طَرَجَتْ إِلَيْهِمْ ، جِيئَتْ تَحْتَهُمْ وَهِيَ مِنْ أَجْلِ نِسَاءٍ عَصَرَهَا ،
وَمَعَى الْقَوْمِ حَتَّى أَتَوْا الْمَنْزَرَ ، فَقَالُوا أَيْنَاكَ مِنْ عِنْدِ صَاحِبِنَا وَهُوَ يَدِينُ لَكَ بِالطَّاعَةِ وَيُعْطِيكَ مَا جِئْتَكَ ، فَضَاهَرُ
الْمَنْزَرِ بِذَلِكَ ، وَغُلَّ الْمَنْزَرَ وَصَكَّرَهُ بِسَبْطِ النَّفَقَةِ لِحَاوُوا عَلَيْهِ فَنَقَلُوهُ ، وَكَانَ الْخَارِثُ قَدْ أَوْصَاهُمْ بِذَلِكَ قَبْلَ أَنْ
يُوجِبَهُمْ إِلَيْهِ ، فَنَقَلَ : مَا يَوْمُ حَلِيمَةَ بِسِرٍّ فَفَعِلَتْ مِثْلًا .

(٢) السَّيْبُ : لِلْسُّلُوبِ . (٣) الْعُظْلُ : الْبَاطِلُ . قَالَ الطَّنْزَانِيُّ :

« أَصْلُهُ الرَّأْيُ صَاحِقٌ مِنَ الْخُطْلِ وَحَلِيمَةُ الْفَضْلُ زَائِنَةُ إِلَى الْعُظْلِ . »

(٤) الْأَجْرُ : الطَّيْنُ ، وَالْجِسُّ : الْخَبِيرُ . وَقَدْ تَنَاوَلَ الْكِتَابُ وَالشَّعْرَاءُ هَذَا اللَّحْنَ ، وَلَكِنَّا لَمْ نَقْرَأْ أَبَدْعَ
مِنْ قَوْلِ أَمِيرِ الشَّعْرَاءِ فِي قِصَّةِ قَبِيْزٍ عَلَى لِسَانِ وَصِيْفَةِ مَلِكَةِ فَارَسَ :

« إِنِّي وَضَعْتُ ذَهَبًا فِي يَوْعِهِ وَلَمْ أَصِفْ - بِالطَّيْبِ - إِلَّا زَيْبَهُ »

وَقُلْتُ مِنْ شَمْسِ الْبَهَارِ : مَعْرِفَةٌ . «

(٥) يُشِيرُ إِلَى قَوْلِهِ تَمَالَى : « وَجْهَهُ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ طَامِعَةٌ نَاصِبَةٌ تَعْمَلُ تَارَةً حَلِيمَةً . »

(٦) يُشِيرُ إِلَى قَوْلِهِ حَبَسَ بِنَ الْأَنْحَفِ :

« صَرْتُ كَأَنِّي ذَبَقْتُ نَفْسِي لِلنَّاسِ وَهِيَ تَحْرِقُ . »

(٧) فِي الْمَثَلِ « إِذَا بَلَغْتِكَ الشَّمْسُ فَتَحَوَّلْ » (٨) خَامِرِي أُمُّ طَمَرٍ : مِثْلُ يَضْرِبُ لِمَنْ عَرَفَ
الدُّنْيَا وَتَهَلَّلَهَا وَلَمْ تَحْمَمْ مَعْرِفَتَهُ أَنْ يَمِيلَ إِلَيْهَا وَيَهْتَرَّ بِهَا . قَالَ الْبَهَاءُ زُهَيْرٌ :

« خَدَمْتُكَ بِالْقَوْلِ الْحَقِّ لَمْ نَصَحْ أَمَّا طَمَرُ . »

(٩) الْجَلَاءُ : الْفُرُوقُ مِنَ الْوُطَنِ . (١٠) السَّيَالُ : الْأَسْرُ . (١١) وَالنَّقْلَةُ : النِّكَالُ .

«وَمَنْ يَمْتَرِبْ عَنْ قَوْمٍ لَمْ يَرْكَبْ مَصَارِعَ مَظْلُومٍ حَجْرًا وَمَسْحَبًا
وَتَذْفَنُ مِنْهُ الصَّالِحَاتُ، وَإِنْ يُسَى يَكُنْ مَأْسَاءُ النَّارِ فِي رَأْسِ كَبْكَبٍ»^(١)
حَارِفٌ أَنْ الْأَدَبَ الْوَطْنَ لَا يَخْشَى فِرَاقَهُ ، وَالْخَلِيطُ لَا يَتَوَقَّعُ زِيَالَهُ^(٢) ،
وَالنَّسِيبُ لَا يَخْشَى ، وَالْجَمَالُ لَا يَخْشَى ، ثُمَّ مَا قَرَأُ السُّنْدَ بِالْكَوَاكِبِ أَبْعَى
أَثَرًا ، وَلَا أَسْنَى خَطَرًا ، مِنْ أَقْرِانٍ غَنَى النَّفْسِ بِهِ ، وَأَنْتَظِمَهَا نَسَقًا^(٣) مَعَهُ ،
فَلَنْ الْحَاثِرَ لَهَا ، الضَّارِبَ بِسَهْمٍ فِيهَا - وَقَلِيلٌ مَا هُمْ - أَيْمًا تَوَجَّهَ وَرَدَّ
مَنْهَلَ بَرٍّ ، وَحَطَّ فِي جَنَابِ قَبُولٍ ، وَضَرَحَكَ قَبْلَ إِزَالِ رَحْلِهِ ، وَأَعْطَى
حُكْمَ الصَّبِيِّ عَلَى أَهْلِهِ .

وَقِيلَ لَهُ : « أَهْلًا وَسَهْلًا وَمَرْجَبًا هَذَا مَيِّتٌ صَالِحٌ وَمَقِيلٌ »
فَبَرَّ أَنْ الْوَطْنَ مَحْبُوبٌ ، وَلِلنَّشَأِ مَأْلُوفٌ ، وَاللَّيْبُ يَحِثُّ إِلَى وَطَنِهِ ، حَتَّى
النَّجِيبُ^(٤) إِلَى عَطَنِهِ^(٥) ، وَالْكَرِيمُ لَا يَخْشَوُ أَرْضًا فِيهَا قَوَائِلُهُ^(٦) ، وَلَا
يَنْسَى بِلَادًا فِيهَا مَرَامِئُهُ ، قَالَ الْأَوَّلُ :

« أَحَبُّ بِلَادٍ لِلَّهِ مَا بَيْنَ مَنَمَجٍ - إِلَى وَسْطَى - أَنْ يَصُوبَ سَحَابُهَا
بِلَادَ بِهَا حَلَّ الشَّبَابِ تَمَامِي^(٧) وَأَوَّلُ أَرْضٍ مَسَّ جِلْدِي ثَرَابُهَا »
هَذَا إِلَى مُنَا لَاتِي بِعَقْدِ جَوَارِكِ ، وَمُنَافَسَتِي بِلَحْظَةٍ مِنْ قُرْبِكَ ، وَأَعْتِقَادِي

(١) كَبْكَب : الجبل . (٢) الزِيَال : الفارقة .

(٣) النَسَق : مَا كَانَ عَلَى نِظَامٍ وَاحِدٍ . (٤) النَّجِيب : الْفِعْلُ الْكَرِيمُ مِنَ الْإِبْلِ .

(٥) الْعَطْن : مَبْرَكُ الْإِبْلِ حَوْلَ اللَّاءِ .

(٦) الْقَوَائِل : جَمْعُ قَائِلَةٍ وَهِيَ الَّتِي تَتَّقِي الْوُلُودَ عِنْدَ خُرُوجِهِ (الْهَيَاة) .

(٧) وَفِي رِوَايَةٍ : « عَنْ الْبَابِ . » وَفِي أُخْرَى : « شَقُّ الشَّبَابِ » وَفِي رِوَايَةِ الْهَامِ :

« نَبَطَ عَلَى تَمَامِي » وَالتَّمَامُ : مَا يَلْقَى الْفُطْلَ لِيُعِيهِ هَرُ الْمَسَدِ - قَالَ الشَّامِرُ :

« وَإِذَا لِلنَّبِيِّ أَنْجَبَتْ أَطْفَارُهَا أَتَيْتَ كُلَّ تَيْمَةٍ لَا تَمْنَعُ . »

أَنْ الطَّمَعُ - فِي غَيْرِكَ - طَبَعٌ ، وَالْغِنَى - مِنْ سِوَاكَ - عَنَّا ، وَابْتَدَلَ مِنْكَ أَعْوَزُ ،
وَالْعَوْضُ لَفَاةٌ ^(١) :

« وَإِذَا أَنْظَرْتُ إِلَى أُمِيرِي زَادَنِي حَسَنًا بِهِ - تَطَرَّى إِلَى الْأَتَرَاهِ
وَكُلُّ الصَّيْدِ فِي جَوْفِ الْفَرَا ^(٢) ، وَفِي كُلِّ شَجَرَةٍ نَارٌ ، وَأُسْتَجِدَّ الْمَرْخُ
وَالْعَفَارُ ^(٣) ، فَهَذِهِ الْبَرَاءَةُ يَمُنُّ بِتَوَلَّكَ ، وَالْمَيْلُ عَمَّنْ لَا يَمِيلُ عَنْكَ ، وَهَلَّا
كَانَ هَوَاكَ فِيمَنْ هَوَاهُ فَيْكَ ، وَرِصَاكَ لِمَنْ رِصَاهُ لَكَ :

« يَا مَنْ يَعْرِضُ عَلَيْنَا أَنْ نُفَارِقَهُمْ وَجَدَانَا كُلُّ تَى وَبَنَدَكُمْ عَدَمٌ
أَعِيدُكَ وَتَقْبِي مِنْ أَنْ أَشِيمَ ^(٤) خُلْبًا ^(٥) ، وَأُسْتَمْطِرَ جَهَاكُمَا ^(٦) ، وَأَكْدِمَ ^(٧)
فِي غَيْرِ مَكْدَمٍ ، وَأَشْكُو شَكْوَى الْجَرَجِ إِلَى الْعُقْبَانِ ^(٨) وَالرَّخَمِ ، فَهَذَا
أَبْسَسْتُ ^(٩) لَكَ إِلَّا لِنَدَرٍ ، وَمَا حَرَكْتُ لَكَ الْخَوَارِ ^(١٠) إِلَّا لِتَحْنٍ ، وَمَا
نَبَيْتُكَ ^(١١) إِلَّا لِأَنَامٍ ^(١٢) ، وَمَا سَرَيْتُ إِلَيْكَ ، إِلَّا لِأَتَحَدَّ الشَّرَى ^(١٣) لَدَيْكَ . وَإِنَّكَ

(١) لفاء : خميس . قال الشاعر :

« وَمَا أَنَا بِالضَّعِيفِ فَظَالِمُونَ وَلَا حَقِّي أَقْنَاءُ وَلَا الْحَبِيسُ »

(٢) كل الصيد في جوف الفرا : انظر « ص »

(٣) المرخ والعفار : نوطان من الشجر سرهما الاتقاد ، وقريب من هذا قول المری :

« وَأَبْسَسْتُ فَيْكَ الْفُلَّ - وَالنَّارَ - وَنَدَرٌ - وَأَجْبِي مِنْ جِهَةِ الْفَالِغِ وَالْأَضَالِ . »

(٤) أشيم : أراغب السحاب لأرى أين يعطر . (٥) الخلب : البرق الذي لا يصحبه نيت .

(٦) الجهام : السحاب الذي لا ماء فيه .

(٧) أكدم : أضل - والثلث المری : « كدمت في غير مكدم » - وهو يضرب لمن يريد الشيء من غير أهله .

(٨) يشير إلى قول المتنبي :

« وَلَا تَشْكُ إِلَى قَوْمٍ فَتَشْتُمَهُمْ شَكْوَى الْجَرَجِ إِلَى الْعُقْبَانِ وَالرَّخَمِ . »

(٩) أبست : رفقت من الرخ . (١٠) الخوار : ولد الناقة . (١١) يشير إلى قول بشار بن برد :

« إِذَا أَقْبَضْتُكَ حُرُوبَ الْمَدَا قَبِيهَ لَهَا عَمْرًا ، ثُمَّ نَمَ »

فَسَقِ لَا يَنَامُ عَلَى غَسْرَةٍ وَلَا يَغْرِبُ لِلدَّاءِ إِلَّا بَدَمَ . »

(١٢) يشير إلى قول المتنبي : « عِنْدَ الصَّبَاحِ يَحْدُ الثَّوَمَ السَّرَى » يشير إلى قرب الفرج بعد النسيق .

إِنْ سَلَيْتَ ^(١) عَمْدَ أَمْرِي تَبَسَّرَ، وَمَتَى أَعَذَّرْتَ ^(٢) فِي فَكِّ أَمْرِي لَمْ يَتَعَذَّرْ،
وَعِلْمُكَ مُحِيطٌ بِأَنَّ الْمَعْرُوفَ ثَمَرَةُ النِّعْمَةِ، وَالشَّقَاعَةُ زَكَاةُ الْمَرْوَةِ، وَفَضْلُ
الْجَاءِ - تَعُوذُ بِهِ - صَدَقَةٌ :

« وَإِذَا أَمْرٌ أَهْدَى إِلَيْكَ صَبِيحَةً مِنْ جَاهِهِ فَكَأَنَّهَا مِنْ مَالِهِ ^(٣) ،
لَعَلِّي أُلْقِيَ الْعَصَا بِذِرَاكِ ^(٤) ، وَتَسْتَقِرُّ فِي النَّوَى فِي ظِلِّكَ ، وَأَسْتَأْنِفُ التَّأْدِبَ
بِأَذْيِكَ ، وَالْإِحْيَالَ عَلَى مَذْهَبِكَ ، فَلَا أَوْجِدُ لِلْحَاسِدِ مَجَالَ لِحْطَةٍ ^(٥) ، وَلَا أَدْعَ
لِلْقَادِحِ مَسَاحَ لِفُظَةٍ ، وَاللَّهُ مُبَشِّرُكَ مِنْ إِمْلَاقِي بِهَذِهِ الطَّلِبَةِ ^(٦) ، وَإِشْكَائِي ^(٧)
مِنْ هَذِهِ الشُّكْوَى ، بِصَفِيحَةٍ تُصِيبُ مِنْهَا مَكَانَ الْمَصْنَعِ ، وَتَسْتَوْدِعُهَا أَحْفَظُ
مُسْتَوْدِعٍ ، حَسْبَمَا أَنْتَ خَلِيقٌ لَهُ ، وَأَنَا مِنْكَ حَرِيٌّ بِهِ ، وَذَلِكَ يَدِيهِ وَهَيْئُ عَلَيْهِ .

وَلَمَّا تَوَلَّتْ عِذْرُ هَذَا النَّثْرِ ، وَأَنْسَقَتْ دَرَرُهُ ، فَهَزَّ عِطْفُ غُلُوَالِهِ ،
وَجَرَ ذَيْلُ خِيَلِهِ ، عَارَصَهُ النُّظْمُ مُبَاهِيًا ، بَلْ كَايَدَهُ مُدَاهِيًا ، حِينَ أَشْفَقَ
أَنْ يَسْتَعِظَفَكَ أَسْتِعْظَافُهُ ، وَتَمِيلَ بِنَفْسِكَ أَلْطَافُهُ ^(٨) : فَاسْتَحْسَنَ الْمَائِدَةَ ^(٩)
مِنْهُ ، وَأَعْتَدَ بِالْفَائِدَةِ لَهُ ، فَآزَالَ يَسْتَكِدُّ الذَّهْنَ الْعَمِيلَ ، وَالْخَاطِرَ الْكَفِيلَ ،
حَتَّى زَفَّ إِلَيْكَ عَرُوسًا مَجْلُوءَةً ، فِي أَنْوَابِهَا مَنْصُوصَةٌ ^(١٠) ، بِمَحْلِيهَا وَمَعْلَاهَا ^(١١) :

(١) سليت : يبرت وسهلت .

(٢) أعذرت : طلبت المنور .

(٣) البيت لأبي تمام . (٤) ذراك : كنتك وظك .

(٥) لحطة : نظره .

(٦) الطلبة : اللطوب . (٧) إشكائي : إزالة شكواي .

(٨) ألفتاه : خيره وبره .

(٩) المائدة : الجليل أو المصنع .

(١٠) منصوصة : مرفوعة على النصة لية الزلف . (١١) اللاب : الزعفران .

الهُوسَى فِي طُلُوعِ تِلْكَ النُّجُومِ وَالْمَنَى فِي هُبُوبِ ذَلِكَ النِّسيمِ (١)
 مَرَّتَا عَيْشُنَا الرَّيْقُ الْمَوَائِي لَوْ يَدُومُ الْمُرُورُ لِلْمَسْتَدِيمِ
 وَطَرَّتَا مَا انْتَفَضَى إِلَى أَنْ تَقْضَى زَمَنٌ، مَا ذِمَامُهُ بِالذِّمِيمِ
 إِذْ خَتَمَ الرِّمَاءُ الْمُسَوِّغَ مِنْكَ وَمِزَاجَ الْوِصَالِ مِنْ تَسْنِيمِ
 وَغَيْرِ بَعْضِ الدَّلَالِ غَضُّ جَنَى الصَّبْوَةِ، نَشْوَانُ مِنْ سَلَاةِ النِّعَمِ
 طَالَمَا نَافَرَ الْهُوسَى - مِنْهُ - غَيْرٌ لَمْ يَطْلُنْ عَهْدُ جِيدِهِ بِالنِّعَمِ

* *

أَيُّهَا الْمَوَاضِي يَظْلِمُ اللَّيَالِي لَيْسَ يَوْنِي بِوَاجِدٍ مِنْ ظُلُومِ
 قَمَرُ الْأَفْقِ - إِنْ تَأَمَّلْتَ - وَالشَّمْسُ مَهْمَا يُكْسِفَانِ دُونَ النُّجُومِ
 وَهُوَ الْأَهْرُ لَيْسَ يَنْفَكُ يَنْحُو - بِالْمَصَابِ الْعَظِيمِ - نَحْوُ الْعَظِيمِ

* *

يَوَّاهُ اللَّهُ «جَهَوْرًا» مَرَرَفَ السُّو دَدٍ فِي السَّرُّو وَاللَّبَابِ الصَّيْمِ
 وَاحِدٌ سَلَّمَ الْجَمِيعُ لَهُ الْأَمْرَ، فَكَانَ الْمُخْصُوصُ وَفَقَ الْمُتَّوَمِ
 قَلَدَ الْقَمَرُ ذَا التَّجَارِبِ فِيهِ، وَأَكْتَفَى جَاهِلٌ بِمِلْمِ الْعَلِيمِ
 خَطَرٌ يَقْتَضِي الْكِمَالَ، يَنْوَعِي خُلُقِي بَارِعٍ وَخَلْقٍ وَسِيمِ

* *

أَيُّهَا ذَا الْوَزِيرِ: هَا أَنَا أَشْكُو، وَالْمَصَا بَدَّهَ قَرْنَهَا لِلْعَلِيمِ
 مَا عَنَانَا أَنْ يَأْتِيَ السَّائِقُ الْمَرْ بَطَّ فِي الْعَيْتِ مِنْهُ وَالْطَّلِيمِ
 وَبَقَاءَ الْحَسَامِ - فِي الْجَفْنِ - يَقْنِي مِنْهُ بَعْدَ الْمَضَاءِ وَالْتَعْنِيمِ

أَقْعَبَرُ مِثْنِ خَمْسًا مِنَ الْأَيَّامِ ۚ نَاهِيكَ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ۚ
وَمُعْتَى - مِنَ الْعُنَى - يَهْتَاتِ ۚ نَكَاتٍ بِالْكُلُومِ قَرَحِ الْكُلُومِ
سَقَمٌ لَا أَعَادُ فِيهِ، وَفِي الْمَاءِ ۚ يُدِ أَنْسُ يَنْفِي يَبْزُهُ السَّقِيمِ
فَارُ بَنِي، سَرَى - إِلَى جَنَّةِ الْأَمْنِ - لَفَاطَهَا، فَأَصْبَحَتْ كَالْعَصْرِ
يَأْبَى أَنْتَ - إِنْ تَشَأْ - تَكُ بَرْدًا ۚ وَسَلَامًا، كَنَارِ إِبْرَاهِيمِ
لِلشَّيْبِيعِ الشَّاهِ، وَالْحَمْدُ فِي صَوْنِ ۚ بِ الْحَيَا - لِلرَّيَّاحِ، لَا لِلْغَيْمِ
وَرَعِيمٌ بِأَنْ يُدَلِّلَ - إِلَى الْمَنْصَبِ - مَتَابِي إِلَى الْهَمَامِ الزَّعِيمِ
وَوِدَادٌ - يُسِيرُ الْدَهْرُ مَا شَاءَ ۚ - وَيَتَّقِي بَقَاءَ عَهْدِ الْكَرِيمِ
وَتَنَاءُ أَرْسَلْتُهُ سَلَوَةَ الظَّأِ ۚ مِنْ عَن شَوْقِهِ، وَلَهْوِ الْمُقِيمِ
فَهَوَ رِيحَانَةُ الْجَلِيسِ - وَلَا فَخْرَ - وَفِيهِ مِرَاجُ كَأْسِ النَّدِيمِ
لَمْ يَزَلْ مُضْغِيًا - عَلَى هَقْوَةِ الْجَا ۚ فِي مُعْجَا إِلَى احْتِذَارِ الْكَرِيمِ
وَتَنَى تَبَدُّ الصَّيْفَةِ يُورِلُكَ تَحَامُ الْخِصَالِ بِالتَّشِيمِ
وَقَالَ الْأَحْنَفُ بْنُ قَبَسٍ :

« لَيْسَ دَهْرِي بِوَاحِدٍ مِنْ ظُلُومٍ ۚ وَبَلَاءٍ مِنْ حَادِثٍ وَقَدِيمِ
لَيْسَ يُسْتَكْرَى النُّحُولُ لِلْثَلِي، جَسَدِي مُبْتَلَى بِقَلْبٍ مَشُومٍ . »

هَآكِهَآ - أَعَزَّكَ اللَّهُ - يَسْطُطُهَا الْأَمَلُ، وَيَقْبِضُهَا الْخَبَلُ، لَهَا ذَنْبُ التَّغْيِيرِ،
وَحَرَمَةُ الْإِخْلَاصِ، فَهَبْ ذَنْبًا لِحَرَمَةِ، وَأَشْفَعْ نِعْمَةً بِنِعْمَةٍ، لِيَتَأَنَّى لَكَ
الْإِحْسَانُ مِنْ جِهَاتِهِ، وَتَسَلُّكَ إِلَى الْفَضْلِ مِنْ طُرُقَاتِهِ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

إلى المظفر^(١)

« وكتب إلى المظفر سيف الدولة أبي بكر بن الأفلح ،

صاحب بطليوس ، وضمنها قصيدة أولها :

ليض الطلى ، ولسود الملم

بغلى - مذبذب عنى - لم »

لَمَّا لَبَسَ الْحَاجِبُ - أَعَزَّهُ اللَّهُ - رِذَاءَ الْمَجْدِ مُطْلَعًا ، وَحَمَلَ لَوَاءَ الْحَمْدِ

(١) كن المظفر من أعظم ملوك الطوائف . وكان أحرص الناس - كما يقولون - على جمع علوم الأدب ونوادر الأخبار وعيون التاريخ ، وقد ألف كتاباً كبيراً - في الأدب - في عشرة أجزاء ضخمة ، وقد دوى « بطليوس » بعد موت أبيه « عبد الله بن مسلمة » المعروف بأبي الأفلح وقد استبد « عبد الله » هذا بملك سنة ٤٣١ هـ - بعد قتلته بنى أمية بالأندلس - فلما مات أصغبه ابنه « أبو بكر المظفر » وعظم أمره وبه شأنه ، ولم يزال بها حتى مات سنة ٤٦١ هـ . وخلفه عليها ابنه المتوكل حتى قتله يوسف بن تاشفين سنة ٤٨٥ هـ . وقد كان ابن هداد يخرجه بفتح - فيما يقولون - وكان المتوكل قد قدم راحة في صناعة النظم والتفرغ مع شجاعة مفرطة وفروسية ذمة ، وقد رثاه ابن عبدون بقصيدته المعهودة ، وهي :

« الدهر يفتح - يد العين - ولا تفر - لها اليكاه على الأشباح والصور
أنهاك أنهاك لا آتوك موعظة - من نومة بين ثاب الليث والمظفر
فانهر حرب - ولا أبدي مسألة - والبيض والسود مثل البيض والسمر
ولا هوادة بين الرأس - تأخذه - يد الضراب - وبين الصارم القدر
فلا تفر - من ديك - نومتها ، فما صناعة عيها سوى السهر
ما ليالي - أقال الله صغرتا - من الليالي ، وخانتها يد النسيم -
في كل حين لها - في كل جارة - من جراح ، وإن زادت من البحر
تسر بالشيء ، لكن كي تفر به - كلام تار إلى الجاني من الزهر
كم دولة - فتمضت والتصر عظمها - لم تبق منها ، وسل ذكرك من خبر
هوت بدارا ، وفك قرب لانه - وكان ضياءاً - على الأملاك - ذا أثر
واسترجعت - من بين ساسان - ما وهبت - ولم تمنع - لبي يونان - من أثر
وأثبت أختها طمعا ، وطاد على - عاد وجرح منها ناقض المررد
وما أقال ذوى الجاني - من عين - ولا أبارت ذوى القليلات من مضر
ومزقت سباً - في كل فامية - لما التقى رايح منهم ببصكر
وأهنت على كليب - حكمها ، وورمت - مهلهلا بين سبع الأرض والبحر

مُثَلَّنًا، فَاسْتَظَارَ بَارِقُ فُخْرِهِ، وَأَسْتَفَاءَ فَاتِحُ ذِكْرِهِ، وَثُبِرَتْ عَظَمَتُهُ عَلَى كُلِّ لِسَانٍ، وَسَارَتْ مَأَرَتُهُ مَسِيرَ الشَّمْسِ بِكُلِّ مَكَانٍ، لِمَا سَوَّغَ مِنْ كَرَمِهِ،

ولم ترد - على الضليل - محله
ودوخت آل ذيفت وإخوتهم
والفت بصدى - بالفرار - على
وأهلك «أبرويزا» بانه وورمت
وبقت «يزد جرد» العين واخرزت
ولم ترد مواضي «رسم» وقتا
يوم القليب بنو بدر فتوا وصى
ومرقت «جفرا» بالبيض واخرزت
وأعرفت بحبيب - فوق فارعة -
وخضبت شيب شيان دما ، وخطت
ومارعت - لأبي البقائل - محبة
وأجرت سيف أشقادا أبا حسن ،
وليتها - إذ فنت مرأ بشارجة -
وفي ابن هند وفي ابن المصطفى «حسن»
فبضنا فائق : « ما افتله أحد »
وأردت ابن زياد بالحسين ، فلم
وصمت - بالظلي - فودي أبي أنس ،
وأخرزت مصباً - من رأس شاهقة -
ولم تراب مكان ابن الزبير ، ولا
وأحلت - في لحيم الجن - حبشها ،
ولم تدع - لأبي القيث - فاقبه ،
وأخرزت شلو «زبد» بعدما احرقت
وأظفرت بثوليد - بن اليزيد - ولم
« حباة » حب وملفت أتيح لها ،
ولم تمد قصب السفلح ثانية
وأبكت دمة الروح الأمين على
وأخرزت جفراً - والفضل ينظره -
وأخرزت في الأمين المهد ، وانتدبت
وما وفيت جهود للستين ، ولا
وأوتعت في - عراها - كل مستعد ،

ولا فنت أسداً عن ربا حجر
عبأ ، وخصت بن بدر على التبر
يد ابته أحر العين والشعر
يزد جرد لل « سرو » قلم بحر
عن سوي القوس - جمع الترك والخزر
« ذى حجب » عنه سحفا فابته القبر
قليب بدر - بمن فيه - إلى سفر
- من قبله - « حزة » الظلام الجزو
وألصقت « طلحة » النباض بالفر
للى الزبير ، ولم تستحي من مهر
ولم تزوده إلا النفيح في القبر
وأمكن - من حين - راحق شعر
فنت علياً بن شادن من البدر
أنت بمضلة الألباب والفكر
وبضنا ساكت لم يوت من حجر
يزو بشع له - قد سالح - أو ظفر
ولم ترد الردى عنه فنا « زفر »
كانت بها مهجة الختار في وزو
راحت ميلفته باليت والمجر
واستوسقت لأبي القيث ذى البجر
ليس العظم لها « مرو » ينتشر
- عليه وجداً - ثوب الأي والصور
تبق الخلافة بين الكاس والوتر
و « أحد » خطته نقصة القطر
عن رأس مروان أو أشياعه القبر
دم بلغ لآل المصطفى حنو
والشيخ يحي برقى الصارم الذكر
لجفر بانه والأعبد القدر
بما تأكد للفر من مر
وأخرزت - بحدانها - كل مقتدر

وَأَسْبَغَ مِنْ نَعْمِهِ، وَوَسَّأَ - لِلْأَمَلِينَ - مِنْ أَكْثَافِهِ، وَهَزَّ - إِلَى الرَّاعِيَيْنِ - مِنْ
أَعْصَافِهِ، وَرَفَرَفَتْ أَجْنِحَةُ الْأَهْوَاءِ إِلَيْهِ، وَأَهْتَزَّتْ جَوَازِحُ الْأَمَالِ إِلَيْهِ،

وودعت كل مأنون ومؤمن ، وأسفلت كل منصور ومنصر
وأصرفت آل عباد - لأهلهم - بذيل زياء لم تنفر من القمر

بشبه

بني الظفر - والألیم ما برحت - واورى منها على سفر
سحفا ليومكم يوماً ، ولا حلت - بشبه - ليله في مقل القمر
من للأسرة ؟ أو من للأضفة ؟ أو - يهديها إلى التنفر
من لظي ؟ وحوالي الخط قد طغت - أطراف أنفها - بالي والحمر
وطوقت - بالنفيا السود - ييفهم
من للبراعة ؟ أو من للبراعة ؟ أو - من السحابة ؟ أو قطع والضرر ؟
أو دفع سكاره ؟ أو ودع آذنه ؟ أو - وقع حادثة عسي على القدر ؟
وبع السباح ووجع لباس - لو سلب - وحرة الدين والدنيا على حمر
سفت ترى الفضل والعباس حامية - تزي إليهم - ساجا - لا إلى للطر
ثلاثة ما رأى العصور مثلهم - فغدا - ولو عززا بالشمس والقمر
ثلاثة ما ارتقى النيران حيث دفروا - وكل ما طار - من سر - ولم يطر
ثلاثة كذوات المهر - منذ نأوا - حتى - متى المهر لم يبرع ولم يمر
وسر - من كل شيء - فيه أظيه - حتى التبع بالأصا والبعكر
أين الجلال الذي غطت بهابه - فلوينا وحيوت الأنهم الزهر ؟
أين الإباء الذي أرسوا قواعد - على دعائم من عز - ومن ظفر
أين الوفاء الذي أسفوا أشرافه - ظم يرد أحد منها على سكدر
كانوا رؤاس أرض الله - منذ نأوا - ضها - استطارت من فيها لم تمر
كانوا مصايحها ، فذ خيوا هزرت - هذي الخليفة - يا الله - في سدر
كانوا شجي المهر ، فاستهوتهم خدع - منه بأحلام عاد في خطي المخر
ويل انه من طوب التار مفركه - منهم بأسد سراه في الوحي صبر
من لي - ولانهم - لأن أظلت نوب - ولم يكن ليها يفضي إلى سر ؟
من لي ومن بهم إن عطلت سكت - وأختفت ألسن الأكار والسير ؟
من لي ومن بهم إن طبقت عن - ولم يكن وودعا يفضي إلى صبر ؟
على الفضائل - إلا المير - بدمع - سلام مرعب للأجر منتظر
يرجو عسى ، وله في أنفها - أمل - والدهر ذو عقب شق وذو غير
قرطت أذانت من نيا بافحة - على المسال حتى اليافوت والدور .

وَكَثُرَ التَّأْيُرُ عَلَى تَقْيُوتِهِ ، وَالتَّنَافُسُ فِي الْأَعْيَاقِ بِحَبْلِهِ ، وَكُلُّ اسْتَفْرَغٍ
جَهْدُهُ ، وَتَرَسَّلَ عَلَى حَسَبِ مَا عِنْدَهُ ، وَلَا غَرَوَ أَنْ يُسْتَمَطَرَ النِّعَامُ ، وَيَكْتَرُ
- فِي الْمَشْرِبِ الْمَذْبِ - الرَّحَامُ ^(١) .

وَمَا زِلْتُ - أَنْفَى اللَّهِ الْحَاجِبِ - أَتَلَقَّى مِنْ مَسَاعِيهِ لِلشُّكُورَةِ ، وَيَقْرَعُ
تَمَعِي بِمَآثِرِهِ الْمَآثُورَةِ ، مَا هُوَ أَزْدَى مِنْ مُبْلُوغِ الْأَمَلِ ، وَأَشْنَى مِنْ اخْتِلَاسِ
الْقَبْلِ ، وَأَعْضُ مِنْ جَنَى الرَّهْرِ ، وَمَا هُوَ أَلْطَفُ مِنْ نَسِيمِ السَّحَرِ ، حَتَّى أَثْقَدْتُ
نَفْسِي فِي زِمَامِ التَّامِيلِ وَالْمُودَّةِ ، وَتَاوَعْتُ إِلَى الْأَخْذِ بِحِظِّ مِنَ الْأَعْيَاقِ
وَالْمَازَجَةِ ، وَفَطَرْتُ إِلَى مَا دُونَ ذَلِكَ مِنْ أَسْبَابِ الْبُعْدِ الْمَانِعَةِ ، وَأَمْتَدَادِ
التَّائِيِ الْمُتَرَمِّصَةِ ، فَتَقَضَّضْتُ طَرْفَ الْخَيِّتَةِ ، وَطَوَيْتُ كَشْحًا عَلَى الْيَأْسِ مِنْ
دَرْكِ الْأُمْنِيِّ ، إِلَى أَنْ نَدَبَنِي الْأَدِيبُ « أَبُو فُلَّانٍ » إِلَى مُخَاطَبَتِهِ ، وَحَرَمَنِي عَلَى
مُكَاتَبَتِهِ ، وَنَبَّهَنِي عَلَى مَا فِي التَّشَاوُلِ - عَنْ مُدَاخَلَتِهِ - مِنَ التَّضْيِيعِ الصَّرِيحِ ،
وَالْتَقْصِيرِ الْبَيْنِ الصَّحِيحِ ، إِذْ هُوَ أَشْنَى عَلَيَّ غَوْلِي فِيهِ ، وَأَقْسُ ذُخْرِ نُوفَسِ
فِيهِ ، فَطَرَبْتُ - إِلَى ذَلِكَ - كَمَا طَرَبَ الدُّشُونُ مَالَتْ بِهِ الْخَمْرُ ، وَأَهْتَرَزْتُ كَمَا
أَهْتَرَزَتْ - تَحْتَ الْبَارِحِ ^(٢) - الْفُصْنُ الرُّطْبُ ، وَرَأَيْتُ شُكْرِي يَدُ الْعِلْيَاءِ فِيمَا حَتَّى
إِلَيْهِ ، وَحَضَّنِي عَلَيْهِ ، بِمَا فِيهِ حِلْيَةُ الْفَخْرِ ، وَمَكْرَمَةُ الدَّهْرِ ، أَنْ اسْتَفْتَحَ
بَابَ الْمُسَاكَنَةِ بِالشَّعَاعَةِ ، وَأَنْتَهَجَ طَرِيقَ الْمُخَاطَبَةِ فِي الْعِنَايَةِ بِهِ ، وَتَبَيَّنْتُ - بَعْدَ
ذِمَامِ الطَّلَبِ ، وَخَرَمَةِ الْوُدِّ وَالْأَدَبِ - مَا اسْتَقْصِرُ نَفْسِي مِمَّا أَنْتَقَدَّمَ فِي

(١) يشير إلى اللؤلؤ المصهور : « للورد المذهب كثير الرحام » .

(٢) ربح بارح - ربح شديدة .

خِدْمَتُهُ وَرَغْبَتُهُ قَلْبِي ، وَقَدْ تَأَخَّرَ قَدَمِي ، وَبَعْدَ الْأَقْصَارِ بِنَيْبَةِ كِتَابِي ، دُونَ
أَنْ أَرْمِ إِلَيْهِ رِكَابِي ، وَهُوَ قَتَى نَامَ جَدُّهُ ، وَأُسْتَقْبَطَ حَدُّهُ ، فَتَكَرَّرَ الزَّمَانُ لَهُ ،
وَأَعْتَرَتْ الْأَيَّامُ لَهُ ، بَيْنَ ذُنُوبِ سَعْيَاةٍ عَوَتْ عَلَيْهِ ، وَعَقَارِبِ وَشَايَةِ دَبَّتْ
إِلَيْهِ ، وَأَصْلَى بِنَارِ حَرْبٍ لَمْ يَخْنِهَا ، وَآلَ بِهِ الْأَمْرُ إِلَى فِرَاقٍ أَجَبْتِهِ ، وَالْبُعْدُ
عَنْ مَسْقَطِ رَأْسِهِ ، وَمَمْلَكَةِ تَمَاعِهِ ، عَلَى ضَيْقِ خَالِهِ ، وَضَنْفِ إِحْسَانِهِ ،
وَأَشْهَدُ أَنْ ذَلِكَ لَمْ يَزِدِ الْحَاجِبَ إِلَّا وِلَاةً ، وَعَلَيْهِ الْإِثْمَةُ ، وَأَنَّهُ لَا يَزَالُ
يُمِيدُ شُكْرَهُ وَيُنْدِيهِ ، وَيَنْشُرُ حَمْدَهُ وَيَطْوِيهِ ، وَالْحَاجِبُ - أَدَامَ اللَّهُ إِهْرَازَهُ -
وَلِيَّ بَاعْدَانِهِ عَلَى زَمَانِهِ الْعُشُومِ ، وَأَمَلِي بِإِنْصَافِهِ مِنْ دَهْرِهِ الظُّلُومِ ، بِالْبَاسِ
مِنْ جَمِيلِ رَأْيِهِ مَا عَرَى مِنْهُ ، وَإِرَادِهِ مِنْ شَرِيعَةِ رِضَاهُ مَا حُلِيَ عَنْهُ ،
وَالْتَّعْلِيَةِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْأَفْقِ الْبَدْيِ لَمْ يَرْكُوكْ سَعْدُ الْإِفْيَةِ ، وَلَا تَلَقَّى
نَسِيمَ حَيَاةِ الْإِمْنَةِ ، فَإِنَّهُ يَمَّا يُؤَلِّفُهُ مِنْ إِحْسَانِهِ ، وَيَأْتِيهِ مِنَ الْفَضْلِ فِي شَانِهِ ،
مُسْتَجْزِلُ شُكْرِ مَنْ أَنْهَضَهُ لِسَانُ ، وَأَسْتَقْلَ بِهِ يَكُنْ ، وَهُوَ أَهْلُ الْفَضْلِ ،
وَالْمَعْهُودُ مِنْهُ كَرَمُ الْفِعْلِ ، وَانَّهُ يُنْقِيهِ وَيُعْلِيهِ ، وَهُوَ حَسْبُهُ وَحَسْبِي فِيهِ .

وَلَمَّا أُطْرِدَ هَذَا الثَّرَى بِحُسْنِ أَنْصَافِهِ ، وَلَذِيذِ مَذَاقِهِ ، هَزَّتِ النَّظْمُ أَرْجَحِيَّةُ
جُذِبَ لَهَا بِنَانِهِ ، وَعَارَصَتْ بِهَا فِي مَيْدَانِهِ ، وَأَبَتْ أَنْ يَنْفَرِدَ الثَّرَى بِلِقَاءِ
الْحَاجِبِ وَمُشَافَهَتِهِ ، وَتَسْتَدِ بِأَنْ تُلَمَحَ غَرْمَتُهُ ، وَتُحْدَمَ بِالْحُضُورِ حَضَرَتُهُ ،
فَأَثَبَتْ مِنْهُ مَا إِنْ أَنْتُمْ عِنْدَ تَصَفُّحِهِ بِالصَّفْحِ عَنِ الزَّلَلِ الَّذِي يَمْرُضُ فِيهِ ،
وَالْخَلَلِ الَّذِي يَبْدُو مِنْهُ ، وَصَلَ الثَّمَّةَ بِمِثْلِهَا ، وَقَرَنَ الْعَارِفَةَ بِشَكْلِهَا .

لَيْبِضُ الطَّلَى وَلِسُودِ اللَّحْمِ بِسَقْلِي - مُذِنٌ عَنِّي - لَمْ^(١)

فَنِي نَاطِرِي - عَن رَشَادِي - عَمِي ،
 قَصَّتْ بِشَامِي - عَلَى الْعَادِلِينَ -
 قَا سَقَمْتُ لِحَطَاتِ النُّيُ
 يَلُومُ انْطَلِي عَلَى أَنْ أَجَنَ
 وَمَا ذُو التَّذَكُّرِ يَمْنُ يَلَامُ
 وَفِي أُذُنِي - عَن مَلَامٍ - صَمَمٌ ^(١)
 شُمُوسٌ مُكَلَّلَةٌ بِالْأُظْلَمِ
 نِ إِلَّا لِتُغْرِبَنِي بِالسَّقَمِ
 وَقَدْ مَزَجَ الشَّوْقُ دَمْعِي بِدَمِ
 وَلَا كَرَمُ الْعَهْدِ مِمَّا يُدَمِّ

وَإِنِّي أَرْأَحُ إِذَا مَا الْجَنُودُ ^{بِهِ}
 وَأَصْبُو لِيَرَفَانَ عَرَفَ الصَّبَا
 وَمِنْ طَرَبٍ عَادَ نَحْوُ «الْبُرُودِ»
 أَمَا وَزَمَانٍ - مَعَى عَهْدِهِ
 قَفَى بِالصَّبَابَةِ ثُمَّ أَتَقَفَى
 لِيَالِي نَامَتْ عُيُونُ الْوُشَا
 وَمَاتَتْ عَلَيْنَا عُصُونُ الْهُتَى
 وَأَيُّمُنَا مَذْهَبَاتُ الْبُرُودِ
 كَانَ «أَبَا بَكْرٍ» الْأَسْلَمِي أُجْرَى عَلَيْهَا فِرْنَدُ الْكَرَمِ
 وَوَشَحَ زَهْرَةَ ذَلِكَ الزَّمَانِ
 هُوَ الْحَاجِبُ الْمُغْتَلِي لِلْعَلَا
 مَلِكٌ - إِذَا سَابَقَتْهُ الْمُلُوكُ -
 فَاطَرُهُمْ - بِالْأَيَادِي - يَدَا ،
 بُ رَاحَتْ بِرِيًّا جَنُوبِ الْعَلَمِ
 وَأَهْدَى السَّلَامَ إِلَى «ذِي سَلَمٍ»
 قِ «أَجْهَشْتُ لِلْبَرَقِ حِينَ أَبْقَسَمِ
 حَمِيداً - لَقَدْ جَارَ لَمَّا حَكَمِ
 وَمَا أَتَمَّلَ الْأَنْسُ حَتَّى أَنْصَرَمِ
 قِ قَنَّا ، وَقَيْنُ الرُّضَى لَمْ تَمِ
 فَأَجَنَتْ غَارَ الْمُنَى مِنْ أَمَمِ
 رِقَاقُ الْحَوَائِي صَوَائِي الْأَدَمِ
 يَمَا حَارَ مِنْ زُهرِ تِلْكَ الشَّيَمِ
 دِمَارِيحَ كُلِّ مُنِيفٍ أَشَمِ
 حَوَى الْخَصْلَ أَوْ سَاهَمَتْهُ مَهَمِ
 وَأَثْبَتَهُمْ - فِي الْمَعَالِي - قَدَمِ

(١) قال ابن هاني الأندلسي :

« وفي جرّى - عن سواكم - عَمِي ، وفي أُذُنِي - عن سواكم - صَمَم . »

وَأَرْوَجَ، لَا مُتَمَنِّيَ رِفْدِيهِ يَحْيَبُ، وَلَا جَارُهُ يُتَقَمِّمُ
ذُلُّكَ الدَّمَائِمَةُ مَصْبُ الْإِبَاهِ تَقِيفُ الْعَزِيمِ إِذَا مَا أُعْتَرِمُ
تَمَّا لِلْمَجْرَةِ - فِي أَفْقِهَا - فَجَرَّ عَلَيْهَا ذُبُولُ الْهَمِّ
وَنَاصَتْ مَسَاعِيهِ زُهْرُ الثُّجُومِ وَبَارَتْ عَطَايَاهُ وَطَفَ الدِّيمُ
نَهَيْكَ - إِذَا جَنَّ لَيْلُ الْعَبَاجِ - سَرَى مِنْهُ فِي جُنْحِهِ بَدْرُ تِيمِ
فَتَنَامُ السُّيُوفُ بِهَامِ الْكُمَاةِ وَرَوَى الْقَتَا فِي نُحُورِ الْبُهْمِ
جَوَادُ ذَرَاهُ مَطَافُ الْمَقَادِ وَنَمْنَاهُ رُكْنُ النَّدَى الْمُسْتَلَمِ
يَسْجُ التَّلَالُ بِهِ وَالشُّوَا لَ لَيْثًا هَضُورًا وَبَحْرًا خِصَمِ
شَهِدْنَا، لَا وَفَى قَعْلُ الْخِطَابِ وَخُصَّ بِفَضْلِ النُّهَى وَالْحِكَمِ
وَهَلْ قَاتَ شَيْءٌ مِنَ الْمَكْرُمَاتِ جَرَى انْسِيْفُ يَطْلُبُهُ وَالْقَلَمِ

وَمُسْتَعْمِدُ يَكْرِيمِ الْفَعَا لَ - عَفْوًا - إِذَا مَا اللَّثِيمُ اسْتَدَمَ
شَمَائِلُ تُهَجَّرُ عَنْهَا الشُّوُلُ وَتَحْنُ لَهَا مُشْجِيَاتُ النَّعَمِ
عَلَى الرُّوضِ مِنْهَا رُؤُوسُ يَرْوُقُ وَفَى الْمِسْكَ طِيبُ أَرْيَجِ يُشَمِّمُ

أَبْوَةُ النَّيِّ فَلَّ غَرْبَ الضَّلَالِ وَلَا مَ شَعَبَ الْهَدَى قَالَتَانِ
وَلَا ذَا بِهِ الدِّينُ مُسْتَضْمًا يَذْمُهُ أَبْلَجُ وَافِي الدِّمَمِ
وَبَاهَدَ - فِي اللَّهِ - حَقُّ الْجَاهِ دِ مَنْ دَانَ - مِنْ دُونِهِ - بِالصَّمَمِ

فَلَا سَائِيَ الْعَرْفِ إِلَّا أَذَكْ وَلَا شَائِعَ الْأَنْفِ إِلَّا رَغَمَ
تَقِيلَ فِي الْعِزِّ - مِنْ حِمِيرٍ - مَقَاوِلَ عَزَا جَمِيعِ الْأَتَمِ
هُمْ نَشُوا الْمَلِكَ حَتَّى اسْتَقَلَّ وَهُمْ أَظْلَمُوا الْخَطْبَ حَتَّى أَظْلَمَ
نُجُومُ هُدَى - وَالْمَالِ بُرُوجُ - وَأَسْدُ وَغَى وَالْعَوَالِي أَجَمَ

* * *

« أَبَا بَكْرٍ » اسْتَمَّ عَلَى الْحَادِثَاتِ ، وَلَا زِلَتْ - مِنْ رَيْنِهَا - فِي حَرَمِ
أَنَادِيكَ - عَنْ مِقَّةٍ - هَهْهَآ كَمَا وَشَتِ الرُّوضُ أَيْدِي الرَّهَمِ
وَإِنْ يَعْذُرْنِي عَنْكَ شَخْطُ النَّوَى فَعَطَى أَحْسَنَ وَفَضَى ظَلَمَ *
وَإِنِّي لَا صُنْفِكَ تَحْضَ الْهَوَى وَآخِي - يُعَذِّدُكَ - بَرْحَ الْأَلَمِ
وَفَيْرُكَ أَخْفَرَ هَهْ السَّامِ إِذَا حُسْنٌ ظَنَى عَلَيْهِ أَدَمَ

* * *

وَمُنْتَشِفِجِ بِي ، بَشَرَتُهُ - عَلَى قِفَّةٍ - بِالنَّجَاحِ الْإِتَمِ
وَقِدْمَا أَقْلَتِ الْمُسَى الْعِثَارَ وَأَحْسَنْتَ بِالصَّفْعِ - عَمَّا أَجَرَمَ
وَعِنْدِي لِشُكْرِكَ تَعْلَمُ الْمُقُودِ تَنَاسَقُ فِيهَا اللَّالِي الثُّومِ
نُجْدٌ لِفَخْرِكَ بُرْدَ الشَّيَابِ إِذَا لَبَسَ الدَّهْرُ بُرْدَ الْهَرَمِ
فَمِنْ مُنْعَمًا يِفْقَاحِ الشُّعُودِ وَدُمَ نَاعِمًا فِي ظِلَالِ النِّعَمِ
وَلَا يَزَلِ الدَّهْرُ ، أَيْلَهُ لَكُمْ حَقَمٌ ، وَالْإِيَالِي خَدَمَ

هَذَا أَمَرَ اللَّهُ الْحَاجِبَ مَا أَقْتَنَمْتَهُ الْقَرِيحَةَ مَعَ أَخْضَانِهَا ، وَأَجَابَهَا بِه
 الْبَدِيهَةِ عِنْدَ أَسْتِدْمَانِهَا ، وَالنَّهْنُ ^(١) عَلِيلٌ ، وَالطَّبْعُ كَلِيلٌ ، وَالرَّوِيَّةُ قَاسِدَةٌ ،
 وَسُوقُ الْأَدَبِ - إِلَّا عِنْدَهُ - كَاسِدَةٌ ، وَلَوْ أَنِّي أُوتَيْتُ - فِي النَّثْرِ - غَزَاةَ صَمِيرٍ ،
 وَبِرَاقَةِ ابْنِ سَهْلٍ ، وَأَمْدَدْتُ - فِي النُّظْمِ - بِنُظْمِ الْبُخَيْرِيِّ ، وَصِنَاعَةِ الطَّائِي ^(٢)
 لَمَا رَزَدْتُ - إِلَى الْحَاجِبِ - إِلَّا مَا أَخَذْتُ مِنْهُ ، وَلَا أُورَدْتُ عَلَيْهِ غَيْرَ مَا صَدَرَ عَنْهُ ،
 وَلَا أَفْزَدْتُ مَا أَفْزَدْتُ إِلَّا سِنَّ أَمَلٍ يَنْسُطُ ، وَخَجَلٍ يَقْبِضُ ، فَرَأَيْتُهُ مُوَفَّقٌ فِي
 أَنْ يَمْتَنِعَ مَا بَعَثَ الْأَمَلُ إِسْمَافًا ، وَمَا أَوْجَبَ الْحَجَلُ إِغْضَاءً ، لِثَانِي الْإِحْسَانِ مِنْ
 جِهَاتِهِ ، وَيَسْلُكُ - إِلَى الْفَضْلِ - طُرُقَانِهِ . وَمَرَّاجَتُهُ لِي عَنْ كِتَابِي بِعَهْدِ كَرِيمٍ يَكُونُ
 كَغُلَا لَيْتِي الرِّمَاءَ بِوَحْيَةِ الْقَوْلِ ، أَهْفُ بِهِ مِنْ تَوَالِي النِّعَمِ عَلَيْهِ ، وَأَتَعْلَمُ
 الْأَحْوَالَ - بِالصَّلَاحِ - لَدَيْهِ - عَلَى مَا تَبَيَّنَ لِي لَهُ نَفْسِي ، وَيَنْتَظِمُ مَعَهُ عَقْدُ أُنْسِي ،
 يَدُهُ عِنْدِي جَنَاحًا شَهْدٌ ، وَشَدَّاهَا عَنَبَرٌ وَوَرْدٌ ، وَرِدَاوُهَا الشُّكْرُ الْجَزِيلُ ،
 وَأَنْبِيهَا النَّتَاءُ الْجَمِيلُ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ .
 وَلِيُتْلَغَ مِنِّي سَلَامًا يُنْدِي إِلَيْهِ نَدَاهُ ^(٣) ، وَنَحِيَّةً أَوْلَاهَا عِنْدِي وَآخِرُهَا عِنْدَهُ .

(١) وفي الأصل : « والغمر » .

(٢) يعني أبا تمام .

(٣) الند (بالفتح) ويكرر : الطيب أو الصبر ، وفي الأصل : « يندى إليه نداءه » .

إلى ابن مسلمة

« وكتب من قرطبة إلى ابن مسلمة بإشبيلية

قبل نحوها إليها : »

يَا سَيِّدِي وَأَرْفَعُ هَدْيِي ، وَأَوَّلُ الدُّخَائِرِ فِي عَدَدِي ، وَأَخْطَرَ عَلَيَّ مَلَأْتُ مِنْ
اُفْتِنَائِهِ يَدِي ، وَمَنْ أَبْقَاهُ اللَّهُ فِي عَيْشَةٍ بَارِدَةِ الظَّلَالِ ، وَبِنِعْمَةِ سَابِقَةِ الْأَذْيَالِ ،
قَدْ تَقَامَرَ الثَّنَاءُ عَلَيْكَ ، وَتَوَالَى الْحَدِيثُ الْحَسَنُ غُنْكَ ، حَتَّى حَلَّتْ مَحَلَّ الْأَمَانَةِ ،
وَكُنْتَ مَوْضِعَ تَقْلِيدِ الْوَطَنِ ، وَثَبَاتِ الْعُلُوبَةِ ، وَاللَّهُ يُتِمِّعُ بِمَا حَازَكَ لَكَ مِنْ
الْخَيْرِ ، وَوَفَّرَهُ عَلَيْكَ مِنْ طَيِّبِ الدُّكْرِ .

فِي عَلَيْكَ - أَعَزَّكَ اللَّهُ - مَا تَقْتَضِيهِ الْمُطْلَعَةُ مِنْ إِظْلَامِ الْخَاطِرِ ، وَصَدِّ النِّفْسِ ،
وَيَحْنِيهِ طَوْلُ الْمُقَامِ مِنْ إِخْلَاقِ الدِّيَابِجَةِ وَإِرْخَاصِ الْقَدْرِ ، وَقَدْ آتَى أَنْ أُجَنِّيَ
تَحْمَرَةً مِنْ آدَابِ أَطْلُتْ الْإِفْتِنَاءُ بِهَا ، وَأَخْلَاقِي أَدْمَتُ رِيَاضَةُ النَّفْسِ عَلَيْهَا ، وَلَمَّا
تَخَفَضْتُ لِلْمُلُوكِ وَجَدْتُ صَبِيرَهُمُ الَّذِي أَنْتَى ^(١) السَّالِفَ قَبْلَهُ ، وَتَقَدَّمَ الْذَاهِرَ مَعَهُ ،
وَأَتَمَّبَ الْغَايِرَ بَعْدَهُ ، الْمُنَاجِبَ فَضْرَ الدَّوْلَةِ مَوْلَايَ أَطَالَ اللَّهُ بَقَاَهُ ، وَكَبَّتْ
أَعْدَاؤُهُ ، مَا خَعَّهَ اللَّهُ بِهِ مِنْ سَيِّئِ الْمَقْدَرِ ، وَتَمَحَّحَ الشَّيْمَ ، وَأَنْتَظَمَ أَسْبَابَ
الرِّيَاسَةِ ، وَكَمَالَ آيَاتِ السِّيَاسَةِ ، وَأَجْتَمَعَ الْمُنَاقِبُ الَّتِي أَوْفَدَتْهُ عَنِ النَّظَرَاءِ ،
وَأَعْلَنَتْهُ عَنْ مَرَاتِبِ الْأَكْفَاءِ ، فَرَأَيْتُ قَبْلَ أَنْ أُحْتَمِلَ لَتَائِزَهُ نِعْمَةً ، أَوْ أَوْسَمَ
بِمَنْ سِوَاهُ بِصِيَمَةٍ - أَنْ أَعْرِضَ نَفْسِي تَمْلُوكَةً عَلَيْهِ ، عَرْضَ مَنْ لَا يَوْمَئِهَا
- لِإِجَارَتِهِ - إِلَّا بِالْأَسْتِجَارَةِ ، وَلَا يَطْلُعُ لَهَا - فِي قُبُولِهِ - إِلَّا بِالْمُسَاعَاةِ ، فَلَوْ
كُنْتُ الْوَلِيدَ بْنَ عُيَيْدٍ بَرَاعَةً نَظُمٍ ، وَجَحْفَرَ بْنَ يَحْيَى بِلَاغَةً نَثَرٍ ، وَإِبْرَاهِيمَ

أَبْنُ عَدِيٍّ طِيبٌ مُجَالَسَةٍ ، وَإِمْتِنَاعٌ مُشَاهِدَةٍ ، ثُمَّ حَضَرَتْ عَجَلَسَةُ الْعَالِي ، لَمَّا كُنْتُ بِسَمَةِ إِحْسَانِيَةِ الْإِفْجَابِ التَّقْصِيرِ ، وَتَحْتِ غَدْرَةِ النُّفْصَانِ ، فَبَرَّ أَنَّهُ لَمْ يَتَقَدَّمْ فِي نَجَابَةِ غُرْسِ الْيَدِ ، وَإِصَابَةِ طَرِيقِ الْمَصْنَعِ ، مِنْ وَلَايَةِ أُخْلُصَهَا وَنَصِيحَةِ أَنْحَضَهَا ، وَشُكْرِ أَجْنِيهِ الْفَضِّ مِنْ زَهْرَانِيهِ ، وَتَنَاهِ أَهْدِي إِلَيْهِ الْمَطَرِ مِنْ نَفْحَانِيهِ ، مِنْهَا مَا سَوَّغَكَ اللَّهُ مِنَ الْمَوْهِبَةِ فِي ذَلِكَ ، وَأَنْهَضَكَ بِأَعْيَاهِ الشُّكْرِ لَهَا ، وَمِنْهَا شَرَفُ مَذْهَبِكَ ، وَكَرَمُ سَعْيِكَ ، وَصِحَّةُ مُشَارَكَتِكَ لِمَنْ لَمْ يَسْتَوْجِبْهَا اسْتِجَابِي ، وَلَا اسْتَدْعَاهَا عِثْلُ أَسْبَابِي ، مِنْ تَدَانِي الْجِدَارِ وَتَصَانِي السَّلَفِ ، وَالْإِتِمَاءِ إِلَى أَسْرَةِ الْأَدَبِ ، فَإِنْ وَافَقَتِ الْمُسَاعَفَةُ الْإِرَادَةَ فَحَظُّ أَقْبَلٍ ، وَعَبْدٌ بَلَغَ مِنْ قَبُولِ سَيِّدِهِ مَا أَمَّلَ .

وَلَمْ أَقُلْ - تَهْرُكُ اللَّهُ - كَمَا قِيلَ فِي النَّجْمَيْنِ ، بَلْ قُلْتُ : « وَقَدْ يَجْمَعُ اللَّهُ الشَّيْئَيْنِ » ، وَإِنْ عَاقَبَ حِرْمَانُ عَادَتُهُ أَنْ يُعَوِّقَ عَنِ الظَّفَرِ ، وَيَسْتَرِضَ دُونَ الْأَمَلِ ، فَأَعْلَمُهُ - أَيْدِي اللَّهِ - أَنِّي فِي حَالِي الْمَطْلَعِ مَعَ غَيْرِهِ وَالتَّصَرُّفِ - وَيَتَوَيَّرُ الْإِنْطِاعَ وَالتَّصَوُّفَ ^(١) ، كَأَلْمَتِي بِالنَّجْمِ حِينَ هَدِمَ ذُكَاؤُهُ ، وَمُسْتَمِرَّ الصَّمِيدِ حِينَ لَمْ يَحِدِ الْمَاءُ .

فَإِنْ أَغَشَى قَوْمًا غَيْرُهُ أَوْ أَرْزَهُمْ فَكَأَلَوْحَشٍ يُدْيِيهِ مِنَ الْأَنْسِ الْمَحْلُ وَهُوَ يَتَوَلَّى بِالْفُسْحَةِ فِي مُعْمَرِهِ ، وَالْإِعْلَاءِ لِأَمْرِهِ ، وَيَصْرِفُ الْأَنْدَارَ مَعَ إِثَارِهِ ، وَيُصْرِفُ وَجْهَ التَّوْفِيقِ إِلَى اخْتِيَارِهِ ، وَلَكَ يَا سَيِّدِي - فِي أَتْدَابِكَ مَا أَتْدَبْتُكَ لَهُ مَا لِلْسَّامِيِّ الْمُنْجِحِ مِنَ الشُّكْرِ ، وَلِلْمُجْتَهِدِ الْبَالِغِ مِنَ الْمَذَرِ ، مِلَاكُ الْأَمْرِ بِتَقْدِيمِ الْمُرَاجَعَةِ بِالْجَوَابِ ، فَأَسْكُنْ إِلَيْهِ ، وَالْجَنَابِ فَأَعْتَمِدْ عَلَيْهِ ، وَأَهْدِي إِلَيْكَ نَدَى الْفَضِّ النَّاصِرِ مِنْ سَلَامِي ، وَالْأَرَجِ الْعَاظِرِ مِنْ تَحِيَّاتِي .

رسالة إلى المعتضد

« وكتب إثر ذلك إلى المعتضد رقة يقول فيها : »

أَمَّا اللَّهُ بِقَاءِ الْحَاجِبِ فَخَرِ الدُّوَلَةِ - مَوْلَايَ وَسَيِّدِي وَمَوْلَى الْمَنَاقِبِ
الْجَلِيلَةِ، وَالضَّرَائِبِ النَّفِيسَةِ - فِي أَكْمَلِ مَا تَكْفُلُ لَهُ يَدٍ مِنْ غُلُوِّ الْقَدْرِ،
وَنَقَازِ الْأَمْرِ، وَأَخْطَاءِ مِنَ النِّعَمِ بِأَسْبَغِهَا سِرًّا بَالًا، وَأَبْرَدِهَا ظِلَالًا، وَأَحْمَدَهَا مَالًا.
كُنْتُ - أَعَزَّ اللَّهُ الْحَاجِبَ - مَوْلَايَ قَدْ كَتَبْتُ إِلَى الْوَزِيرِ أَبِي عَامِرٍ
عَبْدِهِ بِمَا أَفْقَنْتُ أَنَّهُ اتَّعَى إِلَيْهِ، وَأَشْتَمَلَ عَلَيْهِ، فَكَتَبَ الْوَزِيرُ إِلَيَّ بِنُصْحِي
أَسْبَابَهُ بِمَا يَقُومُ مَقَامَ الرُّاجِعَةِ لِي بِمَا يَرْتَفِعُ عَنْ قَدْرِي، وَلَا تُتَسَّعُ لَهُ سَاحَةٌ
شُكْرِي، لِيَعْلَمَ أَنَّهُ مِنَ الْحَاجِبِ - أَيْدَهُ اللَّهُ - مَكْدَرٌ، وَبَعْدَ إِذْنِهِ ^(١) فَقَدْ،
وَالَّذِي عَدَانِي عَنْ أَنْ يَكُونَ الْكِتَابُ فِي ذَلِكَ إِلَى الْحَاجِبِ - أَبْقَاهُ اللَّهُ -
التَّأْدِبُ بِآدَابِ خِصْيَانِ السَّيِّدِ فِي الْإِجْلَالِ وَالْإِعْظَامِ، وَتَرْكِ التَّبَسُّطِ وَالْإِفْدَامِ،
وَقَلْبًا أَسْتَنْتَنَتْ أَوَائِلَ مَطَالِبِ الْأَتْبَاعِ لِحُضْرَةِ الْمُلُوكِ عَنْ وَسَائِلِ تَهْمُهُ لَهَا
وَتَسْتَعِيدُ أَوْقَاتِ الْإِمْكَانِ بِهَا، لِأَنِّي مَا اتَّخَذْتُ إِلَى الْحَاجِبِ - أَدَامَ اللَّهُ غُلُوبَهُ -
فَيْرِ سَيَادَتِهِ ذَرِيعَةً، أَوْ التَّسَنُّتُ إِلَيْهِ إِلَّا مِنْ تَقَاسُفِ نَفْسِهِ شَفَاعَةً، وَأَيْ
مَعْدَى لِيْلِي عَنْ تَقْيُوتِ ظِلَالِهِ، وَالْإِعْتِصَامِ بِحَبْلِهِ. وَصِنَاعَةُ الْآدَابِ كَاسِدَةٌ إِلَّا
عَلَيْهِ، وَطَرِيقُ الْأَمَلِ مُوجِشَةٌ إِلَّا إِلَيْهِ، وَلَا يَدْعُنِي إِلَى اسْتِطْلَاجِ مَا قَبْلَهُ
شَكٌّ فِي كَرَمِهِ، وَلَا سُوءُ ظَنٍّ بِدِمَاحَةِ شَيْعِهِ، بَلْ لَزُومُ الطَّرِيقَةِ فِي التَّوَطُّعِ
لِلطَّلَبِ، وَالتَّذَرُّجِ إِلَى إِحْرَارِ الْأَدَبِ، وَحُسْنِي أَنْ أَتَمِّي قَدْ أَرْتَادَ الْجَنَابَ

الرَّحْبَ، وَالْمَشْرَبَ الْعَذْبَ، وَلَمَّا الْخُطُوطُ سَتُكْشَفُ، وَالتَّوَابِ سَتُصْرَفُ،
إِلَى أَنْ أُبْتَدَ إِلَى أُبْتَدَ غَايَاتِ الْأَمَلِ مِنْ مُشَاهَدَةِ حَضْرَتِهِ الْعَلِيَاءِ، وَالنَّظَرِ إِلَى
غُرَّتِهِ الزَّهْرَاءِ، فَوَاللَّهِ مَا يَتَصَرَّفُ فِكْرِي، وَلَا يَتَصَرِّمُ حِينٌ مِنْ هُمُرِي، إِلَّا
فِي اللَّهِ كَرْلَهُ، وَالشَّوْقِي إِلَيْهِ، وَاللُّثُولِ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَأَنَا أَقْدَمُ الْإِعْتِدَارِ مِنْ
مَهَابَةِ تَمَلُّكَ جَنَانِي، وَحَصْرِ يَكَاذُ يَقْطَعُ فِي أَوَّلِ الْمُسَافَةِ لِسَانِي، فَإِنْ
حَدَّثَ ذَلِكَ فَعُذْرِي عُذْرُ^(١) الْفَضْلِ بْنِ سَهْلٍ وَقَدْ انْقَطَعَ بَيْنَ يَدَيِ الرَّشِيدِ،
فَقَالَ: «يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ! مِنْ قَرَاهَةِ الْعَبْدِ أَنْ تَمْلِكَ قَلْبَهُ هَيْئَةً سَيِّئَةً».

وَسَيُفْضَى - بِمَشِيئَةِ اللَّهِ - إِلَى مَا يَسْتَجِيزُهُ الْحَاجِبُ مَوْلَايَ مِنْ إِمْتِنَاعٍ مَنْ
شَاهَدَ، وَيَسْتَطْرِفُهُ مِنْ أَدَبٍ يَسْتَظْلِمُهُ مِنْ إِجْمَالِ طَلَبٍ، وَجَمَالِ مَذْهَبٍ،
كَمَا أَتَى أَغْلَمُ أَتَى سَاصِلٍ إِلَى مَا لَمْ أَعْهَدْ مِثْلَهُ مِنْ بَهَاءِ مَنْظَرٍ، وَسَنَاءِ مَخْبَرٍ،
وَرِفْعَةِ شَاوِنٍ، وَعِظَامِ سُلْطَانٍ، وَلَعَلَّ السَّعَادَةَ تُهَيِّئُ لِي مِنَ الْخَطِّ مَا أَثْبَتُ بِهِ
مَا أَدْعَيْتُهُ لِنَفْسِي مِنْ هَذِهِ الصِّفَاتِ، وَأُنْجِزُ مَعَهُ مَا قَدَّمْتُ عَنْهَا مِنْ هَذِهِ
الْعِدَاتِ، فَحَوْلُ اللَّهِ فِي ذَلِكَ كَفِيلٌ، وَهُوَ حَسْبِي وَنِعْمَ الْوَكِيلُ، زَادَ اللَّهُ
الْحَاجِبَ مَوْلَايَ مِنْ سَيِّئِ قِسْمِهِ، وَهَيَّئِ نِعْمِهِ، وَبَلِّغْهُ النِّهَايَةَ مِنْ آمَالِهِ.

رسالة من قرطبة

« وَكُتِبَ إِلَيْهِ بَعْدَ أَنْ صَدَرَ مِنْ حَضْرَتِهِ إِلَى قُرْطُبَةِ

رسالة يقول فيها : »

أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَ مَوْلَايَ لِلنَّعْمِ يُطَوِّقُهَا، وَالْأَمَالَ يُصَرِّفُهَا^(٢)، وَالْمَنْزِلَ يُقَلِّدُهَا
وَالْأَحْرَارَ يَسْتَعْبِدُهَا.

(١) في الأصل : « نَعَزَى مِنْ الْفَضْلِ ».

(٢) وفي نسخة النخبة المتولة من النسخة المغربية : « يصدفها ».

يَعْلَمُ الَّذِي أَسْأَلُهُ إِعْزَازَ مَوْلَايَ وَإِغْلَاءَ أَمْرِهِ ، وَصِلَةَ تَأْيِيدِهِ ، وَتَحْكِينَ
نَصْرِهِ ، أُنَى . لَمْ أَزَلْ مِنْذُ قَارَعْتُ حَضْرَتَهُ الْجَلِيلَةَ حَضْرَةَ الْمَجْدِ وَالسَّيَادَةِ ، وَعَمَلِ
الْإِقْبَالِ وَالسَّادَةِ - لِهَجِّ اللِّسَانِ بِمَا حَبَانِي مِنْ نِجَارِ الْحِكْمَةِ وَالنُّشْءِ ، وَأَفَادَنِي
مِنْ عَقْدِ الْأَدَبِ وَالنَّسَبِ ، فَمِنْ كَيْدِ خَالِدٍ تَصَدَّعَتْ ، وَأَفَاسٍ مُنَافِسٍ
تَقَطَّعَتْ ، وَنَاعِمِ الْبَالِ أَسْكَفَتْ بَالَهُ ، وَمَتَمَّنَّ لِحَالِي طَالَمَا تَمَيَّنْتُ حَالَهُ ، وَقَلَمًا
أَفَاكُ أَدْنَى مَكَانَةٍ مِنْهُ ، وَأَذَنِي أَوْلَى دَرَجَةٍ مِنَ الْخُصُوصِ بِهِ ، نَحْسُدُهُ
الْكَوَاكِبُ فِي إِشْرَافِهَا ، وَتَنْحَسِدُ إِلَيْهِ الْأَمَانِي مِنْ أَطْرَافِهَا ، لِعَبِيدِهِ الَّذِينَ
أَنَا آخِرُهُمْ فِي أَخْلِدَمَةِ ، وَأَوَّلُهُمْ فِي شُكْرِ النُّشْءِ ، وَرَزَقَ مِنْ رَحْمَتِهِ مَا
أُتْمَقُضَ ، وَيَسْطُ مِنْ آمَالِهِمْ مَا أَتَقَبَّضَ ، وَلَا يُنْدِمُهُمُ التَّغَلُّبُ فِي نَيْبِهِ ،
وَالْإِعْلَاقُ بِأَسْبَابِ ذِمَّتِهِ ، بِمَجْدِهِ وَكَرَمِهِ ، وَكَانَتْ مِنْ مَوْلَايَ - أَعَزَّهُ اللَّهُ -
إِشَارَةٌ بَلَنَ حِبَارَةٍ أَعَدَّدْتُهَا طَلِيعةً لِسُودِ تَتَوَاقَى طَلَقًا ، وَمُقَدَّمَاتٍ لِمَسَرَاتِ
تَتَوَالِي نَسْتًا ، فَلَمَّا لَحِقَ الْجَنَمُ بَعْدَ تَرْكِهِ النَّفْسَ لَدَيْهِ ، وَالْبَرَاءَةَ مِنْهَا إِلَيْهِ ،
بِالْوَطَنِ الَّذِي أَسْلَفَنِي عَنْهُ ، وَأَسْنَى لِي الْعَوَاضَ مِنْهُ ، تَأَيَّنْتُ مِنْ طَاعَتِهِ
الْمُقَرَّنَةِ بِطَاعَةِ اللَّهِ فِي نَفْسِي تَمْلُوكَتِهِ لِمَا أَنَا مُهْتَأٌ بِهِ مُنَاقَسٌ فِيهِ ، فَسَاعَقْتُ
الْمَارِبَ ، وَأُتْمَحَتِ الطَّلَابُ ، وَلَمْ يَرِنِي تَعَذُّرُ وَجْهِ حَاوِلَتِهِ ، وَلَا عَذَابِي تَبَسَّرَ
أَمْرُ تَتَاوُلَتِهِ ، وَلَمْ تَبْقَ عِلَّةٌ تُسَوِّغُ بِاعْتِرَاضِهَا الْإِعْتِدَارَ إِلَّا مَا يَتَرَاخَى مَا يُمَاوِدُ
أَمْرَهُ ، وَتَجَعَّدُ فِي الْحَرَكَةِ إِذْنَهُ ، وَلَمْ أَسْتَأْذِنْ لَأَنَّ الْإِذْنَ بَعْدَ عَهْدِهِ ، وَلِأَنَّ
الْيَمَادَ لَمْ يُحْكَمْ عَقْدُهُ ، بَلَنَ تَجَبَّنْتُ أَنْ أُدِلَّ بِتَرْكِ الْمَشَاوَرَةِ ، أَوْ أُخِلَّ بِرَسْمِ
الْمُؤَامَرَةِ ، فَلَمَوْلَايَ الطُّوَلُ فِي أَمْرِ الْوَسَاطَةِ عِنْدَهُ بِمُرَاجَعَةٍ اعْتَمَدَ عَلَيْهَا ، وَأَجْتَهَدُ
فِي الْإِتْيَاءِ إِلَيْهَا ، وَأَفْهَ مُبْلَغُنِي الْأَمَالِ مِنْ وَفْقَةٍ بِحَضْرَتِهِ ، وَنَظَرَةٍ إِلَى غُرَّتِهِ ،
وَتَقْيِيلِ لِرَاحَتِهِ ، وَتَصَرُّفٍ فِي سَاحَتِهِ ، فَهُوَ الْمَالِكُ لِلذِّلِّ ، الْقَادِرُ عَلَيْهِ .

من رسالة

« وله من رسالة حلف أبو الحسن هنا أكثرها ولم يذكر إلا قطرة من وابل ، أو فتحة من سحر وابل ، وها أنا مثبتها على توابعها ، إشارة لحسن معانيها ، واستفادة من سنى أدبه فيها ، وهي (١) : »

يَا سَيِّدِي الَّذِي كُنْتُ أَرَاهُ أَعَدُّ عُدْدِي ، وَأَخْصُ جُنَّتِي ، مِنْ زَمَنِي ، وَمَنْ أَبْقَاهُ اللَّهُ فِي أَصْلَحِ الْأَحْوَالِ ، وَأَفْسَحِ الْأَمَالِ .

أَبْدَيْ جَرَى كِتَابِي إِلَيْكَ بِشَرْحِ الضَّرُورَةِ الْخَافِزَةِ إِلَى مَا صَنَعْتَ بِمَا بَلَّغَنِي أَنَّكَ صَدَقَ اللَّامِعَانِ بِي عَلَيْهِ ، وَأَوَّلَ السَّفِيهَانِ الرَّأْيَ فِيهِ ، وَمِنْ أَمْتَالِهِمْ وَيَلُ الشَّجِي مِنْ انْتَلِي ، وَهَانَ عَلَى الْأَمَلْسِ مَا لَاقَى الدَّرْبُ .

وَأَوْسَطَهُ بِمَا تَبَيَّنَكَ عَلَى مَا كَانَ مِنْ أَنْفِعَالِكَ عَنِّي ، وَبَرَاءَتِكَ مِنْ آكِدِ الْمَحَنَةِ مِنِّي ، وَأَنَّكَ لَمْ تَكُنْ فِي وَرْدٍ وَلَا سَدَرٍ مِنْ مُشَارَكَتِي فِيهَا ، وَلَا كَانَتْ لَكَ نَاقَةُ وَلَا جَمَلٌ فِي مَظَاهِرَتِكَ لِي عَلَيْهَا ، مَعَ الْقُدْرَةِ لَكَ عَلَى تَهْوِينِ خَطْبِهَا ، وَتَذْلِيلِ صَعْبِهَا ، وَتَلْيِينِ شَدِيدِهَا ، وَتَقْرِيبِ بَعِيدِهَا ، فَأَرَى صِدْقَكَ الْحَدِيثَ وَمَا ذَاكَ بَخْلًا مِنِّي لِيُحْلِيَ عَلَيْكَ بِالْإِعْضَاءِ أَنْتَ عَيْنِي (وَلَيْسَ مِنْ حَقِّ عَيْنِي) غَضُّ أَجْفَانِيَا عَلَى الْقَدَى (٢) وَإِنَّمَا يُكَاتِبُ الْأَدِيمُ ذُو الْبَشَرَةِ (٣) ، وَالْمَثَلُ السَّائِرُ : يَبْقَى الْوُدُّ مَا بَقِيَ الْقَاتِبُ ، وَقَالَ الْآخَرُ :

(١) ابن بام . (٢) جملة « وليس من حق عيني » ساقطة من الأصل ، وقد أهتمت بما لأن البياض يفضيها ، وهو يشير إلى قول ابن الردي :

« أنت عيني ، وليس من حق عيني غرض أجفاني على الأفق . »

(٣) للناحية : للمادة وبعدة الأدم : ظاهره الذي عليه الشر ، أي إنما يصاد إلى الدباغ من الأدم ماسلت بقرته ، وهو مثل ضرب من إمكان الرجاء والاستعجاب ، وفي الأصل « وإِنَّمَا يُكَاتِبُ الْأَدِيمُ عَلَى الْبَشَرَةِ »

أَبْلَغَ أَبَا مَسْمَعٍ عَنِ مُتَمَلِّئَةٍ وَفِي الْكِتَابِ حَيَاةٌ بَيْنَ أَقْوَامٍ
وَأَخْبَتْهُ بِكَفْلِيكَ مَا كَانَ سَبَبَ الْكِتَابِ ، وَالذَّاعِي إِلَى لَطِطَابٍ ، عَسَاكَ أَنْ
تَتَلَفَى عَوْدًا ، مَا صَنِيعَتْ بَدَا ، وَتَهْتَبِلْ آخِرًا ، مَا أَغْفَلْتَ أَوَّلًا ، فَيَمُودَ عَيْنُ
مَا أَفْسَدْتَ ، وَإِنْ كُنْتَ فِي ذَلِكَ : « كَذَابُهُ وَقَدْ حَلِمَ الْأَدِيمُ » ^(١) فَنَمَتَهُ
الْفُوتَ قَبْلَ الْمَطَبِ .

وَخَيْرُ الْأَمْرِ مَا اسْتَقْبَلْتَ مِنْهُ وَلَيْسَ بِأَنْ تَقْبِعَهُ أَتْبَاعًا
فِي عِلْمِكَ أَنْ سُجِنْتَ مُعَالَبَةً بِالْهَوَى ، وَهُوَ أَخُو الْغَى ، وَقَدْ نَهَى اللَّهُ عَنْ
أَتْبَاعِهِ ، وَذَكَرَ أَنَّهُ يُضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ إِذَا يَقُولُ : « وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ
عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ » . وَقَالَ الشَّاهِرُ :

« إِذَا أَنْتَ لَمْ تَنْصِ الْهَوَى قَادَكَ الْهَوَى إِلَى بَعْضِ مَا فِيهِ عَلَيْكَ مَقَالٌ . »
دُونَ تَأْنٍ نَذَرُكَ بَعْضُ الْحَاجَةِ بِهِ ، أَوْ اسْتِثْنَاتُ ثَوَمُنْ مُوَاقَعَةُ الزُّلَّةِ مَعَهُ ،
بَلْ : « أَوْرَدَهَا سَعْدٌ وَسَعْدٌ مُشْتَمِلٌ . » وَشَهِدَ ابْنُ الْعَشَارِ الْعَاوِي عَنْ الثَّقَفِ
وَالْأَمَانَةِ ، الْبَعِيدُ مِنَ الرَّعِيَةِ وَالصِّيَانَةِ ، النَّاسِرُ لِأَذْنِيهِ طَمَعًا ، الْآكِلُ
يَدِيهِ جَشْمًا ، فَكَانَ : « الْقَوْلُ مَا قَالَتْ حَذَامٌ » . وَلَمْ يَقْتَصِرْ عَلَى أَنْ الْحَقَّ
بِالشُّهُودِ ، وَهُوَ وَأَوْ عَمْرِو فَيُفْهِمُ ، وَتَوْنُ الْجَمْعِ الْمُضَافِ مَعَهُمْ ، دُونَ أَنْ يُلْحَقَ
بِحَزْمَةِ ذِي الشَّهَادَتَيْنِ ، وَيَتُوبَ مُنْفَرِدًا عَنْ أَتْبَاعِهِ .

« لَيْسَ عَلَى اللَّهِ مِسْتَنْكَرٌ أَنْ يَجْمَعَ الْعَالَمُ فِي وَاحِدٍ . »

(١) يضرب للأمر القوي انتهى فسادهُ ، وذلك أن الجله إذا حلم أي فسد إصابه ورتق فيه دود فتتعب
لم يرج له إصلاح ، وبروي عن الوليد بن حبة أنه كف إلى معاوية :
« يا بك والكتاب إلى علي كذابته وقد حلم الأديم . »

وَلْيَقْنِي مَعَ مَنْ لَا يَحِلُّ قَوْلُهُ عَلَيَّ، أَعَذَّرُ فِي شَهَادَتِهِ إِلَيَّ، وَلَمْ يَقْرَأِ الْحَشَفُ
مَعَ سُوءِ الْكَيْلَةِ، وَبَسْطَ يَدَيْهِ إِلَى الْمَوْتِ فِي يَتِّ سَلْوِيَّةٍ، خُطَا
خَسِيفٌ لَمْ أَرِ النَّجَاءَ مِنْهُمَا إِلَّا أَنْ رَكِبْتُ الْخَوْلَى الْأَشْمَبَ، وَرَأَيْتُ خُرَاسَانَ
مَكَانَ السُّوقِ أَوْ هِيَ أَقْرَبُ، وَكَانَ الْمَتَوَلَّى سَجْنِي بَعْدَ شَهْرٍ مِنْ إِنْقَاذِهِ، لَهُ
مَجْلِسٌ خَصَرُهُ فُقَهَاءُ الْحَضَرَةِ وَمَنْ أَفْلَمَ بِسِيَّاهُمْ، وَجَرَسِي فِي غِشْبَانِ الْحُكَّامِ
مَجْرَاهُمْ، فَذَكَرَ لَهُ أَنَّهُ أَتَيْتَنِي بِالْمَغْسَبِ عَلَى عَهْدِ الْمَتَوَلَّى مَوْلَايَ - كَانَ - نَقَعَ
اللَّهُ صَدَّاهُ، وَبَلَ ثَرَاهُ، وَبَلَّتْ عِنْدَهُ مَعَ ذَلِكَ أَنِّي يَمُنُّ ثَمَامِلُهُ الْهَيْمُ، وَلَا
رَفْعُ عَنْهُ الطَّنُّ، فَكَلَّمَهُمْ أَفْنَى بِالْإِعْذَارِ إِلَيَّ، فِيمَا شَهِدَ بِهِ مِنْ ذَلِكَ عَلَيَّ،
ثُمَّ سَجَنِي أَنْ لَمْ آتِ بِعَذَابٍ، أَوْ أَسَدَعَ مِنَ الْحَبِّ بِمَقْتَعٍ، فَاخْطَأَ وَاجْتَهَدَ،
وَتَحَرَّى وَاقْتَصَدَ، وَصَالَحَنِي مِنْ هَذِهِ الْفَتَا عَلَى النَّصِفِ بِتَأْخِيرِ الْإِعْذَارِ،
وَتَقْدِيمِ الصَّلَاحِ، وَالصَّلَاحُ جَائِزٌ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ^(١)، ثُمَّ أَظْهَرْتُ إِلَيْهِ مَقْدَأَ كَانَ
الْمَتَوَلَّى قَدَسَ اللَّهُ رُوحَهُ، وَنَوَّرَ ضَرِيحَهُ، قَدْ أَشْهَدَ فِيهِ أَنْ لَا مَالَ لَهُ، وَأَنْ
جَمِيعَ مَا مُحِيطُ بِهِ الْفَارُ الَّتِي تُوُفِّي بَعْدَ هَذَا الْإِشْهَادِ فِيهَا، إِنَّمَا هُوَ لِلنَّانِيَةِ الَّتِي
فِي عِصْمَتِهِ، حَاشَا دَقَائِقَ يَتَّهَا، وَمُحَرَّرَاتٍ قِيَّتَهَا، وَمَعْلُومَ أَنَّ مَنْ أَشْهَدَ بِهَذَا عَلَى
نَفْسِهِ، وَتَقَيَّدَ مِثْلَهُ مِنْ لَفْظِهِ، فَحَالَ أَنْ يُخْلَفَ عَهْدًا، وَيَهْلِكَ مِنْ وَصِيَّةٍ،
وَسَأَلْتُهُ الشُّورَى فِيمَا أَبْتَنَاهُ مِنْ هَذَا الْعَهْدِ، فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى ذَلِكَ، وَلَوْ لَمْ
تَكُنْ الشُّورَى مِنْ أَدَبِ اللَّهِ إِذْ يَقُولُ : « وَشَاوَرَهُمْ فِي الْأَمْرِ فَلَا ذَا

(١) جاء في رسالة عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى الجاسة لأحكام القضاء التي أرسلها إلى أبي موسى الأشعري
قوله : « والصالح جائز بين المسلمين إلا صلحاً أحل حراماً أو حرم حلالاً » وفي الأصل : « والسجن
جائز بين المسلمين »

عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ . لَوْ جَبَّ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّهَا لِقَاحُ الْمَقَلِّ ، وَرَأَيْتُ
الصَّوَابَ ، وَأَنَّ لِلشُّكُورِ إِحْدَى الْمُسْتَعِينِ ، مَوَابَا يَفُوزُ بِمَحْمَدِهِ ، أَوْ خَطَا
يُشَارِكُ فِي مَذْمَتِهِ ، قَالَ الشَّاعِرُ :

« وَلَا تَجْمَلِ الشُّورَى عَلَيْكَ غَضَاظَةً مَكَانُ الْخَوَافِ عُدَّةٌ لِلْقَوَادِمِ ^(١) . »
قَدْ قَرَعْتُ لَهُ الْمَصَا وَنَبَّيْتُهِ عَلَى أَنَّ الَّذِي دَعَاؤُهُ إِلَيْهِ ، لَا يَسُوعُ دَفْعِي عَنْهُ ،
وَلَا يَحُوزُ مِنْبِي مِنْهُ ^(٢) ، فَحَيْثُ ذَلَّلْنِي بِمَوَاعِيدِ : كَانَتْ مَوَاعِيدُ عُرُوفٍ لَهَا مَثَلًا ،
إِذَا قَطَعْنَا مِنْهُ عِلْمًا بَدَأَ عِلْمٌ ، وَكَانَ آخِرُهَا - الَّذِي نَسَحَ بِهِ مَا قَبْلَهُ - أَنْ تُدْرَجَ
الشُّورَى إِلَى أَبْنَاءِ الشُّورَى لِلْوَرْتَةِ ، فَتَوَيْتُ أَرْقُبُ هَذَا الْحَيْنَ ، وَأَرْجُو أَنْ
يَحِينُ ، كَمَا يَرْجُو أَخُو السَّنَةِ الرِّيْعِ : وَكَمَا فِي بَطُونِ الْحَامِلَاتِ رَجَاءً .

« فَكُنْتُ وَإِيَّاهُ سَحَابَةً مُنْجِلٍ رَجَاهَا ، فَلَمَّا جَاوَزْتُهُ اسْتَهْلَتِ »

ولصل منها :

وَلَمْ أَتَّصْ عَلَيْكَ يَا سَيِّدِي بِمَا أَجْلَبْتُهُ إِلَّا مَا شَرَّ شُهُورَةِ الْإِنْسَمِ ،
وَعُرِفَ مَعْرِفَةَ النَّسَبِ ، وَمَا يَوْمُ حَكِيمَةٍ بِسِرٍّ ، وَكُنْتُ أَوَّلَ حَبْسِي قَدْ
وُضِعْتُ مِنَ السَّجْنِ فِي مَوْضِعٍ قَدْ جَرَتْ الْعَادَةُ بِوَضْعِ مَسْتَوِرِي النَّاسِ ،
وَذَوِي الْهَيْئَاتِ مِنْهُمْ فِيهِ ، وَفِي الشَّرِّ خِيَارٌ ، وَبَعْضُهُ أَهْوَنُ مِنْ بَعْضٍ ،
فَقُنِيتُ مِنْ مُطَالَبَةٍ بَعْضٍ مَا يَهْتَمُّ النَّاطِرُونَ فِي السَّجْنِ لَهُ وَيَسْعَوْنَ إِلَيْهِ - بِمَا
أَقْتَضَى تَقْلِي إِلَى حَيْثُ الْجَنَاءُ الْمُفْسِدُونَ ، وَالْأَصْصُ الْمُقِيدُونَ ، وَشَكُونُ
ذَلِكَ إِلَى الْحُكْمِ الْخَاسِ إِلَى فِي الْيَوْمِ الَّذِي مَضَى ذِكْرُهُ بِعَشِيدٍ مَنْ تَقَدَّمَ

(١) البيت لبشار بن برد . (٢) في الأصل : « وبه على الذي دعوته إليه ، لا يسوع لي دفعه
عنه ، ولا يحوز منبى منه . » وما أتهناه هنا هو ما يمكن أن يهتيم به الس .

وصفته، فأتقوا من الرضا به، وأظهروا الامتناع منه، وتقدم إلى الموكل بالسجن في اختيار مجلس أباين فيه من لا تليق في ملائسته، وأتبعه ممن لا ترضى لي مجالسته، ثم لم ألبث أن أحضره مجلس نظره، وأمر بتأديبه، على أمثاله فيما أمر به، وأنتهائه إلى ما حد له، وأستأنف العهد في التصديق على، ومنع من اعتاد صلاتي من الوصول إلي، فأصعدت إلى غرفة في السجن أفتنى بها مع خسانتها، وأسلماني من المصيبة بالكون فيها على مضاضتها - أنفرادي من ليف الأخطا، ومن منه السجن من السفلة والسقاط، فحين استوائت إليها عهد يحط إليهم، وخلط بهم، ووضعي بينهم، فتملت ودخلت إلي في هذه الحال من أبلغ إلي عن ابن أخي الحكم رسالة جامعة من السب الفاحش فتونته، مشتتة من الوعيد المرهب على شروبه . فلو ذات سوار لطمتني .

« وإني لم يفخر عليك كفاخر ضعيف، ولم يغلبك مثل مغلب »
 فلم أستطع صبرا، وعلمت أني قد أبليت عذرا، ولم يبق إلا أن أعذر لي ليبد
 وكاد^(١)، ورأيت أن العاجز من لا يستبد . فالمره يعجز لا محاله، ولم أستعجز
 أن أكون ثالث الأدلني الغير والوحيد، وذكرت أن الفرار من الظلم

(١) يشع إلى قول ليد يخاطب به :

فوما قولوا بالذي قد علمنا ولا تخشوا وجهاء ولا تخلفا العمر

وقولا : « هو المرء الذي لا خليفه أئاع ولا خلاصديق ولا عذر »

إلى القول، ثم اسم السلام طليكما ومن يك حولا كاملا قد احذر

واحذر كما حذر أني يحذر، فما بعد تمام القول لذا أمسكتا عن النوح والبكاء على أيها فلها العذر .

وَالْهَرَبَ إِجْمَالًا يُطَاقُ مِنْ سُنَنِ الْمُرْسَلِينَ . قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى لِسَانِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ : « فَرَزْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ » . وَقَالَ الشَّاعِرُ :

« لَا عَارَ لَا عَارَ فِي الْفِرَارِ ، فَقَدْ فَرَّ نَبِيُّ الْهُدَى إِلَى الْفَارِ »

وَنَظَرْتُ فِي مُفَارَقَةِ الْوَطَنِ ، وَالْيَتِيمِ عَنِ الْأُحْبَةِ ، فَتَيَّنَ لِي أَنَّ إِيمَانِي نَفْسِي بِإِنْسَانٍ أَهْلِي ، وَقَطَعَهَا فِي مُوَاسَلَةِ وَطَنِي ، فَبَقِيَ فِي الرَّأْيِ ، وَخَوَرُ فِي الْعَزْمِ ، وَوَجَدْتُ الْحُرِّيَّةَ عَلَى الْكُلِّ ، وَلَا يَنَامُ عَلَى الدَّلِّ ، وَأُذِنْتُ إِلَى قَوْلِهِمْ : لَيْسَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ الْبِلَادِ نَسَبٌ ، وَإِذَا نَبَا بِكَ مَنَزِلٌ فَتَحَوَّلْ ، وَقَالَ بَعْضُ الْمُحَدِّثِينَ :

« أَرَى النَّاسَ أُحْدِثُوهُ فَكُونِي حَدِيثًا حَسَنًا

كَأَنَّ لَمْ يَزَلْ مَا أَتَى وَتَأَقَّدَ مَضَى لَمْ يَكُنْ

إِذَا وَطَنٌ رَأَيْتِي فَكُلُّ مَكَانٍ وَطَنٌ »

وَلَمْ أَسْتَغْرِبْ أَنْ أُسَامَ بِمَثَلِ هَذَا الْحَسَنِ فِي مَسْقُطِ رَأْيِي ، وَمَعَ^(١) تَمَامِي ، وَأَوَّلِ أَرْضٍ مَسَّ ثَرَابُهَا جِلْدِي ، فَقَدِيمًا صَنَعَ الْمَرْءُ الْفَاصِلُ فِي وَطَنِهِ ، وَكَسَدَ الْمَلِكُ الْفَيْطُ فِي مَمْدَنِهِ . قَالَ بَعْضُهُمْ :

« أَضْيَعُ فِي مَمَشَرِي ، وَكَمْ بَلَدٍ يَعُودُ عَوْدُ الْكِبَاءِ مِنْ حَطْبَةٍ »

فَأَسْتَحَرْتُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَاصْبَحَ وَجْهُ الْعُذْرِ ، ثَابِتَ قَائِمِ الْحُجَّةِ ، عِنْدَ مَنْ غَضَّ عَيْنَ الْهَوَى ، وَخَزَنَ لِسَانَ التَّمَسُّفِ ، وَاللَّهُ يُصِيبُ غَرَضَ الصَّوَابِ بِرَأْيِي ، وَيُقَرِّبُ غَايَةَ النِّجَاحِ عَلَى سَعْيٍ حَسَبًا ذَلِكَ فِي عَلَيْهِ أُنَى مَظْلُومٍ مَبْنِيٍّ

(١) اللق : اللومع الذي ينفق أى ينفق فيه من الصبي التمام ، ومنه قوله :

« بلاد بها حتى التسلبب تمامي وأول أرض مس جلدی ترابها . »

عَلَيَّ، مَنُشُوبٌ مَا لَمْ آتِهِ إِلَيَّ، فَهُوَ الْمَوْجُودُ لِنَفْسِكَ، وَالْمَرْجُوعُ لَهُ، وَلَعَنُوكَ يَا سَيِّدِي
 إِنْسَانَةً^(١) الْعُذْرُ تَضِيْقُ عَنْكَ، وَمَا تَكْادُ تَتَّسِعُ لَكَ، فِي إِسْلَامِكَ تَلْمِيزُكَ
 وَابْنَ جَارِكَ وَشَيْخِكَ الَّذِي لَمْ تَزَلْ مُنَابِرًا عَلَيْهِ أَخِيذًا عَنْهُ مُقْتَبِسًا مِنْهُ مَعَ
 إِكْتِفَارِكَ مِنْ ذِكْرِ هَذَا، وَالْأَعْيَادِ بِهِ، وَأَدَمَاهُ الْحِفْظَ لَهُ، وَقَدْ رَوَيْتَ أَنَّ
 حُسْنَ الْعَهْدِ مِنَ الْإِيمَانِ، وَتَحَمُّتِ النَّفْلِ: «أَنْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا.»
 قَالَهُ كَثِيرٌ بِأَخِيهِ، وَلَا أَقْلَ مِنْ أَسْتِفْعَالِ الْجِدِّ، وَأَسْتَفْرَاقِ الْجَهْدِ، فَبُلُغُ
 نَفْسٍ عُذْرَهَا مِثْلُ مُنْجِحٍ، وَلَا لَوْمْ فِي أُخْرَى بَلَّغَ الْعُذْرَ، وَلَكِنْ مِنْ لَكَ
 بِأَخِيكَ كُلِّهِ، وَمَا حُمِّ وَقَعُ، وَلَا حَدَرَ مِنْ قَدَرٍ، وَقَدْ سَبَقَ السَّيْفُ الْعَدْلَ،
 وَتَقَدَّمَ مِنْ فِئْلِي مَا جَفَّ بِهِ الْقَلَمُ، وَأَنَا الْآنَ بِحَيْثُ أُمِنْتُ بَعْضَ الْأَمْنِ، إِلَّا
 أَنْزَرًا^(٢) مِنْ وَعِيدِ سَقَطَ إِلَيَّ بِأَنْ السُّنَى لَمْ يَرْتَفِعْ، وَأَنْ مَادَّةَ الْبَنَى لَمْ تَنْقَطِعْ،
 وَأَنْ الْبَصِيرَةَ مُسْتَحْكِمَةً فِي اسْتِرْجَاعِي مِنَ الْأَفْقِ الَّذِي أَحْلَى بِهِ، وَالْجَنَابِ الَّذِي
 أَحْطُ فِيهِ، وَأَكْثَرُ ذَلِكَ فِي عَلَنِي مَا كَانَ أَشَارَ لِي إِلَيْهِ بَعْضُ مَنْ كُنْتُ أَوَى
 إِلَى الثَّقَةِ بِعَهْدِهِ، وَأُثْبِتِي عَلَى الرِّفَاقَةِ مِنْ عَقْدِهِ، مِنَ الْفُقَهَاءِ لِلْمُسُومِينَ بِالْأَثَرَةِ
 عِنْدَ الْحَكَمِ الْمَذْكُورِ وَالْمَسْكَانَةِ مِنْهُ، وَقَدْ حَابَتْهُ عَلَى تَأْخِيرِهِ عَنْ مُطَافَرَتِي
 وَتَهْصِيرِهِ فِي مُوَازَرَتِي، فَأَعْتَذَرَ بِأَنْ ذَلِكَ لَا سَبِيلَ إِلَيْهِ، وَلَا مَتَفَدٍّ لِلْجِلَّةِ فِيهِ، إِذِ
 الْمَحْرُوسُ عَلَى لَا تَتَأَتَّى مُحَارَصَتَهُ، وَلَا يَتَّبِعُ الْإِسْتِغْدَادَ عَلَيْهِ، وَأَنَّهُ وَصَّيَنِي
 بِالْبَذَاءِ وَمَا يَنْبَغِي بِالتَّسْلُطِ عَلَى الْأَعْرَاضِ، وَوَأَفَّهَ مَا اسْتَجَبْتُ هَذَا بَعْدَ أَنْ هَتَكَ

(١) فِي الْأَصْلِ: «إِنْ سَاعَةَ الْمَرْءِ.» وَفِي حَامِشِ الْأَصْلِ «لَهَا سَاعَةٌ» وَقَدْ أَهْمَنَّا بَكْتَهَا «سَاعَةً»
 الَّتِي فِيهَا عَلَى صَوَرَتِهَا فِي الْحَقِّ لَيْسَ يَجْعَلُ لِلنَّاسِ. (٢) الرِّدُّ وَالرُّكُوعُ الصَّوْتُ الْخَلْقُ كَسَمْعِهِ مِنْ مَبِيدٍ.

مِنْ سِرِّي مَا هَتَكَ ، وَأَتَهَكَ مَا أَتَهَكَ ، إِنْ كُنْتُ أَقُولُ مَعْدُورًا ، وَأَشْتُ
مَعْدُورًا ، فَكَيْفَ قَبْلَ ذَلِكَ إِذْ لَمْ يَحْدُثْ سَبَبٌ ، وَلَا فَرْضٌ مُوجِبٌ ، وَمَالِي
وَهَذَا الْمَجْتَبَى ثُمَّ مَالِيَا ، وَدَسْتُ كَتَبْتُ شَهَادَتَهُمْ ، وَيُسْأَلُونَ ، وَلَيْسَتْ هَذِهِ
بِيَكْرٍ مِنَ النَّهْمِ الَّذِي دَخَلَ بَيْنَ الْمَصَا وَلِحَاظِهَا :

« فَلَمَّا رَأَيْتُ غَوَاةَ الرَّبِّ لِي لَا يَبْرُكُونَ أَدِيمًا صَحِيحًا ،

وَمَنْ يَأْذَنُ إِلَى الْوَالِشِينَ تَسْلَقُ مَسَامِيهُ بِالْبَيْتَةِ حِدَادٍ

وَيَا سَيِّدِي :

لَوْ يَفِيرُ الْمَلَكُ خَلْقِي شَرِيقٌ كُنْتُ كَالظَّنَّانِ بِإِلَهَاءِ اعْتِصَارِي
وَوَالِدِهِ مَا تَوَحَّشْتُ أَنِّي أَوْفَى يَمْنٍ أَوْدَيْتُ مِنْهُ مَعَ اتِّصَالِي بِهِ ، وَأَنْتَ طَاهِي إِلَيْهِ ،
وَأَسَامِي بِالتَّامِيلِ لَهُ ، وَالتَّغْوِيلِ عَلَيْهِ . إِنْ الْمَعَارِفَ فِي أَهْلِ النُّعَى ذِمَّتُمْ .
وَلَكِنْ :

إِذَا كَانَ قَبْرُ اللَّهِ - لِلرَّزْمِ - عُدَّةً أَتَتْهُ الرَّايَا مِنْ وَجْهِ الْمَوَائِدِ
لَقَدْ كَانَ مِنْ مَحَاسِنِ الشَّيْمِ ، وَشُرُوطِ الْمَرْوَةِ وَالْكَرَمِ ، أَنْ يَهَبَ لِي مَا أَنْكَرَ
لِي عَرَفَ ، وَتَهَيَّرَ مَا سَخِطَ لِيَارِضِي ، وَيَذْفَعُ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ، وَيُؤَيِّرُ
الَّتِي هِيَ أَنْجَلُ وَأَرْفَقُ ، وَيَتَوَقَّفَ عِنْدَ مَا نَصَّ لَهُ مِنْ سِمَايَةٍ ، وَزَفَّ إِلَيْهِ مِنْ
وِسَايَةٍ ، فَإِنْ كَانَ بِإِلَاحِ الْإِقَاءِ ، وَفَضَحِ الْمُخَيْرِ الْمُتَقَرَّبِ بِهِ وَأَفْصَاءِ ، وَإِنْ كَانَ
حَقَاصَ صَبَرِ الْحَلِيمِ ، وَأَغْضَى إِغْضَاءِ الْكَرِيمِ ، وَقَبْلَ إِبَابَةِ الْمُتَيْبِ ، وَأَقْصَدَ
فِي مَوَاحِدَةِ الْمَذِيبِ ، فَقَدَّمَ التَّوْقِيفَ ، قَبْلَ التَّقْيِيفِ ، وَالتَّأْيِيبَ ، قَبْلَ التَّأْدِيبِ
فَإِنَّ الرِّفْقَ بِالْجَانِي عِتَابٌ ، وَالْحُرْمَةُ يُلْغِي وَالْمَصَا لِلْعَبْدِ :

وَلَسْتَ بِمُتَّبِقٍ أَنَا لَا تَلُهُ عَلَى شَعْتِ، أَيُّ الرِّجَالِ الْمُهَذَّبِ؟
وَهُوَ بَرَى وَاسْمَعُ أَنَّ بِالْحَضْرَةِ قَوْمًا لَا يَحْضُرُهُمُ الْعَدُوُّ تُحْتَمِلُ سَقَطَاتِهِمْ ،
وَتُتَقَرَّرُ هَفَوَاتِهِمْ ، وَتُقَالُ صَرَائِهِمْ :

وَمَا شَرُّ الثَّلَاثَةِ أَمْ عَمْرٍو بِصَاحِبِكَ الَّذِي لَا تَصْبَحِينَ^(١)
وَمَا أَكْثَرُ أَنْتُمْ يَذُلُونَ بِوَسِيلَةٍ إِلَّا شَارَكَكُمْ فِيهَا ، وَلَا يَحْتَوُونَ بِذَرِيَعَةٍ يَنْفَرِدُونَ
دُونِي بِهَا :

هُوَ الْجَدُّ حَتَّى تَفْضُلَ الْعَيْنُ اخْتِهَا وَحَتَّى يَصِيرَ الْيَوْمُ لِلْيَوْمِ سَيِّدًا
فَلَمَّا كَانَتْ مُسَاعَمَتُهُمْ لِسَابِقَةٍ سَلَفَتْ فَقَدْ أَحْزَنْتُ مِنْهَا الْحُطَّ الْأَعْلَى، أَوْلِيكَمَالِ
أَدَبٍ فَقَدْ صَرَبْتُ فِيهِ بِالْقِدْحِ الْمَلَى ، أَوْ لِلطَّلَبِ تَوَدُّدٍ فَمَا قَصَرْتُ فِي الْأَجْنَادِ
غَيْرَ أَنِّي حُرِمْتُ التَّوْفِيقَ ، وَالْأَمْرُ لِلَّهِ ، رَبِّ مُجْتَهِدٍ مَا غَابَ إِلَّا لِأَنَّهُ جَاهِدَ .
فَلَمَّا كَانَ ذَنْبِي أَنْ أَحْسَنَ بِطَلْبِي أَسَاءَ فِي سُوِّ الْقَضَاءِ لِي الْعَدْرُ
وَأَفْهٍ لَقَدْ أَظْهَرْتُ مَدْحَهُ ، وَأَضْمَرْتُ نُصْحَهُ ، وَتَمَنَّتْ عَلَى الصَّانِعَةِ لَهُ ، وَجَرَمْتُ
مِلْءَ الْعَيْنَانِ إِلَى الْإِعْتِلَاقِ بِهِ ، أَسْقِيهِ السَّائِغَ مِنْ مِيَاهِ وَدَى ، وَأَكْسِيهِ السَّابِغَ
مِنْ بُرُودِ تَحْدِي ، وَأَجْنِيهِ الْفَضْلَ مِنْ ثَمَرَاتِ شُكْرِي ، وَأَهْدِي إِلَيْهِ الْفَطِيرَ
مِنْ نَفَحَاتِ ذِكْرِي لَا يُفِيدُنِي التَّجَبُّبُ إِلَيْهِ ، إِلَّا مَنَاقَا لَدَيْهِ ، وَلَا يَرِيدُنِي
التَّقَرُّبُ مِنْهُ ، إِلَّا بُنْدًا عَنْهُ :

كَأَنِّي أَسْتَذِنِي بِهِ ابْنَ حَبِيبَةٍ إِذَا التَّرُوحُ أَذْنَاهُ مِنَ الصَّدْرِ أَبْعَدَا
وَالَّذِي أَحِبُّهُ مِنْكَ ، وَأَتَّقِي فِي السَّارَاةِ إِلَيْهِ بِكَ لِقَاءَهُ مُجَارِيًا ذِكْرِي ، مُفَاوِصًا

(١) أي ليس من الثلاثة أم عمرو الذي لاسمه الصبح صباحك ، ول الأمل :
« وما شر الثلاثة - أم عمرو - لصباحك الذي لا تصبحينا . »

فِي أَمْرِي ، مُطْلِعًا لَهُ بِالَّذِي لَا يَذْهَبُ عَنْهُ - مِنْ أَنَّ الَّذِي اخْتَرْتَهُ لِنَفْسِي قَابَةُ
مَا يُبْئِيهِ الْمَدْوُ بِهِ ، وَيُسَاءُ الْمَوَلَى مِنْهُ - فَالْجَلَاءُ أَخُو الْقَتْلِ ، وَالْعُرْبَةُ أَحَدُ السَّيِّئِينَ
قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : « وَلَوْ أَنَا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ اقْرُبُوا مِنْ
دِيَارِكُمْ مَا قَمَعْتُهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ » . وَقَالَ الشَّاعِرُ :

« وَمَنْ يَتَرَبَّعَنَّ قَوْمِهِ لَا يَزَلْ يَرَى مَصَارِعَ مَظْلُومٍ حَجْرًا وَمَسْحَبًا
وَيُذْفَنُ مِنْهُ الصَّالِحَاتُ ، وَإِنْ يُبْئِي يَكُنْ مَا أَسَاءَ النَّارُ فِي رَأْسِ كَبْكَبَا »
وَقَدْ هَجَرْتُ الْأَرْضَ الَّتِي هِيَ ظِلِّي ، وَالنَّارَ الَّتِي كَانَتْ مِهَادِي ، وَغَيْبْتُ عَنْ أُمِّ
أَنَا وَاحِدَهَا ، تَمْتَدُّ أَنْفَاسُهَا شَوْقًا إِلَيَّ ، وَتَقْضُ أَجْفَانَهَا حُزْنًا عَلَيَّ ، وَاللَّهُ يَرَى
بُكَاءَهَا ، وَيَسْمَعُ لِي - عَلَيَّ مَنْ ظَلَمَنِي - نِدَاءَهَا ، قَالَتْ سَجَابَةُ مَضْمُونَةُ الْمُخْلِصِ
وَالْمَظْلُومِ ، وَقَدْ حَمَلْتُ السَّيِّئِينَ ، وَأَسْتَوْجِبُ الصَّافِينَ ، وَلَتَكُنْ بُيُوتُكَ الَّتِي
تَذْخِرُهَا عَلَيْهَا كَلِمَةً تَأْمِينٍ ، وَإِشَارَةً إِلَى تَأْيِيسٍ وَتَسْكِينٍ ، تُرَاجِعُنِي بِهَا
فَاعْلَمْ بِحَيْثُ أَنَا آمِنًا ، وَأَلْقِ الْعَصَا مُطْمَئِنًّا ، فَإِنْ وَجَدْتَ عِزَّ الشَّعْرَةِ ،
فَالْعَوَانُ لَا تُتَمُّ لِنِزْمَةٍ ^(١) ، فَإِنْ أَشْبَهْتَ اللَّيْلَةَ الْبَارِحَةَ ، أَعْلَمْتَنِي بِذَلِكَ ، فَطَلَبْتُ
الْأَمْنُ فِي مَظَانِّهِ ، وَتَقَرَّيْتُ السَّلَامَةَ فِي مَوَاطِنِهَا ، وَصَبَرْتُ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ لِي
وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ، كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ، وَمَعَ الْيَوْمِ غَدٌ ، وَلِكُلِّ حَالٍ
مُعَقَّبٌ ، وَرُبَّمَا أَبْجَلُ لَكَ الْمَكْرُوهُ مِمَّا تَحْتَدُّ ، وَلَكَ يَا سَيِّدِي فِي اتِّدَابِكَ لِمَا
نَدَبْتُكَ إِلَيْهِ الْفَضْلُ ، وَالْأَيَادِي قُرُوضٌ ، وَالصَّنَائِعُ وَدَائِعُ :

« لَا يَذْهَبُ الرُّؤْفَ بَيْنَ اللَّهِ وَالنَّاسِ . »

وَالنَّحِيَةُ الطَّيِّبَةُ وَالسَّلَامُ الْمُرَدُّ عَلَى سَيِّدِي .

(١) الخمر : اسم هبة من الاختار أى وضع الحمار على الرأس ، وهو مثل يغرب ابن حنق الأضياع
وجرب الأمور .

شعر الملكين

(١)

شعر المعتضد

« قال المعتضد بالله المنصور بفضل الله أبو عمرو

عباد بن محمد بن عباد رحمه الله . »

إذا نام أنوم من المجد - حنة -
أسعد حتى أت تام في الحال
وإن راق أنوم آمن الناس - منق
بروق ، إذا من مقال وأفعال .
(وقال)

« أنوم - على الأيام - خير مقام ،
وأودق في الأضداد - شر ضرام
وأعنى في كسب الخلف - مقيم ،
ولو كان في ذلك كراجيل - حامي
وأبلغ من ديار - عسى سؤلها ،
وأضرب - في كل القلا - بهام
إذا فزع الأملك - عسى ، فاته
بينه - عند الأنام - تحامي . »

(وقال)

« من كان يلو من نوال - فأنا الذي لست يمال
البحر حين عينة ، والجود حين الحمال
أبصر ترعى في الندى ، فأبطل عني كالغلال
هنا زطف طمه ، والجود حلو كالزلال . »

(وقال)

« لو كان قلبي عن الاشغال - منزعاً ،
نادى لقد حبيب النفس : وأمرها
لكنما - شقته بالمجد - مجتهداً -
يلعبه من حبه إن بان أو قريا . »

« لقد بسط الله الكرام من كنى
فلست على الفلات منها - أنا كف
تأدى بيوت المال - من فرط بلخا -
يعني : « قد أسرفت ظلك كنى »
أقوى يعني بالساح فتهمي
ولا ترفى خلا يقول لها : يكنى
لسرك ، ما الأسراف في طيبة ،
ولكن طبع الجبل عني كالخلف . »
(وقال)

« من فتجاة والكرم إلا الظلموم للظلم
من لست لعمم منه - غير البذل والعمم
أحيا للكرم واللا وأنام مناد المسم
بقي العداة ، وسيفه قد قط حامات إليهم . »

(وقال)

« لسرك إلى - بالدامة - نوال ،
وإلى - لما يوى القدامى - نصال
وإلى - لعل الخليل - لناعش ،
وإلى - لعل النواي - لقتال
لست زماي - بين كد وراحة -
فكرأى أسحو ، وعليب آصال
فأسمى على الفات والفور - ما كفا
وأعنى - بإساحت الرياضة - أختال
ولست - على الإدمان - أغفل يعني
من المجد ، إلى - في اللال - لقتال

(وقال)

« منى السادة قد قامت على قدم
وقد خفت لها في مجلس الكرم
فلان أوردت - إلى - بالورى حناً
فلنكني زمام البحر والأم
فاني لا هدك البحر من حسن
ولا هدك يوم من أكرم الشيم
أطرح - البحر - منهم كل ذي طلب
وأطرد - البحر - منهم كل ذي صمم »

(وقال)

« من التصديق ابواء ومالجت من تصد
إذا خفيت طرق المرائس عن أسد
إذا اعترضوا الجبل أمرضت منهم
ولان من أنوام كتمت القى أمدى
فقه ما أخل من العدل والعدى
وفقه ما أبدى من الفضل والجد
ولا ألقى ضيل بئر بشاشة
إذا لم يصدت الله مروه منى »

(وقال)

« الأم ومالوى على الحب - واجب
وقد صادى طرف كليل وحاجب
أنحجب حق - والفؤاد يحجب -
لقد من محبوب قتله حاجب
أروم فؤادى - فى الغرام - ليتنى
وكيف وما دون الأية حاجب »

(وقال)

« زهر الأستى فى الهجاء غنعت زهرى
فرست أشجارها مستجول البحر
ما إن ذكرت لها من مورك جال
إلا تجلله بالصادم الذكر
حق غدت وأصدانى مخاطبى
يا فاعل الناس بالأجناد والفكر »

(وقال)

« وإذا توهرت المسالك لم أرد
فيها السرى إلا برأى مقمر

وإذا طليت عزيمة ففاعلى

فيها الزيمة والسناك السهرى

(وقال)

« كلام - كحل النور - تفره ثراً
ووصل - كحل الروض - فطيكه ثرواً
ولو لم تشب وصلى بيجر لحقنى
أشانه منها الشمس أولام البداء »

(وقال)

« أنك الليل متركراً ينافسه سنا البدر
ذو الساطع تبهطه سطيحه يد العير »

(وقال فى القاضى أبى القاسم أياه)

« ألا يا مليكا يرغى وساب
وبحرأله - فى الكرمات - خباب
ومولى عدنى - ذللت - مكازم
يهوب بهلمن راحته - سحاب
أططك - فى مرى وجهرى - جهداً
فلم يك - فى - إلا للام - ثواب
وأعملت جهدى فى رضاك مشرا

ومن دون أن أفضى إليه حجاب
ولما كبا جدى إليك ولم يخ
لنفسى - على سوء المقام - هراب
وقل استبارى - حين لالى عندكم
سمن المطف - لإلصوة وتباب
فروت بنسى أجنسى فرجة لها
على أن حلو البش يدك صاب
وما هنى إلا وسوك أن حرت

للى به سم الغضاب وكاب
قال مغالا لم أجد عن الله
مناباً - وعن بعض الأمور مناب
هكك أسير للؤمنين متوياً
قلت : « أمير المؤمنين نجاب »

لجت أغد السرى - حق كائما
يطير بهرى - فى الفلا - طباب
وما كنت - بهدالين - لإموئناً
بزمى على ألا يكون لإباب

ولكنك الدنيا الى حبيبة

فما ضحك لي - إلا إليك - ذهاب

وضحكك في ترك اللام ، فانه

- وحكك - في قلبي طياً وحراب

إذا كانت التمسى تكدر بالأذى

فما هي إلا عنة وعذاب

ولا تهبض باللعن كفى فانه

- وجدك - نفس لعل وخراب

فوالله ما أبغى بذك غير أن

تعمل بجدوى راحيك وغب

ويهدى إليك الناس دون صنع

شبه صدق لم يشبه كذاب

فكل نوال لي ، إليك انصابه

وأنت عليه - بالثاء - متطب

بجيت مكين الأسماء ماذ شارق

وما لاح في أفق السماء شهاب .

(وقال)

« يا قاتل الحب ولا واثق

لا ترض بالله بانفلاق

عيناك قد فادت إلى الرضى

والقلب ينتاج إلى دالى

لولاك والرحن ما كنت من

يحب في جملة عفاق

قد نلت صدقك قلبي فحل

تم القبح بدرواق . »

(وقال)

« رمي الله من يعلل فؤادى بحب

سعيماً ، وعين منه في جنة الخلد

غزالية العينين شمسة السنا

كشبية الزدين غصينة اللد

شكوت إليها حبا بمسدى

وأعطتها ما قد أليت من الوجد

ضادف قلبي عليها - وهو سالم -

فأعدي ، وذو الشوق للبرح قد يمدى

بلادت - وما كادت - على مضحا

وقد يلع الماء الفجر من الصفا

نظت لها : « ما لي تنياك اني

أفضل ناول الألقى على الورد

وسيل على جسي بحبك » فانت

تميد اقل أملت منها كما يدي

حناناً ولما أرويا الشوق يبتنا

فرادى ومتى - كالفرار من إزدند

فيا ساحة - ما كان أقصر وقتها

لدى - فنتت غير ملمومتكهد .

(وقال)

« يتادون قلبي ، والفرام يحيب

وقلبي على جن النداء - وجيب

مشوق دله الشوق والوجد والجرى

يحيب نداء الحب وهو يحيب

يقاسي فؤادى الوجد والحب واصل -

فكيف تراه إن جناه حيب ؟

إذا أخطأ الأحباب ترهب حلم

فانت فؤادى - فاقما - ليصيب

طيم بأسرار النرام ، لأنه

يجم - بأدواء الحسان - طيب

يواصلني سرّاً ، ويصرم ظاهرأ ،

وفك - من أنالحن - يحيب . »

(وقال)

« يبيض الحند والأسل الحداد

أرجى أنت جسم لي مرادى

فأبلغ جنين ، وأرجى عسى ،

ومحمد حلقى في كل نادى

لبنى الدر في تمل الألقى ،

وحجم رطابهم في كل وادى

فذاك الفرض - والرحن - عدى

ككل الفرض في حل الجهاد . »

(وقال)

« وليل ظفنا فيه نسل كأسنا

إلى أن يبتدئ صبح على القيل - أعمال

وولت نجوم الليل تجري مرة

وجاء مع الاصباح - سروا قال

كشيت - من هنا وفاء - ليلة

وتم لنا فصح مبدى وآمال .

(وقال)

« وليل أمدنا فيه شرب مدامة

لئلا أن يدا صبح في الليل تأخير (١)

وجاءت نجوم الصبح تضرب في الدي

فولت نجوم الليل والليل مقهور

طرا - من اللغات - أطيب طيبها

ولم يمتدأ هم ولا طاق تكدير

غلاؤه - لو طال - قامت مرة

ولكن ليالي الوصل فيهن تنصير .

(وقال)

« أنلم أن تلي غير صاح ؟

وأني من سلوك في انزعاج

وكننت البحر - أسطاد للمال

فقد أصبحت من صيد لللاح

لطين للجنة كأس صد

وتزجها - لتليل - براح

ولو شاءت حياتي - الدهر - سفت

حرد القلب من شم فراح

وكانت تصنع الحسن جلا

ولكن ليس تلقى غير لاح

لطين - فديك - من عار

ونادى - علم إلى اصطباح .

(وقال)

« يطول على الدهر إن لم ألقها ،

وقصر - إن لايتها - أطول الدهر

لها غرة كالبد - عند تمامه -

وسدنا غير غفا صفحة اليسر

ولذلك كل الزمن - مالت به العبا -

ولفظ كما انحلت النظام من الدر

(١) هذه المقطوعة أدرجت سهواً ضمن شعر

ابن زيدون .

(وقال)

« ذكرتك في في قدشيت بتدبجي

أفديك يا فتنة الجنان والروح

الله يسلم أنى لست أغيركم

دهرى ولا تنقضى فيكم بتدبجي

إن كنت أخرج مني جكم شفا

فإن سرك عندي غير مروح .

(وقال)

« يا جاهل الحب إن الحب ذو سند

مهما أجزته يوماً سوف أجد

أجهل الحب من أفتت به حرق

تكاد من حرها الأحشاء تجدد

الله يسلم أنى شيق أبدا

لا ينقضى الشوق حتى ينتفى الأبد

إن يعرب الجسم يرد الوصل منتدأ

يهدى إليه نؤادى حر ما يجد .

(وقال)

« لله درّ الحب ماذا يصنع

ينور له ملك الزمان ويخضع

لحب سلطات عظيم شأنه

مهما يمل قولاً قلبي يصنع

إن يمر بلطيران ملك مهتبي

أقبل إليه بحالي أنضرع

ماذا انتصت بحالي عند الهوى

حال الهوى أبداً أبلى وأرفع .

(وقال)

« لله ما غلظ الأعماض في غلدي

لمن فدا ولقدى كالروح والجسد

للأوحى أبى الجيش الذى هفرت

منه بأفس خلق في الأليم يدي

موفق الرأى في الرليات لفته

في الجد والجود لافى البيضة الرشد

إذا رأته الصلا ناذته منصحة

يافرة الجن بل بالغة الكبد .

(وقال)

« أرى إني كائنٌ بوق
تظلّ نصح بالورود وتبقى
حلم تطلّي اليبالي قرب من
علي له متشوّف متشوّق
ملك أفرّ أفرّ أن تحظى به
لسواي ألتاظ ولحظي ملق
أندى أبا الجيش للوق أنه
للمكرمات مير وموق
بأن به الزمن البهي كأن
نصر على وجه الزمان وروق
ملك إذا هنا يطيب تنام
ظلت به أفواجا تنطق
جنب الرئاسة أن عدت مزادة
بناه فهو الفاح وح للفرق »

(وقال)

« عرفت عفا إذهب عافره
من أفق من أنا في قلي أشاطره
أراد تهديد ذكره على شطط
وما تيقن أني البحر فأكره
يتأى للزاد به والدار دانية
يا جذا الفل لو صحت زواجره
ذخرى أبا الجيش مل يقف إني لنا
نحسنتي منك جبن أنت ناظره
نصاره قمر إن ثم مفتخرأ
له أوكه مجد وآخره . »

(وقال)

« كأنما ياسيتنا تنق
كواكب في السماء تبيض
والطرف الحمر في جوانبه
تكدّ عذراء ناله المنى . »

(وقال)

« تمام ومدتها يسر ونصر عنه ولا يسر
ثمن دام هذا وهذا به سيلا وجوداً ولا يسر . »

(وقال)

« أتم وما علي من المجد تام
وأتّ نؤادي بلعالي طام
وإن سمعت بي علة من طلابها
فانت اجتهد في الطلاب لنام
مير على قسي إذا رمت واحة
براح فتتقن الطباع الكرام
وأسهر لي مفكراً غير طام
وغيري على اللات شجان تام
يتادي اجتهدى إلى أفس بكرة
ألا أين يا عباد ملك العوام
تتهرّ آمالي ونحوى عزائي
وتذكرني قدامت المزام . »

(وقال)

« أنا في الحب مفرم مستيل
كل نيل أنا له لي قليل
لي جنان من بطن صحباً
ونؤادي من الفرام حليل
(١) أعطي بحق
إن صبري على التجني جميل
لذمن مثل المسامح جميل
هو من كثرة التجني قليل . »

(وقال)

« إني على أفق بالسهد والكبد
أدعوك يا منق الأجم بالسهد
قطعت ظمي الذي أعطاك جوهره
إني ومبتك محض النفس والكبد
يادرة لم تلح في كف غاصها
ألا أحصل إليها آخر الأبد
ظمي بحسبك لا أرجو الفكاك له
مثل الغريرة حلت في يدي أسد . »

(١) مكنا وجد ناصاً بالأصل

(وقال)

« يا فرّة لسخر باليد
ومفلة تشق بالسر
ومبها نظم من جوهر
ومالاه من أطر الحجر
ومنطقاً أوتيت من سحره
أحرّ في قلبي من الحجر
وشادنا يميني شـخصه
ووكّل الأجنات بالسحر
تأمر بي الله عزّ بالرضى
وترجّ الجنة في التجرّ . »

(وقال)

« يا درة قلبي بها مفتون
يسلوه وإن سئل السوطين
الله يسلم أن قلبي مفرم
من كان ناصير فليس يكون
أولاً من يهرى رضاك يوزره
بالخلد قلنا: إنه للنبون . »

(وقال)

« يا فرا أصبح لي مالكا
لا تتركني معكفا مالكا
ولفظة الكبد التي ضها
ميتها البحر بأوجالكا
رق على قلب العبد الذي
يود أن يجرى على بالكا
سحت في خلق وخلق فلم
رضيت بالفتح لأضالكا . »

(وقال)

« بصبري أهل للودة دائماً
وإن فؤادي والآله مسبور
أغار على منى الرئاسة إلى
على كل حسن في الزمان غير
أصرف ذهني في أمور كثيرة
وأعلم أن العثرات تدور . »

(وقال)

« نحن من التبر فوه ورق
كأنه الصبح تحه شفق
يا أبداع للناس في عاسته
رق على من أفاه الأرق
مدحت كفى وجه وأفكهم
لا تتركوني بتالي الفرق
بحر دموي مفرق جدى
تداركوا ميعتي بى رفق . »

(وقال)

« دعي الله حالنا حقيقاً وامانيا
وإن كنت قد جردت عرى مانيا
فأليلي لا تزال ترومسي
ويرمين من صائب السهم طانيا
وقد علت أن الخطوب تطيق
وما زلت - من لبس الدنيا طاروا
أجسد في الدنيا ثياباً جديدة
يجسد منها الجود ما كان باليا
فأمرّ لي بجل بخاطر ممجي
ولا أمرّ بجل الناس قط ياليا
الأجينا في المجد لإتلاف طاروا
وبذل عند المجد نفس وماليا . »

(وقال)

« مجود على قلبي عرى وبخير
ويأسوني إن الحبيب أمير
أطوح لأمر الحب طوح مسلم
وإن كان من شأنى إيا وغور
أغار عليه من الحظى صباة
وأكرمه لبت الحب فيور
أنف لي ليا الحبيب داني
لسرك في كل الأمور وغور . »

(وقال)

« أطلت نثار الجهد بالبيض والسر
وقصرت أعمار العناء على سر
ووسعت سبل الجود طيباً وصنة
لأشياء - في القلياء - ملوياً عدى
فلا يجد للالاسات ما كان منه
يشاكره في البحر بالنهى والأمر . »

(وقال)

« كان معى القطر في شاطئ التهر
وفد زهرت فيه الأزاهر كالأهر
ترشّ بماء الورد رشا وتنفى
لتفتيح أنواره بطيخة الخمر . »

(وقال حين دخل على المعتصم مآلقه)

« أرى أنت فائدة الزمان
قد هتت للمالك في زمان
وقد رمتك من يده بيد
فأدناك الله بلا توبت
بدلنا جهدنا عنما وحرما
ووطنا الكفاء على الطمان
وأجهدنا الزمان وللناسي
وأحملنا الحسام مع السنان
ليبقى أهل مآلقه انتصاري
وإعزّزى لم يسهل الخوان
سـمـتـنـم ونسبهم جيما
ورضخ الحير إن دوت لباني
وأوليسهم ذوا دوج للثاني
كما أجيبهم عمر الأماني

وأخلف القى يدي لباني
إليهم ما بين لهم جناني
لحق عليهم فسكر استعاضى
وما خلق امتنان بلعتان
ولكن الخفافى مخبرات
وكم خير ينوب عن العيان
ألم أحتشم من ذل كمر
جرى في ضميرهم ملء التنان
وتوراة عسرة أمزّت
فطالت ذلة السبع الثنائى
إلى أن ثار في مزم يان
فأدرك سؤله الضب البجاني
وأضيت الصوارم خلجات
فكان فتاؤها سحر البيان
ضاد البرّ مصور للثاني
وآب الفسق مهوم للثاني
وظم لمام جامعهم بمسلى
وألست المسمع بالأذنان
وكان ذور الهدى ما بين ثاو
قتيل أو قبيد الطل فاني
مذ اقترنت بيرهم بيود
ألح حسامهم حسن الثران
فتاد جر ما أوليت نسيم
- من الفتكات بكر أو عوان
وحسى في سبيل الله موت
يكون ثوابه غلة الجنان . »

(٢)

شعر المعتمد

هو الذي لم نعم بملك صفحه
إلا تأتي مراد واهفى وطر
قد أغلقتى صروف أنت تملها
وقال موردها: «مالى بهامد»
فالنفس جلزة ، واليهن دامة ،
والصوت مرجع ، والسر منشع
وزاد عى ما بالجسم من سقم
وشهد وأساء ولم يخلق الكبير
وذبت إلا نداء فى يمينى
أنى عهدك تفر حين تشتد
لم يأت عهدك ذباً يمشى به
هياً ، وما هو قد ناداك يختد
ما ألقب إلا على قوم دوى دخل
وفى لهم عهدك للمود إذ غدروا
قوم لم يمشى غش ، وصنهم
مين ، وقد هم إن صروف لشر
يبرز البش فى الألفاظ إن نكروا
ويصرف الحقد فى الألفاظ إن نظروا
إن يحرق القلب قت من مقامه
فإنما ذاك من نار الكلى هو
مولاي دعوة مملوك به طأ
يرحونى واحبك السلسل الحمر
أجب نداء أبنى قلب تملكه
أسى وذى حقة أودى بها المهر
لم أوت من زمت شيئاً أسر به
فلمست أهد ما كاس ولا وتر
ولا تملكنى دله ولا خير
ولا سبى غلنى شج ولا حور

(طرحه الله حين خرج من مائة مستحباً لأيه :)
« سكن فؤادك لا تذهب به الفكر
فلذا يمسد عليك البت والمخدر
وازجر جفونك لا ترضى البكاء لها
واسبر قد كنت عند الحطب لمطير
وإن يسكن قدر قد عاق من وطر
فلا سباً لما يأتى به التمدد
وإن تكن خيبة فى المعر واحدة
فكم غدوت ومن أشياك الظفر
إن كنت فى حيرة من جرم مجرم
فإن عهدك - فى طلائها - قر
كم زفرة - فى خفاف القلب - ساعد
وهيرة من شئون اليهن تصد
فوض إلى الله بما أنت حاكمه
وقى بمحضد بالله ينتد
ولا ترك خطوب إن عدا زمن
فأله يطلع والنصود ينصر
واسبر ، فأك من قوم أولى جله
- إذا أساتيم مكرمة - سبروا
من مثل قومك - وللك الهام أبو
عمرو أبوك - له مجد ومقتدر
سبيدع يهب الآلاف مقتدراً
ويستغل عطايه ويعتر
له يد كل جبار يجلها
لولا نداء قلنا إنها « الحبر »
يا منيفاً يجل الأبطال مقتدا
لا توهنى فالى التائب والظفر
وفارسا تحذر الأكران صولته
من عهدك الذى فهو الصادم الذى كره

تجيت مؤيدا ما لاح برق
وملقى الخيام على نضيب .
(وله إليه)
« ألا يملِكا على الخطيعة زنا
ويرواحدا فاق الخلاق أجما
ترق ببد وده لك شعبة
إذا كان ذو ودّ سواء نصنعا
لئن كنت من جلد خديك صافرا
فكم مارت قالت علاك له : « لبا »
أظن نكل جدا شكروا وصارما
يجر من الأعداء ليتا وأخذنا
علق من السخط الأليم سحابة
فأفر بهارخ الرضى كي تفتنا .
(وله إليه)
« مولاي أشكر إليك داء أصبح قلبي به قريبا
إن لم توجه رنك عنى فلت أدري له سرها
سخطك قد زادنى سقاما
فابت إلى الرضى مسيحا .
(وله إليه)
« ياليت حرب ذاق الأطدى
طمين منه أريا ومبا
هذا إذا تأسبوه حريا
وقا إذا استوبوه سلما
لا غرو أن سم منك جسم
ضادة الأسد أن تحما
وليمنى أن طلت يدرا
لأعين الحق مستها
لا زلت تلقى القعدة يؤسى
منك وتلقى الولاة لى
وتتجر من قال من حود
إن يكن الحق قد ألى .
(وله)
« يا بدر تم تحيل للأرض تفرق منه
الجر خلق ذعيم فلا تحدث منه .

رنك راحة تسمى لا تجت به
لهو التاد الذى قد مر أدخر
هو للدم الذى أسلو بها فإذا
عندتها جئت فى قلبي النسكر
ما تركي الخمر من زهد ولا ووع
ظلم يمارق لمرى سنى الصنر
وإنما أنا ساع فى رنك فإن
أخلفت فيه فلا يفسح لى المر
ما سرى وأحلى عصر عطفكم
يوم أخل به فى عيني النمر
أجل دلى راحة أخرى علفت بها
ظلم الكلى فى التنا والهام تفتن
كم راحة لى فى الأعداء واضحة
تنفى البالي وما يبنى لها الجبر
سارت بها البس فى الآفاق فالتفتت
فليس فى كل حق غيرها سر
لا زلت ذا منة قصا شائعة
لا يبلغ الوهم أدناها ولا البصر
ولا يزل وزد من حسن رأيك لى
أوى إليه فتم الكهف وفوزد
أليك روضة فذكرى جاء منبتها
ندى يبنى لا ظل ولا مطر
جعلت ذكراك فى أرجائها شجرا
فكل أوقتها للجنى نمر .
(وله إليه)
« أيا ملكا يجل من التريب
ومن يثد غفران التريب
ومن فى كفه يؤسى وليسى
نصرف فى المسد والمجب
تسخطك المشى أهل تسمى
ومال غير مفوك من طيب
ولست بتكر ذنى ولكند
ننى قد جئت فى حال التريب
فان عافيتى لجرأ مثل
وإن تصفع فليس من التريب

ابن عمار

« وكتب ذو الوزارين أبو بكر بن عمار
إلى المعتد على الله حين هبى النصراني
على الرشيد ابنه إذ حاول أسر ميسه . »

« أصدق طي أم أصبح إلى صبي فأضى عزى أم أعوج مع الزكب

(١) ابن عمار

الوزير أبو بكر « محمد بن عمار » ذو النفس المصابية - كما يقول المراكشي - كان أحد الشعراء
المجيدين على طريقة أبي القاسم « محمد بن هاني » الأندلسي ، وربما كان أحلى مؤثما منه - في كثير من شعره .
ولشعره ديوان يدور بين أبدي أهل الأندلس ولم أر أحدا ممن أدركته سبي من أهل الآداب الذين أخذت عنهم
إلا رأيت مقدما له مؤثرا لشعره ، وربما تآلى بعضهم بشبهه بأبي الطيب وهبيات . فن قصائده للشهيرة التي
أجاد فيها ما أراد ، قصيدته التي كتب بها من سرقة حين فرق للمعتد بالله بينه وبين المعتد لأنه شغل عن
كثير من أموره فتفاء وهي : -

« على واليا ما يكاه النمام وفي واليا ما نواح الخمام

وعني آثار الرد صرخة طالب ثأره وهز البريق صفحة صارم

ومالست زهر التجوم حنادها لتعيرى ولا فلتله في مآتم . »

وفي هذه القصيدة يقول يمدح للمعتد بالله :

« أبى أن يراه الله إلا مقبلا حية (١) سيف أو حافة فارم . »

ومن جيد لبيبه قوله في قصيدة يمدح بها للمعتد بالله :

« جاء الهوى فاستشروه طاره ونسيه فاستمذروه أواره

لا تطلبوا - في الحب - حزا ، إنما عيانه في حركته أحراره

قالوا أضرب بك الهوى فأجبتهم : يا حبذا وجبنا أضراوه

ظني هو اختار السقام لجسه زفا ، غشوه وما يختاره

غير عوى بالنحول ، ولأما عرف الهند أن ترق شفاوه

وشمت لفرار من آفته وزربا حجب الظلال سراره

أحببت السلوان حب لبيبه ؟ أو انذاك النوم هاد خراوه ؟

إن كان أعياء القلبين حرب الجوى خفله من دمي لئن أنساه . »

ولابن عمار هذا مع المعتد أخبار مجية عن مجيها أهل الأندلس ، وأنا - إن شاء الله - مورد منها ما لا يحفل
بالطوط الذي لثقتة ، ولا يخرج من الحد الذي رسته ، حسب ما بقي على خاطري من ذلك ، لأنني كنت في

وإني أتبع في إليك مودة يثرها ما قد تعرض من ذني
إذا اهدت في رأي مشيت مع الهوى وإن أتعبه تكلمت على عني

حياة سني قد صرفت ضائع إلى أخبار ابن عمار هذا مع اللحن لما قضته من الآداب . وقد ظفرت خرافة
حظي فلم ألت فيها إلا بنعة بيرة وأنا موردها إن شاء الله عز وجل :
فابن عمار هذا هو محمد بن عمار يكنى أبا بكر أصله من « شلب » من قرية من أعمالها يقال لها : « شنبوس »
مولده ومولد آبائه بها ، كان يخلل البيت ليس له ولا لأسلافه في الرياضة حتى قدم البحر ولا حتى حظه ، ولا زكا
منهم بها أحد . ورد مدينة شلب طفلاً فتشأ بها وتعلم علم الأدب على جماعة منهم أبو الحجاج يوسف بن عيسى
الأحلم ، ثم رحل إلى قرطبة فتأهب بها ومهر في صناعة الشعر فكان تصاروه التكسب به فلم يزل يجرول
الأندلس مستترفاً لا يرضى بحسبه للثوب دون غيرهم بل لا يزال من أخذ ولا من استعطف من ملك أو سوقة ،
وله في ذلك خبر عظيم ، وذلك أنه : ورد في بعض سفراته شلب لا يملك إلا دابة لا يجد عليها فكتب بشعر
إلى رجل من وجوه أهل السوق فكان يقره عند ذلك الرجل أن ملأ له الخلة شعيراً ووجه بها إليه ، فرأى
ابن عمار من أجل الصلات وأسن الجوائز - ثم اتفق أن علك حل ابن عمار وساعده الجدة ونهض به البحت
واضح أسره أن ولده للحن على الله مدينة شلب وأعمالها أول ما أنفى الأمر إليه فدخلها ابن عمار في
مركب منضم وجلة عبيد وحشم وأظهر نخوة لم يظفها للحن على الله حين ولها أليم أبيه للحن بالله ،
فكان أول شيء سأل عنه الرجل صاحب صاحب الشعر ، فقال : ما صنع فلان أمومي ؟ قالوا : نعم
فأرسل إليه بخلته بيننا بعد أن ملأها دراهم وقال لرسوله : « قل له لو ملأها برا للأناها بيرا » ولم يزل
ابن عمار على الحال التي ذكرناها من التظلم في بلاد الأندلس للاستجداء والاستعطاف إلى أن ورد على
الحن بالله أبي عمرو فامتدحه بقصيدته المشهورة التي أولها :

« أدرك الزجاجة فالنسيم قد انبرى ولتجهم قد صرف النال عن النوى
والصبح قد أهدى لنا كافوروه لما استرد الليل منا النوى

وقتها يقول بمدح الحنض :

« جاد الحنض نائل حنكه والجو قد ليس الرداء الأتعبا
فماح زند أجد ، لا يظنك من ناز الوفي إلا إلى ناز القري
يختار أنت يهب الخريدة كاهيا ، والطرف أجرد ، والحسام مجومرا »

وفي هذه القصيدة يقول في وصف وقعة أوقتها للحنض بالبربر :

« شقيت بسيفك أمة لم تفتد إلا اليهود ، وإن تسوا بربرا
أثمرت ربحك من رؤوس كاتهم لما رأيت النصف يمشق مشرا
وخضبت سيفك من دماء محروم لما صحت الحسن يلبس أجرا . »

ومن أبيات هذه القصيدة بيت لم أسمع لحنض ولا متأخر بمثله وهو قوله :

« السيف أضح من « زباد » خطية سف الحرب إن كانت - يملك منها . »

ولما ألفت للحنض هذه القصيدة استحسنها ، وأمر له بحال وثياب ومركب ، وأمر أن يكتب في ديوان الشعراء
فكان كنفه ، ثم تلقى بالحنض على الله - هو إذ ذاك شاب غلام نزل له منه تزييد وموات خدمته له هوى

وما أغرب الأيام فيما قضت به ترفيق مدي حثك آس من قرى
أما لك الحق الذي لك في دمي وأرجوك للحب الذي لك في قلبي

وهناك إلى أن صار ابن مزار الملق بالمتحد من شمراته (١) ، وأدنى إليه من جبل وريده. كان للمتحد
لاستغنى عنه ساعة من ليل ولا نهار ، ثم اتفق أن ولي للمتحد على الله شلب من قبل أبيه فاستوزر بن مزار
هذا في تلك الولاية وسلم إليه جميع أموره فغلب عليه ابن مزار غلبة شديدة ، وساءت السنة فيها ، فانفض
نظر المتحد للتفرق بينهما وفي ابن مزار عن بلاده حسب ما تقدم الإيحاء إليه ، فلم يزل ابن مزار متربا في
أفصى بلاد الأندلس إلى أن توفي للمتحد بالله ، فاستدعاه للمتحد وقر به أشد تهريب حتى كان يشاركه فيها لا يشاركه
الرجل فيه أخاه ولأبيه . وله ممرام كونهما يشلبخبر يجب ، وذلك أن المتحد استدعاه لية إلى مجلس أسسه
على ما كانت العادة جارية به إلا أنه في تلك الليلة زاد في القصر به والبر له على المتحد ، فلما جاء وقت النوم
أقسم للمتحد عليه : « تضمن رأسك مني على وساد واحد » فقال ذلك . قال ابن مزار : فنهض في
ماتف في النوم يقول : « لا تترأى أبنا للسكين إنه سيقتك ولو بعد حين » قال : « فالتفت من نومي فرأيت
وعمودت من تحت » فنهض في المذهب على حالته الأولى فالتفت ، ثم عدت فسمعت ثالثة فالتفت فسمعت
من أنوابي ، واختلفت في بعض الحصر وقصصت دمليز القصر مستغنيا به ، وقد أزمعت على أني إذا أصبحت
مستغنيا حتى آتي البحر فأركبه وأقصد بلاد المدرة فأكون في بعض جبال البربر حتى أموت ، فالتفت للمتحد
فأخبرني فلم يجدني فأمر بطلي فظلمت له في نواحي القصر وخرج هو بنفسه يتوكل على سببه والشعة تحمل
بين يديه ، وكان هو الذي وقع على فكانت في حركة فأحس بي وقال : « ما هذا يحرك في هذا
الحصر ؟ » ثم أمر به ففعل ، فخرجت مرأنا ليس على إلا السراويل . فلما رأي أني فانت حينئذ دموما وقال :
« يا أبا بكر ما الذي حثك على هذا ؟ » فلم أر بدا من أن صدقته ، فقصصت عليه قصتي من أولها إلى
آخرها ، فضحك وقال : « يا أبا بكر ، أمنتك أحلام هذه آثار الحمار » ثم قال لي : « وكيف أفتك ،
أرأيت أحدا يقتل نفسه ؟ ما أنت إلا كفتي » ففكر لابن مزار ودعا له بطول البقاء ، وتناهى الأمر نفسه ،
وسمت على ذلك الأيام والأيام إلى أن كان من أمره ما سيأتي الإيحاء إليه ، فصعد رؤيا ابن مزار وحمل
المتحد نفسه كما قال .

ولما انفض الأمر إلى المتحد سأل ابن مزار ولاية شلب وهي كانت بلده ومنشأه كما تقدم ، فأجابته
المتحد إلى ذلك وولاه إياها أبوه ولاية جبل إليه جميع أمورها خارجها ودخلها ، فاستمرت ولاية ابن مزار
عليها إلى أن اشتد شوق للمتحد إليه وضمف من احتياج الصبر عنه ، فاستدعاه وعزله عنها واستوزره ،
فكانت حاله معه شعبة بحال جعفر بن يحيى مع الرشيد ولم يزل للمتحد يمد لكل أمر جليل ويؤمله لكل
دنية عالية ، وكان ابن مزار مع هذا لا يئط به أمر إلا اضطلع به ، وكان فيه كالمكة الهباء ، واشهر أمره
ببلاد الأندلس حتى كان معه الأذفتش إذا ذكر ضده ابن مزار . قال هو رجل الجبرية ، وكان ابن مزار
هو الذي رده عن قصد اشيلية وقرطبة وأحلمها ، وذلك أنه خرج في جيوش ضخمة يقصد بلاد للمتحد
طامسا فيها ، فظافه الناس ، وامتلات صدور أهل تلك الجهات رعبا منه ، وابتغوا منقطعهم من دفاعه . فتولى
ابن مزار رده بألف حية وأمر تدمير ، وذلك أنه قام سفرة شطرنج في غاية الإختار والابداع لم يكن عند
مكة مثله ، جعل سورها من الأبوس والقود الرطب والسمندل ، وحلها بالذهب ، وجعل أرضها غاية في
الافان يخرج من عند للمتحد رسولا إلى الأذفتش فليفي في أول بلاد للسليين فأعظم الأذفتش قدره وباع

(١) القس : بفتح أوله وتشديد ثانيه أراد به رأس الصدر وهي العظام التي تتلاقى في وسط الصدر حيث ينبت الشعر .

ولي حسنت لوأمت يعضها إلى النحر لم يرجع ثنابته سري

في إكرامه وأمر وجوه دولته بالتردد إلى خيائه وللإساعة في حوائجه فأطهر ابن عمار تلك السفرة فركبها
بعض خواص الأذنش فدخل خبرها إليه وكان الساج (الأذنش) مولدا بالشرطيخ فلما أتى ابن عمار سألته
« كيف أنت في الشرطيخ ؟ » وكان ابن عمار فيه طبقة عالية فأخبره بكلماته منه ، فقال له بئس أن عندك
سفرة في غاية الاحتمال ، قال ابن عمار نعم ، فقال كيف السبيل إلى رؤيتها ؟ فقال ابن عمار لترجمانه قل له أنا
أنيك بها على أن ألعب معك عليها ، فإن غلبني فعني لك ، وإن غلبتك فلي حكسي ، فقال له الأذنش فلما
انتظر إليها ، فأمر ابن عمار من جاء بها ، فلما وضعت بين يدي الساج صلب وقال ما علمت أن أمتان الشرطيخ
يبلغ إلى هذا الحد ، ثم قال لابن عمار كيف قلت فأعاد عليه الكلام الأول ، فقال له الأذنش لا ألعب معك
على حكم مجهول لا أدرى ما هو ، ولله في ذلك حيلة لا يمكنني ، فقال ابن عمار لا ألعب إلا على هذا الوجه وأمر
بالسفرة فطويت وكشف ابن عمار سر ما أراد له رجاله وثق بهم من وجوه دولة الأذنش وجعل لهم أموالا
خطية على أن يوازروه على أمره ففعلوه فصارت الساج بالسفرة وشاور خاصته فلما رآه ابن عمار
فعلوا عليه ، فقالوا له : « إن غلبته كان عندك سفرة ليس عندك منها ، وإن غلبك فإصاه أن يحكم
وقبوا عنده إظهار الملك العجز عن شيء يطلب منه ، وقالوا إن طلب ابن عمار ما لم يمكن فتنحى عنه بركة
من ذلك ، ولم يزلوا به حتى أجاب ، وأرسل إلى ابن عمار ، فجاء ومعه السفرة ، فقال له : « قد قبلت
ما وسسته . » فقال له ابن عمار : « فاجل بيني وبينك فهوذا سأهم له ، فأمر الأذنش بهم فلفروا
واغتصا يلعبان ، وكان ابن عمار كما ذكرنا طبقة في الأذنش لا يحوم له أحد فيها ، فغلب الأذنش غلبة
ظاهرة لجميع الحاضرين لم يكن قطع فيها مطعن . فلما حقت النوبة . قال له ابن عمار : « حل صبح أن لي
حكسي ؟ » قال « نعم » قال : « أن ترجع من هاتنا إلى بلادك » فأسود وجه الساج وقام وقعد
وقال لحواصه « قد كنت أخاف من هذا حتى هو تنوء علي في أمثال هذا القول » وم بالثقت والتمادي
لوجه . فقبوا ذلك عليه وقالوا له : « كيف يجمل بك الندى وأنت ملك ملوك النصارى في وقتك » فلم
يزلوا به حتى سكن وقال : « لا أزوج حتى آخذ أتاوة طامين خلف هذه السنة » فقال ابن عمار « هذا
كله لك » وجاءه بما أراد فرجع ، وكف الله بأسه ، ودفعه بحوله وحسن دفاعه عن المسلمين ، ورجع
ابن عمار إلى إشبيلية ، وقد امتلأت نفس المتحد سرورا به ، ثم إن المتحد حدث له أن فل في الطلب على
سرية وأعمالها ، وهي التي تعرف بتسمير ، وكانت بيد أبي عبد الرحمن محمد بن طاهر كان هو للطلب عليها
وللدبر لأمرها ، فجاء للمتحد جيوشا خطية ، وتكفل له ابن عمار بأخذها وإخراج ابن طاهر عنها فلقى
ابن طاهر حين خرج من مرسية بيني حيد العزيز يلفسية ، فكان بها إلى أن مات رحمه الله ، ولما غلب
ابن عمار على مرسية دار ملك بين طاهر كما ذكرنا حديثه عنه ، وسوّل له سوء رأيه أن يبتدئ بأسه ،
وأن يضبط تلك البلاد لنفسه ، فلم يزل يصرف الحيلة في ذلك إلى أن تم له بفضه ، ودانت له مرسية
وأعمالها ، وطمع في ملك يلفسية إلى أن قام عليه رجل من أهل مرسية ، يقال له ابن رشيقي كان أبوه من
من حرقاء الجند بها ، وكان ابن عمار قد خرج لبعض أمره فدعا ابن رشيقي هذا إلى نفسه ، وطلعت معه
العامة وبعض الجند ، فجاء يركض حتى للقيشة وقد غلقت أبوابها ودونه لحاصروها بين منه ألقاها ، فامتدت

وكم قدرت يتلأبى من صريرة فلاخرو يوما أن تظل من غري

عليه ولم يقد على دخولها ، فبقى حائراً لا يدري ما يصنع ولا أين يتوجه ، وقد كان بلغ للعتد قيمه عليه وخلق يده من طلته ، فلم ير إلا الغروب ملجأ فهرب حتى لحق بيني هود بركة فأقام مضمداً حتى نزل عليهم وغلقوا خاتمه ، وخبثه في ميونهم ماثل مع صاحبه وولى لسته فأخرجوه من بلادهم ولم تزل البلاد تتعاقفه وملوكها تفتاده إلى أن وقع في حصن الأندلس في غاية النمة يدهي شقورة كان للعتب عليه رجلا يقال له ابن مبارك فأكرم وفادته وأحسن نزله ثم بدله بعد أيام قبض عليه وقبده وجهه في سجنه . فلما رأى ابن مبارك منه قال له لا عليك أن تكتب إلى ملوك الأندلس بكوني عندك ، وعرض عليهم لما منهم إلا من يرغب في ، لأن كان أهدم دفة جل لك مالا ووجهت في إليه ففعل ابن مبارك ذلك لما عرض على أحد من ملوك الأندلس إلا رغب فيه ، وكتب فيمن كتب إلى للعتد ، وفي ذلك يقول ابن حمار :

« أصبحت في السوق يتأدى على رأسى بأنواع من اللال

والله ما جبر على ماله من ضيق بائس الغال . »

وفي هذا السجين يقول ابن حمار وقد استعدي ثورة يستكشف بها كتمنرت عليه فاستعدي موسى فأتى بها ، هال في ذلك :

« بوسى شقورة عندى أوت على كل بوسى

فسمعت حارون فيها فظلت أطلب موسى . »

وبعث للعتد على الله من رجلاه من سلم ابن حمار من يد ابن مبارك بعد أن بعث إليه بحال وخيل ، وأمر للعتد الذين تسلموا ابن حمار أن يزيدوا في الاحتياط عليه وتجهيده ، فخرجوا به حتى وافوا قرطبة ، ووافق ذلك كون للعتد بها ، فدخلها ابن حمار أشنع دخول وأسوأه على بطل بين عدلى بين وقبوه ظاهرة للناس ، وقد كان للعتد أمر بإخراج الناس خاصتهم وعامة حتى ينظروا إليه على تلك الحال ، وقد كان قبل هذا إذا دخل قرطبة اعتزت له وخرج إليه وجوه أهلها وأعيانهم وروؤسائهم ، فاستعيد منهم من يصل إلى قبيل يده أو يرد عليه ابن حمار السلام وغيرهم ، لا يصل إلى قبيل ركا به أو طرف ثوبه ، ومنهم من ينظر إليه على بعد لا يستطيع الوصول إليه ، فسبحان عيلى الأحوال ، ومديلى القول ، فدخل ابن حمار قرطبة كما ذكرنا بعد المرأة النساء ، وللك الشامخ ، والرياسة الفارعة ، ذليلاً ، خائفاً فقيراً ، لا يملك إلا ثوبه الذى عليه ، فسبحان من سلبه ما هو به ، ومنه ما كان به أمته ، وأخبر بعض الزكابين به ملائق لهم معه من فرط ذكائه وسرعة غلته قال : « لما قربنا من قرطبة بحيث يرانا الناس ، خرج فارس من البلد يركض يهتداً ، فلما رآه ابن حمار وكان مستأزماً أزال الصامة عن رأسه ، فجاء الفارس حتى وصل إلينا ، فنظر إلى ابن حمار ودخل معنا في الصف ففى ، فسألناه فبم جاء فقال « الذى جئت فيه صنه هذا الرجل قبل أن أصل إليه » فقلنا أنه أرسل ليزيل حماه ، فأدخل على للعتد على الله على الحال التى ذكرت يرسف في قيوده ، فجعل للعتد يمدد عليه أيديه ولده ، وابن حمار في ذلك كله مطرق الرأس لا ينس إلى أن انتهى كلام اللعتد ، فكان من جواب ابن حمار أن قال : « ما أتكر شيئاً مما يذكره مولانا - أجد الله - ولو أتكرته لفهمت على به الجملادات فضلاً من ينطق ، ولكن هتوت فأقل ، وزلت فاصنع » فقال للعتد : « حيات لينا عترة لاهال » وأمر به فاحضر في النهر إلى إشبيلية فدخل به أشبيلية على الحال التى دخل عليها قرطبة وجعل ، في غره على باب قصر للعتد للعروف بالقصر المبارك وهو باقى إلى وقتنا

ولا بد ما بيني وبينك من تائب يطيقها ما بين هرق إلى غرب

هذا فقال سبته هناك . كذبت عنه في هذا السجن فساد لو توسل بها إلى العذر لنزع عن جوره ، أو إلى الله لكف عن دوره ، فكانت رق لم تتجح ، ودعوات لم تسمع ، وتبائم لم تنفع ، فلها قوله :

«سبائك إن مايت - أئدى وأسبح ،
وإن كال - بين الخطئين - منية»
حنائك إلى أخفى برأك ، لا طلع
فان رجائي أن عندك غير ما
ولم لا وقد أسلفت وما وخفمة
وهي قد أعطت أعمال مفسد
أفنى بما بيني وبينك من رضى
وعف على آثار جرم سلكتها
ولا تلتفت قول الوشاة ورأيهم
سيأتيك في أمرى حديث وقد أتى
وما ذاك إلا ما علت فأنى
كأنى بهم - لا در لله درهم -
وقالوا : « سيجزيه فلان بطله »
ألا إن بطلاً للؤيد يرتى
وماذا سوى الواشون أن يزيدها
نعم لى ذنب غير أن لعله
عليه سلام كيف دار به الهوى
ويهنه إن مت السلو فإنى
وبين ضلوى من حواء تيمية
ولكن حلا للؤيد يرجع
سوى أن ذنبى واضح متصح
صفاء يزل الذنب عنها فيسطع
إلى فيدوا أو على فينزع
أموت ولى شوق إليه مروح
ستقع لو أن الملم يجلع . »

ولما بلغت المعتد هذه الصعيدة وأشدت بين يديه كان بحضرته رجل من البغداديين ، لجل يزى على البيت وبين ضلوى ويقول ما أراد بهذا اللحن ، فكان من جواب المعتد رحمه الله أن قال : أما لك سلبه الله المروءة والوفاء ، لما أهدمه القطة والكاه أما نظر إلى بيت الغفل من طرف خلق وهو -
« وإذا التية أنشدت أطفالها الفيت كل تيمية لا تنفع . »

ولم يزل ابن مزار هذا يسجن للمعتد إلى أن قتله صبرا في شهر سنة ٤٧٩ هـ وظنيس خبره أنه لما طال سجنه كتب إليه بالصعيدة التي تقدم لإشادها ، فأدركت للمعتد بعض الرقة ، فوجه إليه ليلا وهو على بعض الجبال أنه فأتى به برسف في قيوده ، لجل للمعتد بسعد منه عليه ، وإلا يديه قبله ، فلم يكن لابن مزار جواب ولا عذر غير أنه أخذ في البكاء ، وجعل يفرق للمعتد ، ويمسح عطيه ، ويستجلب من الأطفال كل ما يقدروا أنه يزرع له الرقة في تلبي للمعتد ثم له بعض ما أراد من ذلك ، وحطت للمعتد ساقته وقدم حرمته ، بحبه ، فكتب ابن مزار من فوره بما دار له للمعتد إلى ابنه الراضى بالله ، فوافاه الكتاب - وبحضرته قوم كانت بينهم وبين ابن مزار من قديمه - فلما فرأ الراضى الكتاب قال لهم : « ما أرى ابن مزار إلا سجنى » فقالوا له : « ومن أين علم مولانا ذلك » فقال : « هذا كتاب ابن مزار يخبرنى فيه أن مولانا للمعتد قد

ولاشك أن العلوم منك سببة ظريف إلا أن تخلف من حي .
(جاءه للمعد على الله)

«قدم إلى ما حدثت عندي من الرحب ورد تلك التي حباها من الحب
حتى تلقى تلقى الذي قد بقره صغرا من الجاني ودونا على الصبح
سأوليك من ما حدثت من الرحب وأعرض عما كان إن كان من ذب
لما أشعر الرحمن على نسوة ولا صار لبيان الألفة من شيء
تلكه أبي به لك سلوة فليس يمانى العزم معترك القلب .»

(والمعد على الله إلى ذي الوزراء أبي بكر)

«قد زارنا للرجس الكبر وقد عطشنا ولم رى
ونحن في مجلس ندى وإلا من يومنا المني
ولى حبيب فعلى شيء ياليت ساعد السبي .»

(والمعد إلى الوزير أبي عمر بن علقش)

«نسيت أبا عمر من شيء من غير شيء
وداد صحب ، وخلق طبع وخلق نصيح ، لدى للمعد
أحق البنية تندي بها وأبدع ما في الزمان الذي
أزاهر : لم تتشقى بالآلو ف لطفا ، ولا جنت باليد
خجلت لتكوك في طيا فاكنت أسح للشهد
ود غبت لك تلك الزوى ليشج طار ويريى منى
فعود عليك من التنايات إذا كان نصري بالمرصد
وكن غيرى أنى سائل سؤال مدلى على مسند
فما لك صغرا عند لنا م نرى من الأقى الأهد
طيفك بالثمن الدرجى ولا لك بالثمن السجدي
وطفك بالرى لو أنه أيج قى الزهد لم زهد .»

وصد به بالملاس « فأظهر القوم الفرح وهم يطوفون غيره ، لما طموا من مجلس الراضى لقروا حديث
ابن حمار أتبع لمر ، وزادوا فيه زيفات قيمة صنت هذا الكتاب عن ذكرها فبلغ المعد ذلك فأرسل
إلى ابن حمار ، وقال له : « حل أخبرت أحدا بما كان بيني وبينك البارحة » فأنكر ابن حمار ، كل
الأنكار ، فقال للمعد فرسول « كل له الروح فكان الاستعصية كانت في إحداهما القصيدة ، لما قلت
بالأخرى ؟ » فادى أنه يمش فيها القصيدة فقال للمعد « علم للسودة » فلم يمر جوابا ، فخرج للمعد حفا
ويده الطيرين حتى سمع الدقة التي فيها ابن حمار ، لما رآه علم أنه قاله ، فجل ابن حمار يزحف وفيه
تله حتى انكب على قدمي للمعد يلقها والمعد لا يفتح في . فله الطيرين الذي في يده ولم يزل يصره
به حتى برد ، ورجع للمعد فأمر به فكتبه ورسلى عليه ودفعه بالصر المبارك ، فعلم ما أصعب إلينا من
خبر ابن حمار ملخصا حسب ما بقى على خاطري . « للمعب في طينيس أخبار للرب »

(وله روحه الله)

« كتابى وحيدى من فرائض ما عندى
وما خلت الأتلام إلا وأدعى
ولولا طلاب الجدد زورك طيبه
عمدا كما زار الندى ورق الورد
هبت ما تحت الظلم من اللها
وعانت ما فوق الوشاح إلى القدد
أناجبة عن وحاضرة دى
لئن هبت عن صبي فإني في كبدى
أبى على الحد الذى كان بيننا
فإني على ما فعلين من العهد . »

(وهو وزير الكاتب أبى الوليد بن النعمان)

« أيدك الله إنه يوم
تحبب في الصلاة والصوم
وتعجز الزاح غير واية
لا تارنى حزنا ولا لوم
فانشط إليه فانه أمل
يلتفه في نديك القوم
لازك مستيقظ السعودنا
وعتك في أجن الردى نوم . »

(فأجابه أيد الله)

« حث بخافة الجناح وقد
أمكن ورد فلا يمل حرم
وسمت في الطيب والسرور فنى
لم يزر يوما بطيه سوم
وعامو المجلس لند لكم
فادخل إليه وليدخل القوم
إلى كؤس لو شاء شاربها
يوم ليا لأمكن القوم . »

(فلهذه روحه الله)

« ليك ليك من مناد
له الندى الرحب والندى
ها أنا بالباب جد ن
بقت وجهك السقى
عرفه والهاء بسم
عرفه أنت والنبي . »

(وقال)

« سلى على إذ كنت غير طيبة
بأن ليس في حى لنفك مطع
ولن لي القلب الذى ليس خاليا
من الوجد والجن الذى ليس بهج
بذكر نيك النعمان يتر عند ما
يبب لسميم ، والنزلة تطلع
نواقه لا أهلك أذكر مومنى
لديك ولا أهلك نحوك أترع . »

(وقال)

« أنكم إلى الصب الشجى ساد
تلك عنه للأسى أسفاد
رجل أصطبارى إذ وحتم قاتلا
أوب الأجابة بيننا للجاد
يا من نكثت ذنوبهم ووصالم
بدا على من الشوب حداد
كم بت منكم بين حصن باقة
كاليف تضطمت الأعماد . »

(وقال في مشقة اسمها « اعتاد » يؤخذ حروف اسمها من أوائل هذه الأبيات .)

« أفاية الشخص من ناظري وحلته في صميم القواد
عليك السلام بقدر الشجور ودمع الشكر وفقد السهاد
تملكت من صعب الزام وماددت ودي سهل القياد
مرادى لثياك في كل حين ثابلت أنى أعطى مرادى
أنتهى على العهد ما يتنا ولا تستحيل لطول الابداد
دستاسك الملو في على شعري وأنت في حروف اعتاد . »

(وقال)

« فلي موال لماديه وعاشق من لا يباله
خلى الظلوم كذا زده موده زاد تحببه
يا غفر الله له ذنبه في ظلم صب حاتم فيه
يا حسن الوجه بحق الهوى لارض قبح الهجر واليه . »

(وقال)

إني رأيتك في المنام ضيقاً وكان ساعدك الزهر وسادى
وكأنما تاتقني وشعركوت ما أشكوه من وجدي وطول سهادي
وكأنني تجلت ثمرك والطلبي والوجنتين وثقت منك مرادى
ومواك لولا أن طيفك زائر في القلب لي ما دلت طم رقاد . »

(وقال يستدعي الوزير للعمرى الحكيم)

« أبها صاحب القدي فارت عي حتى ونسى منه السن والنساء
نحن في المجلس القدي يهب الراحة وللسمع القدي والفتاء
صاعلى القدي تنيك في القذفة والزقمة الهوى والهواء
فأنه تلف واحدة وبها قد أصداك الميا والحياه . »

(وله)

« لما تأتأى الكرى من ناظري وصرته لما انصرفت طيه
طلب البشير بشارة يجزى بها نوبت فلي وانصرفت إليه . »

(وله)

« الجود أحل على قلبي من الظفر ومن مثال قصي السؤل والوطر
ومن فناء أروى في الصبح لنا يا طلة الشمس في الآمال والبكر
وقد حلت إلى ما اعتبت من كرم حين أرض إلى مستأخر للطر
وقد تنامت عني عن كآبها غضبا وبعث الأكل أيضاً قنة الوتر
حتى أملكه منبهي ما تنجود به وأسمع المد بالأخرى على الأثر
فهلها .. خلنا أرض السباح بها عتوفة في أكف العرب باليد . »

(وله)

« من اللوك يتأو الأصيد البطل حيث جاءتكم مهديّة الدوله
خطبت قرطبة الحناء إذ منعت من جاء يخطبها بالبيض والأسل
وكم فدت طلائع منعت لها فأصبحت في سرى الخيل والمثل
مهرس اللوك لنا في نصرها مهرس كل اللوك به في مائمه الوجيل
فراقوا عن قروب لا أيا لكم هجوم ليت بدوع البلس منتدل . »

(وله إلى المصنف بالله)

« مولاي يا نا الأباذي كوا كحات التواذي
أنا عييد مدّ لحم داه الأباذي
واعطدت لنفس من نصيد الآساد
أني عليها مقيم زالح أو نناد
أكر بالضررب فيها والطن عند الجلاذ
حتى أبحت حاملا بحرقت حداد
إن لم تكن أسد غيل تحكن جاذر واد
بحق لحم وطى وسكنة ورماد
ملكتم من أرض جس إلى قري سنداد . »

(وله رحمه الله)

« فظن بنا أم الريح سامة ألاغر الرحمن ذباً توافسه
أاسم طيا في ضلوي كناسه ويغر محلم في طواذي مطاله
وروضة حسن أجى من محارها وبلود ظلم لم يحسدر هرائمه
إذا شت كل نوالا تهيئه على متفيتها أو عدوا تخارعه . »

(وله)

« أطلع زهر نجوم الكلام ومعه من خلال الحلق
أنا قريشك والمم حتى أينا فأمسى به قد هلك
فهاك موارد ود صفت يهلك فيها التي أهلك . »

(وله)

« دوا يشت مفعلا بجمال أو روضة سكية الزمان
لا بل مروساً قد زفت تولت ما بين نصكرنا قد وبنان
سما لأمرك إذ دعوت إلى القى تدع القلوب طية الأحران
أما الكؤوس قد عبرت ما بيننا يدى غزال سائر الأجلان
خنت يلعن للنام يطره ويصكه متى أشأ غفاني
فلا لسرك لم أكن لأخيه لأصحبنا من بن سهوان . »

(وله)

« إن كان صريداً نبي محمد فلاجلن مكانه وودا
من قهوة ضفت أكوتها نارا تكون على المشتل بردا. »

(وله)

« احرب الكاس في ووداد وودادك وتأس بذكرها في اشراك
قر ظب من جنوك سرآ . وسكتا في سواد فؤادك . »

(وله)

« حدث كتابي على نوزة في سارة النزة الزاهرة
نياليت شخصي يكون الكتاب قسطه للغة السرة . »

(وله في اعتاد أيتها)

« بكرت نوم وفي الفؤاد بلايل سفها وهل يئن الخليم الجاهل
يا حسنه كني في في حاشق من لا يرد هواي منها عاقل
حب «اعتاد» في الجوانح ساكن لا التلب ضاق به ولا هو راحل
يا طيبة سبت فؤاد محمد أو لم يروك الهزبر الباسل
من شك أن حاتم بك مرم غسلي مراك له على دلائل
نون كنه سفره ومنافع مقلت سحائبها وجسم ناعل . »

(وله في اعتاد أيتها)

« أدانو التوى كدار بك تقدي وكم عني من دار أميف أفيدي
سكت به لو قد تعرض دونه كجدة الأماذي في النسيج للسردي
لجودت فنرب للهند فافضي مرادي وعزما مثل حد للهند
في حل خل من فؤاد خليلي محل «اعتاد» من فؤاد محمد
ولكنها الأندار تردى بلا طبا وعسى بلا قتل وترى بلا يد . »

(وله)

« مشك أنوح في مسطى ووجك ألمح في ناظري
فهرت بقربك بعد امتناع فن ذاك سميت بالظافر . »

(وله)

« يا أيها النس التي ظي لها أحد البروج
ولولاك لم أك مؤثرا فرش الحرير على السروج. »

(وله)

« أياح لطيف طيفها في الكرى الحفا نض به قفاحة واجتي وودا
وأيمن نمرأ شمت لسميه خليل لي أن شمت به نقدا
ولو قدرت زاونت على حل يحظه ولكن حبيب الين ما بيننا منا

أما وجدت منا التثون مرجا ولا وجدت منا خطوب النوى بدا
سقى الله صوب القطر أم عيدة كما قد سقت ظلي على حره بردا
على الظلي جيئاً ، والفزاة سدة . وروى إربا فوجاء وعصن التثاقدا .

(وله)

« من عاشق يشكو صباه إلى محب حاتم مشبه
كلها صب إلى لاقه حزان طمان إلى وصله
يا رب عجل جمع ههنا بهذا وقرب الشكل إلى شكاه . »

(وله)

« بقلبي لبعدي عن غابيل فتوقى صحب وجسى خليل
وددى على حب ما قلدين تزول الجبال وما إن يزول
فلا تستجلى لبعدي البهار فاني مع البعد لا أستجلى . »

(وله)

« القلب قد لج فما ينصر والوجد قد جل فما ينتر
والدمع جار قطره وابل والجسم بال ثوبه أصفر
هكذا ومن أعتقه واسن كيف به لو أنه يهجر
لكن صدقي ثابت النوى على دوحه والشادن الأحور
والكوكب الوفاة تحت النوى في أنفه والقمير الأزهر
والترجس الفواح غب لندي في روضه ولتعلل الأذفر
قد خبرت عن آني أسرو في شحوب وضى يظهر
فأبنت الإشفاق من حالي ومثل ما تبديه ما تفسر
واستفهمت أن كنت ذاملة أو ذا اشتياق ناره تفسر
سيدتي لم تعمل عاشقا أخشى كما أغشرك الخبر
إذ قلت : هل من ألم طائف ما بك أو شوق فما تصبر
ظلت بالشك حواي الذي يعرفه النيب والمفر
واقه ما سقى إلا حوى كل حوى في جنبه ينصر
غير جسمي فأطلى أنني أروم لفيك ولا أقدر
فاستغري الله من الغم لي فإن من يظلم يستخر . »

(وقال)

« يا ظليمة لطفت من منازلها فالقلب من والأحداق والكبد (١)
حي لك الناس طرا يهمدون به وأنت شاهدة إلى يقيم حسد
لم يهرب الوصل فيها بيتنا أبداً لو كنت واجدة مثل الذي أجده . »

(١) لبت هذه الأبيات خطأ لابن زيدون انظر « ص ٢٢٢ » .

(وقال)

« هل راكب فاهب عنهم يحسني
قد متّ إلا فعاه في يسكه
ما سرح النعم من عين وأطلعه
صبراً لعل لذي بالبعد أرسنى
كيف اصطباري وفي كاتون فارغني
شخص يذكرني فاه وغرته
لكن صلت إلى ذاك الرضاب لكم
وإن أفاض دموعي نوح باكية
وإن بدت وأشتتني المصوم لقد
أوحل فقد عزائي تأيه فلكم
يا حسن إهراق ساعات التوحدت
والله ما فارقتني باختيارهم
وما بدلت حبا غير جهنم
أفندي الحبيب الذي لو كان مقتوداً
يارب قرب - على خير - ثلاثينا
إذ لا كتاب يواظب فيحسني (١)
أنت القواد بليامم يرجيني
إلا اعتياد أسي في القاب مسجون
بالقرب يوما يداوين فيشفي
تلي وما نحن في أعقاب لفرين
شمس النهار وأهاس الزمان
قد بات منه يسلي فيروني
فكم أواء يفتني فينجيني
عهدته وهو يدني فيسلي
حلت من خصره عقد الثمانين
كواكباً في ليل بصد الجوف
وإنما الدهر بالكره يرجيني
إذن بدلت دين السكر من دين
لكل بالنفس والأهلين يدني
بالطالع السعد والعلية اليامين . »

(وقال)

« ولما ألقينا القواد قدية
وغيرت الجرد العناق وصفقت
بكينا فما حق كان صونا
وكنّا نرجى الأوب بعد ثلاثة
وقد خلفت في ساحة القصر رايات (٢)
طبول ولاحت لفراق ملاحت
لجري النجوم الحرف فيملاحت
تكيف وقد كانت عليها زادات »

(وقال)

« أهلا بكم محبتكم - نحوي - الحميم
حو الملقى ولو ليل لا بجمعة
لائم القوم إن خطوا بعد قلم
لاخرق - لا ترقوا كتباً ولا حمر
انتم أبا الأسع الحبوب تلقى
هنا فؤادي قد طار السرور به
سأكنم الليل ما أشكوه من بعد
وحال أن يفسق لي بكم حلم
فلن تغفروا ومن يعزى لكم حلم
وأن يقولوا بسبب فصل الخطاب ظم
إذ يلتدون ولا جور إذا حكموا
من المودة لا يزدي به سأم
إذ كنت تنطق الوخادة الرسم
واسأل المسح عنكم حين ينضم . »

- (١) وردت هذه القصيدة في « م ٦١ » وقد نسبت خطأ لابن زيدون .
(٢) وردت هذه القصيدة في « م ١٠٩ » وقد نسبت خطأ لابن زيدون .

(وقال)

« الشمس تجل من جالك فغيب سرمة قلبك
والقبح يمي أن يصب لنا يراه من تواجك
والجسد يطلع ناهياً حتى يحم من كالك . »

(وقال)

« وشاهد أسأله فهو يناد بالهوية والورد (١)
فبت أسقى الراح من رقة وأجنى الورد من الحدة . »

(وله)

« يا حلالاً إذا بنا لي تجلت من فؤادي دجنة الكربان
وغزلاً للفتية يظلي ففكت مكانها ففكاني
تبت إذ حزت بقرصال وبلمس جاني ففلكا وجماني
ففرق بموقف أنت منه في سواد القلوب والمعدات
أنا أخشى عليك يا ساكن القلب للعلل بالمد من فرائد »

(وله)

« أنا في عذاب من فراقك سكران من غر اشتياك
سبب السؤد إلى لنا ففك وارثناك واستناك
لا تحصى إلى سكرت لنا توالي من فراقك
مننى جنوني أنت لا تلتقي عالم تلاكك
فصلى جبل القطن إلى وقتي ظلي في وثاقك . »

(وقال)

« وشعة تنق ظلام الفجر عني فقدم من الناس
قد جل الرحمن من لطفه حياتها في القطع لراس
ساعتها والكأس يسي بها من رقة ألقى من الكأس
ضياؤها لاشك من وجهه وحرها من حر أغلى »

(وله)

« يا دبح الحسن والإخسان يا بحر العلي
يا غزلاً صاد مسي بالطنى ليت المياح
قد غنينا بننا وجهك من ضوء السراج »

(وله)

« ثم له الحسن بالفساد واقرن الليل بالتهار
أخضرى أيض تدي ففك آسى وفا يهوى

قد جرى مجلسي تملأ إذ بك من رقة عطري . «

(وله)

« لله در أبي السنان من فارس هم الجنان
تختاه آساذ الرجا ل كما ترم به الثيات
فيأسه يفسى العدا ويحسب يسي الحسن . «

(وله)

« يقاتل بالخط عيوننا وبالسيف والرمح أنفى قتال
طورا يسيدها النساء وطورا يسيدها أسود الرجال . «

(وله)

« إذا ما انصبت الولى دارما وقتت وجهك بالنفس
حينما عيناك شمس الضحى عليها سحب من الغمر . «

(وله)

« يا قرا نلى له مطلع وشادنا فى مبعثى برع
والله ما أطلع فى البش مذ أسبعت فى وصفك لأطلع
ليت كما برع فى مبعثى آنى فى رقة أكرم . «

(وله)

« وأغن يلب بالموم كاشفت أرماع قوى بالعداء نواجا
ذى لى لى الطول بها دشا من عند رضوانا أنا لها ربا . «

(وله)

« بمن حكي صانوه السما لغمر منه طوال الرماح
وصالحوا مثال الزفا عليه كواكب تحفى لنا بالنجاح
وتردات أطوانه بالنجوم كما ليس الألف توب الصباح . «

(وله)

« أيا عسى لا تخزي واسجى فإن الهوى ما به منصف
حيب جنك وقلب عصا ك ولا ح لك ولا لطف
شجون تمنى الجفون الكرى وهو شتى أدمسا ترف . «

(وله)

« أسرت طرفك عند متبراقنا فبسا لطفى أنه نك
أو ليس وجهك فوته أسرا يجل بتر توراه الحف . «

(وله)

« فتك مقلنا بالقلب من وبكت مقلنى شوقاً إليه

حكى لحظه تا سيف جا دو دمی له صاحب یدیه .»

(وله)

« یا قرا آهه نوادی معافه لم تنسب بایه
ومن خدا مسترق حر الکلام قد خله بهک
توت دور القریض ثرا یقوم ذهن له بهک
فلک لله دور ذهن یخرج درا من بحرک
وجاهت الطیر مودعات سرک یاسرکل معک
یتنن دلا علی وداد عضه لی ینیر شک .»

(وله)

« بهت بالرسل اتباطاً منی علی خلقک الجلیل
نرداً حقیراً فیه بانی فضک فی المسخر والعبول
لو أنه مهجی لکانت تحضر فی قدرك الجلیل .»

(وله)

* « ترهناً یا ابا یحیی ومن ظفرت کفی به فدائی فنیله الظاهر
إن حل ما بیننا ویماتنا التناثر فظاهر القلب حقا نعوکم ناظر
أحی مکافک من قلبی وأمننه کما حی الحاجب الاسلام بالبر .»

(وله)

« أنخلتني وعدک لی وخلقاً أصهدک
ضد بأن تهجرنی واجر علی مادتك .»

(وله)

« وردت أبا الفتح یاسیدی ورودا لکری بمنطول السواد
ولما احتلت بنا لم تعل من الجن والقلب غیر السواد
ودوک منا طیوراً غدت ظهیر إلیک بریش الوداد .»

(وله)

« أبا الولید تجاوز وهب لنا الضمیض
واقبل جواباً علی طلبک الصبیح مرهناً
زفقت نحوی مروساً تمحطب روضاً أریضاً
جلوتها لی سواد تمحو للماتی یضاً
وقد منحتک نرداً لا حکک المروضا
وسوف أرفع جهدی من قدرك المفلوذا .»

(وله إلى أبيه رحمه الله)

« يا متبع الإكرام إنلما ومتبع الإنعام إنلما
وطالاً في الناس لكته أصبح للأموال ظلاما
فرت في كلك بحر اللتى صارم أسكته الهاما
وجت فيك خصال الورى وحزت آراء وإنلما
فالوت والعيش بينك قد صرنا أسيافا وأقلما
أتملت بالإنعام ظهري، قد أظمت عن شكرك إنلما
سقت إنضالا دى كي ترى تزيد في عمرك أعواما
فاسلم لاهراق دماء المدا ما طرد الإصباح إنلما . »

(وله إليه يطلب مجنا)

« أيا ماجنا لم يرم شافاً من الجبد فاحل غير العت
سألك صفراء بكسراً لجد على بها شافاً للعت
تزد اللسان إذا أما شيا حده من قوم السق
وإن كنت من معشر في الولى أقاموا القلوب ظلم الجنى . »

(وله إليه يطلب جوادا)

« ألا يا غرة السد وقرّة نظر الجبد
ومولاي الذى ما زال ل يسحب حلة الجبد
لبيك حمة حامت بركنى الضمر الجرد
ويرغب شارعا منها إلى حياك في الورد
وإن تجبضه من جبد تمن به على جبد . »

(فبعت إليه مرسجا فكتب إليه)

« خلعت ثوب الصق على الميبد الوقى
يا مسترقا بنما . كل حر سرى
أنى على الورد سرج كلهدى فرق الهدى
ضوف أورد رعى عليه قلب الكى . »

(وله إليه)

« يا أيا لك الذى كفاء بخت السحاب
أضمت بالبيض الكما ب على الخيل العرباب
وغدوت تحفى لنا ب كما ترعى فتواب
برضاك أهر نأى ال آمال منى ذا اقرب
ويطيب ألبى لميسك عرفت ألبم للشباب
نفكرت ما أو لينيه من ألبمك المذاب
بشا سنأى في المنا ن وحسبى في الضراب

وشيا لاني في الحيا
لازلت تتل النور هو خفتك في القرب
(وله إليه)

« يا أيها الملك الذي لم يزل يبري لى غرته السارى
وجلسا في كفه بالنسي والبأس بين الماء والقار
امنا قد نك القى فتشقى نفسك واشكر نعم البارى . »
(وله إليه يطلب الإذن بالصيد)

« امض على جد وذاك بساعة يرتاح فيها بصليد أرناب
حتى يصيد بمذك الأبطال في يوم الوعى بأسته وقواضب . »
(وله إليه)

« وساعة لزمان مسقة قصت فيها أرنابا وحبل
فلا أراى إلاه منك رضى إن لم أصمن صدك كل بل . »
(وله إليه)

« أوجعك يشرق في الظلام وسقى الله مد على الأنهم
وليت الغاب إقصاما وبأسا دوب الفضل والنهم الجسام
عبيدك مولع بالصيد فما حوب الصيد من شيم الكرام
فاذك فيه واسلم للأعداى تدبر عليهم كأس الخلم . »
(وله إليه)

« أيا ملكا حى فضله ولم ألق في بحر لسان زجرا
مهنت البهار بلور ومدت وتأتى بحار ألبانك جزرا
دعونا الأمانى لما وضعت لجأت تولى علينا وتوى
ظم يبق لى أمل أرتجيه سوى أن أقوم بصدك شكرا
بيت ولا مك إلا غدا غدا مك كلك نهرا وقرا

(وقال)

أستضيأ بالله دعوة آمل وجئت على يصد فأصبح ذاقرب
فأم مأسولا ولم ميسا وصلت أمانيه على مورد عنب
موارد ما حلل ضن حثما ولا قادته شع مستناب العرب
وما أنا ظان لئيل وردكم وحسى موقوف على ورودكم حسى
أترقلى أمت منذ كنت أملك وتعمل من عياه فى النزل الرحب
لجئت أغد السر حق كائن لا لراط لغدائى على ظهر الخجب
فألفت على الناس لغرا وسوددا وعدلا فذه النفس صفا بلا كذب
يمن لى رايه كالواقى الصب وجزر المعروف كالصوم الضنب
وللى لما تولى وأوليت شاكر فمن شكر النماء ذل رضى الرب . »

وقال (١)

« لما تملكك النوح وتنه القلب الصديق
فلما الخنوع سياسة قيد منك لم خنوع
والله من طعم الخنوع على في السم التبع
إن تطلب من الله ملكي وتطلب الجوع

(١) جاء في كتاب للراكني قبل هذه الأيات الرثمة ما يلي :

قال يوسف بن تاشفين لبعض قضاة من وجوه أصحابه : « كنت أظن أني ملكت شيئاً ، فما رأيت تلك البلاد صغرت على عين مملكتي ، فكيف الحيلة في تحصيلها ؟ » فاتفق رأيهم ورأى أصحابه على أن يرسلوا القسند يستأذنون له وجال من صلحاء أصحابهم وغلبوا في الزبط بالأندلس ، ومجاهدة العدو ، والكون يمشي الحصون المصابة لروم إلى أن يموتوا ففعلوا ، وكتبوا إلى القسند بذلك ، فأذن لهم بعد أن وافق على ذلك ابن الأفلح لتفكر صاحب التنوير ، ولما أراد يوسف وأصحابه بذلك أن يكون قوم من شيعتهم يمشون بالجزيرة في بلادها ، فلما كان أمر من قيام يدعوهم أو يظهر لملكهم وجدوا في كل بلد أمراً ، وقد كانت قلوب أهل الأندلس كما ذكرت قد أهرت حب يوسف وأصحابه ، فجز يوسف من خيال أصحابه رجلاً اختبئهم ، وأمر عليهم رجلاً من قراجه يسمى « بليج » وأمر إليه ما أراد ، فجاز بليج المذكور وقصد القسند من ملوك الجزيرة ، فقال : « أين تأمرني بالكون ؟ » فوجهه مع القسند من أصحابه من ينزله يمشي الحصون التي اختاروها لهم فنزل حيث أئزوه هو وأصحابه ، وأفلحوا هناك إلى أن ثارت الفتنة على القسند ، وكان مبعوثاً في شوال من سنة ٤٨٣ بأخذ جزيرة طريف للقبلة لطبقة من البوادة دون مقعدة ظاهرة توجب ذلك ، فقتلت جوعه وأموالها مملثة ، واضطرت بلاد وقرب أهلها على بحجة منتظمة ، ولما أخذ المراكبون جزيرة طريف وادعوا فيها بدعوة أمير المؤمنين القدر ذلك في الأندلس ، وزحف القوم الذين همنا ذكرهم السكاكوت في الحصون إلى طرقة طائروها وفيها عباد بن القسند للقب بالأمون ، وقد تقدم ذكره ، وهو من أكبر ولده ، دخلوا البلد وقتل عباد حسناً بعد أن أبلى عنراً ، وأظهر في النطاق من قسده لجبا وصيرا ، وذلك في مستهل صفر الكائن في سنة ٤٨٤ فزادت الإحنة والحنة ، واستمرت في غلوها الفتنة ، وأجست على الثورة بحضرة اشيلية طامحة ، فأعلم القسند بما اضطلعت الطامحة للذكورة وكشف له من مرادها ، وأجست عنده سوء اعتقادها ، وأمرى بجزى أديها ، وسلك دميها ، وحسن على حثك حرمها ، وكشف حرمها ، فأبى له ذلك مجده الأصيل ، ورواها الأصيل ، ومنهجه الجليل ، وما جاء الله من حسن البليج ، وصحة العمل والدين ، إلى أن أمكنتهم الفترة يوم الثلاثاء متصفر حجب من السنة المذكورة فقاموا بجيش كبير مستمر ، واستطروا بناها غير مستمر ، فجز هو من قصره ، سبيله يديه ، وغلاله ترف على جسده لافرة له ولا دوح عليه ، فلق على باب من أبواب المدينة يسمى باب الفرج فارساً من الماخطين مشهور النجدة شاك السلاخ ، فرماه الفارس برمح قصير أناب الفتنة ، طويل شفرة السنان ، فانوى الرمح بخلائه وخرج تحت إبطه ، وعصمه الله منه ودفعه بنفسه عنه ، وصب هو سبيله على حافي الفارس فقتله إلى أخلاعه ، غرق صرماً ، واتهمزت تلك الجروح ، ونزل للقسندون للأسوار منها ، ووطن أهل اشيلية أن الخناق قد تنس ، فلما كان عصر ذلك اليوم ، طودهم القوم ، فظهر على البلد من ولده ،

فألقب بين ضلوعه لم تلم القلب الضلوع
لم أستب حرف الطبا مع ألسن العرف الرنيح ؟
قد رمت يوم ترأفهم إلا تحصى الدروع
وبرزت ليس سوى قلب من عن المعنى في مدفوع
وبذلك هي كى قلب بل إذا قيل بها النجيع
أجل تأخر لم يحسن بهوى قلب والمقصوع
ما رت قط إلى الفتا ل وكان من أمل الرجوع
شمع الأل أنا منهم والأصل تنبيه الفروع .»

ويش من سكى ناديه ، ويغ فيه الأمل حاسده وشايله ، وحيث التفر في شوايله ، فاعطع عندما العمل
والتقول ، وفجعت القوة من أبدي أهلها والمحول ، وكان الذى ظهر عليها من جهة البر وجل من أصحاب
يوسف أمير للسلطن والتوت الحال ألياما يسيه إلى أن ورد الأمير سير ابن أبي بكر بن تاشفين وهو ابن أخى
أمير للسلطن يساكره متظاهرة ، وحشود من الرحية وافرة ، والناس في خلال هذه الأيام قد خاضهم
الجزع ، وغالط قلوبهم الملع ، يطمعون السبل سياحة ، ويهربون النهر سياحة ، ويهولون بجارى الأفقار ،
ويترامون من صرافات الأسوار : حرصاً على الحياة والوفود بالبعد ، للقيوم على صريح الرد ، تاجون إلى
أن كان يوم الأحد لاجدى وهجرين خلت من رجب من السنة المذكورة ، وهذا يوم الكائن العظيم والطامة
الكبرى فيه حم الأسر الواقع ، واتسع الحرق على الواقع ، ودخل البلد من واديه ، وأصاب خاضره وباده ،
بعد أن جدالى فى القتال ، واجتهدت القتلى في الزوال ، وظهر من دفاع للعدو - وحماقه - وبأسه ،
وترايب على الموت بنفسه ، ملاحزبد عليه ، ولا تناء لخلق إليه ، وفي ذلك يقول للمجدد بعد ما نزل بالصدوة
أسيراً حياً :

« لما تماسكت الضلوع وتنهى القلب الصديق » الخ

فشلت الفارة في البلد ولم يترك البربر لأحد من أهلها سبها ولا ليدا ، وانتهت قصور للعدو نهباً فيها ،
وأخذ هو قبضاً باليد ، وأجبر على مخاطبة أبيه للعدو بالله والراضى بالله ، وكانا يخطين من مائل الأندلس
للمشهوره لو شاء أن يمتنا بسبا لم يصل أحد إليهما . أحد الحسين يسمى رقة ، والآخر ملركة ، فكتب
رحم الله ، وكتبت السيدة الكبرى أمهما مستظنين مسترحين ملتين أن دم الكل منهم مسترح بقبولتها
فألقا من القل وأيا وضع يديها في يد أحد من الناس بعد أبيها ، ثم عطفتها عواطف الرحمة ، ونظرا في
حقوق أروبا للفترة بحق الله من وجل ، فتسلك كل منهما يديه ، وبذ دياه ، ونزلا من الحسين بعد
جهود مهمة ومواقى عكمة . فأما للعدو بالله قال القائد الواصل إليه قبض عند نزوله على كل ما كان يملكه
وأما الراضى بالله فقد خروجه من قصره قل غيلة وأخفى جمعه ، ورحل للعدو وآله بعد استكمال جميع
أحواله ، ولم يصحب من ذلك كله بلغة زاد ، فركب بالسلطن ، وحل بالصدوة عمل الدين ، فكان نزوله
من الصدوة بطنجة .

(١) قال الراكعي في كتاب السج :

«أظم للشد بطنية أياً ، وألبه بها المصري الفاصر ، جارى سه على سوء ماله من فج للسكية
والفرط الاخلاف، فرغ إليه أشماراً قديمة كان قد مدحه بها، وأناف إلى ذلك قصيدة استبعها هند وصوفه
إليه ولم يكن عند الشد في ذلك اليوم مما زود به نيا بطن أكثر من ستة وثلاثين مثقالاً طبع عليها ،
وكتب معها قطعة شعر يتنثر من قلتها سقطت من حطلي ووجه بها إليه فلم يجاوبه عن القطعة على سهولة
الشعر على خاطره وخنقه عليه كان هذا الرجل أعنى المصري الأعمى أسرع الناس في الشعر خاطراً إلا أنه
كان قليل الجيد منه ، فحركة الشد على الله على الجواب قطعة أولها : قل لمن قد جمع الخ »

وأظم للشد بطنية رجه الله أياً على الحال التي تتدم ذكرها ، ثم انتقل إلى مدينة مكناسة ، فأظم
بها أهوا إلى أن قد الأمر بشيئهم إلى مدينة المحات ، فأظموا بها إلى أن توفي للشد رجه الله ودفن بها
قبره معروفه هناك ، وكانت وقته في شهر سنة ٨٧٠ وقيل سنة ٨٧١ لله أعلم ، توفي سنة إحدى وخمسون
سنة ، فن أحسن ما سهرى مما روى به للشد على الله مقطوعة من شعر ابن الجابة أولها :

«لكن من من الأشياء عيقت ، ولقي - من منايهم - فليت
والهجر في صفة الحياء منفس ألوان حلاله فيها استعالات
ونحن من لب التخرج في يده وربما قررت باليسق الفناء
فأفنى يدك من الدنيا وما كنتها للأرض قد أقرت والناس قد ماتوا
وقل لئالها الأرض قد كتبت سريرة العالم العلوى «المحات»
طوت مظلتها لايل مزلتها من لم تزل فوقه القرويات
من كان بين الندى والبأس أصله هندية وعطايه عبيدات
أنصكرت إلا التواء القبود به وكيف تنكر في الروضات حيات
وقلت من ذوابات فلم عكست من رأسه نحو وجليه القرويات
وأوه ليلاً ظافوا منه عادية صفتهم فلهوى البيت عادات.»

وله من قصيدة يرثيهم بها وهي كثيرة الجيد أولها :

«مريرة دخلت النابتات على أسود لهسم فيها وآساد
وكعبة كانت الآمال تنسرها فاليوم لا حاكف فيها ولا جاد
تلك الزماح رماح الخط تنفها خطب الزمان تنفلا غير مستاد
والبيض ييض الطبا لك مضاربها أيدي الردى وتنتها دون إجماد
لما دنا الوقت لم تختلف له عدة وكل هيء لميقت وميماد
كمن درارى سعد لدموت ووهت هناك من دور للجد افراد
تور وتور لهذا بسد لسته ذوى وذلك خبا من بسد إجماد
يا منيف انقريت الكرمات خلف في ضم وحك واجم فنة الزاد

كان في الصرة شعر فنظرنا جواه
قد أتيتهك فهلا جلب التمرنواه .

ويا مؤمل وادعهم ليسكنه
من تسيل الندى بمن السيل وفير
خف القطين وجف الزرع بالودي
لغير قصد ، فإني بهيكن عاد .

ولها يقول :

« ليست - الأفعاء القهر - كونهم
والناس قملوا العبرين ، واحتجوا
في اللشعك كالموت بالحد
من لؤلؤ طائيت فوق أزيد
حط القناع ، فلم تثر غفوة
ومرت أوجه تفرق أبرد
تفرقوا بجيرة من بعد ما تكأوا
أهلاً بأهل ، وأولاهم بأولاد
حل الوداع فضجت كل صارخة
وصارخ من ملعداء ومن ناد
صارحت سائتهم - والنوح بينهم
كأنها ليل يحدو بها المادي
كم سالتى للماه من دمع وكم حلت
فك القطار من قطرات أكباد
من ليل بكب - أي ماء السماء - إذا
ماء السماء أي سقاها الصادي .

وهي طويته جفا هذا ما اختارت له منها .

« ولما اتصل بزراعة القسراء وملح أهل الكدية ما صنع للحد رحمة الله مع المصري فمرضوا له بكل
طريق ، وقصدوه من كل فج حبيب ، فقال في ذلك رحمة الله .

« شعراء طليعة كلهم وللرب ،
سألوا المسجر من الأسير - وإله
فحبوا من الاغراب أهد منهب
بؤاظم لأحق ، فأنجب وأنجب
لولا الحياء وهزة الخيبة
- طلي الحفا - ساوهم في اللطاب
فكانوا مثل الندى يجرله ، وإن
نادى المريج يباه أركب يركب .

وله في هذا المسرح رحمة الله :

« فتح القهر ، فإذا صفا
قد هوى - ظلاً - بمن طوته
من إذا التيت هي منبراً
أن ينادى كل من يحوى لنا
من همام الجود من راحة
أعجبنا كفه فاعطنا
من إذا قيل الختام وإن
صفت روح به فافهمنا
قل لمن يطع في قاتله
للق المافون صا صا
قد أزال اليأس فاذك الطما
راج لا يهك إلا دموعه
جير الله العناء النسيان .

معارضات الشعراء لابن زيدون

سرکم الوصل ظناً لا قدتکم
فکان بالوهم موجوداً ومظنوناً
سرى من للسک من سراکم خبر
بُئید عهد هواکم سَیْرُهُ فینا
أیکم بدرکم یحلو لیلینا
نوراً وطیبکم یرعى بوادینا
مهلاً فلم نعتقدین الهوى تباً
ولا قرأنا بصحف المس تلقینا
قد نصرف العذل بقوینا ویرشدنا
وترک النار تسلینا ونشجینا
وتتبع الحی والأشواق محرقة
نحوم بالماء والأرحام نحمینا
کواکب بسما الشفق قد جعلت
لنا رجوماً وما کنا شیاطینا

معارضات أمير الشعراء

اندلسية

« نظم أمير الشعراء هذه القصيدة الرائعة وحرق
منفاه بإسبانيا وفيها يحن الوطن العزيز ويصف
كثيراً من مشاهد ومباعد . »

« أولع كثير من الشعراء من لعماء وعديدين
بمعارضات ابن زيدون ، ولو أردنا أن نقت
معارضاتهم الكثيرة لقصده للمهورة لاحقنا إلى
سفرهم فلنجزئ بقصيدة « أبى بكر بن الملح »
التي ذكرها « ابن هشام » في كتبه القصيرة من
التقدماء ، وقصائد أمير الشعراء أحد شوق بك التي
عارض بها ابن زيدون . »

معارضة أبى بكر

قال ابن هشام بعد أن ذكر توبة ابن زيدون التي أولها :
« أغشى التناقى بديلاً من تدانينا » (٢)
« وهذه القصيدة بجملتها فريدة ، وقد عارضه
فيها جماعة فصرخوا عنه منهم « أبو بكر بن الملح »
فلزعه فيها الرأية ، قصر عن الثانية حيث يقول من
قصيدة أولها . »

هل يسمع أريج شكوانا فيشكينا

أو يرجع القول مفناه فيغنيننا

ثم استمر في غزلهما إلى أن قال :

يا باخلين علينا أن نودعكم

وقد بصدقم عن القيا غيونا

فقوا نردكم وإن كانت قراؤكم

نزراً ، ومنكم بالوصل ممنونا

(١) انظر « ١١٧ » (٢) انظر « ٤١ »

لنقتية لا تتال الأرض أدمعهم
ولا مفارقتهم إلا مصلينا
لو لم يسودوا بدين فيه منبهة
للناس، كانت لهم أخلاقهم ديننا
لم نسر من حرم إلا إلى حرم
كالخمر من «بابل» سارت «لنارينا»
لما بنا الخلد نابت عنه نسخته
تماثل الورد «خيربا» و «نسرينا»
نسقى تراهم ثناء، كلما ثرت
دموعنا نظمت منها مراثينا
كادت عيون قوافينا تحركه
وكدن يوقطن في الترب السلطينا
لكن مصر وإن أغضت على معة
عين من الخلد بالكافور نسقينا
على جوانبها رفقت تماثنا
وحول حافاتها قامت روافينا
ملاعب مرحت فيها مآربنا
وأربع أنست فيها أمانينا
ومطلع لعمود من أواخرنا
ومغرب لجدود من أوالبنا
بنا فلم نخل من روح براوحنا
من بر مصر وريحان يغادينا
كأتم موسى، على أسم الله تكلمنا
وبأسمه ذهب في اليم تلقينا

ياتأم «الطلع» أشباه هودينا
نشجى لوديك أم نأسى لودينا ؟
ماذا تقص حلينا غير أن يدا
قصت جناحك جالت في حواشينا !
رمى بنا البين أبكاً غير سامرنا
أخا الغريب : وظلاً غير نادينا
كل رمته النوى اريش الفرق لنا
سهماً، وصل عليك الين سكيننا
إذا دعا الشوق لم نبرح بمنصدم
من الجناحين عى لا يليبنا
فلنذك الجبس - يا بن الطلع - فرقنا
إن للصائب يجمن للصائنا
لم تال ماءك تحنناً ولا ظمأ
ولا أذكاراً، ولا شجواً أفانينا
تجر من فن ساقاً إلى فن
وتسحب الذيل ترناد للؤاسينا
أساة جسمك شقى حين طلبهم
فن لروحك بالنطس للداوينا !
آهانا نازحى أيك بأندلس
وإن حلقنا رقيقاً من روابينا
نسم وقتنا على رسم الوفاء له
نحيش بالدمع، والإجلال يثنينا

ومصر كالكرم ذى الإحسان : فأكفة

لحاضرين ، وأكواب لبادينا

❦

ياسارى البرق يرمى عن جوانحننا

بعد الهدوء ويهيم عن مآقينا

لما تفرق فى دمع السماء دماً

هاج البكا لحنننا الارض باكيننا

الليل يشهد لم تنتك دياجيه

كلّ نيلم ولم تهتف بسالينا

والنجم لم يرنا إلا كلّ قلم

قيام ليل الهوى للعهد راعينا

كزفرة فى سماء الليل حائرة

عما تردد فيه حين يضرونا

بالله إن جيت ظلماء العباب كلّ

نجايب النور معدوا (بجهرينا)

ترد عنك يدها كل عادية

إنسا يمشن فساداً أو شياطينا

حتى حوتك سماء النيل عالية

كلّ النيوث وإن كانت ميلامينا

واحرزتك شقوق اللازورد كلّ

وشى الزبرجد من أفواف واديننا

وحازك الريف أرجاء مورجة

رهت خائل ، وأهزرت بساتينا

قف إلى النيل واهتف فى خائله

وانزل كما نزل الطل الرياحيننا

وأس ما يلت يذوى من منارلنا

بالحادنات ويضوى من مغانينا

❦

ويامطر الوادى سرت سحراً

قطاب كل طروح من مرامينا

ذكية النيل لو خائنا غلاتها

قيص يوسف لم نحسب مغالينا

جشمت شوك السرى حتى أثبت لنا

بالورد كتباً ، وبالرا هناوينا

قلو جزيناك بالأرواح غالية

عن طيب مسراك لم تهض جوازينا

هل من ذبولك مكى نعمله

غرائب الشوق وشيا من أمالينا

إلى الذين وجدنا ود غيرهم

دنيا وودهمو الصافى هو الديننا

❦

يا من قمار عليهم من ضمائرنا

ومن مصون هواهم فى تنانينا

فاب الحنين إليكم فى خواطرنا

عن الدلال عليكم فى أمالينا

جئنا إلى الصبر ندعوه كعادتنا

فى النابات - فلم يأخذ بأيدينا

والسعد لودام، والنسعى لو أطردت،
والسيل لوعف، وللقدار لودينا
ألقى على الأرض حتى ردها ذهباً
ماه لسنابها الكبير - أوطينا
أعداه من يمنة «التابوت» وارتسمت
على جوانبه - الأوار من سيننا
له مبالغ ما في الخلق من كرم
عهد الكرام وميثاق الوفيننا
لم يجر للهر إعذار ولا مرس
إلا بأيننا أو في ليالينا
ولا حوى السد أطفى في أعتقه
منا جيداً، ولا أرخى ميادينا
نحن اليواقيت خاض النار جوهرا
ولم يهن بيد القشتيت غاليينا
ولا يحول لنا صيغ ولا خلق
إذا تلوت كالحرباء شافينا
لم تنزل الشمس ميزاناً ولا صعدت
في ملكها الضمغم عرشاً مثل وادينا
ألم توله على حافاته، ورأت
عليه آبناءها الفر لليامينا ؟
إن غازلت شاطئي في الضحى لبنا
خائل السندس للوشية الفينا
وبات كل مجاح الواد من شجر
لواظف القز بالخططان ترمينا

وما غلبنا على جمع ولا جلد
حتى ألقنا نواكم من صياحيننا
ونابئ كأت الحشر آخره
تيمنا فيه ذكراكم وتيميننا
لطوى دجاء يجرح من فراقكمو
يكاد في غلس الأسعار - يطويننا
إذا رسا النجم لم ترقأ محاجرنا
حتى يزول، ولم تهدأ تراقيننا
بتنا قلسى الدوايح من كواكبها
حتى قدنا بها : حسرى قاسيننا
يمدو النهار فيخفيه تجلدا
لشامتين، ويأسوه تأسيننا
سقا المهد - كآ كنف الرثي - رقة
أنى نعبنا، وأعطاف السبا ليننا
إذ الزمان بنا غيناء زاهية
ترف أوقاتنا فيها رياحيننا
الوصل صافية، والعيش ناعية
والسعد حاشية، والهر ماشيننا
والشمس تحتال في المقيان نحسبها
«بلقيس» ترفل في وشى اليامينا
والنيل قبل كالدنيا إذا احتفلت
لو كلت فيها وقاء للمصافينا

وهنا الأرض من سهل ومن جبل
 قبل (التيامر) دناها (فراعينا)
 ولم يضع حجراً بان على حجر
 في الأرض إلا على آثار بائنا
 كأن أهرام مصر حائط نهضت
 به يد البحر لا بنيان قائنا
 لروانه الفخم من عليا مقاصره
 يبق للوك ولا يبق الأواينا
 كأنها ورملا حولها التلمت
 سفينة غرقت إلا أساطينا
 كأنها تحت لألاء الضعى ذهباً
 كنوز (فرعون) غطين للواينا
 *
 أرض الأبوة والبلاد ، طيبها
 مر الصبا في ذيول من تصاينا
 كانت محجلة فيها مواقنا
 غرا مسلسلة للجرى قوافينا
 فآب - من كوة الأيام - لا عينا ،
 وثاب من سنة لأحلام - لا هينا
 ولم تدع للبال صافياً ، فمدت
 « بأن تنص قال البحر : آمينا »
 لو استعلمنا : غلطنا الجو صاعقة
 والبر نار وغى ، والبحر غليتنا

سعيأ إلى مصر قضى حق ذا كرنا
 فيها إذا نسي الوافي وبأ كينا
 كثر (بحلون) عند الله نطلبه
 خير الودع من خير للودينا
 لو غاب كل عز عز عنه غيبنا
 لم يأنه الشوق إلا من نواينا
 إذا حملنا لمصر أوله شجنأ
 لم ندر أى هوى الأمين شاجينا
 زحلة
 « وقال سارداً صبيحة ابن زيدون إلى أولها :
 « ما للدمام تديرها عينك »
 شيت أحلامي بقلب باك
 ولحت من طرق للملاح شباكى
 ورجعت أدرج الشباب وورده
 أمشى مكانهما على الأشواك
 وبجاني واه كأن خوفه
 لما تلفت جهشة للتباكى
 شاكى السلاح إذا خلا بضلوعه
 فأذا أهيب به فليس بشاك
 قد راعه أى طويت حباتى
 من بعد طول تناول وفكاك
 وبع ابن جنبي كل غاية لذة
 بعد الشباب عزيرة الإدراك

ودخلت في ليلين فرحك والشجى
ولمحت كالصبيح للنور فاك
ووجدت في كنه الجوامع نشوة
من طيب فيك ومن سلاف لك
وتعطلت لغة الكلام وخاطبت
عين في لغة الهوى عيناك
وعوت كل لبانة من خاطري
ونسيت كل تعاتب وتساكي
لا أمس من همر الزمان ولا غدة
جمع الزمان فكان يوم رضاك
لبنان ردتني إليك من النوى
أقدار سير الحياة دراك
جمت تزيلى ظهرها من فرقة
كرة وراء صوالج الأفلاك
نمشى عليها فوق كل فجاءة
كالطير فوق مكانم الأشرار
ولو أن بالشوق للزار وجدتنى
ملقى الرجال على تراك القماكي
بنت البقاع وأم برودونيهما
طبي كبحق واسكي برداك
ودمشق جنات النسيم وإمما
القيت سدة عنهن رباك

لم تبق منا يا قواد بجة
لغتوة أو فضلة لراك
كنا إذا صقت نبت الهوى
ونشد شد العصة الفتاك
واليوم تبعت في حين تهزنى
ما يبعث الناقوس في النساء
يا جارة الوادى طربت وعادنى
ما يشبه الأحلام من ذكراك
مثلت في الذكري هوالك وفي الكرى
والذكر يا صدى السنين الحماكي
ولقد مررت على الرياض بربرة
غناء كنت جياهما أفتاك
ضجكت إلى وجوهها وعيونها
ووجدت في أغلسها رباك
فنهبت في الأيام أذكر رفقا
بين الجداول والعيون حواك
أذكرت هرولة العبابة والهوى
لما خطرت يقبلان خطاك
لم أدر ما طيب المناق على الهوى
حتى ترفق ساعدي فطواك
وتأودت أعطاف بانك في يدي
واحر من خفرتيها خدك

كالنفيد من ستر ومن شباك
 وكأن كل ذؤابة من شاعق
 ركن الحجر أو جدار سمك
 سكنت نواحي الليل إلا أنه
 في الأيك أو وترأ شجى حراك
 شرقاً عروس الأرز كل خريدة
 تحت السماء من البلاد فذاك
 ركز البيان على ذاك لواءه
 ومضى ملوك الشعر في مفناك
 أدهاؤك الزهر الشموس ولا أرى
 أرضاً تمخض بالشموس سواك
 من كل أروع علمه في شعره
 ويراغه من خلقه بلاك
 جمع التصائد من رهاك وديما
 سرق الثمائل من نسيم صباك
 (موسى) يبابك في للكارم والعلا
 وعصاه في سحر البيان عصاك
 أحللت شعري منك في عليا النرا
 وجمته برواية الأملاك
 إن تكرمي يا زحل شعري إني
 أنكرت كل قصيدة إلاك
 أنت الخليل بديعة وغريه
 الله صاغك والزمان رواك

قسا لو انتقت الجداول والزبا
 لتهلل الفردوس ثم نماك
 مرآك مرآه وعينك عينه
 لم يا زحيلة لا يكون أباك
 تلك الكروم بقية من بايل
 هيات نسي البايل جنك
 تبدى كوشى القوس أهن صنفه
 فتناظرين إلى ألد حياك
 خرزات مسك أو عقود الكهرا
 أودعن كاهوراً من الأسلاك
 فكرت في لبن الجنان وخرها
 لما رأيت الماء من طلاك
 لم أنس من هبة الزمان عشة
 سلفت بظلك واهضت بذراك
 كنت العروس على منعمة جنحها
 لبنان في الوشى الكريم جلاك
 يمشى إليك العنق في الديباج أو
 في العاج من أمى الشاب أناك
 ضمت ذراعها الطيعة رقة
 «صينين» و«الحرمون» فاحتضناك
 والبدر في فتيج السماء منور
 سالت حلاه على الثرى وحلاك
 والنيرات من السحاب مطلة

وقال

« وقال مطروحا كافية ابن زيدون إلى أولها :

« ودع الصبر عجب ودعك (١) »

ردت الروح على للضيق منك

أحسن الأيام يوم أرجعك

مرّة من عندك ما روعى

أترى يا حلو بعدى روعك

كم شكوت البين بالليل إلى

مطلع القجر عسى أن يظلمك

وبشت الشوق في ريع الصبا

فشكا الحرقه بما أستودعك

يا نعيمى وعذابى فى الهوى

بهنولى فى الهوى ما جملك

أنت روحى ظلم الواشى الذى

زعم القلب سلا أو ضيقت

موقى عندك لا أعلمه

آه لو تعلم عندى موقعك

أرجخوا أنك شاك موجع

ليت لي فوق الضنا ما أوجعك

نامت الأعين ، إلا مقلة

تسكب السمع وترعى مضجعتك



صفحات من كتاب النخيرة لابن بسام

وبرع أدبه ، وجاد شعره ، وحلا شأنه ، وانطلق
لسانه ، فذهب به الحب كل منعب وموئ متدبه
كل مطلب ، وكان عطفه من عبد الله بن أحمد بن
المكرى أحد حكام قرطبة ظفر أجبين ، أداه إلى
السجن ، فألقى عليه يومئذ على أبي الوليد بن جوير
في حياة والده أبي الحزم فشنع له وانتفض من نكبه
وصيره في سنانته ، ولما ولي الأمر - بعد والده - نوه
به وأسن خطبه وقدمه في الدين اصطنع لنوئه ،
وأوسع رايه وجاهه كرامة لم تكن لها زعموا ، وانطق
أن عن له مطلب بمحضرة إدريس الحنفي بمائة ،
فأطاع الثراء هناك ، واقترب من إدريس ، وغف
على نفسه ، وأخضره مجالس أمه ، فحب عليه ابن
جهور ، وصرفه في السفارة بينه وبين أمراء الأندلس
فيما يجري بينهم من التراسل والملاخاة ، فاستقل
بذلك فضل ما أوليه من الحسن والمعارضة ، فاكسب
الجاه والنفعة ولم يمدد ذلك من التباهت في الترقى
لميد الهمة فهو مما قليل إلى مباد صاحب إشبيلية
اجتذبه إلى ذلك غاير من وطنه إليه ، وتزل على
كفته ، وسار من خواصه وصحابه ، بمالسه في
خفاته ، ويرسل له في مهم رسائله على حال من
التوسعة ، وكان دخابه لمباد سنة ٤٤١ هـ
إحدى وأربعين وأربعمائة . قال أبو الحسن : « فلما
سنة ذمته ، وتدفق طبعه ، وغرارة يانه ، ودفقة
خشية لانه ، فالصبح اتقى لا يتكر ولا يرد ،
والرمل اتقى لا يصيح ولا يمد . »

بدايته وتصرفه بفتون القول

أخبرني من لادفع خبره من وزراء إشبيلية قال :
« صدى بأبي الوليد قائما على جائزة بعض حرمه
والناس يمزونه على اختلاف طبقاتهم ، فما سمع
يعيب بما أجاب به فيه لسة ميدانه ، وحضور
جناحه . » وقد أخرجت من أشعاره التي هي حول
وغرر ونوادير أخباره التي هي مأثر وأثر ، ورسائله

فصل في ذكر ذي الوزيرين الكاتب أبي الوليد
ابن زيدون واجتلاب صيول أخباره ، ونصوص رسائله
وأشعاره .

قال أبو الحسن كان أبو الوليد غاية مثور ومنظوم
وخاتمة شعراء غرود ، أحد من خير الأئمة خيرا ،
وفاق الأئمة طرا ، وصرف السلطان عما وضرا ،
ووسع البيان نقما ونثرا ، لم أدب ليس الجبر تدفقه ،
ولا لبسر تأله ، وشعر ليس للسحر يانه ، ولا
لنجوم الزهر اقتراه ، وحظ من النثر غريب
للبناني ، شمر الألفاظ والمثاني . أخبرني غير واحد
من وزراء إشبيلية قال : جلس ابن عبد العزيز من
يد جواد ، خلوس الفرزدق من يد زياد ، وبقيت
حضرت من أهل هذا الشأن ، أعرض من ظهر الأفتواك
وأخلى من صدر الجباب ، هم باستجلاب (محمد بن
البليغ) للمعمور أسبه ، الأكى في القسم الثاني من
هذا الديوان ذكره ، فكان أبو الوليد غنى بذلك
دواعيا لأحمد بن الجبل في الإشارة بالاستعانة مما
هناك ، فكانت الكتب تغد من إنشاء أبي الوليد
إلى فرق الأندلس ، يقال تأتي بشييلة كتب هي
بالتنظيم الخطير ، أشبه منها بالتشور .

حظوته عند ابن جهور

وقد أجرى ذكره أبو مروان بن حيان في وصف
من كان اصطفي ابن جهور من رجال دوله ، فقال
« نوه بطن الأدياب ، وعمدة الطرف ، والشاعر البديع
الوصف ، أبي الوليد أحمد بن زيدون ذي الأبوّة
السنية بقرطبة ، والرسامة ، والفراية ، وحلاوة
النظم ، والسلامة ، وقوة العارضة ، والافتقار في
المعرفة ، وقدمه لنظر على أهل القمة لبس الأمور
للقرنة وقصره بمد مكانه من الخاصة والسفارة بينه
وبين الرؤسا ، فأحسن التصرف في ذلك ، وغلب على
قرب الملوك » قال أبو مروان وكان أبو الوليد من
أبناء وجوه القضاة بقرطبة في أيام الجماعة والفتنة

التي أخرست الخلق ، واستوفت أمد لتعلق الجزل .

.....
.....
.....

وله في ابن جهور ، وكتب بها من السجن :

« ما بك بعدك لحظي في سنا القبر
إلا ذكرتك ذكر البين بالآخر » الخ

وله أيضاً قصيدة فريدة غلط بها ابن جهور وهو في تلك الحال من الاعتقال أوها :

« ألم يأن أن يترك القنم على مثلي
ويطلب ثأري فبوق متصل متصل ».

وفي ابن جهور يقول :

« بني جهور أحرقتم بجفائكم
جاني ، فما بال الدمايح سبق
تصدوني سكا المير الورود إنما
طيب لكم ألعاس حين يحرق »
وأراه توارد في هذين البيتين مع أبي علي بن رشيح
القميواني حيث يقول :

« أراك انتهت أهلك الله
وحندك مفت وضدى مفع
وأنتي عليك وقد سؤني
كا طيب المود من أحرقة »
وأخناه ساً من قول أبي تمام :

« لولا اشتغال النار فيها جاورت
ما كان يرف فضل طيب المود ».

والضدى يمشي أهل وقتنا ، وهو أبو سهوان بن
شياخ نيسه :

« نواب قاتني ، فأبديت فضائلي
وكانت وكنت النار والسيف الوردا »
ولنبيه :

« إن كنت النار جسمي
أبديت طيب لسمي

سكا المير يات عن يومنا
أبدي فضل الكريم . »

وأبو الوليد بن زيدون - على كثرة إحسانه - كثير
الاعتدال في الثور والنظام ، وكتب إلى أبي بكر مسلم
وهو مخلف بمرطبة بعد فراقه من السجن ، فصلا
من رقة :

« وبلغني أنك أحد اللاتين ومن أمثالهم
ويل للشجي من الحلي ، وعان على الأملس ملاقي
الدير واحبك على اتصالك عن وترى أنك أحد
الحنة من ظم أستعج صبراً ، وعلمت أن العاجز من
لا يسلط المرمه يسير لاء الله ، ولم أستجر أن أكون
ثالث الأذنين المير والوند ، وتذكرت أن الفراق
من الظلم والمهرب مما لا يذاني من سنن الرسائل ،
وقد قال تمللي على لسان موسى : ففرت منكم لما
خفتكم . فظنرت في مفارقة الوطن ففد بما ضاع
الفاضل في وطنه ، وكسد الملقى للتييط في معدنه
كا قال :

« أضحى في معشري دكم بلد
يكون عود الكباء من حطيه »

فاستخرت الله في إنقاذ الحرم ، وأنا الآن حيث أمنت
بمن الأمن إلا أن القسي لم يرتفع ومادة البقي لم
تقطع ، وختم رسالته بهذا النظم :
« شحطنا وما بالدار تأتي ولا شحط
وشط - بمن نهوى - للزار وما شطوا ».

.....
.....
كان أول هذه القصيدة ناظر إلى قول راشد أبي حكيمة
حيث يقول :

« ومستوحش لم يمش في أرض غربة
ولسكنه عن حبب غريب . »
ويناسب أيضاً قول المتنبي :

« إذا ترحلت من قوم وقد قدروا
أن لا تارهم فلأحلوهم هم . »
قوله حرمت وما الشيب اليك ناقص عن قول المتنبي :

وقوله لا يكن عهدك ورداً من قول العباس بن الأحنف :
« لا تجلس وصلاً كالورد حين مضي
ذا طلعة وأدعى الورد كالأس . »
كرّره العباس في موضع آخر ، فقال :
« ولكنني شئت بطورد عهدا
وليس بدوم الورد والأس دائم . »

ما أخرجته من شعر ابن زيدون في السيب وما
يناسبه من قصيدة :

« بتم وبنا لما اجبت جواننا
شوقاً إليكم ولا جفت ما قبنا (١)
لم نعتد بحدكم إلا الوفاء لكم
وأياً ولم نطعم غيرة دينا
تكاد حين تأنس بكم ضائراً
يخفى علينا الأسى لولا تأسينا
حالت لحدكم أماننا فقتلت
سوداً وكانت بكم يئساً ليالينا
إذ جانب الليل طلق من تألفنا
ومرود الكهر صاف من مصافنا
وإذ عصرتنا حصون الأسى دانية
قد أوعا بجنيتنا منسه ما شينا
ليس عهدكم عهد السرور لنا
سكنتم لأيماننا إلا وراحينا
لا تحسبوا تأيكم هنا يغيرنا
إذ طلقنا غيرة التأي المحينا
والله ما طلبت أمواظنا بدلا
منكم ولا انصرفت حكم أمانينا
ياسارى البرق فاد القصر فاسق به
من كلامه في الموى والوديعتين
ويا لسمي القمصا بلغ تحييتنا
من لو على البعد حيا كان يحينا
رقيب ملك كان الله أنفاه
مسكا وقدروا إنشاء الورى طينا

(١) أئمتنا هذه الأبيات لاختلاف روايتها من
رواية الديوان .

« إن لا يشب فقد شابت له كبدي
شيب إذا خضته سلوة فصلا . »
وقد كرّر هذا المعنى أبو الطيب في مواضع من
شعره وكلف به وشب الكلام فيه تصرف ، وقد
تقدم إنشاده ، ومنه أيضاً قول عبد الجليل الرسي
للمستد ابن عباد :

« أفتك على خلافتها حياذ
وإن كان النيباح لها شكلا . »
وكتب أيضاً أبو الوليد بن زيدون من عبثه ذلك
إلى أبي الحسن بن برد هذه الأبيات :

« ماض طهيّ ياس يبرح المحروطينو (١)
وبما أشراف بلل ، على الأمل ياس
ولقد ينيحك أغفا له ويردك احتفلى
ولمخاضير سهام وللقدير قياس
يا أبا حفس وما ساء لك في فهم ياس
من سنا رأيك في فيشق الخطب اقتباس
ورودادى لك نص لم يخالفه القياس
أذوب هات بلحى فاتهم وانتهاس
يلد الورد البهني وله بعد اذراس
إن أكن أصبت شيو ساً فلفيت احتباس
تأمل كيف يهوى ملة المجد التماس
ويقت للسك في التمر ب فيوما ويداس
لا يكن عهدك ورداً إن عهدى لك آس
وأردى كرى كاساً ما امتلعت ككك كاس
فسي أن يسبح الفجر قد طالع القياس . »
قوله يلد الورد البهني البيت كقول النابغة :

« وقت يا قوم إن الهيث متقبض
على برائته لوبية النادى . »
وأخذه ابن الرومي قال :
« سكنت سكوا كال وها بويبة
عاس كذاك الهيث قوب يلد . »

(١) أئمتنا هذه الأبيات هنا لاختلاف روايتها من
رواية الديوان .

إذا تأود أدته - وهامة -

توم العود وأدته البرى لنا
كانت له الشمس ظمرا في أسننه
بل ما تجسلى لنا إلا أحابتنا
يا روضة مال ما أجت لواحننا
وردا جلاء الصبا غضا ونسرينا
ويا حياة تملينا بزهرتها
مضى ضروبا وقادت أكافينا
لنا نسبك إجلالا وتكرمة
وعذرك للمضى من ذاك يفتينا
يا جنة الخلد أهدنا بسلمها
والكثرة المذبذوبا وغسلينا
كأنا لم نهد والوصل ثاقتنا
والسند قد مضى من أجلنا واشينا
سرا في خاطر الظلماء يكتننا
حق يكاد لسان الصبح يشينا
إنظر أنا الأسمى عندنا النوى - سورا
مكتوبة ، وأخذنا الصبر تخفينا
أما هواك فلم نصل بميله
شربا وإن كان غلبتنا فيرونا
لم نجف ألقى جلال أنت كوكبه
- سألين منه - ولم نهجره قالينا
ولا أخيارا تهبناك من كتب
لكن هدتلنا حل كره - هوادينا
ناسى عليك وقد حنت مشمتة
فيما السؤل ، وغنانا متفينا
لا كؤوس الزاح تيدي من شياقتنا
سبا اوتياح ، ولا الأوتار تملينا
دوى على الوصل حادتنا - عافيتنا
فالمر من دال أصافا كما دينا
فما استندنا غلينا منك وسرنا
ولا استندنا حينا منك تملينا
ولو صبا نحوتا من علو مثله
بدره يلم يكن حشاك يميننا
أبى واء ، وإن لم تبد لي سلة
فادكر غفنا ، والظيف يكتينا

وفى الجواب متاع إلى شمتت به
ييض الأيادى ألقى ما زلت تولينا
عليك من سلام الله ما يجت
سبابة بك تخليا شمتينا .
وهذه القصيدة مجتمها فريدة وقد عارضه فيها
جماعة نصروا عنه (١)
وله من أخرى أثر ترحة كانت له بمينة الزهراء :
« إلى ذكرتك بالزهرام مشتاكا
والألقى طلق ووجه الأرض قد رافا .
وله من أخرى ، وكتب بها من بطيوس أيام تكرره
عليها وهي من غرر نظامه وحر كلامه :
« يا فمع صب ما شئت أن تصوبا
ويا ففؤادى آن أن تذوبا .
وله :
« وضع الحق للين وفى الشك البين .
وقال :
« صحت فصيح بها السقم ربح مطرة السقم .
وقوله :
« يا ليل طل لا أشتفى إلا كسرى فصرك
لو باتت عندي قرى ما بت أرمي قرى .
وقوله :
« ودع الصبر محب ودعك
ذائع من سره ما استودعك .
وقال :
« بيني وبينك ما لو شئت لم ينزع
سر إذا ذلعت الأشياء لم يذع .
وفيها يقول :
« أحمل واستظل أسير ومن أمن
دول أنيل وقيل اسع وسر ألمع .
أراه اخفى بهذا البيت منسوب إلى العسبل الأعرابي :
« فاسلق وصف وه والصف وأحمل
واسلع ودار وكاف وألم واسمع
والطف ولن وتأن وارفق وأشد
واحرم وجد وحلم واحل وادفع .
كقولك ذلك الجرن :
« أحمل والفر وضرا وقع ولن واخن
ورش وابن واتدب للسملى .
وهذا البيت سنه للوفدون وعدوه تصليحا
(١) وقد أبيتنا بعض منقطعة رضات فرس « ١٠٤ »

وله من أخرى في ابن جهور :
 « مسدا الصبح على سراك رقيباً
 فصل بفرعك ليك الفرييا . »
 وقال ابن زيدون أيضاً :
 « أما والمخاط سرائل صحاح
 قصي وأصناف لغاوى صواح . »
 وفي ابن جهور يقول عند نكبة بني ذكوان :
 « لولا بنو جهور ما أضرقت همم
 عند السوائف في أجيادها تلح . »
 قوله في حصة القصيدة إن السيوف إذا ما طاب
 جوهها في أول الطبع لم يلق بها الطبع ، ينظر
 بلطف سريب إلى قول حبيب :
 « والسيف مالم يلق فيه صيل
 من سنه لم ينتفع بمقال . »
 وله من أخرى يقول :
 « ليهن الهدى إنجاح سيك في العدا
 وإن راح صنع الدهر عواقدى . »
 وفاة ابن زيدون
 وما يلقى بذكر وفاة ذي الوزارين رحمة الله
 عليه فصل من تأليف الشيخ أبي سروان بن حيان
 رأيت إتيانه ليل ساه ، وحسن أسفله . يقول
 فيه ، وفي يوم الاثنين ثلاث عشرة ليلة خلت من
 ذي الحجة سنة اثنين وسبعين وأربعمائة سافر
 الحاجب سراج الدولة عباد بن محمد إلى إشبيلية المفردة
 الأتيرة لمطالعتها ، وتأهب أهلها من رعدة غصرت
 طامتهم من أجل هوان دجل منهم على روى جاء (١)
 لأمر جهة السوق عندئذ ، فزم أنه سب
 الفرقة فبطش به بالسلم وسط السوق وجرحه
 وحرك عليه العامة ، فقبض عليه صاحب المدينة
 بها عبد الله بن سلام وأدخله سلك لعدة الناس في
 حبسه كلام وإكثار خشن تله ، غطاب السلطان
 بقرطة يهرقه ما كاذمته وبسأمره في شأنه ، فجعل
 إغاض ولحق الحاجب سراج الدولة إلى إشبيلية في جيش
 (١) في السلسلة التالية كثير من الاضطراب وقد
 أختارها كما هي .

وتعليقاً وتبجيم للنهي فقال :
 « اقل اقل اقطع أجل حل سسل أمد
 زد عش بش تضل اذن سرسل . »
 ثم زاد للنهي : من هذا وبين حق قال :
 « عش ابقى اسم اسر قد جد
 سرائه جد رف اسريل . »
 بينه المروء . وأحسن لسرى ابن زيدون في
 هذا التقسيم ، ودافع بالحديث في صدر القديم ، ولو
 قرع سح أبي منصور بهذا التنبؤ لما كان عند
 ابن وسكر يذكور ، ولا أغرب بترائب الصاحب
 ولا يبدأهم التديع . ومن شعر أبي الوليد في
 الفسب السائر الغرب الطيار اللجج الخفيف
 الروح قوله :
 « أما رضاك فنيء ماله ثمن
 لو كان ساعق في ملكه الزمن . »
 وقال من أخرى :
 « أنت معنى النقي وسر الخلوغ
 وسيل الهوى وقصد الجموع . »
 وقال :
 « غرب بأرض الشرق يشكر لعبا
 تحملا معنى السلام إلى الغرب
 وما ضر أظاس الصفا في احتالها
 سلام قتي يديه جسم إلى قلب . »
 وهذا منقول من قول الباس بن الأحنف حيث يقول :
 « تالله ما شطت نوى ظاهن
 سار من التين إلى الغلب . »
 وقال أبو الوليد من أخرى :
 « صاحب أمدائي لأنت منهم
 يا من يصح بقلبه ويهم . »
 وقال من قصيدة :
 « أما في نسيم الزع عرف صرف
 لنا حلقات الوقت بالجرع موقف . »
 وقال أيضاً أبو الوليد من جلة قصيدة :
 « يا أيها لك الذي تدبر
 ألقى لمسكة الزمان ملاكا . »

عليه، إذ كان منهم معصبا له، وهاوي إليهم، حديا طبع
وليبة خير بينهم وبين سلطانهم الحديث الولاية ،
فصار مصابه كفا فيه من تأييدهم والبقاء لمن تقدر
به وحده لآب غيرهم ولا يجرم إذا آمن الله إخوانه
بإشمار بقاء قتله التندب أبي بكر ولده ساد أمته
ساميا مبيها فائضا عداه طامحا منتهاه بأبوة صدق
يجري إلى القلي بضيعة من ساحة ودعاة وحسنة
وزراعة ومعرفة ووجود حظ من أدب بلاغة وكتابة
وعز في الصالحين الطيبة واشتداد في رعاية مظالم
القمة لم يفتد إخوان أبيه معا إلا فيضه خلال
حسب كل حال مما قليل بعد أبيه عند سلطان قسطنطين
السياسة فاستبصر في استحضاره وأدناه من اجباة
ورقاه في مراتب والده مثالا له في دولته راضيا
بلاده فيها فاطم به منها حق فرع فروتها مما قليل
فأخطاه بالوزارة وصيره وزيرا لحضرة الأئمة
اشيكية، وجمع له أعظم خططها الطيبة معاطس التناسل
من قوام الملكة خلة ولاية المدينة وواته الزمان ،
والله يؤتي فضل من يشاء له الفضل والامتياز .

وقال :

« لا طار لي حظ لي غاية

إن لم أكن منك فريش الجناح

وهناك بسد القرب أمنية

مالي على الفجر سواها اقتراح

لم يثنني عن أمل ما جرى

قد يرمع الحرق وقوس الجراح

فاجد بحسب الرأي من يرمع

منه العدا بكل شاك السلاح

واشفع ففشاخ نسي بما

نمر من عقد وثيق النواج

إن سحاب الألق منها الحيا

والحمد في تأليفها قرطاج . »

وكان القاضي أبو بكر بن ذكوان أجل من اشتغل
عليه أوائل مجدا وعرضا وتفتتا في العلم ونظرا مع
دعاة حين غلواه تحمل سي الهي رفاقه عند
نشواته كالتنوخ والهي، فإذا أسبجوا بكر أبو بكر
إلى مصادرة ما يتجه عليه الحكم ومواجهته وأذكر

كثيف من نخبة غلواته ووجوه ربه لشارفة النصبة
والاحتياط على العامة، فنفوا منه وسط هذا اليوم
وأخذ منه ذا الوزيرين أبي الوليد بن زيدون أحد
الثلاثة أكبر وزراء الثلاثة وزارتهم عهد دولته
أزومه النفوذ مع الحاجب على بية وعك متألما منه
ولم يمتد في الترفع لأجله ، فلفى لطيفه مساقا إلى
منيعه وخلف ولده أبي بكر الفد الوزارة للرسمه
بالكتابة ، وراه سلطا مكانه بالحضرة ، فأقر فيها
أجلما ، ثم أسر بالسير وراه والده لأسر كنه أجل
بالانطلاق له ، فلفى تحبه غداة يوم السبت ثمان
خلون من المحرم سنة ثلاث وستين بمدها ، غلت
منهم منازلهم بخرطة وصيرت إلى سواهم ، فحدث
الناس بسبق مكان الأدب ابن زيدون لدى السلطان
وإن استسماكه للى مرتبة بمخصصه للضد بقة .
كان من اللشد على الله رعاية خصوصية أبيه به
يتم باستمراها فتناء اختصاص به الخليلان لديه
السهمان لخاصته ابن مرتين وابن عمار إلى أن عملا
في إبعاده وإيجاد ابنه الزبيب بسده فأمضى خلفه ،
فصنعا استسماكا فتمت ، واستملا مكانه ، واحتوى
على خاصة السلطان ، وتدير دولته ، ولكل دولة
رجال ، ولكل مكتب إبدال ، ولم يطل الأمد لابن
زيدون بعد لحاق ابنه به ، ووجهاته إياه متزايدا
في مرضه ، فأزاعه عن الآلة على جهده في استعانتها
على إنشاء للدة ، وانهاك القوة ، فاستقر به وجهه
للى أن قضى نحبه ، وهك بدار هجرته اشيلية
صعد وجب سنة ثلاث وستين ، فدفن بها مشهودا
مقطعا ، واحتوى ترابها عليه ، فباعد ما بين قبره
وقبر أبيه لدينا رحمة الله عليها فقتوى من أبي الوليد
كهل لن خلف الحر ، ثم جالوا بيازا وبراعة وسلطانا
وظرفا وحلولا من مراتب البلاغة قلدا ونظرا بخرقة
لم يخلف لها بسده طامحا بفرانه بين الكلامين وبراعة
في الفتن إلا أن يكون عند أولى التحقيق والتحصين
في التنظيم أمد ملطاء وحت عتاء فلا يلقه فيه تحصيل
ولا يثنى رمعا مشهوده في الفتن عسول متاع
حضور عند أهل للرفة ، ولما اتصل خبر ملكه
بشهرته أهل قرطبة شيوخه وبكوا لفقده وحزنوا

وجهه غر لباد من رؤوسهم مائة وخمسين رأساً
ومن خيلهم مئتي ألف جنيح قرنه وألف حاة وجهه
ثم إن عباد أرتذك جمع حلفاء خيله وقود طيها ابنه
إسحاق مع وزيره ابن سلام ، وخرج نحو بلاد
ابن الأظس بإبرة وقد واستدعى أيضاً ابن الأظس
خليته إسحاق بن عبد الله فلقط به خيله مع ابنه
أبي البريد أن جمع ابن الأظس بقايا جيشه من
هزيمتهم للتقدمة الذكر ، وأخرج كل من قدر على
ركوب دابة من اللياس يلقه وحشد من رجاله البوادي

بسه خلقاً كثيراً وأقبل بجسمه هذا الجنوب ليضع
خيل ابن عباد عن يده بإبرة ، وقد كان برابرة
خليته إسحاق في عسكره فلما لا تتمم قلت
تصرف تدور من زحف نحوك ونحن رأيناهم وسننا
بجسمه بأشيلية لم يسمح منهم ومضى ، فالتقى
الفرسان من غير نزول ولا تبعة فاضططوا واجتلدوا
ملياً لحق اللياديون الغرباب وقاموا الشدائد طار
البرابرة عند أصحاب إسحاق ، وانهرم ابن الأظس
وحمل السيف على جميع من معه ، فاستألمه القتل
وقتل ولد إسحاق وجز رأسه وبث إلى أشيلية
مع رأس ابن عم ابن الأظس صاحب بإبرة
يندي بمبيد الله الحار ونجا ابن الأظس في خيله
إلى بإبرة . قال أبو سروان وأقبل ما سمعت في
إحصاء قتل هذه الوقعة ثلاثة آلاف فأزيد
وأخبرني من أتى به أن بطيوس ببيت خالصة
الذكاكين والأسواق من استصالح القتل لأهلها
في وقعة ابن عباد هذه بشيخ أعمار الباء للشيوخ
الكهول الذين أمسيروا ومثد فاستدقت على نفسه
للصيبة ، وجزع إسحاق بن عبد الله بمصاب ابنه
ولم يستعير لشمه عباد في طلب رأس ابنه ، فإن
عباداً أسأفه إلى رأس جده محمد بن عبد الله أشيلية
انتهى كلام ابن حيان .

قال ابن بسلام ولم يزل الرأسان عند آل عباد مع هذه
رؤوس أعدائهم القتل لليرة حتى كتبت أشيلية على الأمير
الأجل سير بن أبي بكر الجليء بجورق مقل عثر عليه ،
فأمر بقتله ، لا يترك أنه مل أو ذخيرة فإذا هو ملو

ما كان عليه من فكاكه فكأنه في بردية الامام
وكأنه ولا يزال يديل أوصام مع حده في فضائه وإلهاذ
الحكم يختص الحق وإمضاه حتى إذا واه الزواح
طدوا إلى القصف وتحاروا في ميدانهم كل وصف
إلى أن اختلس أبو بكر منها وحمل ذيل وواسته
عنها ، فاعتاض عنه بسواه وأفاضلها كانوا فيه
وما تمليه ، واعتق أن سر يوماء بعيره في لمة من
إخوانه وجماعة من عمار بيدها فطفوا عليه مسلمين
وهووا عليه متأكين ، قتل أبو الوليد :

« يا تبه الطر الثرى لا يبعث

طو من التتيل فيك حلال »

وله :

« على داره الشرق من تحية

زكت وعلى وادي المنيق سلام »

وله :

« خليلي لا تطر بر ولا أنهي

فأحلمن أسمى مشوقاً كما أنهي »

وله يرثي :

« أعباد يا أول الملوك لقد حدا

عليك زمان من سيته الغدو . »

ونظم من خبر هذه الواقعة بلغة . قال أبو سروان
في سنة اثنين وأربعين وأربعمائة أوقع ابن عباد
بإبن الأظس إلى جنب بإبرة ، وكان سبب هذه
الحرب أن فتح ابن يحيى صاحب لبة يؤمئذ خليفة ابن
الأظس والي آل عباد القسرة فكاشفه ابن الأظس
وخانه فيما كان اتسته عليه من ماله الصامت عند
ما حله إليه ودية عند تورط في حرب ابن عباد ذيل
فأقبلت بينهما الصمة ، وأرسل ابن الأظس في
ذلك الوقت خيله للقرب على ابن يحيى فاستنات عباد
فأرسل إليه خيلاً متقاة فلقط الخيل الأظسية وهي
قد شلت الفارة على لبة ، فكرت عليهم إذ كانوا
منهمم واسترسلوا في اتباع الليادين ولا يشعرون ،
فإذا عباد يحرته في كمين قد خرج أرم فدهشوا
وولوا الأعداء ، فركبهم السيف ، وبذل عباد للال
في رؤوسهم ، وكانت ثمانية خيل ابن الأظس وأجمل

ولم يلبس ابن حديد في ذلك :
 « ليس هي ولا طويل اصحابي
 لمشيبي أزال عني شباي . »
 ورجع وقال ابن زيدون يرثي :
 « انظر لحال السرو كيف تحال
 ودولة المليء كيف تبال . »
 وله من أخرى مما وجدته بخط ابن حيان يرثي
 أبا الحزم ابن جهود :
 « ألم تر أن الشمس قد ضحا القبر
 وإن قد كفنا ناهدا القبر البدر . »
 وله من أخرى في هذا الموضع ، وقد تكرر فيها
 بعض أبيات القصيدة الأولى ورثي بها أم أبي الوليد
 ابن جهود يقول فيها :
 « هو الدهر فاصبر لذي أحدث الدهر
 فنشم الأحرار غشاها - الصبر . »
 إلى أبيات غير هذه من سائر أبيات القصيدة استمر
 فيها بالتقديم والتأخير والتأنيث والتذكير رثي بها
 آخراً عبادا المتضد ، وجعل أول قصيدته قوله :
 « هو الدهر فاصبر لذي أحدث الدهر . »
 ثم أتبعه بقوله :
 « حياة الودي نيج إلى الموت مبيع
 لهم فيه إضناح كما يوضع السر . »
 يتلاعب أبو الوليد بهذه القصيدة تلعب الحليقة بنسبه ،
 ويصرف تصرف أبي حنيفة في منجبه ، فأنشده
 وقدم فيه وأخر . قال أبو قتادة :
 « رب لحد قد صار لحنا مرارا
 ضاحكا من تراحم الأضداد . »
 ويلقب أنه وجد لابن زيدون إثر موت جده شمر
 يقول فيه :
 « لقد سرنا أن القتي موكل
 بطائفة قد حم منه جلم
 تمها بصوب لزن من ذلك الصدى
 ومر عليه النيث وهو جلم . »
 وقال مخاطب الوزير أبا حاتم بن صبهوس من
 قصيدة أولها :

من الرؤوس فأعظمك وماله ، وأسر برنج كل رأس
 منها إلى من بقي من عقبه بالحفرة . حدثني من رأى
 رأس يحيى بن علي الجوهري ثابت الرسم غير متكلم
 الشكل فدفن إلى يمين ولده فدفنه .
 وقال ابن زيدون في ابن جهود من قصيدة أولها :
 « أجل إن ليلى حيث أحياؤها الأزد
 مهات حتما في سرايبها الأسد »
 وكان ابن جهود يومئذ كسر ذنان الحفر ، وكان
 أيضاً يومئذ لحل ذلك عبد الرحمن بن سعد الصخر
 ينشر أوله :
 « كسرت لجبر العين أوصية الحفر
 فأحرزت خصل السبق في الكسروالجبر
 عمدت إلى القدر الذي جموا
 ففرقت منه فاسترحنا من العر . »
 في أبيات غير هذه استبدت جنتها وإنما ذهب
 إلى عكس قول من تقدم من أعيان الشعراء من ذم
 حب العرب ، ومن أشهر قول بكر بن حارثة
 الكوفي وقد رأى من سلطان وقد مثل ذلك قال :
 « يا قنومي لقد جنى السلطان
 لا يمكن لذي أمأنا الهوان . » الخ
 ويلقب أن الملاحظ أنه هذه الأبيات ، قال المتنبي
 من حق الفتوة أن أكتبها قائما وما أقدر إلا أن
 يسدني قبرس به ، قال المحدث فأعمدته ، وقام
 يكتبها ، وكان بكر بن حارثة هذا مولى بني أسد
 طيب الشعر خليقا ماجنا ، وكان يألف ممدحا يأتيه
 كل يوم في موضع ينتهي صراخا فلا يزال يشرب على
 صوته إلى أن يسكر ، وكان أيضاً جوهري غلاما
 نصرانيا وهو القائل :
 « زلزاله في خصره مقود
 كأنه من كبدي مقود . »
 وبكر القائل :
 « قالي إلى ما شرتني دامي
 يكثر أستاذي وأوجاهي
 كيف احتراسي من عدوي إذا
 كان عدوي بين أنضلاحي . »

ونخل من سيف الندير
 ببسة النخل الخليل
 والروض ممتور تم
 (م) عليه أخاس التبول
 والشس نزعها خلا
 ل النيم عن طرف كيل
 ابان يحسو الرمد من
 ورق السحاب كالمول
 ويزكف البرق في الد
 آفاق سرعة التصول
 زمن سبكيه الجا
 م مي وتدل عن هديل
 يا برق أودية المني (١)
 تحديق نسي من رسول
 عرج يشلب عينا
 ما شئت من تلك الطول
 وللع على عرافات حم
 س قرارة العرف الأصيل
 فاذا جلاك أبو الوليد
 سد بناظر اليقظ التليل
 فافراه من قبل سلا
 ما يقتضى حسن التبول
 يا غرة الزمن البيم
 (م) وحرّة الأدب القليل
 وعحكم العلم التصل
 يد على ربا الروح الطويل
 أصلت أنى خلد
 فذكراك بالفكر الجليل
 لم أستعمل مما عهد
 ت مع الوقت للمسجل
 شح حنايك الجلي
 سة في لدى لك الجليل

(١) وفي الأصل : أودية التي .

« أثرت مزر العرى إذ ريش
 وبهته إذ هذا فاقتمش . »
 وما أطفه ابن بلام من نسب أبي الوليد المصح
 الأقسام ، الفازح عن الاطباع والأوام ، للصدق
 قول الجفيرة فيما ينس من الإلهام قوله :
 « لك نصر اليأس نيك الأمل
 وحال تمنجيك دون الحيل . »
 وقوله أيضاً :
 « نديك ليس لي قلب فأسلو
 ولاهس فأقف إذ جيت . »
 وقوله :
 « أي أضحج همدك
 أم كيف أعطف وهدك ؟ »
 ولأبي بكر بن عمار يخاطب أبا الوليد بن زيدون
 رحمه الله :
 « كيف أمزنت على الدليل
 وقطعت أسباب الوصول
 وقلقتني ، وزعجت أنت
 الذب من القليل
 وعليك جاهدت الصدا
 واليك ملت عن العنود
 يا فانس ومندلي
 في صفق أهدى دليل
 ما أليق السهل الجلي
 ل بذلك الوجه الجليل
 لبرزت في خلق الكره
 م رواده خلق البنييل
 ودعوتني حتى أجي
 شك ثم حنت من السيل
 جد بالقليل فارت قد
 سي منك تنع بالقليل
 واذكر حتى زمن قطنا
 . بمائية شمول
 إذ لسحب الأذيال ما
 بين الخليج إلى النخيل

وحلاوة مودة ومصدر ، وكان مجلسها بقرطة متدى
لأحرار المصير ، ونظما ملجأ لبياد النظم والنثر
يمشوا أهل الأدب إلى ضوء غرتها ، وتهاك أفراد
الشراء على حلاوة عفتها ، إلى سورة حجابها ،
وكثرة متابها ، تخط ذلك بملء صاب ، وكرم
الصاب ، وطهارة أبواب ، على أنها سمح الله لها ،
وقصد زلفها طرحت التصيل ، وأوجدت إلى القول
فيها السبيل ، لغة بالانباء ، وبجاءتها بلداها ، كتبت
- زعموا - على أحد حاشي ثوبها :
« أنا والله أصنع للعالي
وأمنى مشيقي وأنيه نيا . »

وكتبت على الآخر :
« أمكن حاشي من ثم خدي
وأعطي ثقي ، من يشتها . »
هكذا وجدت هذا الخبر ، وإبرأ إلى الله من حدة
تأفقه ، وإلى الأدب من غلط التعليل كان وقع فيه ،
ولها مع أبي الوليد أخبار طوال وتعاريف وإحسانا
ويشوق استقصاؤها - وأما ذكاه خاطرها ، وفرازة
لواحدما ، فأية من آيات فاطرها - سرت بالوزير
أبي حاتم بن عيادوس التميمي الذكر ، وكان بقرطة
أحد أعيان المصير ، وبمن من هذى بأسها ، ونصر
على حكمها ، وأمام داره بركة تنوء على كثرة
الأمطار ، وربما استبعت بهي ، مما هناك من الأقدار
وقد نصر أبو حاتم كيه ، ونظر في صليبه ، وحضر
أصواته إليه ، فكانت له أبا حاتم :
« أنت الحبيب وعنده مصير
تشدقا ، فكلا كما بجر . »

فكرته لا يجبر حرقا ، ولا يرد طرفا ، وطلى حرما
وعمر أبي حاتم حتى أريا على الثمانين وهو لا يدع
مساستها ، ولا يفل مواصتها - ونحيف هذا
الامر للسبيل حال ولادة ، فكان يحمل سكاها ،
ويرقع ظفها ، على خوف واديه ، وغرد روحها
وغوايه ، أترابا أبقاه ، وطلقا من الطرف جرى
إليه حتى استوفاه - وكانت - زعموا - تعرض أيا تأمن
القصر ، وقد ثارت أشياء منه في بين الضالين
أضربت عن ذكره ، وعطو به بأسره ، لأن أكثره

ولكن أبيت زاف
وأفك عفة مسجل
يا ألس بدر في الظلا
م وبدر ظل في التيل
فلكم أنبت بتلها
سوى المنيمة في تيل .
ولابن زيدون ينزل في ولادة :
« يا تازما وشير القلب مشواه
أستك دياك جدا أنت مولاه . »
وله ينشوق إليها :
« غريب بأرض الشرق يفكر الصبا
تعملها منه السلام إلى الغرب
وما خر أغصان الصبا في احتلالها
سلام فني يديه جسم إلى قلب . »
وله :
« أبو حاشي الزمان وأنت أنسى
ويظلي النهار وأنت شمس . »

وله :
« ولقد شكوتك بالخير إلى الهوى
ودعوت من حق عليك فأمتا . »
وله ينزل وبساتين ويشتغل ويشتغل :
« يا مستحقا باشاقه ومشتقا لنا حبه . »
وكعب بن الصنفذ إلى صهره اللوفق أبي الجبوش
ابن مجاهد :

« هرفت عرف الصبا إذ ذهب خاطره
من أفق من أنا في ظلي أشاطره
أراد تمديد ذكره على خط
وما تيقن أنت الشعر ذاكرة
نأى للزار به والفار دائية
يا جينا فقال لو صحت زواجره
خلى أبا الجبوش على يقين افتاء لنا
فيشت منك قلب أنت حابره . »

قال ابن هشام : وأما ولادة التي ذكرها ابن زيدون
في شعره فإنها بنت محمد بن عبد الرحمن بن حيد الله
النصري ، وكانت في نساء زمتها واحدة أو أنها
حضور شاهد ، وفرازة أرايد ، وحسن منظر وغير

طاهر الخولة ضد التيهيد عبد الرحمن المستظهر في
الأدب واللمعة ، وكان افتتح هذه السنة المؤرخة
القاسم بن حمود بمجالاته ، وآخرها محمد هذا المذكور
وكان بينهما عبد الرحمن المستظهر تضرعت ذلك السنة
للكثرة على ثلاثة خلفاء ، وهذا من غريب الأنباء
وفقه البقاء المرمدي ، وقد عمده هذا الأمر ولم يكن
من أدله ، فخلق جميع الناس بالإناس واستسلم
بالأهوية ، ورأى أن الليل عزيز ، وأن البصر
رخيس يقوم مقامه ، ويؤوب منابه ، فكان يقول
نفس أجهين ، أرموا كيف شئتم ، وارسلوا بما
أحبتم من الحظوظ ففسى بالوزارة في أيامه مفردة
وشنة أوائل الثائرة ، وأخابت النظار فضلاً من
زعانف الحكاتب والخمسة ، وأما العرطة العليا
ومادونها من رقيم المنازل ، شامها كثير من التجار
والعامة ، وأثال الناس على ابتناء هذه المنازل عند
السلطان بالطبيعة في كرة الدولة ففتوا بابه وصرخوا
فناه ، وتعلوا بأني ، فلما استبانوا ضغفه رفعوا
خطوطهم ، وتبرأ كثير منهم منها ، وأقسم أنه لم
يتعلمها ولا سبها عند تكرار التسلط عليهم لفرامة
متملح الإضافة ، جرت لبعضهم عند الانتقاء من
تلك الخطط نوادر طريقة مضحكة وانتهى منها
التنويه العام بهذا السك الهام إلى أن فعله أيضاً
في طبقات أهل العلم فأنهم سبهم الفتاة ، فآثر العلية
منهم للثاوير أصحاب الفنون بالرفاء إلى خفة
لورارة خالطاً لهم فيها بما ذكرناه من زعاف
الخسة وكبار الدائرة ، وجاء في ذلك بطامة لم تسمع
في العصر الحالي فأخطأوا وألفوا بالدين وصحت ،
وطلبوا زيادة للثني على العامة ، فافتقروا بسببه
الخطه وشدوا أيديهم عليها ، وهجروا من حلقهم
المخاطب منها مفرطين بما يصاب من ذلك إلى أن
مضوا لسيولهم ، وارتقى المستكن أيضاً بكتير من
يحمل الحابر ويدرس مسائل الفكرة ، من أصناف الطبيعة
النفية إلى مايلت عليهم من منزلة الثوري ، فوسم
كلامهم بوسم الفتوى فأسرف في ذلك حتى بلغ عدم

ليس له عسدي إعادة ولا إهداء ، ولا من كتابي
في أرض ولا سماء . ونفس هنا بعض من أخبار
أبيها المستكن مدا لأطباء الآداب ، ووفاء بمرط
الكتاب ، لمحت من كتاب ابن حيال :
هو محمد بن عبد الرحمن بن حيدان ناصري ، يبيع يوم
قتل عبد الرحمن المستظهر يوم السبت ثلاث خلوص من
ذو القعدة سنة أربع مائة وأربع مائة ، ففسى
بالمستكن بالله ، أساء ذكره فانتاره لنفسه ، وحكم
سوء الاتفاق به لمساكنته لعبد الله المستكن العباسي
أول من تسمى به في اسمه ووجهه وتخلقه وضفه
بل كان هذا زائداً عليه مقصراً من خلال ملوكية
كانت للمستكن سببه لم يحسها محمد هذا لمرط
تخلقه على اشتباهاها في سائر ذلك كله من توبتها
بالفتنة ، واستظهارها بالفنسة ، واعتدا ، كل منها
على ابن عم ذي رحم ماسة ، وتوسط كل منها
في شأنه بأسراء خبيثة ، لذلك حساه التيرارية ،
ولمنا ابنه هكزي المروزي ، فأصبنا في ذلك على
فرط التباين عيرة ، وقال صاحب قط المروس :
ومن عجب اختلافهما في الأخلاق ، وفي السر والقلب
وأن كل واحد منهما خلق من الأمر ، وكل واحد
منها تركه أبوه صغيراً ، ولم يحسن محمد من هذا
الأمر في ورد ولا صدره ، إنما أرسله الله على الأمة
عنه وبلية ، إذ كان منذ عرف غفلا صلالاً منقطعاً إلى
البطلة ، مجولاً على الجبهة ، عاطلاً عن كل خلة تدل
على فضيلة ، وعفته الفتنة فأطلق حتى استجاز طلب
الصدقة ، وهذا حتى أماته أمه على ما لهم من المنة
وأيته - أيام الحنف بأهل بيته في الدولة الحمودية ، ولم
يكن من لحقه الاعتقال منهم تركاكته - بمعد أهل
الغلاة يوشد بقرطبة أوائل منهم لفلانهم بإلهم
من زكاتها تكلمها وعطاطية ، وبالجملة في تخيس
التصرف بأسره أن أجمع أجل التحصيل أنه لم يجلس
في الإمارة منذ تلك الفتنة أسقط منه ولا أقص إذ
لم يزل مروعاً بالتلف والركاكة ، مشتهراً بالصرب
والجفالة ، سليل السر والولاية ، أمير المهود ،

فلما طوى النهار كافوره ، ونصر حيره ، أبلت بعد
كالفضيب ، وردف كالكتيب ، وقد أطلعت نرجس
للليل ، على ورد الخبل ، فلما للوردوس مدج ، وماء
سجج ، قد قامت وايت أشجاره ، وفاضت سلاسل
أشجاره ، وقد أطلعت منتور ، وجيب الزاح منور
فلما شبتا ثارها ، وأدركت قينا ثارها ، برح كل منا
بجه ، وشكا إليه ما قبله ، وبقنا بيلة نحي الحوان
التنور ، وتكطف وملن الصدور ، فلما أهضنا منها
صباحاً ، أنشدتها ارتياحاً :

« ودع الصبر حب ودعك

فأنا من سر ما استودعك . »

قال أبو الوليد وكانت حبة قد غشتا :

« أحببتا إلى بلنت مؤمل

وساعدن دهرى وواصلن حي

وجاء يهينى البشسر بغره

فأعطيت نقي وزدته قلى . »

سألتها الإعادة بنيز أمر ولادة ، لجفا منها برى
التبسم ، وبدا عارض التجه ، وعانبت حبة :

« وما حربت حتى قلب أنت به

ولكننا ولادة اشتدت ضررى

فلعلت نجر القيل طائرة به

وتعج طل الفع بالتم الرطب . »

فبقنا على القتاب ، من غير اصطداب ، ودم للدم
مسفوك ، وما بدا فهو متروك ، فلما قامت خطباء
الأطيار ، على منابر الأشجار ، واعدت من الاعتراف
وبأكرت إلى الاصراف ، وشت بمسك الأهاش
على كافور الاطراس :

« لو كنت تصف فى الهوى ما جئنا

لم نعو جارقى ولم نصن

وتركت غصناً مشراً بجمله

وجنحت فقصن القى لم يحر

ولقد طلت بأنى يدو السما

لكن دعيت لتعزى بالعتري . »

قرطبة يوسف الأرمين ، وذلك مما لم يحد فى
التاريخين ، وكثر الإرجاف بتجر رجال الفائرة ،
فاضطربت قرطبة لكثرة ما فيها من اللذة ، فقبض
على جماعة من بنى عمه وحاشيته منهم على بن أجد
ابن حزم وابن عمه عبد الوهاب اللخندى الذى ذكر
سجنوا بالمطبق ، ثم جادل المستكى ابن عمه عبد العزيز
المرافى غلق وأمسى بيتاً وعام إلى أناس فلم يسهل عليهم
اغتياله ، وفى أيام المستكى هذا استؤصل بقية قصور
جده الناصر بالخراب ، وطست أعلام قصور
الزهراء ، وانقطع نحاس الأبواب ورمس القلى
وغير ذلك من الآلات ، فطوى بخرابها بساط الدنيا
وتبر حسنها إذ كانت له جنة الأرض فبدا عليها قبل
تمام اللذة من كالأضنف قوة من قارة المسك ،
وأومن بيتا من بقية التمرود ، والله يسلط جنوده على
من يشاء له العزة والجبروت ، فلما كانت سنة
ست عشرة وتحرك يحيى بن جود إلى قرطبة ، وضف
أمر المستكى ، اتفق اللا على خلعهم ودخلوا عليه
وقالوا : لقد علم الله اجتهدنا فى شريك ، فاضل
ذلك علينا ، واضطرتنا إلى مغاربة عدونا وهافن
خارجون إليه ، ولا ندري ما يحدث عليك بعدنا
فإن لك لك الكربة للآياس ، فبح اليوم غد ،
نأجمل الرد ، واستنصر القلى ، واهتبل
الفرقة ، وعزم على الحرب ، فخرج على وجهه
وقد لبس ثياب النانيات ، متعباً بين امرأتين لم يميز
منهن لمراسه على التخيث ، وخرج من قرطبة ،
فأتى بلطيش ، فكانت دوله كسعة عشر شهراً
صامياً تكلمات سوداً مشوهات مشوهات انتهى
ما لحصه من كلام ابن جلال . قال أبو الوليد :
كنت فى أيام الشباب ، وحرمة التمايى هاماً بنادة
كسمى ولادة ، فلما قدم القلاء ، وساعد القضاء
ككتبت إلى :

« ترهب إذا جرت الظلام زوارى

فأنى رأيت الليل أكرم للسر

وبى منك ما لو كان باليد ما جاء

وبالشمس لم تطلع وبالنجم لم يبر . »

صفحات من كتاب نفع الطيب

الرياء، مليحاً بآراء الأجناس ، وقد نوا الانعراج
 لهم والطرب والتمتدح في روضي النبات والأدب ،
 ومثوا صانحاً لهم يسمى (خليفة) هو قوام لقتهم
 ونظام مسرتهم ليأتيهم بنبيذ يذهبون لهم يذهب في
 لجين زجاجة ، ويربونه منها بما يقتضى بتحركه
 لهرب عن ألقوب ولزطاجه ، وجلسوا لاعتذاره ،
 وترقب عوده على آكاده ، فلما بصروا به مقبلا من
 أول الفج بادروا إلى لقائه ، وساروا إلى نحوه
 وقلقه ، واتفق أن فارساً من الجند ركب فرسه
 ضمعه ، ووطأ عليه فهشم عظمه ، وأجرى دمه
 وكسر قصال النبيذ الذي كان معه ، وفرق من
 شلغم ما كان الدم رحمه ، ومضى على غرائه
 راكفاً حتى غو عن العين خائفاً من متعلق به حين
 يتلقه الحين ، وحين وصل الوزراء إليه تأسفوا
 عليه ، وأفتوا في ذكر الزمان وعدوانه وانظف
 وألوانه ، ودخله بطوام اللصقات على تمام المسرات
 وتكديره الأوزت للنسات بالآفات للؤلآت ، قال
 ابن زيدون :

« أظهور والحيتوف بنا مطيفه
 وبأمن والنون لنا غنيفة . »

فقال ابن خلدون :

« وفي يوم وما أدراك يوم
 مضى قسالتنا ومضى خليفه . »

فقال ابن عمار :

« عما ظارتنا واح وروح
 تكسرتا فاشقاق وجيفه . »

وكتب الوزير الشهير أبو حنيفة ابن زيدون إلى
 الوزير أبي عبد الله بن عبد العزيز أثر صموده
 عن بلنسية .

« راحت فصيح بها السليم » الأيات
 ولما ورد إشبيلية نزل بدار الوزير الكاتب ذي

وقد صنف أبو الوليد بن زيدون كتاب (التبيين)
 في خلفاء بني أمية بالأعلا على مترج كتب
 (التبيين) في خلفاء العرق للسعودي .

ومثل ابن زيدون في قصيدته التي لم يقل مع
 طولها في النسب أرق منها وهي التي يقول فيها :

« كأننا لم نبت والوصل كأننا

والسعد قدض من أفعال واشليا

سرا في خاطر الظلام يكتمنا

حتى يكاد لسان الصباح يشتمنا . »

وهل نشأ حنك من النساء مثل ولاده المروانية التي
 تحول مداهبة الوزير ابن زيدون ، وكان له غلام
 اسمه علي :

« ما لابن زيدون على فضله

يتأبى ظمأ ولا ذب لي

ينظر لي شزراً إذا جثه

كأنما جث لأخفى علي . »

ومن حكايات أمل الأعلا في خلق الصناد
 والطرب والظرف وغير ذلك كسرمة الارتحال

ما حكاها صاحب (بدائع البداة) قال :

أعبرني من أثنى به بما حذا مناه -

قال : « خرج الوزير أبو بكر بن عمار والوزير
 أبو الوليد بن زيدون ، ومعهما الوزير ابن خلدون
 من إشبيلية إلى منطرة لبني عباد لموضع يقال له
 (الفتت) تحف به صروج معرفة الأنوار ، متفحة
 الأنجاد والأفوار ، متحسة من ثبور النوار ، في
 زمان ربيع سلت الأرض السحب فيه يوسيا ووليا
 وجليا في زاهر ملهيا وباهر حليا ، وأرداف
 الرى قد تأزوت بالأرز الحفر من يلبها وأحيا
 الجداول قد نظمت النوار ثلاثه حول نباتها ، ومجاسر
 القرم تطر أردية النعام عند حياتها ، ومناك من
 البهار ما يزرى على مدامن النصار ، ومن الترجس

فهي وإن اشتهرت بالمرق والمرب لم يذكر جلتها
إلا قليل ، وقد كنت وقت المغرب على سدس
لها لبس طلاء المغرب ولم يحضرني منها أكل إلا قلة
في الطلع :

« ما عيون بهم النج نصينا
وعن ظلف حتى الأصناف تحينا
تألف كلفت يحينا ويشينا
تفرق ثالث في شمل الحينا
أخفى الفرق بديلا الخ
وما أحسن قوله في هذا التمدس :

« ما للأحبة دانوا بالنوى ورأوا
تمويش عهد الله بالمد حين نأوا
رحمهم الله كانوا اليهود دعوا
فغيرتهم وشاة بالفساد سمعوا
فبذل المداد من نساقتنا الموى فدعوا
بأت نفس فقال الفهر آتينا . »

وقد ذكرنا في الباب الرابع موشحة ابن الزكيل
التي ومأ فيها لتونية ابن زيدون هذه فتراج -
رجع - وقال ذو الوزارين ابن زيدون يقول :
« وضع المصح الذين الأبيات
وعلم ابن زيدون كثيرة وقد ذكرنا منها في غير
هذا المثلج . وسألت جارية من جوارى الأندلس
ذا الوزارين أبا الوليد بن زيدون أن يزيد على بيت
أثنته إياه وهو :

« يا سطى عن وصال كنت واردة
مل منك لي غداً منحت وأعطى . »
وكانت الجارية المذكورة تنشق ثوباً قرصياً وتوزير
يمل ذلك وهي لائل أنه يعلم ، فقال :
« كسوتني من ثياب السقم أسبجها ظلماً
وصيرت من لحف الضنا فرمى
..... الأبيات

وحكي أن الوزير أبا الوليد بن زيدون تولى ابنة
وبعد الفراغ من دقها وقت فانس عند منصرفهم
من المجازة ليتفكر لهم ، فقيل إنه ما أعاد في ذلك
الوقت عبارة لها لأحد .

الوزارين أبي عامر بن مسلمة ، وهو بين جمل ،
فصنع أبياتاً كتبت فيه :
« عمر من يمر ذا المجلس الأبيات
وقال فيه أيضاً :

« أودها قد حسن المجلس الأبيات
وكتب إلى الوزير أبي للمالي للولب بن عامر يستعجه :
« ماتت لنا ليتنا الخالية الأبيات
وكتب إليه ذو الوزارين أبو عامر المذكور ماتباً :
تباعدنا على قرب الجوار

كأنا صدنا شحط الزار
نطع لي هائل المهجر يذرا
وصار هائل وسوء في سرار
وشاع ضيق قطعك لي بوصلي
فلا كال ذلك في استقلار
أجمل أن ترى عن صبورنا
فأصبح مولنا دون اصطبار
وكنيت أريد منك من عتار
ولكن ثانى فرط الحار
فراع مودتي وأفظ جوارى
فأنت الله أوصي بالجار
وزدني منما من غير أمر
وأنس موحناً من هزدار . »

فكتب إليه ابن زيدون :
« هوأى وإن تاءت منك داري الأبيات
وكان أبو الحظاف إذ ورد إشبيلية رسولا قد سأله
أن يريه شيئاً من شعره فطلب به حتى كتب إليه
شعراً يستبته ، فأجابه ابن زيدون في العروض
والتهاني :

« أهدني من غنائس الغر الأبيات
وهي أكثر مما ذكر . وكتب (أعني ذا الوزارين
ابن زيدون) إلى ولادة :

« أخى الثاني بديلا من تدانينا الأبيات
وإنما ذكرت هذه القصيدة مع طولها ليراهنا ،
ولأن كثيراً من الناس لا يذكر جلتها ، ويظن أن
ما في اللال ولا غيرها منها هو جميعا وليس كذلك

ابن جهور

قل في الملمح :

الوزير الأجل أبو الحزم جهور بن محمد ابن جهور ، وبنو جهور أهل بيت وزارة اشتهروا كاشتهار ابن هيرة في فزاره ، وأبو الحزم هذا أعجدهم في المكرمات ، وأعجدهم في الملمات - ركب متون الفنون فراضها ، ووقع في بحور الخن غاضها ، منبسط غير منكش ، لا طائن اللسان ولا رعرش ، وقد كان وزير في الدولة العاصرية فشرفت بجلاله ، واعترفت باستقلاله ، فلما انقرضت ، عاقت القن واعتزمت ، تحيز من التدبير مذهبها ، وخطي لأخلافه تدبير الرياسة وشقتها ، وجعل يقبل مع أولئك الوزراء ويدبر غير مظهر للأفراد ، ولا متصرف في ميدان ذلك الطراد ، إلى أن بلغت الفتنة مداها ، وسوغت ما شامت رداها ، وذهب من كان يجهد في الرياسة ويحب ويسعى في الفتنة ، ولما ارتفع الويال ، وأدبر ذلك الاقبال راسل مستمدا بهم ومعتمدا على بعضهم تخيلا منه ونحوها وتدابيرا على أهل الخلافة وذووها وعرض عليهم تقديم المتمد هشام وأومض منه لأهل قرطبة برق خطبه يشامقة بسرعة الثياها ، وتجهيل انتكاتها ، وأنابوا إلى دعائه ، وأجابوا إلى استدعائه ، وتوجهوا مع ذلك الامام ، وألوا بقرطبة أحسن الملم ،

فدخلوها بمدفئ كثيرة ، واضطرابات مستثيرة والبلد مقفر ، والجند مسفر ، فلم يبق غير يسير حتى نبذ واضطرب أمره نخلج ، واختطف من الملك وأقزع ، واقتضت الدولة الأموية ، وارقت الدولة العالوية ، واستولى على قرطبة عند ذلك أبو الحزم ، ودبرها بالجد والعزم ، وضبطها ضبطا آمنا حاقها ، وروغ طارق تلك الفتنة وطائها ، وخلا له الجوق فطار ، واقتضى اللبائن والأوطار ، فصادت له قرطبة على أكل حائلها ، وانجلى به نور جلالتها ، ولم تزل به مشرقة ، وغصون الآمال فيها مورقة إلى أن توفى سنة ٤٣٥ هـ قاتل الأمر إلى ابنه أبي الوليد ، واشتد منه على طارف وتليد ، وكان لأبي الحزم أدب ووقار وحلم سارت بها الأمثال وعلم المثل ، وقد أثبت من شعره ماهر لائق ، وذلك قوله في تفضيل الورد . .

« الورد أحسن ما رأت عيني وأذ

كي ما سقى ماء السحاب الجائد

خضعت نواوير الرياض لحسنه

فتذلت تنقاد وهي شواهد

واذا تبدى الورد في أغصانه

يزهر فذا ميت وههنا حاسد

واذا أتى وفد الربيع مبشرا

لطالع صفحته فقم الوافد

ليس البشر كالنشر باسمه
خبر عليه من النبوة شاهد
وإذا قرى الورد من أوراقه
بقيت عوارفه فهو خوالده . »

✽

وقال صاحب كتاب المحجب :

ولما انطلعت دعوة بنى أمية كما ذكرنا
بالأندلس ، ولم يبق من عقبهم من يصلح
للإمارة ، ولا من تليق به الرياسة استولى
على تدبير ملك قرطبة جهور بن محمد بن
جهور ، ويكنى أبا الحزم ، وقد تقدم ذكر
نسبه في ترجمة هشام ، وأبو الحزم هذا
قديم الرياسة شريف البيت كان أبوه وزراء
الحولة الحكيمة والعاصرية ، وهو موصوف
بالهناء ، وبعد الثور ، وحصافة العقل ،
وحسن التدبير ، ولم يدخل من دهانه في النفاق
الكائنة قبل ذلك وكان يتعاون عنها ، ويظهر
الزهادة والتدين والصفاء ، فلما خلا له الحق
وأصفر الفناء ، وأقفر الندى من الرؤساء
وأمكنه الفرصة وب عليها فتولى أمرها ،
واضطلع بمهامها ، ولم ينتقل إلى رتبة الإمارة
ظاهرا جريا على ما قمنا من إظهار سنن
الصفاء بل دبرها تدبيرا لم يسبق إليه ، وذلك
أنه جعل نفسه ممكلا للوضع إلى أن يعجزه
من يتفق الناس على إمارته فيسلم إليه ذلك
ورتب البوابين والحشم على تلك التصور
على ما كانت عليه أيام الحولة ولم يتحول عن
دله إليها ، وجعل ما يرتفع من الأموال

السلطانية بأيدي رجال رتبهم لذلك وهو
المشرف عليهم ، وصير أهل الأسواق جندا له
وجعل أرزاقهم رؤوس أموال تكون بأيديهم
محصة عليهم يأخذون ربحها ورؤوس الأموال
باقية محفوفة يؤخذون بها ويراعون في كل
وقت كيف حفظهم لها ، وفرق السلاح
عليهم ، وأمرهم بفرقه في الدكاكين والبيوت
حتى إذا دهمهم أمر في ليل أو نهار كان
سلاح كل واحد معه حيث كان من بيته أو
دكانه ، وكان أبو الحزم هذا يشهد الجنائز ،
ويعود المرضى جاريا على طريقة الصالحين ،
وهو مع ذلك يدبر الأمور تدبير الملوك
المتخلين ، وكان آمنا وادعا وقرطبة في أيامه
حرما يأمن فيه كل خائف ، واستمر أمره على
ذلك إلى أن مات في غرة صفر سنة ٤٣٥ هـ
فكانت مدة تدبيره منذ استولى إلى أن
مات أربع عشرة سنة وأشهر ، ثم ولي
ما كان يتولى من أمر قرطبة بعده ابنه
أبو الوليد محمد بن جهور ، جرى في السياسة
وحسن التدبير على سنن أبيه غير مغل بشيء
من ذلك إلى أن مات أبو الوليد المذكور في
سنة ٤٤٣ هـ فطلب عليها بعده
أمور جرت - الأمير الملقب بالمأمون ابن ذي
النون صاحب طليطة فدبرها مدة يسيرة
إلى أن مات ، وخلف فيها بعده من البربر
رجل يعرف بابن حكاكة أطلق اسمه موسى ،
فكان بها إلى أن غلبه عليها وأخرجه منها
الأمير الظافر بحول الله أبو القاسم محمد بن

عباد على ما ياتي بيانه إن شاء الله تعالى .
فهذا آخر أخبار قرطبة وكونها دلوا لملك
وبمغفلة المعتمد عليها صارت تبعاً لاشبيلية .

جهور (١)

جهور بن محمد بن جهور بن عبد الله
ابن محمد بن النضر بن يحيى بن عبد الغافر بن
أبي عبدة رئيس قرطبة ، يكنى أبا الحزم .
روى عن أبي بكر عباس بن المهدي ،
وأبي محمد الأسدي ، والقاضي أبي عبد الله بن
مفرج ، وأبي القاسم خلف بن القاسم ،
وأبي يحيى زكريا بن الأشج وغيرهم . وسمع
منهم وأخذ العلم عنهم ، وقد أخذ عنه
أبو عبد الله محمد بن عثمان الفقيه ، فقال
حديثاً عنه من الشيخ الأكبر ، وهو يعني
أبا الحزم هذا ، ثم صار تدير أهل قرطبة إلى
أبي الحزم هذا فألقبها بالرياسة فيها ، إلى أن
توفي يوم الخميس لسبع بقين من المحرم من
سنة ٣٥٥ هـ ودفن بداره ، وصلى عليه ابنه
أبو الوليد محمد بن جهور متولى الأمر من
بعده ، وكان سنة يوم وفاته إحدى وسبعين
سنة ، وكان مولده أول المحرم سنة ٣٦٤ .

أما قرطبة فاستولى عليها أبو الحسن
جهور بن محمد بن جهور ، وكان من وزراء
السولة العاصرية ، موصوف بالدهاء والنقل ، ولم
يدخل في شيء من الملق قبل هذا بل كان
يتصاون عنها ، فلما خلا الحق وأمكنه الفرصة

(١) من كتاب الصلة لابن بتكوال .

وتب عليها فتولى وقام بحمايتها ، ولم ينتقل
إلى رتبة الإمارة ظاهراً بل رتبها وديرها تديراً
لم يسبق إليه ، وأظهر أنه حام للبلد إلى أن
يحيى من يستحقه ، ورتب البوابين والحشم
على أبواب قصور الإمارة ولم يتحول من
داره إليها ، ودعا ما يتحصل من الأموال
السلطانية بأيدي رجال رتبهم له .
وكان جهور يشهد الجنائز ، ويعود المرضى ،
ويحضر الأفراح على طريق الصالحين ، وهو
مع ذلك يدير الأمور تدير الملوك ، وكان
مأمون الجانب فآمن الناس في أيامه ، وبق
كذلك إلى أن مات سنة خمس وثلاثين
وأربع مائة ، وقام بأمرها بعده أبو الوليد
محمد بن جهور على هذا التدير إلى أن مات .

بنو عباد

أما أحوال إشبيلية فأنها كانت في طاعة
الفاطميين أعني علي بن جود ، والقاسم بن
جود ، ويحيى بن علي بن جود أليم كان
الأمر دائراً بينهم على ما تقدم ذكره . فلما
زحف يحيى بن علي بالبر إلى قرطبة وهرب
القاسم بن جود منها ، وقصد إشبيلية ، وقد
كان ابنه محمد والحسن مقيمين بها أجمع أمر
أهل إشبيلية ، واتفق رأيهم على إخراج محمد
والحسن منها قبل وصول القاسم أيهما
فأخرجوهما ، وجاء القاسم فنعوه دخول البلد
أيضاً ، واتفقوا على تقديم رجل منهم يرجع
إليه أمرهم ، وتجمع به كلهم فتوارد

وأجابوه إلى ما أراد ، ولم يزل يدبر أمر
إشبيلية ، وهؤلاء المذكورون من وزرائه ،
وكان له من الولد إسماعيل وهو الأكبر يكنى
أبا الوليد وعباد يكنى أبا عمرو ، فأثما إسماعيل
نفرج إلى لقاء البربر بعد أن حدث لأبيه
أمل في التغلب على ما كان البربر يملكونه
من الحصون القريبة من إشبيلية بمسكن من
جند إشبيلية ، فالتقى هو وصاحب صنهاجة ،
فأسلمت إسماعيل عاكره ، وكان أول قتيل
وقطع رأسه وسير به إلى مالقة إلى إدريس
ابن علي الفاطمي كما تقدم ، وبقي الأمر
كذلك ، والقاضي أبو القاسم يدبر الأمور
أحسن تدبير ، وكان صالحا مصلحا إلى أن
مات في شهر رسة ٣٩٠ هـ .

اختيارهم بعد محض الرأي وتفتيح التدبير
على القاضي أبي القاسم محمد بن إسماعيل بن
عباد اللخمي لما كانوا يملكونه من حصاة
عقله ، وسعة صدره ، وعلو همته ، وحسن
تدبيره ، فعرضوا عليه ما رأوه من ذلك ،
فتعيب الاستبداد ، وخاف عقبة الانفراد أولا
وأبى ذلك إلا على أن يختاروا له من أنفسهم
رجالا يساهم لهم يكونون له أعوانا ووزراء
وشركاء لا يقطع أمرا دونهم ، ولا يحدث
حدثا إلا بمشورتهم ، وهؤلاء المسمون هم
الوزير أبو بكر محمد بن الحسن الزيدى ،
ومحمد بن يريم الالطاني ، وأبو الأصعب عيسى
سحاج الحضرمي ، وأبو محمد عبد الله بن علي
الموزني ورجال آخرون ذهب عنى أسماؤهم
ولا أعرف قبائلهم ويوتهم ، ففعلوا ذلك

صفحات من كتاب العيني (١)

عن مقاومته فأخرجوه ، فاستدعاه القاضي
أبو القاسم محمد بن إسماعيل بن عباد
إليه بإشبيلية ، وأذاع أمره ، وقام
بمنصره ، فصار إليه وقام بواجبه ، وكتب
بظهوره إلى ملوك الأندلس فأجاب أكثرهم
وخطبوا له ، وجرت بيعته في الحرم سنة
تسع وعشرين وأربعمائة ، ثم إن عباد سير
جيشا إلى زهير العاصري بأنه يخطب للوئيد
فاستنجد زهير حيوس بن ماكر الصنهاجي

وأما إشبيلية فاستولى عليها قاضيها محمد
ابن إسماعيل بن عباد اللخمي ، وهو من
ولد النعمان بن المنذر ، وفي هذا الوقت
ظهر أمر الموقد هشام بن الحكم ، وكان
قد اختفى وانقطع خبره ، وكان ظهوره بمالقه
ثم سار منها إلى لرتيه ، خلفه صاحبها زهير
العاصري وأخرجه منها ، وقصد قلعة رليح
فأطاعه أهلها ، فصار إليهم صاحبها أول
إسماعيل ذي النون ، فغاربهم وضعفوا

وتلاحق بجريز أمهاته وأشياعه ، وترك الظافر ملقى على الأرض ، غرق عليه بعض أهل قرطبة فأبصره على تلك الحالة فنزع رداءه وألقاه عليه ، وكان أبوه إذا ذكره يمثل بهذا البيت :

« ولم أدرك من ألقى عليه رداءه

سوى أنه قد سل عن ماجد محض . »

ولم يزل المتمدد يسعى في أخذها حتى عاد ملكها إليه وترك ولده المأمون فيها فأقام بها حتى أخذها يوسف بن تاشفين وقتل فيها بعد حروب كثيرة يأتي ذكرها إن شاء الله تعالى وأخذت إشبيلية من أييه المتمدد ، وبقى مسجوناً في أعماق إلى أن مات بها ، وكان هذا وأولاده جميعهم - الرشيد ، والمأمون ، والراضي ، والمتمدد ، وأبوه ، وجدته علماء شعراء -

ملوك الطوائف (١)

بقلم الأستاذ نيكسون

تفرقت إمبراطورية عبد الرحمن الثالث العظيمة ، وظهر على أنقاضها عدة ممالك صغيرة « دويلات » أنشأها الظروف والمصادفات ، وكان يحكمها بعض القادة الظفرين .

وقد أحسن نيكسون في تشبيه تاريخ إسبانيا في القرن الحادى عشر الميلادى

صاحب غرناطة ، فسار إليه بجيشه فعادت عساكر ابن عباد ، ولم يكن بين العسكرين قتال ، وأقام زهير بيأسه ، وجاء حيوس إلى مائدة ذات رولى بعده ابنه باديس ، واجتمع هو وزهير ليتشقا كما كان زهير وحيوس فلم يستقر بينهما قاعدة واقتتلا فقتل زهير ، وجع كثير من أمهاته ، والتقى عسكر ابن عباد وابنه إسماعيل مع باديس بن حيوس ، وعسكر إدريس النولوى صاحب سبتة بطنجة واقتتلوا قتالا شديداً فقتل إسماعيل ثم مات بعده القاضى أبو القاسم بن عباد وولى بعده ابنه أبو عمرو ، ولقب بالمتصد بالله فسطح ما ولى وأظهر وفاة المؤيد ، واشتمل بأمر إشبيلية وبقى كذلك إلى أن مات وولى بعده ابنه أبو القاسم محمد ولقب بالمتصد على الله ، فاقسم فى ملكه ، وشمخ سلطانه ، وملك كثيرا من الأندلس ، وملك قرطبة أيضا ، وولى عليها ابنه الظافر بالله فبلغ خبر ملكه لها إلى يحيى بن دى النون صاحب طليطلة فحسده عليهما فشن له جورين عكاشة ، وصار إلى قرطبة ، فأقام يسى فى ذلك وهو ينتظر الفرصة ، فاتفق أن فى بعض الليالى جاءه طر عظيم ومعهم شديدة ورعد ويرق فثار جورين ففرج الظافر فيمن معه من العبيد والحرس ، وكان صغير السن فحمل عليهم ودفعهم عن الباب ، ثم إنه عثر فى بعض كراته فسقط فوقب عليه شخص فقتله ولم يبلغ الخبر إلى الأجناد وأهل البلد إلا واقصر قد ملك

(١) ضل مختار من كتاب نظرات فى تاريخ

الأدب الأندلسى للشارح .

كل جهة فتحوها فعلى أولئك المسيحيون في كنف المسلمين ، وأصفت الحكومة معاملتهم ، ومنحتهم الحرية الدينية وكثيرا مارفتهم إلى مناصب عالية في الجيش وفي بلاط الملك . فاعتق كثير منهم الحضارة الاسلامية وافئذ بها افتتاما .

حتى رأينا « القارذ » كاهن قرطبة في أواسط القرن التاسع ليلاد يولول في أوائل ذلك العصر شاكيا من أبناء دينه انصرافهم إلى مطالعة أشعار العرب وأساطيرهم وهيامهم بدراسة كتابات لاهوت نبي المسلمين وفلاسفتهم لا يقصدون بذلك إلى تفنيدها بل يقصدون إلى التعبير عن خوالجهم بأسلوب عربي رائع صحيح .

وكان القارذ يسأل .

أنى يتاح لإنسان في هذه الأيام أن يقابل واحدا من أبناء جفنا يقرأ التفاسير اللاتينية للكتب المقدسة ؟ ومن ذا الذى يدرس منهم فصول الأنجيل وسير الأنبياء والحواريين ؟ وأحسرتاه :

إن كل الشبان المسيحيين ذوى المواهب لا يعرفون الا العربية والاكتابات العرب فهم يقرءونها ويدرسونها بحماسة باغة متهاها كما أنهم ينقون المال الطائل لا قناتها في مكاتبهم وراهم أنى وجدوا يذيعون أن تلك الآداب جدرة بالاعجاب .

فإذا تجاوزت هن ذلك وأخذت تحثهم عن الكتب المسيحية أزور جانبهم وأجابه

بتاريخ إيطاليا في القرن الخامس عشر ، فقد كان وجه الشبه - كما يقول - كبيرا جدا بينهما .

وكان هؤلاء القادة الذين انقسموا بلاد الأندلس أشبه بأولئك القادة الذين كان يطلق عليهم في إيطاليا اسم : « Condottieri » وكان من بينهم ملوك العبادية الذين قطنوا لإشبيلية ، وهم أقوى ملوك ، وقد أطلق عليهم كتاب المسلمين اسم : « ملوك الطوائف » وعلى الرغم من أن ذلك كان عصر تدهور سياسى ، وعلى الرغم من أن إسبانيا تشكو عجز مواردها الاقتصادية ، فقد وصل المجتمع في تلك الأيام إلى مستوى لم يصل إلى مثله من قبل .

وهنا يجدر بنا أن نقف لحظة علنا نستطيع أن نستعرض فيها أماننا الشوط البعيد المدى الذى قطعه الآداب والعلوم في طريق النجاح في ذلك العصر الذى يعد أزهى عصور الاحتلال الاسلامى في أوروبا .



فبينما ترى العرب الفاتحين في آسيا - كما ينادى ذلك - قد سحرتهم حضارة قديمة تفوق حضارتهم بما لا نهاية له فأذعنوا لها وظهر أثرها فيهم إذ تراهم لم يكادوا يعبرون مضيق جبل طارق - في الغرب - حتى انعكست الآية تماما .

وذلك أنهم بعد أن قلبوا على شبه الجزيرة وقع في أيديهم آلاف المسيحيين من

بإزدراء أنها أسفار تافهة لا خطر لها .

واحسرتاه عليهم ! لقد نسى المسيحيون أنفسهم حتى ليندوا العنود بين آلاف منا على على فرد يستطيع أن يجرى إلى أحد أصدقائه رسالة لاتينية بأسلوب لا بأس به على حين ترى جهرتهم قادرة على الإهانة مما في نفوسهم بأسلوب عربي رائع ، وعلى حين ترى حذقهم في قرض الشعر العربي قد وصل إلى حد فاقوا معه العرب أنفسهم .

ومهما يكن في كلام هذا الكاهن من اغراق فما يترفع عن الجدل والتشكك أن الثقافة الإسلامية قد أخذت بالباب المسيحيين الأسبان ، كما افترق بها اليهود الذين خدموا الشعر والفلسفة بمساعدتهم العديدة وكتاباتهم التي أنشئوها بلغتهم وبلغة أبناء همهم العرب .

أما المولودون والمهاجرون من الأسبانيين الذين لانوا بالإسلام فقد استعربوا تماما بعد أجيال قليلة ، ومن هؤلاء نبغ أشهر من ازدان بهم الأدب العربي .

وقد كان للشعر العربي - في أوروبا - على الأجل الخصائص التي رأيناها في الشعر المعاصر له في الشرق .

فإن الأوزان المصطلح عليها والقيود التي لم يستطع أساطين بغداد أن يحرروا أنفسهم من ربقتها ظلت بحذافيرها في قرطبة واشبيلية . وكما تأثر الشعر العربي في الشرق بالأدب الفارسية ، فقد تأثر في أسبانيا كذلك بالحداد الآريين والساميين واندماجهم شيئا فشيئا . فكان ذلك سببا في ادخال عناصر جديدة ظهرت في آدابها ، ولعل أمتع ميزات الشعر الأندلسي هي ذلك الوجدان العاطفي الرقيق الذي ينشر وجود مثله في الفسيح والذي ظهر كثيرا في أغانيهم عن الحب وهو وجدان لا يقتصر على تصوير فروسية القرون الوسطى بل يتخطى ذلك إلى حد أن تحسبه إحساسا جديدا بمحاسن الطبيعة التي جعلته .

ولطمة الميزة سهل فهم ذلك الشعر على الكثيرين من الآريين الذين قد لا يسهل عليهم فهم روح الحقائق أو قصائد المتنبي .



دراسات الكتاب لابن زيدون

« أثبتنا في هذه الصفحات أهم الدراسات
التي كتبت - في العصر الحديث - عن
ابن زيدون إعلماً للقائدة . »

- دراسة الدكتور أحمد ضيف^(١)

اقرنت الوزارة في الأندلس بالأدب ، فكان الوزير كاتباً وشاعراً ، وكان أشهر الكتاب والشعراء وزراء ، وكانت المهرة بالكتابة والشعر ، وفنون الأدب ، وفروع العلوم من وسائل الوصول إلى امتلاك الوزارة ، فكان لوزراء أثر عظيم في سير البلاغة والأدب ، وأصبحت منزلة الأدب كمنزلة الوزراء أنفسهم في الدولة ، وظهر في الأندلس طائفة من الرجال الذين تربوا في مناصب الملك ، وتعلموا في مراكز الدولة ، وتغلبوا على شئونها ، وهم جميعاً من الأدباء والمثقفين والكتاب والشعراء وأصحاب النثر ، وأعلام الحياة العقلية .

ومن أشهر هؤلاء الوزراء الأدباء والشعراء المجهدين ، أبو الوليد أحمد بن عبد الله بن أحمد بن غالب ابن زيدون الخزرجي الأندلسي القرطبي ، أشهر من عرف في حلبة الأدباء ، وأظهرهم مييزة في فنون الكلام وأساليب النثر والبيان ، لأنه صورة من صور الأدب في الأندلس ، وصحيفة من صحف البلاغة هناك ، وقرعة من قمار غرس العرب في بلاد المغرب .

ولد ابن زيدون بمدينة قرطبة في سنة ٣٩٤ هـ وتوفي بإشبيلية سنة ٤٦٣ هـ وهو ثالث ثلاثة تسماوا بابن زيدون : أحدهم أبو بكر عبد الله بن أحمد بن غالب والده ، والثاني أبو بكر ابنه وكان وزيراً للمسلمين بن هبادة ومات مقتولاً ، وهم من أصل عربي كما أشرنا إلى ذلك في كلامنا على النبا الذي تزلت الأندلس من العرب . كان أبوه فاضلاً معهوداً بين فضاة قرطبة ، وطالما وأديباً . مات سنة ٤٠٥ هـ فكان عمر ابنه إذ ذاك إحدى عشرة سنة ، وكان أبو الوليد منذ حداثة ميله إلى العلم والتعلم ، فاندفع يطلب لنفسه الكمال الفخري ، وكانت نشأته في قرطبة ساحة العلوم والأدب ، فانكب على الفرس والبحث ، وأخذ الأدب عن رجاله للمرويين ، وكان له ميل شديد لعلوم العرب وفنون اللغة فحفظ منها شيئاً كثيراً ، كما وهي كثيراً من أخبار الأدباء والشعراء ، وأمثال العرب وحوادثها ، ومسائل اللغة ، حتى أصبح في مقدمة الشعراء والأدباء ، واندمج في مجالس الأدب ، فصار معلماً من أعلامها ودعامة من دعائمها ، وكانت قرطبة لا تزال في أوج صلاحها على الرغم من أنوار شمس بني أمية بها ، وأعلمها في رخاء من العيش ، أكثرهم ميل إلى العلم والأدب ومجالسة الأدباء ، فامتألت المحافل والجامع بمضروب الفرح والفرح ، وكان لابن زيدون خلق روح ودعابة وييل إلى المجون ، فخاصه ذلك على أن يسبق غيره ، وأن يتال مهرة

(١) من كتاب بلاغة العرب في الأندلس للدكتور أحمد ضيف .

واسعة بين أترابه . وكان لفساد أثر عظيم في هذه النبال ، فأنجم الناس إلى الانحلال فيها واستنبدوا هذا اللورد ، وانصرف هم الأدباء إلى التفوق في هذا الميدان ، فكان ذلك أثر عظيم في أخلاق الأدباء وصورة البلاغة من نظم ونثر ، وكأنا ضاعت كل صفة جيدة في النحاج الأدبية لجرو الزوراء على البلعة بلجون ، وكان ابن زيدون أحد أبطال هؤلاء لجنوب إلى الأنظار .

وكان لولادة بنت للسكنى الخليفة الأموي مهرة عظيمة في قرطبة لجمالها وعلوها وأدبها ، فوقع ابن زيدون في شركها ووقع في شركه ، واشتغل كل منهما على صاحبه ، حتى حسد عليا وحسدا الناس عليه ، وكان من بين هؤلاء الحساد الوزير أبو حاسم بن عبدوس وهو كبير الملوك والطلوع ، تقرب إلى ولادة حتى أحاطها إليه ، وكانت ولادة ملك صداقة ابن زيدون وانتهت كما انتهت بذلك أيضا ، فهبت عاصفة من الجناح بينهما شلت من شلها وحالت بين قلوبهما ، فذلك غلب ابن عبدوس ابن زيدون على أمره ، واستولى على قلب ولادة ، ثم حدث أن رجعت إلى ابن زيدون فكتب عن لسانها لابن عبدوس رسالته القهيرة الهزلية ، ثم استأثر بها ثانية ابن عبدوس ، فكانت هذه الحال سبب اضطراب في حياة ابن زيدون العقلية والسياسية وحكما كانت حال الوزراء وأرباب الدولة وقول الأدباء ، وأصحاب الأفلام والفقراء ، وهذه الحالة من أكبر المواقف في حياة ابن زيدون . عاش ابن زيدون في بيئة كلها اضطراب ودسائس ، وترى ودرج في ذلك وتقلد لوزارة فيها ، لأنه اشترك في حوادث الاضطراب التي كانت على أثر زوال دولة بني أمية ، فكان من أشيع ابن جهور أحد ملوك الطوائف الذي ادعى لنفسه لذلك في قرطبة بعد انحلال الدولة الأموية سنة ٤٢٣ هـ وعلت منزلة ابن زيدون هناك ، فانغمض ابن جهور وزيراً له فلك أزمة الأمور ، وكان أقرب الناس إلى سيده الذي استعان به كثيراً في المسائل السياسية ، وتأمن الصلة بينه وبين الأمراء الآخرين فكان له وحماته ، فكانوا يحدسون ابن جهور على الاختصاص به ، وحدثت حوادث أوقرت عليه صدور كثير من منافسيه والحاسدين على فضله ومنزله ، فحاولوا عليه عند ابن جهور حتى أمر بسجنه فسجنه طويلاً ، فاستنفر واستعطف بما يلين من أبه الحديدي ، فلم يفلح في إرضاء الأمير فوم على إحمال الحيلة والحرب من السجن . واختفى بقرطبة إلى أن استدفع بأبي الوليد بن جهور ضد أبي الحرم حتى شفع له ، ووجه أبو الوليد بسد موت أبيه من القهدين في دولته ، ولكن ابن زيدون لم يأمن على نفسه من بقاءه في قرطبة ، فهاجر إلى إشبيلية سنة ٤٤١ هـ ودخل في حاشية المصنف بن حباد وصار وزيراً لابنه للمعتمد وبقي هناك إلى آخر عمره . هذه حياته وأخلاقه ، وقد ذكرها في شعره ونثره ومنها يرى أن حركات عقله كانت تتفوق ذلك خطوة بخطوة ، فكانت حياته العقلية نتيجة هذه الحياة ، فذلك يمكن أن تحسم آثاره الأدبية إلى أقسام ثلاثة : متقه لولادة وأثر ذلك في نفسه وما كتبه في هذا ، ثم مدحه لابن جهور وابن حباد ثم أثر السجن في حياته العقلية .

شعر ابن زيدون

كان لأخلاق ابن زيدون والبيئة التي طلس فيها وميول الناس إلى الفهم أثر عظيم في شعره ، فقد كان للبعث مسحة خاصة في النظم والنثر ، فبرع ابن زيدون في النزل ، وكثير من شعره في ذلك كان منبثاً من موراد في نفسه وفيلاني ميوله وأمواله ، أذكر في ذلك كله حبه لولادة ، فإن متقه هذا فتح له باباً واسعاً

من الحبال قال فيه ما شاء وشاءت هواه أن توحى إليه ، كذلك كانت آلامه وما لاقاه في السجن باحاً من بواعث استهائس ملكة الشر فيه ولعلها من إلهاماته الفنية .

وفي به أهداه وحسده إلى ابن جور ، وكاد له مغالوفه في حب ولادة حتى تلوا منه ، وشغلوا غلته بمجل ابن جور على سجنه بعد أن أله مؤنة الوزير يدبر ملكه ، وبعد أن اثبتته وعرف له رايه السديد وبراهته في إدارة الأمور وسله زمام الدولة ، ولم يكن لابن جور أن يضطئ في ظله لما اشتهر به نفسه من سداد الرأي وحجته ، فإذا نادى ابن زيدون مكاة في نفس ابن جور ، هه كان ذلك من جنارة واستمقاق ، ولكن أهداه فمكتوا من ابن جور غضب عليه وأمر بسجنه ، فأثار هذا السجن من نفس ابن زيدون طائفة فنية جديدة رقت من خياله الشعرى آثارها آلامه فأخذ يش أبناً جيلاً ، ويغنى في آلامه ووصلها والتير منها مرة شعراً ومرة نثراً . . . والتي يمزج فنه دائماً بكل ما يرى ويسمع ويشعر ، ولقد كانت نفس ابن زيدون من النفوس البقية الادراك ، التي إذا أنت تثن أيمن للوسيقى ، وإذا شكت فتكوى شكاة القلوب للملودة شعوراً الواسعة التصور والإدراك الفيق ، التي يجمل الكوى جيلة والكلام فيها جيلاً . كتب ابن زيدون من السجن إلى صديقه أبي حنيس بن برد يتكوى ويثن من بلواه وهو يهينه الأمل مرة ويغمد اليأس أخرى ، ولا يترك شاردة تمر بخاطره إلا هدأ بها نفسه ، وتسل بها عن آلامه . يتسلم أحياناً إلى القضاء فيشعر في نفسه براحة واطمئنان ، ويقلب أمامه صفحات الأيام فلا يجيب من الحوادث التي آلت به ، ويرجع إلى صديقه فيسليه هو بنفسه ، ويسأله ألا يكف عن مجونه وتكليمته ، لأن السعادة خلسة ، ثم يعود فيذكر أهداه وتليهم منه ويبين أن ذلك ليس بالسبب لأنه :

لأن بقا النهر فلقاه من الصخر الجباب

ويرى أنه حسد لمكاته ، ويمزج ذلك بالبهر والحكم والخبرة والتحكم من أحوال العالم وحوادث الحياة ، ويرجع أبنه وأله وحده على الناس ، ولا سجا حاسديه ، ويضرب للتلكم يسكن من نفسه ، وهو في ذلك كعادته في الكوى : يهبط مرة إلى الدرك الأسفل من اليأس ، ويرفع أخرى إلى ذروة الرجاء ، وكأنه في شجار مستمر بينه وبين نفسه وشعوره ، كل هذه المعاني في آيات قليلة بأسلوب جميل وريق ، يكاد يلحح الإنسان فيها خاطره للضطر للتماوج . حيث يقول :

« ما على طوق يس يجرح الدم ويأسو » الخ

هذه تمثالت القلوب ، وهذا هو الشعر الذي يستولى على النفس ويظهرها المسككة والبرية ، وهذا هو جمال القول ، ليس ذلك لأنه مطرب مرقس بوزنه وقائته ، بل لأنه ساحر بمجانيه وجاله ، كل معنى فيه يحتاج إليه النفس في مثل هذه اللواقف ، ولقد كانت هذه المعاني سائفة للنفس لأن الشاعر صادق في قوله ، مبر عن شعوره يرسم صورته من نفسه الحزينة للتأله ، لهذا كان الشعر جيلاً .

وقد بدأ قصيدة من قصائده في هذا الصخر بنفسه ، وأسن في ذلك ، وكأنما كان يبكي حظه ويندب بهنا الأسلوب الشعرى ، أو كأنما كل معنى من حسنه المعاني كانت تهدي خاطره وترجع نفسه ، فلما مدح ابن جور مدحه في قالب استعطاف ، وتوسط بين اللدح الحامس والتب الجدى ، وقد ظهر بنفس كبيرة وألف أهم حتى أنه مدح نفسه أكثر من ابن جور ، فكان ملغماً أخش منه طاباً ، لأنه كثيراً ما كان في مثل هذا الموقف لا ينسى الصخر بنفسه ، ولا يريد أن يعل عليها ولو هما أنه في موقف ملغ ، وكأنه كان يتسل بهنا ، لأنه يرى أن أهداه لم يتلوا منه إلا لأنه فاقهم بلمه وقضه حتى إنه قال تنكها :

« ولو أني أسطيع كي أرضي المصدا عريت يبعث الحلم حقا من الجبل . »
وكل نصائده التي أرسلها يستطع بها ابن جاور هي أثر ذلك التفاه الذي لديه في سجنه ، وصورة من صور
البؤس الذي حركه شعوره وحق من لسانه ، وأثار في نفسه عواطفه القسرية المذلة للملوءة مما وعما .
ولكن أسلوبه في التكوين والاستطاف واحد في نظمه ونثره ، وما أشبه نصائده في ذلك وما نيا من
من اللامع برسلته الجدية ، وكأنما كان فكره سبيبا منه من شدة تأله في السجن ، فانه لم يخرج عن
عادته في ضرب الأمثال والفخر بنفسه ، وأنه أفضل إنسان وأكرم من دنا على وجه الأرض .

غير أن كلامه مع ذلك غلب للذائق ، وحق الحاشية ، جناب خطاب ، تظهر عليه سببا الابتكار
والصدق في التعبير ، فانه ليس من الخيالات الشعرية العفوية ، بل به كثير من الحقائق التي كان عليها عليه
شعوره كما قال :

« ما جل بسبك لحظي في سنا القدر إلا ذكرتك فسكر العين بالآخر . »

وكتب إلى أحد أصدقائه وهو مختف بخرطة بعد فراغه من السجن ، فقال :

« ... وبنيت أنك أحد اللاتين لي الخ »

إلى أن قال :

« شحطنا وما بالجار نأى ولا شحط وشط بين نبوى للزار وما شطوا . »

إلى آخر ما قال في هذه القصيدة التي هي من أروع نصائده التكوين وأجملها ذكر الماضي والحاضر والاستنفا
والاستطاف ، والسرور بذكر ما انتهى والبكاء على الحاضر ، وهي أيضا أظهر في لهجتها الجدية من
كثير من شعره ، ولذلك كانت أجف في أسلوبها ومانيها ، ليس بها تلك الرفة المعهودة في كلامه ، كل ذلك
حاجه السجن وما تدفعه من الآلام ، فرسمه في شعره ، لأنه رجل فني يعرف كيف يصور ما يشعر به ويبر عما
يجول بخاطره . ولقد يلاحظ الإنسان أن آراء ابن زيدون آراء عامة ليست ناشئة من تفكير طويل أو
علم واسع ، وإنما هو خيال أكثر منه مفكرا ، وشاعر أكثر منه عالما ، وهذه كل حال شعره ونثره .
أما مدحه ورثاؤه فهما في المرتبة الأخيرة من شعره ، لأنه على جبال أسلوبه في ذلك ، وحسن تصرفه في اللامع
لا يكاد يقرأ الإنسان عليه معنى جديد ولا رأى خاص ، بل يكاد يكون كل ما جاءه من اللامع من قبيل معارضة
غيره من الشعراء والأخذ بمعانيهم مجزوا فلك بما له من البراعة والصناعة والاختصار .

ومن أجل نصائده كلامه في المصنوع بن مباد وأبنت للعشيد ، ومن أرق كلامه في التكوين ، وأقرب
عباراته وصولا إلى القلوب بكأوه على الماضي ، والتلفذ بذكره وما كان فيه من التيم كقولها :

« الهوى في طلوع تلك النجوم وللي في جوب ذاك القمم . »

ولقد كان ينظر إلى أيامه للماضي فينسى إليها حينا مؤلا ، فاذا قرأت شعره في ذلك رأيت نفسك كأنك
واقف على أطلال سعادته البالية ، فيكي وبكيت معه ، كما قال :

« أهلا لي إلى الزمراء أوبة نلح تحضت مانيها مداهم نرحا . »

الغزل في شعر ابن زيدون

يتبين من أحوال الاجتماع في الأندلس ، وسبيل النفوس ، واختلاط النساء بالرجال ، واندماج كثير من
الأديبات في مجالس الهوى والطرب ، أن المرأة شغل جزءا عظيما من أوقات الرجال للفرحين ، وملأت

ودعهم ، كما أن مجالس العرب كان لها سلطان عظيم على قلوبهم ، فكانت المرأة تحرك الحواطم والصور ،
والفرق تد البقول ، وتل عليها القول ، وتضع أمامها طرق الصور والخيال ، والقول ثمقة بقهوة الغرام
والزبد حقة بحراة اللام ، والفتاس لا يهتم الطرب ، ولا يريدون أن يتناولوا عنه لطفه بقوسهم ،
حتى في أشدّ الحزن ، فقد رأينا أن ابن زيدون كتب وهو في سجنه لصديقه أبي حصين بن برد يقول :

« وأدو ذكرى كاساً ما امتطت كفتك كاس

والغنم صغر الليالي إنما العيش اختلاس . »

وقع ابن زيدون في حرك ولادة بنت للسكنى بالله ، وكانت خلية ماجة بارعة رفيقة بين الأدباء « تنازل
الشعراء ، وتماجل الأدباء ، وتوق البرعاء . . . خرجت على نهاية في الأدب والظرف ، حضور شاهد ،
وغزارة أواب ، وحسن منظر وغيره ، وحلاوة مورد ومصدر ، وكان مجلسها بقرطة متتدى لأحرار
المر ، وفناؤها ملهاً لجاد العظم والنثر ، يمشو أهل الأدب إلى ضوئها ، ويتهاك أنراد الشعراء
والكتاب على حلاوة عورتها ، وسهولة حجابها ، وكثرة متابها ، تخط ذلك ما لو صاب ، وكرم أساب ،
وطهارة أواب ، على أنها أوجدت لقول فيها السبيل بقة مبالاتها ، وبجهرتها بلماتها . . . » وقالوا « إنها
كانت بالمر كلفة بالشرق ، إلا أن هذه تزيد الحسن ، وأما الأدب والشعر والنادرة وخفة الروح فلم تكن
تصر عنها ، وكان لها صفة في النقاء ، وكان لها مجلس يشاء أدا ، قرطة وطرافها ، فيمر فيه النادر
والشاد كثير مما اقتضاه عصرها وكانت من الأدب والظرف ، وتتمتع السع والظرف ، بحيث
تختلس القلوب والألياب ، وعيد الشيب إلى أخلاق الشباب » فقال ابن زيدون رضاعها ، ووقع من نفسها كما
وقعت من نفسه ، حتى كتبت إليه تضرع له موعدا هالك :

« ترب إذا جئن الظلام زيارتي فإني رأيت الليل أكرم المر

وبني منك ما لو كان بالشمس لم تلح وبليد لم يطلع وبالنجم لم يمر . »

قال أبو الوليد : « غدا طوى النهار نوره ، ولهم الليل دنايره ، أقبلت بعد كالضبيب ، وردف كالكتيب ،
وقد أطلبت نرجس اللؤل ، على ورد الحجل ، فلنا إلى دوش مغرج ، وظل سبج ، قد قامت رايات
أشجبلره ، وفانت سلاسل أنهاره ، ودو الطل مشور ، وجيب الزاح مزورور . لها شبتنا نازها ،
وأدركت منا نازها ، صرح كل منا بجه وشكا ما بجله وأندشتها :

« ودع الصبر حب ودعك فأنح من سر ما استودك . »

وكتبت إليه بعد ذلك يقول :

« لأمل لنا من بعد هذا التفرق سبيل فيشكو كل صب بما لقي . »

إلى أن قالت :

« تمر الليالي لا أرى البين يقضي ولا الصبر من رق الشوق متقى

سقى الله أردأ قد نعت لك مزيلا بكل سكوب حاطل الويل متقى . »

ولا نريد الآن أن نتكلم في الشوق وأثره في النفس وما يوجه من دوائج القول وجمال الفكر حتى عند حامة
النفس ، فإن تاريخ الإنسانية حافل بحوادثه . ولكننا نقول : إن الشوق في كلام العرب أو شعر النزل كما
يسمونه ، ليس من السائل المولية . لأن الشعر الذي هو وحى النفس وجمال الإدراك الإنساني ، أكثر
ما يكون ظهوراً في التعبير عن الحب ، ووصف هذا الضمض الانساني الذي ليسه عبقاً ، فإن الشوق إدراك

أكبر مظاهر الجمال في الحياة ، ومن لم يتحمله قلبه يوماً ما ، لم ير غير ظواهرها ولم يتحرب إلى نفسه بمسبب ضوئه من جمال مظاهر الحياة وأسرار النفوس في التألف ، وكثير من آمال الناس في تلك الصلة النفسية ، والسوق وما فيه من سعادة وجمال سر كامن في القمر ، لأنه مصدر الشعر الخيالي الجليل . لذلك كان أجل القمر ما يكشف عن سر من أسرار النفوس ، ويفتح القلوب . ويظهر مكتوبات الإنسان وأخلاقه وآلامه وآله . إن النساء منبع من منابع الشعر ، والشعراء مدينون لمن بأفضل الصفات فيهم وهي وصف شعور الناس ، والشاعر الذي يعسر بلذ لا يتكلم عن نفسه لخب ، وإنما يمجس آلام العشاق وأنهم فيألم ويؤلم معهم ، وليس أعذب من هذه الآلام ولا أحب لنفس من سماع هذا الأبن . إن للشاعر صوغ بكلماته امتزازات القلوب وروث ما يجهل من المعاني ويضعها إلى النفوس فتصير إليها ، ويذهبها بين العشاق فيرى كل قلبه وكأنه ينظر في مرآة يرى فيها صورته ، وذلك لا يكون إلا في الشعر .

إذا أخطأ العرب في إصطلاحهم في هذا النوع والاختار منه ، فقد أخطأوا من جهة واحدة : وهي تكرار المعاني وتقليد بعضهم بعضاً في ذلك ، وظنهم أن كل قلب يجب بشكل واحد ، وإن صفة الحب بمظاهر الجسم قوة متينة ، وأن المعاني محصورة في ذلك . ولكن ابن زيدون ليس من هؤلاء المقلدين ، بل من الذين كانوا يجهلون جولات واسعة في الخيال ، فكان فتيماً مبدعاً . أرايت شعراء العرب كيف يطنون في وصف الأمكنة التي اجتمعوا فيها مع سديقاتهم ، وهم يحتضنون ذلك وسيلة لأمرين : الأول إحياء ذكرى تلك الأيام والأمكنة وما فيها ، إذ كل شيء هناك كان يتحد بهم ويصطف على مشاعرهم ، وتلك الأمكنة جيلة لأنها احتوت عليهم ، والأشياء التي تسطع عليهم والأشجار التي كانت تظللهم . والكواكب التي كانت تهمس أسرارهم ، جديرة بأن الناس ، لأنها أثر من آثار المشفق . الثاني أن الشاعر الذي يمر من التفكير ، ويهرف أن معاني العشق والمحب سرطان ما تنتفع ، فهو يحدائى على بث شيء من المعاني الأخرى التي لها صلة بذلك ، كي يتسنى له أن يجهل في ميدان أوسع ليصل إلى التعبير عن مراده ، أو يمنع العقول من أن يتركها للذل . فهو يستعين بذلك كما يستعين للصور للامر بالألوان لإظهار الصورة التي يريد أن يبرزها . كذلك كان ابن زيدون من هؤلاء الفنانين أو قريباً منهم . فقد التفت إلى مدينة الزمراء الجميلة في أيام الزيج ، يريد أن يسلق نفسه ويصنف منها من أثر حبه ولادة ، فذكر في شعر أرسله إليها كل ما كان يحيط به إذ ذاك وأدبع أيما إبداع ، وافتت انتابتاً عظيماً في ذلك ، فقال :

« إنى ذكرتك بزمراء مشتاقاً والأفق ملق ووجه الأرض ضميراً »

وإذا كان لابن زيدون سيرة في شعره القزلي فليس ذلك في ابتكار المعاني التي لم يسبق إليها ، وإنما هي في طريقة تصويرها بمجازات تلك النفوس وتناول على القلوب وكأن الإنسان لم يقرأ مثلها ولم يسع بما يشبهها لجودة الاختلاق في التشبيه والاسلوب . كما في قوله :

« إليك من الألم لها ارتياحى وأنت من الزمان مدى اقتراسى . »

وقد يسع الإنسان أنيته في شعره ، ويرى أنه للخرقة من خلال كلامه ، وكأنه يرى تلك الحيرة وذلك الغلق القضي الذين يملآن نفوس العشاق ويمتلئ منهم راحة الحياة ولذاتها . على أنه يخذل في ذكر عجزه ويذوق الآلام بسببها . فيقول :

« متى أتيك ما هي يراخى وعناهى . »

ولقد بلغ درجة من التمييز يحمل بها القارئ على الاعتقاد بأنه مخلم كل الإخلاص في حبه ، وإن حبه هذا هو كل أمنية . وأنه يرى في سبيل العشق ما لا يراه غيره ، ويؤمن عليه كل شيء في سبيل لإرضاء حبيبته حتى حياته ، وهو غيور بهذا كما قال :

« أنى تمنع عهدي لم كيف تحفظ عهدي . »

على أننا لا نرى ابن زيدون من الصنم أحياناً فيما يقول لأنه كان كثيره من الشعراء يمر عن غير شعور ، فإن تمكنه من الصنعة كان يفتق لسانه بقول الشعر ، كما قالوا إن السلطان أمره أن يمارض قطعاً كال بني بيا ، واستحسن ألمانيا ، مانساً أحياناً كأنها صادرة من عاشق متيم ، وضنها مدح السلطان ، فقال :

« يصر قريبي ليسلي الطويلا وبنتي وصالك ظلي الليلا . »

وفي بعض كلامه ، ما يدل على أنه كان يصيد الألفاظ والمعاني التي قيلت في العشق ، فينظمها ويلبسها ثوباً جديداً وكثيراً له ، وقد برع براعة عظيمة في ذلك كما قال :

« يا غزالا أسأوني موثقاً في يد المحن . »

وهو في كل كلامه مبدع بعيد متفوق على غيره ، خفيف الروح ، عذب الألفاظ ، سهل الأسلوب . أما توبته التي أرسل بها إلى ولادة وثبها كثيراً من شعوره وآرائه المختلفة . فهي على شهرتها وجلالها كمثل شعره وقتها لم تذكرها .

شعر ابن زيدون

اشتهر ابن زيدون برساليته الجدية والمزلية . أما الأولى فهي التي كتبها في سجنه يستطعم بها ابن جود وأما الرسالة المزلية فكتبها على لسان ولادة يتكلم على ابن جدوس ويذل منه المفارقة في غرامه .

اشتهر ابن زيدون بإحدى الرسالتين لجودة أسلوبها النادر للثقال ، ولاحتوائها على كثير من الأسماة التاريخية والأمثال العربية ، واقتباس آيات من الشعر معروفة وقت في صوغ الكلام وكأنيما حملت من أحده ، أو قيست على سمنه ، وليس من السهل اقتباس التثنية في أمكنته ، ولأن المحن أن يخوض الإنسان غمار الأدب الواسع ويسهل عليه الاختيار منه ، ويحفظ نفسه من الضلال في تواجيه ، ويميز بين الجيد وغيره ، ويختار ما يناسب المقام ، ويكون ذلك مقبولا لدى النفس ، ثم يصوغ ذلك كله في قالب واحد ويضم بعض أجزائه إلى بعضها ، ويمدحه كما يحسن الرشد ، فلا يتنافر منه جزء مع آخر .

إننا نلاحظ على هذا النوع أن أسلوبه من الابتكار في التأليف المبتدأ ، وكما قرب إلى القارئ الأسلوب وصحب عليه معرفة تأليفه ، شعر بحة اطلاع الكاتب ، وأجبه وكبريت في هذه منزله ، وكما فاجأه اسم لم يكن يحظر له بيا ، أو رأى غالب من ذهنه ، أو ضجح إلى قصة لا يظن أن تذكر في مثل هذا الكلام ، أو عبارة تحرك من نفسه حب الاستطلاع ، أو مثل المعطية ، أو ذكر رجل هجر بعيد ، أو نكتة تدر بها نفسه ، أو مسألة قتيبة يرتاح لها ويذكرها ، زاد أجماعه بالكاتب وما كتب ، ورأى أن كل إنسان غير قادر على ذلك ، وأن حسنه صفة يتلوه بها الكاتب عن سواء . كل ذلك في شعر ابن زيدون ، وهو من دواعي الإعجاب بأسلوبه في رسالته ، وقد عرف كيف يأتي في كتاباته بالناسق في المعاني والألفاظ ، بل عرف أن يأتي بهذا الناسق في التأليف والجمع ، وكيف يصيد كلام غيره ويرصفه رصفاً جميلاً ، كما أمكنه أن يرسم لنفسه شيئاً جمع فيه كل معلوماته ، واختار منها ما يناسب حاجته وموضوعه ، فكانت رسالته أليفة

جيلة ، وكان كالمهندس للامر الذى يعرف كيف يجمع بين الحجر والحجر ، والمواد الفئان التى يؤلف بين اللون والون . ولقد حاول ابن زيدون فى رساليه الوصول إلى غرضه ، فلم يدع وسيلة ما يجسم بها للفن فى نفس القارئ فنقال عليه المائى ويكون غرضه أوضح ، ورأيه أظهر ، إلا فعلها ، فكل ما ذكره من الأمتة المتنبية والمائى المختارة قصد به توضيح ما يريد .

فى رسالته الجديدة أراد أن يستطف ابن جهور ، ويرى نفسه مما اتهم به ويتكل بأعدائه ، فبدأ رسالته بالاستعطف وهو يستغل نفسه تارة ، ويمدح ابن جهور ويظهر إخلاسه له ويقتل إليه أخرى ، ويعتذر عنه فيما وقع منه فى حقه ، ثم يبين له شدة ألمه من شهادة أعدائه ، فقال :

« يا مولاي وسيدى الذى ودانى له . الخ . »

ثم أخذ يهمل بالأمال ، ويضرب فى ذلك الأمثال ، ليعلم نفسه ويهدى منها بيلوات شمرة يريد أن يؤثر بها فى نفس المرجو ويعصده على كل شيء ، كما يحمد الله على السراء والضراء ، فقال :

« هذا الشب محمود عواقبه ، وهذه الثبوة نعمة ثم تنجلى . »

ثم وقف موقف اللذة وكأما يسبح الإنسان بكاده فى كلامه ، واستعصر ذنبه فى ساحة فهو سيده ، وف جوار ما ارتكبه غيره من القنوب الكبيرة ، فقال :

« وأعود فأقول : ما هذا القنوب الذى لم يسه فحوك . الخ »

والعجب فى ذلك من حضور ذهنه وحدته مما يدل على تيقظه الشديد ، ثم أخذ يمد ذنبه يرى نفسه ، ويجب من سيده الذى يصلى إلى أعدائه ، على ما كان له من اللزقة التى لم تدفع عنه ذلك ، وأخذ يلوم ابن جهور لو ما لا يظهر إلا من خلال عباراته ، لشدة تمكنه من مصرف الكلام وإخراجه فيما يقول :

« فكيف ولا ذنب إلا نغمة أهداما كاشع . الخ »

ثم ذكره بإخلاسه له ، ومدحه إليه ، وأخذ يرجع إلى استعطافه وعقله ، فقال :

« وقد زانى رسم خضعتك . الخ »

ثم حادته مرة نفسه فأعقل قلة أخرى ، فبين له أن مثله لا يجرى على الموان وأنه يستطيع فرائه ومجر بله إلى مكان آخر ، ويضطر فى هجرته منه بما حصى أن يلاق من الآلام مستأناً بأدبه وضله ، فقال :

« ولسمرك ما لجئت أن صريح الرأى أن أنحول إذا بلستى الشمس الخ . »

وكأله شعر بأن هذا يدعو ابن جهور إلى أن يلى استعطافه لما يظن فى هذا الكلام من يجب ابن زيدون بنفسه ، فأخذ يلطف من حديثه ، ويسكن من مياحه ، ويظهر تمسكه بجوار سيده لأنه أفضل شيء له فى الحياة ، فقال :

« غير أن الوطن محبوب ، وللفنأ مأوف . الخ »

ثم أخذ يهوى ألمه فى إجابة طلبه ، ويضرب الأمثال فى ذلك ، ويمدح البناء فى جوار سيده بقوله :

« أمينك وعسى من أن أشيم غلبا وأستطر جماما . الخ »

هذا أكثر ما فى هذه الرسالة الجديدة ، وأعظم ما فيها تأليها الذى يرى من خالته تلك النفس الحائرة للضطربة التى تبيع سريرة وتعهد أحيانا ثم ترجع وتلين ، وكأما الكاتب فى نزاع مستمر بين نفسه وأمواله ، أو كآته هو نفسه قرنان : يشتد كل منهما عند ما يخاف قوة صاحبه .

هذه صورة نفس ابن زيدون يراها القارئ إذا وقف من كسب ونظر إلى حركاته وهو يكتب أو

ينكر في هذه الرسالة . يرى هذه الآية وهو يغمر بها ويطن أنه من أهل الفضل ، ويرى هذه للتكلم ، وهو يحسب وبسد القنوب الكبيرة التي تشق مثل عقوبته ، لا يريد أن يقول مغاظم ، ولكن يريد أن يقول مغاظم ، ويرى هذه الكتابة التي أخذتها الاكدار فذلت وأخذت تستعطف وتستشف وتشتاق ، يرى الإنسان كل ذلك في هذه الرسالة ، ومن هنا جملها وإيجازها . لا مبالغ فيها من الأسلوب البليغ أو اللبارات المفاخرة لا غير .

أما رسالته الثانية التي كتبها لابن جديس من لسان ولادة ، فقد دلّ فيها على اطلاع واسع بالأمثال والأخبار ، وعلى بليغ أوسع في الهجاء ، لأنه أقنع في ذم ابن جديس إقناعاً ، ونهك به نهكاً لا مثيل له حتى إنه لجئ إلى الإنسان أنه جمع كل ما يمكن أن يقال في القم والنهك وأفرغه على ابن جديس واستعمل أسلوباً جيلاً خلافاً يدل على تمكنه من التصرف في الكلام وسعة استلاكه عقول الثراء ، لأن هذه الرسالة على ضوئها وكثرة الاقتباس فيها التي يستغرق أربعة أحاسيس أو أكثر ، وعلى ما فيها من الأمثال المعروفة والآيات المعهورة ، والاطناب في ذكر الأسماء التي ياتي منها القليل ، ليس فيها ما يدعو إلى اللال ، ولا ما يشرع بالاستهجان والافتعال . دلّ أن بها شيئاً كثيراً من تلك الصيوب ، فقد ذكر أكثر من عشرين اسماً لجمهوري الرجل ، مردها سرداً ، وكان يكنى صغرها ، وأكثر أيضاً من مسلمات القم مما كاد يكون ثثرة ولنوا ، ولكنه ستر كل ذلك براحته في الصنعة ، وليس أدل على جفاء الطبع وعظيمة من هذه الرسالة ، فقد ابتدأها بسفاهة نادرة ، ولكنها سفاهة أدبية فنية فقال :

« أما بعد أيها الصواب بطله . الخ »

وسار على هذا النحو وأكثر من ذكر هذه الأسماء ، ثم أقنع في القم والمخس في صفاته فقال :

« وهما لم تلاحظك بمن كلبه من هويك ملوفاً حينما حسن فيها من تود . الخ »

واستمر على هذا النحو إلى آخر الرسالة يضرب بالأمثال للاستهزاء والنهك ، ولقد كشف ابن زيدون في هذه الرسالة عن انس حقودة بحجة الانتقام وأنه شديد الحفيظة ، ودل على خلقة في طبعه ، وخشونة في أخلاقه مع ذلك فهي رسالة تمتاز بأسلوبها ، وتناسق عباراتها ، ولعل ابن زيدون أخذ هذا الأسلوب من الجاحظ في بعض رسائله ، كما في رسالة الترييع والتدوير .

٢ - دراسة الأستاذ السكندري^(١)

علمه وأدبه وبديته :

نشأ ابن زيدون في عصر اختلف فيه نظام ملك بني أمية فجاء بقوة البربر للشووية ، وقامت هذه الثورة وآثار المفاخرة في كل شيء من علم وأدب وفنون منيرة يجرئها في قرطبة ، فكانت غنية بالعلماء والفقهاء والفنيين والشعراء والمحسنين في كل صناعة ممن نهوا في عصر المنصور الحقي ، لصادف ابن زيدون من قبل من ملهم وكرم من أدبيهم ، وكان أبوه وعشيرته من أهل الفقه والأدب فلم يكن إقباله على ما أخذ به أعلوه أقصاهم بدءاً من نفسه ، وإنما جرى في مضاهيرهم فزهم فلماً وأدباً ، وبهد صيت وطوق حمة .

(١) مقبلة من بحث طويل مع الأستاذ السكندري لشرحه بحجة الجمع العربي .

كتابة ابن زيدون

(أ) طريقته فيها :

كانت طريقة كتابة الأندلسيين منذ عصر الناصر والمستنصر جارية على أسلوب ابن العميد وحيثية من أمثال صاحب بن عباد والديلم والحوارزي والصابي ومن تابعهم من أمثال الحريري والساد والاصفهاني ، وكان للكتاب الأندلسي الذي ينتج على متوالها ، وإن حلّ للأثر من النظم وضمن بعض الفرائد والحديث لا يلبث ذلك على قوله فلفظ فيه صورة منه وخاصة طبعه ، بل كانت تكون له التشبيهات الزائفة والتعليقات المحسنة ثم هو لا يخرج من التزام السجع غالباً . وابن زيدون رعى هذه الطريقة من بعض الوجوه وخالفها من بعض ، فأما ما راعاه في كتابته منها فهو :

- ١ - حل للنظم من مفهوم الأبيات .
 - ٢ - الاحتجاج والاستفهام بكثير من هذه الأبيات مستمداً لها استعمال الأمثال فلا يلبسها إلى قائلها .
 - ٣ - التلبس من الفرائد الكريم أو الحديث بلفظها أو تغيير بعض نظمها .
 - ٤ - تضمين الحكم والأمثال بلفظ أصحابها أو تغيير في نظمها .
- وأما ما خالف فيه فهو :
- ١ - عدم التزام السجع .
 - ٢ - الاستكتار من أمثال العرب القديمة استكتاراً كاد يسد قوله المجلس بجانبه شائماً وبخاصة الغريب من هذه الأمثال .
 - ٣ - الاستكتار جداً من ذكر أسماء رجال التاريخ المشهورين .
 - ٤ - الاستكتار جداً من أسماء الوقائع العجيبة في التاريخ .
 - ٥ - الاستكتار من الجمل للترادف على مثال واحد في للمق الواحد حتى يتكون منها فصل طويل يشغل فراغاً كثيراً من الرسالة أو اقتصر على فقرة واحدة من الفقر المتكررة في المقام نزلت الرسالة إلى خبها أو سمسها . وهذه الطريقة غلبت على كتابته رعى على رساليه الجديدة والمزلية أغلب ولاسيما المحولية .

(ب) منزله فيها :

اشتهر ابن زيدون عند الغاربة والشرقية بأنه من بناة الكتاب والشعراء ، فأما الشعر فلا مجال في استمالة ، فلاستحقاق ذلك الصمت القانع فيها تأويل وتعليل يخرج عن حد بلاغة الكتابة في ذاتها إلى أمور خلوجة عن جوهر الابداء ، وذلك أن كتابته اشتهرت بين الناس لأسرته :

أولاً : أنها ليست على متوال كتابة الأندلسيين في عصره بل هي إضافة لها في بعض الصور ، وصدر العمل المخالف لسبل الناس من رجل متوسط في الحال لاقت بذاته للأناظر ، بأمر للفنوس ، فكيف به لو صدر عن ذي شأن يهيم بجمع ونسب عربي ، وصيت ذائع في السياسة والأدب والشعر وحسن الخطبة والتأدية .

وثانياً : أنها بأمره لأجانبها وروعة أساليبها وشدة حوكها في نفس قارئها بل بما اشتهرت عليه من وفرة التضمين والاستفهام والوقائع وأسماء الرجال ، مما يكبر من شأن كاتبها في الصدور ، ويهده

بطول الباع ، وسعة الاطلاع ، ويكثر من شأنها ، إذ تكون بمثابة مجموعة أدبية حافلة بماور
الأقوال ، مرفقة بكثير من حوادث التاريخ وأسماه الأبطال ، بحيث إذا حفظناها متادب الرسالة
أودعت صدره زينة اطلاع كثير وبحت طويل ، فكانت هجرته آتية من طريق انتيظ والتعليم ،
تتكون في الأدب أحبه عنه من متون العلم كثير المسائل والاحكام وجزيل المبادئ ، وهذا السبب بينه هو
سبب هجرة مقلات الحريري ، وبعض القصاص المختارة على كثير من أسماه الرجال وحوادث التاريخ والحكم
والأمثال ، كقصيدة ابن دريد ورواية ابن عسود في رثاء دولة بني الألفس ، ونونية الرندي ، ولاية
ابن الوردي ، ونونية الباق ونحوها ، وكلها عظيمة الأثر في التعليم والتأديب وسرعة التوفيق على
أكثر ما لا يحس الأدب جهه في لفظ يسير وزمن قصير ، لاني بلافتها ذاتها وحسن تأميرها في النفس حتى
تشتيب النفس لاسمها ، وتقبل على فاكلها ، وذلك تجد رسالة ابن زيدون الجديدة التي استعطف بها جهورا
لم تؤد ما ومنت له . ولا ننسى بسلامنا هذا أن الرجل كان قليل الخاطر ، أو ضعيف الارتجال ، فكل
من تعرض لذكر أخباره يسهل بقوة المعارضة ، وسرعة البشعة والارتجال ، وأنه كان في مجلس ولادة
يرحم للقطعات الشعرية البليغة ، ويحاضر بالنكت النادرة والأجوبة المكنة ، ودون بعض حرمة فوقت
فناس يروونه على اختلاف طبقاتهم لما أجاب أحدا بما أجاب به غيره ، وذلك غاية لا تدرك .

وإنما خلق الرجل شاعرا مطبوعا ، واضطرته الوزارة إلى الترسل والكتابة فكانت كتابته بالشعر
أحبه منها بالنثر ، وأكثر للعارفة لا يمتدحون إلا في شره على عكس للشارقة .

رسائله الجديدة

هذه الرسالة أشهر رسائله وأجملها ، وأكثرها حائدة على القارئ يحفظونها لتتوزع فصولها وتعدد
الأغراض التي رمت إليها ، وللماني التي نوح بها على ما أباسته من أمل كائنها ، وما حوته من روعة
التأثير في النفس . وهذه الرسالة بثت بها من السجين إلى جهور يستعطف بها ولكنه نتج الاستعطف
بكثير من الزهو والامتنان ، واستغفاح المقلب على ذنب متوهم على طريقته الكتابية التي وصفناها آنفا .
وإذا قلنا هذه الرسالة إلى عناصر الأغراض التي تألفت منها وجدنا أنها لا تعدو عشرة أغراض تؤدي في
عمدة أسطر إلا إلى أكثر الجمل الترادفة الأسلوب والصورة زادت في ذرعها طولا .

وفك أنه ناداه باللفظ السيادة أولا ، ثم احتضر له من نكته إياه بعد ما أحس الجلد به الإنسان بصدق
خدمته له وثباته عليه ، بأن عمل الخير قد يهود على صاحب الشر ، وأول هذه اللقطة بأنها صادرة من
حسن نية وقصد تأديب ، ثم أخذ يفسر الطور ، ويستعطف هذا الطرب الذي كان يهذه كائنا روع الأبالسة
وكبار الفناك والخارجين على الأنبياء والأئمة والدين ، مع أن السألة لا تخرج من وشاية حسد سجع جهور
لم شك وليه التي نوه بذكره ، ثم أخذ الزهو فذكر أنه كان في مكانه أن يستبدل بخدمته خدمة من
يرحب بمن الملوك ، غير أنه من عليه مفارقة وطنه ومولاه القديم ، ثم عودته من أن يكون مع كالستين
من الرضا بالنار ، وتأسسه التي حتى توقع الفناك ، ثم استعطف نثر هذه الرسالة ورأى أن يستعطف
بخصيته ، فكانت هذه في رأينا آتية لفظا ، وأعذب موردا ، وأطبع اساقا .

« ثم أورد القصيدة وقال : »

محاسن هذه الرسالة ومعاييرها

لا ريب أن مكان هذه الرسالة من الأدب العربي مكان للجمهور للأثور المفوظ في الصدور المحل في السطور وذلك لأمرين :

الأول : أنها جراب أدب حلو بلغة نماذج مختلفة من حيون مواد الأدب بما صنعت من اقتباس التراكب والحديث ، والأمثال ، والحكم ، والآيات للمعمورة ، وحل نظم الكثير منها والإشارة إلى ما فيها من وقائع التاريخ المعيرة التي يحدد بالأدب معرفتها والاستمساك بها .

الثاني : حسن ملائمتها بين هذه الصنوف وجودة وصلها وجمع شتاتها في موضوع واحد مما يسر على غير خلق التوفيق بين متباينة ، ويصل نطمها غريباً ولسجها رحيماً .

الثالث : حسانة عبارتها وجزالة لغتها في كثير من مواضعها وخاصة ما استعمل به كاتبها معنى وإلفاء . ولكتنا إذا نظرنا إليها بين القائل وأصناف البحث في بلاغتها أي مطابقتها في معانيها ومبانيها لخصي الغرض الذي وضعت له ، وهو الاستطاف ، وجدنا أنها تهمز دون بوقع بلغة أمور :

الأول : كثرة ما رددته كاتبها فيها من عبارات الاختنا على مولاه بطول ثنائ عليه وحسن ساقفه عنده وعظيم بلاه في إقامة دولته مما يمدد الرئيس عادة تمييزاً وتحميماً .

الثاني : تهديد مولاه بأنه لولا حب الوطن لكان له أرفع مقام في خسة غيره من الملوك الذين يتسارعون إلى الترحيب به ، ويتنافسون في استخدام أملاكه .

الثالث : أن وضعها بهذه الصورة يجعلها غير كافية بأنجاح الغرض الذي وضعت له (وهو تحريك عاطفة للرجة والموافق) بما يعرف نفس قارئها من أن يتأثر بيلافتها ويتسلطها بذكر الحوادث والقصص التي أتت عليها ، وأسباب الناس ، ومضرب الأمثال ، فلا يفرغ القارئ من تعرف اسم رجل حق يقع في مضرب مثل ، ولا يخلص من فهم شاعده حتى يتغم في أومر منه ، فيقسم لهفه ، ويشتت تأثره ، وإنما يأتي التأثير من انصباغ حمرة من الانخداعات المتكررة ، بتركز العبارات البليغة المؤثرة ، فصحت بمجوعها أثراً كذا في النفس ، فتجيش بالشغلة ، وتبش السمو ، ويقتل ذلك كل الإلفاء للبرتنس بكثير من أنواع البديع غير مؤثر بيلافتها ، لشغل القمن عن التأثير ، وصره إلى فهم البديعية .

ومن هذه الوجهة ترى أن رسالة ابن زيدون ليست مثالا يحذى للإلقاء البليغ للوثر في النفس .
الرابع : وقوع بعض هفوات له ذكرها الصفي كاجتياح غلارها إلى ذكر هار بعد تتم مناعها وتلفم بها مع ما يندما (وهذه ضرب منضاً عن ذكرها) وكبش أخطاء في اللفظ والوقائع (وهذه نعيم إلى بعضها) ومن أراد مراجعة المجمع فليبه بمرح الصفي) .

لكن منه قوله (وتأتوت في يمة العفة) وسياق كلامه في هذا الفصل يقتضي ذكر أسماء أناس متكررات يرا هو أن يكون منهم ، ولم يقل أحد من أهل الأثر أن أحداً من تابع فيها تأولها أو نكتها .
ومنها قوله « ونحفت من الصلاة في يي قريظة » ولم يلم أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنكر كل من تحلف من صلاة الصبر في يي قريظة وصلافا في الأثر بل أقر الجميع على عملها وحد ذلك من اجتهاد الصحابة .

ومنها قوله « وزعت أن يمة أبي بكر كانت قنفة » مع أن قائل هذه الكلمة عمر بن الخطاب ، ولم يقلها من إرادة سوء فلا ينبغي أن يحتمل به في أعمال الجناة .

ومنها قوله « وكنت لى عمرو بن سعد أن جسيح بالمسجن » مع أن المكتوب إليه المرحوم بن يزيد التميمي لا عمر بن سعد .

وقد أتى المفسر على عيوب آية من نصيف أو سوء تأويل منه هو ، أمرضا منها خوف التناول .

رسائله الهزلية

كان الوزير أبو طاهر بن جندوس ينافس ابن زيدون في حب ولادة ، فاتفق أن حدثت نبوة بينهما ، فأرسل ابن جندوس إليها امرأة من صواحبها كسديها إليه ، وتذكرها بفنائه وأدبه ، فحدثت ولادة للمرأة بالحيلة ، وكتب ابن زيدون إلى ابن جندوس عقب رجوع المرأة هذه الرسالة على لسان ولادة ، يرد عليه وتهكم ويهجو ويخوعده . وفي ظننا أن ابن زيدون كتبها من نفسه تنقياً من ابن جندوس لا عن رأي ولادة ورواها عما الخش فيها وأنفع .

والرسالة كاسجتها لثقة أمرضاها وتكرار أساليب فضولها ، وذلك أنه بدأها بوصف ابن جندوس بأوصاف الخلق والمجلاء منكراً منه إرسال خليله إلى ولادة ، متلية عليه وصرخة فيه ، واصفة له بأوصاف أعيان الزمان من العلماء ، والأدباء ، والأطباء ، والفلاسفة ، والشجعان من فلان وفلان ، وإن ولادة طردتها أشنع طردة ، ثم أخذ يهجو بأوصاف في الخلق والخلق ، وإن ولادة لو أرادت الرجل لكان لها من الاكفاء من قومها وأعيان زمانها من يفعله سناً وشرافاً وجمالاً الخ .

٣ - دراسة الأستاذ علام سلامة^(١)

هو أبو الوليد أحمد بن عبد الله بن أحمد بن غالب بن زيدون الخزرجي القرطبي كان من أبناء وجوه القضاء قرطبة وبرز في الأدب والفنون ، ثم عليه فضل ، وقام صيته ، وارتفعت مكانته ، واختص به أبو الوليد ابن جهمر أحد ملوك الطوائف وأخوته وزيراً وامتد عليه في السفارات بينه وبين ملوك الأندلس ، فأجيب اليوم به ، وتناولوا إليه إليهم لبراعته ، وحسن سيرته ، واتفق أن هم عليه ابن جهمر وجهه ، فاستظله برسائله السابعة وبأثلاثها ظم بين ذلك عنه شيئاً فتعيل لنفسه حتى تسلك من حبه والعمل بالمقصد بن عباد صاحب إشبيلية سنة ٤٤١ هـ ظل من عمل السوياء من المؤاد ، واستظله استخلاص للمصم لابن أبي دؤاد يجماله في خلواته ، ويركن إلى إمارته ، ولم يزل عنده وعند ابنه للبعد قائم الجلاء والحرمة حتى توفي سنة ٤٦٣ هـ وكان له ابن يقال له أبو بكر تولى وزارة للبعد ، وقتل يوم أخذ يوسف بن تاشفين قرطبة سنة ٤٨٤ هـ وقد أتى عليه ابن هشام في الفسخة بقوله : كان أبو الوليد غاية متشور ومنظوم ، وخاتمة شعراء بني غزروم ، فاق الأتام طراً ، ووسع البيان قلماً وغراً ، إلى أدب ليس البحر تنقله ، ولا قدر تأمله ، وشعر ليس البحر يباه ، ولا تنجم الزهر اقتارته ، وحظ من انتثر غريب اللباني ، شعرى الألفاظ واللماني .

ومما يحكى عنه في سيرة البيان والقدرة على التفتق في أساليب الكلام أن ابنته توفيت فوفد فئاس مند منصرفهم من الجيزة لينشكر لهم ، فما أعاد عبارة قلها لأحد ، وهذا عجيب فداية ، ولا سيما من عروون لقد قاعة من كيدته :

« ولكنك صوب الطول إذا أثيرت سحائب منه أعطيت إسحاب . »

كتابه

كان ابن زيدون مع صفاء قريحته ، وقوة سليقته في البيان يؤثر الرواية والثاني لتسج القول ، وكان مع سمة روايته لفنون الأدب عليها بأخبار النجم والعرب ، متمسكا من كل ما يهوز الأديب بسبب ، وليس بدعا أن يكون لكل أولئك آثار في كتابه ، وليس بدعا أن لم تكن كتابه عنو الخاطر السامع ، ولا وحى البديهة البادحة ، ولا حصارة صر المجين ووليدة التكلف ، فقد جاءت خلاصة الرواية المحببة تؤيدها قوة الطبع ومصانة التصحيح السديده ، يؤازره لطف التدقيق ، كما جلت سيبكة رائعة صاغها مصنع من مبتكر اللامع السحرة ، ومستطب الأمثال السائرة ، ومقتبس الأبيات النادرة ، ورسما بفرأيد من أخبار الناس ونوادير الحوادث . ولئن كان البديع قد فاته في استرسال الطبع ، ولطف الخيال ، ورهانة اللامع ، فقد فاق هو البديع في متانة اللباني ، والتأمل في نواحي اللامع ، والصر بمواضع الانقباس ، وتوشية الرسائل بأخبار الناس . أما أومض حيزاته فظفظة الألفاظ في غير كرازة ، وعلو الأسلوب في غير اعتساف ، ورسامة اللامع في غير جفاف ، والتأليف بين جمال الخيال وجلال الحقيقة .

ومن عاين رسائله رسالته الجدية والمروية وكنتها غيرة في جبين الآداب العربية ، وقد عني بفرحها كثير من الأدباء . أما شعره فله ديباجة رائعة ، وصيغة باردة كاللحم هو سبائك النضار ، أو حقائق الأزهار ، إننا نسب أناسك صاحب بيئة ، وإن مدح خلقه شاعر مزيته ، بمن مقطعاته التي تصمد له بجمود الطبع ، وإتقان الصنعة قوله :

« بين وبينك ماوشئت لم ينع سر إفا ذاعت الأسرار لم ينع . »

ومن شعره الذي يخطط بالروح رنة ، وبلفواء لطافة تصيده التي كتبها إلى ولادة التي كان شديد الكلف بها وإغياح مجها يستدبر عدما ، وفؤكده ودما ، وفيها يقول :

« انضى التناي بدلا من تمانينا وناب عن طيب لبياننا نجافينا . » الخ

وقد سلفنا أكثر هذه القصيدة لبراعتها ، وقد ضن بشئ شطورها ابن التوكيل في موشحة ، وسدسها بعض أدباء المغرب .

٤ - دراسة الأستاذ أحمد زكي باشا

أولية ابن زيدون

كان في جرة الباق التي ذهبت إلى الأندلس وعط من بين عزم توطنوا في جهات قرطبة وما إليها ، وتاميك بهذه القليلة ذات الشرف الصميم ، واللسان النورم .

فكان بنو زيدون من رجالهم للعدودين ، خصوصا في اللغة والأدب ، واشتهر منهم ثلاثة حفظ لنا التاريخ أسماءهم ، وهم :

(١) أبو بكر غالب بن زيدون .

(٢) أبو الوليد أحمد بن زيدون .

(٣) أبو بكر بن زيدون .

كان مولد الأول في سنة ٣٠٤ ومات سنة ٤٠٥ بعد أن بلغ من العمر مائة سنة . تولى في منية له .
ثم نقلوا تابوته إلى قرطبة ، فدفن بالربض (أي الضاحية) .

وهناك وثاء أبو بكر عبادة الشاعر الأندلسي بما عرفنا بظلمه في قوله :

«أي ركن من الرئاسة حيشا وجوم من الكلام عيشا

حلوه من بلدة نحو أخرى كي يوافوا به ثراء الأريضا

مثل حل السحاب ماء طيبا لتداوى به مكانا مريضا .»

وأما ثانيهم فهو واسطة السعد ، وألقى يدور عليه كلامنا . والثالث هو الذي تلهى بعد أبيه (أبي الوليد)
وزارة للحد بن عباد ، واتعم لأبيه من ذي الوزاريين ابن عمار ، وكان أبو بكر حشفا هو الذي تولى
السفارة عن ابن عباد إلى يوسف بن تاشفين صاحب المغرب الأقصى حينما تشر الاسبانويون مع ملكهم
الإذفوش (الفونس السادس) لملوك الطوائف ، وخصوصاً لبني عباد في غلب يطول شرحه ،
ولا يصح القام تلخيصه .

من هو ابن زيدون ؟

هو ذو الوزاريين أبو الوليد أحمد بن عبد الله بن أحمد بن غالب بن زيدون الخزومي الأندلسي . كان مولده
بقرطبة في سنة ٣٩٤ هـ في الوقت الذي سرى فيه الأغالخ في جسم الخلافة المروانية بالأندلس بعد أن
بليت من المجد نهاية النهاية ، وأدركت من الضعفة ما لا تصدق منه الروايات . في ذلك الوقت تحلت حري
الفولة ، فاهم للسلبون على أنفسهم ، وتحاذقوا ، واستقصروا أعضاءهم على بعضهم بعضاً ، وسلبوا البلاد
والقلاع والمقصون واحداً تلو الآخر إلى أمصاتهم وأمدتهم بالموتة على إخوانهم ، وهكذا حتى أدوت تلك
الفواج بذلك لكك الكبير ، ثم أتت على القوم بأكفهم فأصبحوا خيراً بعد حين . فسادل منهم بقولنا
كيف وأين ؟ في تلك الأيام استظهروا على قديرتهم بجر ذبولها ، وامتروا بطالاتها من أخلاف أباطيلها .
حتى انشقت مصاهم ، ودارت بدائرة السو . على الجبهة رحاهم .

كان ابتداء الاضمحلال والاعلال من أول يوم جلس فيه للسجين على عرش الخلافة في منتصف
ربيع الأول سنة ٤٠٠ هـ .

فقد كانت أيامها كلها كما وصفها ابن حبان الأندلسي « شغاداً تكرات ، صاعاً مشقومات ، كرهيات للبدأ
والقائمة ، قبيحات للتسعى والمخافة ، ما قد فيها حيف ، ولا ورق خوف ، ولا تم سرور ، ولا قد غفور
مع تير السيرة ، وخرق المية ، واشغال الفتنة ، واحتلاء الصبية ، وظن الأمن وطول المخافة ، دولة
كلها فذا أنها تمضت عن الفاترة الكبرى ، وآلت من التي بسفها إلى ما كان أعضل وأدنى . مما
طوى بساط الدنيا ، وطاف رسمها وأهلك أهلها ، وإذا أراد الله شيئاً أمضاه .»

وكذلك لم يكن في للستكي أدنى كفاية للخلافة . وإنما أرسله الله على الأمة عنة وبليدة . إذ كان منذ
عرف متعلماً إلى البطالة ، مجبولا على الجبهة ، حاطلا من كل حلية تدل على فضله ، ضنة الفتنة فأملق ،
وهنا حتى أماته أمه ، ولقد رآه أبو حيان مؤرخ الأندلس للجمهور أيام الحنف بأهل بيته في الدولة الموحدية
ولم يكن ممن لحقه الاحتفال منهم لركا كته . كان بمقد أهل للخلافة يومئذ بقرطبة أوائل ضمهم فلناتهم
بأسلم من زكاتها . قال « وقد أجمع أهل التصيل أنه لم يجلس في الامارة منذ تلك الفتنة أسقط منه ،

ولا أعس . إذ لم يزل معروفًا بالثقل والركاكة ، مشتهراً بالعرب والبغالة ، سقيم السر والعلانية ، أسع
الصبوة ، حامل الخلوة . »

فك ذلك الوقت هو الذي أشار إليه ابن حزم بقوله :

« قضية لم يقع في النحر مثلها ، أربعة وجل في صافة ثلاثة أيام في مثلها ، يسمى كل واحد منهم
بأمر للؤمنين ، ويطلب له في زمن واحد : أحدهم خلف المصري بأشيلية إلى أنه حتمًا بن الحكم للؤيد .
والثاني محمد بن القاسم بن حود بالجزيرة الخضراء ، والثالث محمد بن علي بن حود بمدينة معلقة ، والرابع
إدريس بن يحيى بن علي بسنة ، تلك هي الأيام التي بنى العرب والبربر فيها في خصام مستديم ، وكان كل من
الفرقيتين متمسكاً على نفسه ، وكان الجميع في خلاف مع أهل المغرب الأقصى من الجنوب ، وفي حروب
وخطوب مع بقايا الأمم الإسبانية من الشمال والمغرب . في ذلك الوقت الصيب تحرق أهل الأندلس فرحاً ،
وتقلب في كل جبة منها متقلب . وهم الذين عرفهم التاريخ باسم — ملوك الغنائم — وقد أرادوا أن يعضوا
أشهم وممالكهم فتصنوا ألقاب الخلافة ، كما تصنعوا أهلها . فكان منهم للعنيد ، والمأمون ، والمؤمن
والمستين ، والمعتد ، واللتهم ، والعنيد ، واللوق ، والتوكل . إلى غير ذلك من الألقاب الخلافة . حتى
قال في ذلك أبو علي الحسن بن رشيق بين سارا سم الشمس ، وبقا بجاء النصر ، وما :

« ما يزهدني في أرض أندلس سماع معتد فيها ومعتد

ألقاب مملكة في غير موضعها كلهم يحكي افتخاراً سولة الأسد . »

فكانت طرطوش ، وسرقسطة ، وإغرافه ، ولاردة ، وقلمة أيوب في يد بني حود . وكانت بلنسية في يد
عبد الملك بن عبد العزيز ، وكان الثغر أي مانوق طليطلة في يد بني ذي النون وكانت قرطبة في يد أبناء
جور ، وكانت أشيلية في يد بني حباد ، وكانت معلقة والجزيرة الخضراء ، وغرناطة في يد بني برزال من
البربر ، وأما لليرة فكانت في يد زهير الماسري الخادم ، ثم خيران الماسري الخادم ، ثم ابن صهاوح وكانت
دانية وأهمالها والجزائر المغربية (الباليار) في يد مجاهد الماسري ، وكانت بلبوس وإبرة وشنقرين
في يد بني الأظن ، فلا يجب إذا كثرت الوزراء في تلك الأيام ، ولا يجب إذا كثرت أيضاً ذوات الوزاريين ،
فالناس على دين ملوكهم ، فكان كل من انتك مائة كيلو مترات بها في مثلها بعد نفسه سلطاناً كبيراً . ويحذر
من المحاسبة بما يضر به أبهة الخلافة وقد كان ههناهم بها قريباً . فكثرت عندهم الوزراء ، وكثرت بينهم الذين
يأبون أشهم بنى الوزاريين .

ومن الطبيعي أن الرئاسة إذا انحطت عن جلالها تبعاً للرؤوس في السقوط ، فلما تحلت الخلافة في الاغتيال
سارت الوزارة أيضاً في دوجلت الهوان . فإن للمستين الذي ذكرناه قال بعد أن جلس على مرش الخلافة
لناس أجمعين . ارفعوا أكف شتم ، واركنسوا بما أحبت من الخطط ، لتقضى بلوزارة مفردة ومقتاة
أراذل الدائرة ، وأغابك للفتار ، فضلاً عن زحافت الكتاب والحكمة (من ابن بام)
وصارت هذه الرتبة تمتد مع انحطاط القول ، حتى نزلت في أواسط القرن الثامن هجرة إلى البرجة التي
وصلها لنا ابن فضل الله المري حيث قال :

« سألت الشيخ العلامة وكان الدين أبا عبد الله بن القوي رتبة الوزير بالمغرب ، قال : ليست بطائل ،
ولا لصاحبها شيء من الأسر . بل هو كالجلاوي يخرج من قدام السلطان يوم الجمعة : حقيقة دون السمة »
وقد أسبغت هؤلاء الرؤساء بغير ما تغلبوا عليه من الجهات ، وانحطت الدعوة للخلافة ، فلم يبق لخليفة

عاشى أو أموى ذكر على منابر الأندلس خلا أيام بيرة دمي فيها بأشيلة هفام للؤيد بن الحكم (أو لشمن شبه له) حسباً اقتضته الحيلة ، وانظر إلى التندير . ثم اعطى ذلك ، فأشبهت حال ملوك الأندلس بعد الفتنه حال ملوك الطوائف من الفرس بعد قتل دارا . وحل قواد الاسكندر بعد وفاته . ولم يزل هؤلاء الرؤساء فى احتلال وتحفظ ، يستعينون بدموم جيئاً فيبيل تارة إلى هذا وطورا إلى ذلك حتى اختلت الأحوال إلى أن تولاها الضعف فاستصروا المرابطين فانتظم الشمل ، وعادت المياه لأبوابها . ولكن إلى أجل ميع . ثم عاد الانشقاق والاهتسام ، فاعتك كلة الاسلام ، وانطأ ذلك النور ، وبد القوم من أحرم فى سنة ٨٩٧ هجرية . بعد أن أظلموا فيها ثمانية قرون . لأن دخولهم كان فى سنة ٩٢ هجرية على يد طارق بن زياد .



رفضت السطار من هذا للتظن الخزون ليكون لكم ولألم للدرق تذكرة وعبرة . خصوصاً فى الأوقات الحاضرة ، والآل أقول لكم إنه على الرغم من توالى الفتن . واضطراب الأحوال كانت سوق الأدب رائحة وبضاعة نافعة . فكل أمير ، وكل وزير ، وكل كاتب ، وكل وجه كان له من الأدب نصيب وافر . عرفنا من تميم الأندلس بين ملوك الطوائف أن بن جهور استبدوا بقرطبة وأن بن حباد استأثروا بأشيلية ، فى المملكة الأولى دوح ذو الوزراء بن زيدون وثرى وظهر فضله . وفى الثانية قضى بية أئمه فى البر والكرامة . وكانت بها وفاته فى عرم سنة ٤٦٣ على التحقيق الفيقى كانس عليه ماسره ابن بسم ولاهجرة بالأقوال الأخرى من وفاته . لأن القرن قالوا بوفاته فى سنة ٤٠٥ خلطوا بينه وبين أبيه طالب بن زيدون .

استحل ابن زيدون بالأب ، ونفس من نكته ، وهب من دقاته . إلى أن برع وبلغ من صناعات النثر والتظم المبلغ الطال . حتى قال فيه ابن بسم :

« كان أبو الوليد غاية متور ومنظوم وخاتمة شعراء بن خروم . . . الخ . »

ومعهم أن أصبح فى الأندلس « ميم ذلك المي » عاشق ولادة لامي ، زاد على مجنون ليلي ، وقيس ليلي ، وابن أبي ربيعة صاحب القترا ، تركه هواه أنحف من قلم ، وأشهر من نار على علم . وله مع ولاده أخيار ما حكى منها ابن أبي حنق ، ولا الاستعجال من سكان وادى الفيقى ، ولا الأسى من أهل ذلك للفرق ، أندى من لسم الصباح ، وأرق من دوى النوادى فى نفور الأفاح .

ولذا فلفصنا دواوين الأدب عند الأمم الأخرى لا نجد له شيئاً سوى عيول شاعر الرومان . وتقدم حياة ابن زيدون إلى قسرين ميهن (١) فى قرطبة ، (٢) فى إشبيلية .



أولاً - فى قرطبة : برع ابن زيدون فى الأدب ، حتى كان أبو الوليد فى الأندلس شيئاً ومثيلاً لأبي الوليد فى دولة التوكل الباسى ، وقد سباه الناس بعتى الأندلس ، ولقد صدقوا .

فن جهة المحفوظ عنه فى سباه قوله :

أخلفت لك الهوى نصيباً ولى ثلث . . الخ

ثم حلم بعد ذلك بحب ولاده بنت للملكى الخليفة الأموى بالأندلس ، وكانت أدبية ، شاعرة ، جرة القول حسنة الشعر ، تاضل الشعراء ، وساجل الأدباء . ومرت عمراً طويلاً ولم تزوج قط . جاءت على خلاف

أيها في كل أوصافها . فكانت مبدئاً لقوله قال « يخرج الحى من الميت » وقد اجذل حجابها بعد تكة أيها وقد ، ضارت تجلس للشراء والكتاب وتمازجهم ، ويصنعها الكبراء منهم . وكانت على خلق جبل ، وأدب حسن .

وكان لابن زيدون معها أخبار تطرف القلوب ، وشفق السامع ، لأنه خلق في هواها القندري عذاره ، وقد شهد للأرغون كلهم لها بالغة والحيانة . ولكن الشراء في كل واد يبيسون ، فكيف لا يسم بولاده أبو الوليد بن زيدون .

وللغام لا يتسع لاشماره فيها وإشمارها إليه . ولكن آتيكم براموز ومثال ، وارك البابل لنير هذا المجال . ودعا ذات يوم فأنشدنا مرتجلاً :

« ودع الصبر حب ودعك . . . الخ »

ثم قال :

« يا نازما وضير القلب القلب مشواه . . . الخ »

ولما كان مجلس ولادة برمطة منتدئ لا حرا للصر . وفناؤها ملعباً لجياد النظم والثر . يمشو أهل الأدب إلى ضوء غربتها ، ويتأفات أفراد الشعراء والكتاب على حلاوة سلسلتها ، وهي مع ذلك عافطة على حلو التصاب ، وكرم بالأنساب ، ومطهرة الأساليب ، ولقد طبع بعضهم في الاستتار بها دون ابن زيدون فتأزحه على حبها وزاجه في ودعا رجل من رجالات عصره ، وهو أبو جسد الله البطليوسي ، فكتب إليه ابن زيدون يزجره بهذا الوزير :

« أيا عبد الإله اسح . . . الخ »

ومنهم الوزير أبو طاهر ابن جسدوس اللقب بالفار . وكان من أكابر رجالات برمطة ، فاحتاط ابن زيدون وبث إليه بهذه الأبيات :

« أثرت هزير العرى إذ دهن . . . الخ »

ثم كتب له رسالته للشهيرة على لسان ولادة ، وقد بحث فيها بكما بحث الجاحظ في رسالته « التريع والتدوير » بأحمد بن عبد الوهاب الكاتب في بغداد ، فاشتهرت رسالة ابن زيدون في الشاروق والفتاوب وهي التي فرحها كثير من أدهاء للشارقة ، كإبن نباتة والسفدى .

وفرح ابن نباتة قد طبع في مصر مراراً . وهو في غاية الحسن ونهاية الفائدة . وأما شرح الصفدى لهذه الرسالة فلم يمتنا . على أن ابن جسدوس لم يكن من عاقلته . حتى تمكن من إقناع الجفوة بين ابن زيدون ولولادة ، واستأثر بها دونه ، فاحتاط ابن زيدون ولقباً إلى غرضه الفارس ، فلعج الرجل بقوله :

« أكرم بولادة ذخرا لمصر لو فرقت بين يطار وعطار

فلما أبو طاهر أغشى ظم بها تلك القراشة قد تدنو من النور

صيرتونا بأن قد صار يخلتنا حين نحب وما في ذاك من طو

أكل شعى أسهنا من أطايريه بضاً وبضاً صفحتنا عنه قنار .»

ولقد فاز ابن زيدون بمناه من إهداء الفار من حاه . بل أن ولادة أخضت بحب بذلك الوزير . حتى إنها ميث به ذات يوم في ترها وسريها ، وكان الوزير ابن جسدوس جالساً على داره يستنشق الهواء العليل ، وكانت أمم داره بركة تمجبت فيها مياه للطر ، وانساق إليها هي من أنفاس الفار . وكان الوزير

جالسا في أبيته وعظمته وقد لعركية ، ونظر في عطفيه ، وحضر أحواله إليه . فلما قربت منه ولادة ثلثه باسمه ، نهش إليها وبش ، واقتراب من البدر هالت له وهي تنهد إلى البركة : يا ابن جدوس :

« أنت الحبيب وهذه مصر تشهدنا فكلا كما بحر . »

ثم نزلت كالظي الشارد وتركته حرأ برأ . باعثاً صلتاً ، لا يجير جواباً ، ولا يبي خطأ ولا صواباً ، وهذا البيت لأبي تواس تخطت به ولادة وقتله هذا القتل الحسن من اللع إلى العجا .

غير أن هذا الوزير صبر حتى خلا جو قرطبة من ابن زيدون فاستأثر بولاده وطش وعاثت حتى بلغا الثمانين وهما يراسلان ويرتقان في يسامين الأدب ودهان الطائف .



لم يبلغ ابن زيدون الخمسة والعشرين من عمره حتى نبه ذكره ، وهم صيته . اسلمته أبو الحزم بن جهور المتظلم على قرطبة ونواحيها وضواحيها ونوه به لانه رأى في الآداب ، وعمدة الطرف . والشاعر البديع الوصف . ولما له قرطبة من الآبوة السلية ، والوسامة والقدراية ، وحلاوة النظم ، وقوة العارضة ، والافتنان في المعرفة ، فكانت الكتب تنفذ من إلفائه إلى مرق الأندلس فيدل : تأتي اشيلية كتبها بالنظم الخطيرة أشبه منها بالمتور . ثم ترق في وظائف الدولة القرطبية حتى صار إليه النظر على أهل القنة . ثم رآه ابن جهور أهلاً للوزارة فراه إليها . بل جله ذا الوزراء ، فكان منه بمنزلة السيد والوزير والمشير والسفير . فحكم أغنمه إلى ملوك الطوائف لأمور سياسية . ولخاريات تنصيفها للمعاملات والمجالات التي أتى يوجبها ، أو تدعو إليها علاقاتهم أو مع ملوك الأسبانيين الذين كانوا يقرعون به بهم دوائر السوء . فأحسن ابن زيدون التصرف في ذلك . وغلب على قلوب الملوك . حتى كان كل ملك يطلب وده . وحين أن يتم منه . ولكنه بعد اذضاء مهنته يرجع إلى صاحبه بقرطبة وإلى مجالس أسسه بها . وهو بأهلها في ذلك الوقت المضطرب بالته الماخيلية والمحطوب الخارجية . كانت الجاسوس لها أثر في مصالح الدولة ، ولأحوال الأفراد .

ترك أمور الدولة وسياساتها جانباً . وتصور على الفائدة التي أوقفتها لانفتاح الجولان فيها وهي ميدان الأدب .

ونذكر حكاية تدل على الجلسوسية الفردية في تلك الأيام .

كانت بقرطبة جارية تنسحق في من الفرشيين . وكانت لوجدها كاتمة . ولكن الظير وصل إلى الوزير ابن زيدون ، فلم يبقأ به لآن القوم كظم كانوا مختلفين في هذه السبيل .

وكانت الجارية تقول الشعر لجاشت عنهما بيت فذ وامتنع عليها ما تريد . وهذا البيت هو :

« يا سطفي عن وصال كنت واردة . هل منك لي علة إن صحت : واعطى . »

لجاءت إلى كبير الوزراء . وأمر الشراء . وسأله أن يزيد عليه شيئاً وهي تقطن أنه لا يملك بها هي فيه من الثرام . فأسله الثرام وأغتم فرصة الروى ، وما يمله من السر للطوى ، فكتب :

« كسوتني من ثياب السم أسبها فلما أصبحت من خلف الغنى فرعى . »

.....

« جلي إذا انتدأت الاجفان طيب كرى . جفا للثام وصاح القيل يا فرعى . »

ومن تأمل أحوال الأندلسيين رأى أنهم كانوا ياتلون في القع به القعيرين في كل ما اشتهروا به أو اشتهر

من أحوالهم ، فداتهم ومحارهم وقصورهم ومنازلهم سسوها بما اختاره العريقون في بلادهم ككثف حاكمهم في مجالس أنعم . وأما أنصهر على ما يخلق بين زيدون وصبيه ، وأمه ذلك بما كان في بغداد . كان في دار السلام الوزير البجلي المصور ، والناضى التنوخي ، وقد بلغنا من الكبر سناً طائياً . ولها ذوق مضاء تنهل على مصورها ، وكأنا يصاطيل في التهار أمور الدولة بناية المشقة والوقار . حتى إذا جن الليل اجلسنا في مجلس العطار ، فكانا يعربلان في أواني من البلور والفضة ، ولا يكتفيان بقلعة العرب ، بل يفسدان أنفاسهما في الأواني ، ثم يرش كل منهما الشراب بذك الرشاشات الفريسة على صاحبه لثم لها قلة السكر حسا ومنق . فأطفا وظاهراً ، ويستتران على فكه طرفا من الليل . حتى إذا جاء الصباح نادا إلى أشغالهما ، الوزير في تدبير الدولة ، وناضى الفضة في النظر في الحصومات ، والمحكم على مناصب القصر ، واستترا على هذه الحال في مسطرة للدام ، حتى وافهما الحلم .

فاسموا نظير ذلك في قرطبة . كان القاضي أبو بكر بن ذكوان ، من الجلالة باسمي مكان ، أدركته حرفة الأدب ، وله في العلم باع طويل ، وكان يقضي في خلوته مع ابن زيدون ، بالقاضي التنوخي مع الوزير المهلي ، وهناك ما شئت من دعات ورفعات ، وما تخيلت من فكاهات ومجانات ، حتى إذا أصبحا ، ذهب ذو الوزاريين إلى شأنه في ديوانه ، ويكر أبو بكر إلى مجلس المحكم بمناصبي الحق ، ومتى اقترب للماء نادا إلى النصف ، ونجاوزا في ميدانها كل وصف ، إلى أن سطا الصهر على أبي بكر .

واثقف أن مر ابن زيدون يوماً بغير ابن ذكوان في لمة من إخوانه ، وجاءه من محار مبداهه ، فصفوا عليه سلهين ، فقال أبو الوليد بن زيدون سر محلا :

« انظر لحال السرو كيف تحال . . . الخ »

حتى أديب حر يصل إلى هفنه للمكافة قبل أن يصل إلى التلاطم من الصر ، فكيف لا يكون كالكاف للثني حرب الزمان والهمر . ثم قد دبت غلابة الفرية بينه وبين حاسدي نصته وسعادته ، وللناظرين والأنداد فأنابوا عليه وآتوا سرورا حتى انهبوا باذاعه في هراكم ، ونهبوا لدى الأمير ابن جهور لحبسه حبساً طالت مدته ، فكانت تلك السجون مثارا لشجونه ، فبعد أن صاغ لبني جهور ولاسيما لأبي الحوم ثلاثة وخارائه ، كتب إليه من السجن أشمرا ورؤايل عتاره ، فاضت بها نفسه في التصل والاعتذار والاستسفاف والاستعطاف ، ولكن للراحمين له على مركزه في الدولة ، وعلى حب ولادة كاتوا دائما يغوزون ، فبقى في السجن مدة تقيف على الحياة يوم .

كتب لابن جهور تلك الرسالة البديهة التي طبعها أحد المشرقيين في سنة ١٨٨٩ . وهي التي صرحها باللامة صلاح الدين الصفي .

ولقد زارته أمه في سجنه . فظانها دستها ، فقال يغاطلها من نصيبته الابلية التي وجهها إلى ابن جهور مستغلاً :

« ألم بأن أن يركب النمام على منلى . . . الخ »

وما أظن وصفه نصه ولوشاته في إحدى قصائده الثلاثة :

« كان الرشاة - وقد منيت بأفكمهم - أسباط يصوب وكنت الدنيا . »

هذه الأحوال مضافة إلى نفس كبيرة تنب في مرادها الأبدان ، شيت رأس ابن زيدون وجفحه مرما ليل

الأولاد ، قد رأى الشيب في رأسه وعارضيه . فبكى على نفسه وقال من قصيدة أخرى يستعطف بها ابن جهور أيضاً :

« لم تطو برد شيباني كيرة وأرى برق المشيب اعطل في طارش الشعر

قبل الثلاثين إذ عهد الصبا كذب ولشبية عمن غير مهتر . »

وفيها يقول بما يعرفنا بأنه عارف بقدره :

« أحين رف على الآفاق من أدبي غرس له من جناء يافع الثمر ؟

وسيلة سبيا إن لا تكن لبنا فهو الوداد صفا من غير ما كفو . »

فدلنا بذلك على أن الشيب لم يرأسه وبلغيته ، قبل أن يصل إلى الثلاثين من عمره . وذلك مصداق لما ذكرناه من أنه بلغ مهاتب الملا وهو في سن الفتوة وربمان الصبا ، وذكر الصدي أنه كان يحنس بالسواد . ثم أنه تميل في الحرب ونجح . فلما خرج من السجن اختفى بخرط . وأقام فيها متوالياً ، ثم نظم قصيدة طويلة يخاطب فيها ولادة ويستهنئ الأدب أباً بكر بن مسلم الشفاطة ويستزل أباً الحزم بن جهور وفيها يعرفنا أن مدة حبسه بلغت خمس سنين . قال :

« سنون من الأليم غس قطعنا أسيراً ، وإن لم يدشد ولا ربط . »

والقصيدة طويلة حيلة حيلة ، ثم إنه مازال بأبي الوليد بن جهور يستشف به إلى أبيه أبي الحزم ، حتى شفع له وانقذه من نكبته وصهره في مثالبه ، ولما ولي الأمر بعد والده توه به وقسمه في الدين استطاع لدولته وجهه كرامة لم تقنه ، زعموا . فلا غرابة إذا بكى واستبكى حينما مات أبو الوليد بن جهور الذي أفادته من الحبس والمذاب الوائاً . فقد وجد ابن بلم بخط ابن حيان هذه المراثية البديعة لابن زيدون في أبي الحزم :

« ألم تر أن الشمس قد ضحا التبر الخ »

ولكننا نعود إلى ولادة وتساءل هل نرى أبو الوليد ولادة ؟ كلا . بل عاد إلى التودد إليها والتعرب منها ، وكان يذكرها في قرطبة ويراسلها بأشعاره الرائعة الفاتحة .

ذهب مرة إلى الزمراء بتأمل في محاسنها فوصفها بقوله :

« إني ذكرتك بالزمراء مشتاقاً الخ »

ثم أرسله أبو الوليد بن جهور سفيراً إلى حضرة إدريس الحسن بماتمة .

فأطال التواء هناك واقترب من إدريس وخف على نفسه ، وأحضره مجالس أمه ، فغضب عليه ابن جهور وصرفه عن السفارة بينه وبين أمراء الأندلس فيما يجري بينهم من التراسل والمخاطبة .

إلى هنا انقضت أيامه في قرطبة ، ففقد حتى أبو الوليد أن يلاقى من الوليد ما لاقاه من والده . وحينئذ صحت مزيمته على الهجرة من قرطبة والذهاب إلى المصنف بن عباد بإشبيلية .

فلازم بعض أخصائه على ما اعتزمه من التحول عن وطنه وهجر أمه وخلاته ، فكتب إليه رسالة ثانية يستعذر فيها لنفسه ويقول من جلتها مالهه :

« وكنت أول جسي قد وضعت من السجن في موضع قد جرت العادة بوضع مستورى الناس . . . الخ . »

ولكن ابن زيدون كان قد ذاق من الضرر حلوه ومرة فلم يرش لنفسه بالذهاب إلى إشبيلية دون أن يكون على ثقة من أمره . فذلك كتب رسائل بديعة إلى بعض المثربين من المصنف ، ثم إلى المصنف نفسه ، ليهد السبيل إلى الهجرة . حتى إذا تحقق أنه سيتزل في إشبيلية على الحب والسنة أزعج الرجل إليها ، وكان ذلك في سنة ٤٤٦ للهجرة .

واحقق في وقت فراره من قرطبة إلى إشبيلية أن صاعده عبد الأحمي ، فرأى الناس مبهجين باليد ، وم يتزاوون ويبادلون التهانى ، وهو هريد طريد ، ففأنتت نفسه بوصف حاله :

« خليل لا نظير ولا أمتى الخ »

فلما وصل إشبيلية - نزل على كنف المعتضد ، وأصبح من خواصه وصحابه يجالسه في خلواته ، ويرسله في مهم رسائله ، وولاه الوزارة وحفظ له لقبه « ذا الوزيرين » .

كان المعتضد جعل مجلسه منقطاً عن مجلس ابنه وولى عهده المعتضد بن عباد فكتب للمعتضد لابن زيدون :

« أيها اللحنط عن مجلسي وله في الناس أهلك مجلسي »

فجأدى لك حب يغنى أن ترى تحمل فوق الأرواس .

فأجابه ابن زيدون ينكره :

« أسقط الطل فوق النرجس أم نيم الروض تحت الخندس ؟ »

ولكن هل أنساه ذلك ولادة وعاسها . أم قرطبة وماكنها ؟ كلا فلم يزل صاحبنا مشغولاً بهذه وجلك وأشعاره أكبر دليل على ذلك . فكنا حانت له فرسة ، أو عزته نشوة ، فل فيها أقوالاً نذيب الفؤاد .

فلله تشوق إلى قرطبة وساكنيا بقصيدة تدل على حنينها ولن فيها ، فقال :

« على انشب الحمدي من تحية الخ »

وكان يلفظه عن بني جهور ما يسوءه في نفسه وتراجه في قرطبة ، فقال يحاطلهم :

« بني جهور أحرقتو بجفائكم فؤادى ! فبال للمأخ لمبق »

فمدوني كالنير الورد إنما تنوح لكم أناسه حين يحرق .

وأما أمداحه في المعتضد بن عباد فعنه كثير جليل .

وقد كتب عنه إلى صهره اللوق أبي الجيوش بن مجاهد المامرى صاحب دانية والجزائر الصرقى المروقة الآن بجزائر البليار :

« عرفت عرف المبالاذهب عاظمه الخ »

قلت فيما تقدم إن ملوك الطوائف كانوا متقسمين على أنفسهم ، وإن الحرب كانت دائرة بينهم فأليكم

مثالا واحداً مما يخلق بين زيدون ، وذلك أن الحرب وقعت بين المعتضد صاحب إشبيلية ، وبين

ابن الأطلس صاحب بطليوس ، فالتزم ابن الأطلس هزيمة فضيحة ، وغر خسارة جسيمة ، فقال ابن زيدون

حينئذ للمعتضد :

« لبين الهدى إنجاح سيك في الدنا الخ »

هذا مع أن ابن زيدون سبق له مدح ابن الأطلس بمدحة غراء في قصيدته التي يقول فيها :

« ليسى الطلى ولسود اللهم الخ »

ولا غرابة في ذلك ، فذلك عظيم ، وفصايف السياسة تحفى بالتبديل من حال إلى حال . خصوصاً إذا اقتضت

أمة من الأمم على نفسها وخاضت في غمار الخطوب والفتن ، وفوق ذلك ، أنليس القلب من مدح إلى

عيباء ومن ملام إلى سلام ، هو سجية من سجايا التمرأ الكرام وغير الكرام .

فلما مات المعتضد بن عباد وتولى لذلك ابنه المعتضد بن عباد كان لابن زيدون عنده تلك الكرامة وهذه

المفارقة ، تدلنا على ذلك شهادة التاريخ . ويؤيدنا قول ابن زيدون نفسه في رثاء المعتضد وعظائمه وروحه

بعد دفته :

«أما يا أولي اللوك فقد صدأ ، طيك زمان من سجت اندر» الخ

ومن العلوم أن ابن زيدون دبر دولة للحميد وأطهر صوته وأغراه بأعدائه ، وزين له الإيعاز بساؤه ووزرائه . ففدا شجاعاً في سدورم ، وتكفأ في سرورم . فلما آل الأمر إلى الحميد ، قام حسابه وخصومه وسعرا لديه في النكايه به ، ثم رموا إليه برعدة فيها قصيدة طوية أولها :

« يا أيها ملك السلى الأعظم اتصل وريدى كل بلغ ينم !

واحسم بسيفك داء كل منافع يدي الجليل . وسند ذك يكلم !»

وهي قصيدة طوية تتألف من ٢٧ بيتاً كلها الهواه وابن زيدون على سبيل التصريح المعلوم . ولكن للحميد كان أقل من ابن جوير . فلم يصح لكك النتيجة ، ولم تنفع لديه تلك السعاية فقال في صدم ورد كيدم في حرم :

« كذبت مناكم : صرحوا أو حبسوا الخ .

فما بلغ ابن زيدون ما راجهم به ، وتحقق حسن مذهبه ، وعلم أن حيلهم قد انطقت ، وسمايتهم ماظقت ، وسهامهم تبرعت ، وكأديم تبعدت وتوزعت ، قال يمدح الحميد ويهزأ بأعدائه بقصيدة طوية مطلعها :

« الشعر إن أملى فصيح أجهم الخ .

واستقر الحميد به في وزارته ، فكان أحد وزرائه الثلاثة الأكبر المشاة وزرائهم . (أى أحد الثلاثة الذين يطلب كل واحد منهم بذى الوزراء) والآخران هما ذو الوزراء ابن حمار ، وذو الوزراء ابن خفون (جد صاحب التاريخ المشهور) .

خرج الثلاثة في أحد الأيام من إشبيلية إلى منظره (قصر خلوي) لبنى حباد بموضع يقال له القنت (هربيا لفظ اسباني) وهو مشتهر تحف به مروج مفرقة الأنوار ، حنسة الأعمدة والأفوار ، متبسة هن تنور الأنوار . . . في زمان وبيع سفت الأرض السحب فيه يوسمها دولها ، وجعلتها في زاهر مليها وباهر حليها ، وأهداف الرى قد تآزرت بالأزهر الخضر من نباتها ، وأعياد الجداول قد نظم النوار فلائحه حول ليلتها ، ويجلس الزهر نطر أودية النائم عند حباتها ، وهناك من البهار مايزرى على مدامن النعارة ومن النرجس الزمان مايزرأ بنواص الأبقان ، وقد نوا الاغراد للهو والطرب ، والفتنة في روض النبات والأدب ، وبشوا صاحباً لهم يسمى «خليفة» هو قوام قتهم، ونظام مسرتهم، ليأبهم بنبذ يذهبون لهم بمذهبه في بلين زجاجه، ويرمونه بما يقضى بشريكه هرب عن الثوب وإزاجه ، جلسوا لانتظاره . وترقب عوده على آثاره ، فلما حصروا به منبلا من أول الفج بإفروا إلى لقائه وسارحوا نحوه . واتفق أن تواسى من الجند ركب فرسه ضمه ، ووطئ عليه فهطم أعظمه ، وأجرى دمه ، وكسر قصاله (١) التنيذ الذي كان معه ، وفرق من شملهم ما كان الصخر جمه ، ومضى على غلوائه واكفأ حتى غنى عن البين ، خائفاً من متعلق به يحين بقتله المين ، وجن وصل الوزراء إليه تأسفوا عليه وأفاضوا في ذكر الزمان وعدواته والمحب والأوتاه ، ودخلوه بطوام المفرات ، على تمام المرات ، وتكديره الأوقات المنصات ، بالآلات المؤللات ، قال ابن زيدون :

« أهو والحطوف بنا مليفة وأنمن والمثون لنا تحفة

قال ابن خفون :

« ولي يوم وما أدراك يوم مضى لعلنا ومضى خيله

(١) الاتصال كله يستعملها المتأخرة والأندلسيون بمعنى جرة التنيذ ، وهو إلقاء من القطار .

قال ابن حمار :

« ما غارت أرواح وروح تكسر تلقاً شفاف وجهه »

ولابن زيدون مدائح في المحدث بن حمار كلها دور وغرر ، وآيات بينات ، وله معه مداحات ومطالعات ومساجلات ، فارة يشوقه إلى ساطع الحيا في صورة اليدوية ، وتارة يرسل له التلاح ويكتب عليه الأخبار ، يدعوهم إلى تناول القمار ، وتارة يهينه ، وأخرى يمدحه ، وله بيتان قد بلغنا حد الإبداع في هذا الباب . قال يخاطبه :

« مها امتدحت سواك قبل فأما مدحى إلى مدحى لك استعزاد »

ينفى الميادين الفوارس حبة كحبا يعلما التزال طراد »

فأحسن هذا التصل بقرن على المديح ، حتى إذا أجاد وبلغ المراد أهدى عمرته إلى ابن حمار .

هذه نظرة من بحر من بحور شرفك الفرد ، وأما نثره ففيه بيد حمره ، وما يجله كثيرون أنه ألف كتاباً في التاريخ وجهه ابن حزم من مفاخر الأندلس ، وقال إن أبا الوليد بن زيدون ألف كتاب التبيين في خلفاء بني أمية بالأندلس على منزع كتاب التبيين في خلفاء المشرق للسعودي ، وقد نقل صاحب فتح الطيب سطراً أو سطرين من هذا الكتاب الذي لم يبق له أثر ولا عين .

وما زال ابن زيدون يشوق لقرطبة ولن فيها ويسأل لدى المحدث بن حمار حتى جبل قرطبة متعج أمله . نسي في مداخلة أهلها . ومواصلة ذوى الكرم فيها لأنه رأى عدم الفائدة والمكاييد لاستمساك أهلها بدعوة الخلافة وأنتهم من زوالها عنهم وانطلس رسومها في بلد ، فلما فاز بالمرام وانتظمت تلك العاصمة الضخمة في حكمه ، ذهب إليها مسرماً وأتم بتدبير شؤونها ، هناك تصبحت نفسه بالفرح على سائر ملوك الطوائف قال : « من الملوك بقاؤ الأسيء البطل الخ . »

أما ابن زيدون ، فقد عاد قرر العين إلى وطنه وأمله ، وكانت له شبه كبيرة في قرطبة ، فارتفع جده ، وزاد إقبال الدنيا عليه وبلغت حظوته عند المحدث درجة لا يطع فيها .

لحقه سقى في حلاكه صاحب ، ابن مرين وابن حمار ، وتلفا في إيماده وإياد ابنه من بعده ليظهر لها الجبر ، وليتربوا بالاستتار بابن حمار ، ولقد ساعتهما الظروف .

قد ولست نقس في إشبيلية واضطر ابن حمار لتسجيل برسالة جيش كثيف إليها تحت قيادة ابنه سراج الدولة بن حمار ، فسؤل ابن مرين وابن حمار لابن حمار أن يرسل ابن زيدون مع سراج الدولة وتلفا في تعليم السلطان أن ذهب ذى الزوارعين فيه حتى للمساء ، وحفظ لنظام ، لما له من المسكة المالية والجاه الرفيع ، ولأنه محبوب لدى جميع القلوب ، ثم وسوساً له بأن المصلحة كل المصلحة هي في وجود ابن زيدون الوزير السابق المدبب المحير بجانب سراج الدولة الذي هو قرعة عين الملك ، ومطعم الأنظار لبقاء البيت للمبادئ ، وما زال الرجلان يتجانح على هذا المنوال حتى أنفذا خصوصاً لثياب ابن زيدون في مرض أزمه البيت .

صدر إليه الأمر بالتحارب ولم يفتوه السلطان في التوقف لما به من الآلام ، فخرج منها مع الحاجب سراج الدولة بن حمار والجيش متوجعين إلى إشبيلية ، وكان ذلك يوم ١٣ في الحجة سنة ٤٦٢ ، وخلف في قرطبة ابنه الوزير الكاتب أبو بكر بن زيدون ، ولكن صاحبنا (ابن مرين وابن حمار) ما زالوا يملآن لدى ابن حمار حتى صدر الأمر إلى أبي بكر ابن زيدون أيضاً باليلقى بإيه في إشبيلية .

حجبت خلاهما الجبر فاستأثرا بالأمور كلها وانفردا بتدبير الدولة بلا مشارك لها في أمورها ولا معارضا

لها في المراضها ، وكأن زوال دولة ابن عباد كل مقداراً على يد هذين الرجلين فإن مريين ، يكنى في التعريف بمرايه أنه ابن مريين أى أنه من أصل غير مري ، فإن جده وجيل إسمائى ، وأما ابن عمار فقد أنكر فضل ابن عباد ، وشق عصا طاحته ، وسعى في إفساد الخراب ، وخرق اليهود ، وغلان وأشب ابن عباد حتى أوى دولته ، على ما هو معروف مشهور .

أما ابن زيدون وهو في إشبيلية ، فلم يطل الأمد به بعد خلق ابنه به ، فكأنه جاء ليكنه ويدخته بها في صدر وجب سنة ٤٦٣ ، حيث قد تولى منه كهل بن يحنف الدهر مثله جلالاً ورياسة وروعة وطقاً .
وهو عند أولى التحقيق في التزم أمد طفا ، وأحت عتاً ، فلا يلطفه تقصير ، ولا يغنى وهناً ، ولما وصل خبره إلى قرطبة ، وله فيها عشرة كبيرة وأشياء كثار ، تنازعوه وحزنوا عليه لأنه كان منهم ، هاوياً للمهم ، حدياً عليهم ، وليجة خير بينهم وبين سلطنتهم لأخيت الولاية .

فأراد السلطان أن يترضاها فؤسل لابنه (أى أبى بكر ابن زيدون) وقربه إليه ، ورفاهه في مراتب والده حتى أحياه بالوزارة وقد اغتم هذا فرصة ماوقع من ذى الوزراء ابن عمار من الخروج على ابن عباد فأوخر صدر ابن عباد عليه ، وما زال يبدل لديه حتى كثر سبباً في هلاك ابن عمار على ما هو معروف مشهور .

انتهى الكتاب



تم طبعه « بشركة مطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده » في يوم الخميس ٢ ربيع الثانى سنة ١٣٥١ (٤ أغسطس سنة ١٩٣٢) م

مدير المطبعة

رستم مصطفى الحلبي

فهرس

القوافي من ديوان ابن زيدون (١)

صفحة	حرف الألف	صفحة
٢٥٣	لأنت الذي تسمى عليه تنوب	٧٥
٢٥٩	يا قر الديوان ، وللوكب	٧٧
٢٦٤	يا راحتي وعذابي	(٧٧)
٢٦٩	قد ضاق بي - في حبك - للذهب	٢٢٩
٢٦٩	سوى أننى محض الموى صادق الحب	٢٦٠
٢٧٣	أم لسا كيك طيب	(٢٨٥)
٢٧٥	وما فى الحق غصبي واجتنابى	(٣٨٧)
٢٧٦	يا ليت غائب ذاك العهد قد آبا	
(٢٨٦)	(يختطف الناس عن قريب)	
(٢٨٧)	(وما أجتعا ولا أقرقا لإهاب)	
(٢٨٩)	(عن العيان فكنونى أبا العجب)	
(٣٢٥)	(قتلتم لهم إن الشكول أقارب)	
(٣٧٠)	(نادى لفتد حبيب النفس واحربا)	
(٣٧١)	(رقد صادني طرف كليل وحاجب)	
(٣٧١)	(ويحمر له فى الكرمات عباب)	
(٣٧٢)	(وللقليب فى حين النداموسيب)	
(٣٧٨)	(ومن يلتذ غفران القنوب)	
(٣٧٨)	(فأمنى عزى أم أعوج مع الركب)	
(٣٨٥)	(وردت لقلقتى حجابا من العتب)	
	حرف الباء	
	يا دمع صب ما شئت أن تصوبا	١٩
	تعملها منه السلام إلى القرب	٣٤
	فيقصر - عن لوم المحب - عتاب	٤٠
	(خبير بأدواء النفوس طيب)	(٤٠)
	زمناء فكلان السجى منه نواى	٦٠
	فصلى بغررك ليلك التريبا	٦٩
	يا من تزييت الرأسة حين ألبس ثوبها	٩١
	(زارى وأندركب شرديه)	(٩٦)
	(فظب ساكنيه وعذوبه)	(١٧١)
	(وليل أقالبيه بطلى الكواكب)	(٢٣٠)

سنة

- فهرز - من الموى - عطف ارتياحى ١٥٨
وَأَنْتَ قَلَى الزَّيْمَانِ مَدَى اقْتِرَاحَى ٢٦١
(وَلَى فِي سَلُوكِ فِي اقْتِرَاحِ) (٣٧٣)
(أَفْدِيكَ يَا فِتْنَةَ الْجَنَانِ وَالرَّوْحِ) (٣٧٣)
(أَصْبَحَ قَلْبِي بِهِ قَرِيحًا) (٣٧٨)
(وَعَنْدَرُكُ لَنْ عَاقِبَتِ أَجْلِي وَأَوْضَحَ) (٣٨٤)
(لَتَقْصُرَ عَنْهُ طَوْلُ الرِّيحِ) (٣٩٣)

حرف الدال

- (لَجَادَ بِالْقَهْوَةِ وَالْوَرْدِ) (٣٩٢ و ٦٠)
(فَكَأَوْهَا وَلَكِنْ لِلْأَعَادَى) (٦٨)
وَلَمْ تَجْهَلْ مَحَلَّكَ مِنْ فَوَادَى ٧٤
فَقَدْ مَنَا أَجَلَ الشُّكْرِ وَالْحَمْدِ ٧٨
(قُلْتُ : إِمْرَانِ هَيْنَ وَشَدِيدِ) (٨٦)
وَقُلْتُ خَيْرَ وَافِدِهِ ١٦٥
مِهَاتَ حَتْمًا - فِي مَرَاتِمَا - أَسَدِ ١٧٧
لَوْ سَاعَفَ الْكَافَ الشُّوقَ مَرَادِ ١٩٧
(وَأَنْتَ أَمْرُؤَ عَاقِي أَفْئِكَ وَاحِدِ) (٢٠٤)
(ضَرَبْتَ عَلَى الْأَرْضِ بِالْإِسْدَادِ) (٢٠٦)
(جَهْلًا بِنَا وَوَلَيْتَ عِبَادِ) (٢١٠)
(يُضَحِّصَنَّ بِالْمَرْءِ شِدَا) (٢١٠)
(وَلِنْ رَاحِ صَنِعِ اللَّهِ نَحْوَكِ وَأَغْتَدَى) (٢١٦)
(مَاطِلٌ فِيهِ سَمَاكِي وَلَا جَادَا) (٢١٩)
كَالشَّرَابِ الْمَذْبُوقِ فِي قَسِي الصَّدَى ٢٢٣

سنة

- (أَرْمَلَحَ قَوْمِي بِالْمَدَاةِ لَوَاعِبَا) (٣٩٣)
(كَفَاهُ بَخَلْتُ السَّحَابِ) (٣٩٥)
(يَرْتَاحُ فِيهَا بِاصْطِيَادِ أَرَانِبِ) (٣٩٦)
(رَجَلُكَ عَلَى بَدَفٍ فَاصْبِحْ ذَا قَرَبِ) (٣٩٦)
(وَمَا أَحْصَى مَوَابِهِ) (٣٩٩)
(فَعَبِوْا مِنْ الْأَغْرَابِ أَيْلَمُ مَذْهَبِ) (٤٠٠)

حرف التاء

- وَقَدْ خَفَّتْ فِي سَاحَةِ الْفَصْرِ رِيَاثِ ٣٩١ و ٦١
وَأَعَزَلَ عَنْ رِضَاكَ وَقَدْ وَلِيَتْ ٢٦٦
(جَدَاوِلُ مَاءٍ أُرْسِلَتْ فَاسْطَبْرَتْ) (٢٠٩)
(لَيْسَ مِنَ الْوَحْشِ وَلَا النَّبَاتِ) (٢٨٧)
(عَنْ فَوَادَى دَجَنَةِ الْكَرْبَاتِ) (٣٩٢)
(وَلَقْنِي مِنْ مَتَابِلِهِنَّ خَالِيَاتِ) (٣٩٩)

حرف الثاء

- وَأَوْفَى لَهُ بِالْمَهْدِ إِذْ هُوَ نَاكِثِ ٢٧٧
حرف الجيم
(قَلْبِي لَهَا أَخَذَ الْبُرُوجِ) (٣٨٩)
(لَا بَدْرَ الْبِيَاحَى) (٣٩٢)

حرف الحاء

- فَمَا حَالُ مَنْ أَسَى مَشُوقًا كَأَخَى ٥٤
تَعْسَى ، وَاعْطَافَ نَشَاوَى مَوَاحِ ٨٩
(وَأَخَذَنِي الْحَمْدُ بِالتَّحْنِ الرِّيحِ) (٩٦)

صفحة	صفحة
(٣٩٠) فالتلب منهم والاحلاق والكبد	٢٢٣
(٣٩٤) ورود الكرى بعد طول السهاد	٢٤٩
(٣٩٥) وقرة ناظر المجد	٢٤٩
(٣٩٩) أسود - لهم فيها - وآساد	٢٥٠
(٤٠٠) خف القطين وجف الزرع بالوادي	٢٥٣
	٢٦٢ وزهدت فيمن ليس فيك بزاهد
	٢٦٤ يا سوء ما لقي الفؤاد
	٢٦٨ وأصابتك بما لم أرد
	٢٧١ ثم امتزجت امتزاج الروح بالجسد
	(٢٧٤) وبلفت من ظلى للدى
	(٢٧٨) وواصل جبل صدى
	(٣١٧) وإن الفنى طرية فتزود
	(٣٢٦) وتعتز ذات يوم تبتعد
	(٣٧١) إذا خفيت طرق العرائس عن أسد
	(٣٨٥) متى يختبر غيبه يحمى
	(٣٨٦) وفى خلدى ما فيه من لوعة الوجد
	(٣٨٦) فتفك عنه للأسى أصفاد
	(٣٨٧) وحاضرة فى صميم الفؤاد
	(٣٨٧) وكان ساعدك الوثير وسادى
	(٣٨٨) كروا كفات الفؤادى
	(٣٨٩) فلاجلن مكانه وردا
	(٣٨٩) وكم عفى عن دار أهيف أغيد
	(٣٨٩) فضى به فتاحة وأجتنى وردا
	(٣٩٠) ولا وجدت منا خطوب النوى بدا
صفحة	
(٣٣) ملكا يحسنه الخليفة جعفر	
٣٨ لما جرت بالنى تشكوه أقدار	
٥٨ كمثل هواى فى حل الجوار	
٦١ وأمرضت حسادى، وحاشاك أن تبهرى	
٩٢ إلا ذكرتك ذكر المين بالآثر	
(٩٢) إمام الطول أو من القصر	
٩٨ وفاضح الرشا الوستان إن نظرا	
١١٩ مضضفة الأنفلس طيبة النشر	
١٤٠ فن شيم الأبرار - فى مثلها - الصبر	
١٥٠ وأن قد كفانا قدنا القمر البدر	
١٥٢ عنارى دونه ريق المنادى	
١٦٨ واطلع كما طلع الصباح الزاهر	
١٧٠ غصن أثمرت ذراه يندر	
١٧٤ فن شيم الأبرار فى مثلها الصبر	
(٢٠١) بأن للره لم يخلق صباره	
(٢٠٥) (تروح بالخورق والسدير)	

حرف الراء

صفحة	صفحة
(٣٧٦) وقصرت أعمار العداة على قصر)	٢٤٤ ما أبرزته غرائز الفكر
(٣٧٦) (وقد زهرت فيه الأزاهر كالزهر)	٢٤٨ وقر بك من دون البخور مطهر
(٣٧٧) (ماذا يخيد عليك البعث والحذر)	٢٥٤ واجتل التأيد في أبهى الصور
(٣٨٠) (والنجم قد صرّف الفنان على السرى)	٢٥٩ إلى أن بدا للصبح في الليل تأثير
(٣٨٧) (ومن مثال قصى السؤل والوطر)	٢٦٧ قلبي عليك يقاسى الهم والفكرا
(٣٨٩) بابصاره الفرة الزاهره	٢٦٨ واختارى إن أخير
(٣٨٩) (ووجهك أملح في ناظري)	٢٧٢ لا كتفين بسماع الخبر
(٣٩٠) (والوجد قد جل فما يستر)	٢٧٢ وارضى بتسليمك المختصر
(٣٩٢) (وأقرن الليل بالنهار)	٢٨١ مدى الدنيا مظفر
(٣٩٣) (وقنعت وجهك بالنفر)	(٢٩٨) (وعشرته مشكورة وعشائره)
(٣٩٤) (كفى به فدعاني فضله الطافر)	(٣٠١) (حرف لنصل اللفظ مقدور)
(٣٩٦) (يسرى إلى غرته السارى)	(٣١٧) (ويبقى من المال الأحاديث والذكر)
(٣٩٦) (ولم ألف في بحر نعماء زجرا)	(٣٧١) (غرت أشجارها مستجزل الثمر)
حرف السين	(٣٧١) (فيها السرى إلا برأى مقمر)
١ يجرح الدهر ويأسو	(٣٧١) (ووصل كظل الروض تطيحه نورا)
(٩٣) (للشيب عنرا في النزول براسي)	(٣٧١) (يناقضه سنا البدر)
٩٨ وقد آن أن تترع الأكؤس	(٣٧٣) (إلى أن بدا للصبح في الليل تأثير)
١٠٦ أطول عمر يبهج الأضا	(٣٧٣) (ويقصر أن لاقيتها أطول الدهر)
١١١ ويظلم لي النهار وأنت شمسي	(٣٧٤) (من أفق من أما في قلبي أشاطره)
(١٩٣) (بها أثر منهم جنى ودارس)	(٣٧٤) (وتصبر عنه ولا يصبر)
(٢٤٧) (أم نسيم الروض تحت الحندين)	(٣٧٥) (ومقلة تنفث بالسحر)
(٢٩٧) (وارع إذا للره أسا)	(٣٧٥) (وإن فؤادي - والإله - صبور)
	(٣٧٥) (ويأمرني ، إن الحبيب أمير)

صفحة	صفحة
١٨٤	(٢٩٨) بأنس السباع وحسو السكورس
(٢٠٩)	(٣٩٢) (ثي للعلم عن الناس)
(٢١٠)	• حرف الشين
٢٦٣	هل منك لى غلة إن صحت «واعطشى» ٢٨٠
٢٦٥	حرف الصاد
٢٧٠	(في غير ذاك من الأمور أرخص) (٦٨)
(٢٧١)	حرف الضاد
٢٧٩	نشب وافر ، وجاء مريض ٨٢
(٣٧٨)	ونبهته اذهلنا فاعندس ٢٣٧
(٣٢٨)	(كواكب في السماء تبيض) (٣٧٤)
(٣٧٣)	(وهب لنا التضيضا) (٣٩٤)
(بأن ليس في حبي لغيرك مطعم) (٣٨٦)	حرف الطاء
(ألا غفر الرحمن ذنبا تواقه) (٣٨٨)	وشط - بمن نهوى - للزار وماشعوا ١٣
(وشادنا في مهجتي يرتع) (٣٩٣)	حرف العين
(وتنهى القلب الصديق) (٣٩٧)	(يوما وصلنى ساعه) (٢٢)
(كلما أعطى تبا نزا) (٤٠٠)	وخذ - فيما ترى - أودع (٦٦)
حرف الفاء	ذهب القواد فليس فيه براجع ٧٩
لناهل لثات الوقع بالجزع - موقف ٢٣	(تقيس لا تمار ولا تباع) (٩٧)
(تخوفنى الأعداء والنفس أخوف) (٢٠٤)	عارض كرب بلطفه رفه ١١٨
٢٦٨	(بقى الهواء مطامه) (١١٨)
ذكرك منى بالأفاس موصول ٢٧٨	أم في لثات التي قدمت منتفع ١٣٠
يا من تناهيت - في الطائه - فجفا ٢٧٩	(من الدهر حتى قيل لن يتصدعا) (١٤٥)

صفحة	صفحة
(٣٨٨) (ومشرقة من خلال الحلك)	(٢٩٣) (وصول ليس بالجاني)
(٣٨٩) (وتأنس بذكرها في انفرادك)	(٣٧٠) (فلمست على العلات منها أخاصك)
(٣٩٢) (فتغيب مسرعة لذلك)	(٣٩٣) (فإن الهوى مابه منصف)
(٣٩٢) (سكران من خمر اشتياقك)	حرف القاف
(٣٩٣) (فيدا لطرفي أنه فلك)	(٤٩) (على الصديق والمندو صدقه)
(٣٩٤) (مقالة لم تنب بإفك)	جاني، ولكن للدائح تيق ٦٠
(٣٩٤) (ومخلقا أعهدكا)	(وما للره إلا عهده ومواقفه) (٢٠٠)
(٤٠٥) (ولحت من طرق لللاح شباك)	والأفق طلق ومرأى الأرض قدراقا ٢٥٧
(٤٠٨) (ردت الروح علي المضيق معك)	(فنظل نصبح بالسرور ونغيب) (٣٧٤)
حرف اللام	(كانه الصبح تحته شفق) (٣٧٥)
(رجال عن الباب الذي أناداه) (٣٢)	حرف الكاف
فديتك واعتزرت على ذليل ٥٧	فيميل - في سكر الصبا - عطفاك ٩
أم عهدنا البدر يجتأب الحلل ٦٢	ذائع من سره ما استودعك ١٢
(سهم المدا عنى فكتم نصالها) (٦٨)	بكل السننا جلاك ١١١
وموردهم حيث السماء مناهل ٩٩	واطلب فسطحك ضمن الإدراك ١٣٦
(تهال وأسباب للنايا نهالها) (٩٩)	دعمهم فشانهم غير شانك ١٤٧
تخالط لون الحب الوجيل ١٠٥	(كلاهما ذو أنف ومحك) (٢١٧)
(تو أبصره الوائي لقرت بلايه) (١٠٨)	أم كيف أخلف وعذك ٣٦٦
ويطلب ثأري البرق منصلت النصل ١١٢	لا تظهرى غلا بمود أراك ٢٧٠
(فلا تنصر ماء الصنعة بالملل) (١١٥)	الابومل قمرك ٢٧٢
وحلى - في رجائك - الكايل ١٢٠	(لا تتركنى - هكنا - هالكنا) (٣٧٥)
لا تخش منى نسيانا ولا بدلا ١٣٩	

صفحة	صفحة
(٣٧٤)	وحز لنى وتنجز الآمالا
(٣٨٨)	ولسولة العلياء كيف تدال
(٣٨٩)	فى للنظر الحسن الجميل
(٣٩٠)	(١٦٦) (ولله يمجز لا الحويل)
(٣٩٠)	كم لها من ألم يثنى الأمل
(٣٩٣)	قد فتح التشوق من حيال
(٣٩٤)	وحال تجنيك دون الحيل
(٣٩٦)	ومطلعها من جيوب الحلل
حرف الميم	(٢٤٢) (يا دهر أف لك من خليل)
٣٥ ربح مطرة التسم	٢٦٩ لقد قت - فى الحسن - بدر الكمال
٥٠ وللى فى هبوب ذاك التسم	٢٦٣ ويشقى وصالك قلبى المليلا
٧٦ وعلقى أنت بها عالم	٢٤٨ وسوغت دأبا نساء الأجل
١٢٢ بقتلى - مذنب عفى - لم	٢٧٥ يا جائر الحكم أغديه بمن عدلا
١٨٨ يعطى اعتبارى ماجهلت فأعلم	٢٧٥ لا ولا ذاك التجنى مللا
١٩٢ إذ الميش غضى والزمان غلام	٢٦٩ يملا عفى من تأمل
٢٤١ عن القصد إن أعيالك منه مرام	٢٨٠ يعيل - مع الزمان - كما يعيل
٢٤٣ علينا أذمة لا تنم	(٢٩٢) (ولسكن على أثر للسير قولها)
٢٧١ يا من يصح بمقتليه ويسقم	(٢٩٧) (وليس عليه فى النكاح سبيل)
٢٧٦ زكت ، وهلى وادى المتيق سلام	(٣٧٠) (وإلى لما يهوى الندامى قسما)
٢٧٩ قام بك العذر فلا لأم	(٣٧٠) (فانا الذى لست بال)
(٢٩٢) (كما باعت بصحبته السكرام)	(إلى أن بدت للصبح فى الليل أعمال) (٣٧٢)
٣٠٣ ومرويا لكل لمنم	

صفحة	صفحة
(٢٢١) (بدور الزمان واسد العرين)	(٣١٧) (من العيش أن يلقى لبوساً ومطعماً)
٢٦٥ ودعوت من حقق عليك فأمننا	(٣٢٩) (أخت بني الأكرمين من جشم)
٢٦٧ واستعدت القلب شوقاً بحد سلوان	(٣٣٢) (إلا لتوهن قوة العظم)
٢٧٠ سأحفظ فيك ما ضيقت مني	(٣٧٠) (إلا الظلوم للظلم)
٢٧١ حسب للتميم أنه قد أحسنا	(٣٧٠) (وأوقد في الأعواء شر ضرام)
٢٧٣ وحططتني ولطالبا أعلينتي	(٣٧١) (وقد خلقت لها في مجلس الكرم)
٢٧٣ وعن تهادى الأسى والشوق سلوانا	(٣٧٤) (فان فزادى بالمعالي هائم)
٢٧٦ لو كان سامعني في وصله الزمن	(٣٧٨) (طلمعين منه زراً وسما)
٢٧٨ وقضينا الذي علينا وزدنا	(٣٧٩) (وفي والا ما تواج الحاتم)
٢٧٨ من الحسن فنون	(٣٨٦) (يجب فيه الصلاة والصوم)
(٣٧٥) (يسلو - وإن سئل السلو - ضنين)	(٣٨٦) (أمكن ورد فلا يطل حوم)
(٣٧٦) (قد قفت للمالك في معان)	(٣٩١) (وكان أن يتسنى لي بكم حلم)
(٣٨٨) (أو روضة مسكية الريحان)	(٣٩٥) (ومتبع الاضام اتاماً)
(٣٩١) (إذ لا كتاب يوافيني فيحييني)	(٣٩٦) (وستر الله مد على الأنام)
(٣٩٣) (من فارس شهم الجنان)	حرف النون
(٣٩٥) (من المجد فاحتل غير القنن)	وناب - عن طيب لقيانا - نجافينا ٤
(٤٠١) (أو يرجع القول معناه فيغنيينا)	٣٩ ونفى الشك اليقين
(٤٠٢) (نشجى لواديك أونشجى لوادينا)	٦٨ بعت ودى بلا نمن
حرف الهاء	١٧٠ في حلى الظرف الحسان
٢٥٨ انتك دنياك عبدا أنت دنياه	١٠٨ موقفا في يد المخن
٢٦٦ ومستفتنا لنا محبه	(١٠٨) (أمرحنا بذكرك أم كنيينا)
(٢٨٨) (قلق ذكاء فاه من شبه)	(١٠٩) (إذ لا كتاب يوافيني فيحييني)

صفحة	حرف الياء	صفحة	
		(٣٣٢)	(أن الرؤوس عمل النعمى)
		(٢٧٨)	(فالأرض تشرق منه)
		(٣٧٩)	(ونعيمه فاقتمذبوه أواره)
		(٣٨٧)	(وعاشق من لا يباليه)
		(٣٨٧)	(ومصرفه لما انصرفت عليه)
		(٣٩٣)	(وبكت مقلناى شوقا إليه)
			حرف الواو
		(٢١٧)	(فوز من قراقر إلى سوى)
٥٩	فلتنسناها هذه التالية		
(٢٠٥)	(فروق ، فرامح ، لحقية)		
(٢٧٥)	(وإن كنت قد جردت عزى ماضيا)		
(٣٨٥)	(وقد عطشنا ونم رى)		
(٣٨٦)	(له الندى الرحب والندى)		
(٣٩٥)	(على السبيد الوفى)		



مَحْنَا الشَّعْرَ الْجَاهِلِيَّ

يتضمن هذا الديوان عيون الشعر الجاهلي

لستة من غول الشعراء

وم

- | | |
|------------------------------|-------------------|
| (١) أمروء القيس | (٤) طرفة بن العبد |
| (٢) النابغة الذبياني | (٥) عنترة بن شداد |
| (٣) زهير بن أبي سُليّ المزني | (٦) علقمة الفحل |

صح روايته، وشرح غريبه، وضبطه

مُصْطَفَى السَّقَا

مدرس اللغة العربية وآدابها بمدرسة الخديو إسماعيل الثانوية بالقاهرة
مطبوع طبعاً متقناً على ورق جيد وحرف جميل مضبوط بالشكل ومصحح
بناية الاعتناء ومجلد بالتماش للذهب .
يطلب من مكتبة :

مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر

ص . ب . الفورية رقم ٧١

التي تقدم القهرس الحلوى للكتيب الأدبية وخلافها لمن يطلبه مجاناً .

